الكِفايـة

في التَّفسيرِ بالمأثورِ والدِّراية

تأليف الفقير إلى رحمة ربه
عبدالله خضر حمد
باحث عراقي

الجزء الثاني عشر

سورة المائدة، الآية:[٤٧-١١٢]

منشور إلكترونياً

١٤٣٨ هـ - ٢٠١٧ م

حقوق النسخ والطبع والنشر مسموح بها لكل مسلم

ملاحظة:

إلى الذين يرغبون بطبع التفسير من دور النشر والجهات الخيرية، يرجى مراسلة المؤلف -لطفا وتكرما- على البريد الالكتروني الآتي، وذلك لإرسال التفسير بأحدث نسخة إن شاء الله، وفقنا الله تعالى وإيَّاكم لما يرضيه برحمته، آمين.

abdulla.khdhir@gmail.com

{بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}

القرآن

{وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٤٧)} [المائدة: ٤٧]

التفسير:

وليحكم أهل الإنجيل الذين أُرسِل إليهم عيسى بما أنزل الله فيه. ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الخارجون عن أمره، العاصون له.

قوله تعالى:{وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ} [المائدة: ٤٧]، أي:" وليحكم أهل الإنجيل الذين أُرسِل إليهم عيسى بما أنزل الله فيه"[١].

قال مقاتل:" من الأحبار والرهبان بما أنزل الله فيه يعني في الإنجيل من العفو عن القاتل أو الجارح والضارب"[٢].

قال الخطيب الإسكافي:" قيل لهم في ذلك الزمان وأمروا أن يحكموا به"[٣].

قال الواحدي:" أيْ: وقلنا لهم: ليحكموا بهذا الكتاب في ذلك الوقت"[٤].

قال الزمخشري:" ومعنى أمره لهم بالحكم أي هكذا يجب عليهم"[٥].

قال ابن كثير:" أي: ليؤمنوا بجميع ما فيه، وليقيموا ما أمروا به فيه، ومما فيه البشارة ببعثة محمد -صلى الله عليه وسلم- والأمر باتباعه وتصديقه إذا وجد، كما قال تعالى: { قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالإنْجِيلَ وَمَا أُنزلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ } الآية [المائدة: ٦٨]، وقال تعالى: { الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } [الأعراف: ١٥٧]"[٦].

قال مقاتل بن حيان:" فأمر القسيسين والرهبان أن يحكموا بما أنزل الله في التوراة قبل أن ينزل الإنجيل فكفر من كفر من أهل التوراة والإنجيل، فكذبهم محمدا صلى الله عليه وسلم بقولهم: أن عزير ابن الله، والمسيح ابن مريم ابن الله، وأن الله ثالث ثلاثة، وأن عيسى هو الله، وأن يد الله مغلولة، وأن الله فقير وهم أغنياء، ولو أنهم حكموا بالرجم والقصاص والجراحات لكانوا كفارا بالله بتكذيبهم محمدا -صلى الله عليه وسلم- وقولهم على الله الكذب والبهتان"[٧].

وقيل: "إن عيسى عليه السلام كان متعبدا بما في التوراة من الأحكام لأن الإنجيل مواعظ وزواجر والأحكام فيه قليلة. وظاهر قوله {وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه} يرد ذلك، وكذلك قوله: { لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا } [المائدة: ٤٨]، وإن ساغ لقائل أن يقول: معناه: وليحكموا بما أنزل الله فيه من إيجاب العمل بأحكام التوراة"[٨].

قال الجصاص:" قوله تعالى: {وليحكم أهل الأنجيل بما أنزل الله فيه}: فيه دلالة على أن ما لم ينسخ من شرائع الأنبياء المتقدمين فهو ثابت, على معنى أنه صار شريعة للنبي صلى الله عليه وسلم لقوله: {وليحكم أهل الأنجيل بما أنزل الله فيه} ومعلوم أنه لم يرد أمرهم باتباع ما أنزل الله في الإنجيل إلا على أنهم يتبعون النبي صلى الله عليه وسلم لأنه صار شريعة له; لأنهم لو استعملوا ما في الإنجيل مخالفين للنبي صلى الله عليه وسلم غير متبعين له لكانوا كفارا, فثبت

---

(١) التفسير الميسر:١١٦.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان:٤٨١/١.

(٣) درة التنزيل وغرة التأويل:٤٦٥/١.

(٤) الوجيز:٣٢٢.

(٥) الككشاف:١٩٩/٢.

(٦) تفسير ابن كثير:١٢٦/٣.

(٧) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٤٥٨):ص١١٤٨/٤.

(٨) الكشاف:٦٣٩/١.

بذلك أنهم مأمورون باستعمال أحكام تلك الشريعة على معنى أنها قد صارت شريعة للنبي عليه السلام"[١].

قرأ الأعمش وحمزة:«وليحكم»، بكسر اللام وفتح الميم، على معنى «كي»، فكأنه قال: وآتيناه الإنجيل لكي يحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه.

قال القرطبي:" ومن قرأه على الأمر فهو كقوله:{وأن احكم بينهم}[المائدة: ٤٩]، فهو إلزام مستأنف يبتدأ به، أي ليحكم أهل الإنجيل أي في ذلك الوقت، فأما الآن فهو منسوخ.

وقيل: هذا أمر للنصارى الآن بالإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم، فإن في الإنجيل وجوب الإيمان به، والنسخ إنما يتصور في الفروع لا في الأصول"[٢].

وقرأ الباقون {وليحكم} بإسكان اللام وجزم الميم، على معنى الأمر، تقديره: وأمرنا أهله أن يحكموا بما أنزل الله فيه[٣].

قال مكي: "والاختيار الجزم، لأن الجماعة عليه، ولأن ما بعده من الوعيد والتهديد يدل على أنه إلزام من الله تعالى لأهل الإنجيل"[٤].

قال الطبري:" قراءتان مشهورتان متقاربتا المعنى، فبأيِّ ذلك قرأ قارئ فمصيبٌ فيه الصوابَ"[٥].

وقال النحاس:" والصواب عندي أنهما قراءتان حسنتان، لأن الله تعالى لم ينزل كتابا إلا ليعمل فيما فيه وأمر بالعمل بما فيه فصحتا جميعا"[٦].

قال الزجاج:" و«الإنجيل»، القراءة فيه بكسر الهمزة، ورويت عن الحسن: «الأنجيل»، بفتح الهمزة، وهذه قولة ضعيفة، لأن «أنجيل»، أفعيل، وليس في كلام العرب هذا المثال"[٧].

قوله تعالى:{وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} [المائدة: ٤٧]، أي:" ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الخارجون عن أمره، العاصون له"[٨].

قال مقاتل:" ومن لم يحكم بما أنزل الله في الإنجيل من العفو واقتص من القاتل والجارح والضارب، {فأولئك هم الفاسقون}- يعنى: العاصين لله- عز وجل-"[٩].

قال ابن كثير:" أي: الخارجون عن طاعة ربهم، المائلون إلى الباطل، التاركون للحق. وقد تقدم أن هذه الآية نزلت في النصارى، وهو ظاهر السياق"[١٠].

قال البراء:" فأنزل الله فأولئك هم الفاسقون في الكفار كلها"[١١].

قال عبدالرحمن بن زيد بن اسلم:" هذا الحكم لكتابه قال: ومن لم يحكم أيضا في أهل الإنجيل بذلك فأولئك هم الفاسقون"[١٢].

وقال أيضا:" كل شيء في القرآن إلا قليلا {فاسق}، فهو كاذب. وقرأ قول الله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ} [سورة الحجرات: ٦] قال:«الفاسق»، ههنا، كاذب "[١٣].

وقال الحسن:" أنزلت في أهل الكتاب أنهم تركوا أحكام الله كلها في هذه الآية: {ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون}"[١].

---

(١) أحكام القرآن:٥٥٢/٢.
(٢) تفسير القرطبي:٢٠٩/٦.
(٣) انظر: السبعة في القراءات:٢٤٤، ومعاني القرآن للفراء:٣١٢/١، وزاد المسير:٥٥٤/١.
(٤) نقلا عن: تفسير القرطبي:٢٠٩/٦.
(٥) تفسير الطبري:٣٧٤/١٠.
(٦) إعراب القرآن:٢٧٠/١.
(٧) معاني القرآن:١٨٠/٢.
(٨) التفسير الميسر:١١٦.
(٩) تفسير مقاتل بن سليمان:٤٨١/١.
(١٠) تفسير ابن كثير:١٢٧/٣.
(١١) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٤٦١):ص١١٤٨/٤.
(١٢) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٤٦٠):ص١١٤٨/٤.
(١٣) أخرجه الطبري(١٢١٠٣):ص٣٧٦/١٠.

وعن الشعبي:"{ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون}، قال: أنزلت في النصارى"[٢].

وعن عطاء في قوله: "{فأولئك هم الفاسقون}، قال: فسق دون فسق"[٣]. وروي عن ابن طاوس مثل ذلك[٤].

وعن مجاهد:" {ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون}، العاصون"[٥].

وعن إبراهيم:"{ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون}، الآيات. قال: نزلت في بني إسرائيل ورضي بها لهؤلاء"[٦].

قال الزمخشري:" وحسن عقب ذلك التوقيف على وعيد من خالف ما أنزل الله... وتقريره: هذه الصفات لمن لم يحكم بما أنزل الله هو على جهة التأكيد، وأصوب ما يقال فيها أنها تعم كل مؤمن وكل كافر، فيجيء كل ذلك في الكافر على أتم وجوهه، وفي المؤمن على معنى كفر المعصية وظلمها وفسقها"[٧].

و«الفسق» لغة: الخروج عن الشيء، أو القصد، وهو الخروج عن الطاعة، والفسق: الفجور، والعرب تقول: إذا خرجت الرطبة من قشرها: قد فسقت الرطبة من قشرها، وفسق فلان في الدنيا فسقاً: إذا اتسع فيها، وهوّن على نفسه، واتسع بركونها لها، لم يضيّقها عليه، ورجل فاسق، وفسيق وفُسَق: دائم الفِسْق، والفويسقة الفأرة: تصغر فاسقة، لخروجها من جحرها على الناس وإفسادها، والتفسيق ضدّ التّعديل[٨] .

وأما المقصود بالفسق اصطلاحًا: فقد تنوعت عبارات العلماء في ذلك، على النحو الآتي:

أولا:- قال ابن عطية: 'الفسق في عرف الاستعمال الشرعي: الخروج من طاعة الله ـ عز وجل ـ فقد يقع على من خرج بكفر، وعلى من خرج بعصيان "[٩]. وكذا قاله الطبري[١٠]، والقرطبي [١١].

وقد روي "عن ابن عباس في قوله:{بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ }[سورة البقرة: ٥٩]، أي بما بعُدوا عن أمري"[١٢].

قال الشوكاني:عن هذا التعريف:" وهذا هو أنسب بالمعنى اللغوي، ولا وجه لقصره على بعض الخارجين دون بعض " [١٣].

والثاني:- وقال ابن كثير: والفاسق: هو الخارج عن الطاعة. تقول العرب: فسقت الرطبة: إذا خرجت من قشرتها؛ ولهذا يقال للفأرة: فويسقة، لخروجها عن جُحْرها للفساد[١٤].

---

(١) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٤٦٢):ص١١٤٨/٤.
(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٤٦٣):ص١١٤٩/٤.
(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٤٦٤):ص١١٤٩/٤.
(٤) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:١١٤٩/٤. ذكره دون إسناد.
(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٤٦٥):ص١١٤٩/٤.
(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٤٦٧):ص١١٤٩/٤.
(٧) الككشاف:١٩٩/٢.
(١) انظر : اللسان (٣٠٨/١٠) ومعجم مقاييس اللغة (٥٠٢/٢) ، والمصباح المنير للفيومي ص (٥٦٨) ، وترتيب القاموس المحيط للزاوي (٥٠٢/٤) ، ومفردات الراغب ص (٥٧٢) .
(٢) تفسير ابن عطية(١٥٥/١).
(١) انظر : اللسان (٣٠٨/١٠) ومعجم مقاييس اللغة (٥٠٢/٢) ، والمصباح المنير للفيومي ص (٥٦٨) ، وترتيب القاموس المحيط للزاوي (٥٠٢/٤) ، ومفردات الراغب ص (٥٧٢) .
(٢) تفسير ابن عطية(١٥٥/١).
(٣) أنظر: تفسيره: ٤٠٩/١-٤١٠.
(٣) تفسير القرطبي(٢٤٥/١).
(٣)أخرجه الطبري(٥٧١):ص٤٠٩/١-٤١٠.
(٤) فتح القدير (٥٧/١) .
(١٤) تفسير ابن كثير: ٢٠٩/١.

وثبت في الصحيحين، عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "خمس فواسق يُقتلن في الحل والحرم: الغراب، والحدأة، والعقرب، والفأرة، والكلب العقور"[١].

والثالث:- وقال البيضاوي: " الفاسق الخارج عن أمر الله بارتكاب الكبيرة " [٢].

والرابع:- وقال الألوسي: "الفسق شرعًا: خروج العقلاء عن الطاعة، فيشمل الكفر ودونه من الكبيرة والصغيرة، واختص في العرف والاستعمال بارتكاب الكبيرة، فلا يطلق على ارتكاب الآخرين إلا نادرًا بقرينة " [٣].

ومن خلال التعريفات السابقة: ندرك عموم مصطلح الفسق، فهو في الأصل – أعمّ من الكفر -[٤] حيث يشمل الكفر وما دونه من المعاصي، ولكن خصّه العرف بمرتكب الكبيرة، ولذا يقول الراغب الأصفهاني: " والفسق يقع بالقليل من الذنوب والكثير، ولكن تعورف فيما كان كثيراً"[٥].

الفوائد:

١-أن أن التحاكم إلى شرع الله من مقتضى شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله، فإن التحاكم إلى الطواغيت والرؤساء والعرافين ونحوهم ينافي الإيمان بالله عز وجل، وهو كفر وظلم وفسق.

٢- الرد على من يقول: إننا نجد في القرآن الكريم آيات تشهد بصدق التوراة -كما هي اليوم- وتشهد بصدق الإنجيل -كما هو اليوم- وتؤكد أن الكتابين لم يصابا بتحريف، ولا تزييف، من مثل قول القرآن {وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ}[المائدة:٤٣]، وقوله: {وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ} [المائدة:٤٧].

قلنا له[٦]:

أولًا: نصدر الإجابة بآيات كريمة من القرآن الكريم تؤكد أن أصابع العبث امتدت إلى هذه الكتب، كقوله تعالى: - {أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} {وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ} {أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ} {وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ} {فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ}[البقرة:٧٥-٧٩].

وقوله: {فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} {وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ} {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ} [المائدة:١٣-١٥].

وقوله: {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا} [المائدة:٤١].

وقد روى أحمد من حديث جابر - مرفوعًا-: «لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء فإنهم لن يهدوكم وقد ضلوا»[١] .

---

(١)صحيح البخاري برقم (٣٣١٤) وصحيح مسلم برقم (١١٩٨).

(٥)- تفسر البيضاوي (٤١/١)وانظر :تفسير أبي السعود (١٣١/١) .

(٦) تفسير الألوسي (٢١٠/١).

(٧) انظر : تفسير ابن كثير (٦٣/١) ، ومفردات الراغب ص (٥٧٢) ، ونزهة الأعين النواظر لابن الجوزي (٧٢/٢) ، والكليّات للكفوي ص:(٦٩٣) .

(٨) المفردات ص (٥٧٢).

(٦) انظر: مناظرة بين الإسلام والنصرانية:٤٠٨-٤٠٩.

فهذه النصوص الكريمة- قرآنية أو حديثية- تفيد أن القوم قد حرفوا كتبهم، ونسوا حظًّا من وحي الله وهداه. . . وإن هذه الكتب- بعد أن أصابها ما أصابها- لم تعد قادرة على إعطاء الإنسان رشده وهداه وتقواه. . .!

ثانيًا: أنه ما زال في كتب القوم شيء من الحق، وإن كان قد بدلت وغيرت ألفاظه، إما بحكم الترجمة، أو بدافع الأغراض الشخصية.

وإذا قرأنا الآيتين الثالثة والأربعين، والسابعة والأربعين من سورة المائدة، وهما الآيتان اللتان استدل بهما المستدل، في سياقهما من السورة، لزال كثير من الغموض، ولاتضحت الحقيقة جلية سافرة. والله أعلم.

القرآن

{وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٤٨)} [المائدة: ٤٨]

التفسير:

وأنزلنا إليك -أيها الرسول- القرآن، وكل ما فيه حقّ يشهد على صدق الكتب قبله، وأنها من عند الله، مصدقًا لما فيها من صحة، ومبيِّنًا لما فيها من تحريف، ناسخًا لبعض شرائعها، فاحكم بين المحتكمين إليك من اليهود بما أنزل الله إليك في هذا القرآن، ولا تنصرف عن الحق الذي أمرك الله به إلى أهوائهم وما اعتادوه، فقد جعلنا لكل أمة شريعة، وطريقة واضحة يعملون بها. ولو شاء الله لجعل شرائعكم واحدة، ولكنه تعالى خالف بينها ليختبركم، فيظهر المطيع من العاصي، فسارعوا إلى ما هو خير لكم في الدارين بالعمل بما في القرآن، فإن مصيركم إلى الله، فيخبركم بما كنتم فيه تختلفون، ويجزي كلا بعمله.

قوله تعالى:{وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ} [المائدة: ٤٨]، أي:" وأنزلنا إليك -أيها الرسول- القرآن، وكل ما فيه حقّ"[٢].

قال ابن عباس:" فهو: القرآن"[٣].

قال مقاتل:" يعني: القرآن بالحق، لم ننزله عبثا ولا باطلا لغير شيء"[١].

---

(١) أخرجه احمد(١٤٦٣١):ص٤٦٨/٢٢. إسناده ضعيف لضعف مجالد: وهو ابن سعيد. يونس: هو ابن محمد المؤدب.

وأخرجه البزار (١٢٤- كشف الأستار) ، وأبو يعلى (٢١٣٥) ، والبيهقي في "السنن" ١٠/٢-١١، وفي "الشعب" (١٧٩) من طرق عن حماد بن زيد، بهذا الإسناد.

وسيأتي برقم (١٥١٥٦) من طريق هشيم، عن مجالد.- وفيه قصة لعمر بن الخطاب، وانظر تمام تخريجه هناك.

وأخرج عبد الرزاق في "المصنف" و (١٠١٥٨) و (١٩٢٠٩) عن ابن جريج، قال: حدثت عن زيد بن أسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء، فإنهم لن يهدوكم وقد أضلوا أنفسهم". وهذا إسناد ضعيف لإبهام الواسطة بين ابن جريج وزيد بن أسلم، ولإرساله، فإن رواية زيد بن أسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلة.

وأخرج عبد الرزاق أيضا (١٠١٦٢) و (١٩٢١٢) من طريق عمارة بن عمير، عن حريث بن ظهير، قال: قال عبد الله: لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء، فإنهم لن يهدوكم وقد ضلوا، فتكذبوا بحق، وتصدقوا الباطل ... وإسناده - على وقفه- ضعيف لجهالة حريث بن ظهير.

وأخرج البخاري في "صحيحه" (٢٦٨٥) عن ابن عباس قال: يا معشر المسلمين، كيف تسألون أهل الكتاب وكتابكم الذي أنزل على نبيه صلى الله عليه وسلم أحدث الأخبار بالله تقرؤونه لم يشب؟ وقد حدثكم الله أن أهل الكتاب بدلوا ما كتب الله وغيروا بأيديهم الكتاب فقالوا: هو من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا! أفلا ينهاكم بما جاءكم من العلم عن مساءلتهم؟ لا والله ما رأينا منهم رجلا قط يسألكم عن الذي أنزل عليكم.

(٢) التفسير الميسر:١١٦.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم(٦٤٦٩):ص١١٤٩/٤.

قوله تعالى:{مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ} [المائدة: ٤٨]، أي:" أي مصدّقاً للكتب السماوية التي سبقته"[٢].
قال الماوردي:" يعني: لما قبله من الكتاب "[٣].
قال السمعاني:" يعني: سائر الكتب المنزلة قبله"[٤].
قال ابن عباس:" فهو القرآن شاهد على التوراة والإنجيل مصدقا بهما"[٥].
وروي عن قتادة قال: "الكتب التي خلت قبله"[٦].
وقال الكلبي:" موافقا لها"[٧].
قوله تعالى:{وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ} [المائدة: ٤٨]، أي:" ومبيِّنًا لما فيها من تحريف، ناسخًا لبعض شرائعها"[٨].
قال مقاتل:" يقول: وشاهدا عليه وذلك إن قرآن محمد- صلى الله عليه وسلم- شاهد بأن الكتب التي أنزلت قبله أنها من الله- عز وجل-"[٩].
قال السعدي:" أي: مشتملا على ما اشتملت عليه الكتب السابقة، وزيادة في المطالب الإلهية والأخلاق النفسية. فهو الكتاب الذي تتبع كل حق جاءت به الكتب فأمر به، وحث عليه، وأكثر من الطرق الموصلة إليه، وهو الكتاب الذي فيه نبأ السابقين واللاحقين، وهو الكتاب الذي فيه الحكم والحكمة، والأحكام الذي عرضت عليه الكتب السابقة، فما شهد له بالصدق فهو المقبول، وما شهد له بالرد فهو مردود، قد دخله التحريف والتبديل، وإلا فلو كان من عند الله، لم يخالفه"[١٠].
وفي قوله تعالى:{وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ} [المائدة: ٤٨]، وجوه من التفسير:
أحدها: يعني مؤتمنًا عليه، وهو قول ابن عباس[١١]،وعكرمة[١٢]، والحسين[١٣]، وسعيد بن جبير[١٤]، وعطاء الخراساني[١٥].
والثاني: يعني شاهداً عليه، وهو قول ابن عباس في رواية أخرى[١٦]، والسدي[١٧].
والثالث:أمينا وشاهدا على الكتب التي خلت من قبله. وهذا قول قتادة[١٨].
والرابع: مؤتمنًا على القرآن، وشاهدًا ومصدِّقًا. وهذا قول مجاهد في إحدى الروايات[١٩].
والخامس:مصدقا عليه، والمهيمن: المصدق، فكل شيء أنزله الله من توراة أو إنجيل أو زَبُورٍ، فالقرآن مصدِّق على ذلك. وكل شيء ذكر الله في القرآن، فهو مصدِّقٌ عليها وعلى ما حُدِّث عنها أنه حق. وهذا قول ابن زيد[١].

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان:٤٨١/١.
(٢) صفوة التفاسير:٣١٩.
(٣) النكت والعيون:٤٤/٢.
(٤) تفسير السمعاني:٤٣/٢.
(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٤٧١):ص١١٥٠/٤.
(٦) تفسير ابن أبي حاتم: ١١٥٠/٤. ذكره دون إسناد.
(٧) انظر: النكت والعيون:٤٥/٢.
(٨) التفسير الميسر:١١٦.
(٩) تفسير مقاتل بن سليمان:٤٨١/١.
(١٠) تفسير السعدي:٢٣٤.
(١١) انظر: تفسير الطبري(١٢١٠٧)-(١٢١١٨):ص٣٧٨/١٠-٣٨٠.
(١٢) انظر: تفسير الطبري(١٢١٢٠):ص٣٨٠/١٠.
(١٣) انظر: تفسير الطبري(١٢١٢٠):ص٣٨٠/١٠.
(١٤) انظر: تفسير الطبري(١٢١١٩):ص٣٨٠/١٠.
(١٥) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:١١٥٠/٤. ذكره دون إسناد.
(١٦) انظر: تفسير الطبري(١٢١٠٣):ص٣٧٧/١٠، وتفسير ابن أبي حاتم(٦٤٧٢):ص١١٤٩/٤.
(١٧) انظر: تفسير الطبري(١٢١٠٤):ص٣٧٧/١٠.
(١٨) انظر: تفسير الطبري(١٢١٠٥):ص٣٧٨/١٠.
(١٩) انظر: تفسير الطبري(١٢١٠٦):ص٣٧٨/١٠.

والسادس: وقال مجاهد:" محمد صلى الله عليه وسلم، مؤتمنٌ على القرآن"[٢].

قال الطبري:" وهذا التأويل بعيد من المفهوم في كلام العرب، بل هو خطأ. وذلك أنّ المهيمن عطفٌ على المصدق ، فلا يكون إلا من صفة ما كان المصدِّق صفةً له. ولو كان معنى الكلام ما روي عن مجاهد، لقيل: وأنزلنا إليك الكتاب مصدِّقًا لما بين يديه من الكتاب مهيمنًا عليه، لأنه لم يتقدم من صفة الكاف التي في إليك بعدَها شيءٌ يكون مهيمنًا عليه عطفًا عليه، وإنما عطف به على المصدق، لأنه من صفة الكتاب الذي من صفته المصدق"[٣].

والسابع: حاكما على ما قبله من الكتب. وهذا قول ابن عباس[٤]، وعبدالله بن الزبير[٥].

والثامن: رقيبا حفيظاً عليه. قاله أبو عبيدة[٦].

قال ابن كثير:" وهذه الأقوال كلها متقاربة المعنى، فإن اسم "المهيمن" يتضمن هذا كله، فهو أمين وشاهد وحاكم على كل كتاب قبله، جعل الله هذا الكتاب العظيم، الذي أنزله آخر الكتب وخاتمها، أشملها وأعظمها وأحكمها حيث جمع فيه محاسن ما قبله، وزاده من الكمالات ما ليس في غيره ؛ فلهذا جعله شاهدًا وأمينًا وحاكمًا عليها كلها. وتكفل تعالى بحفظه بنفسه الكريمة، فقال تعالى { إِنَّا نَحْنُ نزلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ } [الحجر: ٩]، فأما ما حكاه ابن أبي حاتم، عن عكرمة، وسعيد بن جبير، وعطاء الخراساني، وابن أبي نَجيح عن مجاهد ؛ أنهم قالوا في قوله: { وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ } يعني: محمدًا صلى الله عليه وسلم أمين على القرآن، فإنه صحيح في المعنى، ولكن في تفسير هذا بهذا نظر، وفي تنزيله عليه من حيث العربية أيضًا نظر. وبالجملة فالصحيح الأول[٧]"[٨].

قال السمعاني:" والمعاني متقاربة، ومعنى الكل أن كل كتاب يصدقه القرآن، ويشهد بصدقه، فهو كتاب الله"[٩].

وقرئ:«ومهيمنا» - بفتح الميم الثانية – قال الزجاج:"وهي عربية ولا أحب القراءة بها، لأن الإجماع في القراءة على كسر الميم في قوله: {الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ} [الحشر: ٢٣]"[١٠].

قوله تعالى:{فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ} [المائدة: ٤٨]، أي:" فاحكم بين المحتكمين إليك من اليهود بما أنزل الله إليك في هذا القرآن"[١١].

قال السدي:" أمر محمدا على أن يحكم بينهم"[١٢].

وعن بن عباس قوله:"{فاحكم بينهم بما أنزل الله}، قال: بحدود الله عز وجل"[١٣].

قال السعدي:" أي: من الحكم الشرعي الذي أنزله الله عليك"[١٤].

قال ابن كثير:" أي: فاحكم يا محمد بين الناس: عَرَبهم وعجمهم، أُميهم وكتابيهم { بِمَا أنزلَ اللَّهُ } إليك في هذا الكتاب العظيم، وبما قرره لك من حكم من كان قبلك من الأنبياء ولم ينسخه في شرعك "[١]

---

(١) انظر: تفسير الطبري(١٢١٢١):ص١٠/٣٨٠.
(٢) أخرجه الطبري(١٢١٢٣)، و(١٢١٢٣):ص١٠/٣٨٠-٣٨١.
(٣) تفسير الطبري:١٠/٣٨١.
(٤) انظر: تفسير ابن كثير:١٢٧/٣. في رواية العوفي عنه.
(٥) انظر: تفسير ابن ابي زمنين:٣٢/٢.
(٦) انظر: تفسير السمعاني: ٤٣/٢، والنكت والعيون:٤٥/٢.
(٧) أي:" مؤتمنًا عليه".
(٨) تفسير ابن كثير:١٢٨/٣.
(٩) تفسير المسعاني:٤٣/٢.
(١٠) معاني القرآن:١٧٩/٢.
(١١) التفسير الميسر:١١٦.
(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم(٦٤٧٩):ص١١٥١/٤.
(١٣) أخرجه ابن أبي حاتم(٦٤٨٠):ص١١٥١/٤.
(١٤) تفسير السعدي:٢٣٤.

قال الماوردي:" هذا يدل على وجوب الحكم بين أهل الكتاب إذا تحاكموا إلينا، وألا نحكم بينهم بتوراتهم ولا بإنجيلهم "(٢).

قوله تعالى:{وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ} [المائدة: ٤٨]، أي:" ولا تنصرف عن الحق الذي أمرك الله به إلى أهوائهم وما اعتادوه"(٣).

قال مقاتل:" يعني: أهواء اليهود عما جاءك من الحق وهو القرآن"(٤).

قال ابن كثير:" أي: آراءهم التي اصطلحوا عليها، وتركوا بسببها ما أنزل الله على رسوله ؛ ولهذا قال: { وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ }، أي: لا تنصرف عن الحق الذي أمرك الله به إلى أهواء هؤلاء من الجهلة الأشقياء"(٥)

قال السعدي:" أي: لا تجعل اتباع أهوائهم الفاسدة المعارضة للحق بدلا عما جاءك من الحق فتستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير"(٦).

قال ابن عباس:" كان النبي صلى الله عليه وسلم مخيرا إن شاء حكم بينهم وإن شاء أعرض عنهم. فردهم إلى أحكامهم فنزلت:{وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم}، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحكم بينهم بما في كتابنا"(٧).

قوله تعالى:{لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا} [المائدة: ٤٨]، أي:"، فقد جعلنا لكل أمة شريعة، وطريقة واضحة يعملون بها"(٨).

قال الزمخشري:أي:" شريعة وطريقا واضحا في الدين تجرون عليه، وقيل: هذا دليل على أنا غير متعبدين بشرائع من قبلنا"(٩).

قال ابن عباس:" يعني: سبيلا وسنة "(١٠)، وروي عن الحسن(١١)، ومجاهد(١٢)، والضحاك(١٣)، وقتادة(١٤)، والسدي(١٥)، نحو ذلك.

قال السعدي:" {لكل جعلنا منكم} أيها الأمم جعلنا {شرعة ومنهاجا} أي: سبيلا وسنة، وهذه الشرائع التي تختلف باختلاف الأمم، هي التي تتغير بحسب تغير الأزمنة والأحوال، وكلها ترجع إلى العدل في وقت شرعتها، وأما الأصول الكبار التي هي مصلحة وحكمة في كل زمان، فإنها لا تختلف، فتشرع في جميع الشرائع"(١٦).

قال مقاتل:{لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا}:" يعنى: من المسلمين وأهل الكتاب {شرعة}، يعني: سنة، {ومنهاجا}، يعني: طريقا وسبيلا، فشريعة أهل التوراة في قتل العمد القصاص ليس لهم عقل(١٧) ولا دية، والرجم على المحصن والمحصنة إذا زنيا. وشريعة الإنجيل في القتل العمد العفو ليس لهم قصاص ولا دية، وشريعتهم في الزنا الجلد بلا رجم.

---

(١) تفسير ابن كثير:١٢٩/٣.
(٢) النكت والعيون:٤٤/٢.
(٣) التفسير الميسر:١١٦.
(٤) تفسير مقاتل بن سليمان:٤٨١/١.
(٥) تفسير ابن كثير:١٢٩/٣.
(٦) تفسير السعدي:٢٣٤.
(٧) أخرجه ابن أبي حاتم(٦٤٨١):ص١١٥١/٤.
(٨) التفسير الميسر:١١٦.
(٩) الكشاف:٦٤٠/١.
(١٠)انظر: تفسير الطبري(١٢١٣٠)-(١٢١٣٧):ص٣٨٦/١٠-٣٨٨.
(١١)انظر: تفسير الطبري(١٢١٣٨):ص٣٨٨/١٠.
(١٢)انظر: تفسير الطبري(١٢١٣٩)-(١٢١٤١):ص٣٨٨/١٠.
(١٣)انظر: تفسير الطبري(١٢١٤٧):ص٣٨٩/١٠.
(١٤)انظر: تفسير الطبري(١٢١٤٦):ص٣٨٩/١٠.
(١٥)انظر: تفسير الطبري(١٢١٤٣):ص٣٨٨/١٠-٣٨٩.
(١٦) تفسير السعدي:٢٣٤.
(١٧)العقل: هو أن تشترك أسرة القاتل فى سداد دية المقتول وتسمى الأسرة عاقلة لأنها تعقل عن الجاني جناية وتؤديها عنه.

وشريعة أمة محمد- صلى الله عليه وسلم- في قتل العمد القصاص والدية والعفو، وشريعتهم في الزنا: إذا لم يحصن الجلد، فإذا أحصن فالرجم"(١).

و«الشرعة»: هي الشريعة، وهي الطريقة الظاهرة، وكل ما شرعت فيه من شيء فهو شريعة، ومنه قيل لشريعة الماء: شريعة، لأنها أظهر طرقه إليه، ومنه قولهم: أشْرَعَتِ الأسنة إذا ظهرت، ومنه سميت شرائع الإسلام شرائع ، لشروع أهله فيه (٢).

وأما «المنهاج»: فإنّ أصله: الطريقُ البيِّن الواضح، يقال: طريق نهج ومنهج، قال الزاجر(٣):

مَن يَكُ ذَا شَكٍّ فهذا فَلْجُ   مَاءٌ رُوَاءٌ وطريقٌ نَهْجُ

ثم يستعمل في كل شيء كان بينًا واضحًا سهلا

فيكون معنى قوله: {شرعة ومنهاجاً}، لكل قوم منكم جعلنا طريقًا إلى الحق يؤمُّه، وسبيلا واضحًا يعمل به(٤).

وذكر أهل العلم في تفسير قوله تعالى:{لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا} [المائدة: ٤٨]، وجهان:

أحدهما: أنه عنى بذلك أهلَ الملل المختلفة، أي:أن الله جعل لكل مِلّةٍ شريعة ومنهاجًا. وهذا قول علي(٥)، وقتادة(٦).

عن قتادة قوله:"{لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجًا}، يقول: سبيلا وسُنّة. والسنن مختلفة: للتوراة شريعة، وللإنجيل شريعة، وللقرآن شريعة، يحلُّ الله فيها ما يشاء، ويحرِّم ما يشاء بلاءً، ليعلم من يطيعه ممن يعصيه. ولكن الدين الواحد الذي لا يقبل غيره: التوحيدُ والإخلاصُ لله، الذي جاءت به الرسل"(٧).

رجحه ابن كثير، وقال:" ويدل على ذلك قوله تعالى: { وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً } فلو كان هذا خطابًا لهذه الأمة لما صح أن يقول: { وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً } وهم أمة واحدة، ولكن هذا خطاب لجميع الأمم، وإخبار عن قدرته تعالى العظيمة التي لو شاء لجمع الناس كلهم على دين واحد وشريعة واحدة، لا ينسخ شيء منها. ولكنه تعالى شرع لكل رسول شرْعة على حدَة، ثم نسخها أو بعضها برسالة الآخر الذي بعده حتى نسخ الجميع بما بعث به عبده ورسوله محمدًا صلى الله عليه وسلم الذي ابتعثه إلى أهل الأرض قاطبة، وجعله خاتم الأنبياء كلهم"(٨).

والثاني: أنه عنى بذلك أمَّة محمد صلى الله عليه وسلم. ومعنى الكلام: قد جعلنا الكتاب الذي أنزلناه إلى نبينا محمدٍ -صلى الله عليه وسلم-، أيها الناس، لكُلّكم أي لكل من دخل في الإسلام وأقرّ بمحمد صلى الله عليه وسلم أنه لي نبيٌّ شرعةً ومنهاجا. وهذا قول مجاهد(٩).

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان:٤٨١/١-٤٨٢.

(٢) انظر: تفسير الطبري:٣٨٣/١٠، النكت العيون:٤٥/٢.

(٣) انظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة ١ / ١٦٨، وتفسير الطبري: ٣٨٣/١٠، ومعجم ما استعجم : ١٠٢٧ ، واللسان (روي) ، ورواياتهم جميعًا : من يك ذا شك.

و فلج (بفتح فسكون) : ماءه لبني العنبر بن عمرو بن تميم ، يكثر ذكره في شعر بني تميم ، ويمتدحون ماءه ، قال بعض الأعراب :

أَلا شَرْبَةٌ مِنْ مَاءِ مُزْنٍ عَلَى الصَّفَا ... حَدِيثَةُ عَهْدٍ بالسَّحَابِ المُسَخَّرِ

إلى رَصَفٍ مِنْ بَطْنِ فَلْجٍ ، كأَنَّهَا ... إِذَا ذُقْتَهَا بَيُّوتَةَ مَاءُ سُكَّرِ

و ماء رواء (بفتح الراء) : الماء العذب الذي فيه للواردين ري.

(٤) انظر: تفسير الطبري:٣٨٣/١٠، النكت العيون:٤٥/٢.

(٥) انظر: تفسير الطبري(١٢١٢٧):ص٣٨٥/١٠.

(٦) انظر: تفسير الطبري(١٢١٢٦):ص٣٨٥/١٠.

(٧) أخرجه الطبري(١٢١٢٦):ص٣٨٥/١٠.

(٨) تفسير ابن كثير:١٢٩/٣.

(٩) انظر: تفسير الطبري(١٢١٢٩):ص٣٨٦/١٠.

عن مجاهد قوله:"{لِكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجًا}، قال: سنة، ومنهاجًا ، السبيل لكلكم ، من دخل في دين محمد صلى الله عليه وسلم، فقد جعل الله له شرعة ومنهاجًا. يقول: القرآن، هو له شرعة ومنهاج"[١].

قال الطبري:" وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب، قولُ من قال: معناه: لكل أهل ملة منكم، أيها الأمم جعلنا شِرعة ومنهاجًا.

وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب، لقوله: {وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً} ولو كان عنى بقوله: لكل جعلنا منكم ، أمة محمد، وهم أمّة واحدةٌ، لم يكن لقوله: ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ، وقد فعل ذلك فجعلهم أمة واحدة معنىً مفهوم. ولكن معنى ذلك، على ما جرى به الخطاب من الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: أنه ذكر ما كتب على بني إسرائيل في التوراة، وتقدم إليهم بالعمل بما فيها، ثم ذكر أنه قفَّى بعيسى ابن مريم على آثار الأنبياء قبله، وأنزل عليه الإنجيل، وأمر من بَعثه إليه بالعمل بما فيه. ثم ذكر نبيَّنا محمدًا صلى الله عليه وسلم، وأخبره أنه أنزل إليه الكتابَ مصدِّقًا لما بين يديه من الكتاب، وأمره بالعمل بما فيه، والحكم بما أنزل إليه فيه دون ما في سائر الكتب غيره وأعلمه أنه قد جعل له ولأمته شريعةً غيرَ شرائع الأنبياء والأمم قبلَه الذين قصَّ عليهم قصصَهم، وإن كان دينه ودينهم - في توحيد الله، والإقرار بما جاءهم به من عنده، والانتهاء إلى أمره ونهيه - واحدًا، فهم مختلفو الأحوال فيما شرع لكم واحد منهم ولأمته فيما أحلّ لهم وحرَّم عليهم"[٢].

وقرأ يحيى بن وثاب:«شَرعة» بفتح الشين[٣].

قوله تعالى:{وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً} [المائدة: ٤٨]، أي:" ولو شاء الله لجعل شرائعكم واحدة"[٤].

قال ابن ابي زمنين:" يعني: ملة واحدة"[٥].

قال الزمخشري:أي:" جماعة متفقة على شريعة واحدة، أو ذوى أمة واحدة أى دين واحد لا اختلاف فيه"[٦].

قال السعدي:أي:" تبعا لشريعة واحدة، لا يختلف متأخرها ولا متقدمها"[٧].

وفي قوله تعالى:{وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً} [المائدة: ٤٨]، وجهان:

أحدهما: أهل دين واحد، أهل ضلالة أو أهل هدى. وهذا قول الضحاك[٨].

الثاني: لجمعكم على الحق، وهذا قول الحسن[٩].

قوله تعالى:{وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ} [المائدة: ٤٨]، أي:" ولكنه تعالى خالف بينها ليختبركم، فيظهر المطيع من العاصي"[١٠].

قال: ابن جريج:" قال ابن كثير: ما أعمله إلا في ما آتاكم من الكتاب"[١١].

قال ابن ابي زمنين: أي:"ليختبركم فيما أعطاكم من الكتاب والسنة"[١٢].

---

(١) أخرجه الطبري(١٢١٢٩):ص٣٨٦/١٠.
(٢) تفسير الطبري:٣٨٦/١٠.
(٣) انظر: الكشاف:٦٤٠/١.
(٤) التفسير الميسر:١١٦.
(٥) تفسير ابن ابي زمنين:٣٢/٢.
(٦) الكشاف:٦٤٠/١.
(٧) تفسير السعدي:٢٣٤.
(٨) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٦٤٨٩):ص١١٥٢/٤.
(٩) انظر: النكت والعيون:٤٥/٢.
(١٠) التفسير الميسر:١١٦.
(١١) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٤٩٠):ص١١٥٣/٤.
(١٢) تفسير ابن ابي زمنين:٣٢/٢.

قال السعدي:أي:" فيختبركم وينظر كيف تعملون، ويبتلي كل أمة بحسب ما تقتضيه حكمته، ويؤتي كل أحد ما يليق به، وليحصل التنافس بين الأمم فكل أمة تحرص على سبق غيرها"[١].

قال الزمخشري:أي:" من الشرائع المختلفة، هل تعملون بها مذعنين معتقدين أنها مصالح قد اختلفت على حسب الأحوال والأوقات، معترفين بأن الله لم يقصد باختلافها إلا ما اقتضته الحكمة؟ أم تتبعون الشبه وتفرطون في العمل؟"[٢].

قال ابن كثير:" أي: أنه تعالى شرع الشرائع مختلفة، ليختبر عباده فيما شرع لهم، ويثيبهم أو يعاقبهم على طاعته ومعصيته بما فعلوه أو عزموا عليه من ذلك كله "[٣].

قوله تعالى:{فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ} [المائدة: ٤٨]، أي:" فسارعوا إلى ما هو خير لكم في الدارين بالعمل بما في القرآن"[٤].

قال الضحاك:" أمة محمد -صلى الله عليه وسلم-"[٥].

قال مقاتل:" يقول: سارعوا في الأعمال الصالحة «يا أمة محمد» فيما ذكر من السبيل والسنة"[٦].

قال الزمخشري:أي:" فابتدروها وتسابقوا نحوها"[٧].

قال ابن كثير:" وهي طاعة الله واتباع شرعه، الذي جعله ناسخًا لما قبله، والتصديق بكتابه القرآن الذي هو آخر كتاب أنزله "[٨].

قال السعدي:" أي: بادروا إليها وأكملوها، فإن الخيرات الشاملة لكل فرض ومستحب، من حقوق الله وحقوق عباده، لا يصير فاعلها سابقا لغيره مستوليا على الأمر، إلا بأمرين: المبادرة إليها، وانتهاز الفرصة حين يجيء وقتها ويعرض عارضها، والاجتهاد في أدائها كاملة على الوجه المأمور به. ويستدل بهذه الآية، على المبادرة لأداء الصلاة وغيرها في أول وقتها، وعلى أنه ينبغي أن لا يقتصر العبد على مجرد ما يجزئ في الصلاة وغيرها من العبادات من الأمور الواجبة، بل ينبغي أن يأتي بالمستحبات، التي يقدر عليها لتتم وتكمل، ويحصل بها السبق"[٩].

قوله تعالى:{إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا} [المائدة: ٤٨]، أي:"فإن مصيركم إلى الله"[١٠].

قال الضحاك:" البر والفاجر"[١١].

قال الزمخشري: "استئناف في معنى التعليل لاستباق الخيرات"[١٢].

قال ابن كثير:" أي: معادكم أيها الناس ومصيركم إليه يوم القيامة"[١٣].

قال السعدي:أي:" الأمم السابقة واللاحقة، كلهم سيجمعهم الله ليوم لا ريب فيه"[١٤].

قوله تعالى:{فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ} [المائدة: ٤٨]، أي:"فيخبركم بما كنتم فيه تختلفون، ويجزي كلا بعمله"[١].

---

(١) تفسير السعدي:٢٣٤.
(٢) الكشاف:٦٤٠/١.
(٣) تفسير ابن كثير:١٣٠/٣.
(٤) التفسير الميسر:١١٦.
(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٤٩١):ص١١٥٣/٤.
(٦) تفسير مقاتل بن سليمان:٤٨٢/١.
(٧) الكشاف:٦٤٠/١.
(٨) تفسير ابن كثير:١٣٠/٣.
(٩) تفسير السعدي:٢٣٤.
(١٠) التفسير الميسر:١١٦.
(١١) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٤٩٢):ص١١٥٣/٤.
(١٢) الكشاف:٦٤٠/١.
(١٣) تفسير ابن كثير:١٣٠/٣.
(١٤) تفسير السعدي:٢٣٤.

قال ابن كثير:" أي: فيخبركم بما اختلفتم فيه من الحق، فيجزي الصادقين بصدقهم، ويعذب الكافرين الجاحدين المكذبين بالحق، العادلين عنه إلى غيره بلا دليل ولا برهان، بل هم معاندون للبراهين القاطعة، والحجج البالغة، والأدلة الدامغة"(٢).

قال الزمخشري:"فيخبركم بما لا تشكون معه من الجزاء الفاصل بين محقكم ومبطلكم، وعاملكم ومفرطكم في العمل"(٣).

قال السعدي:أي:" من الشرائع والأعمال، فيثيب أهل الحق والعمل الصالح، ويعاقب أهل الباطل والعمل السيئ"(٤).

قال الربيع بن أنس:"يبعثهم الله من بعد الموت فيبعث أولياءه وأعداءه فينبئهم بأعمالهم"(٥).

الفوائد:

١- وجوب الحكم وفي كل القضايا بالكتاب والسنة.

٢- لا يحوز تحكيم أية شريعة أو قانون غير الوحي الإلهي الكتاب والسنة.

٣- أن القرآن جاء بموافقة التوراة والإنجيل وغيرهما من كتب الأنبياء في الخبر عن الله -تعالى- وعن اليوم الآخر، وزاد ذلك تفصيلا وبيانا، وبين الأدلة والبراهين على ذلك، وقرر نبوة الأنبياء كلهم ورسالة المرسلين، وقرر الشرائع الكلية التي بعثت بها الرسل كلهم، وجادل المكذبين بالكتب والرسل بأنواع الحجج والبراهين، وبين عقوبات الله لهم، ونصره لأهل الكتب المتبعين لها.

وهذا معنى كون القرآن مصدقا لما بين يديه من الكتاب كما قال -تعالى-: {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ}.

٤- أن الله تعالى حفظ القرآن من الزيادة والنقص والتحريف والتبديل، فبقي كما أنزله الله إلى يوم القيامة، فهو كله حق من عند الله، ولم يحفظ غيره من الكتب فدخلت عليها الزيادة والنقص والتحريف والتبديل ففيها حق وفيها باطل، لقوله تعالى: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} [الحجر: ٩]، {وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه}.

٥-بيان الحكمة من اختلاف الشرائع، وهو الابتلاء.

القرآن

{وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ (٤٩)} [المائدة: ٤٩]

التفسير:

واحكم -أيها الرسول- بين اليهود بما أنزل الله إليك في القرآن، ولا تتبع أهواء الذين يحتكمون إليك، واحذرهم أن يصدُّوك عن بعض ما أنزل الله إليك فتترك العمل به، فإن أعرض هؤلاء عمَّا تحكم به فاعلم أن الله يريد أن يصرفهم عن الهدى بسبب ذنوبٍ اكتسبوها من قبل. وإن كثيرًا من الناس لَخارجون عن طاعة ربهم.

في سبب نزول الآية والتي بعدها وجهان:

أحدهما: عن سعيد بن جبير، أو عكرمة عن ابن عباس-رضي الله عنهما-:" قال كعب بن أسد، وابن صوريا وشأس بن قيس، بعضُهم لبعضٍ: اذهبوا بنا إلى محمد، لعلّنا نفتنه عن دينه! فأتوه فقالوا: يا محمد، إنك قد عرفت أنَّا أحبار يهود وأشرافهم وساداتهم، وأنَّا إن اتّبعناك اتّبعنا يهود

(١) التفسير الميسر:١١٦.

(٢) تفسير ابن كثير:١٣٠/٣.

(٣) الكشاف:٦٤٠/١.

(٤) تفسير السعدي:٢٣٤.

(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٤٩٣):ص١١٥٣/٤.

ولم يخالفونا، وأن بيننا وبين قومِنا خصومة، فنحاكمهم إليك، فتقضي لنا عليهم، ونؤمن لك ونصدقك! فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله فيهم:{وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنزلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزلَ اللَّهُ إِلَيْكَ} إلى قوله:{ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ}(١)"(٢).[ضعيف]

والثاني: عن مجاهد عن ابن عباس -رضي الله عنهما-؛ قال: "كان النبي - صلى الله عليه وسلم - مخيراً: إن شاء حكم بينهم، وإن شاء أعرض عنهم؛ فردهم إلى أحكامهم؛ فنزلت: {وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ}؛ فأمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يحكم بينهم بما في كتابنا"(٣).[صحيح]

قوله تعالى:{وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ} [المائدة: ٤٩]، أي:" واحكم -أيها الرسول- بين اليهود بما أنزل الله إليك في القرآن"(٤).

عن ابن عباس:" {وأن احكم بينهم بما أنزل الله}، قال: بحدود الله"(٥).

وعن عطية:"{وأن احكم بينهم بما أنزل الله}، قال: في كتابه"(٦).

عن ابن عباس:"{فإن جاؤك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم}، قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم مخيرا في هذه الآية حتى نزلت: {فاحكم بينهم بما أنزل الله}"(٧).

قال قتادة:" فأمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يحكم بينهم بعد ما كان قد رخص له أن يعرض عنهم إن شاء، فنسخت هذه الآية التي كانت قبلها"(٨).

قال السعدي:" هذه الآية هي التي قيل: إنها ناسخة لقوله: {فاحكم بينهم أو أعرض عنهم} . والصحيح: أنها ليست بناسخة، وأن تلك الآية تدل على أنه صلى الله عليه وسلم مخير بين الحكم بينهم وبين عدمه، وذلك لعدم قصدهم بالتحاكم للحق. وهذه الآية تدل على أنه إذا حكم، فإنه يحكم بينهم بما أنزل الله من الكتاب والسنة، وهو القسط الذي تقدم أن الله قال: {وإن حكمت فاحكم

---

(١) [سورة المائدة:٥٠].

(٢)أخرجه ابن إسحاق في "المغازي" (٢/ ١٩٦، ١٩٧ - ابن هشام) ، وأخرجه الطبري(١٢١٥٠):ص١٠/٣٩٣، وابن أبي حاتم (٦٤٩٨):ص٤/١١٥٤، والبيهقي في "الدلائل" (٥٣٦/٢) من طريق ابن إسحاق بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما به. وإسناده حسن.

وقيل: سنده ضعيف؛ لجهالة شيخ ابن إسحاق محمد هذا؛ كما قال الحافظان الذهبي والعسقلاني.[انظر: الاستيعاب في بيان الأسباب:٥٧/٢].

وأخرجه ابن جرير (١٢١٥٦):ص١٠/٣٩٥-٣٩٦، وابن أبي شيبة (فتح القدير: ٥٢/٢) عن عطية به. وإسناده صحيح إليه، وهو مقطوع، ويشهد له:

١ - ما أخرجه ابن جرير (١٢١٥٨):ص١٠/٣٩٦-٣٩٧، وابن أبي حاتم (٦٥٠٦):ص٤/١١٥٥، وابن المنذر وأبو الشيخ وابن عساكر كما في فتح القدير: ٥٢/٢، والبيهقي في "الدلائل" (٧٤/٣) من طريق ابن إسحاق عن أبيه عن عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت بنحوه، وهو معضل، صحيح الإسناد إلى عبادة بن الوليد.

٢ - ما أخرجه ابن مردويه (فتح القدير: ٥٢/٢) من طريق عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت عن أبيه عن جده بنحوه.

(٣)أخرجه ابن أبي حاتم: (٦٤٩٤):ص٤/ ١١٥٣، والطبراني في "الكبير" (١١٠٥٤):ص١١/ ٥٣، والنحاس في "الناسخ والمنسوخ" (ص ١٢٣)، والحاكم (٢/ ٣١٢)، والنسائي في "الكبرى" (٤/ ٨٠ رقم ٦٣٦٩ وص ٢٩٥ رقم ٧٢١٩) والطحاوي في "مشكل الآثار" (١١/ ٤٣٧/ ٤٥٤٠)، والبيهقي (٨/ ٢٤٨ - ٢٤٩) جميعهم من طريق عباد بن العوام نا سفيان بن حسين عن الحكم عن مجاهد عن ابن عباس به.

قلنا: وهذا إسناد صحيح رجاله رجال مسلم.

قال النحاس: وهذا إسناد مستقيم.

وقال الحاكم: "صحيح الإسناد ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي.

(٤) التفسير الميسر:١١٦.

(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٤٩٦):ص٤/١١٥٣.

(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٤٩٧):ص٤/١١٥٤.

(٧) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٥٠١):ص٤/١١٥٤.

(٨) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٥٠٢):ص٤/١١٥٤.

بينهم بالقسط} ودل هذا على بيان القسط، وأن مادته هو ما شرعه الله من الأحكام، فإنها المشتملة على غاية العدل والقسط، وما خالف ذلك فهو جور وظلم"[١].

قوله تعالى:{وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ} [المائدة: ٤٩]، أي:" ولا تتبع أهواء الذين يحتكمون إليك"[٢].

قال الشافعي:" يحتمل: تساهلهم في أحكامهم، ويحتمل: ما يهوون، وأيهما كان فقد نهي عنه، وأمر أن يحكم بينهم بما أنزل الله على نبيه - صلى الله عليه وسلم –"[٣].

قال السعدي:" كرر النهي عن اتباع أهوائهم لشدة التحذير منها. ولأن ذلك في مقام الحكم والفتوى، وهو أوسع، وهذا في مقام الحكم وحده، وكلاهما يلزم فيه أن لا يتبع أهواءهم المخالفة للحق"[٤].

قوله تعالى:{وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ} [المائدة: ٤٩]، أي:" واحذرهم أن يصدُّوك عن بعض ما أنزل الله إليك فتترك العمل به"[٥].

قال ابو يزيد بن اسلم:" أن يقولوا في التوراة كذا، قال: وبين له ما في التوراة"[٦].

قال ابن كثير:" أي: احذر أعداءك اليهود أن يدلسوا عليك الحق فيما يُنْهُونه إليك من الأمور، فلا تغتر بهم، فإنهم كَذَبة كَفَرة خونة"[٧].

قال السعدي:" أي: إياك والاغترار بهم، وأن يفتنوك فيصدوك عن بعض ما أنزل [الله] إليك، فصار اتباع أهوائهم سببا موصلا إلى ترك الحق الواجب، والفرض اتباعه"[٨].

قوله تعالى:{فَإِنْ تَوَلَّوْا} [المائدة: ٤٩]، أي:" فإن أعرض هؤلاء عمَّا تحكم به"[٩].

عن ابن عباس:"{فإن تولوا}، يعني: الكفار"[١٠].

قال الواحدي:" أي: فإن أعرضوا عن الإيمان والحكم بالقرآن"[١١].

قال ابن كثير" أي: عما تحكم به بينهم من الحق، وخالفوا شرع الله "[١٢].

قال الزمخشري:أي:" فإن تولوا عن الحكم بما أنزل الله إليك وأرادوا غيره"[١٣].

قال السعدي: أي: "عن اتباعك واتباع الحق "[١٤].

قوله تعالى:{فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ} [المائدة: ٤٩]، أي:"فاعلم أن الله يريد أن يصرفهم عن الهدى بسبب ذنوبٍ اكتسبوها من قبل"[١٥].

قال ابن كثير" أي: فاعلم أن ذلك كائن عن قدر الله وحكمته فيهم أن يصرفهم عن الهدى لما عليهم من الذنوب السالفة التي اقتضت إضلالهم ونكالهم"[١٦].

قال الواحدي:أي:" فاعلم أنَّ ذلك من أجل أنَّ الله يريد أن يعجِّل لهم العقوبة في الدنيا ببعض ذنوبهم، ويجازيهم في الآخرة بجميعها ثمَّ كان تعذيبهم في الدُّنيا الجلاء والنَّفي"[١].

---

(١) تفسير السعدي:٢٣٤.
(٢) التفسير الميسر:١١٦.
(٣) تفسير الإمام الشافعي:٧٥٦/٢.
(٤) تفسير السعدي:٢٣٤.
(٥) التفسير الميسر:١١٦.
(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٤٩٩):ص١١٥٤/٤.
(٧) تفسير ابن كثير:١٣٠/٣.
(٨) تفسير السعدي:٢٣٤.
(٩) التفسير الميسر:١١٦.
(١٠) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٥٠٠):ص١١٥٤/٤.
(١١) الوجيز:٣٢٣.
(١٢) تفسير ابن كثير:١٣٠/٣.
(١٣) الكشاف:٦٤٠/١.
(١٤) تفسير السعدي:٢٣٤.
(١٥) التفسير الميسر:١١٦.
(١٦) تفسير ابن كثير:١٣٠/٣.

قال السمعاني:" وقيل: معناه: بكل ذنوبهم، فعبر بالبعض عن الكل، وقيل: معناه: يصيبهم ببعض ذنوبهم في الدنيا"[٢].

قال السعدي: "فإن للذنوب عقوبات عاجلة وآجلة، ومن أعظم العقوبات أن يبتلى العبد ويزين له ترك اتباع الرسول، وذلك لفسقه"[٣].

قال الزمخشري:" يعنى: بذنب التولي عن حكم الله وإرادة خلافه، فوضع ببعض ذنوبهم موضع ذلك وأراد أن لهم ذنوبا جمة كثيرة العدد، وأن هذا الذنب مع عظمه بعضها وواحد منها، وهذا الإيهام لتعظيم التولي واستسرافهم في ارتكابه. ونحو البعض في هذا الكلام ما في قول لبيد[٤]:

أَوْ يَرْتَبِطْ بَعْضَ النُّفُوسِ حِمَامُهَا

أراد نفسه: وإنما قصد تفخيم شأنها بهذا الإبهام، كأنه قال: نفسا كبيرة، ونفسا أى نفس، فكما أن التنكير يعطى معنى التكبير وهو معنى البعضية، فكذلك إذا صرح بالبعض"[٥].

قوله تعالى:{وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ} [المائدة: ٤٩]، أي:" وإن كثيرًا من الناس لَخارجون عن طاعة ربهم "[٦].

عن عبدالرحمن زيد بن اسلم:" {لفاسقون}، يقول: الكاذبون"[٧].

قال الزمخشري:أي:" المتمردون في الكفر معتدون فيه، يعنى أن التولي عن حكم الله من التمرد العظيم والاعتداء في الكفر"[٨].

قال الواحدي:" يعني:اليهود"[٩].

قال ابن كثير" أي: أكثر الناس خارجون عن طاعة ربهم، مخالفون للحق ناؤون عنه، كما قال تعالى: { وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ } [يوسف: ١٠٣]. وقال تعالى: { وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الأرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ }الآية[الأنعام: ١١٦]"[١٠].

قال السعدي: أي: طبيعتهم الفسق والخروج عن طاعة الله واتباع رسوله"[١١].

الفوائد:

١-التحذير من اتباع أهواء الناس خشية الإضلال عن الحق.

٢- أكثر المصائب في الدنيا ناتجة عن بعض الذنوب.

٣-ومن الفوائد: سنة الله في الخلق: أن أهل الحق في جنب أهل الباطل قليل؛ لقوله تعالى: {وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين}.

---

(١) الوجيز:٣٢٣.

(٢) تفسير السمعاني:٤٤/٢.

(٣) تفسير السعدي:٢٣٤.

(٤)عجز بيت للبيد، ديوانه (١٧٥)، وهذا العجز في اللسان والتاج (بعض)، وصدره:

تَرَّاك أمكنةٍ إذا لم أرْضَها

يقول: أنا كثير ترك الأمكنة إذا لم أرض الاقامة بها. أو يربط ويحتبس بعض النفوس، يعنى نفسه «حمامها» أى موتها المقدر لها فإذا رضيتها أو احتبسني الموت فيها فكيف أتركها؟ فقوله «يرتبط» بالجزم، عطف على المجزوم قبله. وقيل «أو» بمعنى «إلا» لكن كان حقه النصب حينئذ. ولعله سكن للضرورة. وكما أن التنوين يفيد معنى التعظيم، فكذلك كل ما فيه إبهام كالبعضية هنا، فعبر عن نفسه ببعض النفوس دلالة على التعظيم، بل ربما ادعى أنها كل النفوس مبالغة.

(٥) الكشاف:٦٤١/١.

(٦) التفسير الميسر:١١٦.

(٧) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٤٩٤):ص١١٥٣/٤.

(٨) الكشاف:٦٤١/١.

(٩) الوجيز:٣٢٣.

(١٠) تفسير ابن كثير:١٣٠/٣.

(١١) تفسير السعدي:٢٣٤.

وقد يشعر المؤمن المتقي بغربته في هذا الزمان وهو بين أهله، وبوحدته وهو بين أترابه، ليست غربة اتخذها اختياراً، ولا وحدة اصطفاها لنفسه استئثاراً، وإنما سيق لها اضطراراً، سنة اقتضتها حكمة رب عليم حكيم؛ قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: "بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء"(١).

٤-أن أن أمر هداية التوفيق والقبول، إلى الله وحده وهو القادر عليه، لقوله تعالى:{وَمَا أَكْثَرُ النَّاس وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ}، وأما هداية الدلالة والبيان، فالرسول-صلى الله عليه وسلم- المبين عن الله والدال على دينه وشرعه.

القرآن

{أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (٥٠)} [المائدة: ٥٠]

التفسير:

أيريد هؤلاء اليهود أن تحكم بينهم بما تعارف عليه المشركون عبدةُ الأوثان من الضلالات والجهالات؟! لا يكون ذلك ولا يليق أبدًا ومَن أعدل مِن الله في حكمه لمن عقل عن الله شَرْعه، وآمن به، وأيقن أن حكم الله هو الحق؟

قوله تعالى:{أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ} [المائدة: ٥٠]، أي:" أيريد هؤلاء اليهود أن تحكم بينهم بما تعارف عليه المشركون عبدةُ الأوثان من الضلالات والجهالات؟!"(٢).

قال مقاتل:" يعني: حكمهم الأول"(٣).

قال السمرقندي:" يعني: يطلبون منك شيئا لم ينزله الله إليك في حكم الزنى والقصاص كما يفعل أهل الجاهلية"(٤).

قال المراغي:" أي: أيتولون عن قبول حكمك بما أنزل الله، فيبغون حكم الجاهلية المبنى على التحيز والهوى لجانب دون آخر وترجيح القوى على الضعيف؟"(٥).

قال البيضاوي:" المراد بالجاهلية الملة الجاهلية التي هي متابعة الهوى"(٦).

قال السعدي:" أي: أفيطلبون بتوليهم وإعراضهم عنك حكم الجاهلية، وهو كل حكم خالف ما أنزل الله على رسوله. فلا ثم إلا حكم الله ورسوله أو حكم الجاهلية. فمن أعرض عن الأول ابتلي بالثاني المبني على الجهل والظلم والغي، ولهذا أضافه الله للجاهلية، وأما حكم الله تعالى فمبني على العلم، والعدل والقسط، والنور والهدى"(٧).

عن مجاهد: قوله: "{أفحكم الجاهلية يبغون}، يهود"(٨).

قال الحسن:" يقول: من حكم بغير حكم الله فحكم الجاهلية"(٩).

عن هشام بن عروة عن أبيه قال: "كانت تسمى الجاهلية العالمية حتى جاءت امرأة قالت: يا رسول الله، كان في الجاهلية كذا وكذا، فأنزل الله ذكر الجاهلية"(١٠).

وفي تفسير قوله تعالى:{أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ} [المائدة: ٥٠]، وجوه(١١):

---

(١)مسلم (١/ ١٣٠/١٤٥) وابن ماجه (٢/ ١٣١٩ - ١٣٢٠/ ٣٩٨٦)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) التفسير الميسر:١١٦.
(٣) تفسير مقاتل بن سليمان:٤٨٠/١.
(٤)بحر العلوم:٣٩٧/١.
(٥) تفسير المراغي:١٢٣/١.
(٦) تفسير البيضاوي:١٢٠/٢.
(٧) تفسير السعدي:٢٣٤.
(٨) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٥٠٣):ص١١٥٥/٤.
(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٥٠٤):ص١١٥٥/٤.
(١٠) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٥٠٢):ص١١٥٤/٤-١١٥٥.
(١١) انظر: الكشاف:٦٤١/١.

أحدها: أن قريظة والنضير طلبوا إليه أن يحكم بما كان يحكم به أهل الجاهلية من التفاضل بين القتلى، وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم: «القتلى بواء»[١]، فقال بنو النضير: نحن لا نرضى بذلك، فنزلت.
والثاني: أن يكون تعبيرا لليهود بأنهم أهل كتاب وعلم، وهم يبغون حكم الملة الجاهلية التي هي هوى وجهل، لا تصدر عن كتاب ولا ترجع إلى وحى من الله تعالى.
والثالث: أنه عام في كل من يبغى غير حكم الله، والحكم حكمان: حكم بعلم فهو حكم الله، وحكم بجهل فهو حكم الشيطان. وهذا قول الحسن[٢].

وسئل طاوس: عن الرجل يفضل بعض ولده على بعض، فقرأ هذه الآية[٣].

وقوله:{يبغون}، يقرأ بالياء والتاء، ومعناهما واحد، يعني: أنهم إذا لم يرضوا بحكم الله، وأرادوا خلاف حكم الله، فقد طلبوا حكم الجاهلية[٤].

وقرأ الحسن، وقتادة والأعمش، والأعرج: «أفحكم الجاهلية»، بمعنى: الحاكم[٥].

قال الزمخشري:" على أن هذا الحكم الذي يبغونه إنما يحكم به أفعى نجران، أو نظيره من حكام الجاهلية، فأرادوا بسفههم أن يكون محمد خاتم النبيين حكما كأولئك الحكام"[٦].

وقرأ السلمى: «أفحكم الجاهلية يبغون»، برفع «الحكم»، على الابتداء[٧].

قوله تعالى:{وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ} [المائدة: ٥٠]، أي:" ومَن أعدل مِن الله في حكمه لمن عقل عن الله شَرْعه، وآمن به، وأيقن أن حكم الله هو الحق؟"[٨].

قال مقاتل:" يقول: فلا أحد أحسن من الله حكما، «لقوم يوقنون»"[٩].

قال السمرقندي:أي:" ومن أعدل من الله قضاء، لقوم يوقنون يعني: يصدقون بالقرآن"[١٠].

قال الزمخشري:" فإنهم الذين يتيقنون أن لا أعدل من الله ولا أحسن حكما منه"[١١].

قال القرطبي:" هذا استفهام على جهة الإنكار بمعنى: لا أحد أحسن، {لقوم يوقنون}، أي: عند قوم يوقنون"[١٢].

قال البيضاوي:" {لقوم يوقنون}: هم الذين يتدبرون الأمور ويتحققون الأشياء بأنظارهم فيعلمون أن لا أحسن حكما من الله سبحانه وتعالى"[١٣].

قال المراغي:" أي: لا أحد أحسن حكما من حكم الله لقوم يوقنون بدينه ويذعنون لشرعه، لأنه حكم جامع بين منتهى العدل والحق من الحاكم، والقبول والإذعان من المحكوم له والمحكوم عليه، وبهذا يحصل التفاضل بين الشرائع الإلهية والقوانين البشرية.

والخلاصة- إن مما ينبغى التعجب منه من أحوالهم أنهم يطلبون حكم الجاهلية الجائر، ويؤثرونه على حكم الله العادل، وفى الأول تفضيل القوى على الضعيف واستذلاله واستئصال

---

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف:٦٤١/١، لم أجده هكذا، وفي ابن أبى شيبة من طريق الشعبي قال: كان بين حيين من العرب قتال- فذكر قصة فيها: فارتفعوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «القتلى بواء» أى سواء.. انظر: تخريج أحاديث الكشاف:٣٩٧/١
(٢) انظر: الكشاف:٦٤١/١.
(٣) انظر: الكشاف:٦٤١/١.
(٤) انظر: السبعة في القراءات:٢٤٤، وتفسير السمعاني: ٤٤/٢.
(٥) انظر: تفسير السمعاني: ٤٤/٢.
(٦) الكشاف:٦٤١/١-٦٤٢.
(٧) انظر: السبعة في القراءات:٢٤٤، وتفسير السمعاني: ٤٤/٢.
(٨)التفسير الميسر:١١٦.
(٩) تفسير مقاتل بن سليمان:٤٨٠/١.
(١٠)بحر العلوم:٣٩٧/١.
(١١) الكشاف:٦٤١/١-٦٤٢.
(١٢) تفسير القرطبي:٢١٦/٦.
(١٣) تفسير البيضاوي:١٣٠/٢.

شأفته، وفى الثاني العدل الذي يستقيم به أمر الخلق، وبه يستتب الأمن والرضا والطمأنينة بين الناس ويشعر كل منهم بالهدوء وراحة الضمير"(١).

قال الآلوسي:" إنكار وتعجيب من حالهم وتوبيخ لهم، والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام، أي أيتولون عن قبول حكمك بما أنزل الله تعالى إليك فيبغون حكم الجاهلية، وقيل: محل الهمزة بعد الفاء، وقدمت أن لها الصدارة، وتقديم المفعول للتخصيص المفيد لتأكيد الإنكار والتعجب لأن التولي عن حكم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وطلب حكم آخر منكر عجيب، وطلب حكم الجاهلية أقبح وأعجب، والمراد بالجاهلية الملة الجاهلية التي هي متابعة الهوى الموجبة للميل والمداهنة في الأحكام، أو الأمة الجاهلية، وحكمهم: ما كانوا عليه من التفاضل فيما بين القتلى، وقيل: الكلام على حذف مضاف، أي أهل الجاهلية"(٢).

قال السعدي:" فالموقن هو الذي يعرف الفرق بين الحكمين ويميز -بإيقانه- ما في حكم الله من الحسن والبهاء، وأنه يتعين -عقلا وشرعا- اتباعه. واليقين، هو العلم التام الموجب للعمل"(٣).

عن ابن أبي نجيح قال: "كان طاوس إذا سأله رجل أفصل بين ولدين في النحل، قرأ {أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون}"(٤).

الفوائد:

١- أن من حكم بغير ما أنزل الله وهو على ملة الإسلام كان بذلك الحكم كأهل الجاهلية, إنما هو أن أهل الجاهلية كذلك كانوا يحكمون(٥).

٢- ومنها: أن أن حكم الجاهلية ليس حكماً من الله، فكذلك كل حكمٍ قبيح.

٣- أن التحاكم إلى غير الله ورسوله من أعظم ما يفسد الأرض من المعاصي، فلا صلاح لها إلا بتحكيم كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وهو سبيل المؤمنين

٤- تتنوع الجاهلية من حيث متعلقها أنواعا كثيرة جدا, يصعب حصرها, فمنها جاهلية المعتقد, ومنها جاهلية الأخلاق, ومنها جاهلية الاقتصاد, ومنها جاهلية الحكم والسياسة, ومنها جاهلية الفن....إلخ.

وبالجملة, فكل أمر من الأمور خولف فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو أمر جاهلي.

وأن الجاهلية تتنوع من حيث الحكم نوعين(٦):

النوع الأول: جاهلية كفر.

ومن هذا النوع قوله-تعالى-: {يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ} ٢, وقوله تعالى: {أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ}.

النوع الثاني: جاهلية معصية, وهي ما تكون بترك واجب أو فعل محرم دون الكفر(٧), وهذه لا يكفر صاحبها(٨).

ومن هذا النوع قوله صلى الله عليه وسلم لأبي ذر: "إنك امرؤ فيك جاهلية"(٩). وكذا الفخر بالأحساب والطعن في الأنساب والنياحة على الميت.

---

(١) تفسير المراغي:١٢٣/١.

(٢) روح المعاني:٣٢٣/٣-٣٢٤.

(٣) تفسير السعدي:٢٣٤.

(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٥٠٥):ص١١٥٥/٤.

(٥) انظر: الإيمان للقاسم بن سلام:٩٠.

(٦)انظر بتوسع في هذا: "جاهلية القرن العشرين" لمحمد قطب, "مصطلحات إسلامية" لمحيي الدين القضماني (ص٤٦-٥٢)، و انظر: "فتح المجيد شرح كتاب التوحيد" للشيخ عبد الرحمن بن حسن ص٢٦١.

(٧)نظر: فتح الباري :٨٥/١.

(٨)انظر صحيح البخاري -كتاب الإيمان- باب المعاصي من أمر الجاهلية, ولا يكفر صاحبها بارتكابها إلا بالشرك.

(٩)البخاري رقم (٣٠) في الإيمان: باب المعاصي من أمر الجاهلية، ورقم (٢٥٤٥) في العتق: باب قول النبي

٥-وفي الآية دليل على وجوب إطراح الرأي مع السنة، وإن ادعى صاحبه أنه مصلح، وأن دعوى الإصلاح ليس بعذر في ترك ما أنزل الله، والحذر من العجب بالرأي، قال: {أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُون}.

القرآن

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥١)} [المائدة: ٥١]

التفسير:

يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى حلفاءَ وأنصارًا على أهل الإيمان; ذلك أنهم لا يُوادُّون المؤمنين، فاليهود يوالي بعضهم بعضًا، وكذلك النصارى، وكلا الفريقين يجتمع على عداوتكم. وأنتم -أيها المؤمنون- أجدرُ بأن ينصر بعضُكم بعضًا. ومن يتولهم منكم فإنه يصير من جملتهم، وحكمه حكمهم. إن الله لا يوفق الظالمين الذين يتولون الكافرين.

اختلف أهل التفسير في سبب نزول الآيات[٥١-٥٣] على ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنها نزلت في عُبادة بن الصامت، وعبد بن أبي ابن سلول، حين تبرأ عُبادة من حِلْف اليهود وقال: أتولى الله ورسوله حين ظهرت عداوتهم لله ولرسوله . وقال عبد الله بن أبي: لا أتبرأ من حلفهم وأخاف الدوائر، وهذا قول ابن عباس[١]، والزهري[٢]، وعطية العوفي[٣]، وعبادة بن الوليد[٤].

وقال عبادة بن الصامت" فيّ نزلت هذه الآية حين أتيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فبرأت إليه من حلف يهود، وظاهرت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والمسلمين عليهم "[٥].

والثاني: أنها نزلت في أبي بلابة بن عبد المنذر حين بَعَثَه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلى بني قريظة لما نقضوا العهد أطاعوا بالنزول على حكم سعد أشار إلى حلقه إليهم أنه الذبح، وهذا قول عكرمة[٦].

والثالث: أنها نزلت في رجلين من الأنصار خافا من وقعة أحد فقال أحدهما لصاحبه: ألْحَقُ باليهود وأتهود معهم، وقال الآخر: ألحق بالنصارى فأتنصر معهم ليكون ذلك لهما أماناً من إدالة الكفار على المسلمين، وهذا قول السدي[٧]، ومقاتل[٨].

صلى الله عليه وسلم: " العبيد إخوانكم فأطعموهم مما تأكلون , ورقم (٦٠٥٠) في الأدب: باب ما ينهى من السباب واللعن , ومسلم رقم (١٦٦١) في الإيمان: باب إطعام المملوك مما يأكل ... ، وأبو داود رقم (٥١٥٧) في الأدب: باب في حق المملوك , والترمذي رقم (١٩٤٦) في البر: باب الإحسان إلى الخدم , وأحمد في " المسند " ٥/ ١٦١.

(١)ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ٩٨) ونسبه لابن مردويه.

(٢) انظر: تفسير الطبري(١٢١٥٧):ص١٠/٣٩٦.

(٣) انظر: تفسير الطبري(١٢١٥٦):ص١٠/٣٩٥-٣٩٦، وأسباب النزول للواحدي:١٩٨-١٩٩.[ضعيف، فيه علتان:الأولى: الإرسال. والثانية: عطية هذا؛ ضعيف مدلس، ولخصه ابن حجر في "التقريب" (٢/ ٢٤) بقوله: "صدوق يخطئ كثيراً، كان شيعياً مدلساً".

(٤) انظر: تفسير الطبري(١٢١٥٨):ص١٠/٣٩٦-٣٩٧. [ضعيف لإرساله]

وأخرجه ابن إسحاق في "المغازي" (٢/ ٤٢٨، ٤٢٩ - ابن هشام)، والبيهقي في "دلائل النبوة" (٣/ ١٧٤، ١٧٥)، وابن أبي حاتم في "تفسيره" (٤/ ١١٥٥/ ٦٥٠٦)، وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ٩٨) وزاد نسبته لابن المنذر وأبي الشيخ وابن مردويه وابن عساكر.

(٥)أخرجه ابن مردويه في "تفسيره"؛ كما في "الدر المنثور" (٣/ ٩٩) من طريق عبادة بن الوليد عن أبيه عن جده عبادة به.

قلنا: إن كان السند إلى عبادة صحيح؛ فالحديث صحيح غاية -إن شاء الله-.

(٦) انظر: تفسير الطبري(١٢١٦٠):ص١٠/٣٩٨.

(٧) انظر: تفسير الطبري(١٢١٥٩):ص١٠/٣٩٧-٣٩٨. [ضعيف جدا]

(٨) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:١/٤٨٣-٤٨٤.[متروك]

قال الإمام الطبري:" والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال: إن الله تعالى ذكره نهَىَ المؤمنين جميعا أن يتخذوا اليهود والنصارى أنصارًا وحلفاءَ على أهل الإيمان بالله ورسوله وغيرَهم،وأخبر أنه من اتخذهم نصيرًا وحليفًا ووليًّا من دون الله ورسوله والمؤمنين، فإنه منهم في التحزُّب على الله وعلى رسوله والمؤمنين، وأن الله ورسوله منه بريئان. وقد يجوز أن تكون الآية نزلت في شأن عبادة بن الصامت وعبد الله بن أبي ابن سلول وحلفائهما من اليهود ويجوز أن تكون نزلت في أبي لبابة بسبب فعله في بني قريظة ويجوز أن تكون نزلت في شأن الرَّجلين اللذين ذكر السدي أن أحدَهما همَّ باللحاق بدهلك اليهودي، والآخر بنصرانيّ بالشأم ولم يصحّ بواحدٍ من هذه الأقوال الثلاثة خبرٌ تثبت بمثله حجة، فيسلّم لصحته القولُ بأنه كما قيل.

فإذْ كان ذلك كذلك، فالصواب أن يحكم لظاهر التنزيل بالعموم على ما عمَّ، ويجوز ما قاله أهل التأويل فيه من القول الذي لا علم عندنا بخلافه. غير أنه لا شك أن الآية نزلت في منافق كان يوالي يهودًا أو نصارى خوفًا على نفسه من دوائر الدهر، لأن الآية التي بعد هذه تدلّ على ذلك، وذلك قوله: {فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ }، الآية"[١].

قوله تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} [المائدة: ٥١]، أي:" يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه"[٢].

قال ابن عباس:" ما أنزل الله آية في القرآن، يقول فيها: {يا أيها الذين آمنوا}، إلا كان على شريفها وأميرها"[٣].

قال ابن مسعود رضي الله عنه: "إذا سمعت الله يقول: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} فأرعها سمعك[يعني استمع لها]؛ فإنه خير يأمر به، أو شر ينهى عنه"[٢][٤].

قال الشوكاني:" الظاهر أنه خطاب للمؤمنين حقيقة وقيل: المراد بهم المنافقون، ووصفهم بالإيمان باعتبار ما كانوا يظهرونه. وقد كانوا يوالون اليهود والنصارى فنهوا عن ذلك، والأولى أن يكون خطابا لكل من يتصف بالإيمان أعم من أن يكون ظاهرا وباطنا أو ظاهرا فقط، فيدخل المسلم والمنافق، ويؤيد هذا قوله: {فترى الذين في قلوبهم مرض}، والاعتبار بعموم اللفظ"[٥].

قوله تعالى:{لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ} [المائدة: ٥١]، أي:" لا تتخذوا اليهود والنصارى حلفاءَ وأنصارًا على أهل الإيمان"[٦].

قال ابن كثير:" ينهى تعالى عباده المؤمنين عن موالاة اليهود والنصارى، الذين هم أعداء الإسلام وأهله، قاتلهم الله"[٧].

قال الزمخشري:"{لا تتخذوهم أولياء}: تنصرونهم وتستنصرونهم وتؤاخونهم وتصافونهم وتعاشرونهم معاشرة المؤمنين"[٨].

قال السعدي:" يرشد تعالى عباده المؤمنين حين بين لهم أحوال اليهود والنصارى وصفاتهم غير الحسنة، أن لا يتخذوهم أولياء"[٩].

---

(١) تفسير الطبري:١٠/٣٩٨-٣٩٩.
(٢) التفسير الميسر:١٠٦.
(٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٣٥):ص١/١٩٦.
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٣٧):ص ١/١٩٦.
(٤) انظر: تفسير ابن عثيمين: ١/٣٣٧.
(٥) فتح القدير:٢/٥٧.
(٦) التفسير الميسر:١١٧.
(٧) تفسير ابن كثير:٣/١٣٢.
(٨) الكشاف:١/٦٤٢.
(٩) تفسير السعدي:٢٣٥.

قال الشوكاني:" المراد من النهي عن اتخاذهم أولياء أن يعاملوا معاملة الأولياء في المصادقة والمعاشرة والمناصرة، ووجه تعليل النهي بهذه الجملة أنها تقتضي أن هذه الموالاة هي شأن هؤلاء الكفار لا شأنكم، فلا تفعلوا ما هو من فعلهم فتكونوا مثلهم"(١).

قوله تعالى:{بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ} [المائدة: ٥١]، أي: "فاليهود يوالي بعضهم بعضًا، وكذلك النصارى، وكلا الفريقين يجتمع على عداوتكم. وأنتم -أيها المؤمنون- أجدرُ بأن ينصر بعضُكم بعضًا"(٢).

قال سعيد حوى:" دلّ هذا على أن الكفر ملّة واحدة تجاه الإسلام والمسلمين، فما أسخف من ينسى هذا"(٣).

قال الطبري:أي:" أن بعض اليهود أنصار بعضهم على المؤمنين، ويد واحدة على جميعهم وأن النصارى كذلك، بعضهم أنصار بعض على من خالف دينهم وملتهم معرِّفًا بذلك عباده المؤمنين: أنّ من كان لهم أو لبعضهم وليًّا، فإنما هو وليهُّم على من خالف ملتهم ودينهم من المؤمنين، كما اليهود والنصارى لهم حَرْب. فقال تعالى ذكره للمؤمنين: فكونوا أنتم أيضًا بعضكم أولياء بعض، ولليهوديّ والنصراني حربًا كما هم لكم حرب، وبعضهم لبعض أولياء، لأن من والاهم فقد أظهر لأهل الإيمان الحربَ، ومنهم البراءة، وأبان قطع وَلايتهم"(٤).

قال الزمخشري:" علل النهى بقوله: {بعضهم أولياء بعض}، أى إنما يوالى بعضهم بعضا لاتحاد ملتهم واجتماعهم في الكفر، فما لمن دينه خلاف دينهم ولموالاتهم"(٥).

قال الجزائري:" تعليل لتحريم موالاتهم، لأن اليهودي ولي لليهودي والنصراني ولي للنصراني على المسلمين فكيف تجوز إذاً موالاتهم، وكيف يصدقون أيضاً فيها فهل من المعقول أن يحبك النصراني ويكره أخاه، وهل ينصرك على أخيه؟"(٦).

قال السعدي:أي:" فإن بعضهم أولياء بعض يتناصرون فيما بينهم ويكونون يدا على من سواهم، فأنتم لا تتخذوهم أولياء، فإنهم الأعداء على الحقيقة ولا يبالون بضركم، بل لا يدخرون من مجهودهم شيئا على إضلالكم، فلا يتولاهم إلا من هو مثلهم"(٧).

قال الشوكاني:" تعليل للنهي، والمعنى: أن بعض اليهود أولياء البعض الآخر منهم، وبعض النصارى أولياء البعض الآخر منهم، وليس المراد بالبعض إحدى طائفتي اليهود والنصارى، وبالبعض الآخر الطائفة الأخرى للقطع بأنهم في غاية من العداوة والشقاق، وقيل: المراد أن كل واحدة من الطائفتين توالي الأخرى وتعاضدها وتناصرها على عداوة النبي صلى الله عليه وسلم وعداوة ما جاء به وإن كانوا في ذات بينهم متعادين متضادين"(٨).

قوله تعالى:{وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ} [المائدة: ٥١]، أي:" ومن يتولهم منكم فإنه يصير من جملتهم، وحكمه حكمهم"(٩).

قال الزمخشري:أي:"من جملتهم وحكمه حكمهم"(١٠).

قال الشوكاني:" أي: فإنه من جملتهم وفي عدادهم، وهو وعيد شديد فإن المعصية الموجبة للكفر هي التي قد بلغت إلى غاية ليس وراءها غاية"(١١).

---

(١) فتح القدير:٥٧/٢، ٥٨.
(٢) التفسير الميسر:١١٧.
(٣) الأساس في التفسير:١٤٢٦/٣.
(٤) تفسير الطبري:٣٩٩/١٠.
(٥) الكشاف:٦٤٢/١.
(٦) أيسر النفاسير:٦٤٢/١.
(٧) تفسير السعدي:٢٣٥.
(٨) فتح القدير:٥٧/٢.
(٩) التفسير الميسر:١١٧.
(١٠) الكشاف:٦٤٢/١.
(١١) فتح القدير:٥٨/٢.

قال السعدي:" التولي التام يوجب الانتقال إلى دينهم. والتولي القليل يدعو إلى الكثير، ثم يتدرج شيئا فشيئا، حتى يكون العبد منهم"[١].

وفي قوله تعالى:{وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ} [المائدة: ٥١]، "تغليظ من الله وتشديد في وجوب مجانبة المخالف في الدين واعتزاله، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا تراءى ناراهما»[٢].

ومنه قول عمر رضى الله عنه لأبى موسى في كاتبه النصراني: "لا تكرموهم إذ أهانهم الله، ولا تأمنوهم إذ خونهم الله، ولا تدنوهم إذ أقصاهم الله"[٣].

وروى أنه قال له أبو موسى: «لا قوام للبصرة إلا به، فقال: مات النصراني والسلام»[٤]، يعنى: هب أنه قد مات، فما كنت تكون صانعا حينئذ فاصنعه الساعة، واستغن عنه بغيره"[٥].

قال شيخ الإسلام:" وثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم: أن مشركاً لحقه ليقاتل معه، فقال له: «إني لا أستعين بمشرك»[٦]"[٧].

أخرج سفيان عن بن عباس:" أنه سئل عن ذبايح مشركي العرب، فقرأ:{ومن يتولهم منكم فإنه منهم}"[٨].

قال هشام:" كان الحسن لا يرى بذبائح نصارى العرب ولا نكاح نسائهم بأسًا، وكان يتلو هذه الآية:{يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهودَ والنصارَى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهَّم منكم فإنه منهم}"[٩].

قال إبراهيم:" سئل ابن سيرين عن رجل يبيع دارَه من نصارَى يتخذونها بيعَة، قال: فتلا هذه الآية: لا تتَّخِذوا اليهود والنصارى أولياء "[١٠].

---

(١) تفسير السعدي:٢٣٥.

(٢)أخرجه أبو داود في: الجهاد، ٩٥- باب على ما يقاتل المشركون، حديث ٢٦٤٥ ونصه: عن جرير بن عبد الله قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية إلى خثعم فاعتصم ناس منهم بالسجود. فأسرع فيهم القتل. قال، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فأمر لهم بنصف العقل. وقال «أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين» قالوا: يا رسول الله! لم؟ قال «لا تراءى ناراهما».

قال في النهاية٥٤/٢: "يلزم المسلم ويجب عليه أن يباعد منزله عن منزل المشرك، ولا ينزل بالموضع الذي أوقدت فيه ناره تلوح وتظهر لنار المشرك إذا أوقدها في منزله ولكنه ينزل مع المسلمين في دارهم. والترائي: تفاعل من الرؤية وإسناد الترائي إلى النار مجاز".

(٣) السنن الكبرى(٢٠٤٠٩):ص٢١٦/١٠. ونصه: عن سماك بن حرب، قال: "سمعت عياضا الأشعري، أن أبا موسى، رضي الله عنه وفد إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنهما , ومعه كاتب نصراني , فأعجب عمر رضي الله عنه ما رأى من حفظه , فقال: " قل لكاتبك يقرأ لنا كتابا " , قال: إنه نصراني , لا يدخل المسجد , فانتهره عمر رضي الله عنه , وهم به , وقال: " لا تكرموهم إذ أهانهم الله , ولا تدنوهم إذ أقصاهم الله , ولا تأتمنوهم إذ خونهم الله عز وجل".

وصححه الألباني في الإرواء تحت حديث:٢٦٣٠.

(٤) تخريج أحاديث الكشاف:٤٠٤/١. يعني: قدره أنه مات، هل إذا مات تتعطل المحاسبة عندنا في بيت المال، فقطع طمع أبي موسى رضي الله عنه.

ذكره ابن القيم في أحكام أهل الذمة ٢١١/١ , عن معاوية بمثله مختصراً.

وذكر أن بعض عمال عمر كتب إليه يستشيره في استعمال الكفار فقال: إن المال قد كثر , وليس يحصيه إلا هم , ما كتب إلينا بما ترى , فكتب إليه: لا تدخلوهم في دينكم, ولا تسلموهم ما منعهم الله منه , ولا تأمنوهم على أموالكم , وتعلموا الكتابة , فإنما هي حيلة الرجال.

(٥) الكشاف:٦٤٢/١.

(٦)هو في صحيح مسلم من حديث عائشة - رضي الله عنها وعن أبيها - في كتاب الجهاد وباب كراهة الاستعانة في الغزو بكافر، رقم ١٨١٧.

(٧) مسألة في الكنائس:١٢٨.

(٨) أخرجه الطبري(١٢١٦١):ص٤٠٠/١٠، وانظر: تفسير سفيان الثوري:١٠٣.

(٩) أخرجه الطبري(١٢١٦٤):ص٤٠١/١٠.

(١٠) أخرجه الطبري(١٢١٦٥):ص٤٠١/١٠-٤٠٢.

قوله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} [المائدة: ٥١]، أي:" إن الله لا يوفق الظالمين الذين يتولون الكافرين"(١).

قال محمد بن إسحاق:" أي: المنافقين الذين يظهرون بألسنتهم الطاعة وقلوبهم مصرة على المعصية"(٢).

قال الطبري:أي:"إن الله لا يوفّق من وضع الولاية في غير موضعها، فوالى اليهود والنصارى مع عداوتهم الله ورسوله والمؤمنين على المؤمنين، وكان لهم ظهيرًا ونصيرًا، لأن من تولاهم فهو لله ولرسوله وللمؤمنين حَرْبٌ"(٣).

قال الزمخشري:" يعني: الذين ظلموا أنفسهم بموالاة الكفر يمنعهم الله ألطافه ويخذلهم مقتا لهم"(٤).

قال السعدي:" أي: الذين وصفهم الظلم، وإليه يرجعون، وعليه يعولون. فلو جئتهم بكل آية ما تبعوك، ولا انقادوا لك"(٥).

قال الشوكاني:" تعليل للجملة التي قبلها أي أن وقوعهم في الكفر هو بسبب عدم هدايته سبحانه لمن ظلم نفسه بما يوجب الكفر كمن يوالي الكافرين"(٦)، إذ"حكم على من يتولى من استحب الكفر على الإيمان بالظلم، فدل ذلك على أن تولي من كان كذلك من أعظم الذنوب وأشدها"(٧).

عن أبي العالية قوله: "{الظالمين}، يعني: من أبا أن يقول: لا إله إلا الله"(٨). وروي عن عكرمة وقتادة، والربيع بن أنس نحو ذلك(٩).

الفوائد:

١- نفي الولاية بين أهل الحق وأهل الباطل.

٢-حرمة موالاة اليهود والنصارى وسائر الكافرين، هذا الحكم باقٍ إلى يوم القيامة،، وقد خص في هذه الآية باليهود والنصارى; لأن المقام يقتضيه.

٣- الولاء والبراء أصل من أصول عقيدة أهل السنة والجماعة، إذ يجب على كل مسلم أن يكون ولاؤه لله ولرسوله وللمؤمنين، ويجب أن يكون براؤه من أعداء الملة والدين.

وكما حرم الله موالاة أعداء الملة والدين، فقد أوجب سبحانه موالاة المؤمنين ومحبتهم، قال تعالى: {إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون (٥٥) ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون} [المائدة: ٥٥ - ٥٦]، وقال تعالى: {إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون} [الحجرات: ١٠].

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: "موالاة الكفار بالموادة والمناصرة واتخاذهم بطانة: حرام منهي عنها بنص القرآن الكريم، قال الله تعالى: {لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله}، وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}، وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ}، وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً

---

(١) التفسير الميسر:١١٧.
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم(٦٥١٤):ص١١٥٧/٤.
(٣) تفسير الطبري:٤٠٢/١٠.
(٤) الكشاف:٦٤٢/١.
(٥) تفسير السعدي:٢٣٥.
(٦) فتح القدير:٥٨/٢.
(٧) فتح القدير:٣٩٥/٢.
(٨) أخرجه ابن أبي حاتم(٦٥١٥):ص١١٥٧/٤.
(٩) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:١١٥٧/٤.

مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا}، وأخبر أنه إذا لم يكن المؤمنون بعضهم أولياء بعض، والذين كفروا بعضهم أولياء بعض ويتميز هؤلاء عن هؤلاء، فإنها تكون فتنة في الأرض وفساد كبير"[1].
٤- ومنها: التحذير من الظلم؛ لقوله تعالى: { إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ}.
٥- ومنها: أن الله لا يمنع فضله عن أحد إلا إذا كان هذا الممنوع هو السبب؛ لقوله تعالى: { إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ}.
٦-ومنها: أنه كلما كان الإنسان أظلم كان عن الهداية أبعد؛ لأن الله علق نفي الهداية بالظلم؛ وتعليق الحكم بالظلم يدل على عليته؛ وكلما قويت العلة قوي الحكم المعلق عليه.
٧- ومنها: أن من أخذ بالعدل كان حرياً بالهداية؛ لمفهوم المخالفة في قوله تعالى: {والله لا يهدي القوم الظالمين}؛ فإذا كان الظالم لا يهديه الله، فصاحب العدل حري بأن يهديه الله عز وجل؛ فإن الإنسان الذي يريد الحق ويتبع الحق - والحق هو العدل - غالباً يُهدى، ويوفّق للهداية؛ ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية في العقيدة الواسطية عبارة من أحسن العبارات؛ قال: «من تدبر القرآن طالبا للهدى منه تبين له طريق الحق»[2]؛ وهذه كلمة مأخوذة من القرآن منطوقاً، ومفهوماً.
٨-ومنها: الرد على القدرية؛ لقوله تعالى: { إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ}؛ لأنهم يقولون: إن الإنسان حرّ: يهتدي بنفسه، ويضل بنفسه؛ وهذه الآية واضحة في أن الهداية بيد الله.

القرآن

{فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ (٥٢)} [المائدة: ٥٢]

التفسير:

يخبر الله تعالى عن جماعة من المنافقين أنهم كانوا يبادرون في موادة اليهود لما في قلوبهم من الشكِّ والنفاق، ويقولون: إنما نوادُّهم خشية أن يظفروا بالمسلمين فيصيبونا معهم، قال الله تعالى ذكره: فعسى الله أن يأتي بالفتح -أي فتح «مكة» - وينصر نَبيَّه، ويُظْهِر الإسلام والمسلمين على الكفار، أو يُهيِّئ من الأمور ما تذهب به قوةُ اليهود والنَّصارى، فيخضعوا للمسلمين، فحينئذٍ يندم المنافقون على ما أضمروا في أنفسهم من موالاتهم.

سبب النزول:

قال عطية العوفي: "جاء عبادة بن الصامت فقال: يا رسول الله إن لي موالي من اليهود كثير عددهم حاضر نصرهم، وإني أبرأ إلى الله ورسوله من ولاية اليهود، وآوي إلى الله ورسوله، فقال عبد الله بن أبي: إني رجل أخاف الدوائر ولا أبرأ من ولاية اليهود، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - "يا أبا الحباب ما بخلت به من ولاية اليهود على عبادة بن الصامت فهو لك دونه"، فقال: قد قبلت، فأنزل الله تعالى فيهما: {يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض} إلى قوله تعالى: {فترى الذين في قلوبهم مرض}"[3]، «يعني: عبد الله بن أبي {يسارعون فيهم} في ولايتهم {يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة} الآية»[4].

---

(١) الولاء والبراء في الإسلام:البركاتي:١٦.
(٢) مجموع الفتاوى:١٣٧/٣.
(٣)أخرجه أخرجه ابن أبي شيبة في "المصنف"(١٢٣٥١):ص١٢/ ١٣٧، والطبري(١٢١٥٦):ص٣٩٥/١٠-٣٩٦، وذكره الواحدي في أسباب النزول:١٩٨-١٩٩، [وإسناده ضعيف، لعلتين: :الأولى: الإرسال. والثانية: عطية هذا؛ ضعيف مدلس، ولخصه ابن حجر في "التقريب" (٢/ ٢٤) بقوله: "صدوق يخطئ كثيراً، كان شيعياً مدلساً"].
(٤) هذه الزيادة في أسباب النزول:١٩٨-١٩٩.

وقال عبادة بن الوليد:" فأنزل الله فيهم:{الذين في قلوبهم مرض}، يعني: عبد الله بن أبي"(١).

وفي هذا السياق قال مقاتل:" هم المنافقون يسارعون فيهم يعني في ولاية اليهود بالمدينة يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة يعني دولة اليهود على المسلمين وذلك، أن نفرا من المنافقين: أربعة وثمانين رجلا منهم عبد الله بن أبي، وأبو نافع، وأبو لبابة، قالوا: نتخذ عند اليهود عهدا ونواليهم فيما بيننا وبينهم، فإنا لا ندري ما يكون في غد ونخشى ألا ينصر محمد- صلى الله عليه وسلم- فينقطع الذي بيننا وبينهم ولا نصيب منهم قرضا ولا ميرة فأنزل الله- عز وجل-:{فعسى الله أن يأتي بالفتح}، يعني بنصر محمد- صلى الله عليه وسلم- الذي يئسوا منه، {أو يأتي أمر من عنده}: قتل قريظة وجلاء النضير إلى أذرعات، فلما رأى المنافقون ما لقي أهل قريظة والنضير ندموا على قولهم، قال: {فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين}"(٢).

قوله تعالى:{فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ} [المائدة: ٥٢]، أي:" فترى الذين في قلوبهم شك ونفاق يسارعون في مُوالات اليهود ومُعاونتهم"(٣).

قال عطية:" يعني: عبد الله بن أبي في ولاية اليهود"(٤).

قال الزمخشري:{ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ}، أي:"ينكمشون في موالاتهم ويرغبون فيها"(٥).

قال ابن كثير:{مَرَضٌ}" أي: شك، وريب، ونفاق، يبادرون إلى موالاتهم ومودتهم في الباطن والظاهر"(٦).

عن السدي قوله:"{فترى الذين في قلوبهم مرض}، قال: الشك"(٧).

قال الواحدي:" يعني: عبد الله بن أُبيٍّ وأصحابه {يسارعون فيهم} في مودَّة أهل الكتاب ومعاونتهم على المسلمين بإلقاء أخبارهم إليهم"(٨).

وفي قوله تعالى:{فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ} [المائدة: ٥٢]، وجوه من التاويل:

أحدها: أن المعنيّ به عبادة بن الصامت وعبد الله بن أبي سلول، كما تقدم في سبب النزول، وهذا قول عطية بن سعد(٩).

والثاني: أنهم قوم من المنافقين، في قلوبهم مرض الشك، يسارعون في ولاية اليهود بالمدينة. وهذا قول مقاتل(١٠).

والثالث: أنهم المنافقون يسارعون في المعصية وملاحات اليهود، أو مناجاتهم واسترضاعهم أولادهم إياهم. وهذا قول مجاهد(١١).

والرابع: أنهم المنافقون، يوافقون أهل الكتاب في السر. وهذا قول ابن أبي زمنين(١٢).

قوله تعالى:{يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ} [المائدة: ٥٢]، أي:" ويقولون: إنما نوادُّهم خشية أن يظفروا بالمسلمين فيصيبونا معهم"(١٣).

قال عبادة بن الصامت: "يعني: عبد الله بن أبي، لقوله: إني أخشى الدوائر"(١).

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم(٦٥١٦):ص١١٥٧/٤. [ضعيف لإرساله].
(٢) تفسير مقاتل بن سليمان:٤٨٤/١.
(٣) انظر: صفوة التفاسير:٣٢٢.
(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٥٢٠):ص١١٥٨/٤.
(٥) الكشاف:٦٤٣/١.
(٦) تفسير ابن كثير:١٣٢/٣.
(٧) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٥١٧):ص١١٥٧/٤.
(٨) الوجيز:٣٢٣.
(٩)انظر: ابن أبي حاتم(٦٥٢٠):ص١١٥٨/٤، وتفسير الطبري(١٢١٥٦):ص٣٩٥/١٠-٣٩٦.
(١٠) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٤٨٤/١.
(١١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٦٥١٨):ص١١٥٧/٤-١١٥٨.
(١٢) انظر: تفسير ابن أبي زمنين:٣٣/٢.
(١٣) التفسير الميسر:١١٧.

قال مجاهد:" يقول: نخشى أن تكون الدائرة لليهود بالفتح حينئذ"[٢].
عن السدي قوله: "{يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة}، ظهور المشركين عليهم"[٣].
قال مقاتل:" يعني: دولة اليهود على المسلمين"[٤].
قال الزجاج:" أي: نخشى ألا يتم الأمر للنبي - صلى الله عليه وسلم -، ومعنى:{ دائرة}، أي: يدور الأمر عن حاله التي يكون عليها"[٥].
قال الواحدي:" أيْ: يدور الأمر عن حاله التي يكون عليها يعنون: الجدب فتنقطع عنا الميرة والقرض"[٦].
قال السمرقندي:" يعني: ظهور المشركين، ويقال: شدة وجدوبة فاحتجنا إليهم، ويقال: نخشى الدائرة على المسلمين، فلا ننقطع عنهم"[٧].
قال ابن كثير:" أي: يتأولون في مودتهم وموالاتهم أنهم يخشون أن يقع أمر من ظفر الكفار بالمسلمين، فتكون لهم أياد عند اليهود والنصارى، فينفعهم ذلك"[٨].
قال الزمخشري:أي:" ويعتذرون بأنهم لا يأمنون أن تصيبهم دائرة من دوائر الزمان، أى صرف من صروفه ودولة من دوله، فيحتاجون إليهم وإلى معونتهم"[٩].
قال القرطبي:" أي: يدور الدهر علينا إما بقحط فلا يميروننا ولا يفضلوا علينا، وإما أن يظفر اليهود بالمسلمين فلا يدوم الأمر لمحمد صلى الله عليه وسلم. وهذا القول أشبه بالمعنى، كأنه من دارت تدور، أي نخشى أن يدور الأمر، ويدل عليه قوله عز وجل:{فعسى الله أن يأتي بالفتح}"[١٠].
قال أبو عبيدة:" { دائِرَةٌ}، أي: دولة، والدوائر قد تدور، وهى الدولة، والدوائل تدول، ويديل الله منه، قال حميد الأرقط[١١]:

تَرُدُّ عَنْكَ القَدَرَ المَقْدُورَا وَدَائِرَاتِ الدَّهْرِ أَنْ تَدُورَا "[١٢]

قوله:«دَائِرَاتِ الدَّهْرِ»يعني: "دول الدهر الدائرة من قوم إلى قوم"[١٣].
قال الراغب:" «الدائرة»: دوران الأمر من قولهم والدهر بالإنسان دواري، والدورة والدولة يتقاربان"[١٤].
قوله تعالى:{فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ} [المائدة: ٥٢]، أي:" فعسى الله أن يأتي بالفتح، وينصر نَبيَّه، ويُظْهر الإسلام والمسلمين على الكفار"[١٥].
قال الزجاج:" أي: فعسى الله أن يظهر المسلمين، و«عسى» من الله -جل وعز- واجبة"[١٦].

---

(١) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٥٢١):ص١١٥٨/٤.
(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٥٢٢):ص١١٥٨/٤.
(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٥٢٣):ص١١٥٨/٤.
(٤) تفسير مقاتل بن سليمان:٤٨٤/١.
(٥) معاني القرآن:١٨١/٢.
(٦) الوجيز:٣٢٣.
(٧) بحر العلوم:٣٩٧/١.
(٨) تفسير ابن كثير:١٣٢/٣.
(٩) الكشاف:٦٤٣/١.
(١٠) تفسير القرطبي:٢١٧/٦.
(١١)ديوانه ١٦، وانظر: تفسير الطبري:٤٠٤/١٠، وتفسير القرطبي:٢١٧/٦.
(١٢) مجاز القرآن:١٦٩/١.
(١٣) تفسير القرطبي:٢١٧/٦.
(١٤) تفسير الراغب الأصفهاني:٣٧٧/٤.
(١٥) التفسير الميسر:١١٧.
(١٦) معاني القرآن:١٨١/٢.

قال الزمخشري:أي:" فعسى الله أن يأتي بالفتح لرسول الله صلى الله عليه وسلم على أعدائه وإظهار المسلمين"(١).

قال السعدي:أي:" الذي يعز الله به الإسلام على اليهود والنصارى، ويقهرهم المسلمون"(٢).

وفي قوله تعالى:{فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ} [المائدة: ٥٢]، أربعة أقاويل:

أحدها: يريد فتح مكة، قاله السدي(٣).

والثاني: فتح بلاد المشركين على المسلمين(٤).

والثالث: أنه القضاء الفصل، قاله قتادة (٥).

والرابع: يعني به: نصر محمد- صلى الله عليه وسلم- الذي يئسوا منه. قاله مقاتل(٦).

و«الفتح»:في كلام العرب، هو «القضاء»، كما قال قتادة، ومنه قول الله تعالى ذكره ومنه قوله تعالى:{افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَينَ قَومِنَا بِالْحَقِّ} [الأعراف: ٨٩]، وقد يجوز أن يكون ذلك القضاء الذي وعدَ الله نبيه محمدًا -صلى الله عليه وسلم- بقوله: {فعسى الله أن يأتي بالفتح} فتح، مكة، لأن ذلك كان من عظيم قضاءِ الله، وفَصْل حُكمه بين أهل الإيمان والكفر، ومقرِّرًا عند أهل الكفر والنفاق، أن الله معلي كلمته وموهن كيد الكافرين(٧).

قوله تعالى:{أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ} [المائدة: ٥٢]، أي:" أو يُهيِّئ من الأمور ما تذهب به قوةُ اليهود والنَّصارى، فيخضعوا للمسلمين"(٨).

قال الزمخشري:أي:" أو أمر من عنده يقطع شأفة اليهود(٩) ويجلبهم عن بلادهم"(١٠).

وفي قوله تعالى:{أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ} [المائدة: ٥٢]، ستة أقاويل:

أحدها: هو دون الفتح الأعظم(١١).

الثاني: أنه موت من تقدم ذكره من المنافقين(١٢).

الثالث: أنه الجزية، قاله السدي(١٣).

والرابع: أنه قتل قريظة وجلاء النضير إلى أذرعات. وهذا قول مقاتل(١٤).

والخامس: أي: أو أن يؤمر النبي - صلى الله عليه وسلم - بإظهار أسماء المنافقين والأمر بقتلهم. قاله الحسن(١٥)، والزجاج(١٦)، والزمخشري(١٧).

والسادس: أنه الخصب والسعة للمسلمين(١٨).

قال الطبري:" وقد يحتمل أن يكون الأمر الذي وعد الله نبيه محمدًا صلى الله عليه وسلم أن يأتي به هو الجزية، ويحتمل أن يكون غيرها، غير أنه أيّ ذلك كان، فهو مما فيه إدالة

(١) الكشاف:٦٤٣/١.
(٢) تفسير السعدي:٢٣٥.
(٣) انظر: تفسير الطبري(١٢١٧٣):ص٤٠٥/١٠.
(٤) انظر: النكت والعيون:٤٧/٢.
(٥) انظر: تفسير الطبري(١٢١٧٢):ص٤٠٥/١٠.
(٦) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٤٨٤/١.
(٧) انظر: تفسير الطبري:٤٠٥/١٠-٤٠٦.
(٨) التفسير الميسر:١١٧.
(٩)في الصحاح «الشأفة» قرحة تخرج في أسفل القدم فتكوى فتذهب، فضرب بها المثل في الاستئصال .
(١٠) الكشاف:٦٤٣/١.
(١١) انظر: النكت والعيون:٤٧/٢.
(١٢) انظر: النكت والعيون:٤٧/٢.
(١٣) انظر: تفسير الطبري(١٢١٧٤):ص٤٠٦/١٠.
(١٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٤٨٤/١.
(١٥) انظر: تفسير القرطبي:٢١٨/٦. ولم أقف عليه.
(١٦) انظر: معاني القرآن:١٨١/٢.
(١٧) انظر: الكشاف:٦٤٣/١.
(١٨)انظر: تفسير القرطبي:٢١٨/٦.

المؤمنين على أهل الكفر بالله وبرسوله، ومما يسوء المنافقين ولا يسرُّهم. وذلك أن الله تعالى ذكره قد أخبر عنهم أنّ ذلك الأمر إذا جاء، أصبحوا على ما أسرُّوا في أنفسهم نادمين"(١).

قوله تعالى:{فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ} [المائدة: ٥٢]، أي:" فحينئذٍ يندم المنافقون على ما أضمروا في أنفسهم من موالاتهم"(٢).

قال ابن الزبير:" يقول: فيصبح الفساق على ما أسروا به أنفسهم نادمين"(٣).

قال قتادة:" من موادّتهم اليهود، ومن غِشِّهم للإسلام وأهله"(٤).

قال القرطبي:" أي: فيصبحوا نادمين على توليهم الكفار إذا رأوا نصر الله للمؤمنين، وإذا عاينوا عند الموت فبشروا بالعذاب"(٥).

قال الطبري:" يعني: هؤلاء المنافقين الذين كانوا يوالون اليهود والنصارى. يقول تعالى ذكره: لعل الله أن يأتي بأمرٍ من عنده يُديل به المؤمنين على الكافرين من اليهود والنصارى وغيرهم من أهل الكفر، فيصبح هؤلاء المنافقون على ما أسرُّوا في أنفسهم من مخالّة اليهود والنصارى وموّدتهم، وبغْضَة المؤمنين ومُحَادّتهم، نادمين"(٦).

قال الزمخشري:أي:" فيصبح المنافقون نادمين، على ما حدثوا به أنفسهم: وذلك أنهم كانوا يشكون في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون: ما نظن أن يتم له أمر، وبالحرى أن تكون الدولة والغلبة لهؤلاء"(٧).

قال السعدي:أي:" على ما كان منهم وضرهم بلا نفع حصل لهم، فحصل الفتح الذي نصر الله به الإسلام والمسلمين، وأذل به الكفر والكافرين، فندموا وحصل لهم من الغم ما الله به عليم"(٨).

قال ابن كثير:" يعني: الذين والوا اليهود والنصارى من المنافقين، { عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ } من الموالاة { نَادِمِينَ } أي: على ما كان منهم، مما لم يُجْد عنهم شيئًا، ولا دفع عنهم محذورًا، بل كان عين المفسدة، فإنهم فضحوا، وأظهر الله أمرهم في الدنيا لعباده المؤمنين، بعد أن كانوا مستورين لا يدرى كيف حالهم"(٩).

قال الكلبي: "فجاء الله بالفتح؛ فنصر نبيه، وجاء أمر الله من عنده بإجلاء بني النضير، وقتل بني قريظة، وسبي ذراريهم؛ فندم المنافقون حتى ظهر نفاقهم، وأجلي أهل ودهم عن أرضهم"(١٠).

الفوائد:

١- موالاة الكافرين ناجمة عن ضعف الإيمان، فلذا تؤدى إلى الكفر.

٢-التحذير من موالاة المشركين ولو كان بسبب متاع زائل، أو دنيا فانية، أو خوف دوائر الدهر.

وثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم- قال:"المرء مع من أحب"(١١)، ومحبة أعداء الله من أعظم ما يكون خطراً على المسلم لأن محبتهم تستلزم موافقتهم واتباعهم، أو على الأقل عدم الإنكار عليهم.

---

(١) تفسير الطبري:٤٠٦/١٠.
(٢) التفسير الميسر:١١٧.
(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٥٢٧):ص١١٥٩/٤.
(٤) أخرجه الطبري(١٢١٧٥):ص٤٠٧/١٠.
(٥) تفسير القرطبي:٢١٨/٦.
(٦) تفسير الطبري:٤٠٦/١٠.
(٧) الكشاف:٦٤٣/١.
(٨) تفسير السعدي:٢٣٥.
(٩) تفسير ابن كثير:١٣٢/٣.
(١٠) بحر العلوم:٣٣/٢.
(١١)إسناده صحيح على شرط الشيخين. شعبة: هو ابن الحجاج، وسليمان بن مهران: هو الأعمش، وأبو وائل: هو شقيق بن سلمة.
وأخرجه البخاري (٦١٦٨) ، ومسلم (٢٦٤٠) ، من طريق محمد بن جعفر، بهذا الإسناد.

القرآن
{وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ (٥٣)} [المائدة: ٥٣]
التفسير:
وحينئذ يقول بعض المؤمنين لبعض مُتعجِّبين من حال المنافقين -إذا كُشِف أمرهم-: أهؤلاء الذين أقسموا بأغلظ الأيمان إنهم لَمَعَنا؟! بطلت أعمال المنافقين التي عملوها في الدنيا، فلا ثواب لهم عليها; لأنهم عملوها على غير إيمان، فخسروا الدنيا والآخرة.

قوله تعالى:{وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا} [المائدة: ٥٣]، أي:" وحينئذ يقول بعض المؤمنين لبعض مُتعجِّبين من حال المنافقين -إذا كُشِف أمرهم-"(١).

قال مجاهد:"حينئذ، يقول الذين آمنوا: {أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ }"(٢).

قال ابن كثير:" فلما انعقدت الأسباب الفاضحة لهم، تبين أمرهم لعباد الله المؤمنين، فتعجبوا منهم كيف كانوا يظهرون أنهم من المؤمنين، ويحلفون على ذلك ويتأولون، فبان كذبهم وافتراؤهم"(٣).

قوله تعالى:{أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ} [المائدة: ٥٣]، أي:" أهؤلاء الذين أقسموا بأغلظ الأيمان إنهم لَمَعَنا؟!"(٤).

قال ابن عطية:" المعنى: أهؤلاء هم المقسمون باجتهاد منهم في الأيمان إنهم لمعكم ثم قد ظهر الآن منهم من موالاة اليهود وخذل الشريعة ما يكذب إيمانهم"(٥).

قال المراغي:" أي: ويقول بعض المؤمنين لبعض متعجبين من حال المنافقين، إذا أقسموا بأغلظ الأيمان لهم إنهم معكم وإنهم معاضدوكم على أعدائكم اليهود، فلما حل بهم ما حل أظهروا ما كانوا يسرونه من موالاتهم وممالأتهم على المؤمنين كما قال فى سورة براءة «ويحلفون بالله إنهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون» أي فهم لفرقهم وخوفهم يظهرون الإسلام تقية"(٦).

وفي معنى قوله تعالى:{أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ} [المائدة: ٥٣]، وجهان:
أحدهما: أن جهد أيمانهم: القسم بالله.قاله مقاتل(٧).
والثاني: المراد: أنهم حلفوا وأكدوا أيمانهم أنهم مؤمنون وأنهم معكم أعوانكم على من خالفكم. قاله الزجاج(١).

وأخرجه مسلم (٢٦٤٠) ، والشاشي (٥٧٥) و (٥٧٦) و (٥٧٧) ، والقضاعي في "الشهاب" (١٨٩) من طرق عن شعبة، به.
وأخرجه البخاري (٦١٦٩) ، ومسلم (٢٦٤٠) (١٦٥) ، وأبو يعلى (٥١٦٦) من طريق جرير -وهو ابن عبد الحميد-، عن الأعمش، به.
وأخرجه الطيالسي (٢٥٣) من طريق عطاء بن السائب، والبزار (٣٥٩٧) ، والدارقطني مطولا في "السنن" ١٣٢/١ من طريق سمعان بن مالك والمعلى المالكي، ثلاثتهم عن شقيق، به، وذكر الدارقطني أن سمعان والمعلى كلاهما مجهول.
وأخرجه بنحوه الشاشي (٦٦٤) من طريق يحيى بن ثعلبة الأنصاري، عن عاصم بن أبي النجود، عن زر، عن عبد الله، به.
(١) التفسير الميسر:١١٧.
(٢) أخرجه الطبري(١٢١٧٦):ص٤٠٧/١٠.
(٣) تفسير ابن كثير:١٣٣/٣.
(٤) التفسير الميسر:١١٧.
(٥) المحرر الوجيز:٢٠٧/٢.
(٦) افسير المراغي:١٣٨/٦.
(٧) تفسير مقاتل بن سليمان:٤٨٥/١.

قال القرطبي:أي:"حلفوا واجتهدوا في الأيمان"[2].
قال الراغب:" قوله: {جهد أيمانهم}، أي: أبلغ الإيمان وأقصاها من قولهم جهد في الأمر"[3].
قال الزمخشري:" فإن قلت: لمن يقولون هذا القول؟
قلت: إما أن يقوله بعضهم لبعض تعجبا من حالهم واغتباطا بما من الله عليهم من التوفيق في الإخلاص أهؤلاء الذين أقسموا لكم بإغلاظ الأيمان أنهم أولياؤكم ومعاضدوكم على الكفار.
وإما أن يقولوه لليهود لأنهم حلفوا لهم بالمعاضدة والنصرة، كما حكى الله عنهم: {وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ} [الحشر: ١١]"[4].
قال الرازي:" الفائدة في أن المؤمنين يقولون هذا القول هو أنهم يتعجبون من حال المنافقين عند ما أظهروا الميل إلى موالاة اليهود والنصارى، وقالوا: إنهم يقسمون بالله جهد أيمانهم أنهم معنا ومن أنصارنا، فالآن كيف صاروا موالين لأعدائنا محبين للاختلاط بهم والاعتضاد بهم؟"[5].
وقد ذهب كثير من المفسرين:إلى "أن هذا القول من المؤمنين إنما هو إذا جاء الفتح حصلت ندامة المنافقين وفضحهم الله تعالى، فحينئذ يقول المؤمنون: {أهؤلاء الذين أقسموا} [المائدة:٥٣] الآية.
وتحتمل الآية: أن تكون حكاية لقول المؤمنين في وقت قول الذين في قلوبهم مرض: {نخشى أن تصيبنا دائرة} [المائدة: ٥٢]، وعند أفعالهم ما فعلوا في حكاية بني قينقاع. فظهر فيها سرهم وفهم منهم أن تمسكهم بهم إنما هو إرصاد لله ولرسوله. فمقتهم النبي والمؤمنون، وترك النبي صلى الله عليه وسلم بني قينقاع لعبد الله بن أبي رغبة في المصلحة والألفة، وبحكم إظهار عبد الله أن ذلك هو الرأي من نفسه وأن الدوائر التي يخاف إنما هي ما يخرب المدينة وعلم المؤمنون وكل فطن أن عبد الله في ذلك بخلاف ما أبدى. فصار ذلك موطنا يحسن أن يقول فيه المؤمنون: {أهؤلاء الذين أقسموا} الآية"[6].
قرأ أبو عمرو وحده:«ويقول الذين ءامنوآ»، بنصب «اللام»، ورفعه الباقون، فجعلوا الكلام مستأنفا. وقرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر: «يقول»، بغير «واو»، مع رفع «اللام»، وكذلك في مصاحف أهل مكة والمدينة[7].
قوله تعالى:{حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ} [المائدة: ٥٣]، أي:" بطلت أعمال المنافقين التي عملوها في الدنيا، فلا ثواب لهم عليها"[8].
قال السمرقندي:أي:" فلا ثواب لهم في الآخرة"[9].
قال القرطبي:أي:"بطلت نفاقهم"[10].
قال الزجاج:" أي: ذهب ما أظهروه من الإيمان، وبطل كل خير عملوه بكفرهم وصدهم، عن سبيل الله كما قال: {الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ} [محمد: ١]"[11].

---

(١) مهعاني القرآن:١٨١/٢.
(٢) تفسير القرطبي:٢١٨/٦.
(٣) تفسير الراغب الأصفهاني:٣٧٨/٤.
(٤) الكشاف:٦٤٣/١.
(٥) مفاتيح الغيب:٣٧٧/١٢.
(٦) المحرر الوجيز:٢٠٦/٢.
(٧) انظر: السبعة في القراءات:٢٤٥، وزاد المسير:٥٥٩/١
(٨) التفسير الميسر:١١٧.
(٩) بحر العلوم:٣٩٨/١.
(١٠) تفسير القرطبي:٢١٨/٦.
(١١) معاني القرىن:١٨٢/٢.

قال الزمخشري:" أى: بطلت أعمالهم التي كانوا يتكلفونها في رأى أعين الناس. وفيه معنى التعجب كأنه قيل: ما أحبط أعمالهم! فما أخسرهم! أو من قول الله عز وجل شهادة لهم بحبوط الأعمال وتعجبا من سوء حالهم"(١).

قال النسفي:أي:" ضاعت أعمالهم التي عملوها رياء وسمعة لا إيمانا وعقيدة وهذا من قول الله عزوجل شهادة لهم بحبوط الأعمال لهم وتعجيبا من سوء حالهم"(٢).

قال المراغي:" أي: ويقول المؤمنون: حبطت أعمالهم التي كانوا يتكلفونها نفاقا كالصلاة والصوم والجهاد معنا ليقنعونا بأنهم منا"(٣).

قال البيضاوي:" فيه معنى التعجب كأنه قيل أحبط أعمالهم فما أخسرهم"(٤).

قال ابن عطية:" وحبط العمل: إذا بطل بعد أن كان حاصلا، وقد يقال: حبط في عمل الكفار وإن كان لم يتحصل على جهة التشبيه"(٥).

وقوله تعالى:{حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ} [المائدة: ٥٣]، يحتمل ثلاثة وجوه(٦):

أحدها: أن يكون إخبارا من الله تعالى وشهادة لهم بحبوط أعمالهم.

والثاني: ويحتمل: أن يكون من قول المؤمنين على جهة الإخبار بما حصل في اعتقادهم إذ رأوا المنافقين في هذه الأحوال.

والثالث: ويحتمل: أن يكون قوله {حبطت أعمالهم}، على جهة الدعاء إما من الله تعالى عليهم وإما من المؤمنين.

قوله تعالى:{فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ} [المائدة: ٥٣]، أي:" فخسروا الدنيا والآخرة"(٧).

قال السمرقندي:"يعني: صاروا خاسرين في الدنيا وفي الآخرة"(٨).

قال البغوي:" خسروا الدنيا بافتضاحهم، والآخرة بالعذاب وفوات الثواب"(٩).

قال القرطبي:" أي خاسرين الثواب. وقيل: خسروا في موالاة اليهود فلم تحصل لهم ثمرة بعد قتل اليهود وأجلائهم"(١٠).

قال النسفي:أي:" في الدنيا والعقبى، لفوات المعونة ودوام العقوبة"(١١).

قال القاسمي:" أي: في الدنيا، إذ ظهر نفاقهم عند الكل. وفي الآخرة، إذ لم يبق لهم ثواب"(١٢).

قال المراغي: أي: "فخسروا بذلك ما كانوا يرجون لها من أجر وثواب لو صلحت حالهم وقوى إيمانهم"(١٣).

قال السعدي:" حيث فاتهم مقصودهم، وحضرهم الشقاء والعذاب"(١٤).

قال الرازي:" لما بطلت أعمالهم بقيت عليهم المشقة في الإتيان بتلك الأعمال، ولم يحصل لهم شيء من ثمراتها ومنافعها، بل استحقوا اللعن في الدنيا والعقاب في الآخرة"(١٥).

---

(١) الكشاف:٦٤٣/١.
(٢) تفسير النسفي:٤٥٤/١.
(٣) افسير المراغي:١٣٨/٦.
(٤) تفسير البيضاوي:١٣١/٢.
(٥) المحرر الوجيز:٢٠٧/٢.
(٦) انظر: المحرر الوجيز:٢٠٧/٢، وتفسير البيضاوي:١٣١/٢
(٧) التفسير الميسر:١١٧.
(٨) بحر العلوم:٣٩٨/١.
(٩) تفسيرالبغوي:٦٩/٣.
(١٠) تفسير القرطبي:٢١٨/٦.
(١١) تفسير النسفي:٤٥٤/١.
(١٢) محاسن التأويل:١٦٤/٤.
(١٣) افسير المراغي:١٣٨/٦.
(١٤) تفسير السعدي:٢٣٥.
(١٥) مفاتيح الغيب:٣٧٧/١٢.

وقرأ جمهور الناس:«حبطت»، بكسر الباء، وقرأ أبو واقد والجراح:«حبطت» بفتح الباء وهي لغة[١].

الفوائد:

١- بيان حبوط أعمال المنافقين، ليكون المؤمن لذلك من الحذرين.

٢- ومنها: أن الردة مبطلة للأعمال إذا مات عليها.

٣-إن الولاء لغير الله ولو مَوَّه أصحابه عليه بادعاء الإيمان وأخوة أهل الإسلام كما بينته هذه الآية الكريمة ردة واضحة وكفر صراح مهما جادلوا، وما النص فيها على إحباط العمل وخسران الآخرة إلا زيادة تأكيد لهذا الكفر وتخويف منه.

القرآن

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٥٤)} [المائدة: ٥٤]

التفسير:

يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه من يرجع منكم عن دينه، ويستبدل به اليهودية أو النصرانية أو غير ذلك، فلن يضرُّوا الله شيئًا، وسوف يأتي الله بقوم خير منهم يُحِبُّهم ويحبونه، رحماء بالمؤمنين أشدَّاء على الكافرين، يجاهدون أعداء الله، ولا يخافون في ذات الله أحدًا. ذلك الإنعام مِن فضل الله يؤتيه من أراد، والله واسع الفضل، عليم بمن يستحقه من عباده.

قوله تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} [المائدة: ٥٤]، أي:" يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه"[٢].

قال الطبري:أي:"أي: صدّقوا لله ورسوله، وأقرُّوا بما جاءهم به نبيُّهم محمد صلى الله عليه وسلم"[٣].

قوله تعالى:{مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ} [المائدة: ٥٤]، أي:" من يرجع منكم عن دينه الحق ويبدّله بدينٍ آخر ويرجع عن الإيمان إلى الكفر"[٤].

قال الطبري:"يقول: من يرجع منكم عن دينه الحق الذي هو عليه اليوم، فيبدِّله ويغيره بدخوله في الكفر، إما في اليهودية أو النصرانية أو غير ذلك من صنوف الكفر"[٥].

قال الواحدي:" علم الله تعالى أنَّ قوماً يرجعون عن الإسلام بعد موت نبيِّهم صلى الله عليه وسلم"[٦].

قوله تعالى:{فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ} [المائدة: ٥٤]، أي:" فسوف يأتي الله مكانهم بقوم خير منهم، يحبّهم الله ويحبّون الله"[٧].

قال الحسن:"هذا والله أبو بكر وأصحابه"[٨].

قال ابن عباس:" إنه وعيد من الله أنه من ارتد منهم سنستبدل بهم خيرا منهم"[٩].

قال الطبري:أي:" فلن يضر الله شيئا، فسوف يجيء الله بدلا منهم، بقومٍ خير من الذين ارتدُّوا وابدَّلوا دينهم، يحبهم الله ويحبون الله، وكان هذا الوعيد من الله لمن سبق في علمه أنه

---

(١) انظر: المحرر الوجيز:٢٠٧/٢.

(٢) التفسير الميسر:١١٧.

(٣) تفسير الطبري:٤٠٩/١٠.

(٤) صفوة التفاسير:٣٢٣.

(٥) تفسير الطبري:٤٠٩/١٠.

(٦) الوجيز:٣٢٤.

(٧) انظر: صفوة التفاسير:٣٢٣، و التفسير الميسر:١١٧.

(٨) انظر: تفسير الطبري(١٢١٧٨):ص٤١١/١٠.

(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٥٣٦):ص١١٦٠/٤.

سيرتدُّ بعد وفاةِ نبيّه محمد صلى الله عليه وسلم. وكذلك وعدُه من وعدَ من المؤمنين ما وعدَه في هذه الآية، لمن سبق له في علمه أنه لا يبدّل ولا يغير دينه، ولا يرتدّ. فلما قَبَض الله نبيَّه صلى الله عليه وسلم، ارتدّ أقوام من أهل الوبَر، وبعضُ أهل المَدَر، فأبدل الله المؤمنين بخيرٍ منهم كما قال تعالى ذكره، ووفى للمؤمنين بوعده، وأنفذ فيمن ارتدَّ منهم وعيدَه"(١).

قال الواحدي:" أخبرهم تعالى أنَّه سـ{يأتي اللَّهُ بقوم يحبهم ويحبونه}، وهم أبو بكر رضي الله عنه وأصحابه الذين قاتلوا أهل الرِّدة"(٢).

قال الزمخشري:" محبة العباد لربهم طاعته وابتغاء مرضاته، وأن لا يفعلوا ما يوجب سخطه وعقابه، ومحبة الله لعباده أن يثيبهم أحسن الثواب على طاعتهم ويعظمهم ويثنى عليهم ويرضى عنهم "(٣).

عن محمد بن كعب: "أن عمر بن عبد العزيز أرسل إليه يومًا، وعمر أمير المدينة يومئذ، فقال: يا أبا حمزة، آية أسهرتني البارحة! قال محمدٌ: وما هي، أيها الأمير ؟ قال: قول الله: {يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه}، حتى بلغ: {ولا يخافون لومة لائم}، فقال محمد: أيها الأمير، إنما عنى الله بالذين آمنوا، الولاةَ من قريش، من يرتدَّ عن الحق"(٤).

قال قتادة:" أنزل الله هذه الآية وقد علم أن سيرتدُّ مرتدُّون من الناس، فلما قبض الله نبيَّه محمدًا صلى الله عليه وسلم، ارتدّ عامة العرب عن الإسلام إلا ثلاثة مساجد: أهل المدينة، وأهل مكة، وأهل البحرين من عبد القيس قالوا: نصلي ولا نزكّي، والله لا تُغصب أموالنا! فكُلِّم أبو بكر في ذلك فقيل له: إنهم لو قد فُقِّهوا لهذا أعطوها أو: أدَّوها، فقال: لا والله، لا أفرق بين شيء جمع الله بينه، ولو منعوا عِقالا مما فرضَ الله ورسوله لقاتلناهم عليه! فبعث الله عصابة مع أبي بكر، فقاتل على ما قاتل عليه نبيّ الله صلى الله عليه وسلم، حتى سبَى وقتل وحرق بالنيران أناسًا ارتدّوا عن الإسلام ومنعوا الزكاة، فقاتلهم حتى أقرّوا بالماعون وهي الزكاة صَغرة أقمياء، فأتته وفود العرب، فخيَّرهم بين خُطَّة مخزية أو حرب مُجْلية. فاختاروا الخطة المخزية، وكانت أهون عليهم أن يقرُّوا: أن قتلاهم في النار، وأن قتلى المؤمنين في الجنة، وأن ما أصابوا من المسلمين من مال ردّوه عليهم، وما أصاب المسلمون لهم من مال فهو لهم حلال"(٥).

وفي وفي المراد بهؤلاء القوم أقوال:

أحدها: أنهم أبو بكر وأصحابه رضي الله عنهم الذين قاتلوا معه أهل الردة، قاله: علي(٦)، والحسن(٧)، وابن جريج(٨)، والضحاك(٩).

قال أنس بن مالك رضي الله عنه: كرهت الصحابة قتال مانعي الزكاة وقالوا: أهل القبلة، فتقلد أبو بكر سيفه وخرج وحده، فلم يجدوا بدا من الخروج على أثره"(١٠).

قال ابن مسعود: كرهنا ذلك في الابتداء ثم حمدناه عليه في الانتهاء"(١١).

والثاني: أبو بكر، وعمر، روي عن الحسن، أيضا(١٢).

---

(١) صفوة التفاسير:٣٢٣.
(٢) الوجيز:٣٢٤.
(٣) الكشاف:٦٤٦/١-٦٤٧.
(٤) اخرجه الطبري(١٢١٧٧):٤١٠/١٠.
(٥) أخرجه الطبري(١٢١٨٤):ص٤١٢/١٠-٤١٣.
(٦) انظر: تفسير الطبري(١٢١٨٦):ص٤١٣/١٠-٤١٤.
(٧) انظر: تفسير الطبري(١٢١٧٨)(١٢١٨٢):ص٤١١/١٠-٤١٢.
(٨) انظر: تفسير الطبري(١٢١٨٥):ص٤١٣/١٠.
(٩) انظر: تفسير الطبري(١٢١٨٣):ص٤١٢/١٠.
(١٠) ذكره الواحدي في التفسير البسيط:٤٢٨/٧-٤٢٩، والبغوي في تفسيره:٦٩/٣، وابن الجوزي في زاد المسير:٥٥٩/١.
(١١) انظر: تفسير البغوي:٧٠/٣.
(١٢) انظر: زاد المسير:٥٦٠/١.

والثالث: أنهم قوم أبي موسى الأشعري من أهل اليمن، لأنه كان لهم في نصرة الإسلام أثر حسن. وهذا قول عياض الأشعري(١)، ومجاهد(٢)، وشريح بن عبيد(٣).

عن عياض الأشعري قال:"لما نزلت هذه الآية:{يا أيها الذين آمنوا من يرتدّ منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه}، قال: أومأ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلى أبي موسى بشيء كان معه، فقال: هم قومُ هذا!"(٤).

قال شريح:" لما أنزل الله:{يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه}، إلى آخر الآية، قال عمر:أنا وقومي هم، يا رسول الله ؟ قال:«لا بل هذا وقومه!» يعني: أبا موسى الأشعري"(٥).

والرابع: أنهم أهل اليمن، وهذا قول ابن عباس(٦)، ومجاهد(٧)، ومحمد بن كعب القرظي(٨)، وشهر بن حوشب(٩).

قال ابن عباس:"هؤلاء قوم من أهل اليمن، ثم من كندة، ثم من السكون، ثم من تجيب"(١٠).

قال ابن كثير:" وهذا حديث غريب جدا"(١١).

عن أبي صخر، عن محمد بن كعب القرظي: "أن عمر بن عبد العزيز أرسل إليه يومًا، وهو أمير المدينة، يسأله عن ذلك: فقال محمد: {يأتي الله بقوم}، وهم أهل اليمن! قال عمر: يا ليتني منهم! قال: آمين!" (١٢).

والخامس: أنهم الأنصار، قاله السدي(١٣).

والسادس: انهم أهل القادسية. قاله أبو بكر بن عياش(١٤).

والسابع: المهاجرون والأنصار، ذكره أبو سليمان الدمشقي(١٥).

والثامن: أنهم الفرس؛ ذكره الثعلبي(١٦)، والسمعاني(١٧)، والزمخشري(١٨)، والرازي(١٩)، وغيرهم.

---

(١) انظر: تفسير الطبري(١٢١٨٨)-(١٢١٩٣):ص١٠/٤١٣-٤١٦.

(٢) انظر: زاد المسير:١/٥٦٠.

(٣) انظر: تفسير الطبري(١٢١٩٤):ص١٠/٤١٦.

(٤) أخرجه الطبري(١٢١٨٨):ص١٠/٤١٤-٤١٥.

(٥) أخرجه الطبري(١٢١٩٤):ص١٠/٤١٦.

(٦) رواه ابن ابي حاتم في رواية سعيد بن جبير عنه كما في تفسير ابن كثير:٣/١٣٥-١٣٦، و في رواية الضحاك عنه، كما في زاد المسير:١/٥٦٠.

(٧) انظر: تفسير الطبري(١٢١٩٥)-(١٢١٩٧):ص١٠/٤١٧، وتفسير ابن ابي حاتم(٦٥٤٠):ص٤/١١٦١، وتفسير مجاهد:٣١١.

(٨) انظر: تفسير الطبري(١٢١٩٩):ص١٠/٤١٧.

(٩) انظر: تفسير الطبري(١٢١٩٨):ص١٠/٤١٧.

(١٠)رواه ابن ابي حاتم في رواية سعيد بن جبير عنه كما في تفسير ابن كثير:٣/١٣٥-١٣٦، ورواه الطبراني في المعجم الأوسط برقم (٣٣١٢) "مجمع البحرين".

(١١)تفسير ابن كثير:٣/١٣٦ .

(١٢) أخرجه الطبري(١٢١٩٩):ص١٠/٤١٧.

(١٣) انظر: تفسير الطبري(١٢٢٠٠):ص١٠/٤١٧-٤١٨.

(١٤) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٦٥٣٩):ص٤/١١٦١.

(١٥) انظر: زاد المسير:١/٥٦٠.

(١٦)انظر: تفسير الثعلبي:٤/٧٩.

(١٧) انظر: تفسير السمعاني:٥/١٨٧.

(١٨) انظر: الكشاف:١/٦٤٦.

(١٩) انظر: مفاتيح الغيب:١٢/٣٧٨.

وذكروا أن النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - لما سئل عن هذه الآية ضرب يده على عاتق سلمان الفارسي وقال: «هذا وذووه،»، ثم قال: «لو كان الدين معلقا بالثريا لتناوله ناس من أبناء فارس»(١).

قال الشيخ ولي الدين العراقي: "لم أقف عليه هكذا، ولعله وهم، وإنما ورد ذلك في قوله تعالى آخر سورة القتال:{وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ} [محمد: ٣٨]، أخرجه الترمذي من حديث أبي هريرة"(٢).

والتاسع: وقالت الإمامية: نزلت في علي رضي الله عنه وكرم الله وجهه وشيعته يوم وقعة الجمل وصفين، وعنهم أنهم المهدي ومن يتبعه. ذكره الرازي(٣)، والنيسابوري(٤)، والآلوسي(٥)، وغيرهم.

قال الآلوسي:" ولا سند لهم في ذلك إلا مروياتهم الكاذبة"(٦).

وقال الرازي:" ويدل عليه وجهان:

الأول: أنه عليه السلام لما دفع الراية إلى علي عليه السلام يوم خيبر قال: «لأدفعن الراية غدا إلى رجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله»(٧)، وهذا هو الصفة المذكورة في الآية.

والوجه الثاني: أنه تعالى ذكر بعد هذه الآية قوله:{إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون} [المائدة: ٥٥]، وهذه الآية في حق علي، فكان الأولى جعل ما قبلها أيضا في حقه"(٨).

قال الإمام الطبري:" وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب، ما رُوي به الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنهم أهل اليمن، قوم أبي موسى الأشعري. ولولا الخبر الذي روي في ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخبر الذي روي عنه، ما كان القول عندي في ذلك إلا قول من قال: هم أبو بكر وأصحابه، وذلك أنه لم يقاتل قومًا كانوا أظهروا الإسلام على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ارتدوا على أعقابهم كفارًا، غير أبي بكر ومن كان معه ممن قاتل أهل الردة معه بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم. ولكنا تركنا القول في ذلك للخبر الذي رُوي فيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنْ كان صلى الله عليه وسلم مَعْدِن البيان عن تأويل ما أنزل الله من وحيه وآي كتابه"(٩).

قال الراغب:" وقيل: هى فيمن ارتد في زمن أبي بكر - رضي الله عنه -، وقيل: فيمن كانوا مع النبي - صلى الله عليه وسلم -، والأظهر أنه فيهم وفي غيرهم، وأنه وعد تعالى أنه

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة(٣٢٥١٥):ص٤١٥/٦، من حديث أبى هريرة، ورواه الطبراني في المعجم الكبير (١٠٤٧٠):ص٢٠٤/١٠، من حديث ابن مسعود، ومجمع الزوائد(١٦٦٨٨)ص: ١٠/ ٦٥.
قال الهيثمي: "وفيه محمد بن الحجاج اللخمي، وهو كذاب".

(٢) نواهد الأبكار وشوارد الافكار:٢٧٩/٣.
ونص الحديث:" عن أبي هريرة، أنه قال: قال ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله، من هؤلاء الذين ذكر الله إن تولينا استبدلوا بنا ثم لا يكونوا أمثالنا؟ قال: وكان سلمان بجنب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فخذ سلمان قال: «هذا وأصحابه، والذي نفسي بيده لو كان الإيمان منوطا بالثريا لتناوله رجال من فارس» ".
انظر: سنن الترمذي(٣٢٦١):ص٢٣٧/٥، وقال: "هذا حديث غريب، وفي إسناده مقال، وقد روى عبد الله بن جعفر أيضا هذا الحديث عن العلاء بن عبد الرحمن"، والطبري: ٢٢ / ١٩٣، والحاكم: ٢ / ٤٥٨ وصححه، وعبد الرزاق في المصنف: ١١ / ٦٦، والمصنف في شرح السنة: ١٤ / ٢٠٠. وعزاه السيوطي في الدر المنثور: ٧ / ٥٠٦ لعبد بن حميد، وابن أبي حاتم، والطبراني في الأوسط، والبيهقي في الدلائل.

(٣) انظر: مفاتيح الغيب:٣٧٨/١٢.

(٤) انظر: تفسير النيسابوري:٦٠٤/٢.

(٥) انظر: روح المعاني:٢٣٠/٣.

(٦) روح المعاني:٣٢٠/٣.

(٧) فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل(١٠٥٦):ص٦١٨/٢، والسنن الكبرى للنسائي(٨٣٤٤):ص٤١١/٧.

(٨)مفاتيح الغيب:٣٧٨/١٢..

(٩) تفسير الطبري:٤١٩/١٠.

يحفظ دينهم بقوم رضي الله عنهم ورضوا عنه، ويتحرى مرضاتهم ويتحروا مرضاته، وذلك كقوله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ(٣٨) {إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [التوبة:٣٨- ٣٩] "(١).

قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم، وحمزة، والكسائي:«يرتد»، بإدغام الدال الأولى في الأخرى، وقرأ نافع، وابن عامر: «يرتدد»، بدالين(٢).

قال الزجاج: وأما:«من يرتدد» فهو الأصل، لأن التضعيف إذا سكن الثاني من المضعفين ظهر التضعيف، نحو قوله: {إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ} [آل عمران: ١٤٠]، ولو قرئت: إن يمسكم قرح، كان صوابا، ولكن لا تقرأن به لمخالفته المصحف، ولأن القراءة سنة"(٣).

قوله تعالى {أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ} [المائدة: ٥٤]، أي:" أي رحماء متواضعين للمؤمنين أشداء متعززين على الكافرين"(٤).

عن ابن عباس قوله: "{أذلة على المؤمنين}، يعني: بالأذلة الرحمة"(٥).

عن مجاهد:"{أعزة على الكافرين}، أشداء عليهم"(٦).

قال الواحدي:" {أذلة على المؤمنين} كالولد لوالده والعبد لسيِّده، {أعزة على الكافرين} غلاظٍ عليهم كالسَّبع على فريسته"(٧).

قال الراغب:" {أذلة على المؤمنين}، أي: ليني الجانب على المؤمنين"(٨).

قال ابن كثير:" هذه صفات المؤمنين الكُمَّل أن يكون أحدهم متواضعًا لأخيه ووليه، متعززًا على خصمه وعدوه، كما قال تعالى: { مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ } [الفتح: ٢٩]. وفي صفة النبي صلى الله عليه وسلم أنه: "الضحوك القتال" فهو ضحوك لأوليائه قتال لأعدائه"(٩).

قال الزمخشري:" أذلة جمع ذليل. وأما ذلول فجمعه ذلل. ومن زعم أنه من الذل الذي هو نقيض الصعوبة، فقد غبي عنه أن ذلولا لا يجمع على أذلة. فإن قلت: هلا قيل أذلة للمؤمنين أعزة على الكافرين؟ قلت: فيه وجهان، أحدهما أن يضمن الذل معنى الحنو والعطف «كأنه قيل: عاطفين عليهم على وجه التذلل والتواضع. والثاني: أنهم مع شرفهم وعلو طبقتهم وفضلهم على المؤمنين خافضون لهم أجنحتهم. ونحوه قوله عز وجل: { أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ } [الفتح: ٢٩]"(١٠).

وقرئ:«أذلة»، «وأعزة»، بالنصب على الحال(١١).

قوله تعالى:{يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ} [المائدة: ٥٤]، أي:" يجاهدون لإعلاء كلمة الله ولا يبالون بمن لامهم، فهم صلاب في دين الله لا يخافون في ذات الله أحداً"(١٢).

قال مجاهد:" يسارعون في الحرب"(١٣).

---

(١) تفسير الراغب الأصفهاني:٣٨٠/٤.
(٢) انظر: السبعة في القراءات:٢٤٥، وزاد المسير:٥٥٩/١.
(٣) معاني القرآن:٢/!٨٢.
(٤)صفوة التفاسير:٣٢٣.
(٥) اخرجه ابن أبي حاتم(٦٥٤١):ص١١٦١/٤.
(٦) اخرجه ابن أبي حاتم(٦٥٤٣):ص١١٦١/٤.
(٧) الوجيز:٣٢٤.
(٨) تفسير الراغب الأصفهاني:٣٨٠/٤.
(٩) تفسير ابن كثير:١٣٦/٣.
(١٠) الكشاف:٦٤٨/١.
(١١) انظر: الكشاف:٦٤٨/١.
(١٢) صفوة التفاسير:٣٢٣.
(١٣) اخرجه ابن أبي حاتم(٦٥٤٤):ص١١٦١/٤.

قال السمعاني:" يعني: لا يخافون في الله لوم الناس"[1].

قال ابن كثير:" أي: لا يردهم عما هم فيه من طاعة الله، وقتال أعدائه، وإقامة الحدود، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لا يردهم عن ذلك راد، ولا يصدهم عنه صاد، ولا يحيك فيهم لوم لائم ولا عذل عاذل[2].

قال الزمخشري:" يحتمل أن تكون الواو للحال، على أنهم يجاهدون وحالهم في المجاهدة خلاف حال المنافقين، فإنهم كانوا موالين لليهود- لعنت- فإذا خرجوا في جيش المؤمنين خافوا أولياءهم اليهود، فلا يعملون شيئا مما يعلمون أنه يلحقهم فيه لوم من جهتهم. وأما المؤمنون فكانوا يجاهدون لوجه الله لا يخافون لومة لائم قط. وأن تكون للعطف، على أن من صفتهم المجاهدة في سبيل الله، وأنهم صلاب في دينهم، إذا شرعوا في أمر من أمور الدين إنكار منكر أو أمر بمعروف، مضوا فيه كالمسامير المحماة، لا يرعبهم قول قائل ولا اعتراض معترض ولا لومة لائم، يشق عليه جدهم في إنكارهم وصلابتهم في أمرهم. واللومة: المرة من اللوم، وفيها وفي التنكير مبالغتان كأنه قيل: لا يخافون شيئا قط من لوم أحد من اللوام"[3].

قال القرطبي: قوله { ولا يخافون لومة لائم}، أي: بخلاف المنافقين يخافون الدوائر، فدل بهذا على تثبيت إمامة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم، لأنهم جاهدوا في الله عز وجل في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقاتلوا المرتدين بعده، ومعلوم أن من كانت فيه هذه الصفات فهو ولي لله تعالى. وقيل: الآية عامة في كل من يجاهد الكفار إلى قيام الساعة"[4].

قال أبو ذر:" أمرني خليلي صلى الله عليه وسلم بسبع، أمرني بحب المساكين والدنو منهم، وأمرني أن أنظر إلى من هو دوني، ولا أنظر إلى من هو فوقي، وأمرني أن أصل الرحم وإن أدبرت، وأمرني أن لا أسأل أحدًا شيئًا، وأمرني أن أقول الحق وإن كان مرًا، وأمرني ألا أخاف في الله لومة لائم، وأمرني أن أكثر من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله، فإنهن من كنز تحت العرش"[5].

وفي رواية اخرى عن ابي ذر أيضا:" بايعني رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خمسا وواثقني سبعًا، وأشهد الله على تسعًا، أني لا أخاف في الله لومة لائم. قال أبو ذر: فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "هل لك إلى بيعة ولك الجنة ؟" قلت: نعم، قال: وبسطت يدي، فقال النبي صلى الله عليه وسلم وهو يشترط: على ألا تسأل الناس شيئا ؟ قلت: نعم قال: "ولا سوطك وإن سقط منك يعني: تنزل إليه فتأخذه"[6].

عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ألا لا يمنعن أحدكم رَهْبةُ الناس أن يقول بحق إذا رآه أو شهده، فإنه لا يقرب من أجل، ولا يُبَاعد من رزق أن يقول بحق أو يذكر بعظيم"[7].

وعن أبي سعيد الخدري أيضا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله ليسأل العبد يوم القيامة، حتى إنه ليسأله يقول له: أيْ عبدي، رأيت منكرًا فلم تنكره ؟ فإذا لَقَّن الله عبدًا حجته، قال: أيْ رب، وثقت بك وخفت الناس"[8].

---

(١) تفسير السمعاني:٤٧/٢.
(٢) تفسير ابن كثير:١٣٦/٣.
(٣) الكشاف:٦٤٨/١.
(٤) تفسير القرطبي:٢٢٠/٦-٢٢١.
(٥)المسند (١٥٩/٥).
(٦)المسند (١٧٢/٥).
(٧)المسند (٥٠/٣).
(٨)المسند (٧٧/٣) وسنن ابن ماجة برقم (٤٠١٧) وقال البوصيري في الزوائد (٢٤٤/٣) : "هذا إسناد صحيح".

وعنه-صلى الله عليه وسلم-: "ما ينبغي لمؤمن أن يذل نفسه"، قالوا: وكيف يذلّ نفسه يا رسول الله ؟ قال: "يتحمل من البلاء ما لا يطيق"(١).

قوله تعالى:{ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ} [المائدة: ٥٤]، أي:" ذلك الإنعام مِن فضل الله يؤتيه من أراد"(٢).

قال السدي:" يختص به من يشاء"(٣).

قال ابن كثير:" أي: من اتصف بهذه الصفات، فإنما هو من فضل الله عليه، وتوفيقه له"(٤).

قال الواحدي:" أيْ: محبَّتهم لله عز وجل ولين جانبهم للمسلمين وشدَّتهم على الكفَّار بفضلٍ من الله عليهم"(٥).

قال الزمخشري:" و{ذلك }،إشارة إلى ما وصف به القوم من المحبة والذلة والعزة والمجاهدة وانتفاء خوف اللومة، {يؤتيه}، يوفق له {من يشاء}، ممن يعلم أن له لطفا"(٦).

قوله تعالى:{وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} [المائدة: ٥٤]، أي:" والله واسع الفضل، عليم بمن يستحقه من عباده"(٧).

قال ابن كثير:" أي: واسع الفضل، عليم بمن يستحق ذلك ممن يَحْرمه إياه"(٨).

قال القرطبي:" أي واسع الفضل، عليم بمصالح خلقه"(٩).

قال الزمخشري:" {واسع}: كثير الفواضل والألطاف، {عليم}: بمن هو من أهلها"(١٠).

الفوائد:

١- بيان الله سبحانه لأولياء الله وتفريقه بينهم وبين المتشبهين بهم من أعداء الله المنافقين والفجار.

٢-الآية تدل على اشتراط المحبة في شهادة أن لا إله إلا الله التي لاتنفع قائلها إلا باجتماعها فيه(١١)، ومنه قوله-صلى الله عليه وسلم-:" «ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار»(١٢).

٣- فضيلة أبي بكر والصحابة والأشعريين قوم أبي موسى الأشعري وهم من أهل اليمن.

٤- فضل حب الله والتواضع للمؤمنين وإظهار العزة على الكافرين، وفضل الجهاد في سبيل الله وقول الحق والثبات عليه وعدم المبالاة بمن يلوم ويعذل في ذلك.

---

(١)رواه الترمذي في السنن برقم (٢٢٥٤) وابن ماجة في السنن برقم (٤٠١٦).
قال الترمذي : "حديث حسن غريب". وفي إسناده علي بن زيد بن جدعان ضعيف.

(٢) التفسير الميسر:١١٧.

(٣) اخرجه ابن أبي حاتم(٦٥٤٥):ص١١٦٢/٤.

(٤) تفسير ابن كثير:١٣٧/٣.

(٥) الوجيز:٣٢٤.

(٦) الكشاف:٦٤٨/١.

(٧) التفسير الميسر:١١٧.

(٨) تفسير ابن كثير:١٣٧/٣.

(٩) تفسير القرطبي:٣٢١/٦.

(١٠) الكشاف:٦٤٨/١.

(١١)شروطها سبعة: الأول: العلم بمعناها نفيا وإثباتا. الثاني: استيقان القلب بها، الثالث: الانقياد لها ظاهرا وباطنا. الرابع: القبول لها فلا يرد شيئا من لوازمها ومقتضياتها. الخامس: الإخلاص فيها. السادس: الصدق من صميم القلب لا باللسان فقط. السابع: المحبة لها ولأهلها، والموالاة والمعاداة لأجلها.[انظر: أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة:١٠].

(١٢)رواه البخاري (١٦، ٢١، ٦٩٤١) ، ومسلم (الإيمان / ٦٧، ٦٨).

٤- أرشدت هاته الآية إلى آية الصدق في دعوى حب العبد ربه، وأثبتت لهؤلاء المحبين أربع صفات على النحو الآتي(١):

- الوصف الأول: أنهم أذلة على المؤمنين فلا يحاربونهم ولا يقفون ضدهم ولا ينابذونهم.
- الوصف الثاني: أنهم أعزة على الكافرين أي أقوياء عليهم غالبون لهم.
- الوصف الثالث: أنهم يجاهدون في سبيل الله أي يبذلون الجهد في قتال أعداء الله لتكون كلمة الله هي العليا.
- الوصف الرابع: أنهم لا يخافون في الله لومة لائم. أي إذا لامهم أحد على ما قاموا به من دين الله لم يخافوا لومته، ولم يمنعهم ذلك من القيام بدين الله ع وجل.

ومجموع ما أفادته من صفات هي الدلائل على صدق المحبة لله، وهي: اتباع الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، والتراحم مع الإخوان في الدين، والشدة على الأعداء فيه، والقيام بكل ما يؤيد الدين، وعدم التقصير في الصدع بالحق مراعاة للناس.

٥- ومنها: إثبات اسمين من أسماء الله. وهما «الواسع»، و«العليم»:

- «الواسع»: هو الغني الذي وسع غناه مفاقر عباده ووسع رزقه جميع خلقه. والسعة في كلام العرب: الغنى.

ويقال: الله يعطي عن سعة، أي: عن غنى، ومن هذا قول الشاعر(٢):

رعاك ضمان الله يا أم مالك ... ولله عن يشقيك أغنى وأوسع (٣)

- و«العليم»: من أسمائه -عزّ وجل-، والعِلمُ صفةٌ ذاتية ثابتةٌ لله عَزَّ وجلَّ، فهو سبحانه «العليم»المحيط علمه بكل شيء، فلا يخفى عليه شيء من الأشياء(٤).

قال الخطابي:" «العليم»: هو العالم بالسرائر والخفيات التي لا يدركها علم الخلق. كقوله تعالى: {إنه عليم بذات الصدور} [لقمان:٢٣]. وجاء على بناء فعيل للمبالغة في وصفه بكمال العلم، ولذلك قال -سبحانه-: {وفوق كل ذي علم عليم} [يوسف:٧٦]. والآدميون -وإن كانوا يوصفون بالعلم- فإن ذلك ينصرف منهم إلى نوع من المعلومات، دون نوع، وقد يوجد ذلك منهم في حال دون حال، وقد تعترضهم الآفات فيخلف علمهم الجهل، ويعقب ذكرهم النسيان، وقد نجد الواحد منهم عالما بالفقه غير عالم بالنحو وعالما بهما غير عالم بالحساب وبالطب ونحوهما من الأمور، وعلم الله -سبحانه- علم حقيقة، وكمال {قد أحاط بكل شيء علما} [الطلاق:١٢]، {وأحصى كل شيء عددا} [الجن: ٢٨]"(٥).

القرآن

{إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (٥٥)} [المائدة: ٥٥]

التفسير:

---

(١) انظر: شرح كشف الشبهات، للشيخ ابن عثيمين:١٣٧، ورسالة الشرك ومظاهره:٢٦٧.

(٢)البيت في أسماء الله الحسنى للزجاج ص ٥٢. ومع آخر بعده: يذكرنيك الخير والشر والذي ... أخاف وأرجو والذي أتوقع في الحماسة بشرح المرزوقي ٣/ ١٣١٦، والتبريزي ٣/ ٢٧٠، وفي البيان والتبيين ٣/ ٣٣٠، والحيوان ٧/ ١٤٨، نسبهما لأعرابي من هذيل. ولم أجدهما في أشعارهم والبيت الشاهد يروى: يسقيك، من السقيا. ويشقيك: من الشقاء.

وجاء الرواية في المرزوقي بالفاء -من الشفاء- وأظنها تصحيف لأن التبريزي نقله عنه بالسين المهملة. ويروى أيضا: "أن، وعن يشقيك" وإبدال الهمزة عينا لغة معروفة لبني تميم، وتسمى هذه اللغة: عنعنة تميم. قال ذو الرمة:

أعن ترسمت من خرقاء منزلة ... ماء الصبابة من عينيك مسجوم

انظر ديوانه ١/ ٣٧١، والبيت مطلع قصيده طويلة أبياتها (٨٤) بيتا.

(٣) انظر: شأن الدعاء:٧٢/١.

(٤) انظر: شرح العقيدة الواسطية، لابن عثيمين:١٨٨/١.

(٥) شأن الدعاء:٥٧.

إنما ناصركم -أيُّها المؤمنون- الله ورسوله، والمؤمنون الذين يحافظون على الصلاة المفروضة، ويؤدون الزكاة عن رضا نفس، وهم خاضعون لله.

اختلف فيمن نزلت الآية على خمسة أقوال:

أحدها: انها نزلت في علي-رضي الله عنه- تصدق علي بخاتمه وهو راكع. وهذا قول ابن عباس(١)، ومجاهد(٢)، وعتبة بن أبي حكيم(٣)، وسلمة بن كهيل(٤)، ومقاتل(٥).

والثاني: قال جابر بن عبد الله: "جاء عبد الله بن سلام إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: يا رسول الله إن قوما من قريظة والنضير قد هاجرونا وفارقونا وأقسموا أن لا يجالسونا، ولا نستطيع مجالسة أصحابك لبعد المنازل، وشكى ما يلقى من اليهود، فنزلت هذه الآية، فقرأها عليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: رضينا بالله وبرسوله وبالمؤمنين أولياء"(٦). وروي عن الكلبي نحوه(٧).

والثالث: أن عبادة بن الصامت لما تبرأ من حلفائه اليهود نزلت هذه الآية في حقه،وهذا قول عبادة بن الوليد(٨)، وعطية العوفي(٩).

---

(١) روي عنه قي ذلك ثلاثة روايات:

أحدها:- روي عنه:" نزلت في علي بن أبي طالب". أخرجه عبد الرزاق؛ كما في "تفسير القرآن العظيم" (٢/ ٧٤): ثنا عبد الوهاب بن مجاهد عن أبيه عن ابن عباس به.

قلنا: وسنده ضعيف جداً؛ عبد الوهاب هذا متروك الحديث.

وقال ابن كثير: "عبد الوهاب بن مجاهد لا يحتج به".

وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ١٠٥) وزاد نسبته لعبد بن حميد والطبري -ولم نجده فيه- وأبي الشيخ وابن مردويه.

والثاني: وفي رواية أخرى عن ابن عباس:" كان علي بن أبي طالب قائماً يصلي، فمر سائل وهو راكع فأعطاه خاتمة؛ فنزلت: {إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ }".

أخرجه ابن مردويه في "تفسيره"؛ كما في "تفسير القرآن العظيم" (٢/ ٧٤)، و"تخريج أحاديث الكشاف" (٢/ ٤٠٩) من طريق الثوري عن أبي سنان عن الضحاك عن ابن عباس به.

قال الزيلعي في "تخريج الكشاف": "وفيه انقطاع؛ فإن الضحاك لم يلق ابن عباس".

وقال ابن كثير: "الضحاك لم يلق ابن عباس"؛ وهو كما قالا؛ فالأثر ضعيف.

والثالث: وفي رواية أخرى عن ابن عباس ايضا:" نزلت في المؤمنين وعلي بن أبي طالب أولهم".

أخرجه ابن مردويه في "تفسيره"؛ كما في "تفسير القرآن العظيم" (٢/ ٧٤) من طريق ميمون بن مهران عنه به.

قلنا: وسنده ضعيف.

(٢) انظر: تفسير الطبري(١٢٢١٤):ص٤٢٦/١٠. فيه غالب بن عبيد الله العقيلي الجزري ، منكر الحديث متروك. مترجم في لسان الميزان ، والكبير للبخاري ١٠١/١/٤ ، وابن أبي حاتم ٤٨/٢/٣، وفيه أيضا عبد العزيز؛ وهو متروك.

(٣) انظر: تفسير الطبري(١٢٢١٣):ص٤٢٦/١٠.[عتبة بن أبي حكيم الهمداني ، ثم الشعباني ، أبو العباس الأردني. ضعفه ابن معين ، وكان أحمد يوهنه قليلا ، وذكره ابن حبان في الثقات. مترجم في التهذيب، وفيه إسناده أيوب بن سويد؛ وهو ضعيف؛ كما في ترجمته في "التهذيب" (١/ ٤٠٦)، و"الميزان" (١/ ٢٨٧، ٢٨٨)]

(٤)أخرجه ابن أبي حاتم في "تفسيره" (٤/ ١١٦٢ رقم ٦٥٥١) من طريق موسى بن قيس الحضرمي عن سلمة به.

قلنا: وهذا سند ضعيف؛ لإعضاله، وموسى رمي بالتشبيع وهذا الحديث منقبة لعلي.

وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ١٠٥) وزاد نسبته لأبي الشيخ وابن عساكر.

(٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٤٨٥/١-٤٨٦. ومقاتل شيعي زيدي، فيؤخذ كلامه فى مدح علي بتحفظ.

(٦) أسباب النزول للواحدي:١٩٩.

(٧) انظر: أسباب النزول للواحدي:١٩٩-٢٠٠. إسناده مظلم، كما تقدم، وهذه هي سلسلة الكذب كما سماها السيوطي، ومتنه غريب جدا.

(٨) انظر: تفسير الطبري(١٢٢٠٧):ص٤٢٤/١٠-٤٢٥.

(٩) انظر: تفسير الطبري(١٢٢٠٨):ص٤٢٥/١٠، و مصنف ابن أبي شيبة(١٢٣٥١):ص (١٢/ ١٣٧، ابن أبي حاتم(٦٥٥٢):ص ٤/ ١١٦٣.

وسنده ضعيف؛ فيه علتان:

والرابع: أنها نزلت في أبي بكر الصديق، قاله ابن عباس أيضا[١]، وعكرمة[٢].
والخامس: أنها نزلت فيمن مضى من المسلمين ومن بقي منهم، قاله الحسن[٣].

قال ابن كثير:" قد تقدم في الأحاديث التي أوردنا أن هذه الآيات كلها نزلت في عبادة بن الصامت، رضي الله عنه، حين تبرأ من حلف يَهُود، ورضي بولاية الله ورسوله والمؤمنين"[٤].

قوله تعالى:{إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا} [المائدة: ٥٥]، أي:"إنما ناصركم -أيُّها المؤمنون- الله ورسوله والمؤمنون"[٥].

قال ابن عباس:" يعني: إنه من أسلم تولاه الله ورسوله والذين آمنوا"[٦].

قال الطبري:أي:" ليس لكم، أيها المؤمنون، ناصر إلا الله ورسوله"[٧].

قال ابن كثير:"أي:ليس اليهود بأوليائكم، بل ولايتكم راجعة إلى الله ورسوله والمؤمنين"[٨].

قال المراغي:" أي لا ولى لكم أيها المؤمنون ولا ناصر ينصركم إلا الله ورسوله والمؤمنون الصادقون"[٩].

قال الزمخشري:" عقب النهى عن موالاة من تجب معاداتهم ذكر من تجب موالاتهم بقوله تعالى:{إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا}، ومعنى «إنما» وجوب اختصاصهم بالموالاة"[١٠].

قال أبو السعود:" لما نهاهم الله عز وجل عن موالاة الكفرة وعلله بأن بعضهم أولياء بعض لا يتصور ولايتهم للمؤمنين وبين أن من يتولاهم يكون من جملتهم بين ههنا من هو وليهم بطريق قصر الولاية عليه كأنه قيل لا تتخذوهم أولياء لأن بعضهم أولياء بعض وليسوا بأوليائكم إنما أوليائكم الله ورسوله والمؤمنون فاختصوهم بالموالاة ولا تتخطوهم إلى غيرعم وإنما أفرد الولي مع تعدده للإيذان بأن الولاية أصالة لله تعالى وولايته عليه السلام وكذا ولاية المؤمنين بطريق التبعية لولايته عز وجل"[١١].

قال السعدي:" فولاية الله تدرك بالإيمان والتقوى. فكل من كان مؤمنا تقيا كان لله وليا، ومن كان وليا لله فهو ولي لرسوله، ومن تولى الله ورسوله كان تمام ذلك تولي من تولاه، وهم المؤمنون الذين قاموا بالإيمان ظاهرا وباطنا، فأداة الحصر في قوله {إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا} تدل على أنه يجب قصر الولاية على المذكورين، والتبري من ولاية غيرهم "[١٢].

قال البيضاوي:" الولاية لله أصل ولغيره تبع ولو قيل إنما أولياؤكم الله ورسوله والذين آمنوا لم يكن في الكلام أصل وتبع ومحل"[١٣].

قال التستري:" ولا تتم الولاية من الله تعالى إلا بالتبري ممن سواه"[١٤].

الأولى: الإرسال.
الثانية: عطية؛ صدوق يخطئ كثيراً، وكان شيعياً مدلساً.
(١) انظر: تفسير الثعلبي:٨١/٤، وتفسير القرطبي:٢٢١/٦.
(٢) انظر: زاد المسير:٥٦١/١. ولم أقف عليه.
(٣) انظر: زاد المسير:٥٦١/١. ولم أقف عليه.
(٤) تفسير ابن كثير:١٣٩/٣.
(٥) التفسير الميسر:١١٧.
(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٥٤٦):ص١١٦٢/٤.
(٧) تفسير الطبري:٤٢٤/١٠.
(٨) تفسير ابن كثير:١٣٧/٣.
(٩) تفسير المراغي:١٤٣/٦.
(١٠) الكشاف:٦٤٨/١.
(١١) تفسير أبي السعود:٥٢/٣.
(١٢) تفسير السعدي:٢٣٦.
(١٣) تفسير البيضاوي:٤٥٦/١.
(١٤) تفسير سهل التستري:٢٣.

عن عقبة بن أبي حكيم في قوله: "{إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا}، قال: علي بن أبي طالب"(١).

عن عبد الملك بن أبي سليمان قال:" سألت أبا جعفر محمد بن علي عن قوله: {إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا}، قلت: نزلت في علي، قال: علي من الذين آمنوا"(٢).

قال السدي:" هم المؤمنون وعلي منهم"(٣).

وفي قراءة عبد الله: «إنما مولاكم»(٤).

قوله تعالى:{الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ} [المائدة: ٥٥]، أي:"الذين يحافظون على الصلاة المفروضة، ويؤدون الزكاة عن رضا نفس، وهم خاضعون لله"(٥).

قال ابن كثير:" أي: المؤمنون المتصفون بهذه الصفات، من إقام الصلاة التي هي أكبر أركان الإسلام، وهي له وحده لا شريك له، وإيتاء الزكاة التي هي حق المخلوقين ومساعدة للمحتاجين من الضعفاء والمساكين"(٦).

قال السعدي:أي:"وأخلصوا للمعبود، بإقامتهم الصلاة بشروطها وفروضها ومكملاتها، وأحسنوا للخلق، وبذلوا الزكاة من أموالهم لمستحقيها منهم"(٧).

قال الزهري: "إقامتها: أن تصلي الأوقات الخمس لوقتها"(٨).

قال الزجاج:" وإقامتها تمامها بجميع فرضها، وأول فروضها صحة الإيمان بها وهذا كقولك: فلان قائم بعلمه الذي وليه، تأويله إنه يوفي العمل حقوقه، ومعنى:{يقيمون} من قولك هذا قوام الأمر"(٩).

قوله تعالى:{وَهُمْ رَاكِعُونَ} [المائدة: ٥٥]، أي:" وهم خاضعون لله"(١٠).

قال السعدي:" أي: خاضعون لله ذليلون"(١١).

قال الزمخشري: "الواو فيه للحال، أى: يعملون ذلك في حال الركوع، وهو الخشوع والإخبات والتواضع لله إذا صلوا وإذا زكوا"(١).

---

(١) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٥٤٩):ص١١٦٢/٤.
وردوا على هذا القول:
- أن الآية صيغة جمع وعلي-رضي الله عنه- واحد.
- أن «الواو» ليست في {وهم راكعون}«واو» الحال، إذ لو كان كذلك لتعين بالبدء إعطاء الزكاة في الصلاة حال الركوع.
- ومنها أن المدح إنما يكون بعمل واجب أو مستحب وإيتاء الزكاة في نفس الصلاة ليس كذلك بالإتفاق وإن في الصلاة شغلا
- ومنها أن عليا لم يكن عليه زكاة زمن النبي صلى الله عليه وسلم ولا كان له خاتم أو كان له فالخاتم زكاة ماذا لأن أكثر الفقهاء لا يجوزون إخراج الخاتم في الزكاة، وفي حديثهم أنه أعطاه سائلا والمدح في الزكاة أن يخرجها إبتداء وعلى الفور.
- ومنها أن الكلام في سياق النهي عن موالاة الكفار والأمر بموالاة المؤمنين
(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٥٤٧):ص١١٦٢/٤، وانظر: تفسير الطبري(١٢٢١١):ص٤٢٥/١٠-٤٢٦، سنده صحيح لكنه مرسل.

(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٥٤٨):ص١١٦٢/٤.
(٤) انظر: الكشاف:٦٤٨/١.
(٥) التفسير الميسر:١١٧.
(٦) تفسير ابن كثير:١٣٧/٣.
(٧) تفسير السعدي:٢٣٦.
(٨) أخرجه ابن أبي حاتم(٦٥٥٠):ص١١٦٢/٤.
(٩) معاني القرآن:١٨٣/٢-١٨٤.
(١٠) التفسير الميسر:١١٧.
(١١) تفسير السعدي:٢٣٦.

قال ابو السعود:" حال مع فاعل الفعلين أي يعملون ما ذكر من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وهم خاشعون ومتواضعون لله تعالى"(٢).

والمراد بالركوع هاهنا التواضع والخضوع، ومن قول الشاعر(٣):

لا تُهينَ الفقير علَّك أنْ   تركع يوما والدهرُ قد رفعَهْ

فقوله:" تركع"، أي:تخضع وتنقاد، والمراد انحطاط الحال.

قال ابن كثير:" توهم بعضهم أن هذه الجملة في موضع الحال من قوله:{ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ } أي: في حال ركوعهم، ولو كان هذا كذلك، لكان دفع الزكاة في حال الركوع أفضل من غيره ؛ لأنه ممدوح، وليس الأمر كذلك عند أحد من العلماء ممن نعلمه من أئمة الفتوى، وحتى إن بعضهم ذكر في هذا أثرًا عن علي بن أبي طالب: أن هذه الآية نزلت فيه: ذلك أنه مر به سائل في حال ركوعه، فأعطاه خاتمه"(٤).

الفوائد:

١-أن المؤمنين أولياء الله، يتولون أمره ويقيمون دينه، والله تعالى وليهم، يتولاهم بالمعونة والتسديد والحفظ والتوفيق، والميزان لهذه الولاية قوله تعالى: {أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ، الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ}، [يونس:٦٢-٦٣].

وبذلك فغن الولاية تنقسم إلى:

- ولاية من الله للعبد: ومنه قوله تعالى: {اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا}، [البقرة: من الآية٢٥٧].
- ولاية من العبد لله، ومنه قوله تعالى: {وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا}، [المائدة: من الآية٥٦] .

والولاية التي من الله للعبد تنقسم إلى عامة وخاصة:

- فالولاية العامة: هي الولاية على العباد بالتدبير والتصريف، وهذه تشمل المؤمن والكافر وجميع الخلق; فالله هو الذي يتولى عباده بالتدبير والتصريف والسلطان وغير ذلك، ومنه قوله تعالى: {ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلاهُمُ الْحَقِّ أَلا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ}، [الأنعام:٦٢] .
- والولاية الخاصة: أن يتولى الله العبد بعنايته وتوفيقه وهدايته، وهذه خاصة بالمؤمنين، قال تعالى: {اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ}، [البقرة: من الآية٢٥٧]، وقال تعالى: {أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ، الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ}، [يونس:٦٢-٦٣] .

٢- ومن الفوائد: إثبات موالاة المؤمنين بعضهم لبعض، وأنهم أولياء الله، وأن الله وليهم ومولاهم, فالله يتولى عباده المؤمنين، فيحبهم ويحبونه، ويرضى عنهم ويرضون عنه، ومن عادى له وليا فقد بارزه بالمحاربة, وهذه الولاية من رحمته وإحسانه، ليست كولاية المخلوق للمخلوق لحاجة إليه، قال تعالى: {وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا} [الإسراء: ١١١]. فالله تعالى ليس له ولي من الذل، بل لله العزة جميعا، خلاف الملوك وغيرهم ممن يتولاه١ لذله وحاجته إلى ولي ينصره(٥).

٣- فضيلة إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والخشوع والتواضع.

---

(١) الكشاف:٦٤٩/١.
(٢) تفسير أبي السعود:٥٢/٣.
(٣)لقائل هو: الأضبط بن قريع السعدي، من عوف بن كعب، من رهط الزبرقان بن بدر، ورهط أنف الناقة، جاهلي قديم؛ له أخبار مع قومه مذكورة، في كتب الأدب. الخزانة: ١١/ ٤٥٥-الشعر والشعراء: ١/ ٣٨٢.
(٤) تفسير ابن كثير:١٣٧/٣.
(٥) انظر: شرح العقيدة الطحاوية:٣٥٨

٢-استدل الروافض بهذه الآية على أن الخليفة بعد رسوله الله صلى الله عليه وسلم هو علي بن أبي طالب-رضي الله عنه- ثم الأئمة من آل البيت على ترتيبهم لديهم.

فالرد على استدلالهم بها ما يلي:

أولا: - أن الآية عامة فمن ناحية لفظها ليس فيها تخصيص لأحد.

ثانيا: - أن سبب نزول الآية ذكر فيه العلماء أقوالا: كما سبق، وقيل: أنها نزلت في علي بن أبي طالب رضي الله عنه حيث تصدق بخاتمه على مسكين وهو راكع، وروي ذلك عن مجاهد وعتبة بن أبي حكيم وغيرهم، إلا أن هذه الروايات لا يصح منها شيء، قال ابن كثير عنها: "وليس يصح شيء منها بالكلية لضعف إسنادها وجهالة رجالها"(١).

فهذه الأقوال تبين أن الآية ليست خاصة بعلي رضي الله عنه، وأن الروايات الواردة في أنها نزلت في علي ضعيفة، وكذلك يتبين كذب الرافضة حين يدعون أن الروايات واردة لدى أهل السنة في الصحاح الستة حيث لم ترد في أي من الصحاح.

ثالثا: - أن حمل الآية على الخلافة غير صحيح لأن التولي من معانيه النصرة والتأييد والمحبة فحملها على الخلافة يحتاج إلى دليل خاص وليس عندهم دليل خاص.

قال الرازي:" وأما استدلالهم بأن هذه الآية نزلت في حق علي فهو ممنوع، فقد بينا أن أكثر المفسرين زعموا أنه في حق الأمة، والمراد أن الله تعالى أمر المسلم أن لا يتخذ الحبيب والناصر إلا من المسلمين"(٢).

القرآن

{وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ (٥٦)} [المائدة: ٥٦]

التفسير:

ومن وثق بالله وتولّى الله ورسوله والمؤمنين، فهو من حزب الله، وحزب الله هم الغالبون المنتصرون.

سبب النزول:

قال عبادة بن الصامت: "نزلت:{وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ}، وذاك لقول عبادة بن الصامت: أتولى الله ورسوله، وتبرئه من بني قينقاع من حلفهم وولايتهم"(٣).

قوله تعالى:{وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا} [المائدة: ٥٦]، أي:" ومن وثق بالله وتولّى الله ورسوله والمؤمنين"(٤).

قال السمرقندي:" يعني: يجعل الله ناصره ويجالس النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه"(٥).

قال الواحدي:" يعني: يتولى القيام بطاعة الله ونصرة رسوله والمؤمنين"(٦).

قال القرطبي:" أي من فوض أمره إلى الله، وامتثل أمر رسوله، ووالى المسلمين، فهو من حزب الله. وقيل: أي ومن يتولى القيام بطاعة الله ونصرة رسوله والمؤمنين"(٧).

قال الشيخ محمد رشيد رضا:أي:" ومن يتول الله تعالى بالإيمان به والتوكل عليه، ويتول الرسول والمؤمنين بنصرهم وشد أزرهم، وبالاستنصار بهم دون أعدائهم"(١).

---

(١) تفسير ابن كثير:١٣٩/٣.

(٢) مفاتيح الغيب:٣٨٦/١٢.

(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٥٥٣):ص١١٦٣/٤، والطبري(١٢٢٠٧):ص٤٢٤/١٠ ، بنحوه، وابن إسحاق في سيرته:٣١٥.

(٤) التفسير الميسر:١١٧.

(٥) بحر العلوم:٤٠١/١.

(٦) الوسيط:٢٠٢/٢.

(٧) تفسير القرطبي:٢٢٢/٦.

قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: "يريد المهاجرين والأنصار"(٢).

قوله تعالى:{فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ} [المائدة: ٥٦]، أي:"، فهو من حزب الله، وحزب الله هم الغالبون المنتصرون"(٣).

قال السدي:" أخبرهم، يعني: الرب تعالى ذكره مَن الغالب، فقال: لا تخافوا الدولة ولا الدائرة، فقال: {ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون}، والحزب ، هم الأنصار"(٤).

قال السمرقندي والسمعاني:" يعني: جند الله هم الغالبون"(٥).

قال المراغي:أي:" فإنهم هم الغالبون، ولا يغلب من يتولاهم، لأنهم حزب الله"(٦).

قال الشيخ محمد رشيد رضا:أي:" فإنهم هم الغالبون، فلا يغلب من يتولاهم ; لأنهم حزب الله تعالى، ففيه وضع المظهر موضع الضمير، ونكتته بيان علة كونهم هم الغالبين"(٧).

قال السعدي:" أي: فإنه من الحزب المضافين إلى الله إضافة عبودية وولاية، وحزبه هم الغالبون الذين لهم العاقبة في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: {وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ} [الصافات: ١٧٣].

وهذه بشارة عظيمة، لمن قام بأمر الله وصار من حزبه وجنده، أن له الغلبة، وإن أديل عليه في بعض الأحيان لحكمة يريدها الله تعالى، فآخر أمره الغلبة والانتصار، ومن أصدق من الله قيلا"(٨).

قال الزمخشري:" وأصل «الحزب»: القوم يجتمعون لأمر حزبهم، ويحتمل أن يريد بحزب الله: الرسول والمؤمنين، ويكون المعنى: ومن يتولهم فقد تولى حزب الله، واعتضد بمن لا يغالب"(٩).

قال الواحدي:" معنى {هم الغالبون}: أنهم غلبوا اليهود فقتلوا قريظة، وأجلوا بني النضير من ديارهم، وغلبوهم عليها، وبقي عبد الله بن سلام وأصحابه الذين تولوا الله ورسوله والذين آمنوا"(١٠).

قال الطبري:" وهذا إعلامٌ من الله تعالى ذكره عبادَه جميعًا الذين تبرأوا من حلف اليهود وخلعوهم رضًى بولاية الله ورسوله والمؤمنين، والذين تمسكوا بحلفهم وخافوا دوائر السوء تدور عليهم، فسارعوا إلى موالاتهم أنّ مَن وثق بالله وتولى الله ورسوله والمؤمنين، ومن كان على مثل حاله من أولياء الله من المؤمنين، لهم الغلبة والدوائر والدولة على من عاداهم وحادّهم، لأنهم حزب الله، وحزبُ الله هم الغالبون، دون حزب الشيطان"(١١).

قال ابن كثير:" فكل من رضي بولاية الله ورسوله والمؤمنين فهو مفلح في الدنيا والآخرة [ومنصور في الدنيا والآخرة"(١٢).

وفي معنى قوله: {حِزْبَ اللَّهِ} [المائدة: ٥٦]، وجوه:

أحدها: جند الله، قاله الحسن(١٣).

---

(١) تفسير المنار:٣٦٦/٦.

(٢) انظر: التفسير الوسيط للواحدي:٢٠٢/٢، وتفسير البغوي:٧٣/٣.

(٣) التفسير الميسر:١١٧.

(٤) أخرجه الطبري(١٢٢١٥):ص٤٢٧/١٠.

(٥) بحر العلوم:٤٠١/١، وتفسير السمعاني:٤٨/٢

(٦) تفسير المراغي:١٤٤/٦.

(٧) تفسير المنار:٣٦٦/٦.

(٨) تفسير السعدي:٢٣٦.

(٩) الكشاف:٦٤٩/١.

(١٠) التفسير الوسيط:٢٠٢/٢.

(١١) تفسير الطبري:٤٢٧/١٠.

(١٢) تفسير ابن كثير:١٣٨/٣.

(١٣) انظر: التفسير الوسيط للواحدي:٢٠٢/٢، ومفاتيح الغيب:٣٨٧/١٢، وتفسير القرطبي:٢٢٢/٦

والثاني: أولياء الله. قاله أبو روق[١].
والثالث: شيعة الله، قاله أبو العالية[٢].
والرابع: أنصار الله[٣].
والخامس: أن حزب الله هم الذين يدينون بدينه ويطيعونه فينصرهم. قاله الأخفش[٤].

قال الواحدي: "معنى: «الحزب» في اللغة: الجماعة، وحزب الرجل: أصحابه الذين معه على رأيه، والمؤمنون حزب الله، والكافرون حزب الشيطان "[٥].

قال رؤبة بن العجاج[٦]:

أَلَقَيتُ أَقوَالَ الرِّجَالِ الكُذْبِ ولست أَضْوَى وَبِلالٌ حِزْبِي!

يعني بقوله: أضوى، أستضْعَفُ وأضام من الشيء الضاوي، وقوله: وبلال حزبي، يعني: ناصري[٧].

قال القرطبي:" والمؤمنون حزب الله، فلا جرم غلبوا اليهود بالسبي والقتل والإجلاء وضرب الجزية.

والحزب: الصنف من الناس، وأصله من النائبة من قولهم: حزبه كذا أي نابه، فكأن المحتزبين مجتمعون كاجتماع أهل النائبة عليها، وحزب الرجل أصحابه.

والحزب: الورد، ومنه الحديث «من فاته حزبه من الليل»[٨]، وقد حزبت القرآن.

والحزب: الطائفة، وتحزبوا اجتمعوا، والأحزاب: الطوائف التي تجتمع على محاربة الأنبياء، وحزبه أمر، أي: أصابه"[٩].

الفوائد:

---

(١) انظر:التفسير الوسيط للواحدي:٢٠٢/٢، و مفاتيح الغيب:٣٨٧/١٢.
(٢) انظر: مفاتيح الغيب:٣٨٧/١٢.
(٣) انظر:التفسير الوسيط للواحدي:٢٠٢/٢، و مفاتيح الغيب:٣٨٧/١٢، وتفسير القرطبي:٢٢٢/٦.
(٤) انظر:تفسير النيسابوري:٦٠٧/٢، ولم اجده في معاني القرآن.
(٥) التفسير الوسيط:٢٠٢/٢، ونقله الرازي في مفاتيح الغيب:٣٨٧/١٢.
(٦)ديوانه : ١٦ ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ١ / ١٦٩، وتفسير الطبري:٤٢٨/١٠، وفيهما" فَكَيْفَ أَضْوَى". من أرجوزة يمدح بها بلال ابن أبي بردة.
(٧) انظر: تفسير الطبري:٤٢٨/١٠.
(٨) المسند(٢٢٠):ص٣٤٣/١-٣٤٤، إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين غير عتاب بن زياد، فقد روى له ابن ماجه وهو ثقة. وهو في " الزهد " لابن المبارك (١٢٤٧) .
وأخرجه الدارمي (١٤٧٧) ، ومسلم (٧٤٧) ، وأبو داود (١٣١٣) ، وابن ماجه (١٣٤٣) ، والترمذي (٥٨١) ، والنسائي ٣ / ٢٥٩، وأبو عوانة ٢ / ٢٧١، وابن حبان (٢٦٤٣) ، والبيهقي ٢ / ٤٨٤ و٤٨٥، والبغوي (٩٨٥) من طرق عن يونس بن يزيد، بهذا الاسناد.
وأخرجه أبو عوانة ٢ / ٢٧١ من طريق عقيل بن خالد، عن الزهري، به.
وأخرجه النسائي ٣ / ٢٥٩ - ٢٦٠ عن عبد الرزاق، عن معمر، عن الزهري، عن عبد الرحمن بن عبد القاري، به. بإسقاط السائب بن يزيد وعبيد الله.
وأخرجه موقوفا على عمر: مالك في " الموطأ " ١ / ٢٠٠ عن داود بن الحصين، عن الأعرج، عن عبد الرحمن بن عبد القاري، عن عمر قال: من فاته حزبه من الليل، فقرأه حين تزول الشمس، إلى صلاة الظهر، فانه لم يفته، أو كأنه أدركه.
ومن طريق مالك أخرجه النسائي ٣ / ٢٦٠، والبيهقي ٢ / ٤٨٤ و٤٨٥.
قال ابن عبد البر - فيما نقله عنه الزرقاني ٢ / ٩ -: " هذا وهم من داود، لأن المحفوظ من حديث ابن شهاب، عن السائب بن يزيد وعبيد الله بن عبد الله، عن عبد الرحمن بن عبد القاري، عن عمر: من نام عن حزبه فقرأه ما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر، كتب له كأنما قرأه من الليل، ومن أصحاب ابن شهاب من رفعه عنه بسنده عن عمر، عن النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا عند العلماء أولى بالصواب من رواية داود حين جعله من زوال الشمس إلى صلاة الظهر، لأن ذلك وقت ضيق قد لا يسع الحزب، ورب رجل حزبه نصف القرآن، أو ثلثه، أو ربعه، ونحوه، لأن ابن شهاب أتقن حفظا، وأثبت نقلا ".
«من فاته حزبه .. » أي: ورده الذي اعتاده من قراءة أو صلاة، الزرقاني ٢/ ١٣.
(٩) تفسير القرطبي:٢٢٣/٦.

١-أن ولاية الله ورسوله والمؤمنين الصادقين توجب لصاحبها النصر والغلبة على أعدائه.
٢- ومنها: بيان لما تثمره الموالاة لله ورسوله والمؤمنين، فإن من يوالى الله يكون من حزب الله، ومن كان فى حزب الله فهو من الفائزين، لأنه فى ضمان الله، وفى جنده الذين لا يغلب أبدا .. {كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز} [المجادلة:٢١].
٣-استدل الشيعة بالآية على ثبوت إمامة علي-رضي الله عنه- بالنص، بناء على ما روي من نزول الآية فيه، وجعلوا الولي فيها بمعنى المتصرف في أمور الأمة، وقد بينا في تفسير الآية السابقة ضعف كون المؤمنين في الآية يراد به شخص واحد. وعلمنا من السياق أن الولاية هاهنا ولاية النصر، لا ولاية التصرف والحكم ; إذ لا مناسبة له في هذا السياق.

وقد رد عليهم الرازي، وغيره بوجوه[1]، وهذه المجادلات ضارة غير نافعة، فهي التي فرقت الأمة وأضعفتها، فلا نخوض فيها، ولو كان في القرآن نص على الإمامة لما اختلف الصحابة فيها ; أو لاحتج به بعضهم على بعض، ولم ينقل ذلك[2].

القرآن

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٥٧)} [المائدة: ٥٧]

التفسير:

يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، لا تتخذوا الذين يستهزئون ويتلاعبون بدينكم من أهل الكتاب والكفارَ أولياءَ، وخافوا الله إن كنتم مؤمنين به وبشرعه.

سبب النزول:

قال ابن عباس:" كان رفاعة بن زيد بن التابوت وسويد بن الحارث قد أظهرا الإسلام ثم نافقا، وكان رجال من المسلمين يوادُّونهما، فأنزل الله فيهما:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ}، إلى قوله:{وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ}[3]"[4].

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب:٣٨٦/١٢.
قال الرازي:" وأما استدلالهم بأن الآية مختصة بمن أدى الزكاة في الركوع حال كونه في الركوع، وذلك هو علي بن أبي طالب فنقول: هذا أيضا ضعيف من وجوه:
الأول:- أن الزكاة اسم للواجب لا للمندوب بدليل قوله تعالى وآتوا الزكاة [البقرة: ٤٣] فلو أنه أدى الزكاة الواجبة في حال كونه في الركوع لكان قد أخر أداء الزكاة الواجب عن أول أوقات الوجوب، وذلك عند أكثر العلماء معصية، وأنه لا يجوز إسناده إلى علي عليه السلام، وحمل الزكاة على الصدقة النافلة خلاف الأصل لما بينا أن قوله وآتوا الزكاة ظاهره يدل على أن كل ما كان زكاة فهو واجب.
الثاني:- وهو أن اللائق بعلي عليه السلام أن يكون مستغرق القلب بذكر الله حال ما يكون في الصلاة، والظاهر أن من كان كذلك فإنه لا يتفرغ لاستماع كلام الغير ولفهمه، ولهذا قال تعالى: {الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض} [آل عمران: ١٩١]، ومن كان قلبه مستغرقا في الفكر كيف يتفرغ لاستماع كلام الغير.
الثالث: أن دفع الخاتم في الصلاة للفقير عمل كثير، واللائق بحال علي عليه السلام أن لا يفعل ذلك. الرابع: أن المشهور أنه عليه السلام كان فقيرا ولم يكن له مال تجب الزكاة فيه، ولذلك فإنهم يقولون: إنه لما أعطى ثلاثة أقراص نزل فيه سورة {هل أتى} [الإنسان: ١] وذلك لا يمكن إلا إذا كان فقيرا، فأما من كان له مال تجب فيه الزكاة يمتنع أن يستحق المدح العظيم المذكور في تلك السورة على إعطاء ثلاثة أقراص، وإذا لم يكن له مال تجب فيه الزكاة امتنع حمل قوله ويؤتون الزكاة وهم راكعون عليه.
الوجه الخامس:- هب أن المراد بهذه الآية هو علي بن أبي طالب لكنه لا يتم الاستدلال بالآية إلا إذا تم أن المراد بالولي هو المتصرف لا الناصر والمحب، وقد سبق الكلام فيه".انتهى
(٢) انظر: تفسير المنار:٣٦٦/٦.
(٣)[سورة المائدة : ٦١].
(٤)أخرجه ابن إسحاق في "المغازي"؛ كما في "الدر المنثور" (٣/ ١٠٧) -ومن طريقه الطبري في "جامع البيان" (١٢٢١٦):ص١٠/٤٢٩-٤٣٠، وابن أبي حاتم في "التفسير" (٦٥٥٦):ص٤/ ١١٦٣، وذكره الواحدي

قوله تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} [المائدة: ٥٧]، أي:" يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه"(١).

قال الطبري:أي:" يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله"(٢).

قال مقاتل:" يعني: المنافقين الذين أقروا باللسان وليس الإيمان في قلوبهم"(٣).

قال ابن عباس:" ما أنزل الله آية في القرآن، يقول فيها: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا}، إلا كان على شريفها وأميرها"(٤).

قال خيثمة: "ما تقرأون في القرآن: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا}، فإنه في التوراة: يا أيها المساكين"(٥).

قال ابن عثيمين:" إن تصدير الحكم بالنداء دليل على الاهتمام به؛ لأن النداء يوجب انتباه المنادَى؛ ثم النداء بوصف الإيمان دليل على أن تنفيذ هذا الحكم من مقتضيات الإيمان؛ وعلى أن فواته نقص في الإيمان"(٦).

قال ابن مسعود رضي الله عنه: "إذا سمعت الله يقول: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} فأرعها سمعك[يعني استمع لها]؛ فإنه خير يأمر به، أو شر ينهى عنه"(٢).

قوله تعالى:{لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ} [المائدة: ٥٧]، أي:" لا تتخذوا الذين يستهزئون ويتلاعبون بدينكم من أهل الكتاب والكفارَ أولياءَ"(٧).

قال السدي:" نهاهم وتقدم إليهم"(٨).

قال الطبري:أي:" لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هُزوًا ولعبًا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ، يعني اليهود والنصارى الذين جاءتهم الرسل والأنبياء، وأنزلت عليهم الكتب من قبل بَعْث نبينا صلى الله عليه وسلم، ومن قبل نزول كتابنا أولياء، يقول: لا تتخذوهم، أيها المؤمنون، أنصارًا أو إخوانًا أو حُلفاء، فإنهم لا يألونكم خَبَالا وإن أظهروا لكم مودّة وصداقة"(٩).

قال الزمخشري:" يعنى أن اتخاذهم دينكم هزوا ولعبا لا يصح أن يقابل باتخاذكم إياهم أولياء، بل يقابل ذلك بالبغضاء والشنآن والمنابذة، وفصل المستهزئين بأهل الكتاب والكفار- وإن كان اهل الكتاب من الكفار- إطلاقا للكفار على المشركين خاصة، والدليل عليه قراءة عبد الله: «ومن الذين أشركوا»"(١٠).

في أسباب النزول:٢٠٠.

وهذا إسناد ضعيف؛ لجهالة شيخ ابن إسحاق محمد بن أبي محمد.

والحديث ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ١٠٧) وزاد نسبته لابن المنذر وأبي الشيخ.

وقال محقق أسباب النزول للواحدي:أخرجه" ابن إسحاق بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما به. وإسناده حسن.[انظر: أسباب النزول:٢٠٠]

(١) التفسير الميسر:١١٧.

(٢) تفسير الطبري:٤٢٨/١٠.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان:٤٨٧/١.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٣٥):ص١٩٦/١، و(٥٠٢٥):ص٩٠٢/٣

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم(٥٠٢٦):ص٩٠٢/٣.

(٦) انظر: تفسير ابن عثيمين: ٣٣٧/١.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٣٧):ص ١٩٦/١، و(٥٠٢٧):ص٩٠٢/٣

(٧) التفسير الميسر:١١٧.

(٨) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٥٥٥):ص١١٦٣/٤.

(٩) تفسير الطبري:٤٢٨/١٠-٤٢٩.

(١٠) الكشاف:٦٥٠/١.

قال السمرقندي:" يعني: الذين آمنوا بلسانهم، ولم يؤمنوا بقلوبهم. ويقال: أراد به المخلصين نهاهم الله تعالى عن ولاية الكفار"(١).

قال أبو السعود:" بيان للمستهزئين والتعرض لعنوان إيتاء الكتاب لبيان كمال شناعتهم وغاية ضلالتهم لما أن إيتاء الكتاب وازع لهم عن الاستهزاء بالدلين المؤسس على الكتاب المصدق لكتابهم {والكفار} أي المشركين خصوا به لتضاعف كفرهم وهو عطف على الموصول الأول ففيه إشعار بأنهم ليسوا بمستهزئين كما ينبيء عنه تخصيص الخطاب بأهل الكتاب في قوله تعالى:{يا أهل الكتاب هل تنقمون منا}، الآية"(٢).

قال مكي:" أن الله حذر المؤمنين ألا يتخذوا اليهود والنصارى أولياء، ووصفهم تعالى بأنهم اتخذوا الإسلام هزواً ولعباً، وهم قد أوتوا الكتاب من قبلنا، يعني التوراة والإنجيل، و [حذرهم] ألا يتخذوا الكفار أولياء، وهم مشركو قريش"(٣).

قال الراغب:" نهاهم عن موالاة المتهكمين بدين الحق أي عن الاستعانة بالمشركين"(٤).

قال الواحدي:" معنى اتخاذهم الدين هزو ولعبا: تلاعبهم بالدين وإظهارهم ذلك باللسان واستبطانهم الكفر"(٥).

قال البغوي:" بإظهار ذلك بألسنتهم قولا وهم مستبطنون الكفر"(٦).

قال ابن عطية:" نهى الله تعالى المؤمنين عن اتخاذ اليهود والنصارى أولياء، فوسمهم بوسم يحمل النفوس على تجنبهم، وذلك اتخاذهم دين المؤمنين هزوا ولعبا والهزء السخرية والازدراء"(٧).

قال الجصاص:" فيه نهي عن الاستنصار بالمشركين; لأن الأولياء هم الأنصار"(٨).

قال ابن كثير:" وهذا تنفير من موالاة أعداء الإسلام وأهله، من الكتابيين والمشركين، الذين يتخذون أفضل ما يعمله العاملون، وهي شرائع الإسلام المطهرة المحكمة المشتملة على كل خير دنيوي و أخروي، يتخذونها { هُزُوًا ولَعِبًا } يستهزئون بها، {ولَعِبًا} يعتقدون أنها نوع من اللعب في نظرهم الفاسد، وفكرهم البارد كما قال القائل (٩):

وَكَمْ مِنْ عَائبٍ قَولا صَحِيحًا   وآفَتُهُ مِن الفَهمِ السَّقِيمِ"(١٠)

قال الشوكاني:" هذا النهي عن موالاة المتخذين الدين هزؤا ولعبا يعم كل من حصل منه ذلك من المشركين وأهل الكتاب وأهل البدع المنتمين إلى الإسلام، والبيان بقوله: {من الذين أوتوا الكتاب}، إلى آخره لا ينافي دخول غيرهم تحت النهي إذا وجدت فيه العلة المذكورة التي هي الباعثة على النهي"(١١).

قال السعدي:" ينهى عباده المؤمنين عن اتخاذ أهل الكتاب من اليهود والنصارى ومن سائر الكفار أولياء يحبونهم ويتولونهم، ويبدون لهم أسرار المؤمنين، ويعاونونهم على بعض أمورهم التي تضر الإسلام والمسلمين، وأن ما معهم من الإيمان يوجب عليهم ترك موالاتهم، ويحثهم على معاداتهم"(١٢).

---

(١) بحر العلوم:٤٠١/١.

(٢) تفسير ابي السعود:٥٣/٣.

(٣) الهداية إلى بلوغ النهاية:١٧٨٨/٢.

(٤) تفسير الراغب الأصفهاني:٣٨٤/٤.

(٥) التفسير الوسيط:٢٠٢/٢.

(٦) تفسير البوغي:٧٣/٣.

(٧) المحرر الوجيز:٢٠٩/٢.

(٨) أحكام القرىن:٥٥٩/٢.

(٩)البيت للمتنبي. وهو في ديوانه بشرح العكبري: ٤/ ١٢٠.

(١٠) تفسير ابن كثير:١٤٠/٣.

(١١) فتح القدير:٦٢/٢.

(١٢) تفسير السعدي:٢٣٦.

قرأ ابن كثير ونافع وعاصم وابن عامر وحمزة: {والكفار} نصبا، وقرأ أبو عمرو والكسائي:«والكفار» خفضا، وروى حسين الجعفي عن أبي عمرو: {الكفار} نصبا[١].

قال الطبري:" إنهما قراءتان متفقتا المعنى، صحيحتا المخرج، قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القرأة، فبأي ذلك قرأ القارئ فقد أصاب"[٢].

وقرأ ابن مسعود: «مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا»[٣].

ويقرأ «هزؤا» بضم الزاي والهمز، و«هزؤا» بسكون الزاي والهمز ويوقف عليه هزا بتشديد الزاي المفتوحة، و «هزوا» بضم الزاي وتنوين الواو، و «هزا» بزاي مفتوحة منونة[٤].

قوله تعالى:{وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [المائدة: ٥٧]، أي:" وخافوا الله إن كنتم مؤمنين به وبشرعه"[٥].

قال مقاتل:" يعني: إن كنتم مصدقين فلا تتخذوهم أولياء، يعني: كفار العرب حين، قال عبد الله بن أبي، وعبد الله بن نتيل وأبو لبابة وغيرهم من اليهود: لئن أخرجتم لنخرجن معكم، حين كتبوا إليهم"[٦].

قال الطبري:أي:" وخافوا الله، أيها المؤمنون الذين اتخذوا دينكم هزوًا ولعبًا من الذين أوتوا الكتاب ومن الكفار، أن تتخذوهم أولياء ونصراء، وارهبوا عقوبته في فعل ذلك إن فعلتموه بعد تقدُّمه إليكم بالنهي عنه، إن كنتم تؤمنون بالله وتصدِّقونه على وعيده على معصيته"[٧].

قال الزمخشري:أي:"واتقوا الله في موالاة الكفار وغيرها، إن كنتم مؤمنين حقا لأن الإيمان حقا يأبى موالاة أعداء الدين اتخذوها الضمير للصلاة أو للمناداة"[٨].

قال ابن عطية:" ثم أمر تعالى بتقواه ونبه النفوس بقوله: {إن كنتم مؤمنين}، أي: حق مؤمنين"[٩].

قال البيضاوي:أي:" واتقوا الله بترك المناهي. إن كنتم مؤمنين لأن الإيمان حقا يقتضي ذلك. وقيل إن كنتم مؤمنين بوعده ووعيده"[١٠].

قال ابو السعود:" {واتقوا الله} في ذلك بترك موالاتهم أو بترك المناهي على الإطلاق فيدخل فيه ترك موالاتهم دخولا أوليا {إن كنتم مؤمنين}، أي:حقا فإن قضية الإيمان توجب الاتقاء لا محالة"[١١].

قال أبو حيان:" لما نهي المؤمنون عن اتخاذهم أولياء، أمرهم بتقوى الله، فإنها هي الحاملة على امتثال الأوامر واجتناب النواهي. أي: اتقوا الله في موالاة الكفار، ثم نبه على الوصف الحامل على التقوى وهو الإيمان أي: من كان مؤمنا حقا يأبى موالاة أعداء الدين"[١٢].

قال السعدي:أي:كذلك أن"التزامهم لتقوى الله التي هي امتثال أوامره واجتناب زواجره مما تدعوهم إلى معاداتهم"[١٣].

الفوائد:

---

(١) انظر: السبعة في القراءات:٢٤٥.
(٢) تفسيرالطبري:١٠/٤٣١.
(٣) انظر: تفسير الطبري(١٢٢١٧):ص١٠/٤٣٠.
(٤) انظر: المحرر الوجيز:٢/٢٠٩.
(٥) التفسير الميسر:١١٧.
(٦) تفسير مقاتل بن سليمان:١/٤٨٧.
(٧) تفسيرالطبري:١٠/٤٣٢.
(٨) الكشاف:١/٦٥٠.
(٩) المحرر الوجيز:٢/٢٠٩.
(١٠) تفسير البيضاوي:٢/١٣٣.
(١١) تفسير ابي السعود:٣/٥٣.
(١٢) بحر المحيط:٤/٣٠٣.
(١٣) تفسير السعدي:٢٣٦.

١- حرمة اتخاذ اليهود والنصارى والمشركين أولياء لا سيما أهل الظلم منهم، إذ ينفر الله تعالى المؤمنين من موالاة أعداء الإسلام، من أهل الكتاب ومن المشركين، الذين يتخذون شرائع الإسلام المطهرة، هزوا يستهزئون بها، ويعدونها نوعا من اللعب، ويتمنون زوال الإسلام وأهله، ويأمر الله المؤمنين بتقواه، وبألا يتخذوا هؤلاء الأعداء أولياء إن كانوا مؤمنين بشرع الله حقا وصدقا(١).

وهؤلاء الأعداء يسخرون من الأذان، ومن الصلاة، ومن العبادة، ويتخذونها هزوا ولعبا وسخرية، لأنهم قوم لا يعقلون معنى العبادة، ولا معنى شرع الله، والصلاة أكرم شيء وأفضله لمن يعقل ويعلم

٢-سوء أخلاق اليهود وفساد عقولهم.

٣- مباعدة الكفار والمفسدين والغلظة عليهم، لأن موالاتهم تنافي الإيمان.

٤- جاء في شرح المسائل للسعيدي: وقد اختلف المفسرون في معنى اتخاذ الكفار دينهم لهوًا ولعبًا على أقوال منها(٢):

أولاً: أنهم اتخذوا دينهم الذي كلفوه ودعوا إليه وهو الإسلام لعبًا ولهوًا حيث سخروا به واستهزؤوا به، إذًا المراد بكونهم جعلوا دينهم لهوًا ولعبًا سخروا بالإسلام واستهزؤوا به، فإذا دعاهم الداعي إلى الإسلام سخروا به وهزءوا به، وهذا موجود في كل زمان ومكان، وهذا كقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الَّذِينَ اتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُواً وَلَعِباً مِّنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلاَةِ اتَّخَذُوهَا هُزُواً وَلَعِباً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْقِلُونَ} [المائدة: ٥٧، ٥٨].

ثانيًا: أنهم اتخذوا ما هو لهوٌ ولعبٌ من عبادة الأصنام وغيرها دينًا لهم وتركوا دين الحق وهو الإسلام.

والأول أقرب من هذا لكنه هذا غير مستبعد، بمعنى أن اتخاذ الدين لهوًا ولعبًا أن يعبد الأصنام، ولذلك قد يتخذوا الصنم من تمر وعجين ثم إذا جاع أكله، هذا لَعِب كيف أنت تعبده من دون الله عز وجل وتستغيث به وتستفتح به الأمور ويكشف لك الضر ويجلب لك النفع ويدفع عنك الضر ثم بعد ذلك تأكله؟ هذا لعب ولهو.

ثالثًا: أن الكفار كانوا يحكمون في دين الله بمجرد التشهي والتمني وما تزينه لهم شياطينهم ونفوسهم من تحليل حرام، أو تحريم حلال، أو تعبد بما لم يشرعه الله، وهذا له أمثلة كثيرة وذكرها في الشرح هناك.

رابعًا: وهو أن المراد به الإشارة إلى من يتوصل بدينه إلى دنياه، يعني: يجعل الدين وسيلة إلى تحصيل الدنيا، وهذا اختلاف تنوع لا تضاد وتشترك في أمر واحد وهو: عدم الاهتمام بأمر الدين، كلها أقوال للمفسرين وكلها داخلة فيما ذكروا، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: {وَمَا قَدَرُواْ اللّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُواْ مَا أَنزَلَ اللّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاء بِهِ مُوسَى نُوراً وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيراً وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُواْ أَنتُمْ وَلاَ آبَاؤُكُمْ قُلِ اللّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ} [الأنعام: ٩١]. {قَالُواْ مَا أَنزَلَ اللّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ} هذا لعب، رسولهم قد أنزل عليه الكتاب من الله عز وجل ثم ينفون ذلك، هذا يعتبر من اللعب، وقال تعالى في اليهود: {أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ} [البقرة: ٨٥]. يعني: تؤمنون بما اشتهته الأنفس وأما ما لم تقدروا عليه أو تشتهيه الأنفس فحينئذٍ يكفر به، وقال تعالى: {مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ} [النساء: ٤٦]. تحريف الكلم يعتبر من اتخاذ الدين لهوًا ولعبًا، وقال تعالى: {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ} [آل عمران: ٧١]. لبس الحق بالباطل وكتمان الحق يعتبر من اتخاذ الدين لهوًا ولعبًا، وقال تعالى: {اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ} [التوبة: ٣١]. يحلون ما حرم الله ويحرمون ما أحل الله، وقال في

---

(١)انظر: أيسر التفاسير لأسعد حومد :ص: ٧٢٧،بترقيم الشاملة آليا.

(٢) انظر: شرح مسائل الجاهلية للحازمي:٢١/٦-٢٣.

النصارى أنهم قالوا: {إِنَّ اللهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ}، {إِنَّ اللهَ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ} [المائدة: ٧٣] المسيحُ ابن الله أو المسيحَ ابن الله، نقول: هذا كله يعتبر من اتخاذ الدين لهوًا ولعبًا، لأنه تبديل وتحريف عما أنزله الله عز وجل، وكذلك الابتداع وعده دينًا {وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ} [الحديد: ٢٧]، كذلك مشركو قريش قالوا: {مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مَّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ} [الأنبياء: ٢]. إذًا اللعب كذلك من شأن قريش، وقال جل وعلا: {بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ} [الدخان: ٩]. وقال مهددًا لهم: {وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِباً وَلَهْواً وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا}. إذًا كل من أعرض عن الدين وتلبس بغيره فهو ممن اتخذ دينه لهوًا ولعبًا، {وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُواْ دِينَهُمْ} هذا يعتبر وعيد من الله تعالى بمن اتخذ آياته ودينه هزوًا قال تعالى: {وَلاَ تَتَّخِذُوَاْ آيَاتِ اللهِ هُزُواً} [البقرة: ٢٣١]. وقال - صلى الله عليه وسلم -: «أَيُلْعَبُ بكتاب الله وأنا بين أظهركم»(١). وقال عليه الصلاة والسلام: «ما بال أقوام يَلْعَبُون بحدود الله»(٢).

إذًا امتثال ما أراده الله عز وجل من البشر يُعتبر من أخذ الدين بقوة {يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ} [مريم: ١٢]، ولذلك قال المفسرون في قوله تعالى: {وَالَّذِينَ يُمَسَّكُونَ بِالْكِتَابِ} [الأعراف: ١٧٠]. قال: {يُمَسَّكُونَ}. بصيغة التفعيل ولم يقل يُمْسِكُونَ، لأن الذي يأتي بالدين على وجهه يعتبر مستمسكًا أبلغ استمساك بالدين، إذًا {أنهم اتخذوا دينهم لهوًا ولعبًا}.

٥- إن المتتبع لآيات القرآن الكريم والسنة النبوية يجد من الآيات والأحاديث ما تدل دلالة قطعية على غش الكفار للمسلمين وعداوتهم لهم وخيانتهم لقضاياهم، وتمنيهم السوء للمسلمين ومسرتهم بذلك، وعداوتهم لله ورسوله، فمن والاهم وأعزهم وولاهم أمور المسلمين، فقد خالف ما أمر الله عز وجل بحقهم من وجوب الغلظة والشدة عليهم، ومن اعتقد فيهم النصح والإخلاص فقد كذب بما أخبر الله به عنهم من خيانة وغش وإرادة السوء بالمسلمين.

واما الاستعانة بالكفار في الحرب فقد اختلف العلماء في هذه مسألة على قولين:

القول الأول: هو قول من قال بعدم جواز الاستعانة بالكفار في الحرب وهو مذهب المالكية(٣). وبه قال الإمام أحمد -رحمه الله-(٤) وقد استدل المانعون بعدد من الآيات والأحاديث هي كما يلي(٥):

١ - قول الله تعالى: (لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ} [آل عمران:٢٨]. قيل: إنها نزلت في عبادة ابن الصامت -رضي الله عنه- فقد كان له حلفاء من اليهود فلما خرج النبي - صلى الله عليه وسلم - يوم الأحزاب قال: له عبادة، يا نبي الله إن معي خمسمائة من اليهود، وقد رأيت أن يخرجوا معي، فاستظهر بهم على العدو فأنزل الله هذه الآية(٦).

---

(١) السنن الكبرى(٥٥٦٤):ص٥/٢٥٢، وسنن النسائي(٣٤٠١):ص٦/١٤٢، إسناده منقطع ، ورجال إسناده ثقات، ولكن مخرمة لم يسمع من أبيه كما ذكر ذلك الحافظ ابن حجر في " التهذيب ". وحكم الالباني:ضعيف. المشكاة (٣٢٩٢).

(٢)أخرجه ابن ماجة(٢٠١٧):ص١/٦٥٠، والبزار في "مسنده" (٣١١٧)، والروياني في "مسنده" (٤٥٢)، والطبري في "تفسيره" ٢/ ٥٣٩، وابن حبان (٤٢٦٥)، والبيهقي ٧/ ٣٢٢.

إسناده حسن. مؤمل بن إسماعيل اختلف فيه. فقيل ثقة. وقيل كثير الخطأ. وقيل منكر الحديث. وحكم الالباني: ضعيف.

(٣)انظر روائع البيان تفسير آيات الأحكام من القرآن/ محمد علي الصابوني ج١ ص٤٠٢ - وانظر تفسير آيات الأحكام/ محمد علي السايس ج٢ ص٧.

(٤)انظر الأحكام السلطانية/ للقاضي أبي يعلى الحنبلي ص٣٩، ٢٢٥.

(٥) انظر: الوالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية، محماس الجلعود:٢/ ٨١٣ -٨٢١.

(٦)انظر تفسير آيات الأحكام/ محمد علي السايس ج٢ ص٦. وانظر جامع البيان للقرطبي ج٤ ص٥٨. وانظر روائع البيان في تفسير آيات الأحكام من القرآن/ محمد علي الصابوني ج١ ص٤٠٣. وانظر أحكام القرآن للجصاص ج٢ ص٣٦ - ٣٧.

٢ - قول الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآَيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ}[آل عمران:١١٨].

فقد رجح القرطبي عدم جواز الاستعانة بالكفار حيث يقول: إن الله قد وضح لنا العلة في النهي عن اتخاذهم بطانة بقوله: {لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا} ثم ختم الآية بقوله: {قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآَيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ} فهل نكذب بيان الله فيهم ونصدقهم فنقربهم ونتقرب إليهم؟(١).

وفي زاد المسير قال القاضي أبو يعلى: هذه الآية دليل على أنه لا يجوز الاستعانة بالكفار في أمر من أمور المسلمين (٢).

٣ - قول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}[المائدة:٥٧].

قال ابن خويز منداد: "هذه الآية تضمنت مع مثيلاتها المنع من التأييد والانتصار بالمشركين ونحو ذلك"(٣).

ويقول القرطبي: "إن الصحيح من مذهب الشافعي هو منع الاستعانة بالكفار في القتال"(٤). وهو ما ذهب إليه القرطبي أيضًا(٥).

وقد ذكر أن الشافعي علل ذلك بأنه طريق لأن يكون للكافرين على المؤمنين سبيلا(٦).

وأجاب من يرى الجواز بأن السبيل هو اليد وهي للإمام الذي استعان بالكفار(٧).

٤ - ومن الأحاديث ما روى مسلم في صحيحه عن عائشة زوج النبي - صلى الله عليه وسلم - أنها قالت: خرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قبل بدر، فلما كان بحرّة الوبر أدركه رجل قد كان يذكر منه جرأة ونجدة ففرح أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين رأوه. فلما أدركه قال لرسول الله - صلى الله عليه وسلم -: جئت لأتبعك، وأصيب معك قال له رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «تؤمن بالله ورسوله؟ قال لا ... قال فارجع: فلن أستعين بمشرك» قالت: ثم مضى حتى إذا كنا بالشجرة أدركه الرجل ... فقال له كما قال أول مرة. فقال له النبي - صلى الله عليه وسلم - كما قال أول مرة. قال: «فارجع فلن نستعين بمشرك». قال: ثم رجع فأدركه بالبيداء. فقال كما قال أول مرة «تؤمن بالله ورسوله؟» قال: نعم. فقال له رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «فانطلق»(٨).

روى الواقدي أن خبيب بن يساف، كان رجلاً شجاعًا وكان يأبى الإسلام فلما خرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى بدر، خرج هو وقيس بن محرث، فعرضا على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يخرجا معه، فقال «لا يخرج معنا رجل ليس على ديننا» فقال خبيب: قد علم قومي أني عظيم الغناء في الحرب فأقاتل معك للغنيمة قال: «لا، ولكن أسلم ثم قاتل»(٩).

٦ - روى الإمام أحمد عن خبيب عن عبد الرحمن عن أبيه عن جده قال:" أتيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو يريد غزوًا أنا ورجل من قومي ولم نسلم، فقلنا إنا نستحي أن يشهد قومنا مشهدًا لا نشهده معهم «قال أو اسلمتما» قلنا لا! «قال فلا نستعين بالمشركين على

---

(١)انظر تفسير القرطبي ج٤ ص١٨٠.

(٢)انظر زاد المسير في علم التفسير/ عبد الرحمن بن الجوزي ج١ ص٤٤٧.

(٣)انظر تفسير القرطبي :٦ /٢٢٤.

(٤)انظر تفسير القرطبي :٦ /٢٢٤.

(٥) انظر: المصدر نفسه والصحيفة نفسها.

(٦)انظر :نيل الأوطار للشوكاني :٨ /٤٤.

(٧) انظر: المصدر نفسه والصحيفة نفسها.

(٨)صحيح مسلم ج٣ ص١٤٤٩ - ١٤٥٠ وسنن أبي داود ج٣ ص٧٥.

(٩)انظر: صور من حياة الرسول - صلى الله عليه وسلم - ص٣٢٥/ أمين دويدار. وانظر نيل الأوطار للشوكاني ج٨ص٤٣..

المشركين» قال فأسلمنا وشهدنا معه، فقتلت رجلاً وضربني ضربة وتزوجت بابنته بعد ذلك، فكانت تقول: لا عدمت رجلاً وشحك هذا الوشاح فأقول: لا عدمت رجلاً عجل أباك النار"(١).
القول الثاني: قول من جوَّز الاستعانة بالكفار عند الحاجة إلى ذلك وهو قول جمهور الشافعية والحنابلة والأحناف (٢).
وقد استدل أصحاب هذا القول بعدة أحاديث هي كما يلي:
١ - ما روي أن قزمان خرج مع أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوم أحد وهو مشرك فقتل ثلاثة من بني عبد الدار حملة لواء المشركين حتى قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «إن الله ليأزر هذا الدين بالرجل الفاجر» (٣).
٢ - وفي صلح الحديبية كان الرسول - صلى الله عليه وسلم - قد بعث أثناء توجهه إلى مكة عندما كان بذي الحليفة عينًا له من قبيلة خزاعة اسمه بشر بن أبي سفيان ليأتيه بخبر أهل مكة، وبشر بن أبي سفيان كان مشركًا من قبيلة خزاعة، وفي هذا تأكيد لجواز الاستعانة بالمشركين، عند الطمأنينة إليهم (٤).
٣ - وقد شارك في معركة أحد مع المسلمين مخريق بن ثعلبة اليهودي عقيدة وديانة العربي نسبًا وعرقًا، وكان قتاله تنفيذًا للمعاهدة المبرمة بين النبي - صلى الله عليه وسلم - وبين اليهود، فدعا اليهود إلى حمل السلاح مع المسلمين فقالوا اليوم يوم السبت، فأخذ سلاحه ولحق برسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقاتل حتى قتل، وقال إن أصبت فمالي لمحمد يصنع فيه ما شاء وكان له سبعة بساتين وقد جعلها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أوقافًا بالمدينة (٥).
٤ - إن النبي - صلى الله عليه وسلم - قد استعان بيهود بني قينقاع وقسم لهم، واستعان بصفوان بن أمية في يوم حنين (قبل إسلامه) فدل ذلك على الجواز (٦).
٥ - وعن ذي مخبر قال سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: «ستصالحون الروم صلحًا وتغزون أنتم وهم عدوًا من ورائكم» (٧).
٦ - وعن الزهري أن النبي - صلى الله عليه وسلم - استعان بناس من اليهود في خيبر في حربه فأسهم لهم (٨).
وقد رد أصحاب هذا القول على أصحاب القول الأول القائلين بعدم جواز الاستعانة بالكفار بردود هي:-
أ- إن أدلة النهي عن الاستعانة بالكفار منسوخة بفعل الرسول - صلى الله عليه وسلم - وعمله كما تقدم ذكر ذلك(٩).
ب- إن القائلين بالجواز لم يذكروا أنه يجوز الاستعانة بالكفار مطلقًا وإنما قيدوا ذلك بشرطين هما:-

(١)مسند الإمام أحمد ج٣ ص٤٥٤. وانظر أسد الغابة في معرفة الصحابة ج٢ ص١٠٢.
(٢)انظر روائع البيان في تفسير آيات الأحكام من القرآن ج١ ص٤٠٢ وانظر تفسير آيات الأحكام/ محمد علي السايس ج٢ ص٧. وانظر نيل الأوطار للشوكاني ج٨ ص٤٣، وانظر زاد المعاد/ لابن قيم الجوزية ج٢ ص١٩٠، وانظر كتاب الإسلام انطلاق لا جمود/ د/ مصطفى الرافعي ص١٦ وانظر الدرر السنية ج٧ ص٣٧٦.
(٣)انظر نيل الأوطار للشوكاني ج٨ ص٤٤، وانظر غزوة أحد/ محمد أحمد باشميل ص٢٢٨.
(٤)انظر فقه السيرة محمد سعيد رمضان البوطي ص٢٥٢.
وانظر زاد المعاد لابن القيم الجوزي ج٢ ص١٢٣. وانظر نيل الأوطار للشوكاني ج٨ص٤٥.
(٥)انظر غزوة أحد/ محمد أحمد باشميل ص٢٢٦ - ٢٣١.
(٦)انظر :أسد الغابة في معرفة الصحابة ج٣ ص٢٢، وروائع البيان في تفسير القرآن ج١ ص٤٠٢، وتفسير آيات الأحكام، محمد علي السايس ج٢ ص٧، ونيل الأوطار للشوكاني ج٨ ص٤٣.
(٧)رواه أحمد وأبو داود. انظر نيل الأوطار للشوكاني ج٨ ص٤٣.
(٨)رواه أبو داود في مراسيله. المصدر السابق نفس المكان.
(٩)انظر روائع البيان تفسير آيات الأحكام من القرآن. ج١ ص٤٠٢، وانظر تفسير آيات الأحكام/ محمد علي السايس ج٢ ص٧.

١ - الحاجة إلى الكفار في حالة عدم وجود من يحل محلهم من المسلمين.
٢ - الوثوق بهم، وغلبة الظن على أمانتهم، وعدم مكرهم. أما بدون هذين الشرطين فلا تجوز الاستعانة بهم بحال من الأحوال وهذا هو الراجح، وعلى ذلك يحمل حديث عائشة -رضي الله عنها- المذكور في صحيح مسلم، ويحصل الجمع بين الأدلة أدلة المنع وأدلة الجواز[١].

وقد نقل عن الشافعي (رحمه الله) ما يوافق هذا المعنى حيث روي أنه قال: «إن رأى الإمام أن الكافر حسن النية، حسن الرأي مأمون الجانب على المسلمين، وكانت الحاجة داعية إلى الاستعانة به جاز ذلك وإلا فلا» [٢].

ولعل هذا هو المتفق مع أدلة النهي وأدلة الجواز، إذ روي أنه - صلى الله عليه وسلم - قبل معونة صفوان بن أمية يوم حنين، وهو مشرك، فتكون المسألة في ذلك داخلة تحت مفهوم السياسة الشرعية لمصلحة الدعوة الإسلامية[٣].

والظاهر لي من الأدلة عدم جواز الاستعانة بالمشركين إلا عند توفر الشرطين المتقدمين وذلك لسببين:

السبب الأول: إن الأحاديث التي استدل بها على جواز الاستعانة بالكفار لا تسلم من مقال أو توجيه يجعل العمل بها غير ملزم. فمقاتلة قزمان مع المسلمين لم يثبت أنه - صلى الله عليه وسلم - أذن له بذلك في ابتداء الأمر، وغاية ما فيه، أنه يجوز للإمام السكوت عن كافر قاتل مع المسلمين[٤].

وأما استعانته - صلى الله عليه وسلم - ببشر بن أبي سفيان عينا له على قريش وهو مشرك فإنما استعان به بما دون القتال، وهذه المسألة أقرب في الجواز من مسألة القتال والحرب [٥].

وأما ما روي عن الزهري مرسلاً، فإن مراسيل الزهري ضعيفة والمسند فيه الحسن بن عمارة وهو ضعيف [٦].

وأما استعانته - صلى الله عليه وسلم - بابن أبي من المنافقين فليس من قبيل الاستعانة بالكفار لأنه مظهر للإسلام، والمنافق يحكم عليه بحسب ظاهره والله عز وجل يتولى سره[٧].

السبب الثاني: إن توجيه أدلة الجواز وأدلة المنع ممكن باتباع الأوجه التالية:-

الوجه الأول: ما قال الشافعي -رضي الله عنه- إن النبي - صلى الله عليه وسلم - غرس الرغبة في الذين ردهم، فردهم رجاء أن يسلموا فصدّق الله ظنه فيهم، وفيه نظر لأن قوله - صلى الله عليه وسلم - «فارجع فلن نستعين بمشرك» نكرة في سياق النفي وهي تفيد العموم [٨].

الوجه الثاني: قول الجماعة إن الاستعانة كانت ممنوعة، ثم رخص فيها قال: ذلك الحافظ في التلخيص، وعليه نص الإمام الشافعي[٩].

الوجه الثالث: ما ذكر في البحر عن العترة وأبي حنيفة وأصحابه أنها لا تجوز الاستعانة بالكفار والفساق، إلا عندما يستقيمون على أوامر الولي المسلم ونواهيه، واستدلوا بأن استعانته - صلى الله عليه وسلم - بمن سبق ذكرهم إنما كانت بهذا الوصف، بمعنى أن يكون الكفار مأمورين منهيين، لا آمرين ناهين[١٠].

---

(١)انظر المصدرين السابقين، من نفس المكان.
(٢)انظر مغني المحتاج ج٤ ص٢٢١.
(٣)انظر فقه السيرة/ محمد سعيد رمضان البوطي ص١٩٠.
(٤)انظر نيل الأوطار للشوكاني ج٨ ص٤٥.
(٥)فقه السيرة/ محمد سعيد رمضان البوطي ص٢٥٢.
(٦)انظر نيل الأوطار للشوكاني ص٤٥.
(٧)انظر :المصدر نفسه والصحيفة نفسها.
(٨)انظر نيل الأوطار للشوكاني ج٨ ص٤٣ - ٤٤.
(٩)انظر :المصدر نفسه والصحيفة نفسها.
(١٠)انظر :المصدر نفسه والصحيفة نفسها.

أما استعانته - صلى الله عليه وسلم - بالمنافقين فقد انعقد الإجماع على جواز الاستعانة بهم على الكفار، فقد استعان النبي - صلى الله عليه وسلم - بابن أبي وأصحابه، وكذلك الاستعانة بالفساق على الكفار [١].

ومن هذا الباب الاستعانة بالفساق على البغاة حيث يرى الإمام الشوكاني جواز ذلك [٢].

الوجه الرابع: اشتراط بعض أهل العلم ومنهم الهادوية، أنها لا تجوز الاستعانة بالكفار والفساق، إلا إذا كان مع الإمام جماعة يستقل بهم في إمضاء الأحكام الشرعية، على الذين استعان بهم ليكون المستعان بهم مغلوبين لا غالبين، كما كان وضع المنافقين مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم -.

وبناء على ما تقدم فقد اشترط القائلون بجواز الاستعانة بالكفار شروطًا تجعل الاستعانة بالكفار عند الضرورة القصوى، وفي مجالات لا تؤثر في عقيدة الإسلام وحياة المسلمين وهذه الشروط كما يلي:-

١ - أن لا يوجد من المسلمين من يقوم مقام الكافر أو الكفار الذين يراد الاستعانة بهم.

٢ - أن يستعان بهم فيما دون القتال مع المسلمين كما هو رأي الجمهور[٣].

٣ - أن يكون المستعان بهم من الكفار فيه نصح ونفع للمسلمين.

٤ - أن لا يستقل الكافر برأي أو مشورة، عن رأي أهل الحل والعقد من المسلمين، بل يكون تابعًا مأمورًا، لا آمرًا متبوعًا.

٥ - أن لا يكون للمشركين صولة ودولة يخشى منها التعاون مع من استعان بهم المسلمون من الكفار لضرب الإسلام وأهله.

٦ - أن يكون الكافر أو الكفار المستعان بهم مستخدمين أجراء لا أنصارًا مكرمين.

٧ - إن جاز على بعض الأقوال الاستعانة بالمشرك في حرب غيره من المشركين فلا يجوز بحال من الأحوال الاستعانة بالمشركين في حرب البغاة من أهل الإسلام [٤].

ولكن الناظر إلى أحوال المسلمين اليوم يجد عكس ذلك تمامًا حيث إن الكفار يقدمون على المسلمين في ديار الإسلام فهم المستشارون العسكريون والخبراء المنفذون، ولهم من الامتيازات العظيمة والتسهيلات الواسعة ما جعلهم يحصلون على تقدير مادي ومعنوي، لا يحصل عليه المسلم الذي يساويهم أو يتفوق عليهم علمًا وعملاً، فبلاد المسلمين تكتظ بملايين النصارى واليهود وأهل الأوثان الذين يحملون جنسيات مختلفة وهم في حقيقة أمرهم جواسيس للأعداء وقد كشفت الحروب الثلاثة مع اليهود جوانب من ذلك[٥].

بينما كثير من أهل الخبرة والمعرفة من المسلمين مهاجرون إلى دول الغرب والشرق بسبب سوء المعاملة التي يتلقونها في داخل البلاد الإسلامية فواقع المسلمين عكس ما يجب أن يكون تمامًا، حيث إنهم أذلاء في معاملة الكافرين أشداء في معاملة المؤمنين فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

القرآن

{وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ (٥٨)} [المائدة: ٥٨]

التفسير:

وإذا أذَّن مؤذنكم -أيها المؤمنون- بالصلاة سخر اليهود والنصارى والمشركون واستهزؤوا من دعوتكم إليها؛ وذلك بسبب جهلهم بربهم، وأنهم لا يعقلون حقيقة العبادة.

---

(١)انظر :المصدر نفسه والصحيفة نفسها.

(٢)انظر :المصدر نفسه والصحيفة نفسها.

(٣)انظر فقه السيرة/ محمد سعيد رمضان البوطي ص١٩٠.

(٤)انظر الدرر السنية ج٧ ص٣٧٦.

(٥)انظر كتاب كيف تحطمت الطائرات عند الفجر، وكتاب سقوط الجولان، تأليف/ خليل مصطفى/ ضابط استخبارات الجولان قبل حرب ١٣٨٧هـ-١٩٦٧م.

في سبب نزول الآية وجوه:
أحدها: قال الكلبي: " ان منادي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا نادى إلى الصلاة، فقام المسلمون إليها، قالت اليهود: قاموا لا قاموا، صلوا لا صلوا، ركعوا لا ركعوا. على طريق الاستهزاء والضحك فأنزل الله تعالى هذه الآية"[١]. [موضوع]
والثاني: قال السدي: " نزلت في رجل من نصارى المدينة كان إذا سمع المؤذن يقول: أشهد أن محمدا رسول الله قال: حرق الكاذب. فدخل خادمه بنار ذات ليلة وهو نائم وأهله نيام، فطارت منها شرارة في البيت فاحترق هو وأهله"[٢].[مرسل]
قال الزمخشري:" قيل: فيه دليل على ثبوت الأذان بنص الكتاب لا بالمنام وحده"[٣].
والثالث: نقل الواحدي عن بعضهم: "إن الكفار لما سمعوا الآذان حسدوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والمسلمين على ذلك، فدخلوا على رسول الله وقالوا: يا محمد لقد أبدعت شيئا لم نسمع به فيما مضى من الأمم الخالية، فإن كنت تدعي النبوة فقد خالفت فيما أحدثت من هذا الآذان الأنبياء من قبلك، ولو كان في هذا الأمر خير كان أولى الناس به الأنبياء والرسل من قبلك، فمن أين لك صياح كصياح العير؟ فما أقبح من صوت ولا أسمج من كفر! فأنزل الله تعالى هذه الآية وأنزل: {ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا} الآية. [فصلت: ٣٣]"[٤].
قوله تعالى:{وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ} [المائدة: ٥٨]، أي:" وإذا أذَّن مؤذنكم -أيها المؤمنون- بالصلاة"[٥].
قال الواحدي:" أي: إذا دعوتم الناس إلى الصلاة بالأذان، والنداء: الدعاء بأرفع الصوت"[٦].
قال ابن كثير:" أي: وكذلك إذا أذنتم داعين إلى الصلاة التي هي أفضل الأعمال لمن يعقل ويعلم من ذوي الألباب"[٧].
قال الجصاص:" قد دلت هذه الآية على أن للصلاة أذانا يدعى به الناس إليها"[٨].
عن محمد بن مسلم بن شهاب الزهري: "قد ذكر الله الأذان في كتابه فقال: {وإذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا}"[٩].
قوله تعالى:{اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا} [المائدة: ٥٨]، أي:" سخر اليهود والنصارى والمشركون واستهزؤوا من دعوتكم إليها"[١٠].
قال السمرقندي:" يعني: الكفار، إذا سمعوا الأذان استهزءوا به. وإذا رأوهم ركعا وسجدا ضحكوا واستهزءوا بذلك"[١١].

---

(١) أسباب النزول للواحدي:٢٠٠، ذكره دون إسناد، وتفسير الثعلبي:٨٢/٤، والكلبي ضعيف، متروك متهم بالكذب.
وأخرجه البيهقي في "الدلائل" (٢٧٥/٦) من طريق محمد بن مروان السدي عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس به وهو موضوع.
(٢)أسباب النزول للواحدي:٢٠١، ذكره دون إسناد، وأخرجه الطبري(١٢٢١٨):ص٤٣٢/١٠، مرسلا، وابن ابي حاتم(٦٥٥٧):ص١١٦٣/٤-١١٦٤، وليس فيهما "نزلت".
وعزاه في الدر:٢/ ٢٩٤، لابن أبي حاتم وأبي الشيخ، وانظر: تفسير الثعلبي:٨٢/٤.

(٣) الكشاف:٦٥٠/١.
(٤)أسباب النزول للواحدي:٢٠١،ذكره دون إسناد، وانظر: تفسير الثعلبي:٨٢/٤، وتفسير القرطبي:٢٢٤/٦.
(٥) تفسير الطبري: ٤٣٣/١٠، وانظر: التفسير الميسر:١١٨.
(٦) تفسير الوسيط:٢٠٣/٢.
(٧) تفسير ابن كثير:١٤٠/٣.
(٨) أحكام القرآن:١٠٣/٤.
(٩) أخرجه ابن أبي حاتم(٦٥٥٨):ص١١٦٤/٤.
(١٠) التفسير الميسر:١١٨.
(١١) بحر العلوم:٤٠١/١.

قال الطبري:أي:"سخر من دعوتكم إليها هؤلاء الكفار من اليهود والنصارى والمشركين، ولعبوا من ذلك"(١).

قال ابن الجوزي:" واتخاذهم إياها هزوا: تضاحكهم وتغامزهم ذلك"(٢).

قال مقاتل:"يعنى: استهزاء وباطلا، وذلك أن اليهود كانوا إذا سمعوا الأذان ورأوا المسلمين قاموا إلى صلاتهم يقولون قد قاموا لا قاموا، وإذا رأوهم ركعوا قالوا لا ركعوا وإذا رأوهم سجدوا ضحكوا وقالوا لا سجدوا واستهزءوا"(٣).

قال السعدي:" فكيف تدعي لنفسك دينا قيما، وأنه الدين الحق وما سواه باطل، وترضى بموالاة من اتخذه هزوا ولعبا، وسخر به وبأهله، من أهل الجهل والحمق؟! وهذا فيه من التهييج على عداوتهم ما هو معلوم لكل من له أدنى مفهوم"(٤).

قوله تعالى:{ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ} [المائدة: ٥٨]، أي:" وذلك بسبب جهلهم بربهم، وأنهم لا يعقلون حقيقة العبادة"(٥).

قال القرطبي:" أي: أنهم بمنزلة من لا عقل له يمنعه من القبائح"(٦).

قال السمرقندي:أي:" ذلك الاستهزاء بأنهم قوم لا يعقلون، يعني: لا يعلمون ثوابه"(٧).

قال مقاتل:" يقول: لو عقلوا ما قالوا هذه المقالة"(٨).

قال الزمخشري:" لأن لعبهم وهزؤهم من أفعال السفهاء والجهلة، فكأنه لا عقل لهم"(٩).

قال البيضاوي:" فإن السفه يؤدي إلى الجهل بالحق والهزء به، والعقل يمنع منه"(١٠).

قال الطبري:أي"فعلهم الذي يفعلونه، وهو:هزؤهم ولعبهم من الدعاء إلى الصلاة، إنما يفعلونه بجهلهم بربهم، وأنهم لا يعقلون ما لهم في إجابتهم إن أجابوا إلى الصلاة، وما عليهم في استهزائهم ولعبهم بالدعوة إليها، ولو عَقَلوا ما لمن فعل ذلك منهم عند الله من العقاب، ما فعلوه"(١١).

قال الرازي:" أي: لو كان لهم عقل كامل لعلموا أن تعظيم الخالق المنعم وخدمته مقرونة بغاية التعظيم لا يكون هزوا ولعبا، بل هو أحسن أعمال العباد وأشرف أفعالهم، ولذلك قال بعض الحكماء: أشرف الحركات الصلاة، وأنفع السكنات الصيام"(١٢).

قال ابن كثير:" {ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْقِلُونَ } مَعَانِي عبادة الله وشرائعه، وهذه صفات أتباع الشيطان الذي "إذا سمع الأذان أدبر وله حُصَاص، أي: ضراط حتى لا يسمع التأذين، فإذا قضي التأذين أقبل، فإذا ثُوِّب بالصلاة أدبر، فإذا قضي التثويب أقبل حتى يخطر بين المرء وقلبه، فيقول: اذكر كذا، اذكر كذا، لما لم يكن يذكر، حتى يظل الرجل إن يدري كم صلّى، فإذا وجد أحدكم ذلك، فليسجد سجدتين قبل السلام"(١٣)."(١٤).

قال المراغي:" أي ذلك الفعل الذي يفعلونه وهو الهزؤ والسخرية إنما كان لجهلهم بحقيقة الأديان وما أوجب الله فيها من تعظيمه والثناء عليه بما هو أهله، ولو كان عندهم عقل

---

(١)تفسير الطبري: ٤٣٣/١٠.
(٢) زاد المسير:٥٦٢/١.
(٣) تفسير مقاتل بن سليمان:٤٨٧/١.
(٤) تفسير السعدي:٢٣٧.
(٥) التفسير الميسر:١١٨.
(٦) تفسير القرطبي:٢٣٣/٦.
(٧) بحر العلوم:٤٠١/١.
(٨) تفسير مقاتل بن سليمان:٤٨٧/١.
(٩) الكشاف:٦٥٠/١.
(١٠) تفسير البيضاوي:١٣٣/٢.
(١١)تفسير الطبري: ٤٣٣/١٠.
(١٢) مفاتيح الغيب:٣٨٨/١٢.
(١٣)أخرجه ابن ماجه (١٢١٧) ، والدارقطني ٣٧٤/١-٣٧٥، والبيهقي ٣٤٠/٢ من طريق ابن إسحاق.
(١٤) تفسير ابن كثير:١٤٠/٣.

لخشعت قلوبهم كلما سمعوا المؤذن يكبر الله تعالى ويمجده بصوته الندى ويدعو إلى الصلاة له والفلاح بمناجاته وذكره، فهو ذكر مؤثر فى النفوس لا تخفى محاسنه على من يعقل الحكمة فى إرسال الشرائع ويؤمن بالله العلى الكبير"(١).

قال الماتريدي:" نفى عنهم العقل؛ لما لم ينتفعوا بما عقلوا؛ وإلا كانوا يعقلون؛ وعلى ذلك يخرج قوله: {وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ} [الملك: ١٠]، لما لم ينتفعوا بما سمعوا به وعقلوا، وكذلك قوله: {صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ} [البقرة: ١٧١] الآية: إنا نعلم أنهم كانوا يبصرون ويسمعون؛ لكن نفي عنهم لما لم ينتفعوا بالبصر والسمع واللسان؛ كمن ليس له ذلك في الأصل.

ويحتمل وجها آخر: وهو أن شدة بغضهم وحسدهم لنبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - تمنعهم عن فهم ما خوطبوا به، وتحول بينهم وبين معرفة ذلك - فكانوا كمن ليس لهم ذلك رأسا "(٢).

الفوائد:

١- تحريم موالاة من اتخذ ديننا هزوا.

٢- الإخبار بأن الذين لا يستفيدون من العقل ويعرضون عنه ويتبعون الهوى كأنهم في حكم فاقدي العقل، قال تعالى: وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلاَةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْقِلُونَ [المائدة:٥٨].

فهؤلاء الأعداء يسخرون من الأذان، ومن الصلاة، ومن العبادة، ويتخذونها هزوا ولعبا وسخرية، لأنهم قوم لا يعقلون معنى العبادة، ولا معنى شرع الله، والصلاة أكرم شيء وأفضله لمن يعقل ويعلم.

وهذه صفات أتباع الشيطان الذي "إذا سمع الأذان أدبر وله حصاص، أي: ضراط حتى لا يسمع التأذين .. "(٣).

٣- ومنها: أن كل من خالف الحق، وما أنزل الله فليس بعاقل، وليس عنده هدًى؛ لقوله تعالى: {ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْقِلُونَ} .

والمراد هنا:عقل رشد- وإن كان عندهم عقل إدراك -؛ فلعدم انتفاعهم بعقولهم نفى الله عنهم العقل.

القرآن

{قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ (٥٩)} [المائدة: ٥٩]

التفسير:

قل -أيها الرسول- لهؤلاء المستهزئين من أهل الكتاب: ما تَجِدُونه مطعنًا أو عيبًا هو محمدة لنا: من إيماننا بالله وكتبه المنزلة علينا، وعلى من كان قبلنا، وإيماننا بأن أكثركم خارجون عن الطريق المستقيم!

سبب النزول:

قال ابن عباس-رضي الله عنه-:" أتى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نفر من اليهود، فيهم: أبو ياسر بن أخطب، ورافع بن أبي رافع، وعازر، وزيد، وخالد، وأزار بن أبي أزار، وأشيع، فسألوه عمن يؤمن به من الرسل، قال: "أؤمن بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون"، فلما ذكر عيسى جحدوا نبوته وقالوا: لا نؤمن

---

(١) تفسير المراغي:١٤٦/٦-١٤٧.
(٢) تفسير الماتريدي:٥٤٧/٣.
(٣) تفسير ابن كثير:١٤٠/٣.

بمن آمن به؛ فأنزل الله فيهم: {قُلْ يَاأَهْلَ الكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ}"[١].[ضعيف]

قوله تعالى:{قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ} [المائدة: ٥٩]، أي:" قل -أيها الرسول- لهؤلاء المستهزئين من أهل الكتاب"[٢].

قال مكي:أي:" قل يا محمد لليهود والنصارى"[٣].

قال ابن كثير:أي:" قل يا محمد، لهؤلاء الذين اتخذوا دينكم هزوًا ولعبًا من أهل الكتاب"[٤].

قوله تعالى:{هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ} [المائدة: ٥٩]، أي:" هل تعيبون علينا من شيء وتكرهوننا لأجله، إلا إيماننا بالله وكتبه المنزلة علينا، وعلى من كان قبلنا"[٥].

قال مكي:" هل [تكرهون] منا وتجدون علينا شيئاً من الأشياء إلا إيماننا بالله وإقرارنا به، وبما أنزل إلينا، وبما أنزل من قبل أي: التوراة والإنجيل وجميع الكتب؟"[٦].

قال الطبري:أي:" هل تكرهون منا أو تجدون علينا في شيء إذ تستهزئون بديننا، وإذ أنتم إذا نادينا إلى الصلاة اتخذتم نداءنا ذلك هزوًا ولعبًا، إلا أن آمنا بالله ، يقول: إلا أن صدقنا وأقررنا بالله فوحدناه، وبما أنزل إلينا من عند الله من الكتاب، وما أنزل إلى أنبياء الله من الكتب من قبل كتابنا"[٧].

قال السعدي:" أي: هل لنا عندكم من العيب إلا إيماننا بالله، وبكتبه السابقة واللاحقة، وبأنبيائه المتقدمين والمتأخرين ؟"[٨].

قال البغوي:" أي: إنما كرهتم إيماننا وأنتم تعلمون أنا على حق"[٩].

قال ابن كثير: أي: هل لكم علينا مطعن أو عيب إلا هذا ؟ وهذا ليس بعيب ولا مذمة، فيكون الاستثناء منقطعًا كما في قوله: { وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ } [البروج: ٨] وكقوله: { وَمَا نَقَمُوا إِلا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ } [التوبة: ٧٤] وفي الحديث المتفق عليه: «ما ينقم ابن جَميل إلا أن كان فقيرًا فأغناه الله»[١٠]"[١١].

قال الماتريدي:" أي: كيف تطعنون علينا وتعيبون، وأنتم ممن قد دعوتم إلى الإيمان بالله، والإيمان بما أنزل في الكتب، وأنتم ممن قد أوتيتم الكتاب، وفي كتابكم الإيمان بالله، والإيمان بالكتب كلها؛ فكيف تنكرون الإيمان بذلك كله، وتعيبون علينا؟!"[١٢].

قال الزجاج:" معنى نقمت بالغت في كراهة الشيء"[١٣].

---

(١)أخرجه ابن إسحاق في "المغازي"؛ كما في "الدر المنثور" (٣/ ١٠٨) -ومن طريقه الطبري في "جامع البيان" (١٢٢١٩):ص١٠/٤٣٤، وابن أبي حاتم في "تفسيره" (٦٥٥٩) :ص٤/ ١١٦٤ : ثني محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس به.

قلنا: وسنده ضعيف؛ لجهالة محمد هذا كما تقدم مراراً.

والحديث ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ١٠٧) وزاد نسبته لابن المنذر وأبي الشيخ.

(٢) التفسير الميسر:١١٨.

(٣) الهداية إلى بلوغ النهاية:١٧٩١/٣.

(٤) تفسير ابن كثير:١٤٢/٣.

(٥) انظر: تفسير المراغي:١٤٧/٦، والتفسير الميسر:١١٨.

(٦) الهداية إلى بلوغ النهاية:١٧٩١/٣.

(٧) تفسير الطبري:٤٣٣/١٠.

(٨) تفسير السعدي:٢٣٧.

(٩) تفسير البغوي:٧٥/٣.

(١٠)رواه البخاري في صحيحه برقم (١٤٦٨) ورواه مسلم في صحيحه برقم (٩٨٣) من حديث أبي هريرة ، رضي الله عنه.

(١١) تفسير ابن كثير:١٤٢/٣.

(١٢) تفسير الماتريدي:٥٤٨/٣.

(١٣) معاني القرآن:١٨٦/٢.

قال الراغب:" يقال: نقم ونقم عليه نقمة إذا أنكر ما فعله وسخط عليه ولتضمين النقمة السخط والإنكار استعمل في كل واحد منهما على الانفراد"[١].

والعرب تقول: نقَمتُ عليك كذا أنقِم وبه قرأه القرأة من أهل الحجاز والعراق وغيرهم و نقِمت أنقِم ، لغتان ولا نعلم قارئًا قرأ بهما بمعنى وجدت وكرهت، ومنه قول عبد الله بن قيس الرقيات[٢]:

مَا نَقَمُوا مِنْ بَنِي أُمَيَّة إلا أَنَّهُمْ يَحْلُمُونَ إنْ غَضِبُوا[٣]

وقرأ الحسن، والأعمش: «تنقمون» بفتح القاف[٤]. قال الزمخشري:" والفصيح كسرها"[٥].

وقرأ الجمهور:«أنزل» بضم الهمزة، وكذلك في الثاني، وقرأ أبو نهيك:«أنزل» بفتح الهمزة والزاي فيهما[٦].

قوله تعالى:{وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ} [المائدة: ٥٩]، أي:" وإيماننا بأن أكثركم خارجون عن الطريق المستقيم"[٧].

قال مقاتل:" يعني: عصاة"[٨].

قال مكي: "أي: وهل تنقمون منا إلا أن أكثركم فاسقون؟"[٩].

قال ابن ابي زمنين:" أي: بفسقكم نقمتم ذلك علينا"[١٠].

قال ابن كثير:" أي: وآمنا بأن أكثركم فاسقون، أي: خارجون عن الطريق المستقيم"[١١].

قال السمرقندي:" يعني: لم تؤمنوا لفسقكم، وعصيانكم"[١٢].

قال السعدي:أي:" ومع هذا فأكثركم خارجون عن طاعة الله، متجرئون على معاصيه، فأولى لكم -أيها الفاسقون- السكوت، فلو كان عيبكم وأنتم سالمون من الفسق، وهيهات ذلك - لكان الشر أخف من قدحكم فينا مع فسقكم"[١٣].

قال البغوي:" لأنكم فسقتم بأن أقمتم على دينكم لحب الرياسة وحب الأموال"[١٤].

قال الماتريدي:" أي: كيف تطعنون علينا وتعيبون، وأنتم ممن قد دعوتم إلى الإيمان بالله، والإيمان بما أنزل في الكتب، وأنتم ممن قد أوتيتم الكتاب، وفي كتابكم الإيمان بالله، والإيمان بالكتب كلها؛ فكيف تنكرون الإيمان بذلك كله، وتعيبون علينا؟!"[١٥].

---

(١) تفسير الراغب الأصفهاني:٣٨٧/٥.

(٢)ديوانه : ٧٠ ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ١ : ١٧٠ ، واللسان (نقم) ، من قصيدته التي قالها لعبد الملك بن مروان ، في خبر طويل ذكره أبو الفرج في الأغاني ٥ : ٧٦ - ٨٠ ، وبعد البيت : وأَنَّهُمْ مَعْدِنَ المُلُوكِ ، فَلا ... تَصْلُحُ إلا عَلَيْهِمُ العَرَبُ
إن الفَنِيق الَّذِي أَبُوهُ أَبُو ... العَاصِي ، عَلَيْهِ الوَقَارُ والحُجُبُ
خَلِيفَةُ اللهِ فَوْقَ مِنْبَرِه ... جَفَّتْ بذَاكَ الأَقْلامُ والكُتُبُ
يَعْتَدِلُ التَّاجُ فَوْقَ مَفْرِقِهِ ... عَلَى جَبِينٍ كَأَنَّهُ الذَّهَب.

(٣) انظر: تفسير الطبري:٤٣٣/١٠-٤٣٤.

(٤) انظر: الكشاف: ٦٥٠/١، وزاد المسير:٥٦٢/١.

(٥)الكشاف: ٦٥٠/١.

(٦) انظر: المحرر الوجيز:٢١٠/٢.

(٧) التفسير الميسر:١١٨.

(٨) تفسير مقاتل بن سليمان:٤٨٨/١.

(٩) الهداية إلى بلوغ النهاية:١٧٩١/٣.

(١٠) تفسير ابن أبي زمنين:٣٥/٢.

(١١) تفسير ابن كثير:١٤٢/٣.

(١٢) بحر العلوم:٤٠٢/١.

(١٣) تفسير السعدي:٢٣٧.

(١٤) تفسير البغوي:٧٥/٣.

(١٥) تفسير الماتريدي:٥٤٨/٣.

قال الزجاج:" المعنى: هل تكرهون منا إلا إيماننا وفسقكم، أي إنما كرهتم إيماننا وأنتم تعلمون أنا على حق لأنكم فسقتم، بأن أقمتم على دينكم لمحبتكم الرياسة، وكسبكم بها الأموال"(١).

قال ابن عطية:" وهذه الآية من المحاورة البليغة الوجيزة، ومثلها قوله تعالى: {وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ} [البروج: ٨]، ونظير هذا الغرض في الاستثناء قول النابغة(٢):

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم   بهن فلول من قراع الكتائب"(٣)

أي: ليس فيهم عيب(٤).

وفي عطف قوله: {وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ} [المائدة: ٥٩]، وجوه(٥):

أحدها: أن يعطف على:{أن آمنا}، بمعنى: وما تنقمون منا إلا الجمع بين إيماننا وبين تمردكم وخروجكم عن الإيمان، كأنه قيل: وما تنكرون منا إلا مخالفتكم حيث دخلنا في دين الإسلام وأنتم خارجون منه.

والثاني: أن يكون على تقدير حذف المضاف، أى: واعتقاد أنكم فاسقون.

والثالث: أن يعطف على المجرور، أى: وما تنقمون منا إلا الإيمان بالله وبما أنزل وبأن أكثركم فاسقون.

والرابع: ويجوز أن تكون «الواو» بمعنى «مع»، أى: وما تنقمون منا إلا الإيمان مع أن أكثركم فاسقون.

والخامس: ويجوز أن يكون تعليلا معطوفا على تعليل محذوف، كأنه قيل: وما تنقمون منا إلا الإيمان، لقلة إنصافكم وفسقكم واتباعكم الشهوات.

قال الزمخشري:"ويدل عليه تفسير الحسن: بفسقكم نقمتم ذلك علينا"(٦).

قال ابن عطية:" وهذا الكلام صحيح في نفسه لكنه غير مغن في تقويم معنى الألفاظ ...وقوله تعالى: {وأن أكثركم فاسقون}، هو عند أكثر المتأولين معطوف على قوله: أن آمنا فيدخل كونهم فاسقين فيما نقموه"(٧).

و«الفسق» لغة: الخروج عن الشيء، أو القصد، وهو الخروج عن الطاعة، والفسق: الفجور، والعرب تقول: إذا خرجت الرطبة من قشرها: قد فسقت الرطبة من قشرها، وفسق فلان في الدنيا فسقاً: إذا اتسع فيها، وهوّن على نفسه، واتسع بركونها لها، لم يضيّقها عليه، ورجل فاسق، وفسيق وفُسَق: دائم الفِسْق، والفويسقة الفأرة: تصغر فاسقة، لخروجها من جحرها على الناس وإفسادها، والتفسيق ضدّ التّعديل(٨) .

وأما المقصود بـ«الفسق» اصطلاحًا: فقد تنوعت عبارات العلماء في ذلك، على النحو الآتي:

أولا:- أن الفسق في عرف الاستعمال الشرعي: الخروج من طاعة الله ـ عز وجل ـ فقد يقع على من خرج بكفر، وعلى من خرج بعصيان. قاله ابن عطية(٩)، والطبري(١)، والقرطبي(٢).

---

(١) معاني القرآن:١٨٦/٢.
(٢) .ديوانه: ١١، وكتاب البديع: ١١١، والعمدة: ٤٥/٢، والصناعتين: ٤٠٨ ، وإعجاز القرآن: ١٦١.
(٣) المحرر الوجيز:٢١٠/٢.
(٤) انظر: غريب القرآن لابن قتيبة:١٦٥.
(٥) انظر: الكشاف:٦٥٠/١-٦٥١.
(٦) .الكشاف:٦٥١/١
(٧) المحرر الوجيز:٢١٠/٢.
(١) انظر : اللسان (٣٠٨/١٠) ومعجم مقاييس اللغة (٥٠٢/٢) ، والمصباح المنير للفيومي ص (٥٦٨) ، وترتيب القاموس المحيط للزاوي (٥٠٢/٤) ، ومفردات الراغب ص (٥٧٢) .
(٢) تفسير ابن عطية(١٥٥/١).
(٩) انظر: المحرر الوجيز:١١٢/١.

وقد روي "عن ابن عباس في قوله:{بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ }[سورة البقرة: ٥٩]، أي بما بعُدوا عن أمري"(٣).

قال الشوكاني:عن هذا التعريف:" وهذا هو أنسب بالمعنى اللغوي، ولا وجه لقصره على بعض الخارجين دون بعض " (٤).

والثاني:- وقال ابن كثير: والفاسق: هو الخارج عن الطاعة. تقول العرب: فسقت الرطبة: إذا خرجت من قشرتها؛ ولهذا يقال للفأرة: فويسقة، لخروجها عن جُحْرها للفساد(٥).

وثبت في الصحيحين، عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "خمس فواسق يُقتلن في الحل والحرم: الغراب، والحدأة، والعقرب، والفأرة، والكلب العقور"(٦).

والثالث:- وقال البيضاوي: " الفاسق الخارج عن أمر الله بارتكاب الكبيرة " (٧).

والرابع:- وقال الألوسي: "الفسق شرعًا: خروج العقلاء عن الطاعة، فيشمل الكفر ودونه من الكبيرة والصغيرة، واختص في العرف والاستعمال بارتكاب الكبيرة، فلا يطلق على ارتكاب الآخرين إلا نادرًا بقرينة " (٨).

ومن خلال التعريفات السابقة: ندرك عموم مصطلح الفسق، فهو في الأصل – أعمّ من الكفر -(٩) إذ يشمل الكفر وما دونه من المعاصي، ولكن خصّه العرف بمرتكب الكبيرة، ولذا يقول الراغب الأصفهاني: " والفسق يقع بالقليل من الذنوب والكثير، ولكن تعورف فيما كان كثيراً"(١٠).

الفوائد:

١- التقريع لأهل الكتاب والتنديد بباطلهم ومخازيهم، إذ أن القرآن الكريم قد شنع بأهل الكتاب ودحض شبهاتهم وأغاليطهم.

٢-أن شعور اليهود بفسقهم وبعد ضلالهم جعلهم يعملون على إضلال المسلمين.

٣- أن لهذه الأمة قيراطان من الأجر؛ لإيمانهم بموسى وعيسى مع إيمانهم بمحمد -صلى الله عليه وسلم-؛ لأن التصديقَ عَمَلٌ، ويدل على ذلك قوله تعالى: {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ} [المائدة: ٥٩].

٤- أن العُرف في الفاسق في زمان النبي -صلى الله عليه وسلم- غيرُ العرف في وقتنا مثل قوله تعالى في الكفار: {وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ} [الأعراف: ١٠٢]، وقوله تعالى في المشركين: {كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ} إلى قوله: {وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ} [التوبة: ٨] ومثل قوله في اليهود: {وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ}[المائدة: ٥٩] وقوله فيهم: {وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ} [المائدة: ٨١].

فَهذِهِ النصوص -كما ترى- دالةٌ على أن في الكفار المصرحين من لا يستحِقُّ أن يُسَمَّى فاسقاً، فدلَّ ذلِكَ على أن ثَمَّ عُرفاً في اسم الفاسق غيرَ هذا العرفِ الذي اصطلح عليه المتأخرون، وغير الحقيقة اللغوية.

٥- ضرورة عدم الخلط بين مفهوم الفسق عند أهل السنة، ومخالفيهم، وفيما يأتي بعض التنبيهات على ذلك:

---

(٣) أنظر: تفسيره: ٤٠٩/١-٤١٠.

(٣) تفسير القرطبي(٢٤٥/١).

(٣)أخرجه الطبري(٥٧١):ص٤٠٩/١-٤١٠.

(٤) فتح القدير (٥٧/١) .

(٥) تفسير ابن كثير: ٢٠٩/١.

(٦)صحيح البخاري برقم (٣٣١٤) وصحيح مسلم برقم (١١٩٨).

(٥)- تفسر البيضاوي (٤١/١)وانظر :تفسير أبي السعود (١٣١/١) .

(٦) تفسير الألوسي (٢١٠/١).

(٧) انظر : تفسير ابن كثير (٦٣/١) ، ومفردات الراغب ص (٥٧٢) ، ونزهة الأعين النواظر لابن الجوزي (٧٢/٢) ، والكليّات للكفوي ص:(٦٩٣) .

(٨) المفردات ص (٥٧٢).

أولا:- إن مرتكب الكبيرة عند أهل السنة مع أنه فاسق بكبيرته، إلا أنه لا يخرج من الإيمان بالكلية، فيمكن اجتماع الإيمان مع هذا الفسق الأصغر ـ كما هو مقرر عند أهل السنة ـ، ومن ثم فهو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته(1)، وأمره إلى الله تعالى، إن شاء غفر له برحمته، وإن شاء عذبه بعدله، ومآله إلى الجنة فيما بعد؛ فأهل السنة متفقون على أن فساق أهل الملة ـ وإن دخلوا النار، أو استحقوا دخولها ـ فإنهم لابد أن يدخلوا الجنة(2).

يقول ابن تيمية ـ مقررًا هذه المسألة ـ " ومن أصول أهل السنة والجماعة: أن الدين والإيمان قول وعمل، قول القلب واللسان،وعمل القلب والجوارح، وأن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وهم مع ذلك لا يكفرون أهل القبلة بمطلق المعاصي والكبائر كما يفعله الخوارج، بل الأخوة الإيمانية ثابتة مع المعاصي، كما قال سبحانه: {فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ}[البقرة: ١٧٨]، وقال سبحانه: {وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ[٩]إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ}[الحجرات: ١٠،٩].

ثانيا:- ولا يسلبون الفاسق الملي الإسلام بالكلية، ولا يخلدونه في النار، كما تقول المعتزلة، بل الفاسق يدخل في اسم الإيمان المطلق كما في قوله: {فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ} [النساء: ٩٢] .

ثالثا:- وقد لا يدخل في اسم الإيمان المطلق كما في قوله تعالى: " إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً}[الأنفال: ٢]، وقوله صلى الله عليه وسلم: " لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلَا يَنْتَهِبُ نُهْبَةً ذات شرف يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ"(3)، ونقول: هو مؤمن ناقص الإيمان، أو مؤمن بإيمانه، فاسق بكبيرته، فلا يعطي الاسم المطلق، ولا يسلب مطلق الاسم (4).

فارتكاب الكبير يعدّ فسقاً ينافي كمال الإيمان الواجب، وهذا الفسق يمكن اجتماعه مع الإيمان، وصاحبه متعرّض للوعيد، فأهل السنة يقولون بجواز التبعض في الاسم والحكم، بمعنى أن يكون مع الرجل بعض الإيمان لا كله، ويثبت له من حكم أهل الإيمان وثوابهم بحسب ما معه، كما يثبت له من العقاب بحسب ما عليه (5).

وإذا تقرر مفهوم الفسق عند أهل السنة، فإننا نورد مفهومه عند المخالفين:

أولا: الأشاعرة:

فأما الأشاعرة: فنجد فيهم من يجعل الفاسق الملي مؤمنًا بإطلاق، ويعتبرونه مؤمنًا حقًا، كما قال أحدهم – وهو الآمدي -: " فعلى هذا مهما كان مصدقاً بالجنان وإن أخلّ بشيء من الأركان، فهو مؤمن حقاً، وانتفاء الكفر عنه واجب، وإن صح تسميته فاسقاً بالنسبة إلى ما أخلّ به من الطاعات، وارتكب من المنهيّات " (6).

وسمى الإيجي مرتكب الكبيرة مؤمناً بإطلاق (7).

---

(١)هذا بالنسبة للحكم العام المطلق،فنطلق القول بنصوص الوعيد والتكفير والتفسيق ، ولا نحكم للمعين بدخوله في ذلك العام حتى يقوم فيه المقتضي الذي لا معارض له. انظر:مجموع فتاوى ابن تيمية(٣٣٢/١٠)،(٤٨٤/٤)،(٤٩٩/٢٨).

(٢)انظر:مجموع الفتاوى لابن تيمية (٤٨٦/٤).

(٥٣) أخرجه البخاري ومسلم ، كتاب المظالم ح (٢٤٧٥) ومسلم ، كتاب الإيمان ، ح (٧٦) .

(٥٤) العقيدة الواسطية بشرح محمد خليل هراس ص (١٥٢-١٥٦) .

(٥٥) انظر : شرح الأصفهانية : مخلوف ص (١٤٤) .

(٥٦) غاية المرام في علم الكلام ص (٣١٢) .

(٥٧) انظر : المواقف في علم الكلام ص (٣٨٩) .

وبجدر القول بأن مرتكب الكبيرة ـ عند أهل السنة ـ لا يعطي الإيمان المطلق، فلا يقال عن الزاني، أو شارب الخمر ـ مثلًا ـ: إنه مؤمن بإطلاق، ولكن نقيده، فنقول: مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، أو مؤمن ناقص الإيمان.

وقد عاب إبراهيم النخعي – رحمه الله – تلك المقولة، فقال: " ما أعلم قوماً أحمق في رأيهم من هذه المرجئة ؛ لأنهم يقولون: مؤمن ضالّ، ومؤمن فاسق"[١].

وعلى كلٍّ فإن مقالة أولئك الأشاعرة متفرعة من قول جمهورهم بأن الإيمان هو التصديق، حيث أخرجوا الأعمال عن مسمى الإيمان.

ثانيا: المعتزلة:

وأما المعتزلة: فمفهوم الفسق عندهم على عكس المقالة السابقة، فالفاسق عندهم ليس مؤمنًا، كما أنه ليس كافرًا، بل هو في منزلة بين المنزلتين، ولم يقل أحد من المعتزلة بإيمان مرتكب الكبيرة سوى الأصم[٢].

يقول عبد الجبار الهمداني المعتزلي: " صاحب الكبيرة له اسم بين الاسمين، وحكم بين الحكمين، لا يكون اسمه اسم الكافر، ولا اسمه اسم المؤمن، وإنما يسمى فاسقاً، وكذلك فلا يكون حكمه حكم الكافر، ولا حكم المؤمن، بل يفرد له حكم ثالث، وهو المنزلة بين المنزليتن "[٣].

ولما كان مرتكب الكبيرة ـ عندهم ـ فاسقًا غير مؤمن، لذا حكموا عليه بالخلود في النار.

وكما قال عبد الجبار المعتزلي: " والذي يدل على أن الفاسق يُخلّد في النار، ويُعذّب فيها أبداً ما ذكرناه من عمومات الوعيد، فإنها كما تدل على أن الفاسق يفعل به ما يستحقه من العقوبة، تدل على أنه يُخلّد " [٤].

ثالثا: الزيدية:

وقد تبع الزيديةُ المعتزلة في مفهوم الفسق، ووافقوهم على ما سبق ذكره[٥].

القرآن

{قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ (٦٠)} [المائدة: ٦٠]

التفسير:

قل -أيها النبي- للمؤمنين: هل أخبركم بمن يُجازَى يوم القيامة جزاءً أشدَّ مِن جزاء هؤلاء الفاسقين؟

إنهم أسلافهم الذين طردهم الله من رحمته وغَضِب عليهم، ومَسَخَ خَلْقهم، فجعل منهم القردة والخنازير، بعصيانهم وافترائهم وتكبرهم، كما كان منهم عُبَّاد الطاغوت [وهو كل ما عُبِد من دون الله وهو راضٍ]، لقد ساء مكانهم في الآخرة، وضلَّ سَعْيُهم في الدنيا عن الطريق الصحيح.

سبب النزول:

قال مقاتل:" قالت اليهود للمؤمنين: ما نعلم أحدا من أهل هذه الأديان أقل حظا في الدنيا والآخرة منكم. فأنزل الله- عز وجل-:{قل هل أنبئكم بشر من ذلك}، يعنى: المؤمنين {مثوبة عند

---

(٥٨) السنة للإمام عبد الله بن الإمام أحمد حنبل (٣٤١/١) .

(٥٩) انظر : مقالات الإسلاميين (٣٣٣/١) .

(٦٠) شرح الأصول الخمسة ص (٦٩٧) .

(٦١) شرح الأصول الخمسة ص (٦٦٦) .

(٦٢) انظر : مثلاً العقد الثمين في معرفة رب العالمين للحسين بن بدر الدين ص (٥٧) ومصباح العلوم في معرفة الحيّ القيوم للرصاص ، ص (٢٠) .

الله}، يعني: ثوابا من عند الله، قالت اليهود: من هم يا محمد؟ فقال النبي- صلى الله عليه وسلم-: {من لعنه الله}..."[١].

قوله تعالى:{قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ} [المائدة: ٦٠]، أي:" قل -أيها النبي- للمؤمنين: هل أخبركم بمن يُجازَى يوم القيامة جزاءً أشدَّ مِن جزاء هؤلاء الفاسقين؟"[٢].

قال ابن كثير:" أي: هل أخبركم بشر جزاء عند الله يوم القيامة مما تظنونه بنا ؟"[٣].

قال النحاس:أي:" قل هل أنبئكم بشر من ذلك أي بشر من نقمتكم علينا، وقيل: من شر ما تريدون لنا من المكروه"[٤].

قال الطبري:" قل ، يا محمد، لهؤلاء الذين اتخذوا دينكم هزوًا ولعبًا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار هل أنبئكم ، يا معشر أهل الكتاب، بشر من ثواب ما تنقِمون منا من إيماننا بالله وما أنزل إلينا من كتاب الله، وما أنزل من قبلنا من كتبه ؟"[٥].

قال الراغب:" ذكر أن إيماننا بالله وما أنزل إلينا إن كان شرا عندكم، فإني أنبئكم بما هو شر عاقبة عند الله منه"[٦].

قال السدي:"{ مثوبة عند الله}، يقول: ثوابا عند الله"[٧].

قال ابن زيد:" المثوبة، الثواب، مثوبة الخير، ومثوبة الشر ، وقرأ: {خَيْرٌ ثَوَابًا} [سورة الكهف: ٤٤]"[٨].

وفي قوله تعالى:{بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ} [المائدة: ٦٠]، قولان:

أحدهما: بشر من المؤمنين، قاله ابن عباس[٩]، ومقاتل[١٠].

والثاني: بشر مما نقمتم من إيماننا، قاله الزجاج[١١].

قال ابن عطية:" ومشى المفسرون في هذه الآية على أن الذين أمر أن يقول لهم:هل أنبئكم، هم اليهود والكفار المتخذون ديننا هزؤا ولعبا، قال ذلك الطبري[١٢] وتوبع عليه ولم يسند في ذلك إلى متقدم شيئا، والآية تحتمل أن يكون القول للمؤمنين، أي قل يا محمد للمؤمنين هل أنبئكم بشر من حال هؤلاء الفاسقين في وقت الرجوع إلى الله... وتحتمل الآية أن يكون القول للحاضرين من بني إسرائيل والإشارة بـ{ذلك} إلى إيمان المؤمنين وجميع حالهم"[١٣].

والمثوبة مختصة بالإحسان، وضعت موضع العقوبة على سبيل التهكم، على طريقة قول الشاعر[١٤]:

وَخَيْلٍ قَدْ دَلَفْتُ لَهَا بِخَيْلٍ   تَحِيَّةُ بَيْنِهِمْ ضربٌ وَجِيعُ

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان:٤٨٨/١، وانظر: زاد المسير:٥٦٣/١.
(٢) التفسير الميسر:١١٨.
(٣) تفسير ابن كثير:١٤٢/٣.
(٤) إعراب القرآن:٢٧٤/١.
(٥) تفسير الطبري:٤٣٥/١٠.
(٦) تفسير الراغب الاصفهاني:٣٨٧/٥.
(٧) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٥٦٠):ص١١٦٤/٤.
(٨) أخرجه الطبري(١٢٢٢١):ص٤٣٦/١٠.
(٩) انظر: زاد المسير:٥٦٣/١.
(١٠) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٤٨٨/١.
(١١) انظر: معاني القرآن:١٨٧/٢.
(١٢) انظر: تفسير الطبري:٤٣٥/١٠.
(١٣) المحرر الوجيز:٢١١/٢.
(١٤) يقال هو: عمرو بن معد يكرب الزبيدي. كما في: شعره ١٤٩. وقد ورد منسوبًا له في: "كتاب سيبويه" ٣/ ٥٠، و"النوادر" لأبي زيد ١٥٠، و"العمدة" لابن رشيق ٢/ ١٠٥٦، و"الممتع في صنعة الشعر" ١٥٩.
وأوردته المصادر التالية غير منسوب: "كتاب سيبويه" ٢/ ٢٣٢، و"المقتضب" ٢/ ٢٠، ٤/ ٤١٣، و"الخصائص" ١/ ٣٦٨، و"مفردات ألفاظ القرآن" ١٢٦، ٨٣٥، و"المحرر الوجيز" ٣/ ٣٧٥، و"شرح المفصل" ٢/ ٨٠، و"التصريح" ١/ ٣٥٣، و"خزانة الأدب" ٩/ ٢٥٧، ٢٦٣؛ حيث ذكر نسبته للشاعر ولم يجزم بذلك.

أي: ليس بينهم تحية لمنافاة الضرب للتحية، ومنه { فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} [آل عمران: ٢١، التوبة:٣٤، الانشقاق:٢٤] [١].

قرأ الجمهور:{ أنبئكم} بفتح النون وشد الباء، وقرأ ابن وثاب والنخعي «أنبئكم» بسكون النون وتخفيف الباء من أنبأ[٢].

وقرأ أكثر الناس: «مثوبة» بضم الثاء وسكون الواو، وقرأ ابن بريدة والأعرج ونبيح وابن عمران «مثوبة» بسكون الثاء وفتح الواو[٣].

قوله تعالى:{مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ} [المائدة: ٦٠]، أي:" إنهم أسلافهم الذين طردهم الله من رحمته وغَضِب عليهم"[٤].

قال الطبري:أي:" من أبعده الله وأسْحَقه من رحمته وغضب عليه"[٥].

قال ابن كثير:" أي: [من] أبعده من رحمته، {وَغَضِبَ عَلَيْهِ } أي: غضبًا لا يرضي بعده أبدًا"[٦].

قال الراغب:أي:" وهو ممن أبعدهم الله من رحمته وسخط عليهم"[٧].

قال مقاتل:" وهم اليهود، فإن لم يقتل أقر بالخراج وغضب عليه"[٨].

قال الماتريدي:" الملعون هو المطرود عن الخيرات"[٩].

قال أبو صالح عن ابن عباس: "من لعنه الله بالجزية، وغضب عليه بعبادة العجل، فهم شر مثوبة عند الله"[١٠].

قال الزمخشري:" فإن قلت: المعاقبون من الفريقين هم اليهود، فلم شورك بينهم في العقوبة؟ قلت: كان اليهود- لعنوا- يزعمون أن المسلمين ضالون مستوجبون للعقاب، فقيل لهم: من لعنه الله شر عقوبة في الحقيقة واليقين من أهل الإسلام في زعمكم ودعواكم"[١١].

قوله تعالى:{وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ} [المائدة: ٦٠]، أي:" ومَسَخَ خَلْقهم، فجعل منهم القردة والخنازير"[١٢].

قال الراغب:أي:" ومسخهم القردة والخنازير"[١٣].

قال مجاهد:": مسخت من يهود"[١٤].

قال مقاتل:" القردة في شأن الحيتان[١٥]، والخنازير[١٦] في شأن المائدة"[١٧].

---

(١) انظر: الكشاف:٦٥١/١.
(٢) انظر: المحرر الوجيز:٢١٠/٢.
(٣) انظر: المحرر الوجيز:٢١٠/٢-٢١١.
(٤) التفسير الميسر:١١٨.
(٥) تفسير الطبري:٤٣٧/١٠.
(٦) تفسير ابن كثير:١٤٢/٣.
(٧) تفسير الراغب الاصفهاني:٣٨٧/٥.
(٨) تفسير مقاتل بن سليمان:٤٨٨/١.
(٩) تفسير الماتريدي:٥٤٩/٢.
(١٠)زاد المسير:٥٦٣/١.
(١١) الكشاف:٦٥٢/١.
(١٢) التفسير الميسر:١١٨.
(١٣) تفسير الراغب الاصفهاني:٣٨٧/٥.
(١٤) أخرجه الطبري(١٢٢٢٤):ص٤٣٩/١٠.
(١٥)الحيتان هي: الأسماك التي نهوا عن صيدها يوم السبت فاصطادوها بالحيلة فقال لهم الله: كونوا قردة خاسئين.
قال تعالى: {وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ} [البقرة : ٦٥].
(١٦)وأما المائدة فقد طلبها عيسى من السماء واشترط عليهم الإيمان بالله وألا يرفعوا شيئا منها فأكلوا منها ثم كفروا ورفعوا من المائدة فدعا عليهم عيسى: أن يلعنهم الله كما لعن أصحاب السبت، فمسخهم الله خنازير.
(١٧) تفسير مقاتل بن سليمان:٤٨٨/١.

قال الزمخشري:" قيل: وجعل منهم القردة أصحاب السبت، والخنازير كفار أهل مائدة عيسى. وقيل: كلا المسخين من أصحاب السبت، فشبانهم مسخوا قردة، ومشايخهم مسخوا خنازير، وروى أنها لما نزلت كان المسلمون يعيرون اليهود ويقولون يا إخوة القردة والخنازير فينكسون رءوسهم"(١).

قال ابن مسعود قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القردة والخنازير، أهي مما مسخ الله تعالى؟ فقال:إن الله لم يهلك قومًا - أو قال: لم يمسخ قومًا - فيجعل لهم نَسْلا ولا عَقِبًا وإن القردة والخنازير كانت قبل ذلك"(٢).

وفي رواية أخرى عن ابن مسعود أيضا:" سألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القردة والخنازير، أهي من نسل اليهود ؟ فقال: "لا إن الله لم يلعن قومًا فيمسخهم فكان لهم نسل، ولكن هذا خلق كان، فلما غضب الله على اليهود فمسخهم، جعلهم مثلهم"(٣).

وفي سبب مسخهم خنازير، فروي عن عُمرَ بن كثير بن أفلح مولى أبي أيوب الأنصاري، قال: "حدِّثت أن المسخ في بني إسرائيل من الخنازير، كان أن امرأة من بني إسرائيل كانت في قرية من قرى بني إسرائيل، وكان فيها مَلِك بني إسرائيل، وكانوا قد استجمعوا على الهلكة، إلا أنّ تلك المرأة كانت على بقية من الإسلام متمسكة به، فجعلت تدعو إلى الله، حتى إذا اجتمع إليها ناس فتابعوها على أمرها قالت لهم: إنه لا بد لكم من أن تجاهدوا عن دين الله، وأن تنادوا قومكم بذلك، فاخرجوا فإني خارجة. فخرجت، وخرج إليها ذلك الملك في الناس، فقتل أصحابها جميعًا، وانفلتت من بينهم. قال: ودعت إلى الله حتى تجمَّع الناس إليها، حتى إذا رضيت منهم، أمرتهم بالخروج، فخرجوا وخرجت معهم، وأصيبوا جميعًا وانفلتت من بينهم. ثم دعت إلى الله حتى إذا اجتمع إليها رجال واستجابوا لها، أمرتهم بالخروج، فخرجوا وخرجت، فأصيبوا جميعًا، وانفلتت من بينهم، فرجعت وقد أيست، وهي تقول: سبحان الله، لو كان لهذا الدين وليٌّ وناصرٌ، لقد أظهره بَعْدُ! قال: فباتت محزونة، وأصبح أهل القرية يسعون في نواحيها خنازيرَ، قد مسخهم الله في ليلتهم تلك، فقالت حين أصبحت ورأت ما رأت: اليوم أعلم أن الله قد أعزَّ دينه وأمر دينه! قال: فما كان مسخ الخنازير في بني إسرائيل إلا على يديْ تلك المرأة"(٤).

وروي عن ابن عباس:" قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الحيات مَسْخ الجن، كما مُسِخَتِ القردة والخنازير"(٥). قال ابن كثير:"هذا حديث غريب جدا"(٦).

قال ابن عطية:"وقوله تعالى: {وجعل} هي بمعنى صير، وقال أبو علي في كتاب الحجة هي بمعنى «خلق»(١)، وهذه منه رحمه الله نزعة اعتزالية، لأن قوله: {وعبد الطاغوت} تقديره ومن عبد الطاغوت، والمعتزلة لا ترى أن الله يصير أحدا عابد الطاغوت"(٢).

---

(١) الكشاف:٦٥٣/١.

(٢)صحيح مسلم برقم (٢٦٦٣).

(٣)مسند الطيالسي برقم (٣٠٧) ومسند أحمد (٣٩٥/١) وفي إسناده محمد بن زيد الكندي وهو مجهول ، وأبو الأعين العبدي ضعيف.

(٤)أخرجه الطبري(١٢٢٢٣):ص٤٣٨/١٠.

(٥)رواه ابن حبان في صحيحه برقم (١٠٨٠) "موارد" والطبراني في المعجم الكبير (٣٤١/١١) والبزار في مسنده برقم (١٢٣٢) "كشف الأستار" وابن أبي حاتم في العلل (٢٩٠/٢) من طرق عن عبد العزيز بن المختار به.

وقال ابن أبي حاتم : سمعت أبا زرعة يقول : "هذا الحديث هو موقوف لا يرفعه إلا عبد العزيز بن المختار ولا بأس في حديثه".

ولم يتبين لي وجه غرابته عند الحافظ ابن كثير إلا أن يكون قصد أن عبد العزيز بن المختار قد خالفه فيه معمر ، فرواه عن أيوب عن عكرمة به موقوفاً. رواه الطبراني فى المعجم الكبير (٣٤١/١١). فهذا بعيد وهو محتمل ، وقد صحح هذا الحديث الحافظ المقدسى في المختارة ، كما في السلسلة الصحيحة للشيخ ناصر الألباني (٤٣٩/٤).

(٦) تفسير ابن كثير:١٤٣/٣.

قوله تعالى:{وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ} [المائدة: ٦٠]، أي:" وجعل منهم عُبَّاد الطاغوت"[٣].
قال الطبري:أي:" ومن عبد الطاغوت"[٤]. قال البغوي:" وتصديقها قراءة ابن مسعود: «ومن عبدوا الطاغوت»"[٥].
قال ابن كثير:أي:"وجعل منهم من عبد الطاغوت"[٦].
قال مقاتل: فيها تقديم وعبد الطاغوت، يعني: ومن عبد الطاغوت وهو الشيطان"[٧].
قال الزجاج:أي:" أطاع الشيطان فيما سول له وأغراه به"[٨].
قال أبو غسان: "قلت لابن أبي ليلى:{وعبد الطاغوت}، فقال: فخدم الطاغوت"[٩].
قال الزمخشري:" فإن قلت: كيف جاز أن يجعل الله منهم عباد الطاغوت؟
قلت: فيه وجهان:
أحدهما: أنه خذلهم حتى عبدوه.
والثاني: أنه حكم عليهم بذلك ووصفهم به، كقوله تعالى: {وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا} [الزخرف: ١٩]"[١٠].
وقد تعددت عبارات أهل التفسير في معنى«الطاغوت» على أقوال:
أحدها: أنه الشيطان[١١]، وهو قول عمر بن الخطاب[١٢]، ومجاهد[١٣]، والشعبي[١٤]، والضحاك[١٥]، وقتادة[١٦]، والسدي[١٧]، وعكرمة[١٨]، واختاره الزجاج[١٩]، وابن كثير[٢٠]، والقاسمي[١] وآخرون.

---

(١) انظر: الحجة للقراء السبعة:٢٣٦/٣. قال:" ومعنى:«جعل»: خلق كما قال: {وجعل منها زوجها} [الأعراف: ١٨٩]، وكما قال: {وجعل الظلمات والنور} [الأنعام: ١]، وليس عبد".
(٢) المحرر الوجيز:٢١١/٢.
(٣) التفسير الميسر:١١٨، وصفوة التفاسير:٣٢٤/١
(٤) تفسير الطبري:٤٤٣/١٠.
(٥) تفسير البغوي:٧٥/٣.
(٦) تفسير ابن كثير:١٤٣/٣.
(٧) تفسير مقاتل بن سليمان:٤٨٩/١.
(٨) معاني القرآن:١٨٧/٢.
(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٥٦٣):ص١١٦٥/٤.
(١٠) الكشاف:٦٥٣/١.
(١١) قال الشنقيطي:" قال بعض العلماء : (الطاغوت): الشيطان، ويدل لهذا قوله تعالى : {إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه}، أي يخوفكم من أوليائه . وقوله تعالى : {الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفا، وقوله : {أفتتخذونه وذريته أولياء من دونى وهم لكم عدو} وقوله : {إنهم اتخذوا الشياطين أولياء}، والتحقيق أن كل ما عبد من دون الله فهو طاغوت والحظ الأكبر من ذلك للشيطان كما قال تعالى : {ألم أعهد إليكم يا بنى ءادم أن لا تعبدوا الشيطان}، وقال: {إن يدعون من دونه إلا إناثا وإن يدعون إلا شيطانا مريدا}، وقال عن خليله ابرهيم:{يا أبت لا تعبد الشيطان}، وقال:{وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون}،إلى غير ذلك من الآيات".[أضواء البيان: ١٥٩/١].
(١٢)أنظر:تفسير الطبري(٥٨٣٤) و(٥٨٣٥):ص٤١٧/٥. وابن ابي حاتم(٢٦١٨):ص٤٩٥/٢.
(١٣) أنظر: تفسير الطبري(٥٨٣٦):ص٤١٧/٥.
(١٤)أنظر: تفسير الطبري(٥٨٣٧):ص٤١٧/٥.
(١٥)أنظر: تفسير الطبري(٥٨٣٨):ص٤١٧/٥.
(١٦)أنظر: تفسير الطبري(٥٨٣٩):ص٤١٧/٥.
(١٧)أنظر: تفسير الطبري(٥٨٤٠):ص٤١٧/٥.
(١٨)البخاري، كتاب التفسير، باب قوله: (وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ)، قبل الحديث رقم ٤٥٨٣، ولفظه: "الْجِبْتُ بِلِسَانِ الْحَبَشَةِ: شَيْطَانٌ، وَالطَّاغُوتُ: الْكَاهِنُ".
(١٩) انظر: معاني القرآن:١٨٧/٢.
(٢٠) أنظر: تفسير ابن كثير: ٦٨٣/١، إذ يقول: " ومعنى قوله في الطاغوت : إنه الشيطان قوي جدًّا فإنه يشمل كل شر كان عليه أهل الجاهلية ، من عبادة الأوثان والتحاكم إليها والاستنصار بها".

والثاني: أنه الساحر، وهو قول أبي العالية[٢]، ومحمد ابن سيرين[٣] والشعبي[٤].
والثالث: الكاهن، وهو قول جابر[٥]، وسعيد بن جبير[٦]، والرفيع[٧]، وابن جريج[٨].
والرابع: الأصنام والأوثان، وما يدعو إليه الشيطان من عبادة كل ما يعبد من دون اللَّه تعالى[٩]. روي ذلك عن مالك[١٠].
والخامس: مَرَدَة الإنس والجن[١١].
والسادس: وقيل: أنه كل ذي طغيان طغى على الله، فيعبد من دونه، إما بقهر منه لمن عبده، أو بطاعة له، سواء كان المعبود إنساناً أو صنماً، روي ذلك عن الإمام مالك[١٢]، وابن القيم[١٣]، وهذا قول أبي جعفر الطبري[١٤].
والسابع: أنها النفس لطغيانها فيما تأمر به من السوء، كما قال تعالى:{إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ} [يوسف: ٥٣]، ذكره الماوردي[١٥].
والراجح-والله أعلم- أن الطاغوت عبارة عن كل مُعتدٍ وكل معبود من دون الله[١٦]، وهو اختيار الإمام الطبري وأبي حيان[١٧] وغيرهم. وبه قال أكثر أهل العلم.
واختلفوا في أصل كلمة {الطَّاغُوتِ}[البقرة:٢٥٦]، على وجهين[١٨]:
أحدهما: أنه اسم أعجمي معرّب، ومن ثم اختلف هؤلاء في اشتقاقه على أقوال[١٩]:
أ- قال الشوكاني: "الطاغوت: فعلوت، من طغى يطغي ويطغو، إذا جاوز الحد"[٢٠].
ب-قال سيبويه: "هو اسم مذكّر"[٢١] مفرد، أي اسم جنس، يشمل القليل والكثير.

---

(١) محاسن التأويل: ١٩٤/٢.
(٢)أنظر: تفسير الطبري(٥٨٤١):ص٤١٧/٥.
(٣)أنظر: تفسير الطبري(٥٨٤٢):ص٤١٧/٥.
(٤) أنظر تفسير ابن أبي حاتم(٢٦٢٠):ص٤٩٥/٢.
(٥) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب قوله: {وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ}، قبل الحديث رقم (٤٥٨٣)، ولفظه: ""كَانَتْ الطَّوَاغِيتُ الَّتِي يَتَحَاكَمُونَ إِلَيْهَا: فِي جُهَيْنَةَ وَاحِدٌ، وَفِي أَسْلَمَ وَاحِدٌ، وَفِي كُلِّ حَيٍّ وَاحِدٌ، كُهَّانٌ يَنْزِلُ عَلَيْهِمْ الشَّيْطَانُ".
(٦)أنظر: تفسير الطبري(٥٨٤٣):ص٤١٨/٥.
(٧)أنظر: تفسير الطبري(٥٨٤٤):ص٤١٨/٥. والرفيع: ، هو أبو العالية الرياحي.
(٨)أنظر: تفسير الطبري(٥٨٤٥):ص٤١٨/٥.
(٩) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ٢/ ٤٤٦- ٤٤٧، تفسير قوله تعالى: {فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ}.
(١٠) تفسير ابن أبي حاتم(٢٦٢٢):ص٤٩٥/٢.
(١١) أنظر: النكت والعيون: ٣٢٧/١.
(١٢) ذكره القرطبي في تفسيره، ٥/ ٢٤٨، عن ابن وهب، عن الإمام مالك، وانظر: فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، ص ٤٤.
(١٣) وأجمع ما قيل في تعريف الطاغوت ما ذكره ابن القيم / بقوله: "والطاغوت كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع" . [إعلام الموقعين عن رب العالمين، ١/ ٥٠].
(١٤) أنظر: تفسير الطبري: ٤١٩/٥.
(١٥) أنظر: النكت والعيون: ٣٢٧/١.
(١٦)انظر :المفردات فى غريب القرآن للأصفهانى: ٣٠,٤
(١٧) قال أبو حيان بعد أن سرد الأقوال في معنى (الطاغوت): " وينبغي أن تجعل هذه الأقوال كلها تمثيلاً ، لأن الطاغوت محصور في كل واحد منها".[البحر المحيط: ٢١٠/٢].
(١٨) أنظر: النكت والعيون:٣٢٨/١.
(١٩) انظر: فتح القدير: ٢٧٥/١، والمحرر الوجيز: ٣٤٤/١، وتفسير القرطبي: ٢٨١/٣، والبحر المحيط:٥٩٩/٢، وفتح البيان في مقاصد القرآن: ٩٩/٢، والحجة للقراء السبعة: ١٣٧/٤.
(٢٠)فتح القدير: ٢٧٥/١.
(٢١) الكتاب: ٢٤٠/٣. وذكر صاحب اللسان(طغى)، قال ابن منظور: يقع على الواحد، والجمع، والمذكر، والمؤنث، وهي مشتقة من طغى، والطاغوتُ الشيطان، والكاهِنُ، وكلُّ رأسٍ في الضَّلالة، وقد يكون واحداً قال تعالى: {يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ}[النساء: ٦٠]، وقد يكون جَمْعاً، قال تعالى: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ}[البقرة: ٢٥٧]، وهو مثل الفُلْكِ يُذكَّرُ ويؤنَّث، قال تعالى: {وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا

ج- وقال أبو على الفارسي: "إنه مصدر: كرهبوت، وجبروت، يوصف به الواحد، والجمع، وقلبت لامه إلى موضع العين، وعينه إلى موضع اللام"(١)، كجبذ، وجذب، ثم تقلب الواو ألفًا؛ لتحركها، وتحرك ما قبلها، فقيل: طاغوت. واختار هذا القول النحاس(٢).

والثاني:أن "أصل الطاغوت في اللغة: مأخوذ من الطغيان، يؤدي معناه من غير اشتقاق، كما قيل: لآلٍ، من اللؤلؤ"(٣).

والثاني: أنه اسم عربي مشتق من الطاغية، قاله ابن بحر(٤).

قرأ حمزة وحده:«وعبد الطاغوت»، بضم الباء من «عبد»، وكسر التاء من «الطاغوت»، وقرأ الباقون:{وعبد الطاغوت} منصوبا كله(٥).

وقرأ بُريدة الأسلمي:«وعابد الطاغوت»(٦).

وقرأ ابن مسعود: «وعبدوا»(٧)، ردا إلى المعنى. قال الراغب:" وهو أجود"(٨).

وقرأ أبو جعفر النحوي: « وَعُبِدَ الطَّاغُوتُ»(٩)، قال الطبري:" وهذه قراءة لا معنى لها، لأن الله تعالى ذكره، إنما ابتدأ الخبر بذمّ أقوام، فكان فيما ذمَّهم به عبادُتهم الطاغوت. وأما الخبر عن أن الطاغوت قد عُبد، فليس من نوع الخبر الذي ابتدأ به الآية، ولا من جنس ما ختمها به، فيكون له وجه يوجَّه إليه في الصحة"(١٠).

قوله تعالى:{أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا} [المائدة: ٦٠]، أي:"لقد ساء مكانهم في الآخرة"(١١).

قال مقاتل: "في الدنيا، يعني: شر منزلة"(١٢).

قال ابن كثير:" أي: مما تظنون بنا"(١٣).

قال الزمخشري:" أولئك الملعونون الممسوخون شر مكانا جعلت الشرارة للمكان وهي لأهله. وفيه مبالغة ليست في قولك: أولئك شر وأضل، لدخوله في باب الكناية التي هي أخت المجاز"(١٤).

قال ابن الجوزي:" أي: هؤلاء الذين وصفناهم شر مكانا من المؤمنين، ولا شر في مكان المؤمنين، ولكن الكلام مبني على كلام الخصم، حين قالوا للمؤمنين: لا نعرف شرا منكم، فقيل: من كان بهذه الصفة، فهو شر منهم"(١٥).

قال ابن عطية:" و«مكان»، يحتمل أن يريد في الآخرة، فالمكان على وجهه أي المحل إذ محلهم جهنم، وأن يريد في الدنيا فهي استعارة للمكانة والحالة"(١).

الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا}[الزمر: ١٧]، والطاغوتُ يكونُ من الأصْنام، ويكون من الجِنِّ والإِنس، ويكون من الشياطين، وجمعُ الطاغوتِ: طَواغِيتُ، والطَّوَاغِي: جمع طاغيَةٍ، ويجوز أن يُراد بالطَّواغِي: من طَغَى في الكُفر، وجاوَزَ الحَدَّ".[لسان العرب لابن منظور، ١٥/ ٧، مادة (طغى) ، و مقاييس اللغة، ٣/ ٣٢٢، مادة (طغى)،و المصباح المنير، ٢/ ٢٧٣، مادة (طغى)].

(١) المحرر الوجيز: ٣٤٤/١.

(٢) أنظر: معاني القرآن: ٢٧٠/١.

(٣) معاني القرآن للنحاس: ٢٦٩/١.

(٤) نقلا عن الماوردي في النكت والعيون: ٣٢٨. ولم اجده في تفسير ابي مسلم الأصفهاني المشهور بابن بحر.

(٥) انظر: السبعة في القراءات:٢٤٦. وذكر فيه ابن الجوزي في زاد المسير:٥٦٣/١-٥٦٤:"عشرون وجها من القراءة".

(٦) انظر: تفسير الطبري(١٢٢٢٩):٤٤٠/١٠.

(٧) انظر: تفسير الراغب الاصفهاني:٣٨٧/٥.

(٨) تفسير الراغب الاصفهاني:٣٨٧/٥.

(٩)انظر: تفسير الطبري(١٢٢٢٨):٤٤١/١٠..

(١٠) تفسير الطبري:٤٤٠/١٠.

(١١) التفسير الميسر:١١٨.

(١٢) تفسير مقاتل بن سليمان:٤٨٩/١.

(١٣) تفسير ابن كثير:١٤٣/٣.

(١٤) الكشاف:٦٥٣/١.

(١٥) زاد المسير:٥٦٤/١.

قال النحاس:" يقال: ليس في المؤمنين شر فكيف جاء:{أولئك شر مكانا}؟ ففي هذا أجوبة: حكى الكوفيون: العسل أحلى من الخل، وإن كان مردودا، وقال أبو إسحاق: المعنى:« أولئك شر مكانا على قولكم»[٢].

ومن أحسن ما قيل فيه: أولئك الذين لعنهم الله شر مكانا في الآخرة من مكانكم في الدنيا لما لحقكم من الشر، وقيل: أولئك الذين نسيهم الله شر من الذين نقموا عليكم، وقيل: أولئك الذين نقموا عليكم شر من الذين لعنهم الله"[٣].

قال ابن عباس: "مكانهم سقر، ولا مكان أشد شرا منه"[٤].

قوله تعالى:{وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ} [المائدة: ٦٠]، أي:" وضلَّ سَعْيُهم في الدنيا عن الطريق الصحيح"[٥].

قال البغوي:" أي: عن طريق الحق"[٦].

قال مقاتل: " يعني: وأخطأ عن قصد الطريق من المؤمنين"[٧].

قال الماتريدي:" أي: أخطأ طريقا ودينا"[٨].

قال ابن كثير:" وهذا من باب استعمال أفعل التفضيل فيما ليس في الطرف الآخر مشاركة، كقوله: { أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلا } [الفرقان: ٢٤]"[٩].

قال ابن عطية:" و«سواء السبيل»: وسطه، ومنه قول العرب: قمت حتى انقطع سوائي، ومنه قوله تعالى: {في سواء الجحيم} [الصافات: ٥٥]، وخط الاستقامة في السبل إنما هو متمكن غاية التمكن في الأوساط فلذلك خص السواء بالذكر، ومن لفظ السواء قيل خط الاستواء"[١٠].

قال أهل العلم:"ويوجه التفضيل بـ{شر} و{أضل} على أن الاشتراك في الشر والضلال هو في معتقد اليهود فأما في الحقيقة فلا شر ولا ضلال عند المؤمنين، ولا شركة لهم في ذلك مع اليهود والكفار، ويكون على هذا الاحتمال قوله: من لعنه الله الآية يراد به جميع بني إسرائيل الأسلاف والأخلاف، لأن الخلف يذم ويعير بمذمات السلف إذا كان الخلف غير مراجع ولا ذام لما كان عليه سلفه، فهو في حكمه"[١١].

الفوائد:

١-تقرير وجود مسخ في اليهود قردة وخنازير.

٢- اليهود شر الناس مكاناً يوم القيامة, وأضل الناس في هذه الدنيا.

٣- في الآية دليل على ذكر عيوب المردود عليه، وذلك في قوله: {من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت أولئك شر مكانا وأضل عن سواء السبيل} ففيه ذكر معائب المردود عليه حتى يختزى ويفحم في الخصومة.

٤-الآية تشير إلى اليهود وإلى كل من سلك سبيلهم، كما هو معروف في غالب ألفاظ القرآن التي تأتي في وصف أعمال أحد من الناس أو تأتي لسبب، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، ومثل هذه الآية لا شك أنها كانت تحكي أخلاق اليهود وأوصافهم، لكن فيها أيضاً إشارة إلى كل من سلك سبيلهم.

---

(١) المحرر الوجيز:٢١٣/٢.

(٢) انظر: إعراب القرآن للنحاس:٢٧٤/١، وتفسير القرطبي:٢٣٦/٦، والبحر المحيط:٣٠٩/٤. ولم أجده في معاني القرآن. وإنما قال:١٨٩/٢: " مكانا " منصوب على التفسير".

(٣) إعراب القرآن:٢٧٤/١-٢٧٥

(٤) البحر المحيط:٣٠٩/٤.

(٥) التفسير الميسر:١١٨.

(٦) تفسير البوغي:٧٥/٣.

(٧) تفسير مقاتل بن سليمان:٤٨٩/١.

(٨) تفسير الماتريدي:٥٤٩/٢.

(٩) تفسير ابن كثير:١٤٤/٣.

(١٠) المحرر الوجيز:٢١٣/٢.

(١١) المحرر الوجيز:٢١١/٢.

٥-أن الله يغضب ويرضى، لا كأحد من الورى، إذ وصف الله تعالى نفسه بأنه يغضب إن انتهكت حرماته، فقال -عزّ وجل-: {من لعنه الله وغضب عليه}.

ومذهب السلف وسائر الأئمة إثبات صفة الغضب، والرضى، والعداوة، والولاية، والحب، والبغض، ونحو ذلك من الصفات، التي ورد بها الكتاب والسنة، ومنع التأويل الذي يصرفها عن حقائقها اللائقة بالله تعالى. كما يقولون مثل ذلك في السمع والبصر والكلام وسائر الصفات، كما أشار إليه الشيخ الطحاوي بقوله: " إذ كان تأويل الرؤية وتأويل كل معنى يضاف إلى الربوبية بترك التأويل ولزوم التسليم وعليه دين المسلمين، ومن لم يتوق النفي والتشبيه زل ولم يصب التنزيه، فإن ربنا جل وعلا موصوف بصفات الوحدانية منعوت بنعوت الفردانية ليس في معناه أحد من البرية"(١).

والأحاديث المشار إليها تؤكد ما جاء في هؤلاء الآي من وصف الله بالغضب، وإن هذا الغضب يحدث في وقت دون وقت، ومن ذلك:

- ما جاء في حديث الشفاعة الطويل وهو يخبر عما يقوله الأنبياء اعتذاراً للناس عندما يتقدمون إليهم لطلب الشفاعة منهم، وهم: آدم أوب البشر، ونوح، وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام، يخبر النبي عليه الصلاة والسلام أن كل واحد منهم يقول: " إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، اذهبوا إلى غيري" (٢) إلى آخر الحديث الطويل.

والحديث يدل دلالة واضحة على أن إثبات صفة الغضب من دين الرسل جميعاً، لأن الشرائع كلها متفقة في الأصول بيد أن الله جعل لكل واحد منهم شرعة ومنهاجاً. ومحل الشاهد من الحديث: " إن ربي غضب اليوم "واللفظ صريح في أنه قد يحدث في ذلك اليوم غضب لم يحدث مثله قبل ذلك، كما لا يحدث بعده مثله.

- وقوله عليه الصلاة والسلام: "من لم يسأل الله يغضب عليه "(٣)، وقد نظم بعضهم هذا المعنى قائلاً(٤):

اللَّهُ يَغْضَبُ إِنْ تَرَكْتَ سُؤَالَهُ وَبُنَيَّ آدَمَ حِينَ يُسْأَلُ يَغْضَبُ

- وقوله عليه الصلاة والسلام: " اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك، وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك، لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك" (٥).

---

(١) متن الطحاوية بتحقيق الالباني:٤٤ .

(٢)رواه أحمد ٤٣٥/٢-٤٣٦ والبخاري ٣٧١/٦، ٣٩٥/٨، ومسلم ١٨٥/١ من حديث أبي هريرة.

(٣)أخرجه أحمد ٤٤٢/٢، وصححه الألباني "راجع مشكاة المصابيح رقم الحديث ٢٢٣٦ بتحقيق الألباني".

(٤) البيت بلا نسبة في تفسير القرطبي: ١٦٤/٥، وتفسير ابن كثير:٣٩/١، و١٣٩/٧، ولأبي العتاهية في مجموع رسائل ابن رجب:١٢٦/٣.

وانظر البيت في: "شعب الإيمان" للبيهقي (٢/ ٣٦١ رقم ١٠٦٥) وهو في شروح "الأربعين".

وقبله:

لا تسألنَّ بُني آدم حاجةً ... وسلِ الذي أبوابُهُ لا تُحجب

(٥) المسند(٧٥١):ص١٤٧/٢، وإسناده قوي، وأخرجه ابن أبي شيبة ٣٠٦/٢ و٣٨٦/١٠، وعبد بن حميد (٨١) ، والترمذي (٣٥٦٦) وحسنه، وأبو يعلى (٢٧٥) من طريق يزيد بن هارون، بهذا الإسناد.

وأخرجه الطيالسي (١٢٣) ، وأبو داود (١٤٢٧) ، والنسائي في "المجتبى" ٢٤٨/٣-٢٤٩، وفي "الكبرى" (٧٧٥٣) ، والطبراني في "الدعاء" (٧٥١) ، والبيهقي ٤٢/٣ من طرق عن حماد بن سلمة، به. وسيأتي برقم (٩٥٧) و (١٢٩٥) .

قوله: "كما أثنيت"، قال السندي: أي: أنت الذي أثنيت على ذاتك ثناء يليق بك، فمن يقدر على أداء حق ثنائك، فالكاف زائدة، والخطاب في عائد الموصول بملاحظة المعنى، ويحتمل أن الكاف بمعنى "على"، والعائد محذوف، أي: أنت ثابت على أوصاف أثنيت بها على نفسك، والجملة على الوجهين في محل التعليل، وفيه إطلاق النفس عليه تعالى بلا مشاكلة، وقيل: "أنت" تأكيد للمجرور في "عليك"، فهو من استعارة المرفوع المنفصل موضع المجرور المتصل؛ إذ لا منفصل في المجرور، و"ما" مصدرية، والكاف بمعنى: مثل، صفة ثناء.

- وقوله عليه الصلاة والسلام: "إن الله تعالى يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة فيقولون: لبيك ربنا وسعديك والخير في يديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى يا رب! وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك، فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟!! فيقولون: يا رب، وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً" (١).

يستدل أهل السنة بهذا الحديث على أن يحل رضوانه في وقت دون وقت، وأنه قد يحل رضوانه ثم يسخطُ على من شاء، كم يحل سخطه ثم يرضى ولكن هؤلاء أحل عليهم رضواناً لا يعقبه سخط(٢).

وما أصدق ما قاله الإمام الطحاوي في عقيدته المشهورة: "ولا يثبت قدم الإسلام إلا على ظهر التسليم والاستسلام"(٣).

استناداً إلى هذه النصوص وغيرها من نصوص الكتاب والسنة التي آثرنا عدم ذكرها رغبة في الإيجاز، يؤمن السلف وجمهور الأئمة بهذه الصفة ويبقونها على ظاهرها، الظاهر الذي يليق بالله إيماناً منهم بأن النصوص لا تدل بظاهرها إلا على ما يليق بالله - خلاف ما يزعمه الزاعمون- أي أنهم لا يؤولونه كما أوله غيرهم. يبد أن إثباتهم لا يصل بهم إلى حد التشبيه والتمثيل.

وأما الخلف فلم يوفقوا في هذه الصفة كما لم يحالفهم التوفيق أيضاً في جميع الصفات على اختلاف مشاربهم، فزعموا: أنه ما ثمة غضب. وإنما المراد بالغضب المذكور في النصوص لازم الغضب وهو إرادة الانتقام. وعللوا لما ذهبوا إليه بقولهم: إن أصل الغضب غليان دم القلب عند إرادة الانتقام، وذلك مستحيل على الله تعالى، أو بعبارة أخرى: إن حقيقة الغضب الانفعال والتغير من حال إلى حال، وهو أمر لا يليق بالله، إلى آخر تلك التعليلات والأعذار غير المقبولة لدى غيرهم، من أهل السنة والجماعة.

ولدفع هذه الشبهة التي نسجوها من خيوط العنكبوت نقول: أن لوازم صفات المخلوقين التي ذكروها لا تلزم صفات الخالق، إذ لا مناسبة بين صفات الخالق وصفات المخلوق حتى تقاس صفاته سبحانه على صفاتهم، وكما أنهم أثبتوا ذات البارئ دون تفكير في لوازم ذوات المخلوقين، يلزمهم إثبات صفاته ذاتية أو فعلية دون تفكير في لوازم صافت المخلوقين، وهذا الإلزام يلحق أو يلزم جميع النفاة المعتزلة والأشاعرة وأتباعهم(٤).

القرآن

{وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ (٦١)} [المائدة: ٦١]

التفسير:

وإذا جاءكم -أيها المؤمنون- منافقو اليهود، قالوا: آمنَّا، وهم مقيمون على كفرهم، قد دخلوا عليكم بكفرهم الذي يعتقدونه بقلوبهم، ثم خرجوا وهم مصرُّون عليه، والله أعلم بسرائرهم، وإن أظهروا خلاف ذلك.

قوله تعالى:{وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا} [المائدة: ٦١]، أي:" وإذا جاءكم -أيها المؤمنون- منافقو اليهود، قالوا: آمنَّا"(٥).

قال السعدي:أي:" نفاقا ومكرا"(١).

---

(١)متفق عليه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه راجع: البخاري ٤١٥/١١، و٤٨٧/١٣، ومسلم في الإيمان ١٧١/١، وأخرجه أحمد ٨٨/٣، ٩٥.

٣ الغضب والسخط والأسف ألفاظ مترادفة ومعناها واحد، القاموس المحيط والتاج.

(٢)الغضب والسخط والأسف ألفاظ مترادفة ومعناها واحد، القاموس المحيط والتاج.

(٣)شرح الطحاوية ص: ٥٢٤.

(٤) انظر: الصفات الإلهية في الكتاب والسنة، محمد أمان:٢٩٩-٣٠١.

(٥) التفسير الميسر:١١٨.

قال الطبري:أي:"وإذا جاءكم، أيها المؤمنون، هؤلاء المنافقون من اليهود قالوا لكم:"آمنا": أي صدّقنا بما جاء به نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم واتبعناه على دينه"[٢].

قال الكلبي:"هؤلاء منافقو أهل الكتاب، كانوا إذا دخلوا على رسول الله، قالوا: آمنا"[٣].

قال البغوي:" يعني: هؤلاء المنافقين، وقيل[٤]: هم الذين قالوا: {آمِنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ}[آل عمران:٧٢]، دخلوا على النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا: آمنا بك وصدقناك فيما قلت، وهم يسرون الكفر"[٥].

قال الشيخ محمد رشيد رضا:" الكلام في منافقي اليهود الذين كانوا في المدينة وجوارها ; أي ذلك شأنهم في حال البعد عنكم، وإذا جاءوكم قالوا للرسول ولكم: إننا آمنا بالرسول، وما أنزل عليه"[٦].

قال ابن كثير:" وهذه صفة المنافقين منهم، أنهم يصانعون المؤمنين في الظاهر وقلوبهم منطوية على الكفر"[٧].

قوله تعالى:{وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ} [المائدة: ٦١]، أي:"وهم مقيمون على كفرهم، قد دخلوا عليكم بكفرهم الذي يعتقدونه بقلوبهم، ثم خرجوا وهم مصرُّون عليه"[٨].

قال السمعاني والبغوي:" يعني: دخلوا كافرين، وخرجوا كافرين"[٩].

قال السعدي:أي:" فمدخلهم ومخرجهم بالكفر -وهم يزعمون أنهم مؤمنون، فهل أشر من هؤلاء وأقبح حالا منهم؟"[١٠].

قال الواحدي:" أي: دخلوا وخرجوا كافرين، والكفر معهم في كلتي حالتيهم"[١١].

قال عبدالقاهر الجرجاني:أي:" دخولهم بالكفر وخروجهم به عبارة عن دوام حالهم به، أي لا ينفكون عن الكفر داخلين لا خارجين"[١٢]، " وذلك أن قولهم {آمنا}: دعوى منهم أنهم لم يخرجوا بالكفر كما دخلوا به؛ فالموضع موضع تكذيب"[١٣].

قال مكي:أي:" لم يحولوا عما يعتقدون، وإنما كذبوا بألسنتهم وقالوا ما لا يعتقدون"[١٤].

قال الراغب:" أي: يظهرون الإيمان ويدخلون كافرين، ويخرجون كافرين، تنبيها أنهم كاذبون فيما يظرون من الإيمان"[١٥].

قال الطبري:أي:" وهم مقيمون على كفرهم وضلالتهم، قد دخلوا عليكم بكفرهم الذي يعتقدونه بقلوبهم ويُضمرونه في صدورهم، وهم يبدون كذبًا التصديق لكم بألسنتهم، وقد خرجوا بالكفر من عندكم كما دخلوا به عليكم، لم يرجعوا بمجيئهم إليكم عن كفرهم وضلالتهم، يظنون أن ذلك من فعلهم يخفى على الله، جهلا منهم بالله"[١٦].

---

(١) تفسير السعدي:٢٣٧.
(٢) تفسير الطبري:٤٤٤/١٠.
(٣) تفسير ابن أبي زمنين:٣٦/٢.
(٤) هذا قول ابن زيد، انظر: تفسير الطبري(١٢٢٣٣):ص٤٤٥/١٠-٤٤٦. وسوف يأتي.
(٥) تفسير البغوي:٧٥/٣.
(٦) تفسير المنار:٣٧٢/٦.
(٧) تفسير ابن كثير:١٤٤/٣.
(٨) التفسير الميسر:١١٨.
(٩) تفسير السمعاني:٥٠/٢، وتفسير البغوي:٧٥/٣.
(١٠) تفسير السعدي:٢٣٧.
(١١) التفسير الوسيط:٢٠٥/٢.
(١٢) درج الدرر:٦٧٩/٢.
(١٣) دلائل الإعجاز:١٥٤.
(١٤) الهداية إلى بلوغ النهاية:١٧٩٥/٣.
(١٥) تفسير الراغب الاصفهاني:٣٨٩/٥.
(١٦) تفسير الطبري:٤٤٤/١٠.

قال الشيخ محمد رشيد رضا:" أي: والحال الواقعة منهم أنهم دخلوا عليكم متلبسين بالكفر، وهم أنفسهم قد خرجوا متلبسين به ; فحالهم عند خروجهم هي حالهم عند دخولهم، لم يتحولوا عن كفرهم بالرسول، وما نزل من الحق، ولكنهم يخادعونكم، كما قال في آية البقرة: {وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم} [البقرة: ٧٦] الآية.. وقوله:{وهم قد خرجوا به}، هي تأكيد كون حالهم في وقت الخروج كحالهم في وقت الدخول، وإنما احتاج هذا للتأكيد لمجيئه على خلاف الأصل ; لأن من كان يجالس الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم يسمع من العلم والحكمة ويرى من الفضائل ما يكبر في صدره، ويؤثر في قلبه، حتى إذا كان سيئ الظن رجع عن سوء ظنه، وأما سيئ القصد فلا علاج له، وقد كان يجيئه الرجل يريد قتله، فإذا رآه وسمع كلامه آمن به وأحبه، وهذا هو المعقول الذي أيدته التجربة، وإنما شذ هؤلاء وأمثالهم ; لأن سوء نيتهم وفساد طويتهم قد صرفا قلوبهم عن التذكر والاعتبار، ووجها كل قواهم إلى الكيد والخداع والتجسس وما يراد به، فلم يبق لهم من الاستعداد ما يعقلون به تلك الآيات، ويفهمون مغزى الحكم والآداب، {مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ} [الأحزاب: ٤]"[(١)].

قال ابن كثير:" أي: عندك يا محمد { بِالْكُفْرِ}، أي:مستصحبين الكفر في قلوبهم، ثم خرجوا وهو كامن فيها، لم ينتفعوا بما قد سمعوا منك من العلم، ولا نجعت فيهم المواعظ ولا الزواجر ؛ ولهذا قال:{ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ}، فخصهم به دون غيرهم"[(٢)].

قال ابن عباس:" وإنهم دخلوا وهم يتكلمون بالحق، وتُسرُّ قلوبهم الكفر، فقال:{دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به}"[(٣)].

وعن ابن عباس ايضا:" إنهم دخلوا وهم يتكلمون بالحق وشربت قلوبهم الكفر"[(٤)].

قال ابن زيد:" {وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنزلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ}، [سورة آل عمران: ٧٢]،. فإذا رجعوا إلى كفارهم من أهل الكتاب وشياطينهم، رجعوا بكفرهم. وهؤلاء أهل الكتاب من يهود"[(٥)].

قال السدي:" هؤلاء ناس من المنافقين كانوا يهود. يقول: دخلوا كفارًا، وخرجوا كفارًا"[(٦)].

قال قتادة:" أناسٌ من اليهود، كانوا يدخلون على النبيّ صلى الله عليه وسلم فيخبرونه أنهم مؤمنون راضون بالذي جاء به، وهم متمسكون بضلالتهم والكفر. وكانوا يدخلون بذلك ويخرجون به من عند نبي الله -صلى الله عليه وسلم-"[(٧)].

قال الكلبي:" وقد دخلوا حين دخلوا على النبي كفارا، وخرجوا من عنده وهم كفار ولم ينتفعوا بما سمعوا منه بشيء؛ وهم من اليهود"[(٨)].

قال أبو حيان:" الظاهر أن الدخول والخروج حقيقة. وقيل: هما استعارة، والمعنى: تقلبوا في الكفر أي دخلوا في أحوالهم مضمرين الكفر وخرجوا به إلى أحوال أخر مضمرين له، وهذا هو التقلب. والحقيقة في الدخول انفصال بالبدن من خارج مكان إلى داخله، وفي الخروج انفصال بالبدن من داخله إلى خارجه"[(٩)].

---

(١) تفسير المنار:٣٧٢/٦.
(٢) تفسير ابن كثير:١٤٤/٣.
(٣) أخرجه الطبري(١٢٢٣٢):ص٤٤٥/١٠.
(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٥٦٥):ص١١٦٥/٤.
(٥) أخرجه الطبري(١٢٢٣٣):ص٤٤٥/١٠-٤٤٦.
(٦) أخرجه الطبري(١٢٢٣١):ص٤٤٥/١٠.
(٧) أخرجه الطبري(١٢٢٣٠):ص٤٤٥/١٠.
(٨) تفسير ابن أبي زمنين:٣٦/٢.
(٩) البحر المحيط:٣١١/٤.

قوله تعالى:{وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ} [المائدة: ٦١]، أي:" والله أعلم بسرائرهم، وإن أظهروا خلاف ذلك"[١].

قال محمد بن إسحاق:" أي: ما يخفون"[٢].

قال مكي:أي: من كفرهم"[٣].

قال ابن أبي زمنين:أي:" كانوا يكتمون دين اليهودية"[٤].

قال النسفي:أي:" من النفاق"[٥].

قال الواحدي:" أي: من نفاقهم وإبطانهم الكفر"[٦].

قال الطبري:"يقول: والله أعلم بما كانوا- عند قولهم لكم بألسنتهم:«آمنا بالله وبمحمد وصدّقنا بما جاء به»- يكتمون منهم، بما يضمرونه من الكفر، بأنفسهم"[٧].

قال ابن كثير:" أي:والله عالم بسرائرهم وما تنطوي عليهم ضمائرهم وإن أظهروا لخلقه خلاف ذلك، وتزينوا بما ليس فيهم، فإن عالم الغيب والشهادة أعلم بهم منهم، وسيجزيهم على ذلك أتم الجزاء"[٨].

قال السعدي:أي:" فيجازيهم بأعمالهم خيرها وشرها"[٩].

قال الشيخ محمد رشيد رضا:أي: "عند دخولهم من قصد تسقط الأخبار والتوسل إليه بالنفاق والخداع، وعند خروجهم من الكيد والمكر والكذب الذي يلقونه إلى البعداء من قومهم"[١٠].

الفوائد:

١- وجود منافقين من اليهود على عهد الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالمدينة.

٢-من صفات المنافقين: دعواهم الإيمان عند المؤمنين, فإذا خرجوا خرجوا بالكفر الذي دخلوا به، وهذه حال كثير من الدعاة إلى الباطل, إذ تجده ينخر في الإسلام مع ادعائه الحرص عليه وعلى أهله.

٣- ومنها: الرد على الجبرية؛ لقوله تعالى: {يكتمون}، لأن الكاتم مريد للكتم.

القرآن

{وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٦٢)} [المائدة: ٦٢]

التفسير:

وترى -أيها الرسول- كثيرًا من اليهود يبادرون إلى المعاصي من قول الكذب والزور، والاعتداء على أحكام الله، وأكْل أموال الناس بالباطل، لقد ساء عملهم واعتداؤهم.

قوله تعالى:{وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ} [المائدة: ٦٢]، أي:" وترى -أيها الرسول- كثيرًا من اليهود يبادرون إلى المعاصي من قول الكذب والزور، والاعتداء على أحكام الله"[١١].

قال القرطبي:" أي: يعني: من اليهود يسابقون في المعاصي والظلم"[١].

---

(١) التفسير الميسر:١١٨.
(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٥٦٦):ص١١٦٦/٤.
(٣) الهداية إلى بلوغ النهاية:١٧٩٥/٣.
(٤) تفسير ابن أبي زمنين:٣٦/٢.
(٥) تفسير النسفي:٤٥٨/١.
(٦) التفسير الوسيط:٢٠٥/٢.
(٧) تفسير الطبري:٤٤٤/١٠-٤٤٥
(٨) تفسير ابن كثير:١٤٤/٣.
(٩) تفسير السعدي:٢٣٧.
(١٠) تفسير المنار:٣٧٢/٦.
(١١) التفسير الميسر:١١٨.

قال البيضاوي:أي:" أي: من اليهود أو من المنافقين. يسارعون في الحرام والظلم، أو مجاوزة الحد في المعاصي"[٢].
قال الواحدي:أي:" يجترئون على الخطأ والظُّلم ويبادرون إليه"[٣].
قال الماتريدي:أي:" من ملوكهم وعوامهم، {يسارعون} في قول الكفر والعدوان"[٤].
قال ابن كثير:" أي: يبادرون إلى ذلك من تعاطي المآثم والمحارم والاعتداء على الناس"[٥].
قال السعدي:" أي: يحرصون، ويبادرون المعاصي المتعلقة في حق الخالق والعدوان على المخلوقين"[٦].
قال مقاتل:" {الإثم}، يعني: المعصية، و{العدوان}، يعني: الظلم، وهو الشرك"[٧].
قال قتادة:" وكان هذا في حُكّام اليهود بين أيديكم"[٨].
قال الزمخشري:" والمسارعة في الشيء الشروع فيه بسرعة"[٩].
قال الشوكاني:" الخطاب لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- أو لكل من يصلح له، والضمير في منهم عائد إلى المنافقين أو اليهود أو إلى الطائفتين جميعا ويسارعون في الإثم في محل نصب على الحال على أن الرؤية بصرية أو هو مفعول ثان لترى على أنها قلبية، والمسارعة: المبادرة"[١٠].
وفي معنى: {الإثم}[المائدة: ٦٢]، أقوال:
أحدها: أنه المعاصي، قاله ابن عباس[١١]، واختاره السمرقندي[١٢].
والثاني: الكفر، قاله السدي[١٣].
والثالث: أنه الكذب، بدليل قوله تعالى: {عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ} [المائدة: ٦٣]. قاله الزمخشري[١٤].
والرابع: أنه كتمان أمر محمد، وما كتموا من التوراة. ذكره بعض المفسرين[١٥].
قال الطبري:" وهذا القول الذي ذكرناه عن السدي، وإن كان قولا غير مدفوع جوازُ صحته، فإن الذي هو أولى بتأويل الكلام: أن يكون القوم موصوفين بأنهم يسارعون في جميع معاصي الله، لا يتحاشون من شيء منها، لا من كفر ولا من غيره. لأن الله تعالى ذكره عمَّ في وصفهم بما وصفهم به من أنهم يسارعون في الإثم والعدوان، من غير أن يخصّ بذلك إثمًا دون إثم"[١٦].
قال السمرقندي، والزمخشري، وابن الجوزي: "{العدوان}، فهو الظلم"[١٧].

---

(١) تفسير القرطبي:٢٣٧/٦، ونقله الصابوني في تفسيره:٣٢٥.
(٢) تفسير البيضاوي:١٣٤/٢.
(٣) الوجيز:٣٢٧.
(٤) تفسير الماتريدي:٥٥٠/٣.
(٥) تفسير ابن كثير:١٤٤/٣.
(٦) تفسير السعدي:٢٣٧.
(٧) تفسير مقاتل بن سليمان:٤٨٩/١، ونقله السمرقندي بتمامه، انظر: بحر العلوم:٤٠٣/١.
(٨) أخرجه الطبري(١٢٢٣٦):ص٤٤٦/١٠.
(٩) الكشاف:٦٥٤/١.
(١٠) فتح القدير:٦٤/٢.
(١١) انظر: زاد المسير:٥٦٥/١.
(١٢) انظر: بحر العلوم:٤٠٣/١.
(١٣) انظر: تفسير الطبري(١٢٢٣٥):ص٤٤٦/١٠.
(١٤) انظر: الكشاف:٦٥٣/١.
(١٥) انظر: تفسير السمعاني: ٥٠/٢، وتفسير البغوي:٧٦/٣.
(١٦) تفسير الطبري:٤٤٧/١٠.
(١٧) انظر:بحر العلوم:٤٠٣/١، والكشاف:٦٥٣/١، وزاد المسير:٥٦٥/١.

قال الطبري:" العدوان: فإنه مجاوزة الحدّ الذي حدَّه الله لهم في كل ما حدَّه لهم"(١).
قال الماتريدي:"و{العدوان}: هو المجاوزة عن الحد الذي حد لهم"(٢).
قال الشوكاني:" و{العدوان}: الظلم المتعدي إلى الغير أو مجاوزة الحد في الذنوب"(٣).
وقيل: "والعدوان: ما زادوا في التوراة". ذكره بعض المفسرين(٤).
وقرأ أبو حيوة:«والعدوان»، بكسر العين(٥).
قوله تعالى:{وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ} [المائدة: ٦٢]، أي:"وأكل أموال الناس بالباطل"(٦).
قال الماتريدي:أي:" ويسارعون -أيضا- في أكل السحت"(٧).
قال ابن كثير:" أي:وأكلهم أموالهم بالباطل"(٨).
قال الشوكاني:" السحت: الحرام"(٩).
قال الصابوني:" أي: وأكلهم الحرام"(١٠).
قال مقاتل:" يعني كعب بن الأشرف، لأنه كان يرشي في الحكم ويقضي بالجور"(١١).
قال السعدي:" فلم يكتف بمجرد الإخبار أنهم يفعلون ذلك، حتى أخبر أنهم يسارعون فيه، وهذا يدل على خبثهم وشرهم، وأن أنفسهم مجبولة على حب المعاصي والظلم. هذا وهم يدعون لأنفسهم المقامات العالية"(١٢).
وفي معنى «السحت»، ثلاثة أقوال:
أحدها:أنه الرشوة في الحكم، وهو قول ابن عباس(١٣)، ومجاهد(١٤)، والضحاك(١٥)، وسعيد بن جبير(١٦)، والحسن(١٧)، وإبراهيم(١٨)، وعكرمة(١٩)، وابن زيد(٢٠)، واختاره الطبري(٢١)، والسمرقندي(٢٢)، والبغوي(٢٣).
والثاني: أنه الرشوة في الدين. قاله عبدالله(٢٤).
والثالث: أنه الربا. ذكره بعض المفسرين(٢٥).
قال الواحدي:هو" ما كانوا يأخذونه من الرَّشا على كتمان الحقِّ"(١).

---

(١) تفسير الطبري:٤٤٧/١٠.
(٢) تفسير الماتريدي:٥٥٠/٣.
(٣) فتح القدير:٦٤/٢.
(٤) انظر: تفسير السمعاني: ٥٠/٢، وتفسير البغوي:٧٦/٣.
(٥) انظر: المحرر الوجيز:٢١٤/٢.
(٦) التفسير الميسر:١١٨.
(٧) تفسير الماتريدي:٥٥٠/٣.
(٨) تفسير ابن كثير:١٤٤/٣.
(٩) فتح القدير:٦٤/٢.
(١٠) صفوة التفاسير:٣٢٥.
(١١) تفسير مقاتل بن سليمان:٤٨٩/١.
(١٢) تفسير السعدي:٢٣٧.
(١٣) انظر: تفسير الطبري(١١٩٦٢):ص٣٢٢/١٠.
(١٤) انظر: تفسير الطبري(١١٩٤٤):ص٣١٩/١٠.
(١٥) انظر: تفسير الطبري(١١٩٥٧):ص٣٢١/١٠.
(١٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٦٣٨٧):ص١١٣٥/٤.
(١٧) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٦٣٨٧):ص١١٣٥/٤، وتفسير الطبري(١١٩٤٢):ص٣١٨/١٠-٣١٩
(١٨) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٦٣٨٧):ص١١٣٥/٤.
(١٩) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٦٣٨٧):ص١١٣٥/٤.
(٢٠) انظر: تفسير الطبري(١١٩٦٦):ص٣٢٣/١٠.
(٢١) انظر: تفسير الطبري:٤٤٧/١٠.
(٢٢) انظر: بحر العلوم:٤٠٣/١.
(٢٣) انظر: تفسير البغوي:٧٦/٣.
(٢٤) انظر: تفسير الطبري(١١٩٥٢):ص٣٢٠/١٠.
(٢٥) انظر: النكت والعيون:٥٠/٢، وتفسير السمعاني: ٥٠/٢، وزاد المسير:٥٦٥/١.

قال ابن عطية:" السحت: هو الرشا وسائر مكسبهم الخبيث"(٢).
قال الزمخشري:" السحت: كل ما لا يحل كسبه، وكانوا يأخذون الرشا على الأحكام وتحليل الحرام"(٣).
وروي عن النبي-صلى الله عليه وسلم-:" كُلُّ لحم أنبَته السُّحت فالنار أولى به. قيل: يا رسول الله، وما السحت ؟ قال: الرشوة في الحكم "(٤).
وأصل «السحت»: الاستئصال، ومنه قوله تعالى: {فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ } [طه: ٦١]، أي: يستأصلكم، وقال الفرزدق(٥):

وَعَضُّ زَمَانٍ يَا ابْنَ مَرْوَانَ لَمْ يَدَعِ مِنَ الْمَالِ إلا مُسْحَتًا أَوْ مُجَلَّفُ

فسمي سحتاً لأنه يسحت الدين والمروءة(٦).
قوله تعالى:{لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [المائدة: ٦٢]، أي:" لقد ساء عملهم واعتداؤهم"(٧).
قال البيضاوي والنسفي:أي:" لبئس شيئا عملوه"(٨).
قال الطبري:" يقول: أقسم لبئس العمل ما كان هؤلاء اليهود يعملون، في مسارعتهم في الإثم والعدوان، وأكلهم السحت"(٩).
قال السمرقندي:" يعني: لبئس ما كانوا يتزودون من دنياهم لآخرتهم"(١٠).
قال ابن كثير:" أي: لبئس العمل كان عملهم وبئس الاعتداء اعتداؤهم"(١١).
قال السعدي:" وهذا في غاية الذم لهم والقدح فيهم"(١٢).
قال الشيخ محمد رشيد رضا:" تقبيح للعمل الذي كانوا يعملونه في استغراقهم في المعاصي المفسدة لأخلاقهم، وللأمة التي يعيشون فيها إن لم تنههم وتزجرهم على أنهم تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فلم يكن يقوم به أحد منهم، لا العلماء ولا العباد ; إذ كان الفساد قد عم الجميع"(١٣).
قال ابن زيد:" هؤلاء اليهود { لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}(١٤)، {لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ}(١)، إلى قوله: {لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ}(٢)، قال:{يصنعون} و{يعملون} واحد. قال: لهؤلاء حين لم ينهوا، كما قال لهؤلاء حين عملوا، قال: وذلك الإدهان(٣)"(٤).

---

(١) الوجيز:٣٢٧.
(٢) المحرر الوجيز:٢/٢١٤.
(٣) الكشاف:١/٦٣٤.
(٤) أخرجه الطبري(١١٩٦٧):ص١٠/٣٢٣، وأخرجه السيوطي في الدر المنثور ٢ : ٢٨٤ ، ونسبه لعبد بن حميد ، وابن مردويه مرفوعًا من حديث ابن عمر ، عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.
قال الحافظ: رواه ابن جرير مرفوعا ورجاله ثقات ولكنّه مرسل". انظر: ٥/ ٣٦٠ (كتاب الإجارة - باب ما يعطى في الرقية على أحياء العرب بفاتحة الكتاب.
(٥)ديوانه : ٥٥٦ ، والنقائض : ٥٥٦ ، وطبقات فحول الشعراء : ١٩ ، والخزانة ٢ : ٣٤٧ ، واللسان (سحت) (جلف) ، وفي غيرها كثير. والبيت من قصيدته المشهورة ، وقبل البيت :
إِلَيْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ رَمَتْ بِنَا ... هُمُومُ الْمُنَى والْهَوْجَلُ الْمُتَعَسَّفُ
الهوجل : البطن الواسع من الأرض. و المتعسف : المسلوك بلا علم ولا دليل ، فهو يسير فيها بالتعسف. ويروى : أو مجرف ، وهو الذي جرفه الدهر ، أي : اجتاح ماله وأفقره. ويروى في إلا مسحت أو مجلف بالرفع فيهما. وقد تجرف النحاة هذا البيت إعرابًا وتأويلا..
(٦) انظر: تفسير الطبري:١٠/٣٢٤، والنكت والعيون:٢/٤٠.
(٧) التفسير الميسر:١١٨.
(٨) تفسير البيضاوي:٢/١٣٤، وتفسير النسفي:١/٤٥٨
(٩) تفسير الطبري:١٠/٤٤٧.
(١٠) بحر العلوم:١/٤٠٣.
(١١) تفسير ابن كثير:٣/١٤٤.
(١٢) تفسير السعدي:٢٣٧.
(١٣) تفسير المنار:٦/٣٧٣.
(١٤)[المائدة : ٦٢].

الفوائد:
١-من اوصاف المنافقين: المسارعة في الإثم والعدوان، وأكل السحت.
٢- انحراف بني إسرائيل وكفرهم وتحريفهم لكلام الله.

القرآن
{لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (٦٣)} [المائدة: ٦٣]
التفسير:
هلا ينهى هؤلاء الذين يسارعون في الإثم والعدوان أئمتُهم وعلماؤهم، عن قول الكذب والزور، وأكل أموال الناس بالباطل، لقد ساء صنيعهم حين تركوا النهي عن المنكر.
قوله تعالى:{لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ} [المائدة: ٦٣]، أي:" أي هلاّ يزجرهم علماؤهم وأحبارهم"(٥).
قال الضحاك:" فقهاؤهم وقراؤهم وعلماؤهم"(٦).
قال الزجاج:" وهم علماؤهم ورؤساؤهم، و«الحبر»: العالم، والحبر المداد بالكسر، فأعلم الله أن رؤساءهم وسفلتهم مشتركون في الكفر"(٧).
قال السعدي:" أي: هلا ينهاهم العلماء المتصدون لنفع الناس، الذين من الله عليهم بالعلم والحكمة -عن المعاصي التي تصدر منهم، ليزول ما عندهم من الجهل، وتقوم حجة الله عليهم، فإن العلماء عليهم أمر الناس ونهيهم، وأن يبينوا لهم الطريق الشرعي، ويرغبونهم في الخير ويرهبونهم من الشر"(٨).
قال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم:" هؤلاء حين لم ينهوا كما قال لهؤلاء حين عملوا وذلك الأمر كان"(٩).
عن يحيى بن يعمر قال: "خطب علي بن أبي طالب فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس إنما هلك من هلك قبلكم بركوبهم المعاصي ولم ينههم الربانيون والأحبار، فلما تمادوا في المعاصي ولم يمنعهم الربانيون والأحبار أخذتهم العقوبات. فمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل أن ينزل بكم مثل الذي نزل بهم، واعلموا أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يقطع رزقا ولا يقرب أجلا"(١٠).
وقد تعددت عبارات أهل التفسير في معنى قوله«الربانيين»، على وجوه:
أحدها: فقهاء. قاله مجاهد(١١).
والثاني: حكماء علماء. قاله أبو رزين(١٢).
والثالث: فقهاء علماء , وهو قول ابن عباس(١)، الحسن(٢)، ومجاهد- في رواية أخرى-(٣)، والضحاك(٤)، وقتادة(٥)،وسعيد بن جبير -في رواية عنه-(٦)، وعطاء الخراساني(٧)، والربيع بن أنس(٨)، وعطية(٩)، ويحيى بن عقيل(١٠).

---

(١)[المائدة : ٦٣].
(٢)[المائدة : ٦٣].
(٣) والإدهان: اللين والمصانعة ، في الدين وفي كل شيء ، قال تعالى:{وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ} [القلم : ٩]. .
(٤) أخرجه الطبري(١٢٢٣٧):ص٤٤٦/١٠-٤٤٧.
(٥) صفوة التفاسير:٣٢٥.
(٦) أخرجه الطبري(١٢٢٤٠):ص٤٤٩/١٠.
(٧) معاني القرآن:١٨٩/٢.
(٨) تفسير السعدي:٢٣٧.
(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٥٧٢):ص١١٦٧/٤.
(١٠) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٥٧١):ص١١٦٦/٤-١١٦٧.
(١١) انظر: تفسير الطبري(٧٣٠٦)-(٧٣٠٨):ص٥٤١/٦.
(١٢) انظر: تفسير الطبري(٧٣٠١)-(٧٣٠٤):ص٥٤٠/٦-٥٤١، وتفسير ابن أبي حاتم(٣٧٤٧):ص٦٩١/٢

والرابع:الفقهاء المعلمون. قاله ابن عباس أيضا [١١].
والخامس: حكماء فقهاء. قاله ابن عباس-في رواية اخرى-[١٢]، والسدي[١٣].
والسادس: حكماء أتقياء , وهو قول سعيد بن جبير[١٤].
والسابع: حلماء علماء حكماء. وهذا مروي عن ابن عباس أيضا[١٥].
والثامن: أن المراد: كونوا أهل عبادة، وأهل تقوى لله. قاله الحسن –في رواية أخرى-[١٦].
والتاسع: أنهم الولاة الذين يربّون أمور الناس , وهذا قول ابن زيد[١٧].
والراجح-والله أعلم- أن «الربانيين»: جمع: «رباني»، وهو المنسوب إلى«الرَّبَّان»، الذي يربُّ الناسَ، وهو الذي يُصلْح أمورهم، ويربّها، ويقوم بها [١٨].
وفي:{ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ} [المائدة: ٦٣]، وجوه:
أحدها: أن الربانيين هم فوق الأحبار. قاله مجاهد[١٩] .
والثاني: أن الربانيين علماء النصارى، والأحبار علماء اليهود. وهذا قول الحسن[٢٠].
والثالث: أن الكل في اليهود، لأن هذه الآيات فيهم[٢١].
وفي أصل «الرباني»، قولان:
أحدها: أنه الذي يربُّ أمور الناس بتدبيره, يُصلْح أمورهم، ويقوم بها، ومنه قول علقمة بن عبدة[٢٢]:

وَكُنْتُ امْرَأً أَفْضَتْ إِلَيْكَ رِبَابَتِي   وَقَبْلَكَ رَبَّتْنِي، فَضِعْتُ، رُبُوبُ

فسمي العالم ربّانياً لأنه بالعلم يدبر الأمور، بتعليمه إياهم الخيرَ ودعائهم إلى ما فيه مصلحتهم.
ولذلك قال مجاهد:"وهم فوق الأحبار"[٢٣]، لأن "الأحبارَ" هم العلماء، و"الرباني" الجامعُ إلى العلم والفقه، البصرَ بالسياسة والتدبير والقيام بأمور الرعية، وما يصلحهم في دُنياهم ودينهم[٢٤].

---

(١) انظر: تفسير الطبري(٧٣١٥):ص٥٤٢/٦.
(٢) انظر: تفسير الطبري(٧٣٠٥):ص٥٤١/٦.
(٣) انظر: تفسير الطبري(٧٣١٢):ص٥٤١/٦-٥٤٢.
(٤) انظر: تفسير الطبري(٧٣١٧):ص٥٤٢/٦.
(٥) انظر: تفسير الطبري(٧٣٠٩):ص٥٤١/٦.
(٦)انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٣٧٤٩):ص٦٩٢/٢، ذكره دون إسناد.
(٧)انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٣٧٤٩):ص٦٩٢/٢، ذكره دون إسناد.
(٨)انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٣٧٤٩):ص٦٩٢/٢، ذكره دون إسناد.
(٩)انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٣٧٤٩):ص٦٩٢/٢، ذكره دون إسناد.
(١٠) انظر: تفسير الطبري(٧٣١٤):ص٥٤٢/٦.
(١١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٣٧٤٦):ص٦٩١/٢.
(١٢) انظر: تفسير الطبري(٧٣١٣)، و(٧٣١٦):ص٥٤٢/٦.
(١٣) انظر: تفسير الطبري(٧٣١١):ص٥٤١/٦.
(١٤) انظر: تفسير الطبري(٧٣١٨):ص٥٤٢/٦.
(١٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٣٧٤٧):ص٦٩١/٢.
(١٦)انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٣٧٤٨):ص٦٩١/٢.
(١٧) انظر: تفسير الطبري(٧٣١٩):ص٥٤٣/٦.
(١٨) انظر: تفسير الطبري:٥٤٣/٦.
(١٩) انظر: تفسير الطبري(٧٣١٢):ص٥٤١/٦-٥٤٢.
(٢٠) انظر: تفسير القرطبي:٢٣٧/٦، وتفسير الثعلبي:٨٦/٤. ذكروه بلا نسبة.
(٢١) انظر: تفسير القرطبي:٢٣٧/٦.
(٢٢)البيت في ديوانه: ١٣٢ والمفضليات: ١٩٤/٢، واللسان (ربب) ومقاييس اللغة: ٣٨٣/٢، وتفسير الطبري: ١٤٢/١، و٥٤٣/٦، والصحاح (ربب) والمخصص: ١٥٤/١٧.
(٢٣)تفسير الطبري:٥٤٤/٦.
(٢٤) انظر: تفسير الطبري:٥٤٤/٦.

والثاني: أنه مضاف إلى عالم الرب , وهو علم الدين , فقيل لصاحب العلم الذي أمر به الرب ربّاني[1].

وقرأ أبو واقد الليثي، وابن الجراح العقيلي: «الربيون»، كقوله: {مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ} [آل عمران: ١٤٦][2].

قوله تعالى:{عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ} [المائدة: ٦٣]، أي:" عن قول الكذب والزور"[3].

قال أبو هلال العسكري:" أي: الكذب بأن عزيرا ابن الله وأن يد الله مغلولة"[4].

قوله تعالى:{وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ} [المائدة: ٦٣]، أي:"وأكل أموال الناس بالباطل"[5].

قوله تعالى:{لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ} [المائدة: ٦٣]، أي:" لقد ساء صنيعهم حين تركوا النهي عن المنكر"[6].

قال ابن أبي زمنين:" أي: حين يسارعون في الإثم والعدوان، وأكلهم السحت، وبئس ما صنع الربانيون والأحبار حين لم ينهوهم عن ذلك"[7].

قال ابن عباس:" يعني: الربانيين إنهم بئس ما كانوا يصنعون"[8].

قال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم:"يصنعون ويعملون واحد"[9].

وقيل:"الصنع بمعنى العمل إلا أنه يقتضي الجودة، يقال: سيف صنيع إذا جود عمله"[10].

قال الزمخشري:" كأنهم جعلوا آثم من مرتكبي المناكير، لأن كل عامل لا يسمى صانعا، ولا كل عمل يسمى صناعة حتى يتمكن فيه ويتدرب وينسب إليه، وكأن المعنى في ذلك أن مواقع المعصية معه الشهوة التي تدعوه إليها وتحمله على ارتكابها، وأما الذي ينهاه فلا شهوة معه في فعل غيره، فإذا فرط في الإنكار كان أشد حالا من المواقع. ولعمري إن هذه الآية مما يقذ السامع، وينعى على العلماء توانيهم"[11].

قال القرطبي:" وبخ علماءهم في تركهم نهيهم فقال: {لبئس ما كانوا يصنعون} كما وبخ من يسارع في الإثم بقوله:{لبئس ما كانوا يعملون}، ودلت الآية على أن تارك النهي عن المنكر كمرتكب المنكر، فالآية توبيخ للعلماء في ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"[12].

قال الثعلبي:" وهذه أشد آية على ما أتى النهي عن المنكر حيث أنزلهم منزلة من يرتكبه وجمع بينهم في التوبيخ"[13].

قال أبو السعود:" وهذا أبلغ مما قيل في حق عامتهم لما أن العمل لا يبلغ درجة الصنع ما لم يتدرب فيه صاحبه ولم يحصل فيه مهارة تامة ولذلك ذم به خواصهم ولأن ترك الحسنة أقبح من مواقعة المعصية لأن النفس تلتذ بها وتميل إليها ولا كذلك ترك الإنكار عليها فكان جديرا بأبلغ ذم وفيه مما ينعى على العلماء توانيهم في النهي عن المنكرات ما لا يخفي"[14].

---

(١) انظر: النكت والعيون:٤٠٦/١.
(٢) انظر: تفسير الثعلبي:٨٦/٤.
(٣) التفسير الميسر:١١٨.
(٤) الوجوه والنظائر:٩٨.
(٥) التفسير الميسر:١١٨.
(٦) التفسير الميسر:١١٨.
(٧) تفسير ابن ابي زمنين:٣٦/٢.
(٨) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٥٧٣):ص١١٦٧/٤.
(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٥٧٤):ص١١٦٧/٤.
(١٠) تفسير القرطبي:٢٣٧/٦.
(١١) الكشاف:٦٥٤/١.
(١٢) تفسير القرطبي:٢٣٧/٦.
(١٣) تفسير الثعلبي:٨٦/٤.
(١٤) تفسير أبي السعود:٥٧/٣.

وروي عن خالد بن دينار عن ابن عباس قال: "ما في القرآن آية أشد توبيخًا من هذه الآية: { لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ } قال: كذا قرأ"(١).

وكذا قال الضحاك: "ما في القرآن آية أخوف عندي منها: إنا لا ننهى"(٢).

قال أبو حفص النعماني:" قال في المقدمين على الإثم والعدوان وأكلهم السحت: {لبئس ما كانوا يعملون} [المائدة: ٦٢]، وقال في العلماء التاركين للنهي عن المنكر: {لبئس ما كانوا يصنعون} والصنع أقوى من العمل؛ فإنما العمل يسمى صناعة، إذا صار مستقرا راسخا متمكنا، فجعل [حرم] العاملين ذنبا غير راسخ، وذنب التاركين للنهي المنكر ذنبا راسخا، والأمر في الحقيقة راسخا كذلك؛ لأن المعصية مرض الروح، وعلاجه العلم بالله وبصفاته وبأحكامه، فإذا حصل هذا العلم ولم تزل المعصية، كان كالمريض الذي يعالج بأدويته، قل فيها الشفاء، ومثل هذا المرض صعب شديد لا يكاد يزول، وكذلك العالم إذا أقدم على المعصية دل على أن مرض فقد الإيمان في غاية القوة والشدة"(٣).

وروي عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:"ما من قوم يكون بين أظهرهم من يعمل بالمعاصي هم أعز منه وأمنع، لم يغيروا، إلا أصابهم الله منه بعذاب"(٤).

وقرأ ابن عباس - رضي الله عنهما -: «بئسما»، بغير لام قسم(٥).

الفوائد:

١-قبح سكوت العلماء على المنكر وإغضائهم على فاعليه، ولذا قال كثير من السلف في هذه الآية أشد آية وأخطرها على العلماء.

٢-أن العبرة ليست بوجود العلماء ووفرتهم دون أن يكون لهم أثر فعال في الإصلاح،

فبنوا إسرائيل هلكوا وفيهم العلماء، فما لم يقم علماؤهم بما أوجب الله عليهم من النصح والإصلاح تسلط عليهم الشيطان.

القرآن

{وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٦٤)} [المائدة: ٦٤]

التفسير:

يُطلع الله نَبِيَّه على شيء من مآثم اليهود -وكان مما يُسرُّونه فيما بينهم- أنهم قالوا: يد الله محبوسة عن فعل الخيرات، بَخِلَ علينا بالرزق والتوسعة، وذلك حين لحقهم جَدْب وقحط. غُلَّتْ أيديهم، أي: حبست أيديهم هم عن فِعْل الخيرات، وطردهم الله من رحمته بسبب قولهم. وليس الأمر كما يفترونه على ربهم، بل يداه مبسوطتان لا حَجْرَ عليه، ولا مانع يمنعه من الإنفاق، فإنه الجواد الكريم، ينفق على مقتضى الحكمة وما فيه مصلحة العباد، لكنهم سوف يزدادون طغيانًا وكفرًا بسبب حقدهم وحسدهم; لأن الله قد اصطفاك بالرسالة. ويخبر تعالى أن طوائف اليهود سيظلون إلى يوم القيامة يعادي بعضهم بعضًا، وينفر بعضهم من بعض، كلما تآمروا على الكيد للمسلمين بإثارة الفتن وإشعال نار الحرب ردَّ الله كيدهم، وفرَّق شملهم، ولا يزال اليهود يعملون بمعاصي الله مما ينشأ عنها الفساد والاضطراب في الأرض. والله تعالى لا يحب المفسدين.

في سبب نزول الآية أقوال:

---

(١) أخرجه الطبري(١٢٢٣٩):ص١٠/٤٤٩.

(٢) أخرجه الطبري(١٢٢٣٨):ص١٠/٤٤٩.

(٣) اللباب في علوم الكتاب:٧/٤٢٤.

(٤)المسند (٤/٣٦٣) ورواه الطبراني في المعجم الكبير (٢/٣٣١) من طريق يزيد بن هارون به.

(٥) انظر: اللباب في علوم الكتاب:٧/٤٢٤.

أحدها: عن عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما-؛ قال: "قال رجل من اليهود -يقال له: النباش بن قيس-: إن ربك بخيل لا ينفق؛ فأنزل الله: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ}"(١).[ضعيف]

والثاني: قال عكرمة:" نزلت في فنحاص اليهودي"(٢).[ضعيف]

والثالث: وقال مقاتل:" يعني: ابن صوريا وفنحاص اليهوديين وعازر بن أبي عازر"(٣).

قوله تعالى:{وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ} [المائدة: ٦٤]، أي:" يد الله محبوسة عن فعل الخيرات، بَخِلَ علينا بالرزق والتوسعة"(٤).

قال ابن عباس:" أي: بخيلة"(٥).

قال السعدي:" أي: عن الخير والإحسان والبر"(٦).

قال الطبري:" يعنون: أن خير الله مُمْسَك وعطاؤه محبوس عن الاتساع عليهم ...وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن جرأة اليهود على ربهم، ووصفهم إياه بما ليس من صفته، توبيخًا لهم بذلك، وتعريفًا منه نبيَّه صلى الله عليه وسلم قديمَ جهلهم واغترارهم به، وإنكارهم جميع جميل أياديه عندهم، وكثرة صفحه عنهم وعفوه عن عظيم إجرامهم واحتجاجًا لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم بأنه له نبيٌّ مبعوث ورسول مرسل: أنْ كانت هذه الأنباء التي أنبأهم بها كانت من خفيِّ علومهم ومكنونها التي لا يعلمها إلا أحبارهم وعلماؤهم دون غيرهم من اليهود، فضلا عن الأمة الأمية من العرب الذين لم يقرأوا كتابًا، ولاوَعَوْا من علوم أهل الكتاب علمًا، فأطلع الله على ذلك نبيه محمدًا صلى الله عليه وسلم، ليقرر عندهم صدقه، ويقطع بذلك حجتهم"(٧).

قال الزجاج:" أي: قالوا يده ممسكة عن الاتساع علينا، كما قال الله جل وعز: {وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ} [الإسراء: ٢٩]، تأويله لا تمسكها عن الإنفاق، قال بعضهم: معنى:{يد الله مغلولة}: نعمته مقبوضة عنا، وهذا القول خطأ ينقضه: {بل يداه مبسوطتان}، فيكون المعنى: بل نعمتاه مبسوطتان، نعم الله أكثر من أن تحصى"(٨).

قال المراغي:" أي قال ذلك بعض منهم، ونسبه إلى الأمة بناء على التكافل العام بين أفرادها وكونها كالشخص الواحد، وأن الناس فى كل زمان يعزون إلى الأمة ما يسمعون من بعض أفرادها وقد جرت سنة القرآن أن ينسب إلى المتأخرين ما قاله أو فعله سلفهم منذ قرون، ولا عجب فى صدور هذا القول من بعض الأشخاص منهم، فإنا نرى من المسلمين فى عصرنا مثله فى الشكوى من الله عز وجل والاعتراض عليه عند الضيق وفى إبان المصايب"(٩).

وفي قوله تعالى:{وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ} [المائدة: ٦٤]، وجهان:

---

(١)أخرجه ابن إسحاق في "السيرة" -ومن طريقه الطبراني في "المعجم الكبير" (١٢/ ٥٣ رقم ١٢٤٩٧) -: ثني محمد بن أبي محمد مولى آل زيد بن ثابت عن سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس به.
وقال الهيثمي في "مجمع الزوائد" (٧/ ١٧): "رواه الطبراني ورجاله ثقات"!!
قلنا: وسنده ضعيف؛ لجهالة محمد هذا كما تقدم مراراً.
وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ١١٢) وزاد نسبته لابن مردويه.
.
(٢)أخرجه سنيد في "تفسيره" -ومن طريقه الطبري في "جامع البيان"(١٢٢٤٧):ص٤٥٣/١٠، وسنده ضعيف؛ للانقطاع بين عكرمة وابن جريج، وضعف سنيد صاحب "التفسير"..
(٣) تفسير مقاتل بن سليمان:٤٩٠/١.
(٤) التفسير الميسر:١١٨.
(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٥٧٥):ص١١٦٧/٤.
(٦) تفسير السعدي:٢٣٧.
(٧) تفسير الطبري:٤٥٠/١٠.
(٨) معاني القرآن:١٨٩/٢.
(٩) تفسير المراغي:١٥٢/٦-١٥٣.

أحدهما: أي مقبوضة عن العطاء على جهة البخل، قاله ابن عباس(1)، وقتادة(2)، وعكرمة(3)، والضحاك(4).
والثاني: مقبوضة عن عذابهم، قاله الحسن(5).
قوله تعالى:{غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ} [المائدة: ٦٤]، أي:" حبست أيديهم هم عن فِعْلِ الخيرات"(6).
قال الضحاك:" أمسكت أيديهم عن النفقة والخير"(7).
قال السعدي:" وهذا دعاء عليهم بجنس مقالتهم. فإن كلامهم متضمن لوصف الله الكريم، بالبخل وعدم الإحسان. فجازاهم بأن كان هذا الوصف منطبقا عليهم، فكانوا أبخل الناس وأقلهم إحسانا، وأسوأهم ظنا بالله، وأبعدهم الله عن رحمته التي وسعت كل شيء، وملأت أقطار العالم العلوي والسفلي"(8).
وفي قوله تعالى:{غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ} [المائدة: ٦٤]، أقوال:
أحدهما: أنه قال ذلك إلزاماً لهم البخل على مطابقة الكلام، والمعنى: أي جعلوا بخلاء. فهم أبخل قوم، قاله الزجاج(9).
والثاني: أن معناه: غلت أيديهم في نار جهنم على وجه الحقيقة، قاله الحسن(10).
قال الزمخشري:" ويجوز أن يكون دعاء عليهم بغل الأيدى حقيقة، يغللون في الدنيا أسارى، وفي الآخرة معذبين بأغلال جهنم: والطباق من حيث اللفظ وملاحظة أصل المجاز، كما تقول: سبني سب الله دابره، أى قطعه لأن السب أصله القطع"(11).
والثالث: معناه: الدعاء عليهم بالبخل والنكد، ومن ثم كانوا أبخل خلق الله وأنكدهم، قاله الزمخشري(12)، وأنشد بيت الأشتر مالك بن الحارث(13):

وفَرتُ وفري وانحرْفتُ عن العُلا   فلقيتُ أضْيافي بوجْهٍ عَبُوس

قال الزمخشري:" فإن قلت: كيف جاز أن يدعو الله عليهم بما هو قبيح وهو البخل والنكد؟
قلت: المراد به الدعاء بالخذلان الذي تقسو به قلوبهم، فيزيدون بخلا إلى بخلهم ونكدا إلى نكدهم، أو بما هو مسبب عن البخل والنكد من لصوق العار بهم وسوء الأحدوثة التي تخزيهم وتمزق أعراضهم"(14).
والحق أن الله يدعو عليهم بالبخل ودعاؤه عبارة عن خلقه الشح في قلوبهم والقبض في أيديهم، فهو الداعي والخالق، لا خالق إلا هو يخلق لهم البخل ويتقدس عنه، قال تعالى: {لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ} [الأنبياء: ٢٣](15).
قوله تعالى:{وَلُعِنُوا بِمَا} [المائدة: ٦٤]، أي:" وطردهم الله من رحمته بسبب قولهم"(1).

---

(١) انظر: تفسير الطبري(١٢٢٤٢):ص١٠/٤٥٢.
(٢) انظر: تفسير الطبري(١٢٢٤٥):ص١٠/٤٥٢.
(٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:١١٦٧/٤. ذكره دون إسناد.
(٤) انظر: تفسير الطبري(١٢٢٤٨):ص١٠/٤٥٣-٤٥٤.
(٥) انظر: النكت والعيون:٥١/٢.
(٦) التفسير الميسر:١١٨.
(٧) أخرجه الطبري(١٢٢٤٨):ص١٠/٤٥٣-٤٥٤.
(٨) تفسير السعدي:٢٣٧.
(٩) انظر: معاني القرآن:١٩٠/٢.
(١٠) انظر: النكت والعيون:٥١/٢. وذكره الزجاج:١٩٠/٢، بلانسبة.
(١١) الكشاف:٦٥٦/١.
(١٢) انظر: الكشاف:٦٥٥/١-٦٥٦.
(١٣)هو مالك بن الحارث النخعي من أصحاب الإمام علي. توفي ٣٨ هـ. (الولاة والقضاة ٢٣ - ٢٦، تهذيب التهذيب، ١ / ١١) . والأبيات في البخلاء: ٢٤٤، وشرح ديوان الحماسة: (م) ١٤٩ و (ت) ١ / ١٤٣.
(١٤) الكشاف:٦٥٦/١.
(١٥) انظر: تفسير الكشاف:٦٥٥/١، الهامش رقم(٤).

عن السدي قوله: "{ولعنوا بما قالوا}، قال: قالوا إن الله وضع يده على صدره فلم يبسطها أبدا حتى يرد علينا ملكنا"(٢).

وفي قوله تعالى:{وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا} [المائدة: ٦٤]، قولان:

أحدهما: يعني: يعذبهم بالجزية. قاله الكلبي(٣).

والثاني: ويحتمل: أن يكون لعْنُهم هو طردهم حين أجلوا من ديارهم. أفاده الماوردي(٤).

قال ابن كثير:"وقد رد الله -عز وجل- عليهم ما قالوه، وقابلهم فيما اختلقوه وافتروه وائتفكوه، فقال:{غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا }، وهكذا وقع لهم، فإن عندهم من البخل والحسد والجبن والذلة أمر عظيم، كما قال تعالى: { أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا} [النساء: ٥٣ - ٥٥]، وقال تعالى:{ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاس } الآية [آل عمران: ١١٢]"(٥).

وقرئ:«ولعنوا»، بسكون العين. وفي مصحف عبد الله: بل يداه بسطان(٦).

قوله تعالى:{بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ} [المائدة: ٦٤]، أي:" بل يداه مبسوطتان لا حَجْرَ عليه، ولا مانع يمنعه من الإنفاق، فإنه الجواد الكريم، ينفق على مقتضى الحكمة وما فيه مصلحة العباد"(٧).

عن قتادة: قوله:"{ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ}، ينفق بهما كيف يشاء"(٨).

عن السدي:"{ينفق كيف يشاء}، قال: يرزق كيف يشاء"(٩).

قال الزجاج:" أي: هو جواد"(١٠).

قال ابن كثير:" أي: بل هو الواسع الفضل، الجزيل العطاء، الذي ما من شيء إلا عنده خزائنه، وهو الذي ما بخلقه من نعمة فمنه وحده لا شريك له، الذي خلق لنا كل شيء مما نحتاج إليه، في ليلنا ونهارنا، وحضرنا وسفرنا، وفي جميع أحوالنا، كما قال تعالى: { وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ الإنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ } الآية [إبراهيم: ٣٤]. والآيات في هذا كثيرة"(١١).

قال السعدي: أي: " لا حجر عليه، ولا مانع يمنعه مما أراد، فإنه تعالى قد بسط فضله وإحسانه الديني والدنيوي، وأمر العباد أن يتعرضوا لنفحات جوده، وأن لا يسدوا على أنفسهم أبواب إحسانه بمعاصيهم.

فيداه سحاء الليل والنهار، وخيره في جميع الأوقات مدرارا، يفرج كربا، ويزيل غما، ويغني فقيرا، ويفك أسيرا ويجبر كسيرا، ويجيب سائلا ويعطي فقيرا عائلا ويجيب المضطرين، ويستجيب للسائلين. وينعم على من لم يسأله، ويعافي من طلب العافية، ولا يحرم من خيره عاصيا، بل خيره يرتع فيه البر والفاجر، ويجود على أوليائه بالتوفيق لصالح الأعمال ثم يحمدهم عليها، ويضيفها إليهم، وهي من جوده ويثيبهم عليها من الثواب العاجل والآجل ما لا يدركه الوصف، ولا يخطر على بال العبد، ويلطف بهم في جميع أمورهم، ويوصل إليهم من

---

(١) التفسير الميسر:١١٨.
(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٥٧٩):ص١١٦٨/٤.
(٣) انظر: النكت والعيون:٥١/٢.
(٤) انظر: النكت والعيون:٥١/٢.
(٥) تفسير ابن كثير:١٤٦/٣.
(٦) انظر: الكشاف:٦٥٦/١.
(٧) التفسير الميسر:١١٨.
(٨) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٥٨١):ص١١٦٨/٤.
(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٥٨٢):ص١١٦٨/٤.
(١٠) معاني القرآن:١٩٠/٢.
(١١) تفسير ابن كثير:١٤٦/٣.

الإحسان، ويدفع عنهم من النقم ما لا يشعرون بكثير منه، فسبحان من كل النعم التي بالعباد فمنه، وإليه يجأرون في دفع المكاره، وتبارك من لا يحصي أحد ثناء عليه، بل هو كما أثنى على نفسه، وتعالى من لا يخلو العباد من كرمه طرفة عين، بل لا وجود لهم ولا بقاء إلا بجوده.

وقبح الله من استغنى بجهله عن ربه، ونسبه إلى ما لا يليق بجلاله، بل لو عامل الله اليهود القائلين تلك المقالة، ونحوهم ممن حاله كحالهم ببعض قولهم، لهلكوا، وشقوا في دنياهم، ولكنهم يقولون تلك الأقوال، وهو تعالى، يحلم عنهم، ويصفح، ويمهلهم ولا يهملهم"[١].

قال الزمخشري:.قوله: { بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ} "تاكيد للوصف بالسخاء، ودلالة على أنه لا يتفق إلا على مقتضى الحكمة والمصلحة. روى أن الله تبارك وتعالى كان قد بسط على اليهود حتى كانوا من أكثر الناس ما لا، فلما عصوا الله في محمد -صلى الله عليه وسلم- وكذبوه كف الله تعالى ما بسط عليهم من السعة، فعند ذلك قال فنحاص بن عازوراء: يد الله مغلولة[٢]، ورضى بقوله الآخرون فأشركوا فيه"[٣].

وفي قوله تعالى:{بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَان} [المائدة: ٦٤]، أربعة تاويلات[٤]:

أحدها: أن اليدين ها هنا النعمة، من قولهم لفلان: عندي يد، أي نعمة، ومعناه: بل نعمتاه مبسوطتان، نعمة الدين، ونعمة الدنيا. ضعّفه الزجاج [٥].

والثاني: اليد ها هنا القوة، كقوله تعالى:{أُولِي الأَيْدِي وَالأَبْصَارِ} [ص: ٤٥]،ومعناه: بل قوتان بالثواب والعقاب .

والثالث: أن اليد ها هنا الملك، من قولهم فى مملوك الرجل: هو ملك يمينه، ومعناه: ملك الدنيا والآخرة .

والرابع:أن التثنية للمبالغة فى صفة النعمة كما تقول العرب لبيك وسعديك، وكقول الأعشى[٦]:

يَدَاكَ يَدَا مَجْدٍ، فَكَفٌ مُفِيدَةٌ وَكَفٌّ إذَا مَا ضُنَّ بِالزَّادِ تُنْفِقُ

فأضاف ما كان صفة صاحب اليد من إنفاق وإفادة إلى اليد، ومثل ذلك من كلام العرب في أشعارها وأمثالها أكثر من أن يُحْصى[٧].

قال الطبري:" وإنما وصف تعالى ذكره اليد بذلك، والمعنى العَطاء، لأن عطاء الناس وبذلَ معروفهم الغالبَ بأيديهم. فجرى استعمال الناس في وصف بعضهم بعضًا، إذا وصفوه بجود وكرم، أو ببخل وشحّ وضيق، بإضافة ما كان من ذلك من صفة الموصوف إلى يديه"[٨].

قال صاحب الكشاف:" غل اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود، ومنه قوله تعالى: {وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ} [الإسراء: ٢٩]، ولا يقصد من يتكلم به إثبات يد ولا غل ولا بسط، ولا فرق عنده بين هذا الكلام وبين ما وقع مجازا عنه لأنهما كلامان متعقبان على حقيقة واحدة، حتى أنه يستعمله في ملك لا يعطى عطاء قط ولا يمنعه إلا بإشارته من غير استعمال يد وبسطها وقبضها، ولو أعطى الأقطع إلى المنكب عطاء جزيلا لقالوا: ما

---

(١) تفسير السعدي:٢٣٧.

(٢) انظر الأقوال في سبب نزول الآية.

(٣) الكشاف:٦٥٦/١-٦٥٧.

(٤) انظر: تفسير الطبري:٤٥٤/١٠-٤٥٦، والنكت والعيون:٥١/٢-٥٢.

(٥) انظر: معاني القرآن:١٨٩/٢.

(٦)ديوانه : ١٥٠ ، وغيره. من قصيدته الغالية التي رفعت المحلق وطارت بذكره في الآفاق ، يقول له :

لَعَمْرِي لَقَدْ لاحَتْ عُيُونٌ كَثِيرَةٌ ... إلَى ضَوْءِ نارٍ في يَفَاعٍ تُحَرَّقُ

تُشَبُّ لمقْرُورَيْنِ يَصطَلِيَانِها ... وَبَاتَ عَلَى النَّارِ النَّدَى والمحلَّقُ

رَضِيعَيْ لِبَانٍ ثَدْيَ أُمٍّ تَحَالفَا ... بِأَسْحَمَ عَوْضَ الدَّهْرِ لا نَتَفَرَّقُ

تَرَى الجُودَ يَجْرِي ظَاهِرًا فَوْقَ وَجْهِهِ ... كَمَا زَانَ مَتْنَ الهُنْدُوَانِيِّ رَوْنَقُ

يَدَاهُ يَدَا صِدْقٍ ، فَكفٌّ مُفِيدَةٌ ... وَكَفٌّ إذَا مَا ضُنَّ بِالْمَالِ تُنْفِقُ.

(٧) انظر: تفسير الطبري:٤٥١/١٠.

(٨) .تفسير الطبري:٤٥١/١٠

أبسط يده بالنوال، لأن بسط اليد وقبضها عبارتان وقعتا متعاقبتين للبخل والجود، وقد استعملوهما حيث لا تصح اليد، كقوله[١]:

جاد الحمى بسط اليدين بوابل   شكرت نداه تلاعه ووهاده

ولقد جعل لبيد للشمال يدا في قوله[٢]:

إذ أصبحت بيد الشمال زمامها

ويقال: بسط اليأس كفيه في صدري، فجعلت لليأس الذي هو من المعاني لا من الأعيان كفان، ومن لم ينظر في علم البيان عمى عن تبصر محجة الصواب في تأويل أمثال هذه الآية، ولم يتخلص من يد الطاعن إذا عبثت به"[٣].

وقد ثنيت اليد في قوله تعالى: {بل يداه مبسوطتان}، وهي مفردة في: {يد الله مغلولة}، وذلك "ليكون رد قولهم وإنكاره أبلغ وأدل على إثبات غاية السخاء له ونفى البخل عنه. وذلك أن غاية ما يبذله السخي بماله من نفسه أن يعطيه بيديه جميعا فبنى المجاز على ذلك"[٤].

وفي مصحف عبد الله: «بل يداه بسطان» [٥].

ويحتمل قوله تعالى:{يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ} [المائدة: ٦٤]، وجهان[٦]:

أحدهما: يمعنى أنه يعطي من يشاء من عباده إذا علم أن في إعطائه مصلحة دينه .

والثاني: ينعم على من يشاء بما يصلحة في دينه .

عن ابي هريرة قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "إن يمين الله مَلأى لا يَغِيضُها نفقة، سَحَّاء الليل والنهار، أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض، فإنه لم يَغِض ما في يمينه" قال: "وعرشه على الماء، وفي يده الأخرى القبْض، يرفع ويخفض": قال: قال الله تعالى: "أنفق أنفق عليك"[٧].

قوله تعالى:{وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا} [المائدة: ٦٤]، أي:" لكنهم سوف يزدادون طغيانًا وكفرًا بسبب حقدهم وحسدهم"[٨].

قال قتادة:" حملهم حسدُ محمد صلى الله عليه وسلم والعرب على أن كفروا به، وهم يجدونه مكتوبًا عندهم"[٩].

قال الزجاج:" أي: كلما نزل عليك شيء من القرآن كفروا به فيزيد كفرهم والطغيان الغلو والكفر ههناك"[١٠].

قال الزمخشري:أي:" عند نزول القرآن، لحسدهم تماديا في الجحود وكفرا بآيات الله"[١١].

---

(١) البيت من شواهد الزمخشري في الكشاف:٦٥٥/١، ولم يعزه هو ولا شارحوه، ولم أتعرف على قائله، وانظر: البيت في تفسير البيضاوي:١٣٥/٢، وتفسير البحر المحيط: ٣١٥/٤، والدر المصون:٣٤٣/٤، واللباب في علوم الكتاب:٤٢٧/٧، وغيرها.

(٢)البيت في ديوانه (٢٣٠) ط، دار القاموس الحديث، وصدره:

"وغداة ريح قد كشفت وقرة"

وأورده القزويني في الإيضاح (٢٧٧)، والمبرد في الكامل وعزاه للبيد، وأساس البلاغة (يدي). والبيت من معلقته المشهورة، والقرة والقر: البرد، يقول: كم من غداة تهب فيها الشمال وهي أبرد الرياح، وقد كففت عادية البرد عن الناس بنحر الجزر لهم.

(٣) الكشاف:٦٥٤/١-٦٥٥.

(٤) الكشاف:٦٥٦/١.

(٥) انظر: الكشاف:٦٥٦/١.

(٦) انظر: النكت والعيون:٥٢/٢.

(٧)المسند (٣١٣/٢) وصحيح البخاري برقم (٧٤١٩) وصحيح مسلم برقم (٩٩٣).

(٨) التفسير الميسر:١١٨.

(٩) أخرجه الطبري(١٢٢٤٩):ص٤٥٧/١٠.

(١٠) معاني القرآن:١٩٠/٢.

(١١) الكشاف:٦٥٧/١.

قال ابن كثير:" أي: يكون ما أتاك الله يا محمد من النعمة نقمة في حق أعدائك من اليهود وأشباههم، فكما يزداد به المؤمنون تصديقًا وعملا صالحًا وعلمًا نافعًا، يزداد به الكفرة الحاسدون لك ولأمتك { طُغْيَانًا } وهو: المبالغة والمجاوزة للحد في الأشياء{وَكُفْرًا}، أي: تكذيبا، كما قال تعالى: { قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ } [فصلت: ٤٤] وقال تعالى: { وَنُنزلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلا خَسَارًا } [الإسراء: ٨٢]"[١].

قال السعدي:" قوله {وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا} وهذا أعظم العقوبات على العبد، أن يكون الذكر الذي أنزله الله على رسوله، الذي فيه حياة القلب والروح، وسعادة الدنيا والآخرة، وفلاح الدارين، الذي هو أكبر منة امتن الله بها على عباده، توجب عليهم المبادرة إلى قبولها، والاستسلام لله بها، وشكرا لله عليها، أن تكون لمثل هذا زيادة غي إلى غيه، وطغيان إلى طغيانه، وكفر إلى كفره، وذلك بسبب إعراضه عنها، ورده لها، ومعاندته إياها، ومعارضته لها بالشبه الباطلة"[٢].

وفي قوله تعالى:{وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا} [المائدة: ٦٤]، قولان:

أحدهما: أنه عنى اليهود بما حصل منهم من الخلاف .

والثاني: أنه أراد بين اليهود والنصارى في تباين قولهم في المسيح، قاله الحسن[٣].

قوله تعالى:{وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ} [المائدة: ٦٤]، أي:" أي ألقينا بين اليهود العداوة والبغضاء فكلمتهم مختلفة وقلوبهم شتّى لا يزالون متباغضين متعادين إلى قيام الساعة"[٤].

قال مجاهد:" اليهود والنصارى "[٥].

عن إبراهيم التيمي قوله: "{العداوة والبغضاء}، قال: الخصومات والجدال في الدين"[٦].

قال الزجاج:" جعلهم الله مختلفين في دينهم متباغضين، كما قال: {تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى} [الحشر: ١٤]، فألقى الله بينهم العداوة، وهي أحد الأسباب التي أذهب الله بها جدهم وشوكتهم"[٧].

قال ابن كثير:" يعني: أنه لا تجتمع قلوبهم، بل العداوة واقعة بين فِرقهم بعضهم في بعض دائمًا لأنهم لا يجتمعون على حق، وقد خالفوك وكذبوك"[٨].

قال الزمخشري:" فكلمهم أبدا مختلف، وقلوبهم شتى، لا يقع اتفاق بينهم ولا تعاضد"[٩].

قال السعدي:" فلا يتآلفون، ولا يتناصرون، ولا يتفقون على حالة فيها مصلحتهم، بل لم يزالوا متباغضين في قلوبهم، متعادين بأفعالهم، إلى يوم القيامة"[١٠].

قوله تعالى:{كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ} [المائدة: ٦٤]، أي:" كلما تآمروا على الكيد للمسلمين بإثارة الفتن وإشعال نار الحرب ردَّ الله كيدهم، وفرَّق شملهم"[١١].

قال مجاهد:" هم اليهود"[١]، "{كلما أوقدوا نارًا للحرب أطفأها الله}، قال: حربُ محمد -صلى الله عليه وسلم-"[٢].

---

(١) تفسير ابن كثير:١٤٧/٣.
(٢) تفسير السعدي:٢٣٧.
(٣) انظر: النكت والعيون:٥٢/٢.
(٤) صفوة التفاسير:٣٢٥.
(٥) أخرجه الطبري(١٢٢٥٠):ص٤٥٨/١٠.
(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٥٨٤):ص١١٦٨/٤.
(٧) معاني القرآن:١٩٠/٢.
(٨) تفسير ابن كثير:١٤٧/٣.
(٩) الكشاف:٦٥٧/١.
(١٠) تفسير السعدي:٢٣٧.
(١١) التفسير الميسر:١١٨.

وفي رواية أخرى عن مجاهد:" كلما مكروا مكرا أطفأ الله النار والمكر"(٣).
قال الحسن:" كلما اجتمعت السفلة على قتل العرب أذلهم الله"(٤).
قال قتادة:" أولئك أعداء الله اليهود، كلما أوقدوا نارًا للحرب أطفأها الله، فلن تلقى اليهود ببلد إلا وجدتهم من أذلّ أهله. لقد جاء الإسلام حين جاء، وهم تحت أيدي المجوس أبغض خلقه إليه"(٥).
قال السدي:" كلما أجمعوا أمرهم على شيء فرَّقه الله، وأطفأ حَدَّهم ونارهم، وقذف في قلوبهم الرعب"(٦).
قال الطبري:أي:" كلما جمع أمرهم على شيء فاستقام واستوى، فأرادوا مناهضة من ناوأهم، شتته الله عليهم وأفسده، لسوء فعالهم وخُبْثِ نياتهم"(٧).
قال ابن كثير:" أي: كلما عقدوا أسبابًا يكيدونك بها، وكلما أبرموا أمورًا يحاربونك بها يبطلها الله ويرد كيدهم عليهم، ويحيق مكرهم السيئ بهم"(٨).
قال الزجاج:" هذا مثل أي كلما جمعوا على النبي والمسلمين وأعدوا لحربهم فرق الله جمعهم وأفسد ذات بينهم"(٩).
قال الزمخشري:" كلما أرادوا محاربة أحد غلبوا وقهروا ولم يقم لهم نصر من الله على أحد قط، وقد أتاهم الإسلام وهم في ملك المجوس. وقيل: خالفوا حكم التوراة فبعث الله عليهم بخت نصر، ثم أفسدوا فسلط الله عليهم فطرس الرومى، ثم أفسدوا فسلط الله عليهم المجوس، ثم أفسدوا فسلط الله عليهم المسلمين. وقيل: كلما حاربوا رسول الله صلى الله عليه وسلم نصر عليهم"(١٠).
قال السعدي:" {كلما أوقدوا نارا للحرب} ليكيدوا بها الإسلام وأهله، وأبدوا وأعادوا، وأجلبوا بخيلهم ورجلهم {أطفأها الله} بخذلانهم وتفرق جنودهم، وانتصار المسلمين عليهم"(١١).
روي عن الربيع في قوله:"{لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولا ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ } [سورة الإسراء: ٤ - ٦]، قال: كان الفساد الأول، فبعث الله عليهم عدوًّا فاستباحوا الديار، واستنكحوا النساء، واستعبدوا الولدان، وخرَّبوا المسجد. فغَبَرُوا زمانًا، ثم بعث الله فيهم نبيًّا وعاد أمرهم إلى أحسن ما كان. ثم كان الفساد الثاني بقتلهم الأنبياء، حتى قتلوا يحيى بن زكريا، فبعث الله عليهم بُخْتَ نصَّر، فقتل من قتل منهم، وسبى من سبى، وخرب المسجد. فكان بخت نصر الفسادَ الثاني قال: و الفساد ، المعصية ثم قال، {فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ } إلى قوله: {وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا} [سورة الإسراء: ٧، ٨] فبعث الله لهم عُزَيْرًا، وقد كان علم التوراة وحفظها في صدره وكتبها لهم. فقام بها ذلك القرن، ولبثوا فنسوا. ومات عزير، وكانت أحداثٌ، ونسوا العهد وبَخَّلوا ربهم، وقالوا: يد الله مغلولة غُلَّت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء ، وقالوا في عزير: إن الله اتخذه ولدًا ، وكانوا يعيبون ذلك على النصارى في قولهم في المسيح، فخالفوا ما نَهَوْا عنه، وعملوا بما كانوا يكفّرون عليه، فسبق من الله كلمة عند ذلك أنهم لن يظهروا على عدوٍّ

(١) أخرجه الطبري(١٢٢٥٢):ص٤٦٠/١٠.
(٢) أخرجه الطبري(١٢٢٥٥):ص٤٦١/١٠.
(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٥٨٥):ص١١٦٨/٤-١١٦٩
(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٥٨٩):ص١١٦٩/٤
(٥) أخرجه الطبري(١٢٢٥٣):ص٤٦٠/١٠.
(٦) أخرجه الطبري(١٢٢٥٤):ص٤٦٠/١٠.
(٧) تفسير الطبري:٤٥٨/١٠.
(٨) تفسير ابن كثير:١٤٧/٣.
(٩) معاني القرآن:١٩٠/٢.
(١٠) الكشاف:٦٥٧/١.
(١١) تفسير السعدي:٢٣٧.

آخرَ الدهر، فقال: كلما أوقدوا نارًا للحرب أطفأها الله ويسعون في الأرض فسادًا والله لا يحب المفسدين ، فبعث الله عليهم المجوس الثالثة أربابًا، فلم يزالوا كذلك والمجوس على رقابهم، وهم يقولون: يا ليتنا أدركنا هذا النبي الذي نجده مكتوبًا عندنا، عسى الله أن يفكّنا به من المجوس والعذاب الهون ! فبعث محمدًا صلى الله عليه وسلم واسمه محمد ، واسمه في الإنجيل أحمد فلما جاءهم وعرفوا،كفروا به، قال: {فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ}[سورة البقرة: ٨٩]، وقال: {فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ }، بسورة البقرة: ٩٠]"[١].

قوله تعالى:{وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا} [المائدة: ٦٤]، أي:" ولا يزال اليهود يعملون بمعاصي الله مما ينشأ عنها الفساد والاضطراب في الأرض"[٢].

قال قتادة:" أولئك أعداء الله اليهود"[٣].

قال الطبري:أي:" ويعمل هؤلاء اليهود والنصارى بمعصية الله، فيكفرون بآياته ويكذبون رسله، ويخالفون أمره ونهيه، وذلك سعيُهم فيها بالفساد"[٤].

قال ابن كثير:" أي: من سجيتهم أنهم دائمًا يسعوْن في الإفساد في الأرض"[٥].

قال الزجاج:" أي: يجتهدون في دفع الإسلام ومحو ذكر النبي - صلى الله عليه وسلم - من كتبهم"[٦].

قال السعدي:" أي: يجتهدون ويجدون، ولكن بالفساد في الأرض، بعمل المعاصي، والدعوة إلى دينهم الباطل، والتعويق عن الدخول في الإسلام"[٧].

قوله تعالى:{وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ} [المائدة: ٦٤]، أي:" والله تعالى لا يحب المفسدين"[٨].

قال ابن كثير:أي: "والله لا يحب من هذه صفته"[٩].

قال الطبري:أي:" يقول: والله لا يحب من كان عامِلا بمعاصيه في أرضه "[١٠].

قال السعدي:" بل يبغضهم أشد البغض، وسيجازيهم على ذلك"[١١].

الفوائد:

١- أن اليهود وصفوا الله-سبحانه وتعالى- بما يتعالى عنه ويتقدس من النقائص فقالوا: {يد الله مغلولة} [المائدة: ٦٤].

٢- في الآية إثبات لصفة اليدين لله سبحانه وتعالى كما يليق به من غير تشبيه ولا تكييف.

٣- تقرير ما هو موجود بين اليهود والنصارى من عداوة وبغضاء وهو من تدبير الله تعالى.

فاليهود لا تقوم لهم راية، ولا يثبت لهم قدم، ولا تجتمع لهم كلمة، ولا تجاب لهم دعوة، دعوتهم مدحوضة، وكلمتهم مختلفة، وجمعهم متفرق، {كلما أوقدوا نارًا للحرب أطفأها الله}.

وإن قيل: إن التعاون القائم اليوم بين اليهود والنصارى يرد ما في الآية، قلنا: إن اليهود احتالوا على النصارى فضربوهم بالإلحاد، فلما قضي على العقيدة الدينية فيهم أصبحوا سخرة لهم يتحكمون فيهم، وبذلك فرضوا عليهم حبهم وعدم عداوتهم.

٤- سعى اليهود الدائم في الفساد في الأرض فقد ضربوا البشرية بالذهب المادي الإلحادي الشيوعي، وضربوها أيضاً بالإباحة ومكائد الماسونية.

---

(١) أرجه الطبري(١٢٢٥١):ص٤٥٩/١٠-٤٦٠.

(٢) التفسير الميسر:١١٨.

(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٥٩١):ص١١٦٩/٤

(٤) تفسير الطبري:٤٦١/١٠.

(٥) تفسير ابن كثير:١٤٧/٣.

(٦) معاني القرآن:١٩١/٢.

(٧) تفسير السعدي:٢٣٧.

(٨) التفسير الميسر:١١٨.

(٩) تفسير ابن كثير:١٤٧/٣.

(١٠) تفسير الطبري:٤٦١/١٠.

(١١) تفسير السعدي:٢٣٧.

٥- أن قوله: {وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ}، حجة على المعتزلة والقدرية.

القرآن
{وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٦٥)} [المائدة: ٦٥]

التفسير:
ولو أن اليهود والنصارى صدَّقوا الله ورسوله، وامتثلوا أوامر الله واجتنبوا نواهيه، لكفَّرنا عنهم ذنوبهم، ولأدخلناهم جنات النعيم في الدار الآخرة.

قوله تعالى:{وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا} [المائدة: ٦٥]، أي:" ولو أن اليهود والنصارى صدَّقوا الله ورسوله"(١).

قال قتادة:" يقول: آمنوا بما أنزل الله"(٢).

قال البغوي: آمنوا "بمحمد -صلى الله عليه وسلم-"(٣).

قال ابن كثير:" أي: لو أنهم آمنوا بالله ورسوله"(٤).

قال السعدي:أي:" لو آمنوا بالله وملائكته، وجميع كتبه، وجميع رسله"(٥).

قال السمرقندي:" يعني: اليهود والنصارى، [لو] صدقوا بتوحيد الله تعالى وبمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن"(٦).

قال الزمخشري:أي:" ولو أن أهل الكتاب مع ما عددنا من سيئاتهم آمنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم وبما جاء به"(٧).

قال الشوكاني:" أي: لو أن المتمسكين بالكتاب، وهم اليهود والنصارى، على أن التعريف للجنس آمنوا الإيمان الذي طلبه الله منهم، ومن أهمه الإيمان بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم كما أمروا بذلك في كتب الله المنزلة عليهم"(٨).

قوله تعالى:{وَاتَّقَوْا} [المائدة: ٦٥]، أي:" وامتثلوا أوامر الله واجتنبوا نواهيه"(٩).

قال الزمخشري:أي:" وقرنوا إيمانهم بالتقوى التي هي الشريطة في الفوز بالإيمان"(١٠).

قال قتادة:" واتقوا ما حرم الله"(١١).

قال السمعاني:" يعني: عن المعاصي"(١٢).

قال ابن كثير:أي:" واتقوا ما كانوا يتعاطونه من المحارم والمآثم "(١٣).

قال السمرقندي والقرطبي: أي: "الشرك والمعاصي"(١٤).

قال البغوي:" واتقوا، الكفر"(١٥).

قال الواحدي:أي:" واتقوا: اليهودية والنصرانية"(١).

---

(١) التفسير الميسر:١١٩.
(٢) أخرجه الطبري(١٢٢٥٦):ص٤٦٢/١٠.
(٣) تفسير البغوي:٧٧/٣.
(٤) تفسير ابن كثير:١٤٧/٣.
(٥) تفسير السعدي:٢٣٨.
(٦) بحر العلوم:٤٠٥/١.
(٧) الكشاف:٦٥٧/١.
(٨) فتح القدير:٦٧/٢.
(٩) التفسير الميسر:١١٩.
(١٠) الكشاف:٦٥٧/١.
(١١) أخرجه الطبري(١٢٢٥٦):ص٤٦٢/١٠.
(١٢) تفسير السمعاني:٥٢/٢.
(١٣) تفسير ابن كثير:١٤٧/٣.
(١٤) انظر: بحر العلوم:٤٠٥/١، وتفسير القرطبي:٢٤١/٦.
(١٥) تفسير البغوي:٧٧/٣.

قال البيضاوي:" واتقوا ما عددنا من معاصيهم ونحوه"[٢].
قال الشوكاني: أي: " واتقوا المعاصي التي من أعظمها ما هم عليه من الشرك بالله والجحود لما جاء به رسول الله"[٣].
قوله تعالى:{لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ} [المائدة: ٦٥]، أي:" لكفَّرنا عنهم ذنوبهم"[٤].
قال السمرقندي:"يعني: غفرنا ذنوبهم"[٥].
قال الطبري:أي:" محوْنا عنهم ذنوبَهم فغطينا عليها، ولم نفضحهم بها"[٦].
قال الواحدي:أي:" محونا ذنوبهم التي سلفت بالإيمان بك"[٧].
قال الزمخشري:أي:" لكفرنا عنهم تلك السيئات ولم نؤاخذهم بها"[٨].
قال البيضاوي:" لكفرنا عنهم سيئاتهم التي فعلوها ولم نؤاخذهم بها"[٩].
قال ابن كثير:" أي: لأزلنا عنهم المحذور ولحصّلْناهم المقصود"[١٠].
قال السعدي:أي: "لكفر عنهم سيئاتهم ولو كانت ما كانت"[١١].
قال الشوكاني: أي: لكفرنا عنهم سيئاتهم التي اقترفوها، وإن كانت كثيرة متنوعة وقيل المعنى: لوسعنا عليهم في أرزاقهم"[١٢].
قال الراغب:" ذكر أنهم لو أصلحوا اعتقادهم وأفعالهم لغفروا وأثيبوا، كقوله: {قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ} [الأنفال: ٣٨]"[١٣].
قال القرطبي:" {وكفرنا}، غطينا"[١٤].
والتكفير: "ستر الذنوب حتى تصير بمنزلة ما لم يعمل، ويصح أن يكون أصله إزالة الكفر كقولهم: مرضت فلان وقديت عينه"[١٥].
قال الماتريدي:" عامل الله - عز وجل - خلقه معاملة أكرم الأكرمين؛ حيث وعد لهم المغفرة، وتكفير ما ارتكبوا في حال الكفر، وقولهم في الله من القبيح الوخش؛ لو آمنوا واتقوا الذي قالوا في الله؛ وهو كما قال الله: { إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ } [الأنفال: ٣٨]. وذلك - والله أعلم - أنه لما تاب ورجع عن صنيعه يرجع عن جميع ما كان منه، ويندم على ذلك، ويتمنى أن يكون ما كان منه في تلك الحال من الشر: خيرا؛ فهو كقوله - تعالى -: { فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ } [الفرقان: ٧٠]؛ لأنهم يندمون على تلك السيئات التي كانت منهم، ويتمنون أن يكون الذي كان منهم في تلك الحال خيرا لا شرا"[١٦].
قوله تعالى:{وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ} [المائدة: ٦٥]، أي:" ولأدخلناهم جنات النعيم في الدار الآخرة"[١٧].

---

(١) الوسيط:٢٠٨/٢.
(٢) تفسير البيضاوي:١٣٥/٢.
(٣) فتح القدير:٦٧/٢.
(٤) التفسير الميسر:١١٩.
(٥) بحر العلوم:٤٠٥/١.
(٦) تفسير الطبري:٤٦١/١٠.
(٧) الوسيط:٢٠٨/٢.
(٨) الكشاف:٦٥٧/١.
(٩) تفسير البيضاوي:١٣٥/٢.
(١٠) تفسير ابن كثير:١٤٧/٣.
(١١) تفسير السعدي:٢٣٨.
(١٢) فتح القدير:٦٧/٢.
(١٣) تفسير الراغب الأصفهاني:٣٩٦/٥.
(١٤) تفسير القرطبي:٢٤١/٦.
(١٥) تفسير الراغب الأصفهاني:٣٩٦/٥.
(١٦) تفسير الماتريدي:٥٥٥/٣.
(١٧) التفسير الميسر:١١٩.

قال الطبري:" يقول: ولأدخلناهم بساتِين ينعَمون فيها في الآخرة"[١].

قال السعدي:أي: " ولأدخلهم جنات النعيم التي فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين"[٢].

قال الزمخشري:أي:" ولأدخلناهم مع المسلمين الجنة. وفيه إعلام بعظم معاصى اليهود والنصارى وكثرة سيئاتهم، ودلالة على سعة رحمة الله تعالى وفتحه باب التوبة على كل عاص وإن عظمت معاصيه"[٣].

قال البيضاوي:" وجعلناهم داخلين فيها، وفيه تنبيه على عظم معاصيهم وكثرة ذنوبهم، وأن الإسلام يجب ما قبله، وإن جل وأن الكتابي لا يدخل الجنة ما لم يسلم."[٤].

قال مالك بن دينار:" جنات النعيم بين جنان الفردوس وبين جنات عدن، وفيها جواري خلقن من ورد الجنة، قيل: فمن يسكنها؟ قال: الذين عملوا بالمعاصي فلما ذكروا عظمتي راقبوني والذين انثنت أصلابهم من خشيتي وعزتي إني لأهم بعذاب أهل الأرض فإذا نظرت إلى أهل الجوع والعطش من مخافتي صرفت عنهم العذاب"[٥].

الفوائد:

١- وعد الله لأهل الكتاب على ما كانوا عليه لو آمنوا واتقوا لأدخلهم الجنة.

٢- الوعد والجزاء للمؤمنين الذين أتوا من الأعمال القلبية وأعمال الجوارح ما يحقق لهم الإيمان الكامل أو الإيمان التام.

٣-وهذه الآية شهادة من الله عز وجل على أن أولئك الأقوام الذين يتعصبون ويدعون أنهم على إتباع دينهم ورسلهم موسى في التوراة وعيسى في الإنجيل أنهم كاذبون.

٤- أن مجرد الايمان يجب ما قبله ويمحوه، كما ورد النص فلو فرضنا موت الداخل في الايمان عقيب دخوله فيه، لكان كيوم ولدته أمه باتفاق مكفر الخطايا محكوما له بالجنة، فدل ذلك على أن اجتماع الأمرين ليس بشرط. هذا إن كان المراد بالتقوى الأعمال.

وإن كانت التقوى على أصل موضعها الخوف من الله عز وجل، فهذا المعنى ثابت لكل مؤمن وإن قارف الكبائر[٦].

القرآن

{وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ (٦٦)} [المائدة: ٦٦]

التفسير:

ولو أنَّهم عملوا بما في التوراة والإنجيل، وبما أُنْزِل عليك أيها الرسول -وهو القرآن الكريم- لرُزِقوا من كلِّ سبيلٍ، فأنزلنا عليهم المطر، وأنبتنا لهم الثمر، وهذا جزاء الدنيا. وإنَّ مِن أهل الكتاب فريقًا معتدلا ثابتًا على الحق، وكثير منهم ساء عملُه، وضل عن سواء السبيل.

قوله تعالى: {وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ} [المائدة: ٦٦]، أي:" ولو أنَّهم عملوا بما في التوراة والإنجيل، وبما أُنْزِل عليك أيها الرسول -وهو القرآن الكريم-"[٧].

قال مجاهد:" أما إقامتهم التوراة والإنجيل فالعمل بهما"[٨].

عن ابن عباس:"{وما أنزل إليهم من ربهم}، يعني: ما أنزل إليهم الفرقان"[١].

---

(١) تفسير الطبري:٤٦١/١٠.

(٢) تفسير السعدي:٢٣٨.

(٣) الكشاف:٦٥٧/١.

(٤) تفسير البيضاوي:١٣٥/٢.

(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٥٩٤):ص١١٧٠/٤.

(٦)ا انظر: تفسير الكشاف:٦٥٧/١، الهامش.

(٧) التفسير الميسر:١١٩.

(٨) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٥٩٦):ص١١٧٠/٤.

عن السدي:"{وما أنزل إليهم من ربهم}، يقول: لو عملوا بما أنزل إليهم مما جاءهم به محمد -صلى الله عليه وسلم-"(٢).

قال الواحدي:أي:" عملوا بما فيهما من التَّصديق بك، {وما أنزل إليهم} من كتب أنبيائهم"(٣).

قال السمعاني:" يعني: ولو أنهم قاموا وعملوا ما في التوراة، وما في الإنجيل وما في القرآن"(٤).

قال البغوي:" يعني: أقاموا أحكامهما وحدودهما وعملوا بما فيهما، وما أنزل إليهم من ربهم، يعني: القرآن، وقيل: كتب أنبياء بني إسرائيل"(٥).

قال الزمخشري:أي:" ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل أقاموا أحكامهما وحدودهما وما فيهما من نعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وما أنزل إليهم من سائر كتب الله، لأنهم مكلفون الإيمان بجميعها، فكأنها أنزلت إليهم وقيل: هو القرآن"(٦).

قال السعدي:" أي: قاموا بأوامرهما ونواهيهما، كما ندبهم الله وحثهم، ومن إقامتهما الإيمان بما دعيا إليه، من الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن، فلو قاموا بهذه النعمة العظيمة التي أنزلها ربهم إليهم، أي: لأجلهم وللاعتناء بهم"(٧).

قال ابن كثير:" أي: [لو أنهم] عملوا بما في الكتب التي بأيديهم عن الأنبياء، على ما هي عليه، من غير تحريف ولا تغيير ولا تبديل، لقادهم ذلك إلى اتباع الحق والعمل بمقتضى ما بعث الله به محمدًا صلى الله عليه وسلم ؛ فإن كتبهم ناطقة بتصديقه والأمر باتباعه حتمًا لا محالة"(٨).

قال الشوكاني:" قوله: {وما أنزل إليهم من ربهم}، من سائر كتب الله التي من جملتها القرآن فإنها كلها وإن نزلت على غيرهم فهي في حكم المنزلة عليهم لكونهم متعبدين بما فيها"(٩).

وفي قوله تعالى: {وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ} [المائدة: ٦٦]، وجهان(١٠):

أحدهما: أقاموها نصب أعينهم حتى إذا نظروا ما فيها من أحكام الله تعالى وأوامره لم يزلوا .

والثاني: إن إقامتها العمل بما فيها من غير تحريف ولا تبديل. وهذا قول مجاهد(١١).

عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير، عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "يوشك أن يرفع العلم". فقال زياد بن لبيد: يا رسول الله، وكيف يرفع العلم وقد قرأنا القرآن وعلمناه أبناءنا ؟! قال: ثكلتك أمك يا ابن لبيد! إن كنت لأراك من أفقه أهل المدينة، أوليست التوراة والإنجيل بأيدي اليهود والنصارى، فما أغنى عنهم حين تركوا أمر الله" ثم قرأ { وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالإنْجِيلَ}"(١٢).

---

(١) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٥٩٧):ص١١٧٠/٤.
(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٥٩٨):ص١١٧٠/٤-١١٧١.
(٣) الوجيز:٣٢٨.
(٤) تفسير السمعاني:٥٢/٢.
(٥) تفسير البغوي:٦٧/٢-٦٨.
(٦) الكشاف:٦٥٨/١.
(٧) تفسير السعدي:٢٣٨.
(٨) تفسير ابن كثير:١٤٧/٣-١٤٨.
(٩) فتح القدير:٦٧/٢.
(١٠) اظر: النكت والعيون:٥٢/٢.
(١١) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٦٥٩٦):ص١١٧٠/٤.
(١٢) رواه ابن ابي حاتم كما في تفسير ابن كثير:١٤٨/٣، ورواه الطبراني في المعجم الكبير (٤٣/١٨) والبزار في مسنده برقم (٢٣٢) "كشف الأستار" من وجه آخر : من طريق إبراهيم بن أبي عبلة ، عن الوليد بن عبد الرحمن ، عن جبير بن نفير ، عن عوف بن مالك بنحوه.

قوله تعالى:{لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ} [المائدة: ٦٦]، أي:" لرُزقوا من كلِّ سبيلٍ، فأنزلنا عليهم المطر، وأنبتنا لهم الثمر"[١].

قال الطبري:" يعني: لأنزل الله عليهم من السماء قَطْرَها، فأنبتت لهم به الأرض حبها ونباتها، فأخرج ثمارَها، وأما قوله: {ومن تحت أرجلهم}، فإنه يعني تعالى ذكره: لأكلوا من برَكة ما تحت أقدامِهم من الأرض، وذلك ما تخرجه الأرض من حَبِّها ونباتها وثمارِها، وسائر ما يؤكل مما تخرجه الأرض"[٢].

قال ابن كثير:" يعني بذلك: كثرة الرزق النازل عليهم من السماء والنابت لهم من الأرض"[٣].

قال السعدي:" أي: لأدر الله عليهم الرزق، ولأمطر عليهم السماء، وأنبت لهم الأرض كما قال تعالى: {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ} [الأعراف: ٩٦] "[٤].

وفي قوله تعالى:{لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ} [المائدة: ٦٦]، ثلاثة اقوال:

أحدها: أنه أراد التوسعة عليهم كما يقال هو في الخير من قرنه إلى قدمه، وقد أعلم الله جل وعز أن التقى سعة في الرزق فقال: {ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا}، وقال: {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا(٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ} [الطلاق: ٢-٣]، وقال في قصة نوح: {فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ} [نوح: ١٠ - ١٢]، وهي البساتين. فوعدهم الله أتم الغنى على الإيمان والاستغفار. أفاده الزجاج[٥].

والثاني: لأكلوا من فوقهم بإنزال المطر، ومن تحت أرجلهم بإنبات الثمر . قاله ابن عباس[٦]، وسعيد بن جبير[٧]، ومجاهد[٨]، والسدي[٩]، وقتادة[١٠].

والثالث: وذكر النقاش أن المعنى: "لأكلوا من فوقهم أي من رزق الجنة ومن تحت أرجلهم من رزق الدنيا، إذ هو من نبات الأرض"[١١].

قال الشوكاني:" ذكر فوق وتحت للمبالغة في تيسر أسباب الرزق لهم وكثرتهم وتعدد أنواعها"[١٢].

قوله تعالى:{مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ} [المائدة: ٦٦]، أي:"وإنَّ مِن أهل الكتاب فريقًا معتدلا ثابتًا على الحق"[١٣].

قال الشوكاني: "قوله: {منهم أمة مقتصدة، جواب سؤال مقدر، كأنه قيل: هل جميعهم متصفون بالأوصاف السابقة، أو البعض منهم دون البعض، والمقتصدون منهم هم المؤمنون كعبد الله بن سلام ومن تبعه وطائفة من النصارى"[١٤].

---

(١) التفسير الميسر:١١٩.
(٢) تفسير الطبري:٤٦٣/١٠.
(٣) تفسير ابن كثير:١٤٨/٣.
(٤) تفسير السعدي:٢٣٨.
(٥) انظر: معاني القرآن:١٩١/٢.
(٦) انظر: تفسير الطبري(١٢٢٥٧):ص٤٦٣/١٠، و(١٢٢٦٢):ص٤٦٤/١٠، وتفسير ابن ابي حاتم(٦٥٩٩):ص١١٧١/٤.
(٧) انظر: تفسير ابن ابي حاتم: ١١٧١/٤. ذكره دون إسناد
(٨) انظر: تفسير الطبري(١٢٢٦٠):ص٤٦٤/١٠.
(٩) انظر: تفسير الطبري(١٢٢٥٩):ص٤٦٣/١٠-٤٦٤.
(١٠) انظر: تفسير الطبري(١٢٢٥٨):ص٤٦٣/١٠.
(١١) المحرر الوجيز:٢١٧/٢.
(١٢) فتح القدير:٦٧/٢.
(١٣) التفسير الميسر:١١٩.
(١٤) فتح القدير:٦٧/٢.

وفي قوله تعالى:{مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ} [المائدة: ٦٦]، وجوه:
أحدها: مقتصدة على أمر الله تعالى وكتابه، قاله قتادة(١).
الثاني: مؤمنة. قاله السدي(٢)، وبه قال الواحدي(٣).
والثالث:أن "المقتصدة: أهلُ طاعة الله، وهؤلاء أهل الكتاب" قاله ابن زيد(٤).
والرابع: قال الربيع:" فهذه الأمة المقتصدة، الذين لا هم جَفَوا في الدين ولا هم غلوا، و الغلو ، الرغبة عنه، والفسق ، التقصير عنه"(٥).
والخامس:عادلة، قاله الكلبي(٦)، وبه قال السمعاني(٧)، والبغوي(٨)، وابن عطية(٩).
قال البغوي:" {مقتصدة}، أي: عادلة غير غالية، ولا مقصرة جافية. ومعنى الاقتصاد في اللغة: الاعتدال في العمل من غير غلو ولا تقصير"(١٠).
قال ابن عطية:أي:" معتدلة، والقصد والاقتصاد: الاعتدال والرفق والتوسط الحسن في الأقوال والأفعال"(١١).
والسادس: أي: متبعة؛ يعني: من آمن من أهل الكتاب برسول الله، وبما جاء به. قاله ابن أبي زمنين(١٢).
والسابع: وقيل: يعنى به طائفة لم تناصب النبى - صلى الله عليه وسلم - مناصبة هؤلاء. حكاه الزجاج(١٣)، واختاره الزمخشري(١٤).
قال الزمخشري:أي:" طائفة حالها أمم (١٥) في عداوة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-"(١٦).
قال الزجاج:"والذي أظنه - والله أعلم - أنه لا يسمي الله من كان على شيء من الكفر مقتصدا"(١٧).
والثامن:معناه: منهم جماعة مقتصدة في القول في عيسى ابن مريم، قائلةٌ فيه الحقَّ أنه رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، لا غاليةٌ قائلةٌ: إنه ابن الله، تعالى الله عما قالوا من ذلك، ولا مقصرة قائلةٌ: هو لغير رِشْدَة. وهذا قول الطبري(١٨)، ومعنى قول مجاهد(١٩).
قال مجاهد:" تفرَّقت بنو إسرائيل فِرَقًا، فقالت فرقة:عيسى هو ابن الله، وقالت فرقة: هو الله، وقالت فرقة:هو عبد الله وروحه، وهي المقتصدة، وهي مسلمةُ أهل الكتاب"(٢٠).

---

(١) أانظر: تفسير الطبري(١٢٢٦٦):ص١٠/٤٦٦.
(٢) انظر: تفسير الطبري(١٢٢٦٧):ص١٠/٤٦٦.
(٣) انظر: الوجيز:٣٢٨.
(٤) أخرجه الطبري(١٢٢٦٨):ص١٠/٤٦٦.
(٥) أخرجه الطبري(١٢٢٦٩):ص١٠/٤٦٦.
(٦) انظر: النكت والعيون:٢/٥٣.
(٧) انظر: تفسير السمعاني:٢/٥٢.
(٨) انظر: تفسير البغوي:٢/٦٨.
(٩) انظر: المحرر الوجيز:٢/٢١٧.
(١٠) تفسير البغوي:٢/٦٨.
(١١) المحرر الوجيز:٢/٢١٧.
(١٢) انظر: تفسير ابن ابي زمنين:٢/٣٧.
(١٣) انظر: معاني القرآن للزجاج:٢/١٩٢.
(١٤) انظر: الكشاف:١/٦٥٨.
(١٥)قوله «أمم» أى يسير. أفاده الصحاح.
(١٦) الكشاف:١/٦٥٨.
(١٧) معاني القرآن:٢/١٩٢.
(١٨) انظر: تفسير الطبري:١٠/٤٦٥.
(١٩) انظر: تفسير الطبري(١٢٢٦٥):ص١٠/٤٦٥-٤٦٦، وانظر: (١٢٢٦٦):ص١٠/٤٦٦.
(٢٠) أخرجه الطبري(١٢٢٦٥):ص١٠/٤٦٥-٤٦٦، وانظر: (١٢٢٦٦):ص١٠/٤٦٦.

قال ابن عطية:"وعلى قول مجاهد يتخرج قول الطبري: ولا يقول في عيسى إنه عبد رسول إلا مسلم"[١].

قال السعدي:" {منهم} أي: من أهل الكتاب {أمة مقتصدة} أي: عاملة بالتوراة والإنجيل، عملا غير قوي ولا نشيط "[٢].

قال ابن كثير:" قوله: { مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ } كقوله تعالى: { وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ } [الأعراف: ١٥٩]، وكقوله عن أتباع عيسى: { فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ} [الحديد: ٢٧]. فجعل أعلى مقاماتهم الاقتصاد، وهو أوسط مقامات هذه الأمة، وفوق ذلك رتبة السابقين كما في قوله تعالى: { ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا } الآية [فاطر: ٣٢، ٣٣]. والصحيح أن الأقسام الثلاثة من هذه الأمة يدخلون الجنة"[٣].

عن أنس بن مالك قال: "كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "تفرقت أمة موسى على إحدى وسبعين ملة، سبعون منها في النار وواحدة في الجنة، وتفرقت أمة عيسى على ثنتين وسبعين ملة، واحدة منها في الجنة وإحدى وسبعون منها في النار، وتعلو أمتي على الفرقتين جميعًا. واحدة في الجنة، وثنتان وسبعون في النار". قالوا: من هم يا رسول الله ؟ قال: "الجماعات الجماعات"[٤].

قال يعقوب بن يزيد:" كان علي بن أبي طالب إذا حدث بهذا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، تلا فيه قرآنا: { وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ } إلى قوله تعالى: { مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ } وتلا أيضًا: { وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ } [الأعراف: ١٨١]، يعني: أمة محمد صلى الله عليه وسلم"[٥].

قال ابن كثير:"وهذا حديث غريب جدًا من هذا الوجه وبهذا السياق"[٦].

قوله تعالى:{وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ} [المائدة: ٦٦]، أي:" وكثير منهم ساء عملُه، وضل عن سواء السبيل"[٧].

قال مجاهد:"{ وكثير منهم}، يهود"[٨].

قال قتادة:" ثم ذم أكثر القوم فقال: {وكثير منهم ساء ما يعملون}"[٩].

قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: "عملوا بالقبيح مع التكذيب بالنبي -صلى الله عليه وسلم-"[١٠].

قال الزجاج:" المعنى بئس شيئا عملهم"[١١].

قال ابن ابي زمنين:" يعني: من ثبت منهم على اليهودية والنصرانية"[١٢].

---

(١) المحرر الوجيز:٢١٧/٢.
(٢) تفسير السعدي:٢٣٨.
(٣) تفسير ابن كثير:١٤٩/٣.
(٤) رواه ابن مردويه كما في تفسير ابن كثير:١٤٩/٣.
(٥) تفسير ابن كثير: ١٤٩/٣، ورواه أبو يعلى في مسنده (٣٤٠/٦) من طريق أبي معشر ، عن يعقوب بن زيد به من حديث طويل. وقال الهيثمي في المجمع (٢٥٧/٧) : "فيه أبو معشر نجيح وهو ضعيف"..
(٦) تفسير ابن كثير:١٤٩/٣.
(٧) التفسير الميسر:١١٩.
(٨) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٦٠٦):ص١١٧٢/٤.
(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٦٠٧):ص١١٧٢/٤.
(١٠) تفسير البغوي:٦٨/٢.
(١١) معاني القرآن:١٩٢/٢.
(١٢) تفسير ابن ابي زمنين:٣٧/٢.

قال الشوكاني: "وهم المصرون على الكفر المتمردون عن إجابة محمد صلى الله عليه وسلم والإيمان بما جاء به"(١).
قال القرطبي:" أي: بئس شي عملوه، كذبوا الرسل، وحرفوا الكتب وأكلوا السحت"(٢).
قال السعدي:" أي: والمسيء منهم الكثير. وأما السابقون منهم فقليل ما هم"(٣).
قال الزمخشري:" و{ساء ما يعملون}، فيه معنى التعجب، كأنه قيل: وكثير منهم ما أسوأ عملهم، وقيل: هم كعب بن الأشرف وأصحابه والروم"(٤).
الفوائد:
١- وعده تعالى لأهل الكتاب ببسط الرزق وسعته لو أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم، أي: لو أنهم أخذوا بما في التوراة والإنجيل من دعوتهم إلى الإيمان بالنبي الأمي والدخول في الإسلام لحصل لهم ذلك كما حصل للمسلمين طيلة ثلاثة قرون وزيادة. وما زال العرض كما هو لكل الأمم والشعوب أيضاً.
٢-أن ثمرة الإيمان السعادة في الدنيا والفوز في الآخرة، وقد وعد الله عز وجل العاملين بشرعه الخير والبركات في الدنيا والآخرة، فقال:{ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم}.
٣-ومن الفوائد، بيان فضل الأمة المحمدية-صلى الله عليه وسلم-، إذ جعل في هذه الأمة درجة أعلى من درجة المقتصد وهي درجة السابق بالخيرات؛ حيث قال تعالى: {وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ}[فاطر:٣٢].
وهذه استدلال لطيف على تقدم هذه الأمة على بني إسرائيل في الفضل ألمح إليه الحافظ ابن كثير -رحمه الله - في تفسيره قوله تعالى: {مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ} ؛ إذ قال: "فجعل أعلى مقاماتهم الاقتصاد، وهو أوسط مقامات هذه الأمة، وفوق ذلك رتبة السابقين، كما في قوله تعالى: {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ} "(٥).

القرآن
{يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (٦٧)} [المائدة: ٦٧]
التفسير:
يا أيها الرسول بلِّغ وحي الله الذي أنزل إليك من ربك، وإن قصَّرت في البلاغ فَكَتَمْتَ منه شيئًا، فإنك لم تُبَلِّغ رسالة ربِّك، وقد بلَّغ صلى الله عليه وسلم رسالة ربه كاملة، فمن زعم أنه كتم شيئًا مما أنزل عليه، فقد أعظم على الله ورسوله الفرية. والله تعالى حافظك وناصرك على أعدائك، فليس عليك إلا البلاغ. إن الله لا يوفق للرشد مَن حاد عن سبيل الحق، وجحد ما جئت به من عند الله.
في سبب نزول الآية أقوال:
أحدها: روى الحسن أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله بعثني برسالة فضقت بها ذرعاً، وعرفت أن الناس مكذبي، فوعدني لأبلغن أو ليعذبني"؛ فأنزل الله -تعالى-: {يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ}"(٦). [ضعيف جداً].

---
(١) فتح القدير:٦٧/٢.
(٢) تفسير القرطبي:٢٤٢/٦.
(٣) تفسير السعدي:٢٣٨.
(٤) الكشاف:٦٥٨/١.
(٥) تفسير ابن كثير:١٤٩/٣.
(٦)ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ١١٦، ١١٧) ونسبه لأبي الشيخ.

والثاني: وقال مجاهد: لما نزلت {بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ}؛ قال: "يا رب إنما أنا واحد، كيف أصنع ليجتمع عليّ من الناس؟ "؛ فنزلت: {وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ}"(١).[ضعيف]

وقال مقاتل: لما دعا اليهود، وأكثر عليهم، جعلوا يستهزئون به، فسكت عنهم، فحرض بهذه الآية"(٢).[ضعيف]

والثالث: قال ابن عباس: كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يحرس، فكان يرسل معه عمه أبو طالب كل يوم رجالاً من بني هاشم يحرسونه، حتى نزلت هذه الآية: {يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ} إلى قوله: {وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ}؛ فأراد عمه أن يرسل معه من يحرسه؛ فقال: "يا عم! إن الله -عزّ وجلّ- قد عصمني من الجن والإنس"(٣). [ضعيف جداً]

والرابع:وقال أبو سعيد الخدري:" نزلت هذه الآية: {يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ} على رسول الله يوم غدير خم في علي بن أبي طالب"(٤).[ضعيف جداً]

والخامس: قال ابن عباس:" سئل رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: أي آية أنزلت من السماء أشد عليك؟ قال: فقال: "كنت بمنى أيام موسم، واجتمع مشركوا العرب وأفناء الناس في الموسم، فأنزل عليَّ جبريل؛ فقال: {يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ} قال: فقمت عند العقبة، فناديت: يا أيها الناس من ينصرني على أن أبلغ رسالة ربي ولكم الجنة، أيها الناس قولوا: لا إله إلا الله، وأنا رسول الله إليكم؛ تفلحوا أو تنجحوا ولكم الجنة، قال: فما بقي رجل ولا امرأة ولا صبي إلا يرمون عليّ بالتراب والحجارة، ويبصقون في وجهي، ويقولون: كذاب صابئ، فعرض عليّ

مراسيل الحسن واهية كما هو مقرر في كتب المصطلح. وانظر :تفسير الشوكاني: ٨٢٥.

(١)أخرجه الطبري في "جامع البيان" (١٢٢٧٢):ص١٠/٤٦٨، وابن أبي حاتم في "تفسيره" (٦٦١٣):ص٤/ ١١٧٣، من طريق سفيان الثوري عن رجل عن مجاهد.

قلنا: وسنده ضعيف؛ لإرساله، وجهالة الرجل الذي لم يسم.

والحديث ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٢/ ١١٧) وزاد نسبته لعبد بن حميد وأبي الشيخ.

(٢) .

(٣)أخرجه الطبراني في "الكبير" (١١/ ٢٠٥ رقم ١١٦٦٣)، والواحدي في "أسباب النزول" (ص ١٣٥)، و"الوسيط" (٢/ ٢٠٩)، وابن مردويه في "تفسيره"؛ كما في "تفسير القرآن العظيم" (٢/ ٨١) من طريق الحماني عن النضر أبي عمر عن عكرمة عنه به.

قلنا: وسنده ضعيف جداً؛ فيه علتان:

الأولى: النضر هذا؛ متروك الحديث؛ كما في "التقريب" (٢/ ٣٠٢).

الثانية: الحماني؛ ضعيف.

وقال الهيثمي في "مجمع الزوائد" (٧/ ١٧): "وفيه النضر بن عبد الرحمن، وهو ضعيف".

والحديث ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ١١٨) وزاد نسبته لأبي الشيخ وأبي نعيم في "الدلائل" -ولم نجده فيه بعد طول بحث- وابن عساكر.

(٤)أخرجه ابن أبي حاتم في "تفسيره" (٦٦٠٩):ص٤/ ١١٧٢ ، والواحدي في "الأسباب" (ص ١٣٥) من طريق علي بن عابس عن الأعمش وأبي حجاب عن عطية عن أبي سعيد به.

قلنا: وسنده ضعيف جداً؛ لأن عطية ضعيف مدلس، وتدليسه معروف أنه من شر أنواع التدليس، وهو المسمى بتدليس السكوت، هذا أولًا، وثانياً: علي بن عابس؛ ضعيف؛ كما في "التقريب".

وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ١١٧) وزاد نسبته لابن مردويه وابن عساكر.

قال فصيح الدين الحيدري:" وذهب الشيعة إلى أن الله تعالى قد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بأن يجعل الخليفة من بعده علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه، وأنه صلى الله عليه وسلم قد أشار في مرض موته إلى علي رضي الله عنه خفية بأنه الخليفة من بعده بالاستحقاق، وأن الآية نزلت في علي رضي الله تعالى عنه، أي بلّغ ما أنزل إليك من أمر علي، بزعمهم الباطل، إلا أنه أسرّ أمر الخلافة بينه وبين علي وأمره بعدم دعوى الخلافة فانظر إلى هذا الهذيان المستلزم لعدم تبليغ النبي صلى الله عليه وسلم أوامر الله تعالى، لأن معنى التبليغ إعلان الأمر لجميع الأمة. فما أعمى بصائرهم! والعياذ بالله تعالى من سوء المنقلب".[النكت الشنيعة في بيان الخلاف بين الله تعالى والشيعة:١٠٩-١١٠].

عارض فقال: يا محمد! إن كنت رسول الله؛ فقد آن لك أن تدعو عليهم كما دعا نوح على قومه بالهلاك. فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: اللهم اهدِ قومي؛ فإنهم لا يعلمون، وانصرني عليهم أن يجيبوني إلى طاعتك"، فجاء العباس عمه فأنقذه منهم وطردهم عنه، قال الأعمش: فبذلك تفتخر بنو العباس، ويقولون: فيهم نزلت: {إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ} [القصص: ٥٦] هوى النبي - صلى الله عليه وسلم - أبا طالب، وشاء الله عباس بن عبد المطلب"(١). [ضعيف]

والسادس: أنها نزلت لأنه -صلى الله عليه وسلم- كان يخاف قريشًا، فأومن من ذلك. وهذا قول ابن جريج(٢).[ضعيف جدا]

والسابع: وقال مقاتل: "لما دعا اليهود، وأكثر عليهم، جعلوا يستهزئون به، فسكت عنهم، فحرض بهذه الآية"(٣).

قال البغوي:" قيل: نزلت في عيب اليهود، وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم دعاهم إلى الإسلام، فقالوا أسلمنا قبلك وجعلوا يستهزئون به، فيقولون له: تريد أن نتخذك حنانا كما اتخذت النصارى عيسى ابن مريم حنانا، فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم ذلك سكت فنزلت هذه الآية، وأمره أن يقول لهم: "{يا أهل الكتاب لستم على شيء}[المائدة:٦٨] الآية"(٤).

والثامن: وقيل: "نزلت في الجهاد، وذلك أن المنافقين كرهوه كما قال الله تعالى: فإذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت [محمد: ٥]، وكرهه بعض المؤمنين قال الله تعالى: ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم [النساء:٧٧] الآية. فكان النبي صلى الله عليه وسلم يمسك في بعض الأحايين عن الحث على الجهاد لما يعلم من كراهة بعضهم، فأنزل الله هذه الآية"(٥).

والتاسع: وقيل: "بلغ ما أنزل إليك من الرجم والقصاص، نزلت في قصة اليهود"(٦).

والعاشر: وقيل: "نزلت في أمر زينب بنت جحش ونكاحها"(٧).

الحادي عشر: عن أبي هريرة؛ قال: "كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا نزل منزلاً نظروا أعظم شجرة يرونها فجعلوها للنبي - صلى الله عليه وسلم - فينزل تحتها، وينزل أصحابه بعد ذلك في ظل الشجرة. فبينما هو نازل تحت شجرة -وقد علق السيف عليها- إذ جاء أعرابي فأخذ السيف من الشجرة ثم دناه من النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو نائم فأيقظه، فقال: يا محمد من يمنعك مني الليلة؟ فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: "الله"؛ فأنزل الله -

---

(١)أخرجه ابن مردويه في "تفسيره"؛ كما في "الدر المنثور" (٣/ ١١٧، ١١٨) -ومن طريقه الضياء المقدسي في "الأحاديث المختارة" (١٠/ ١٣، ١٤ رقم ٢) - بسند ضعيف؛ فيه قابوس بن أبي ظبيان؛ لين الحديث، والأعمش مدلس، وفيه من لم نعرفه.

(٢) انظر: تفسير الطبري(١٢٢٧٩):٤٧١/١٠.[ضعيف جدا]، أخرجه من طريق سنيد صاحب "التفسير" عن حجاج عن ابن جريج به.

قلنا: وسنده ضعيف جداً؛ لإعضاله، وضعف سنيد.

(٣)عزاه ابن الجوزي في زاد المسير:٥٦٨/١ لمقاتل، وهو ابن سليمان إذا أطلق، وخبره معضل، وهو متروك متهم إذا وصل الحديث، فكيف إذا أرسله؟!.

وفي تفسيره٤٩٢/١:" {والله يعصمك من الناس}، يعني: من اليهود فلا تقتل، {إن الله لا يهدي القوم الكافرين}، يعني اليهود، فلما نزلت هذه الآية أمن النبي- صلى الله عليه وسلم- من القتل والخوف فقال: لا أبالي من خذلني ومن نصرني ، وذلك أنه كان خشي أن تغتاله اليهود فتقتله ".

(٤) تفسير البغوي:٧٨/٣.

(٥) تفسير البغوي:٧٨/٣.

(٦) تفسير البغوي:٧٨/٣.

(٧) تفسير البغوي:٧٨/٣.

تعالى-: {يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ}"(١). [حسن]

الثاني عشر: قالت عائشة -رضي الله عنها-: "كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يُحرس؛ فنزلت: {يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ}؛ فأخرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رأسه من القبة، فقال:«أيها الناس انصرفوا؛ فقد عصمني الله من الناس»"(٢).[حسن لغيره]

---

(١)أخرجه ابن أبي شيبة؛ كما في "فتح الباري" (٦/ ٩٨)، وابن حبان في "صحيحه" (رقم ١٧٣٩ - موارد)، وابن مردويه في "تفسيره"؛ كما في "تفسير القرآن العظيم" (٢/ ٨٢) من طريق محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة به.

قلنا: وهذا إسناد حسن، وكذا حسنه شيخنا في "الصحيحة".

قال الحافظ: "وهذا إسناد حسن، فيحتمل -إن كان محفوظاً- أن يقال: كان مخيراً في اتخاذ الحرس؛ فتركه مرة؛ لقوة يقينه، فلما وقعت هذه القصة ونزلت هذه الآية ترك ذلك".

قلنا: وأصل الحديث في "الصحيحين" من حديث جابر بن عبد الله عند البخاري في "صحيحه" (٦/ ٩٦ رقم ٢٩١٠، ص ٩٧ رقم ٢٩١٣)، ومسلم في "صحيحه" (٤/ ١٧٨٦، ١٧٨٧) بلفظ: أنه غزا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فلما قفل رسول الله قفل معه، فأدركهم القائلة في واد كثير العضاه، فنزل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وتفرق الناس يستظلون بالشجر، فنزل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تحت شجرة وعلق بها سيفه ونمنا نومة، فإذا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يدعونا، وإذا عنده أعرابي فقال: "إن هذا اخترط عليّ سيفي وأنا نائم، فاستيقظت وهو في يده صلتاً، فقال: من يمنعك مني؟ فقلت: الله (ثلاثًا) "، ولم يعاقبه فجلس.

ومنها: حديث عائشة عند البخاري (٦/ ٨١ رقم ٢٨٨٥، ١٣/ ٢١٩ رقم ٧٢٣١)، ومسلم (٤/ ١٨٧٥/ ٢٤١٠)؛ قالت عائشة -رضي الله عنهما-: كان النبي - صلى الله عليه وسلم - سهر، فلما قدم المدينة قال: ليت رجلًا من أصحابي صالحاً يحرسني الليلة، إذ سمعنا صوتَ سلاح، فقال: "من هذا؟ " فقال: أنا سعد بن أبي وقاص جئت لأحرسك، فنام النبي - صلى الله عليه وسلم -.

و-أيضاً- من حديث جابر عند ابن أبي حاتم في "تفسيره" (٤/ ١١٧٣ رقم ٦٦١٤) من طريق موسى بن عبيدة ثني زيد بن أسلم عن جابر؛ قال: لما غزا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بني أنمار نزل ذات الرقاع بأعلى نخل، فبينا هو جالس على رأس بئر قد دلى رجليه؛ فقال الحارث من بني النجار: لأقتلن محمداً، فقال أصحابه: كيف تقتله، قال: أقول له: أعطني سيفك، فإذا أعطانيه قتلته به، قال: فأتاه، فقال: يا محمد أعطني سيفك أشيمه فأعطاه إياه، فرعدت يده حتى سقط السيف من يده، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "حال الله بينك وبين ما تريد"؛ فأنزل الله -عز وجل-: {يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (٦٧)}.

وسنده ضعيف؛ موسى بن عبيدة ضعيف.

وقال ابن كثير: "هذا حديث غريب من هذا الوجه".

لكنه حسن في الشواهد.

ومنها مرسل محمد بن كعب القرظي عند الطبري في "جامع البيان" (٦/ ١٩٩) وسنده صحيح.

ومنها مرسل سعيد بن جبير عنده -أيضاً- بسند ضعيف.

وانظر: ما كتبه شيخنا الإمام الألباني -رحمه الله- في "الصحيحة" (رقم ٢٤٨٩).

(٢)أخرجه سعيد بن منصور في "سننه" (٤/ ١٥٠٣، ١٥٠٤ رقم ٧٦٨ - تكملة)، والترمذي (٥/ ٢٥١ رقم ٣٠٤٦)، والطبري في "جامع البيان" (١٢٢٧٦):ص١٠/٤٦٩، وابن أبي حاتم في "تفسيره" (٦٦١٥):ص٤/ ١١٧٣ ، والقاضي عياض في "الشفا" (ص ٣٤٦، ٣٤٧)، والحاكم (٢/ ٣١٣)، والبيهقي في "السنن الكبرى" (٩/ ٨)، و"الدلائل" (٢/ ١٨٤) جميعهم من طريق الحارث بن عبيد عن الجريري عن عبد الله بن شقيق عن عائشة به.

قلنا: وهذا سند ضعيف؛ فيه علتان:

الأولى: الحارث بن عبيد؛ ضعفه ابن معين والنسائي وابن حبان وأبو زرعة والذهبي وغيرهم، ولخصه الحافظ بقوله: "صدوق يخطئ".

انظر: "تاريخ الدوري" (٢/ ٩٣)، و"ضعفاء النسائي" (رقم ١١٩)، و"المجروحين" (١/ ٢٢٤)، و"الكامل" (٢/ ٦٠٧، ٦٠٨)، و"الميزان" (١/ ٤٣٨، ٤٣٩)، و"التهذيب" (٢/ ١٤٩، ١٥٠)، و"التقريب" (١/ ١٤٢).

الثانية: الجريري؛ اختلط، ولم يذكروا الحارث ضمن الذين رووا عنه قبل الاختلاط.

قال الترمذي: "هذا حديث غريب، وروى بعضهم هذا الحديث عن الجريري عن عبد الله بن شقيق قال: كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يحرس ولم يذكروا فيه عن عائشة".

قوله تعالى:{يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ} [المائدة: ٦٧]، أي:" يا أيها الرسول بلِّغ وحي الله الذي أنزل إليك من ربك"(١).

عن مقاتل بن حيان: "يقول: يا محمد"(٢)."بلغ ما أرسلت به، يحرضه على أن يبلغ الرسالة عن ربه"(٣).

قال الزمخشري:أي:" جميع ما أنزل إليك وأى شيء أنزل إليك غير مراقب في تبليغه أحدا، ولا خائف أن ينالك مكروه"(٤).

قال الباقلاني:" فحثة وحضَّه على أداء ما حُمِّل"(٥).

قال ابن كثير:" يقول تعالى مخاطبًا عبده ورسوله محمدًا -صلى الله عليه وسلم- باسم الرسالة، وآمرًا له بإبلاغ جميع ما أرسله الله به، وقد امتثل صلوات الله وسلامه عليه ذلك، وقام به أتمّ القيام"(٦).

قال الجصاص:" فيه أمر للنبي صلى الله عليه وسلم بتبليغ الناس جميعا ما أرسله به إليهم من كتابه وأحكامه, وأن لا يكتم منه شيئا خوفا من أحد ولا مداراة له"(٧).

قال ابن عطية:" هذه الآية أمر من الله ورسوله بالتبليغ على الاستيفاء والكمال. لأنه قد كان بلغ، فإنما أمر في هذه الآية بأن لا يتوقف عن شيء مخافة أحد، وذلك أن رسالته صلى الله عليه وسلم تضمنت الطعن على أنواع الكفرة وبيان فساد حالهم فكان يلقى منهم عنتا وربما خافهم أحيانا قبل نزول هذه الآية، فقال الله له بلغ ما أنزل إليك من ربك أي كاملا متمما"(٨).

قال الشوكاني:" العموم الكائن في ما أنزل يفيد أنه يجب عليه صلى الله عليه وسلم أن يبلغ جميع ما أنزله الله إليه لا يكتم منه شيئا، وفيه دليل على أنه لم يسر إلى أحد مما يتعلق بما أنزله الله إليه شيئا"(٩).

قال السعدي:" هذا أمر من الله لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم بأعظم الأوامر وأجلها، وهو التبليغ لما أنزل الله إليه، ويدخل في هذا كل أمر تلقته الأمة عنه صلى الله عليه وسلم من العقائد والأعمال والأقوال، والأحكام الشرعية والمطالب الإلهية. فبلغ صلى الله عليه وسلم أكمل تبليغ، ودعا وأنذر، وبشر ويسر، وعلم الجهال الأميين حتى صاروا من العلماء الربانيين، وبلغ بقوله وفعله وكتبه ورسله. فلم يبق خير إلا دل أمته عليه، ولا شر إلا حذرها

وقال الحاكم: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي.

وقال الحافظ "فتح الباري" (٦/ ٨٢): "إسناده حسن، واختلف في وصله وإرساله".

قلنا: والصواب أن الحديث مرسل؛ فقد أخرجه الطبري في "جامع البيان" (٦/ ١٩٩)، وابن مردويه؛ كما في "تفسير القرآن العظيم" (٢/ ٨١) من طريق إسماعيل بن عليه ووهيب بن خالد كلاهما عن الجريري عن عبد الله بن شقيق به مرسلاً.

قلنا: وهذا مرسل صحيح الإسناد، وابن عليه سمع من الجريري قبل الاختلاط وهو أصح من سابقه.

وقال شيخنا العلّامة الألباني -رحمه الله- في "الصحيحة" (٥/ ٦٤٥): "فهو صحيح مرسل".

وقال قبل ذلك: "وهذا أصح -يعني: المرسل-".

فهو ضعيف إذًا، لكن للحديث شواهد كثيرة يصح بها.

والحديث ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ١١٨) وزاد نسبته لعبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ وابن مردويه.

(١) التفسير الميسر:١١٩.

(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٦٠٨):ص١١٧٢/٤.

(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٦١٠):ص١١٧٢/٤.

(٤) الكشاف:٦٥٨/١.

(٥) الانتصار للقرآن:٤٥١/٢.

(٦) تفسير ابن كثير:١٥٠/٣.

(٧) أحكام القرآن:٥١٦/٢.

(٨) المحرر الوجيز:٢١٧/٢-٢١٨.

(٩) فتح القدير:٦٨/٢.

عنه، وشهد له بالتبليغ أفاضل الأمة من الصحابة، فمن بعدهم من أئمة الدين ورجال المسلمين"(١).

عن مسروق، عن عائشة قالت: "من حَدّثك أن محمدًا -صلى الله عليه وسلم- كتم شيئًا مما أنزل عليه، فقد كذب، الله يقول: { يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ } الآية"(٢).

وفي الصحيحين عنها أيضا أنها قالت: "لو كان محمد -صلى الله عليه وسلم -كاتما من القرآن شيئًا لكتم هذه الآية: { وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ } [الأحزاب: ٣٧]"(٣).

وعن هارون بن عنترة، عن أبيه قال:" كنت عند ابن عباس فجاء رجل فقال له: إن ناسًا يأتونا فيخبرونا أن عندكم شيئًا لم يبده رسولُ الله صلى الله عليه وسلم للناس. فقال: ألم تعلم أن الله تعالى قال: { يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ } والله ما ورثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم سوداءَ في بيضاء"(٤).

وهكذا في صحيح البخاري من رواية أبي جُحَيفَة وهب بن عبد الله السّوائي قال:« قلت لعلي بن أبي طالب، رضي الله عنه: هل عندكم شيء من الوحي مما ليس في القرآن ؟ فقال: لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، إلا فَهْمًا يعطيه الله رجلا في القرآن، وما في هذه الصحيفة. قلت: وما في هذه الصحيفة ؟ قال: العقل، وفكَاك الأسير، وألا يقتل مسلم بكافر»(٥).

قال ابن كثير:" وقد شهدت له أمته ببلاغ الرسالة وأداء الأمانة، واستنطقهم بذلك في أعظم المحافل، في خطبته يوم حجة الوداع، وقد كان هناك من الصحابه نحو من أربعين ألفًا كما ثبت في صحيح مسلم، عن جابر بن عبد الله ؛ أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال في خطبته يومئذ: «أيها الناس، إنكم مسئولون عني، فما أنتم قائلون ؟" قالوا: نشهد أنك قد بَلّغت وأدّيتَ ونصحت. فجعل يرفع إصبعه إلى السماء ويَقلبها إليهم ويقول: "اللهم هل بَلّغْتُ، اللهم هل بلغت»(٦)"(٧).

وقال ابن عباس:« قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع: "يأيها الناس، أيّ يوم هذا ؟" قالوا: يوم حرام. قال: "أيّ بلد هذا ؟" قالوا: بلد حرام. قال: "فأيّ شهر هذا ؟" قالوا: شهر حرام. قال: "فإن أموالكم ودماءكم وأعراضكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في بلدكم هذا، في شهركم هذا". ثم أعادها مرارًا. ثم رفع إصبعه إلى السماء فقال: "اللهم هل بلغت!" مرارًا - قال: يقول ابن عباس: والله لَوصِيَّةٌ إلى ربه عز وجل - ثم قال: "ألا فليبلغ الشاهدُ الغائِبَ، لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض"»(٨).

قال القرطبي:"قبح الله الروافض حيث قالوا: إنه -صلى الله عليه وسلم- كتم شيئا مما أوحى إليه كان بالناس حاجة إليه"(٩).

قوله تعالى:{وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ} [المائدة: ٦٧]، أي:" وإن قصَّرت في البلاغ فَكَتَمْتَ منه شيئًا، فإنك لم تُبَلِّغ رسالة ربِّك"(١٠).

---

(١) تفسير السعدي:٢٣٩.

(٢)صحيح البخاري برقم (٤٦١٢) وبرقم (٤٨٥٥ ، ٧٣٨٠) وصحيح مسلم برقم (١٧٧) وسنن الترمذي برقم (٣٠٦٨) وسنن النسائي الكبرى برقم (١١١٤٧).

(٣)صحيح البخاري برقم (٧٤٢٠) رواه من حديث أنس، وقد ذكره ابن كثير: ١٥٠/٣، تابعا هنا شيخه المزي حيث ذكره في تحفة الأشراف (٣٨٥/١١) من حديث أنس عن عائشة ، ولعله اعتمد على رواية الداودي كما ذكر الحافظ ابن حجر في الفتح ، ورواه مسلم في صحيحه برقم (١٧٧).

(٤) أخرجه ابن ابي حاتم كما في تفسير ابن كثير:١٥٠/٣. قال ابن كثير:١٥٠/٣:" وهذا إسناد جيد".

(٥)صحيح البخاري برقم (١١١).

(٦)صحيح مسلم برقم (١٢١٨).

(٧) تفسير ابن كثير:١٥١/٣.

(٨)المسند (٢٣٠/١) وصحيح البخاري برقم (١٧٣٩).

(٩) تفسير القرطبي:٢٤٣/٦.

(١٠) التفسير الميسر:١١٩.

قال ابن عباس:" يعني: إن كتمت آية مما أنزل عليك من ربك، لم تبلِّغ رسالاتي"[1].
قال ابن كثير:" يعني: وإن لم تُؤد إلى الناس ما أرسلتك به، { فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ } أي: وقد عَلِم ما يترتب على ذلك لو وقع"[2].
قال السعدي:" أي: لم تبلغ ما أنزل إليك من ربك، فما امتثلت أمره"[3].
قال الزجاج:أي:" بلغ جميع ما أنزل إليك من ربك، وإن تركت منه شيئا فما بلغت، أي لا تراقبن أحدا ولا تتركن شيئا من ذلك خوفا من أن ينالك مكروه"[4].
قال السمعاني:" فيه معنيان: أحدهما: معناه: إن لم تبلغ الجميع، وتركت واحدا، فما بلغت شيئا، يعني: جرمك في ترك التبليغ في واحد كجرمك في ترك الكل، وقيل: معناه: بلغ ما أنزل إليك أي: أظهر تبليغه"[5].
قال قتادة:" أخبر الله نبيَّه صلى الله عليه وسلم أنه سيكفيه الناس، ويعصمه منهم، وأمره بالبلاغ. ذكر لنا أن نبيَّ الله صلى الله عليه وسلم قيل له: لو احتجبت! فقال: والله لأبديَنَّ عَقِبي للناس ما صاحبتهم"[6].
قال مجاهد:" لما نزلت: {بلغ ما أنزل إليك من ربك}، قال: إنما أنا واحد، كيف أصنع ؟ تجَمَّع عليّ الناس! فنزلت: {وإن لم تفعل فما بلغت رسالته}، الآية"[7].
قال الجصاص:" أخبر أنه إن ترك تبليغ شيء منه فهو كمن لم يبلغ شيئا, بقوله تعالى: {وإن لم تفعل فما بلغت رسالته} فلا يستحق منزلة الأنبياء القائمين بأداء الرسالة وتبليغ الأحكام"[8].
وفي وقوع قوله: { فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ} [المائدة: ٦٧]، جزاء للشرط، وجهان[9]:
أحدهما: أنه إذا لم يمتثل أمر الله في تبليغ الرسالات وكتمها كلها كأنه لم يبعث رسولا كان أمرا شنيعا لا خفاء بشناعته، فقيل: إن لم تبلغ منها أدنى شيء وإن كان كلمة واحدة، فأنت كمن ركب الأمر الشنيع الذي هو كتمان كلها، كما عظم قتل النفس بقوله: { فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ} [المائدة: ٣٢].
والثاني: أن يراد: فإن لم تفعل فلك ما يوجبه كتمان الوحى كله من العقاب فوضع السبب موضع المسبب، ويعضده قوله عليه الصلاة والسلام «فأوحى الله إلى إن لم تبلغ رسالاتي عذبتك»[10].
قال ابن عطية:" ثم توعده تعالى بقوله: {وإن لم تفعل فما بلغت رسالته}، أي: إنك إن تركت شيئا فكأنما قد تركت الكل، وصار ما بلغت غير معتد به، فقوله تعالى: {وإن لم تفعل} معناه: وإن لم تستوف، ونحو هذا قول الشاعر[11]:
سُئلتَ فلمْ تبخل ولم تعطِ طائلاً   فسيَّان لا ذمٌّ عليكَ ولا حمدُ
أي: ولم تعط ما يعد نائلا وإلا فيتكاذب البيت"[12].

(١) أخرجه الطبري(١٢٢٧٠):ص٤٦٨/١٠.
(٢) تفسير ابن كثير:١٥١/٣.
(٣) تفسير السعدي:٢٣٩.
(٤) معاني القرىن:١٩٢/٢.
(٥) تفسير السمعاني:٥٣/٢.
(٦) أخرجه الطبري(١٢٢٧١):ص٤٦٨/١٠.
(٧)أخرجه الطبري(١٢٢٧٢):ص٤٦٨/١٠.
(٨) أحكام القرآن:٥١٦/٢.
(٩) انظر: الكشاف:٦٥٩/١.
(١٠)رواه إسحاق بن راهويه في مسنده(٤٤٣):ص٤٠٢/١، ومسند الشاميين للطبراني(٢٣٧٦):ص٣١٤/٣، ونصه:" إن الله أرسلني برسالة فضقت بها ذرعا، وعلمت أن الناس مكذبي فأوعدني أن أبلغها أو يعذبني ".
(١١)ديوان الحطيئة :٣٢٩، وانظر: المقرب:١/ ٢٥٠، والتذييل :٣/ ١١٤، ١١٥، ١٥٧، وشرح الصفار للكتاب (ق ٨٧ / ب)، وشرح الجمل لابن عصفور :١/ ٦١٣، والأغاني :٢/ ١٦٨، والشعر والشعراء:٣١٣/١، والفاخر:٢١٣، والعقد الفريد:٢٣٩/١، والحماسة البصرية:٢٩٩/٢،
(١٢) المحرر الوجيز:٢١٨/٢.

وقرأ أهل المدينة:«رسالاته»[١].

قال الزمخشري: المعنى:" فلم تبلغ إذا ما كلفت من أداء الرسالات، ولم تؤد منها شيئا قط، وذلك أن بعضها ليس بأولى بالأداء من بعض، وإن لم تؤد بعضها فكأنك أغفلت أداءها جميعا، كما أن من لم يؤمن ببعضها كان كمن لم يؤمن بكلها، لإدلاء كل منها بما يدليه غيرها. وكونها كذلك في حكم شيء واحد. والشيء الواحد لا يكون مبلغا غير مبلغ، مؤمنا به غير مؤمن به"[٢].

قال النحاس: "والقراءتان حسنتان إلا أن الجمع أبين لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينزل عليه الوحي شيئا شيئا ثم يبينه"[٣].

قال الإمام الشوكاني:" وفيه نظر، فإن نفي التبليغ عن الرسالة الواحدة أبلغ من نفيه عن الرسالات، كما ذكره علماء البيان على خلاف في ذلك، وقد بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمته ما نزل إليهم، وقال لهم في غير موطن: هل بلغت؟ فيشهدون له بالبيان، فجزاه الله عن أمته خيرا"[٤].

قوله تعالى:{وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ} [المائدة: ٦٧]، أي:" والله تعالى حافظك وناصرك على أعدائك"[٥].

قال قتادة:" أخبر الله نبيه أنه سيكفيه الناس ويعصمه منهم وأمره بالبلاغ"[٦].

قال مقاتل بن حيان:" {والله يعصمك من الناس}، يعني: ممن حولك من العرب كلها إنهم لا يصلون إليك، فأمن النبي صلى الله عليه وسلم عند ذلك"[٧].

قال السمرقندي:" يعني: اليهود ويقال: كيد الكفار"[٨].

قال ابن كثير:" أي: بلغ أنت رسالتي، وأنا حافظك وناصرك ومؤيدك على أعدائك ومظفرك بهم، فلا تخف ولا تحزن، فلن يصل أحد منهم إليك بسوء يؤذيك. وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم قبل نزول هذه الآية يُحْرَس"[٩].

قال الزجاج:" أي: يحول بينهم وبين أن ينالك منهم مكروه، فأعلمه الله جل وعز أنه يسلم منهم. وفي هذا آية للنبي - صلى الله عليه وسلم - بينة[١٠].

قال الجصاص:" أخبر تعالى أنه يعصمه من الناس حتى لا يصلوا إلى قتله ولا قهره ولا أسره, بقوله تعالى: {والله يعصمك من الناس} وفي ذلك إخبار أنه لم يكن تقية من إبلاغ جميع ما أرسل به إلى جميع من أرسل إليهم وفيه الدلالة على بطلان قول الرافضة في دعواهم أن النبي صلى الله عليه وسلم كتم بعض المبعوثين إليهم على سبيل الخوف والتقية; لأنه تعالى قد أمره بالتبليغ, وأخبر أنه ليس عليه تقية بقوله تعالى: {والله يعصمك من الناس}"[١١].

قال البغوي:أي:" يحفظك ويمنعك من الناس، فإن قيل: أليس قد شج رأسه وكسرت رباعيته وأوذي بضروب من الأذى؟

قيل: معناه يعصمك من القتل فلا يصلون إلى قتلك.

وقيل: نزلت هذه الآية بعدما شج رأسه لأن سورة المائدة من آخر ما نزل من القرآن.

---

(١) انظر: معاني القرآن للزجاج:١٩٢/٢، وإعراب القرآن للنحاس:٢٧٥/١.
(٢) الكشاف:٦٥٩/١.
(٣) إعراب القرآن:٢٧٥/١.
(٤) فتح القدير:٦٨/٢-٦٩.
(٥) التفسير الميسر:١١٩.
(٦) .أخرجه ابن ابي حاتم(٦٦١٦):ص١١٧٤/٤
(٧) .أخرجه ابن ابي حاتم(٦٦١٧):ص١١٧٤/٤
(٨) بحر العلوم:٤٠٦/١.
(٩) تفسير ابن كثير:١٥١/٣-١٥٢.
(١٠)معاني القرآن:١٩٢/٢.
(١١) أحكام القرآن:٥١٦/٢.

وقيل: والله يخصك بالعصمة من بين الناس، لأن النبي صلى الله عليه وسلم معصوم"(١).

قال الزمخشري:قوله:{ والله يعصمك}" عدة من الله بالحفظ والكلاءة والمعنى: والله يضمن لك العصمة من أعدائك، فما عذرك في مراقبتهم؟ فإن قلت: أين ضمان العصمة وقد شج في وجهه يوم أحد وكسرت رباعيته صلوات الله عليه؟ قلت: المراد أنه يعصمه من القتل. وفيه: أن عليه أن يحتمل كل ما دون النفس في ذات الله، فما أشد تكليف الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وقيل: نزلت بعد يوم أحد، والناس الكفار بدليل قوله:{إن الله لا يهدي القوم الكافرين}، ومعناه: أنه لا يمكنهم مما يريدون إنزاله بك من الهلاك"(٢).

قال ابن عطية:" يعصمك معناه: يحفظك ويجعل عليك وقاية، ومنه قوله تعالى: {يعصمني من الماء} [هود: ٤٣]...وهذه العصمة التي في الآية هي من المخاوف التي يمكن أن توقف عن شيء من التبليغ كالقتل والأسر والأذى في الجسم ونحوه، وأما أقوال الكفار ونحوها فليست في الآية"(٣).

عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: "كان النبي صلى الله عليه وسلم يُحْرَس حتى نزلت هذه الآية: { وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ } قالت: فأخرج النبي صلى الله عليه وسلم رأسه من القُبَّة، وقال: «يأيها الناس، انصرفوا فقد عصمني الله عز وجل»"(٤).

قال سعيد بن جبير:"لما نزلت: {يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس}، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تحرسوني، إنّ ربّي قد عَصَمَني"(٥).

عن عبد الله بن عامر بن ربيعة: "أن عائشة كانت تحدث: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سَهر ذات ليلة، وهي إلى جنبه، قالت: فقلتُ: ما شأنك يا رسول الله ؟ قال: "ليت رجلا صالحاً من أصحابي يحرسني الليلة ؟" قالت: فبينا أنا على ذلك إذ سمعت صوت السلاح فقال: "من هذا ؟" فقال: أنا سعد بن مالك. فقال: "ما جاء بك ؟" قال: جئت لأحرسك يا رسول الله. قالت: فسمعت غطيط رسول الله صلى الله عليه وسلم في نومه"(٦).

قال الطبري:" يمنعك من أن ينالوك بسوء. وأصله من عِصَام القربة ، وهو ما تُوكَىَ به من سير وخيط،ومنه قول الشاعر(٧):

وَقُلْتُ: عَلَيْكُمْ مَالِكًا، إنَّ مَالِكًا سَيَعْصِمُكُمُ، إنْ كَانَ فِي النَّاس عَاصِمُ

يعني: يمنعكم"(٨).

قال ابن كثير:"ومن عصمة الله عز وجل لرسوله حفْظُه له من أهل مكة وصناديدها وحسادها ومُعَانديها ومترفيها، مع شدة العداوة والبَغْضة ونصب المحاربة له ليلا ونهارًا، بما يخلقه الله تعالى من الأسباب العظيمة بقَدَره وحكمته العظيمة. فصانه في ابتداء الرسالة بعمه أبي طالب، إذ كان رئيسًا مطاعًا كبيرًا في قريش، وخلق الله في قلبه محبة طبيعية لرسول الله صلى الله عليه وسلم لا شرعية، ولو كان أسلم لاجترأ عليه كفارها وكبارها، ولكن لما كان بينه

---

(١) تفسير البغوي:٧٩/٣.

(٢) الكشاف:٦٥٩/١.

(٣) المحرر الوجيز:٢١٨/٢.

(٤)سنن الترمذي برقم (٥٠٣٧) وتفسير الطبري (١٢٢٧٦):ص٤٦٩/١٠، والمستدرك (٣١٣/٢) وسنن سعيد بن منصور برقم (٧٦٨). قال الترمذي:"وهذا حديث غريب".

(٥)أخرجه الطبري(١٢٢٧٣):ص٤٦٨/١٠.

(٦)المسند (١٤٠/٦) وصحيح البخاري برقم (٢٨٨٥) وصحيح مسلم برقم (٢٤١٠).

وفي لفظ : سَهر رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة مَقْدَمِه المدينة. يعني : على أثر هجرته إليها بعد دخوله بعائشة ، رضي الله عنها ، وكان ذلك في سنة ثنتين منها. [انظر: تفسير ابن كثير:١٥١/٣].

(٧) لم اتعرف على قائله، والبيت من شواهد الطبري في تفسيره:٤٧٢/١٠، وابو عبيدة في مجاز القرآن: ١ / ١٧١. و"عليك ": اسم فعل للإغراء ، يقال : عليك زيدًا وعليك بزيد .

(٨) تفسير الطبري:٤٧٢/١٠.

وبينهم قدر مشترك في الكفر هابوه واحترموه، فلما مات أبو طالب نال منه المشركون أذى يسيرًا، ثم قيض الله عز وجل له الأنصار فبايعوه على الإسلام، وعلى أن يتحول إلى دارهم -وهي المدينة، فلما صار إليها حَمَوه من الأحمر والأسود، فكلما هم أحد من المشركين وأهل الكتاب بسوء كاده الله ورد كيده عليه، لما كاده اليهود بالسحر حماه الله منهم، وأنزل عليه سورتي المعوذتين دواء لذلك الداء، ولما سم اليهود في ذراع تلك الشاة بخيبر، أعلمه الله به وحماه الله منه ولهذا أشباه كثيرة جدًا يطول ذكرها"[1].

قال الإمام الشوكاني:" وعده بالعصمة من الناس دفعا لما يظن أنه حامل على كتم البيان، وهو خوف لحوق الضرر من الناس، وقد كان ذلك بحمد الله فإنه بين لعباد الله ما نزل إليهم على وجه التمام، ثم حمل من أبى من الدخول في الدين على الدخول فيه طوعا أو كرها وقتل صناديد الشرك وفرق جموعهم وبدد شملهم، وكانت كلمة الله هي العليا، فأسلم كل من نازعه ممن لم يسبق فيه السيف العذل حتى قال يوم الفتح لصناديد قريش وأكابرهم: «ما تظنون أني فاعل بكم؟ فقالوا: أخ كريم وابن أخ كريم فقال: اذهبوا فأنتم الطلقاء»[2]، وهكذا من سبقت له العناية من علماء هذه الأمة يعصمه الله من الناس، إن قام ببيان حجج الله وإيضاح براهينه، وصرخ بين ظهراني من ضاد الله وعانده ولم يمتثل لشرعه كطوائف المبتدعة، وقد رأينا من هذا في أنفسنا وسمعنا منه في غيرنا ما يزيد المؤمن إيمانا وصلابة في دين الله وشدة شكيمة في القيام بحجة الله، وكل ما يظنه متزلزلو الأقدام ومضطربو القلوب من نزول الضرر بهم وحصول المحن عليهم فهو خيالات مختلفة وتوهمات باطلة، فإن كل محنة في الظاهر هي منحة في الحقيقة، لأنها لا تأتي إلا بخير في الأولى والأخرى إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد"[3].

قال السعدي:" هذه حماية وعصمة من الله لرسوله من الناس، وأنه ينبغي أن يكون حرصك على التعليم والتبليغ، ولا يثنيك عنه خوف من المخلوقين فإن نواصيهم بيد الله وقد تكفل بعصمتك، فأنت إنما عليك البلاغ المبين، فمن اهتدى فلنفسه، وأما الكافرون الذين لا قصد لهم إلا اتباع أهوائهم فإن الله لا يهديهم ولا يوفقهم للخير، بسبب كفرهم"[4].

قوله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ} [المائدة: ٦٧]، أي:" إن الله لا يوفق للرشد مَن حاد عن سبيل الحق، وجحد ما جئت به من عند الله"[5].

قال الواحدي:أي:" لا يرشد مَنْ كذَّبك"[6].

قال الطبري:" يعني: إن الله لا يوفِّق للرُّشْد من حاد عن سبيل الحق، وجار عن قصد السبيل، وجحد ما جئته به من عند الله، ولم ينته إلى أمر الله وطاعته فيما فرض عليه وأوجبه"[7].

قال الإمام الشوكاني:" قوله: {إن الله لا يهدي القوم الكافرين}، جملة متضمنة لتعليل ما سبق من العصمة، أي: إن الله لا يجعل لهم سبيلا إلى الإضرار بك، فلا تخف وبلغ ما أمرت بتبليغه"[8].

قال ابن عطية:" وقوله تعالى: {لا يهدي القوم الكافرين}، إما على الخصوص فيمن سبق في علم أنه لا يؤمن، وإما على العموم على أن لا هداية في الكفر، ولا يهدي الله الكافر في سبل كفره"[1].

---

(١) تفسير ابن كثير:١٥٤/٣.
(٢) السنن الكبرى(١٨٢٧٦):ص١٩٩/٩.
(٣) فتح القدير:٦٩/٢.
(٤) تفسير السعدي:٢٣٩.
(٥) التفسير الميسر:١١٩.
(٦) الوجيز:٣٢٨.
(٧) تفسير الطبري:٤٧٢/١٠.
(٨) فتح القدير:٦٩/٢.

الفوائد:
١- وجوب البلاغ على الرسل ونهوض رسولنا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهذا الواجب على أكمل وجه وأتمه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله -:" ومعلوم أنه قد بلغ الرسالة كما أمر ولم يكتم منها شيئاً، فإن كتمان ما أنزله الله إليه يناقض موجب الرسالة كما أن الكذب يناقض موجب الرسالة، ومن المعلوم في دين المسلمين أنه معصوم من الكتمان لشيء من الرسالة كما أنه معصوم من الكذب فيها، والأمة تشهد له بأنه بلغ الرسالة كما أمره الله، وبين ما أنزل إليه من ربه، وقد أخبر الله بأنه قد أكمل الدين، وإنما كمل بما بلغه إذ الدين لم يعرف إلا بتبليغه فعلم أنه بلغ جميع الدين الذي شرعه الله لعباده كما قال -صلى الله عليه وسلم-: «تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك»[٢]، وقال: «ما تركت من شيء يقربكم إلى الجنة إلا وقد حدثتكم به، وما من شيء يبعدكم عن النار إلا وقد حدثتكم به»[٣]. وقال أبو ذر: «لقد توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وما طائر يقلب جناحيه في السماء إلا ذكرنا منه علماً»[٤]"[٥].

٢- أن الرسل- عليهم الصلاة والسلام- خلاصة مختارة من البشر، لما كان الرسل -عليهم الصلاة والسلام- هم سفراء الله تعالى إلى خلقه يقومون بتبليغهم أوامره ونواهيه وهو سبحانه حارسهم وحافظهم.

٣-عصمة الرسول المطلقة، وكفاية الله له أعداءه وعصمته من الناس، وهذا النوع من أعظم الآيات الدالّة على صدق رسالة محمد - صلى الله عليه وسلم -،ومن ذلك:

١ - كفاه الله تعالى المشركين والمستهزئين، فلم يصلوا إليه بسوء، قال تعالى: {فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ} [الحجر:٩٤-٩٥].

٢ - كفاه الله تعالى أهل الكتاب، قال تعالى: {فَإِنْ آمَنُواْ بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} [البقرة:١٣٧].

٣ - وعصمه تعالى من جميع الناس بقوله: {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ} [المائدة:٦٧].

---

(١) المحرر الوجيز:٢/٢١٨.

(٢) المسند(١٧١٤٢):ص٢٨/٣٦٧ ، وأخرجه الحاكم ١/٩٦، وابن ماجه (٤٣)، وابن عبد البر في "جامع بين العلم" ص٤٨٢، ابن أبي عاصم في "السنة" (٣٣) و (٤٨) و (٥٦) ، والطبراني في "الكبير" ١٨/ (٦١٩) ، وفي "مسند الشاميين" (٢٠١٧) ، والآجري في "الشريعة" ص ٤٧ .[حديث صحيح]

(٣) اخرجه البيهقي في الأسما والصفاة(١٩٨)، وعبدالرزاق في المصنف(٢٠١٠٠)، [إسناده صحيح] انظر: كتاب الألباني النصيحة ٢٣٢ وانظر الصحيحة ١٨٠٣.

(٤)رواه أبو داود الطيالسي ١/ ٣٨٥ (٤٨١)، وأحمد ٥/ ١٥٣، ١٦٢ من طريق الأعمش، عن منذر الثوري، عن أصحاب له عن أبي ذر.

ورواه ابن سعد في "الطبقات" ٢/ ٣٥٤، وأحمد ٥/ ١٦٢ من طريق فطر بن خليفة، عن منذر الثوري، عن أبي ذر.

قال البزار في "البحر الزخار"، (٣٨٩٧) ومنذر الثوري لم يدرك أبا ذر. اهـ.

ورواه البزار في "البحر الزخار" (٣٨٩٧)، والطبراني في "الكبير" ٢/ ١٥٥ - ١٥٦ (١٦٤٧)، وابن حبان ١/ ٢٦٧ (٦٥) من طريق محمد بن عبد الله بن يزيد المقرىء، عن ابن عيينة، عن فطر بن خليفة، عن أبي الطفيل، عن أبي ذر.

قال الهيثمي في "المجمع" ٨/ ٢٦٣: رواه أحمد والطبراني، ورجال الطبراني رجال الصحيح غير محمد بن عبد الله بن يزيد المقرىء، وهو ثقة، وفي إسناد أحمد من لم يسم. اهـ.

والحديث صحح إسناده الألباني في "الصحيحة" (١٨٠٣).

ورواه أبو يعلى في "مسنده" (٥١٠٩) من طريق فطر بن خليفة، عن عطاء قال: قال أبو الدرداء، ثم ساقه.

وعزاه الحافظ في "المطالب العالية" (٣٨٤٦) لابن منيع، وقال: رواته ثقات إلا أنه منقطع واختلف على فطر. اهـ.

(٥) مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية:١/١٨٨.

وهذا خبر عام بأن الله يعصمه من جميع الناس، فكلٌّ من هذه الأخبار الثلاثة قد وقعت كما أخبر الله تعالى، فقد كفاه أعداءه بأنواع عجيبة خارجة عن العادة المعروفة، ونصره مع كثرة أعدائه وقوتهم وغلبتهم، وانتقم ممن عاداه.

ومن ذلك أن رجلاً نصرانيّاً أسلم، وقرأ البقرة وآل عمران، وكان يكتب للنبي - صلى الله عليه وسلم - ثم ارتدّ وعاد نصرانيّاً، فكان يقول: ما يَدْري محمد إلا ما كتبت له، فأماته الله، فدفنه قومه، فأصبح وقد أخرجته الأرض من بطنها، فأعادوا دفنه، وأعمقوا قبره، فأصبح وقد أخرجته الأرض منبوذاً على ظهرها فأعادوا دفنه وأعمقوا له فأصبح وقد لفظته الأرض، فعلموا أن هذا ليس من الناس فتركوه منبوذاً[١].

٤-ومنها: دلالة قوله تعالى: {والله يعصمك من الناس} على أن كل ما كان من الأحكام بالناس إليه حاجة عامة أن النبي صلى الله عليه وسلم قد بلغه الكافة وأن وروده ينبغي أن يكون من طريق التواتر, نحو الوضوء من مس الذكر ومن مس المرأة ومما مسته النار ونحوها, لعموم البلوى بها; فإذا لم نجد ما كان منها بهذه المنزلة واردا من طريق التواتر علمنا أن الخبر غير ثابت في الأصل, أو تأويله ومعناه غير ما اقتضاه ظاهره من نحو الوضوء الذي هو غسل اليد دون وضوء الحدث[٢].

٥- ومنها: دلالة قوله تعالى: {والله يعصمك من الناس} على صحة نبوة النبي صلى الله عليه وسلم; إذ كان من أخبار الغيوب التي وجد مخبرها على ما أخبر به; لأنه لم يصل إليه أحد بقتل ولا قهر ولا أسر مع كثرة أعدائه المحاربين له مصالتة والقصد لاغتياله مخادعة, نحو ما فعله عامر بن الطفيل وأربد فلم يصلا إليه; ونحو ما قصده به عمير بن وهب الجمحي بمواطأة من صفوان بن أمية, فأعلمه الله إياه, فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم عمير بن وهب بما تواطأ هو وصفوان بن أمية عليه وهما في الحجر من اغتياله, فأسلم عمير وعلم أن مثله لا يكون إلا من عند الله تعالى عالم الغيب والشهادة, ولو لم يكن ذلك من عند الله لما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم الناس ولا ادعى أنه معصوم من القتل والقهر من أعدائه وهو لا يأمن أن يوجد ذلك على خلاف ما أخبر به فيظهر كذبه مع غناه عن الإخبار بمثله. وأيضا لو كانت هذه الأخبار من عند غير الله لما اتفق في جميعها وجود مخبراتها على ما أخبر به, إذ لا يتفق مثلها في أخبار الناس إذا أخبروا عما يكون على جهة الحدس والتخمين وتعاطي علم النجوم والرزق والفأل ونحوها, فلما اتفق جميع ما أخبر به عنه من الكائنات في المستأنف على ما أخبر به ولا تخلف شيء منها, علمنا أنها من عند الله العالم بما كان وما يكون قبل أن يكون[٣].

القرآن

{قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٦٨)} [المائدة: ٦٨]

التفسير:

قل -أيها الرسول- لليهود والنصارى: إنكم لستم على حظٍّ من الدين ما دمتم لم تعملوا بما في التوراة والإنجيل، وما جاءكم به محمد صلى الله عليه وسلم من القرآن، وإن كثيرًا من أهل الكتاب لا يزيدهم إنزالُ القرآن إليك إلا تجبُّرًا وجحودًا، فهم يحسدونك; لأن الله بعثك بهذه الرسالة الخاتمة، التي بَيَّن فيها معايبهم، فلا تحزن -أيها الرسول- على تكذيبهم لك.

سبب النزول:

---

(١)أخرجه البخاري في كتاب المناقب، باب علامات النبوة، برقم ٣٦١٧، ومسلم، كتاب صفات المنافقين، برقم ٢٧٨١..

(٢) انظر: أحكام القرآن للجصاص:٥٦١/٢

(٣) انظر: أحكام القرآن للجصاص:٥٦٢/٢.

قال ابن عباس-رضي الله عنهما-:" جاء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رافع بن حارثة وسلام بن مشكم ومالك بن الصيف ورافع بن حرملة، فقالوا: يا محمد! ألست تزعم أنك على ملة إبراهيم ودينه، وتؤمن بما عندنا من التوراة، وتشهد أنها من الله حق؟ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "بلى؛ ولكنكم أحدثتم وجحدتم ما فيها، مما أخذ عليكم من الميثاق، وكتمتم منها ما أمرتم أن تبينوه للناس، وأنا بريئ من أحداثكم"، قالوا: فإنا نأخذ بما في أيدينا؛ فإنا على الحق والهدى، ولا نؤمن بك ولا نتبعك؛ فأنزل الله -تعالى-: {قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ}"(١). [ضعيف]

قوله تعالى:{ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ} [المائدة: ٦٨]، أي:" قل -أيها الرسول- لليهود والنصارى: إنكم لستم على حظٍّ من الدين ما دمتم لم تعملوا بما في التوراة والإنجيل"(٢).

عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: "{حتى تقيموا}، تعملوا بما فيه"(٣)."{التوراة والإنجيل}: التوراة أنزلت على اليهود والإنجيل على النصارى وعلى عيسى بن مريم"(٤).

قال القرطبي:" أي: لستم على شي من الدين حتى تعملوا بما في الكتابين من الإيمان بمحمد عليه السلام، والعمل بما يوجبه ذلك منهما"(٥).

قال السمرقندي:أي:" قل يا أهل الكتاب: لستم على شيء من الدين ولا ثواب لأعمالكم حتى تعملوا بما في التوراة، والإنجيل"(٦).

قال البغوي:" أي: تقيموا أحكامهما وما يجب عليكم فيهما"(٧).

قال ابن كثير:" {لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ } أي: من الدين،{ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالإنْجِيلَ } أي: حتى تؤمنوا بجميع ما بأيديكم من الكتب المنزلة من الله على الأنبياء، وتعملوا بما فيها ومما فيها الأمر باتباع بمحمد صلى الله عليه وسلم والإيمان بمبعثه، والاقتداء بشريعته"(٨).

قال الزمخشري:" {لستم على شيء}، أى: على دين يعتد به حتى يسمى شيئا لفساده وبطلانه، كما تقول: هذا ليس بشيء تريد تحقيره وتصغير شأنه. وفي أمثالهم: أقل من لا شيء"(٩).

قال ابن عرفة:"أي: لستم على شيء معتبر؛ لأنه شيء غير معتبر شرعا"(١٠).

قال ابن عطية:" أمر تعالى نبيه محمدا عليه السلام أن يقول لأهل الكتاب الحاضرين معه: {لستم على شيء}، أي: على شيء مستقيم حتى تقيموا التوراة والإنجيل، وفي إقامة هذين الإيمان بمحمد -صلى الله عليه وسلم-"(١١).

---

(١)أخرجه ابن إسحاق في "السيرة" -ومن طريقه الطبري في "جامع البيان" (١٢٢٨٤):ص١٠/٤٧٣-٤٧٤: ثني محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس به.
قلنا: وسنده ضعيف؛ لجهالة محمد شيخ ابن إسحاق؛ كما قال الحافظان الذهبي والعسقلاني.
والحديث ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ١٢٠) وزاد نسبته لابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.
قلنا: أخرجه ابن أبي حاتم في "تفسيره" (٦٦١٨):ص٤/ ١١٧٤: من طريق ابن إسحاق عن محمد بن أبي محمد به معضلاً.

(٢) التفسير الميسر:١١٩.

(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٦١٩):ص٤/١١٧٤.

(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٦٢٠):ص٤/١١٧٥.

(٥) تفسير القرطبي:٦/٢٤٥.

(٦) بحر العلوم:١/٤٠٦.

(٧) تفسير البغوي:٣/٨١.

(٨) تفسير ابن كثير:٣/١٥٥.

(٩) الكشاف:١/٦٦٠.

(١٠) تفسير ابن عرفة:٢/١١٦.

(١١) المحرر الوجيز:٢/٢١٨.

قال السعدي:" أي: قل لأهل الكتاب، مناديا على ضلالهم، ومعلنا بباطلهم: {لستم على شيء} من الأمور الدينية، فإنكم لا بالقرآن ومحمد آمنتم، ولا بنبيكم وكتابكم صدقتم، ولا بحق تمسكتم، ولا على أصل اعتمدتم {حتى تقيموا التوراة والإنجيل} أي: تجعلوهما قائمين بالإيمان بهما واتباعهما، والتمسك بكل ما يدعوان إليه"(١).

قال الطبري:" وهذا أمرٌ من الله تعالى ذكره نبيَّه محمدًا صلى الله عليه وسلم بإبلاغ اليهود والنصارى الذين كانوا بين ظهرانَيْ مُهاجَره. يقول تعالى ذكره له: قل، يا محمد، لهؤلاء اليهود والنصارى يا أهل الكتاب ، التوراة والإنجيل لستم على شيء، مما تدَّعون أنكم عليه مما جاءكم به موسى صلى الله عليه وسلم، معشرَ اليهود، ولا مما جاءكم به عيسى، معشرَ النصارى حتى تقيموا التوراة والإنجيل"(٢).

قال الشوكاني:" قوله: {على شيء}، فيه تحقير وتقليل لما هم عليه: أي لستم على شيء يعتد به {حتى تقيموا التوراة والإنجيل}: أي تعملوا بما فيهما من أوامر الله ونواهيه التي من جملتها أمركم باتباع محمد صلى الله عليه وسلم ونهيكم عن مخالفته"(٣).

وإن قيل: كيف أمرهم أن يقيموا الكتب وقد علم أن القرآن قد نسخ التوراة والإنجيل، ولا يصح إقامة جميعها؟ ففيه أجوبة:

أحدها: قيل: "يجوز أنه عنى الإقرار بصحة ثلاثتها، ويجوز أنه أراد أحكام أصولها، فإن ثلاثتها تستوي في ذلك وإنما الاختلاف في الفروع بسحب مصالح الأزمنة"(٤).

والثاني: وقيل: "أراد إقامة هذه الكتب بإظهار ما فيه من وصف النبي - صلى الله عليه وسلم - وتصديق بعضها بعضا"(٥).

والثالث: وقال أبو علي: "ويجوز أن يكون ذلك قبل النسخ لهما"(٦).

قال البيضاوي:" ومن إقامتها الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والإذعان لحكمه، فإن الكتب الإلهية بأسرها آمرة بالإيمان بمن صدقه والمعجزة ناطقة بوجوب الطاعة له، والمراد إقامة أصولها وما لم ينسخ من فروعها"(٧).

قال الطرطوشي:" قال سفيان: " ليس في كتاب الله تعالى آية أشد علي من قوله تعالى {قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ}، وإقامتها: فهمها والعمل بها"(٨).

قوله تعالى:{وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ} [المائدة: ٦٨]، أي:"وما جاءكم به محمد -صلى الله عليه وسلم- من القرآن"(٩).

قال مجاهد:"ما أنزل على محمد -صلى الله عليه وسلم-"(١٠).

عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم:قوله"{وما أنزل إليكم من ربكم}، قال:القرآن"(١١).

قال الشوكاني:" قيل: هو القرآن، فإن إقامة الكتابين لا تصح بغير إقامته، ويجوز أن يكون المراد ما أنزل إليهم على لسان الأنبياء من غير الكتابين"(١٢).

---

(١) تفسير السعدي:٢٣٩.
(٢) تفسير الطبري:١٠/٤٧٣.
(٣) فتح القدير:٢/٧١.
(٤) تفسير الراغب الاصفهاني:٥/٤٠٣.
(٥) تفسير الراغب الاصفهاني:٥/٤٠٣.
(٦) تفسير القرطبي:٦/٢٤٥، وفتح القدير للشوكاني:٢/٧١
(٧) تفسير البيضاوي:٢/١٣٦.
(٨) الحوادث والبدع:١٠١.
(٩) التفسير الميسر:١١٩.
(١٠) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٦٢١):ص٤/١١٧٥.
(١١) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٦٢٢):ص٤/١١٧٥.
(١٢) فتح القدير:٢/٧١.

قال الشيخ محمد رشيد رضا:" "وهو القرآن المجيد، فإنه هو الذي أكمل به دين الأنبياء والمرسلين، على حسب سننه في النشوء والارتقاء بالتدريج"[١].

قال السعدي:أي:" {و}تقيموا {ما أنزل إليكم من ربكم} الذي رباكم، وأنعم عليكم، وجعل أجل إنعامه إنزال الكتب إليكم. فالواجب عليكم، أن تقوموا بشكر الله، وتلتزموا أحكام الله، وتقوموا بما حملتم من أمانة الله وعهده"[٢].

قال الراغب:" إن قيل: قوله: {وما أنزل إليكم من ربكم} داخل فيه التوراة والإنجيل إذ كل ذلك منزل من الله، فلم أفردا؟

قيل: إنه أفردهما بالذكر على سبيل التفصيل وخص ما أنزل بالقرآن"[٣].

قوله تعالى:{وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا} [المائدة: ٦٨]، أي:" وإن كثيرًا من أهل الكتاب لا يزيدهم إنزالُ القرآن إليك إلا تجبُّرًا وجحودًا"[٤].

قال الطبري:أي:" وأقسم: ليزيدن كثيرًا من هؤلاء اليهود والنصارى الذين قص قصصهم في هذه الآيات، الكتابُ الذي أنزلته إليك، يا محمد تجاوزًا وغلوًّا في التكذيب لك، على ما كانوا عليه لك من ذلك قبل نزول الفرقان وكفرًا يقول: وجحودًا لنبوتك"[٥].

قال السمرقندي:" وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من القرآن من ربك طغيانا وكفرا يعني: تماديا بالمعصية، وكفرا بالقرآن، يعني: إنما عليك تبليغ الرسالة والموعظة، فإن لم ينفعهم ذلك فليس عليك شيء"[٦].

قال القرطبي:" أي: يكفرون به فيزدادون كفرا على كفرهم"[٧].

قال الشوكاني:" أي: كفرا إلى كفرهم وطغيانا إلى طغيانهم، والمراد بالكثير منهم من لم يسلم، واستمر على المعاندة وقيل: المراد به العلماء منهم، وتصدير هذه الجملة بالقسم لتأكيد مضمونها"[٨].

و«الطغيان»:" تجاوز الحد في الظلم والغلو فيه، وذلك أن الظلم منه صغيرة ومنه كبيرة، فمن تجاوز منزلة الصغيرة فقد طغى. ومنه قوله تعالى:{كلا إن الإنسان ليطغى}[العلق: ٦]، أي: يتجاوز الحد في الخروج عن الحق"[٩].

قال ابن عرفة:" «الطغيان»:التعنت والعصيان، و«الكفر»: العصيان بالاعتقاد"[١٠].

قوله تعالى:{فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ} [المائدة: ٦٨]، أي:" فلا تحزن -أيها الرسول- على تكذيبهم لك"[١١].

قال ابن عباس والسدي:" يقول: فلا تحزن"[١٢].

قال ابن كثير:" أي: فلا تحزن عليهم ولا يَهيدنَّك ذلك منهم"[١٣].

قال السمرقندي:" يعني: لا تحزن عليهم إن كذبوك"[١٤].

---

(١) تفسير المنار:٣٩٢/٦.
(٢) تفسير السعدي:٢٣٩.
(٣) تفسير الراغب الاصفهاني:٤٠٣/٥.
(٤) التفسير الميسر:١١٩.
(٥) تفسير الطبري:٤٧٤/١٠-٤٧٤.
(٦) بحر العلوم:٤٠٦/١.
(٧) تفسير القرطبي:٢٤٥/٦.
(٨) فتح القدير:٧١/٢.
(٩) تفسير القرطبي:٢٤٥/٦.
(١٠) تفسير ابن عرفة:١١٧/٢.
(١١) التفسير الميسر:١١٩.
(١٢) انظر: تفسير الطبري(١٢٢٨٦)، و(١٢٢٨٧):ص٤٧٦/١٠.
(١٣) تفسير ابن كثير:١٥٥/٣.
(١٤) بحر العلوم:٤٠٦/١.

قال القرطبي:" أي: لا تحزن عليهم، وهذه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم، وليس بنهي عن الحزن، لأنه لا يقدر عليه ولكنه تسلية ونهي عن التعرض للحزن"[١].

قال الزمخشري:أي:" فلا تتأسف عليهم لزيادة طغيانهم وكفرهم، فإن ضرر ذلك راجع إليهم لا إليك، وفي المؤمنين غنى عنهم"[٢].

قال الشوكاني:" أي: دع عنك التأسف على هؤلاء، فإن ضرر ذلك راجع إليهم ونازل بهم، وفي المتبعين لك من المؤمنين غنى لك عنهم"[٣].

قال الصابوني:" أي: لا تحزن عليهم فإن تكذيب الأنبياء عادتُهم ودأبهم"[٤].

وقوله:{فلا تأس}، أي: فلا تحزن، يقال: أسِيَ فلان على كذا ، إذا حزن يأسَى أسىً ، ومنه قول العجاج[٥]:

وَانْحَلَبَتْ عَيْنَاهُ مِنْ فَرْطِ الأَسَى وكيف غربي دالج تبجسا

قوله:" من فرط الأسى"، يعني: من شدة الحزن[٦].

الفوائد:

١-كفر أهل الكتاب إلا من آمن منهم بالنبي محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واتبع ما جاء به من الدين الحق.

فلم يعد يقبل من أحد أن يستمسك بما سبق من الكتب ويرفض القرآن.

٢-التقريع لأهل الكتاب والتنديد بباطلهم ومخازيهم.

٣-أن أهل الكتاب مكلفون بإقامة التوراة والإنجيل معا، لكنهم كفروا بهما،قال تعالى: لْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّىَ تُقِيمُواْ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ [المائدة: ٦٨]، ومن إقامة التوراة والإنجيل: الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم حيث بشَّرت به هذه الكتب، واتباع الإسلام الذي نسخ ما قبله من الأديان.

٤-أن أهل العناد والمكابرة لا تزيدهم الأدلة والبراهين إلا عتواً ونفوراً وطغياناً وكفرا.

٥-ومنها: ان أن الكفر يزيد كما في قوله تعالى في آيتي المائدة: {وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَنًا وَكُفْرًا} [المائدة:٦٤] . {قُلْ يَأَهْلَ الكِتَبِ لَسْتُمْ عَلَى شَىْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَنًا وَكُفْرًا فَلاَ تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الكَفِرِينَ} [المائدة:٦٨].

وقوله في الإسراء: {وَمَا جَعَلْنَا الرُّءْيَا الَّتِى أَرَيْنَكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِلنَّاس وَالشَّجَرَةَ المَلْعُونَةَ فِي القُرْءَانِ وَنُخَوِّفهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ طُغْيَانًا كَبِيرًا} [الإسراء:٦٠].

وفي آل عمران: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّآلُّونَ} [آل عمران:٩٠].

وفي النساء: {إِنَ الَّذِينَءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا} [النساء:١٣٧] .

فكذلك الإيمان يزيد حتى يبلغ أعلى درجاته، والكفر يزيد حتى يسفل إلى أدنى دركاته أيضاً مما يدل على زيادة الإيمان عند أهله تفاضلهم فيه، بكون بعضهم أفضل من بعض[١].

---

(١) تفسير القرطبي:٢٤٥/٦.

(٢) الكشاف:٦٦٠/١.

(٣) فتح القدير:٧١/٢.

(٤) صفوة التفاسير:٣٢٩.

(٥)ديوانه: ٣١، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ١: ١٧١، والكامل ١: ٣٥٢، واللسان (حلب) مادة "بجس" و "كرس" ، وهو من رجزه المشهور، يقول:

يَا صَاحِ، هَلْ تَعْرِفُ رَسْمًا مُكْرَسَا؟ ... قَالَ: نَعَمْ! أعْرِفُهُ! وَأَبْلَسَا

وَانْحَلَبَتْ عَيْنَاهُ مِنْ فَرْطِ الأَسَى

والوكيف: مصدر؛ أي: وكفت. والغرب: الدلو العظيم. والدالج: من يأخذ الدلو من البئر فيفرغه في الحوض. والمعنى: انصبت دموع عينيه من شدة الحزن كانصباب دلوي رجل مفرغ لهما في الحوض.

و"انحلبت عيناه" و"تحلبتا": سال دمعهما وتتابع.

(٦) انظر: تفسير الطبري:٤٧٥/١٠.

٦-أن القرآن جاء مؤيدًا للحق الذى ورد فيها كما سبقت إليه الإشارة من عبادة الله وحده، والإيمان برسله، والتصديق بالجزاء، ورعاية الحق والعدل، والتخلق بالأخلاق الصالحة؛ وهو فى الوقت ذاته مهيمنًا عليها ومبينًا ما وقع فيها من أخطاء وأغلاط، وتحريف وتصحيف، وتغيير وتبديل.

وإذا انتفت هذه الأخطاء التى أدخلها رجال الدين على الكتب السماوية وزوروها على الناس باسم الله، ظهر الحق، واستبان، والتقى القرآن مع التوراة والإنجيل، قال تعالى: {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالأَنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ}، وإقامتها لا تتحقق إلا بعد تطهيرها من الزيف(٢).

٧-ومن فوائد الآية أيضا: تأكيد ضلال اليهود والنصارى وأنهم على دين باطل بعد نسخه بدين محمد-صلى الله عليه وسلم-.

٨- أن الألقاب والانتساب لا ينفع صاحبه دون عمل ومتابعة لمن انتسب إليه كما قال الرب جل وعلا {إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ}[آل عمران:٦٨]، وليس الذين أحبوه، أو انتسبوا إليه.

فحب اليهود ليعقوب وانتسابهم إليه، وحبهم لداود وموسى وسليمان وغيرهم. وحب النصارى للمسيح وانتسابهم إليه ليس بنافعهم لانقطاعهم عن المنهج والتعاليم التي جاء بها هؤلاء الأنبياء الكرام عليهم السلام: قال تعالى {وَقَالُوا كُونُوا هُوداً أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا}[البقرة:١٣٥].

هذا هو الانتساب الأجوف الذي لا قيمة له. لذلك عقب الله عليه بقوله {قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنْ الْمُشْرِكِينَ}[البقرة:١٣٥].

إنّ الله يريد الملة والدين الصحيح. أما الاسم والنسب فلا قيمة له عنده، ومع هذا كله انتقل إلينا هذا المرض الخطير فصار فينا من يتعصب للأسماء والطوائف، ويفخر بالانتساب إلى مشاهير الملة دون العمل بما دعوا إليه، وجاهدوا من أجله. وهذا ليس بنافعهم بل هو ضار بهم: في الدنيا تفرقة وتمزقاً وفتناً. وفي الآخرة خسراناً مبيناً.

القرآن

{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٩)} [المائدة: ٦٩]

التفسير:

إن الذين آمنوا -وهم المسلمون-، واليهود، -والصابئون كذلك -وهم قوم باقون على فطرتهم، ولا دين مقرر لهم يتبعونه-، والنصارى -وهم أتباع المسيح- من آمن منهم بالله الإيمان الكامل، وهو توحيد الله والتصديق بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به، وآمن باليوم الآخر، وعمل العمل الصالح، فلا خوف عليهم من أهوال يوم القيامة، ولا هم يحزنون على ما تركوه وراءهم في الدنيا.

قوله تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا} [المائدة: ٦٩]، أي: إن الذين "صدّقوا الله ورسوله وهم المسلمون"(٣).

قال الطبري:أي:" إن الذين صدّقوا الله ورسوله، وهم أهل الإسلام"(٤).

قال ابن عثيمين:" يعني أمة محمد -صلى الله عليه وسلم-، لأنهم هم الذين يستحقون الوصف بالإيمان المطلق، حيث آمنوا بجميع الكتب، والرسل"(٥).

وقرأ عبد الله: «يا أيها الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون»(١).

---

(١) انظر: مسألة الإيمان دراسة تأصيلية:٢٦.
(٢) انظر: العقائد الإسلامية:١٦٩.
(٣) صفوة التفاسير:٣٢٩.
(٤) تفسير الطبري:٤٧٦/١٠.
(٥) تفسير ابن عثيمين:٢٢١/١.

قوله تعالى:{وَالَّذِينَ هَادُوا} [المائدة: ٦٩]، أي:" واليهود"[٢].
قال الشيخ ابن عثيمين:"أي: الذين انتسبوا إلى دين اليهود. وهي شريعة موسى"[٣].
واختلفوا في أصل كلمة« واليهود»، وسبب تسمية اليهود بهذا الاسم، وذكروا وجوها[٤]:
أحدها: أنها من:«هاد» بمعنى رجع، سموا بذلك حين تابوا عن عبادة العجل.
والثاني: أنهم سمّوا بذلك، لقولهم:{إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ}[سورة الأعراف: ١٥٦]، أي: تبنا، قاله ابن جريج[٥]، والهائد[٦]: التائب، ومن ذلك قول الشاعر[٧]:
إِنِّي امْرُؤٌ مِنْ حُبِّهِ هَائِدُ
أي: تائب.
والثالث: وقال ابن عرفة: {هدنا إليك}، أي: سكنا إلى أمرك، والهوادة السكون والموادعة. قال: ومنه قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا}[٨].
والرابع: أنهم نُسِبُوا إلى «يهوذا» بالذال المعجمة، وهو أكبر ولد يعقوب-عليه الصلاة والسلام-، فغيرته العرب بالدال المهملة، جريا على عادتها في التلاعب بالأسماء الأعجمية، فعرب ونسب الواحد إليه، فقيل يهودي، ثم حذف الياء في الجمع، فقيل: «يهود».
والخامس: أنها مشتقة من: هاد، يهود؛ فالهود:الميل والرجوع؛ لأن اليهود كانوا كلما جاءهم نبي أو رسول هادوا إلى ملكهم ودلوه عليه ليقتلوه.
والسادس: أنه من «التهويد»، وهو النطق في سكون ووقار ولين، وسموا بذلك لأنهم يتهودون عند قراءة التوراة. حكاه ابن عطية عن الزهراوي[٩]، وأنشد قول الراعي النميري[١٠]:
وخودٌ من اللائي تَسَمَّعْنَ بالضُّحَى   قريضَ الرُّدَافَى بالغِنَاءِ المُهَوَّدِ
والسابع: أنه من الهوادة، وهي الخضوع، فـ{هدنا إليك}، أي: خضعنا إليك.
والثامن: أن أصلها من:«هاد يهيد»، أي: تحرك، ومنه سمي اليهود؛ لتحركهم في دراستهم، قاله أبو عمرو بن العلاء[١١].
وفي أصل الألف في كلمة: «هادوا»، وجهان[١٢]:
أحدهما: أنه من «واو»، والأصل:«هاد يهود» أي: تاب.
الثاني: أنها من «ياء»، والأصل: «هاد يهيد»، أي: تحرك.
وقد ورد بأن اليهود يرجعون إلى بقايا جماعة «يهوذا» الذين سباهم نبوخذ نصّر إلى بابل في القرن السادس (ق.م)، وهؤلاء سموا كذلك نسبة إلى مملكة ومنطقة يهوذا (١٣٩-٦٨٥

---

(١) انظر: الكشاف:٦٦٢/١.
(٢) التفسير الميسر:٣٢٩.
(٣) تفسير ابن عثيمين:٢٢١/١.
(٤) انظر: تفسير الطبري: ١٤٣/٢، وتفسير القرطبي: ٤٣٢/١-٤٣٣، والمحرر الوجيز:١/ ١٥٧، والدر المصون :١/ ٤٠٥، واللباب في علوم الكتاب:١٣٣/٢،واللسان، مادة: "هود".
(٥) أنظر: تفسير الطبري(١٠٩٤):ص١٤٣/٢.
(٦) قيل: (هود): جمع هائد كعوذ جمع عائذ وقيل : مصدر يستوي فيه الواحد وغيره وقيل : إنه مخفف يهود بحذف الياء وهو ضعيف وعلى القول بالجمعية يكون أسم كان مفردا عائدا على من بإعتبار لفظها وجمع الخبر بإعتبار معناها وهو كثير في الكلام خلافا لمن منعه.(انظر: التحرير والتنوير: ٣٥٩/١).
(٧) البيت بلا نسبة في: درج الدرر في تفسير الآي والسور:١٨٩/١، تفسير القرطبي: ٤٣٣/١، والدر المصون:٤٠٥/١، واللباب في علوم الكتاب:١٣٢/٢، ولم أتعرف على قائله.
(٨) انظر: تفسير القرطبي: ٤٣٢/١، وفتح القدير للشوكاني:١١٠/١، وعمدة الحفاظ في تفسير أشرف الالفاظ:٢٦٤/٤.
(٩) انظر: المحرر الوجيز:١٥٧/١.
(١٠) انظر: تهذيب اللغة، باب ا"الهاء والدال"، و"خوط"، ومقاييس اللغة، مادة"ردف"، وأساس البلاغة، باب"ردف"، والعباب الزاخر،"ردف"، واللسان، مادة"ردف"، وتاج العروس، مادة"وخد"، "هود"، "ردف"، وغريب الحديث للقاسم بن سلام:٢٨٧/٤، والمحرر الوجيز:١٥٧/١، وواللباب:٦٣..
(١١) انظر: اللباب في علوم الكتاب:١٣٣/٢.
(١٢) انظر: اللباب في علوم الكتاب:١٣١/٢-١٣٢.

ق.م)، ولم تستعمل هذه التسمية إلا في عهد مملكة يهوذا، لذلك فهي تسمية متأخرة ولا صلة لها بيهوذا ويعقوب، اللذين عاشا في القرن السابع عشر قبل الميلاد، ولعل -يهوذا- كانت اسم مدينة في فلسطين منذ عهد الكنعانيين، فبعد أن نزحت جماعة موسى عليه السلام إلى فلسطين تكونت مملكة يهوذا بعد عصر يعقوب وابنه -يهوذا- بحوالي ألف عام في منطقة يهوذا الكنعانية، فسميت باسمها، ثم انتشر استعمال اسم اليهود بعد السبي البابلي منذ القرن السادس للميلاد(١).

وقد ذكروا في القرآن بعبارات عدة، كما في قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} [البقرة: ٦٢]، وقوله تعالى: {وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [البقرة: ١٣٥]، والآيات في ذكرهم باسم اليهود كثيرة، وذكر شيخ الاسلام: " أن هؤلاء المذكورين في الآية، الذين أثنى الله عليهم من الذين هادوا والنصارى كانوا مسلمين مؤمنين لم يبدلوا ما أنزل الله ولا كفروا بشيء مما أنزل الله؛ فاليهود والنصارى صاروا كفاراً من جهة تبديلهم لما أنزل الله، ومن جهة كفرهم بما أنزل على محمد"(٢).

ولهذا فإن لفظ «اليهود»: هو اسم خاص بالمنحرفين من بني إسرائيل.. وهو لفظ أعم من لفظة "عبرانيين"(٣) و"بني إسرائيل"(٤) وذلك لأن لفظة يهود تطلق على العبرانيين وعلى

---

(١) انظر: مفصل العرب واليهود في التاريخ: ٩٢٥.

(٢)مجموع الفتاوى (٩١/٢١).

(٣)اختلفت الآراء في سبب تسميتهم بـ"العبريين" أو "العبرانيين"، قيل: إنهم سموا بذلك نسبة إلى إبراهيم عليه الصلاة والسلام نفسه، فقد ذكر في سفر التكوين باسم: "إبراهيم العبراني"، لأنه عبر نهر الفرات وأنهاراً أخرى، وقيل إنهم: سموا بالعبرانيين نسبة إلى "عِبْر "، و هو الجد الخامس لإبراهيم عليه الصلاة والسلام، و الرأي الثالث يقول: إن سبب التسمية يرجع إلى الموطن الأصلي لبني إسرائيل، ذلك أنهم في الأصل كانوا من الأمم البدوية الصحراوية التي لا تستقر في مكان، بل ترحل من بقعة إلى أخرى بإبلها و ماشيتها للبحث عن الماء و المرعى.، وغالب المؤرخين أجمعوا على أن التسمية ناتجة عن عبور إبراهيم عليه الصلاة والسلام نهر الفرات، ويؤكد هذا الرأي ما جاء في سفر يسوع: "وهكذا قال الرب إله إسرائيل في عبر النهر سكن آباؤكم منذ الدهر."

ويرى البعض أن هذه اللفظة لم تظهر إلا بعد اجتياز إبراهيم نهر الفرات"، فضلا ً عن أن الأخذ بهذا الرأي أقرب إلى الصحة والصواب من الآراء الأخرى

وقيل: لفظ "العبري" أطلق تاريخياً على شراذم من الغجر الرحل كانوا يعيثون في الأرض فسادا، ويتبعون الجيوش الغازية، بوصفهم مرتزقة يستعان بهم في الأعمال الدنية، ووصفهم إبراهيم بأنه "عبري" غير صحيح، إلا إذا أخذنا من لفظ عبري معنى: الترحال والتنقل، وقد ألصق اليهود بإبراهيم وصف "العبري" ليصلوا إلى وصف لغتهم بأنها "العبرية" قديمة ترجع إلى زمن إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وهذا كلام باطل لأن اللغة العبرية جاءت متأخرة جداً عن زمن إبراهيم، و هي لهجة آرامية عربية، ظهرت بعد عصر موسى بحوالي ست مئة سنة و لأن التوراة نزلت باللغة الهيروغلوفية، حيث تخاطب قوما في مصر أو أخرجوا من مصر .

وأرى أن الذي ذكره هو الصواب؛ فاللغة العبرية لغة متأخرة جداً عن زمن الخليل إبراهيم عليه الصلاة والسلام .(انظر: العرب واليهود في التاريخ: الأستاذ شراب: ٣٦).

(٤)تم إطلاق مصطلح إسرائيليين على شتات اليهود القادمين إلى فلسطين بعد إعلان اليهود قيام دولة أسموها "إسرائيل" في ٥١ مايو ٨٤٩١م؛ فأصبح كل من يعيش على أرض فلسطين من اليهود يأخذ مُسَمى "إسرائيلي"، وجنسية "إسرائيلية"، ومجموع شتاتهم على أرض فلسطين المغتصبة "إسرائيليين !!"

وشاعت تلك التسميات على ألسن الناس عموماً وفي بلاد المسلمين أيضاً، حيث أطلق على الكيان اليهودي والصهيوني "إسرائيل" واليهودي "بالإسرائيلي"، وشاع مصطلح "إسرائيليون" على اليهود الذين أتوا إلى فلسطين غزاة ...

وإسرائيل كلمة عبرانية مركبة من "إسرا" بمعنى: عبد، ومن "إيل" وهو الله، فيكون معنى الكلمة: عبد الله، وإسرائيل اسم لنبي الله يعقوب عليه الصلاة والسلام، وجاء في تسمية بني إسرائيل بهذا الاسم نسبة إلى أبيهم يعقوب عليه الصلاة والسلام، ويهود اليوم التصقوا بهذا الاسم، ليلبسوا على العامة بأنهم من نسل "إسرائيل" يعقوب عليه الصلاة السلام، ولإثبات عدم اختلاطهم بالشعوب الأخرى ليتحقق لهم الزعم بنقاء الجنس اليهودي، وأن يهود اليوم هم النسل المباشر ليهود التوراة، وذلك لتبرير العودة إلى أرض الميعاد !!

غيرهم ممن دخل في دين اليهود وهو ليس منهم، وفي الحقيقة أنه لا يستطيع أحد أن يجزم بتحديد التاريخ الذي أطلقت فيه هذه التسمية على بني إسرائيل وسبب إطلاقها، لعدم وجود دليل على ذلك لا من الكتاب ولا من السنة، وإنما بنيت الاجتهادات السابقة على تخمينات لغوية لا تقوم بها حجة؛ غير أننا نستطيع أن نستنتج من الاستعمال القرآني لكلمة «يهود» أن هذه التسمية إنما أطلقت عليهم بعد انحرافهم عن عبادة الله وعن الدين الصحيح، وذلك لأنه لم يرد في القرآن الكريم إطلاق اليهود على سبيل المدح، بل لم تذكر عنهم إلا في معرض الذم والتحقير، وإظهار صفاتهم وأخلاقهم الذميمة، والتنديد بكفرهم.

وذكروا في قوله تعالى:{هَادُوا}[المائدة:٦٩]، وجهان من القراءة(١):

أحدهما: {هَادُوا}، بضم الدال. قرأ بها الجمهور.

والثاني: {هَادَوا}ـ بفتح الدال، من المهاداة، قرأ بها أبو السماك العدوي.

قوله تعالى:{وَالصَّابِئُونَ} [المائدة: ٦٩]، أي:" والصابئون-وهم قوم باقون على فطرتهم، ولا دين مقرر لهم يتبعونه-"(٢).

قال البيضاوي:" قوم بين النصارى والمجوس"(٣).

قال النسفي: أي:"الخارجين من دين مشهور إلى غيره، من صبأ إذا خرج من الدين، وهم قوم عدلوا عن دين اليهودية والنصرانية وعبدوا الملائكة"(٤).

قال الثعلبي: يقال: صبا يصبوا صبوءا، إذا مال وخرج من دين إلى دين"(٥).

وقد اختلفت عبارات المفسرون في تفسير معنى (الصابئة) على أقوال:

أحدها:أنهم قوم بين المجوس واليهود والنصارى، وليس لهم دين. قاله مجاهد(٦)، وعطاء(٧).

والثاني: أنهم منزلة بين اليهود والنصارى. قاله سعيد بن جبير(٨).

والثالث: قبيلة بين المجوس واليهود، ولاتؤكل ذبائحهم ولاتنكح نساؤهم. قاله الحسن(٩)، ومجاهد(١٠)، وابن أبي نجيح(١١).

والرابع: هم فرقة من أهل الكتاب يقرؤون الزبور. قاله أبو العالية(١٢)والسدي، والربيع بن أنس، وأبو الشعشاء جابر بن زيد، والضحاك، وإسحاق بن راهويه(١٣).

والخامس: أنهم أهل دين من الأديان كانوا بجزيرة الموصل، يقولون: لا إله إلا الله، وليس لهم عمل ولا كتاب ولا نبي، إلا قول لا إله إلا الله، ولم يؤمنوا برسول الله. قاله ابن زيد(١٤).

والسادس: هم الذين لم تبلغهم دعوة نبي. ذكره ابن كثير(١).

لذا فهذه التسمية منكرة، لما شاع على الألسن القول في سياق الذم فعلت إسرائيل كذا، وستفعل كذا ؛ وإسرائيل هو رسول كريم من رسل الله تعالى، وهو "يعقوب" عليه الصلاة والسلام، وهو بريء من الكيان اليهودي الخبيث الماكر، إذ لا توارث بين الأنبياء والرسل وبين أعدائهم من الكافرين .

(١) أنظر: انظر: تفسير القرطبي: ٤٣٢/١، والبحر المحيط: ٢٠٤/١.
(٢) التفسير الميسر:٣٢٩.
(٣) تفسير البيضاوي: ٨٤/١.
(٤) تفسير النسفي: ٩٥/١.
(٥) تفسير الثعلبي: ٢٠٩/١.
(٦) أنظر: تفسير ابن أبي حاتم(٦٣٨):ص١٢٧/١.
(٧) أنظر: تفسير الطبري(١١٠٦):ص١٤٦/٢.
(٨) أنظر: تفسير ابن أبي حاتم(٦٣٧):ص١٢٧/١.
(٩) أنظر: تفسير الطبري(١١٠٣):ص١٤٦/٢.
(١٠)أنظر: تفسير الطبري(١١٠٢):ص١٤٦/٢.
(١١)أنظر: تفسير الطبري(١١٠٤):ص١٤٦/٢.
(١٢) أنظر: تفسير ابن أبي حاتم(٦٣٩):ص١٢٧/١، وتفسير الطبري(١١١٠):ص١٤٧/٢.
(١٣) انظر تفسير الطبري، ١/ ٢٥٢- ٢٥٣. وتفسير ابن أبي حاتم: ١٢٧/١، وتفسير القرطبي، ١/ ٤٧٥-٤٧٦.
(١٤) أنظر: تفسير الطبري(١١٠٧):ص١٤٧/٢.

والسابع: هم قوم يعبدون الملائكة ويصلون إلى القبلة. قاله قتادة[٢]، وزياد بن أبيه[٣]، وأبو جعفر الرازي[٤].
والثامن: أنهم طائفة من أهل الكتاب. قاله السدي[٥].

قال ابن كثير: "وأظهر الأقوال – والله أعلم – قول مجاهد ومتابعيه، ووهب بن منبه: أنهم ليسوا على دين اليهود ولا النصارى ولا المجوس ولا المشركين وإنما هم باقون على فطرتهم، ولادين مقرر يتبعونه ويقتضونه"[٦].

نستنتج مما سبق، بأن الصابئة أحد أمرين:

إما أن تكون فرقة واحدة لكن بعضهم انخرط مع المجوسية والبعض مع أهل الكتاب والبعض اعتزل جميع الأديان.

وإما أن تكون فرقة الصابئة، عبارة عن فرق متعددة ومذاهب متفرقة، كل فرقة لها طابع خاص تستقل به عن الفرقة الأخرى، فالجامع بينهم جميعاً المسمى – فقط – أما الحقيقة ففيه اختلاف فيما بينهم.

يقول ابن القيم – رحمه الله –: " وقد اختلف الناس فيهم اختلافاً كثيراً، بحسب ماوصل إليهم من معرفة دينهم، وهم منقسمون إلى مؤمن وكافر. قال الله تعالى: {إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين ... الآية}[البقرة: ٦٢] .

فذكرهم – جل وعلا – في الأمم الأربعة الذين تنقسم كل أمة منها إلى ناج وهالك كما في قوله تعالى {إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة}[الحج:١٧]، فذكر الأمتين اللتين لاكتاب لهم، ولاينقسمون إلى شقي وسعيد وهما: المجوس والمشركون، ولم يذكرهما في آية الوعد بالجنة، وذكر الصابئين فيهما فعلم أن فيهم الشقي والسعيد"[٧].

وقد اختلف موقف العلماء في الصائبة، قال ابن القيم: "لقد اختلف الناس فيهم اختلافاً كثيراً، وأشكل أمرهم على الأئمة لعدم الإحاطة بمذهبهم ودينهم:

فقال الشافعي رحمه الله تعالى:هم صنف من النصارى، وقال في موضع: ينظر في أمرهم، فإن كانوا يوافقون النصارى في أصل الدين، ولكنهم يخالفونهم في الفروع، فتؤخذ منهم الجزية، وإن كانوا يخالفونهم في أصل الدين لم يقروا على دينهم ببذل الجزية، ثم اختلف أصحابه – وكذلك اختلف الأحناف والمالكية والحنابلة –" [٨].

ويقول ابن القيم – رحمه الله –: "وبالجملة فالصابئة أحسن حالاً من المجوس، فأخذ الجزية من المجوس تنبيه على أخذها من الصابئة بطريق الأولى، فإن المجوس من أخبث الأمم ديناً ومذهباً، ولايتمسكون بكتاب ولاينتمون إلى ملة ولايثبت لهم كتاب ولاشبهة كتاب أصلاً... وكل ماعليه المجوس من الشرك فشر الصابئة إن لم يكن أخف منه فليس بأعظم منه"[٩].

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير، ١٠٤/١.
(٢) أنظر: تفسير الطبري(١١٠٩):ص١٤٧/٢.
(٣) أنظر: تفسير الطبري(١١٠٨):ص١٤٧/٢. زياد بن أبيه: هو والى العراق في زمن معاوية رضي الله عنه .
(٤) أنظر: تفسير الطبري: ١٤٧/٢، وزاد:"أنهم ويقرءون الزبور".
(٥) أنظر: تفسير الطبري(١١١١):ص١٤٧/٢.
(٦) تفسير ابن كثير، ١٠٤/١.
(٧) انظر : إغاثة اللهفان، ٢/ ٢٤٩- ٢٥٠ .
(٨) أحكام أهل الذمة، ابن القيم الجوزية، تحقيق يوسف البكر وشاكر العاروري، ط (الأولى) ، بيروت : دار ابن حزم، ١٤١٨هـ ، ص ٢٣١ وما بعدها.
(٩) المصدر السابق، ص ٢٤٢.

قال ابن ابي زمنين:" اختلف القول في رفع: {الصابئون}، والأجود: أنه محمول على التأخير، ومرفوع بالابتداء، المعنى: إن الذين آمنوا والذين هادوا من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا - فلا خوف عليهم والصابئون والنصارى كذلك أيضا"(١).

قال الزمخشري:" والصابئون رفع على الابتداء وخبره محذوف، والنية به التأخير عما في حيز إن من اسمها وخبرها، كأنه قيل: إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كذا، والصابئون كذلك، وأنشد سيبويه(٢) شاهدا له(٣):

وإلاَّ فاعْلَموا أنَّا وأنتمْ ... بُغَاةٌ ما بَقينا فِي شِقاقِ

أي: فاعلموا أنا بغاة وأنتم كذلك"(٤).

وقرأ عثمان وأبي وعائشة وابن جبير والجحدري وابن كثير:«والصابئين»، بالنصب(٥).

وقرئ: {الصَّابِينَ}و{والصّابون}، بترك الهمزة، قرأ بها أهل المدينة في جميع القرآن(٦).

قوله تعالى:{وَالنَّصَارَى} [المائدة: ٦٩]، أي:"والنصارى-وهم اتباع المسيح-"(٧).

قال الثعلبي:" الذين كانوا على دين عيسى عليه السّلام ولم يبدّلوا وماتوا على ذلك"(٨).

و{النَّصَارَى} جمع اختلف في مفرده على قولين(٩):

الأول: واحده (نصراني)، وقيل: (نصران)، بإسقاط الياء، وهذا قول سيبويه(١٠).

وقد حكى عنهم سماعا (نصران)، بطرح الياء، ومنه قول الشاعر(١١):

تراه إذا زار العشي مُحَنِّفًا ... ويضحي لديه وهو نصران شامس

والأنثى (نصرانة)، قال الأخزر الحماني(١٢):

فَكِلْتَاهُمَا خَرَّتْ وَأَسْجَدَ رَأْسُهَا ... كَمَا سَجَدَتْ نَصْرَانَةٌ لَمْ تَحَنَّفِ

والثاني: واحده نصْري. قاله الخليل بن أحمد(١).

---

(١) تفسير ابن أبي زمنين:٣٨/٢.

(٢) انظر: الكتاب:١٥٦/٢، علق على البيت:" كأنه قال: بُغاةٌ ما بقينا وأنتم".

(٣) البيت لبشر بن أبي خازم في الكتاب ٢/ ١٥٨، وفي ديوانه ١٦٥، وتخليص الشواهد ص ٣٧٣، وخزانة الأدب ١٠/ ٢٩٣، وشرح أبيات سيبويه ٢/ ١٤، وشرح التصريح ١/ ٢٢٨، والمقاصد النحوية ٢/ ٢٧١، وبلا نسبة في أسرار العربية ١٥٤، وشرح المفصل ٨/ ٦٩.

(٤) الكشاف:١/٦٦٠-٦٦١.

(٥) انظر: البحر المحيط:٥٤١/٣، وإعراب القرآن للنحاس:٢٧٦/١، وقال: "قرأ بها سعيد ابن جبير".

(٦) أنظر: تفسير الثعلبي: ٢٠٨/١.

(٧) التفسير الميسر:٣٢٩.

(٨) تفسير الثعلبي: ٢٠٩/١.

(٩) انظر: تفسير القرطبي: ٤٣/١.

(١٠) أنظر: الكتاب: ٢٥٦/٣.

(١١)لم أعرف قائله . الأضداد لابن الأنباري : ١٥٥ ، ورواه : " تراه ويضحى وهو . . " ونقله أبو حيان في البحر المحيط ١ : ٢٣٨ عن الطبري ، وفيهما " إذا دار العشى " وأخطأ القرطبي (تفسيره ١ : ٣٦٩) فقال : و " أنشد سيبويه " وذكر البيت ، ولم ينشده سيبويه . وروى صدره . (تراه إذا دار العشا متحنفا)

والبيت في صفة الحرباء . و " محنفا " : قد تحنف ، أو صار إلى الحنيفية . ويعني أنه مستقبل القبلة . وقوله : " لديه " ، أي لدى العشى ، ويريد قبل أن يستوى العشى أو لدى الضحى ، ويكون قد ذكره في بيت قبله . وقوله : " شامس " ، يريد مستقبل الشمس ، قبل المشرق . يقول يستقبل الشمس كأنه نصراني ، وهو كقول ذي الرمة في صفة الحرباء أيضًا : إذا حول الظل العشى رأيته ... حنيفا ، وفي قرن الضحى ينتصر

(١٢)البيت من شواهد سيبويه(٤١١):ص ٣/ ٢٥٦، وانظر: شرح شواهده للنحاس ص ١٧٨، و"تفسير الطبري" ١/ ٣١٨، "الزاهر" ١/ ١٤١، ٢/ ٢٢٥، "الإنصاف" ص ٣٥٧، "المخصص" ١٧/ ٤٤، "تهذيب اللغة" (نصر) ٤/ ٣٥٨٤، "اللسان" (نصر) ٥/ ٢١١، "تفسير ابن عطية" ١/ ٢٤٥، "تفسير القرطبي" ١/ ٤٣٣، "البحر المحيط" ١/ ٢٣٨، "الدر المصون" ١/ ٤٠٦، "فتح القدير" ١/ ١٤٨، يصف ناقتين ، طأطأتا رؤوسهما من الإعياء ، فشبه رأس الناقة في طأطأتها ، برأس النصرانية إذا طأطأته في صلاتها. وأسجد الرجل : طأطأ رأسه وخفضه وانحنى. قال حميد بن ثور ، يصف نوقا :

فلما لوين على معصم ... وكف خضيب وأسوارها

فضول أزمتها أسجدت ... سجود النصاري لأحبارها

قال الماوردي: "والأول أظهر"[٢].
وفي سبب تسميتهم بـ(النصارى)، ثلاثة أقوال[٣]:
أحدها: أنهم سُمُّوا بذلك، لقريةٍ تُسَمَّى (ناصرة)، كان ينزلها عيسى عليه السلام، فَنُسِبَ إليها، فقيل: عيسى الناصري، ثم نسب أصحابه إليه فقيل: النصارى، وهذا قول ابن عباس[٤]، وقتادة[٥]، وابن جريج[٦].
والثاني: أنهم سُمُّوا بذلك، لنصرة بعضهم لبعضٍ، قال الشاعر[٧]:
لمَّا رأيتُ نَبَطاً أنْصَارَا   شَمَّرْتُ عَنْ رُكْبَتِيَ الإزَارَا
كُنْتُ لَهُمْ مِنَ النَّصَارَى جَارَا
والثالث: أنهم سُمُّوا بذلك، لقوله:{مَنْ أنْصَارِي إلى الله}[الصف: ١٤][٨].
ولفظة (النصرانية) و(نصارى) التي تطلق في العربية على أتباع المسيح، من الألفاظ المعربة، يرى بعضى المستشرقين أنّها من أصل سرياني هو: (نصرويو) Nosroyo، (نصرايا) Nasraya [٩]، ويرى بعضٌ آخر أنّها من Nazerenes التّسمية العبرانية التي أطلقها اليهود على من اتّبع ديانة المسيح، وقد وردت في العهد الجديد في (أعمال الرسل) حكاية على لسان يهود[١٠]، وبرى بعض المؤرخين أن لها صلة (بالناصرة) التي كان منها (يسوع) حيث يُقال: (يسوع الناصري) أو أنّ لها صلة بـ (الناصريين) Nasarenes = Nazarenes إحدى الفرق القديمة اليهودية المتنصرة. وقد بقي اليهود يطلقون على من اتّبع ديانة المسيح (النصارى)، وبهذا المعنى وردت الكلمة في القرآن الكريم، ومن هنا صارت النصرانية علماً لديانة المسيح عند المسلمين.
ولعلماء اللغة الإسلاميين آراء في معنى هذه الكلمة وفي أصلها، هي من قبيل التفسيرات المألوفة المعروفة عنهم في الكلمات الغريبة التي لا يعرفون لها أصلاً، وقد ذهب بعضهم إلى أنها نسبة إلى الناصرة التي نُسب اليها المسيح[١١]، وزعم بعض منهم أنها نسبة إلى قرية يُقال لها (نصران)، فقبل نصراني وجمعه نصارى[١٢]، وذُكر أن (النصرانة) هي مؤنث النصراني[١٣].
وقد وردت هذه التسمية في الشعر الجاهلي، فقد ذُكر ان أمية بن أبي الصلت ذكرهم في هذا البيت[١٤]:
أيام يلقى نصاراهم مسيحهم   والكائنين له وداً وقربانا

---

(١) انظر: تفسير القرطبي: ٤٣/١.
(٢)النكت والعيون: ١٣٣/١.
(٣) أنظر: تفسير الطبري: ١٤٤/٢-١٤٥، والنكت والعيون: ١٣٣/١.
(٤) أنظر: تفسير الطبري(١٠٩٦):ص١٤٥/٢.
(٥) أنظر: تفسير الطبري(١٠٩٧)، و(١٠٩٨):ص١٤٥/٢.
(٦) أنظر: تفسير الطبري(١٠٩٥):ص١٤٥/٢.
(٧)لم أعرف صاحب الرجز . والأبيات ، في معاني القرآن للفراء ١ / ٤٤ أمالي ابن الشجرى ١ / ٧٩ ، ٣٧١ . أنشده شاهدا على حذف واو العطف : أي " وكنت لهم من النصارى جارا " ، ثم أنشده في الموضع الآخر شاهدا على حذف الفاء العاطفة أي " فكنت لهم . . " . والبيت من شواهد الطبري: ١٤٤/٢.
(٨) أنظر: تفسير الطبري:١٤٥/٢.
٩ غرائب اللغة (ص ٢٠٧)، Ency. , III, p. ٨٤٨.
١٠ أعمال الرسل: الإصحاح ٢٤، الآية ٥ « فإننا إذْ وجدنا هذا الرجل مفسداً ومهيج فتنة بين جميع اليهود الذين في المسكونة ومقدام شيعة الناصريين »، Ency. Relig. Ethic. , III, p. ٥٧٤.
١١ اللسان (٧/ ٦٨)، تاج العروس (٣/ ٥٦٨)، (نصر).
(١٢) المفردات، للأصفهاني (ص ٥١٤).
(١٣) ومنه قول الشاعر:
فكلتاهما خرت وأسجد رأسها   كما أسجدت نصرانة لم تحنف
اللسان (٧/ ٦٨)، (نصر)، « والنصرانية واحدة النصارى »، تاج العروس (٣/ ٥٦٩)، (نصر).
(١٤) النصرانية وآدابها، القسم الثاني، الجزء الثاني، القسم الأول (ص ١٨٧).

وذكر أنّ شاعراً جاهلياً ذكر النصارى في شعر له، هو[١]:

اليكَ تعدو قلقا وضينها   معترضاً في بطنها جنينها

مخالفاً دين النصارى دينها

ودُكر أنّ جابر بن حُنيّ قال[٢]:

وقد زعمت بهراء أنّ رماحنا   رماح نصارى لا تخوض إلى دم

وأنّ حاتماً الطّائي قال في شعر له[٣]:

ومازلت أسعى بين نابٍ ودارة   بلحيانَ حتى خفت أن أتنصرا

وأنّ «طخيم بن أبي الطخماء» قال في شعر له في مدح بني تميم[٤]:

وإنّي وإنْ كانوا نصارى أحبهّم   ويرتاح قلبى نحوهم ويُتَوَّق

وأنّ حسان بن ثابت قال[٥]:

فرحت نصارى يثرب ويهودها   لما توارى في الضريح الملحد

غير أنّ هذه الأبيات وأمثالها إنْ صح أنها لشعراء جاهليين حقاً، هي من الشعر المتأخر الذي قيل قبيل الإسلام. أما قبل ذلك، فليس لنا علم بما كان العرب يسمّون به النصارى من تسميات.

والذي نعرفه أن قدماء النصارى حينما كانوا يتحدثون عن أنفسهم كانوا يقولون (تلاميذ) Disciples، و(تلاميذ المسيح)، ذلك أنهم كانوا ينظرون إلى المسيح نظرتهم إلى معلم يعلمهم[٦] وكذلك نظروا إلى حوارييه، فورد (تلاميذ يوحنا) وقصدوا بذلك النصارى[٧]، وهذه التعابير من أقدم التعابير التي استعملها النصارى للتعبير عن أنفسهم.

كذلك دعا قدماء النصارى جماعتهم بـ (الاخوة) وبـ (الاخوة في الله) Brethren in Lord للدلالة على الجماعة، وبـ (الأخ) للتعبير عن المفرد، ذلك لأن العقيدة قد آخت بينهم، فصار النصارى كلهم إخوة في الله وفي الدين[٨]، ثم تخصصت كلمة (الأخ) برجل الدين[٩]، ودعوا أنفسهم (القديسين) Saints[١٠] والمؤمنين[١١] والمختارين الأصفياء والمدعوّين، ويظهر أنها لم تكن علمية، وإنما وردت للأشارة إلى التسمية التي تليها.

وقد كنى عن مجتمع النصارى بـ (الكنيسة) Ecclesia وتعني (المجمع) في الإغريقية، بمعنى المحل الذي يجتمع فيه المواطنون. فكنى بها عن المؤمنين وعن الجماعة التابعة للمسيح. كما عبر عن النصارى بـ (الفقراء) وبـ (الأصدقاء) [١٢].

وقد عرف النصارى بـ Christians نسبةً إلى Christos اليونانية التي تعني (المسيح) Messiah، أيْ المنتظر المخلص الذي على يديه يتم خلاص الشعب المختار. ويسوع هو المسيح، أي المنتظر المخلص الذي جاء للخلاص كما جاء في عقيدة أتباعه، ولذلك قيل لهم

---

(١) البيت من شواهد اللسان(قلق)، (ودن)، (وضن)، وتاج العروس(قلق)، (وضن)، وهو بلا نسبة فيهما. والوضين: حزام الناقة.

(٢) النصرانية وآدابها، القسم الثاني، الجزء الثاني، القسم الأول (ص ١٧١، ٢٢٥)، شعراء النصرانية (١٩٠)، المشرق، السنة السابعة ١٩٠٤، (٦٢٠ وما بعدها).

(٣) الأغاني (١٠٤/١٦)، النصرانية وآدابها، القسم الثاني، الجزء الثاني، القسم الأول (١٧١، ٢٢٥).

(٤) المشرق، السنة السابعة :١٩٠٤ (٦٢٠ وما بعدها).

(٥) ديوان حسان: ٢٤.

(٦) Hastings, p. ١٩٢.

(٧) إنجيل مرقس: الإصحاح الثاني، الآية ١٨.

(٨) Hastings, p. ١٠٤.

(٩) أعمال الرسل، الإصحاح الأول، الآية ١٥ وما بعدها، Ency. Reli. Ethic. , ٣, p. ٥٧٣.

(١٠) رسالة بولس الرسول، الرسالة الأولى إلى أهل كورنتوس، الإصحاح الأول، الآية الأولى ما بعدها.

(١١) أعمال الرسل: الإصحاح الخامس، الآية ١٤، رسالة بولس الرسول إلى أهل أفسس، الإصحاح الأول، الآية الأولى وما بعدها.

(١٢) Ency. Reli. Ethic. , ٣, p. ٥٧٤.

أتباع المسيح. فأطلقت عليهم اللفظة اليونانية، وعُرفوا بها، تمييزاً لهم عن اليهود. وقد وردت الكلمة في أعمال الرسل وفي رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنتوس[١].

أما في القرآن الكريم وفي الأخبار، فلم ترد هذه اللفظة اليونانية الأصل. ولهذا نجد أن العربية اقتصرت على إطلاق (نصارى) و(نصراني) و(نصرانية) على النصارى تمييزاً لهم عن أهل الأديان الأخرى. أما مصطلح (عيسوي) و(مسيحي)، فلم يُعرفا في المؤلفات العربية القديمة وفي الشعر الجاهلي، فهما من المصطلحات المتأخرة التي أطلقت على النصارى[٢]، وقد قصد في القرآن الكريم بـ (أهل الإنجيل)[٣] النصارى، إذ لا يعترف اليهود بالإنجيل، وقد أدخل علماء اللغة اللفظة في المعربات[٤].

وأهم علامة فارقة ميزت نصارى عرب الجاهلية عن العرب الوثنيين، هي أكل النصارى للخنازير، وحملهم الصليب وتقديسه، ورد أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم- قال لراهبيْن أتياه من نجران، فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أسلما تسلما، فقالا: قد أسلمنا قبلك، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: كذبتما منعكما من الإسلام ثلاث، سجودكما للصليب، وقولكما: إتخذ الله ولداً، وشربكما الخمر، فقالا: فما تقول في عيسى ؟، قال: فسكت النبي صلى الله عليه وسلم ونزل القرآن ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم إلى قوله: أبناءنا وأبناءكم قال: فدعاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الملاعنة قال: وجاء بالحسن والحسين وفاطمة أهله وولده، قال: فلما خرجا من عنده، قال أحدهما لصاحبه: أقرر بالجزية ولا تلاعنه، قال: فرجعا، فقالا: نقر بالجزية ولا نلاعنك، قال: فإقرأ بالجزية"[٥].

وقد روي عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ، قَالَ: "أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِي عُنُقِي صَلِيبٌ مِنْ ذَهَبٍ. فَقَالَ: "يَا عَدِيُّ اطْرَحْ عَنْكَ هَذَا الوَثَنَ"، وَسَمِعْتُهُ يَقْرَأُ فِي سُورَةِ بَرَاءَةٌ: {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ} [التوبة: ٣١]، قَالَ: "أَمَا إِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَعْبُدُونَهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا أَحَلُّوا لَهُمْ شَيْئًا اسْتَحَلُّوهُ، وَإِذَا حَرَّمُوا عَلَيْهِمْ شَيْئًا حَرَّمُوهُ""[٦].

وورد في شعر ذي الرّمة[٧]:

ولكنَّ أصل امرىء القيس معشرٌ ... يحل لهم أكل الخنازير والخمر

يريد أنّهم نصارى في الأصل، فهم يختلفون عن المسلمين في أكلهم لحم الخنزير وفي شربهم الخمر[٨].

وقد أقسم النصارى بالصليب. هذا «عدي بن زيد» يحلف به في شعر ينسب اليه، فيقول[٩]:

سَعى الأَعداءُ لا يَألونَ شَرّاً ... عَلَيكَ وَرَبِّ مَكَّةَ وَالصَليبِ

قوله تعالى:{مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ} [المائدة: ٦٩]، أي:" مَنْ آمن من هؤلاء المذكورين إيماناً صحيحاً خالصاً لا يشوبه ارتيابٌ بالله وباليوم الآخر"[١٠].

أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس: قوله: "{من آمن بالله}، يعني: من وحد الله"[١١].

---

(١) أعمال الرسل: الإصحاح الحادي عشر: الآية ٢٦، الإصحاح ٢٦، الآية ٢٨، رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنتس: الإصحاح الرابع، الآية ١٦، ١٢٧ .Hastings, p.

(٢) .Hughes, Dictionary of Islam, p. ٤٣١

(٣) المائدة، الآية ٤٧.

(٤) النهاية في غريب الحديث (٤/ ١٣٦)، المعرب، للجوالقي (٢٣).

(٥)أحمد بن حنبل - فضائل الصحابة - فضائل الحسن والحسين١٣٣٢ ، وانظر: البلاذري (٧١).

(٦) سنن الترمذي ت شاكر ٥/ ٢٧٨ ، وانظر: اللسان (٤٤٣/١٣)، (وثن)، السيوطي، الدرر المنثور (١٠/ ٧٥).

(٧) النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية: ٥٧.

(٨) انظر: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ،جواد علي :٤٠١٠.

(٩) الأغاني: ٢٤/٢، وانظر: شيخو، شعراء النصرانية (٤٥١).

(١٠) صفوة التفاسير:٣٢٩.

(١١) تفسير ابن أبي حاتم(٦٤٦):ص١٢٨/١.

قال البغوي: المعنى:" آمنوا بالقلب، وقيل: الذين آمنوا على حقيقة الإيمان من آمن بالله، أي: ثبت على الإيمان"(١).

قال الراغب:" إن قيل: كيف قال: {من آمن منهم بالله} و{من} يدل على ما تقدم، وتقديره: من آمن من المؤمنين ومن الذين هادوا، وذلك خلف من الكلام؟

قيل في ذلك وجهان:

أحدهما: أن معنى قوله: {إن آلذينءامنوا}: أظهروا الإيمان وأمنوا من القتل والسبي وهم الموصوفون بقوله: { مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ} [المائدة: ٤١].

وقوله: {منءامن منهم}، أي: من يحقق الإيمان فبين أن المظهر للإيمان، والذين ما داموا فيهم ممن ذكرهم، لا يسقط عنهم الخوف والحزن في الدارين ما لم يتحققوا بتصديق الله، والإيمان بالمعاد، والتحري لمصالح الأعمال.

والثاني: أن قوله: {منءامن بالله} راجع إلى قوله: {والذين هادوا والصابئون}، دون قوله: {إن الذينءامنوا}"(٢).

وقال الزمخشري:" فان قلت: كيف قال: {الذين آمنوا}، ثم قال: {من آمن}؟ قلت: فيه وجهان، أحدهما: أن يراد بالذين آمنوا: الذين آمنوا بألسنتهم وهم المنافقون وأن يراد بمن آمن. من ثبت على الإيمان واستقام ولم يخالجه ريبة فيه"(٣).

قوله تعالى:{وَعَمِلَ صَالِحًا} [المائدة: ٦٩]، " أي: وعمل بطاعة الله في دار الدنيا"(٤).

قال البيضاوي: أي:" عاملاً بمقتضى شرعه"(٥).

قال أبو حيان:" هو عام في جميع أفعال الصلاح وأقوالها وأداء الفرائض، أو التصديق بمحمد صلى الله عليه وسلم"(٦).

قوله تعالى:{فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ} [المائدة: ٦٩]، أي:" فلا خوف عليهم من أهوال يوم القيامة"(٧).

قال الصابوني:"أي: ليس على هؤلاء المؤمنين خوف في الآخرة، حين يخاف الكفار من العقاب"(٨).

قال الثعلبي:" فيما قدّموا"(٩).

قال البيضاوي: " حين يخاف الكفار من العقاب"(١٠).

قال الطبري:أي:"ولا خوف عليهم فيما قدموا عليه من أهوال القيامة"(١١).

وقرأ الجمهور: {وَلَا خَوْفٌ}، بالرفع والتنوين. وقرأ الحسن: {ولا خوفَ}، من غير تنوين(١٢).

قوله تعالى:{وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} [المائدة: ٦٩]، أي:" ولا هم يحزنون على ما تركوه وراءهم في الدنيا"(١٣).

قال الثعلبي:" على ما خلّفوا"(١).

---

(١) تفسير البغوي:٨١/٣.
(٢) تفسير الراغب الأصفهاني:٤٠٤/٥.
(٣) الكشاف:٦٦١/١.
(٤) صفوة التفاسير: ٥٥/١.
(٥) تفسير البيضاوي: ٨٥/١.
(٦) البحر المحيط:٢٠٥/١.
(٧) التفسير الميسر:٣٢٩.
(٨) صفوة التفاسير: ٥٥/١.
(٩) تفسير الثعلبي: ٢١٠/١.
(١٠) تفسير البيضاوي: ٨٥/١.
(١١) تفسير الطبري:١٥٠/٢.
(١٢) أنظر: البحر المحيط: ٢٠٥/١.
(١٣) التفسير الميسر:٣٢٩.

قال البيضاوي: حين "يحزن المقصرون على تضييع العمر وتفويت الثواب"[٢].

قال الطبري:" ولا هم يحزنون على ما خلفوا وراءهم من الدنيا وعيشها، عند معاينتهم ما أعد الله لهم من الثواب والنعيم المقيم عنده"[٣].

قال ابن عثيمين:" لأنهم انتقلوا إلى خير منها؛ أما الكافر فيحزن على ما فرط في الحياة الدنيا، ويتحسر، كما قال تعالى: {وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون * واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون * أن تقول نفس يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله} [الزمر: ٥٤-٥٦]: هذا تحزُّن، وتحسُّر"[٤].

قال الشيخ السعدي:" يخبر تعالى عن أهل الكتب من أهل القرآن والتوراة والإنجيل، أن سعادتهم ونجاتهم في طريق واحد، وأصل واحد، وهو الإيمان بالله واليوم الآخر والعمل الصالح، فمن آمن منهم بالله واليوم الآخر، فله النجاة، ولا خوف عليهم فيما يستقبلونه من الأمور المخوفة، ولا هم يحزنون على ما خلفوا منها. وهذا الحكم المذكور يشمل سائر الأزمنة"[٥].

الفوائد:

١- من فوائد الآية: أن العبرة بالإيمان والعمل الصالح وترك الشرك والمعاصي لا بالإنتساب إلى دين من الأديان.

٢-ومنها: أن الله سبحانه وتعالى لا يظلم أحداً، فكل من آمن بالله واليوم الآخر، فإن له أجره من أيّ صنف كان.

٣- ومنها: ثمرة الإيمان بالله، واليوم الآخر، وهو حصول الأجر، وانتفاء الخوف مما يستقبل، والحزن على ما مضى.

٤- ومنها: أنه لا فرق في ذلك بين جنس وآخر؛ فالذين هادوا، والنصارى، والصابئون مثل المؤمنين إذا آمنوا بالله، واليوم الآخر . وإن كان المؤمنون من هذه الأمة يمتازون على غيرهم بأنهم أكثر أجراً.

القرآن

{لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ (٧٠)} [المائدة: ٧٠]

التفسير:

لقد أخذنا العهد المؤكَّد على بني إسرائيل في التوراة بالسمع والطاعة، وأرسلنا إليهم بذلك رسلنا، فَنَقَضوا ما أُخذ عليهم من العهد، واتبعوا أهواءهم، وكانوا كلما جاءهم رسول من أولئك الرسل بما لا تشتهيه أنفسهم عادَوْه: فكذبوا فريقًا من الرسل، وقتلوا فريقًا آخر.

قوله تعالى:{لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ} [المائدة: ٧٠]، أي:" لقد أخذنا العهد المؤكَّد على بني إسرائيل في التوراة بالسمع والطاعة"[٦].

قال أبو العالية:" أخذ مواثيقهم أن يخلصوا له ولا يعبدوا غيره"[٧].

قال مقاتل:" في التوراة على أن يعملوا بما فيها"[٨].

قال الزمخشري:" لقد أخذنا ميثاقهم بالتوحيد"[١].

---

(١) تفسير الثعلبي: ٢١٠/١.
(٢) تفسير البيضاوي: ٨٥/١.
(٣) تفسير الطبري:١٥٠/٢.
(٤) تفسير ابن عثيمين:٢٢٣/١.
(٥) تفسير السعدي:٢٣٩.
(٦)التفسير الميسر:١١٩.
(٧) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٦٣٤):ص١١٧٧/٤.
(٨) تفسير مقاتل بن سليمان:٤٩٤/١.

قال القرطبي:" الميثاق:هو ألا يعبدوا إلا الله، وما يتصل به"[٢].
قال الطبري: المعنى:" أقسم: لقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل على الإخلاص في توحيدنا، والعمل بما أمرناهم به، والانتهاء عما نهيناهم عنه"[٣].
قوله تعالى:{وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا} [المائدة: ٧٠]، أي:" وأرسلنا إليهم بذلك رسلنا"[٤].
قال الزمخشري:" ليقفوهم على ما يأتون وما يذرون في دينهم"[٥].
قال البيضاوي:أي:" ليذكروهم وليبينوا لهم أمر دينهم"[٦].
قال السعدي:" يتوالون عليهم بالدعوة، ويتعاهدونهم بالإرشاد، ولكن ذلك لم ينجع فيهم، ولم يفد"[٧].
قال القرطبي: "المعنى: لا تأس على القوم الكافرين فإنا قد أعذرنا إليهم، وأرسلنا الرسل فنقضوا العهود، وكل هذا يرجع إلى ما افتتحت به السورة وهو قوله:{أوفوا بالعقود}[المائدة: ١] "[٨].
قوله تعالى:{كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ} [المائدة: ٧٠]، أي:" كلما جاءهم رسول من أولئك الرسل بما يخالف أهواءهم وشهواتهم"[٩].
قال الطبري:أي:" كلما جاءهم رسول لنا بما لا تشتهيه نفوسهم ولا يوافق محبَّتهم"[١٠].
قال الزمخشري:أي" بما يخالف هواهم ويضاد شهواتهم من مشاق التكليف والعمل بالشرائع"[١١].
وقال السدي:" لما جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم عارضوه بالتوراة وخاصموه"[١٢].
قال ابن عباس:" ما رد عليهم من التوراة مع الإنجيل الذي أخذه الله إليه ثم ذكر كفرهم بذلك كله، ثم قال: {كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون}"[١٣].
قوله تعالى:{فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ} [المائدة: ٧٠]، أي:" فكذبوا فريقًا من الرسل، وقتلوا فريقًا آخر"[١٤].
قال مقاتل:" يعني: اليهود كذبوا بطائفة من الرسل وقتلوا طائفة من الرسل يعني زكريا ويحيى في بني إسرائيل"[١٥].
قال المحاسبي:أي:" وفريقا يقتلون فريقا كلا الكَلِمَتَيْنِ مُقَدّمَة مؤخرة"[١٦].
قال الشوكاني:أي:" فريقا منهم كذبوهم ولم يتعرضوا لهم بضرر، وفريقا آخر منهم قتلوهم"[١٧].

---

(١) الكشاف:٦٦٢/١.
(٢) تفسير القرطبي:٢٤٧/٦.
(٣) تفسير الطبري:٤٧٧/١٠.
(٤)التفسير الميسر:١١٩.
(٥) الكشاف:٦٦٢/١.
(٦) تفسير البيضاوي:١٣٧/٢.
(٧) تفسير السعدي:٢٣٩.
(٨) تفسير القرطبي:٢٤٧/٦.
(٩) صفوة التفاسير:٣٢٩.
(١٠) تفسير الطبري:٤٧٧/١٠.
(١١) الكشاف:٦٦٢/١.
(١٢) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٦٣٥):ص١١٧٧/٤.
(١٣) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٦٣٦):ص١١٧٧/٤.
(١٤) التفسير الميسر:١١٩.
(١٥) تفسير مقاتل بن سليمان:٤٩٤/١.
(١٦) فهم القرآن:٤٨٥.
(١٧) فتح القدير:٧٢/٢.

قال الطبري:أي:" كذّبوا منهم فريقًا، ويقتلون منهم فريقًا، نقضًا لميثاقنا الذي أخذناه عليهم، وجرأة علينا وعلى خلاف أمرنا"(١).

قال الزجاج:" المعنى كلما جاءهم رسول كذبوا فريقا وقتلوا فريقا، أما التكذيب فاليهود والنصارى مشتركة فيه، وأما القتل فكانت إليهود خاصة – دون النصارى - يقتلون الأنبياء، وكانت الرسل على ضربين، رسل تأتي بالشرائع والكتب نحو موسى وعيسى وإبراهيم ومحمد - صلى الله عليهم وسلم -، فهؤلاء معصومون من الخلق، لم يوصل إلى قتل واحد منهم، ورسل تأتي بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والحث على التمسك بالدين نحو يحيى وزكريا - صلى الله عليهما وسلم"(٢).

قال القرطبي:" أي: كذبوا فريقا وقتلوا فريقا، فمن كذبوه عيسى ومن مثله من الأنبياء، وقتلوا زكريا ويحيى وغيرهما من الأنبياء. وإنما قال:{يقتلون} لمراعاة رأس الآية. وقيل: أراد فريقا كذبوا، وفريقا قتلوا، وفريقا يكذبون وفريقا يقتلون، فهذا دأبهم وعادتهم فاختصر. وقيل: فريقا كذبوا لم يقتلوهم، وفريقا قتلوهم فكذبوا. و{يقتلون}، نعت لفريق"(٣).

قال الزمخشري:" فإن قلت: لم جيء بأحد الفعلين ماضيا «٢» وبالآخر مضارعا؟ قلت: جيء يقتلون على حكاية الحال الماضية استفظاعا للقتل واستحضارا لتلك الحال الشنيعة للتعجب منها"(٤).

قال البيضاوي:" وإنما جيء بـ{يقتلون}، موضع «قتلوا»، على حكاية الحال الماضية استحضارا لها واستفظاعا للقتل، وتنبيها على أن ذلك من ديدنهم ماضيا ومستقبلا ومحافظة على رؤوس الآي"(٥).

الفوائد:

١- بيان تاريخ بني إسرائيل، والكشف عن مختبئات جرائمهم من الكفر والقتل.

٢-أن عقيدة اليهود: الكفر برسل الله، والوقاحة الدائمة مع رسل الله، واتهام رسل الله، وتقتيل رسل الله، إنهم كما قال الله: {لقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل وأرسلنا إليهم رسلا كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون} [المائدة: ٧٠].

تأمل فريقا كذبوا وفريقا يقتلون كما قال الله عنهم: {أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون} [البقرة: ٨٧].

ويلاحظ هنا استعمال أداة العموم، والتكرار كلما تعبيرا عن اطراد اليهود على التكذيب، أو القتل للرسل إذا جاءهم بما لا تهوى أنفسهم الضالة فكم من رسل قتلوهم، وكم من رسل كذبوهم، وكم من رسل شنعوا عليهم واتهموهم، وهذا سيدنا عيسى -عليه السلام- نال منهم حظا وافرا حين اتهموه -عليه السلام- بأنه ابن زنا -والعياذ بالله- اتهموه مع أمه اتهموا مريم الطاهرة البتول بأنها زانية، وأن عيسى -عليه السلام- هو ابن زنا، فنعى الله -عز وجل- عليهم هذا في قوله سبحانه: {وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما * وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا} [النساء: ١٥٦، ١٥٧].

سبحان الله ما هذا الافتراء على الله، وما هذا الكذب على رسل الله، بل قتل الأنبياء ما هذه الاتهامات؟ ما هذه الخسائس، وتلك الشناعات؟

وأما موقف اليهود من نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم، فأي أمة في التاريخ بلغت في النكالة، والإفك مبلغ هؤلاء اليهود حين فعلوا هذا مع أنبياء الله ورسله؟ وحين تعنتوا معهم، وتعنتوا مع سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم- تعنتوا معه في الأسئلة فكما قال الله: {يسألك أهل

---

(١) تفسير الطبري:٤٧٧/١٠.
(٢) معاني القرآن:١٩٤/٢-١٩٥.
(٣) تفسير القرطبي:٢٤٧/٦.
(٤) الكشاف:٦٦٢/١-٦٦٣.
(٥) تفسير البيضاوي:١٣٧/٢.

الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات فعفونا عن ذلك وآتينا موسى سلطانا مبينا} [النساء: ١٥٣] فكذبوا رسول الله، وأرادوا قتله عشرات المرات، ولكن الله -عز وجل- عصمه منهم.

وأخبر تعالى بقوله: {وهموا بما لم ينالوا} [التوبة: ٧٤] وقال في حق نبيه -عليه الصلاة والسلام- : {والله يعصمك من الناس} [المائدة: ٦٧] وأصروا على موقفهم بل على كفرهم، وأبوا أن يؤمنوا بالنبي محمد -صلى الله عليه وآله وسلم- فقال الله عنهم: {ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم} بالبقرة: ١٢٠].

استبان الحق لهم واضحا، فأبوا أن يتبعوه مع وضوحه وضوح الشمس حتى قال الله -عز وجل- لنبيه -عليه الصلاة والسلام-: {ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك وما أنت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم إنك إذا لمن الظالمين} [البقرة: ١٤٥]، ولم يكتفوا بهذا، بل راحوا يجاهدون أو يقاتلون باطلا لردة الناس عن دينهم {ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا} [البقرة: ٢١٧].

إنهم اتخذوا كل الوسائل في تكذيب النبي محمد -صلى الله عليه وسلم- كما كذبوا رسلا من قبله، وحاولوا قتله، كما قتلوا رسلا من قبله حتى وصموا بهذه الصفة، ولازمتهم تلك الذلة والمسكنة حين قال الله: {ضربت عليهم الذلة أين ما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس وباءوا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون} [آل عمران: ١١٢].

وحين طالبهم النبي -عليه الصلاة والسلام- بالإيمان به ردوا قائلين كما قال القرآن: {الذين قالوا إن الله عهد إلينا ألا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم إن كنتم صادقين} [آل عمران: ١٨٣] ومن ثم أبوا أن يؤمنوا بالنبي محمد -صلى الله عليه وسلم- وهو النبي الخاتم المذكور في توراتهم، والمصرح به كما سنذكر ذلك بعد قليل إن شاء الله -تبارك وتعالى.

إذا فهم مع الإيمان بالرسل على نحو ما ذكرنا، ولهم دور كبير مع النبي محمد عليه الصلاة والسلام في المجادلة واللجاج، والتعنت في الأسئلة وفي المواقف، وفي كل شيء؛ ولذلك حكى القرآن الكريم هذا عنهم فيما ذكروه من أسئلة ومجادلات مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وفيما وقع منهم من فساد؛ فجدالهم لم ينقطع، واستهزاؤهم بالدين لم ينته، أذكر من هذا على سبيل المثال لا الحصر؛ المجادلات، والمخاصمات الكلامية التي أرادوا من ورائها الطعن في الإسلام، ونبي الإسلام -عليه الصلاة والسلام- فجادلوا في نبوة النبي محمد -عليه الصلاة والسلام- بقصد الطعن فيها، وصرحوا بأن محمدا -صلى الله عليه وسلم- ليس هو النبي المنتظر التي بشرت به الكتب السماوية بعد أن عرفوا صدقه، كما يعرفون أبناءهم.

ولم يكتف اليهود بكل هذا؛ فبعد فشلهم في هذه المجادلات، وتلك المحاولات راحوا ينقضون المعاهدات، ويدبرون المؤامرات، ويقاتلون رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كما حدث هذا في بني قينقاع، وبنو النضير، وبنو قريظة، ولهم أحابيل شيطانية، حاولوا بها تفريق الكلمة، وتمزيق الأمة، وإشاعة البغضاء بين الأوس والخزرج مرة، وبين المهاجرين والأنصار أخرى، عاهدهم النبي -عليه الصلاة والسلام- معاهدة عدل وبر، وقسط ورحمة، ومع ذلك نقضوا عهود، فهم اليهود قتلة الأنبياء، نقضة العهود، وكما قال القائل: لو تركت الحمر نهيقها، والكلاب نباحها، والحيات لدغها ما ترك اليهود نقضهم للعهود؛ فقد كانت مواقفهم مع أنبياء الله ورسله بصفة عامة، كما حكاه القرآن {كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون} [المائدة: ٧٠].

ومع رسول الله محمد -صلى الله عليه وسلم- بصفة خاصة على نحو ما أسلفنا من المجادلات والمحاولات، ونقض المعاهدات، وتدبير المؤامرات، واستمر ذلك بعد النبي -عليه الصلاة والسلام- وإلى هذا العصر الحديث.

القرآن

{وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا وَصَمُّوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (٧١)} [المائدة: ٧١]

التفسير:

وظنَّ هؤلاء العُصاة أن الله لن يأخذهم بالعذاب جزاء عصيانهم وعُتُوِّهم، فمضوا في شهواتهم، وعمُوا عن الهدى فلم يبصروه، وصَمُّوا عن سماع الحقِّ فلم ينتفعوا به، فأنزل الله بهم بأسه، فتابوا فتاب الله عليهم، ثم عَمِي كثيرٌ منهم، وصمُّوا، بعدما تبين لهم الحقُّ، والله بصير بأعمالهم خيرها وشرها وسيجازيهم عليها.

قوله تعالى:{وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ} [المائدة: ٧١]، أي:" وظنَّ هؤلاء العُصاة أن الله لن يأخذهم بالعذاب جزاء عصيانهم وعُتُوِّهم"(١).

قال قتادة:" يقول: حسب القوم أن لا يكون بلاءٌ {فعموا وصموا}، كلما عرض بلاء ابتلوا به، هلكوا فيه"(٢).

قال السدي:" يقول: حسبوا أن لا يبتلوا"(٣).

قال الحسن:" {فتنة}: بلاء"(٤).

وقال ابن عباس:" {فتنة}: الشرك"(٥).

قال عبد الله بن كثير: "هذه الآية لبني إسرائيل، و{الفتنة}، البلاء والتَّمحيص"(٦).

قال ابن كثير:" أي: وحسبوا ألا يترتب لهم شر على ما صنعوا"(٧).

قال الطبري:أي:" وظن هؤلاء الإسرائيليون الذين وصف تعالى ذكره صفتهم: أنه أخذ ميثاقهم: وأنه أرسل إليهم رسلا وأنهم كانوا كلما جاءهم رسولٌ بما لا تهوى أنفسهم كذّبوا فريقًا وقتلوا فريقًا، أن لا يكون من الله لهم ابتلاء واختبارٌ بالشدائد من العقوبات بما كانوا يفعلون"(٨).

قال القرطبي:" المعنى، ظن هؤلاء الذين أخذ عليهم الميثاق أنه لا يقع من الله عز وجل ابتلاء واختبار بالشدائد، اغترارا بقولهم: نحن أبناء الله وأحباؤه، وإنما اغتروا بطول الإمهال"(٩).

قال البيضاوي:" أي: وحسب بنو إسرائيل أن لا يصيبهم بلاء وعذاب بقتل الأنبياء وتكذيبهم"(١٠).

قرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي: "وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونُ" بالرفع، وأضاف ابن الجزري: خلفًا ويعقوب، وقرأ الباقون: {أَلَّا تَكُونَ} بالنصب، ولم يختلفوا فى رفع {فتنة}(١١).

قوله تعالى:{فَعَمُوا وَصَمُّوا} [المائدة: ٧١]، أي:" فمضوا في شهواتهم، وعمُوا عن الهدى فلم يبصروه، وصَمُّوا عن سماع الحقِّ فلم ينتفعوا به"(١٢).

قال السدي:" فعموا عن الحق وصمُّوا"(١٣).

---

(١) التفسير الميسر:١٢٠.
(٢) أخرجه الطبري(١٢٢٨٨):ص١٠/٤٧٩.
(٣) أخرجه الطبري(١٢٢٨٩):ص١٠/٤٧٩.
(٤) أخرجه الطبري(١٢٢٩٠):ص١٠/٤٧٩.
(٥) أخرجه الطبري(١٢٢٩١):ص١٠/٤٧٩.
(٦) أخرجه الطبري(١٢٢٩٣):ص١٠/٤٨٠.
(٧) تفسير ابن كثير:٣/١٥٧.
(٨) تفسير الطبري:١٠/٤٧٨.
(٩) تفسير القرطبي:٦/٢٤٧.
(١٠) تفسير البيضاوي:٢/١٣٧.
(١١) انظر: السبعة في القراءات:٢٤٧.
(١٢) التفسير الميسر:١٢٠.
(١٣) أخرجه الطبري(١٢٢٨٩):ص١٠/٤٧٩.

قال الزجاج:" هذا مثل، تأويله أنهم لم يعملوا بما سمعوا ولا بما رأوا من الآيات، فصاروا كالعمى الصم"(١).

قال القرطبي:" {فعموا}، أي: عن الهدى. {وصموا}، أي: عن سماع الحق، لأنهم لم ينتفعوا بما رأوه ولا سمعوه"(٢).

قال البيضاوي:" أي: فعموا عن الدين أو الدلائل والهدى. وصموا عن استماع الحق كما فعلوا حين عبدوا العجل"(٣).

قال ابن كثير:" فترتب [لهم الشر]، وهو أنهم عموا عن الحق وصَمُّوا، فلا يسمعون حقًا ولا يهتدون إليه "(٤).

قال الطبري:أي:" فعموا عن الحق والوفاء بالميثاق الذي أخذته عليهم، من إخلاص عبادتي، والانتهاء إلى أمري ونهيي، والعمل بطاعتي، بحسبانهم ذلك وظنهم، {وصموا} عنه"(٥).

قوله تعالى:{ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ} [المائدة: ٧١]، أي:" فأنزل الله بهم بأسه، فتابوا فتاب الله عليهم"(٦).

قال البيضاوي:" أي: ثم تابوا فتاب الله عليهم"(٧).

قال ابن كثير:" أي: مما كانوا فيه "(٨).

قال القرطبي: "في الكلام إضمار، أي أوقعت بهم الفتنة فتابوا فتاب الله عليهم بكشف القحط، أو بإرسال محمد صلى الله عليه وسلم يخبرهم بأن الله يتوب عليهم إن آمنوا، فهذا بيان{ تاب الله عليهم}، أي: يتوب عليهم إن آمنوا وصدقوا لا أنهم تابوا على الحقيقة"(٩).

قوله تعالى:{ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ} [المائدة: ٧١]، أي:" ثم عَمِي كثيرٌ منهم، وصمُّوا، بعدما تبين لهم الحقُّ"(١٠).

قال القرطبي:" أي: عمي كثير منهم وصم بعد تبين الحق لهم بمحمد عليه الصلاة والسلام"(١١).

قال البيضاوي:" أي: ثم عموا وصموا كرة أخرى"(١٢).

وقرئ:« عموا وصموا» بالضم فيهما، على أن الله تعالى عماهم وصممهم، أي: رماهم بالعمى والصمم، وهو قليل واللغة الفاشية أعمى وأصم(١٣).

وقوله:{كثير منهم}، بدل من الضمير، أو فاعل والواو علامة الجمع كقولهم: «أكلوني البراغيث»(١٤)، أو خبر مبتدأ محذوف، أي: العمى والصم كثير منهم، وقيل: مبتدأ والجملة قبله خبره وهو ضعيف، لأن تقديم الخبر في مثله ممتنع(١٥).

---

(١) معاني القرآن:١٩٥/٢.
(٢) تفسير القرطبي:٢٤٨/٦.
(٣) تفسير البيضاوي:١٣٧/٢.
(٤) تفسير ابن كثير:١٥٧/٣.
(٥) تفسير الطبري:٤٧٨/١٠-٤٧٩.
(٦) التفسير الميسر:١٢٠.
(٧) تفسير البيضاوي:١٣٧/٢.
(٨) تفسير ابن كثير:١٥٧/٣.
(٩) تفسير القرطبي:٢٤٨/٦.
(١٠) التفسير الميسر:١٢٠.
(١١) تفسير القرطبي:٢٤٨/٦.
(١٢) تفسير البيضاوي:١٣٧/٢.
(١٣) انظر:تفسير البيضاوي:١٣٧/٢.
(١٤) .
(١٥) انظر: تفسير البيضاوي:١٣٧/٢.

قوله تعالى:{وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ} [المائدة: ٧١]، أي:" والله بصير بأعمالهم خيرها وشرها وسيجازيهم عليها"(١).

قال البيضاوي:" فيجازيهم على وفق أعمالهم"(٢).

قال ابن كثير:" أي: مطلع عليهم وعليم بمن يستحق الهداية ممن يستحق الغواية "(٣).

الفوائد:

١- إكرام الله تعالى لبني إسرائيل ولطفه بهم مع تمردهم عليه ورفض ميثاقه وقتل أنبيائه وتكذيبهم، والمكر بهم.

٢-ومن اسماءه سبحانه وتعالى: «البصير»: وهو المبصر، «فعيل»، بمعنى: «مفعل»، كقولهم، أليم: بمعنى: مؤلم، وكقول عمرو بن معد يكرب(٤):

أمن ريحانة الداعي السميع يؤرقني وأصحابي هجوع

يريد: المسمع. ويقال: البصير: العالم بخفيات الأمور(٥).

و{الْبَصِيرُ}، يعني: المدرك لجميع المبصرات، ويطلق البصير بمعنى العليم، فالله سبحانه وتعالى بصير، يرى كل شيء وإن خفي، وهو سبحانه بصير بمعنى: عليم بأفعال عباده، قال تعالى: {وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} [الحجرات: ١٨]، والذي نعمل بعضه مرئي وبعضه غير مرئي، فبصر الله إذاً ينقسم إلى قسمين، وكله داخل في قوله: {الْبَصِيرُ}(٦).

قال الشيخ ابن عثيمين:" فأهل السنة والجماعة يؤمنون بانتفاء المماثلة عن الله، لأنها عيب ويثبتون له السمع والبصر، لقوله تعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الشورى: ١١].

وإيمان الإنسان بذلك يثمر للعبد أن يعظمه غاية التعظيم، لأنه ليس مثله أحد من المخلوقات، فتعظم هذا الرب العظيم الذي لا يماثله أحد، وإلا، لم يكن هناك فائدة من إيمانك بأنه {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ}"(٧).

القرآن

{لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (٧٢)} [المائدة: ٧٢]

التفسير:

يقسم الله تعالى بأن الذين قالوا: إن الله هو المسيح بن مريم، قد كفروا بمقالتهم هذه، وأخبر تعالى أن المسيح قال لبني إسرائيل: اعبدوا الله وحده لا شريك له، فأنا وأنتم في العبودية سواء. إنه من يعبد مع الله غيره فقد حرَّم الله عليه الجنة، وجعل النار مُستَقَرَّه، وليس له ناصرٌ يُنقذُه منها.

سبب النزول:

قال مقاتل:" نزلت فى نصارى نجران المار يعقوبيين منهم السيد والعاقب وغيرهما قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم"(١).

---

(١) التفسير الميسر:١٢٠.

(٢) تفسير البيضاوي:١٣٧/٢.

(٣) تفسير ابن كثير:١٥٧/٣.

(٤)وهو مطلع الأصمعية رقم (٦١)، وأبياتها (٣٧) بيتا لعمرو بن معد يكرب الزبيدي، وفي الكامل ١/ ١٧٢، وأمالي ابن الشجري ١/ ٦٤ و ٢/ ١٠٦، وتفسير الطبري ١/ ١٢٣، وتهذيب الأزهري ٢/ ١٢٤، والشريشي ٢/ ٢٥٨، وسرح العيون ٢٧١، وأورده ابن فارس في الصاحبي ص ٢٠١، شاهدا على السميع بمعنى: مسمع، وضعهم فعيل بمعنى مفعل، وروح المعاني ١/ ١٥٠، والشطرة في غريب القرآن ص ١٧ وانظر تفسير أسماء الله الحسنى ص ٤٣.

(٥) انظر: شأن الدعاء للخطابي:٦٠-٦١.

(٦) انظر: شرح العقيدة الواسطية، ابن عثيمين:٢٠٨/١.

(٧) شرح العقيدة الواسطية:١١٥/١.

قوله تعالى:{لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ} [المائدة: ٧٢]، أي:" أي أقسم إن هؤلاء الذين ادعوا أن الله هو المسيح بن مريم- قد كفروا"[٢].

قال ابن كثير:" يقول تعالى حاكما بتكفير فرق النصارى، من الملكية واليعقوبية والنسطورية، ممن قال منهم بأن المسيح هو الله، تعالى الله عن قولهم وتنزه وتقدس علوًا كبيرًا"[٣].

قوله تعالى:{وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ} [المائدة: ٧٢]، أي:" والحال أن المسيح قال لهم: اعبدوا الله وحده لا شريك له، فأنا وأنتم في العبودية سواء"[٤].

قال الشوكاني:" أي: والحال أنه قد قال المسيح هذه المقالة، فكيف يدعون الإلهية لمن يعترف على نفسه بأنه عبد مثلهم؟"[٥].

قال السمرقندي:" يعني: وحدوا الله وأطيعوه، ربي وربكم يعني: خالقي وخالقكم، ورازقي ورازقكم"[٦].

قال السعدي:" فأثبت لنفسه العبودية التامة، ولربه الربوبية الشاملة لكل مخلوق"[٧].

قال أبو حيان:" رد الله تعالى مقالتهم بقول من يدعون إلهيته وهو عيسى، أنه لا فرق بينه وبينهم في أنهم كلهم مربوبون، وأمرهم بإخلاص العبادة، ونبه على الوصف الموجب للعبادة وهو الربوبية. وفي ذلك رد عليهم في فساد دعواهم، وهو أن الذي يعظمونه ويرفعون قدره عما ليس له يرد عليهم مقالتهم"[٨].

قال ابن كثير:" تقدم إليهم المسيح بأنه عبد الله ورسوله، وكان أول كلمة نطق بها وهو صغير في المهد أن قال: { إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا } ولم يقل: أنا الله، ولا ابن الله. بل قال: { إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا } إلى أن قال: { وإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ } [مريم: ٣٠ - ٣٦]، وكذلك قال لهم في حال كهولته ونبوته، آمرًا لهم بعبادة الله ربه وربهم وحده لا شريك له"[٩].

قال الزمخشري:" لم يفرق عيسى عليه الصلاة والسلام بينه وبينهم في أنه عبد مربوب كمثلهم، وهو احتجاج على النصارى"[١٠].

عن ابن عباس قوله: "{اعبدوا}، أي: وحدوا ربكم"[١١].

قوله تعالى:{إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ} [المائدة: ٧٢]، أي:" وإنه من يعبد مع الله غيره فقد حرَّم الله عليه الجنة"[١٢].

قال السعدي:" فأثبت لنفسه العبودية التامة، ولربه الربوبية الشاملة لكل مخلوق"[١٣].

قال السمرقندي:" يعني: ويموت على شركه، فقد حرم الله عليه الجنة أن يدخلها"[١٤].

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان:٤٩٤/١.
(٢) تفسير المراغي:١٦٥/٦.
(٣) تفسير ابن كثير:١٥٧/٣.
(٤) تفسير المراغي:١٦٥/٦، والتفسير الميسر:١٢٠.
(٥) فتح القدير:٧٣/٢.
(٦) بحر العلوم:٤٠٨/١.
(٧) تفسير السعدي:١٣٩.
(٨) البحر المحيط:٣٢٩/٤.
(٩) تفسير ابن كثير:١٥٧/٣.
(١٠) الكشاف:٦٦٣/١.
(١١) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٦٤٢):ص١١٧٨/٤.
(١٢)التفسير الميسر:١٢٠.
(١٣) تفسير السعدي:١٣٩.
(١٤) بحر العلوم:٤٠٨/١.

قال الزمخشري:أي:" إنه من يشرك بالله في عبادته، أو فيما هو مختص به من صفاته أو أفعاله فقد حرم الله عليه الجنة التي هي دار الموحدين أى حرمه دخولها ومنعه منه، كما يمنع المحرم من المحرم عليه"(١).

قال الشوكاني:" وهذا كلام مبتدأ يتضمن بيان أن الشرك يوجب تحريم دخول الجنة وقيل: هو من قول عيسى"(٢).

قال أبو حيان:" الظاهر أنه كلام المسيح، فهو داخل تحت القول. وفيه أعظم ردع منه عن عبادته، إذ أخبر أنه من عبد غير الله منعه الله دار من أفرده بالعبادة.. . وقيل: هو من كلام الله تعالى مستأنف، أخبر بذلك على سبيل الوعيد والتهديد"(٣).

وفي الصحيح: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث مناديا ينادي في الناس: "إن الجنة لا يدخلها إلا نفس مسلمة"، وفي لفظ: "مؤمنة"(٤).

وعن عائشة-رضي الله عنها-قال -صلى الله عليه وسلم-:"الدواوين يوم القيامة ثلاثة: ديوان لا يغفره الله، وديوان لا يعبأ الله به شيئا، وديوان لا يدعه الله لشيء. فأما الديوان الذي لا يغفر ف إن الله لا يغفر أن يشرك به وقال:{إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار}"(٥).

قوله تعالى:{وَمَأْوَاهُ النَّارُ} [المائدة: ٧٢]، أي:" وجعل النار مُستَقَرَّه"(٦).

قال أبو حيان:" وجعل مأواه النار"(٧).

قال السمرقندي:" يعني: مصيره إلى النار"(٨).

قال السعدي:" وذلك لأنه سوى الخلق بالخالق، وصرف ما خلقه الله له - وهو العبادة الخالصة - لغير من هي له، فاستحق أن يخلد في النار"(٩).

قوله تعالى:{وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ} [المائدة: ٧٢]، أي:" وما للظالمين لأنفسهم بشركهم بالله من نصير ينصرهم "(١٠).

قال ابن كثير:" أي: وما له عند الله ناصر ولا معين ولا منقذ مما هو فيه"(١١).

قال الشوكاني:" ينصرونهم فيدخلونهم الجنة أو يخلصونهم من النار"(١٢).

قال السعدي:" ينقذونهم من عذاب الله، أو يدفعون عنهم بعض ما نزل بهم"(١٣).

قال السمرقندي:" يعني: ليس للمشركين من مانع يمنعهم من العذاب"(١٤).

قال الزمخشري:أي:" من كلام الله على أنهم ظلموا وعدلوا عن سبيل الحق فيما يقولوا على عيسى عليه السلام، فلذلك لم يساعدهم عليه ولم ينصر قولهم رده وأنكره، وإن كانوا معظمين له بذلك ورافعين من مقداره. أو من قول عيسى عليه السلام، على معنى: ولا ينصركم

---

(١) الكشاف:٦٦٣/١.
(٢) فتح القدير:٧٣/٢.
(٣) البحر المحيط:٣٢٩/٤.
(٤)صحيح مسلم برقم (١١١).
(٥)المسند (٢٤٠/٦).
(٦)التفسير الميسر:١٢٠.
(٧) البحر المحيط:٣٢٩/٤.
(٨) بحر العلوم:٤٠٨/١.
(٩) تفسير السعدي:١٣٩.
(١٠)تفسير المراغي:١٦٦/٦
(١١) تفسير ابن كثير:١٥٨/١.
(١٢) فتح القدير:٧٣/٢.
(١٣) تفسير السعدي:١٣٩.
(١٤) بحر العلوم:٤٠٨/١.

أحد فيما تقولون ولا يساعدكم عليه لاستحالته وبعده عن المعقول. أو ولا ينصركم ناصر في الآخرة من عذاب الله"(١).

قال أبو حيان:" ظاهره أنه من كلام عيسى، أخبرهم أنه من تجاوز ووضع الشيء غير موضعه فلا ناصر له، ولا مساعد فيما افترى وتقول، وفي ذلك ردع لهم عما انتحلوه في حقهم من دعوى أنه إله، وأنه ظلم إذ جعلوا ما هو مستحيل في العقل واجبا وقوعه، أو فلا ناصر له ولا منجي من عذاب الله في الآخرة. ويحتمل أن يكون من كلام الله تعالى، أخبر أنهم ظلموا وعدلوا عن الحق في أمر عيسى وتقولهم عليه، فلا ناصر لهم على ذلك"(٢).

الفوائد:

١- تقرير كفر النصارى بقولهم المسيح هو الله.

٢- تقرير عبودية عيسى عليه السلام لربه تعالى.

٣-بيان الشرك الوخيم الذي حذر الله منه عباده وأنكرته الرسل على أممهم وحكم الله على أهله بالخلود في النار وحرمانهم من دخول الجنة دار الأبرار.

٤- أن أعظم ما يتقى: الشرك؛ لأنه الذنب الذي لا يغفر كما قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ} [النساء: ٤٨]، وحرم الله على من أشرك به في عبادته الجنة كما قال: {إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ} [المائدة: من الآية ٧٢].

وفي الحديث عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: قال الله تعالى: "أنا أهل أن أتقى فمن اتقاني فلم يجعل معي إلها آخر فأنا أهل أن أغفر له"(٣).

وفي صحيح مسلم عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من لقي الله لا يشرك به شيئا دخل الجنة, ومن لقيه يشرك به شيئا دخل النار"(٤).

في البخاري عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم: "من مات وهو يدعوا لله ندا دخل النار"(٥).

أخرج ابن أبي حاتم عن معاذ بن جبل قال: "يحبس الناس يوم القيامة بقيع واحد فينادي مناد: أين المتقون فيقومون في كنف من الرحمن لا يحتجب الله منهم ولا يستتر، قيل: من المتقون؟ قال: قوم اتقوا الشرك وعبادة الأوثان وأخلصوا لله العبادة فيمرون إلى الجنة "(٦).

٥-أن الجنة محرمة على الكفار، لقوله تعالى: {إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار}.

وقوله: {إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط} [الأعراف: ٤٠]، وكقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي أمر الذي أمر بالمناداة به يوم حنين: "إنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة"(٧).

ويكفي في ذلك قوله تعالى: {إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء} [النساء: ٤٨]، فإننا نعلم بالضرورة أن من دخل الجنة فقد غفر الله له وعلى العكس، ولذلك قال شيخ الإسلام ابن تيمية:"ولا يدخل الجنة إلا أهل التوحيد وهم أهل «لا إله إلا الله» " . ثم قال:

---

(١) الكشاف:٦٦٣/١.

(٢) البحر المحيط:٣٢٩/٤.

(٣)رواه الترمذي (٣٣٢٨) وقال: هذا حديث حسن غريب, وسهيل ليس بالقوي في الحديث قد تفرد بهذا الحديث عن ثابت.

(٤)برقم (٩٣).

(٥)برقم (٤٤٩٧).

(٦) الدر المنثور:١٣٠/١-١٣١.

(٧)أخرجه البخاري ومسلم (١٠ / ٧٤) عن أبي هريرة وله مثله عن عمر بلفظ: " ... إلا المؤمنون"، وله شواهد فانظر :إرواء الغليل: ٩٦٣.

"ولكن لا يعذب الله أحدا حتى يبعث إليه رسولا وكما أنه لا يعذبه فلا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة مؤمنة ولا يدخلها مشرك ولا مستكبر عن عبادة ربه[١].

القرآن

{لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣)} [المائدة: ٧٣]

التفسير:

لقد كفر من النصارى من قال: إنَّ الله مجموع ثلاثة أشياء: هي الأب، والابن، وروح القدس. أما عَلِمَ هؤلاء النصارى أنه ليس للناس سوى معبود واحد، لم يلد ولم يولد، وإن لم ينته أصحاب هذه المقالة عن افترائهم وكذبهم ليُصِيبَنَّهم عذاب مؤلم موجع بسبب كفرهم بالله.

قوله تعالى:{لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ} [المائدة: ٧٣]، أي:" لقد كفر من النصارى من قال: إنَّ الله مجموع ثلاثة أشياء: هي الأب، والابن، وروح القدس"[٢].

قال مجاهد:" النصارى، يقولون: إن الله ثالث ثلاثة، وكذبوا"[٣].

وعن مجاهد أيضا:" تفرقت بنوا إسرائيل ثلاث فرق في عيسى فقالت فرقة: هو الله، وقالت فرقة هو ابن الله وقالت فرقة: هو عبد الله، ورسوله وروحه، وهي المقتصدة، ومن مسلمة أهل الكتاب"[٤].

قال السدي:" قالت النصارى: هو والمسيح وأمه، فذلك قول الله تعالى: {أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ} [سورة المائدة: ١١٦] "[٥].

وقال أبو الصخر:" هو قول اليهود: عزير ابن الله، وقول النصارى: المسيح ابن الله، فجعلوا لله تبارك وتعالى ثالث ثلاثة"[٦].

قال مقاتل:" يعنى: الملكانيين[٧]، قالوا: الله والمسيح ومريم"[٨].

قال الأخفش:" وذلك انهم جعلوا معه: عيسى ومريم"[٩].

قال الواحدي:" أيْ: ثالث ثلاثةٍ من الآلهة والمعنى: أنَّهم قالوا: اللَّهُ واحدُ ثلاثةِ آلهة: هو والمسيح ومريم فزعموا أنَّ الإِلهيَّة مشتركة بين هؤلاء الثلاثة فكفروا بذلك"[١٠].

قال الطبري:" وهذا أيضًا خبر من الله تعالى ذكره عن فريق آخر من الإسرائيليين الذين وصف صفتهم في الآيات قبل: أنه لما ابتلاهم بعد حِسْبَانهم أنهم لا يُبتلون ولا يفتنون، قالوا كفرًا بربهم وشركًا: {الله ثالث ثلاثة}، وهذا قولٌ كان عليه جماهير النصارى قبل افتراق اليعقوبية

---

(١) المجموع: ١٤ / ٤٧٦ – ٤٧٧.

(٢)التفسير الميسر:١٢٠.

(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٦٤٤):ص١١٧٨/٤.

(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٦٤٥):ص١١٧٩/٤.

(٥) أخرجه الطبري(١٢٢٩٤):ص٤٨٣/١٠.

(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٦٤٧):ص١١٧٩/٤.

(٧)الملكانية:: أصحاب ملكا الذي ظهر بأرض الروم واستولى عليها. ومعظم الروم ملكانية. قالوا: إن الكلمة اتحدت بجسد المسيح، وتدرعت بناسوته. ويعنون بالكلمة: أقنوم العلم، ويعنون بروح القدس أقنوم الحياة، ولا يسمون العلم قبل تدرعه ابنا، بل المسيح مع ما تدرع به ابن، فقال بعضهم إن الكلمة مازجت جسد المسيح، كما يمازج الخمر أو الماء اللبن.

وصرحت الملكانية بأن الجوهر غير الأقانيم، وذلك كالموصوف والصفة وعن هذا صرحوا بإثبات التثليث وأخبر عنهم القرآن {لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ}[المائدة:٧٣]، وقالت الملكانية: إن المسيح ناسوت كلي، لا جزئي، وهو قديم أزلي، من قديم أزلي، وقد ولدت مريم عليها السلام إلها أزليا، والقتل والصلب وقع على الناسوت واللاهوت معا. وأطلقوا لفظ الأبوة والبنوة على الله عز وجل وعلى المسيح ...".[انظر: الملل والنحل:٢٧/٢].

(٨) تفسير مقاتل بن سليمان:٤٩٥/١.

(٩) معاني القرآن:٢٨٦/١.

(١٠) الوجيز:٣٣٠.

والملكية والنَّسطورية، كانوا فيما بلغنا يقولون: الإله القديم جوهر واحد يعم ثلاثة أقانيم: أبًا والدًا غير مولود، وابنًا مولودًا غير والد، وزوجًا متتبَّعة بينهما"[1].

قال الراغب:" أخبر عن النسطورية[2] والملكية، فهم الذين يقولون أب وابن وروح القدس فيجعلون الله أحد الأقانيم الثلاثة، ومن أن الله هو واحد وهو سبب الموجودات"[3].

قال البغوي:" يعني: المرقوسية[4]، وفيه إضمار معناه: ثالث ثلاثة آلهة، لأنهم يقولون: الإلهية مشتركة بين الله تعالى ومريم وعيسى، وكل واحد من هؤلاء إله فهم ثلاثة آلهة، يبين هذا قوله عز وجل للمسيح: {أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله} [المائدة: ١١٦]، ومن قال: إن الله ثالث ثلاثة ولم يرد به الإلهية لا يكفر، فإن الله يقول:{ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم}[المجادلة: ٧]، وقال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بكر رضي الله عنه: "ما ظنك باثنين الله ثالثهما»[5]"[6].

قال أبن عطية:" هذه الآية إخبار مؤكد كالذي قبله، وهو عن هذه الفرقة الناطقة بالتثليث وهي فيما يقال الملكية وهم فرق منهم النسطورية وغيرهم، ولا معنى لذكر أقوالهم في كتاب تفسير، إنما الحق أنهم على اختلاف أحوالهم كفار من حيث جعلوا في الألوهية عددا ومن حيث جعلوا لعيسى عليه السلام حكما إلهيا"[7].

قال السعدي:" وهذا من أقوال النصارى المنصورة عندهم، زعموا أن الله ثالث ثلاثة: الله، وعيسى، ومريم، تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا.

وهذا أكبر دليل على قلة عقول النصارى، كيف قبلوا هذه المقالة الشنعاء، والعقيدة القبيحة؟! كيف اشتبه عليهم الخالق بالمخلوقين ؟! كيف خفي عليهم رب العالمين؟!"[8].

عن أحمد بن أبي الحواري، قال أبو سليمان الداراني: "يا أحمد والله ما حرك ألسنتهم بقولهم ثالث ثلاثة إلا هو ولو شاء لأخذ من ألسنتهم"[9].

قال الرازي:" في تفسير قول النصارى ثالث ثلاثة طريقان:

---

(١) تفسير الطبري:٤٨١/١٠-٤٨٢.

(٢) النسطورية: أصحاب نسطور الحكيم الذي ظهر في زمان المأمون، وتصرف في الأناجيل بحكم رأيه. وإضافته إليهم إضافة المعتزلة إلى هذه الشريعة. قال: إن الله تعالى واحد، ذو أقانيم ثلاثة: الوجود، والعلم، والحياة. وهذه الأقانيم ليست زائدة على الذات، ولا هي هو. واتحدت الكلمة بجسد عيسى عليه السلام، لا على طريق الامتزاج كما قالت الملكانية، ولا على طريق الظهور به كما قالت اليعقوبية، ولكن كإشراق الشمس في كوة على بلورة. وكظهور النقش في الشمع إذا طبع بالخاتم.

وأشبه المذاهب بمذهب نسطور في الأقانيم: أحوال أبي هاشم من المعتزلة، فإنه يثبت خواص مختلفة لشيء واحد، ويعني بقوله: واحد، يعني الإله. قال هو واحد بالجوهر، أي ليس هو مركبا من جنسين بل هو بسيط وواحد. ويعنى بالحياة والعلم أقنومين جوهرين، أي أصلين مبدأين للعالم. ثم فسر العلم بالنطق، والكلمة. ويرجع منتهى كلامه إلى إثبات كونه تعالى موجودا، حيا، ناطقا كما تقول الفلاسفة في حد الإنسان، إلا أن هذه المعاني تتغاير في الإنسان لكونه جوهرا مركبا، وهو جوهر بسيط غير مركب.

وبعضهم يثبت لله تعالى صفات أخر بمنزلة القدرة والإرادة ونحوهما. ولم يجعلوها أقانيم كما جعلوا الحياة والعلم أقنومين.

ومنهم من أطلق القول بأن كل واحد من الأقانيم الثلاثة: حي، ناطق، إله. وزعم الباقون أن اسم الإله لا يطلق على كل واحد من الأقانيم.

وزعموا أن الابن لم يزل متولدا من الآب، وإنما تجسد واتحد بجسد المسيح حين ولد.[انظر: الملل والنحل:٢٩/٢].

(٣) تفسير الراغب الأصفهاني:٤٠٩/٥.

(٤)ويقال لهم الملكانية. انظر: بحر العلوم:٣٦٠/١.

(٥)أخرجه البخاري في التفسير، سورة التوبة، باب "ثاني اثنين إذ هما في الغار ... " ٨ / ٣٢٥.

(٦) تفسير البغوي:٨٢/٣.

(٧) المحرر الوجيز:٢٢٢/٢.

(٨) تفسير السعدي:٢٣٩.

(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٦٤٨):ص١١٧٩/٤.

الأول: قول بعض المفسرين، وهو أنهم أرادوا بذلك أن الله ومريم وعيسى آلهة ثلاثة، والذي يؤكد ذلك قوله تعالى للمسيح أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله [المائدة: ١١٦] فقوله ثالث ثلاثة أي أحد ثلاثة آلهة، أو واحد من ثلاثة آلهة، والدليل على أن المراد ذلك قوله تعالى في الرد عليهم وما من إله إلا إله واحد وعلى هذا التقدير ففي الآية إضمار، إلا أنه حذف ذكر الآلهة لأن ذلك معلوم من مذاهبهم، قال الواحدي ولا يكفر من يقول: إن الله ثالث ثلاثة إذا لم يرد به ثالث ثلاثة آلهة، فإنه ما من شيئين إلا والله ثالثهما بالعلم، لقوله تعالى: ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم [المجادلة: ٧] .

والطريق الثاني: أن المتكلمين حكوا عن النصارى أنهم يقولون: جوهر واحد، ثلاثة أقانيم أب، وابن، وروح القدس، وهذه الثلاثة إله واحد، كما أن الشمس اسم يتناول القرص والشعاع والحرارة، وعنوا بالأب الذات، وبالابن الكلمة، وبالروح الحياة، وأثبتوا الذات والكلمة والحياة، وقالوا: إن الكلمة التي هي كلام الله اختلطت بجسد عيسى اختلاط الماء بالخمر، واختلاط الماء باللبن، وزعموا أن الأب إله، والابن إله، والروح إله، والكل إله واحد.

واعلم أن هذا معلوم البطلان ببديهة العقل، فإن الثلاثة لا تكون واحدا، والواحد، لا يكون ثلاثة، ولا يرى في الدنيا مقالة أشد فسادا وأظهر بطلانا من مقالة النصارى"[١].

قوله تعالى:{وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ} [المائدة: ٧٣]، أي:" أما عَلِمَ هؤلاء النصارى أنه ليس للناس سوى معبود واحد، لم يلد ولم يولد"[٢].

قال مقاتل:" يقول الله- عز وجل- تكذيبا لقولهم {وما من إله إلا إله واحد}"[٣].

قال الطبري:" يقول: ما لكم معبود، أيها الناس، إلا معبود واحد، وهو الذي ليس بوالد لشيء ولا مولود، بل هو خالق كل والد ومولو"[٤].

قال الزمخشري:المعنى: " وما إله قط في الوجود إلا إله موصوف بالوحدانية لا ثانى له، وهو الله وحده لا شريك له"[٥].

قال ابو السعود:" أي: والحال أنه ليس في الوجود ذات واجب مستحق للعبادة من حيث إنه مبدأ جميع الموجودات إلا إله موصوف بالوحدانية متعال عن قبول الشركة"[٦].

قال الشوكاني:" أي: ليس في الوجود إلا الله سبحانه، وهذه الجملة حالية، والمعنى: قالوا تلك المقالة، والحال أنه لا موجود إلا الله، ومن في قوله: من إله لتأكيد الاستغراق المستفاد من النفي"[٧].

قال السعدي:" قال تعالى -رادا عليهم وعلى أشباههم -: {وما من إله إلا إله واحد} متصف بكل صفة كمال، منزه عن كل نقص، منفرد بالخلق والتدبير، ما بالخلق من نعمة إلا منه. فكيف يجعل معه إله غيره؟ " تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا"[٨].

قوله تعالى:{وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ} [المائدة: ٧٣]، أي:" وإن لم ينته أصحاب هذه المقالة عن افترائهم وكذبهم"[٩].

قال مقاتل:"من الشرك"[١٠].

قال القرطبي:" أي يكفوا عن القول بالتثليث"[١١].

---

(١) مفاتيح الغيب:١٢/٤٠٨-٤٠٩.
(٢)التفسير الميسر:١٢٠.
(٣) تفسير مقاتل بن سليمان:٤٩٥/١.
(٤) تفسير الطبري:٤٨٢/١٠.
(٥) الكشاف:٦٦٤/١.
(٦) تفسير أبي السعود:٦٦/٣.
(٧) فتح القدير:٧٣/٢.
(٨) تفسير السعدي:٢٣٩.
(٩)التفسير الميسر:١٢٠.
(١٠) تفسير مقاتل بن سليمان:٤٩٥/١.
(١١) تفسير القرطبي:٢٥٠/٦.

قال الطبري:" يقول: إن لم ينتهوا قائلو هذه المقالة عما يقولون من قولهم: الله ثالث ثلاثة"[١].

قوله تعالى:{لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [المائدة: ٧٣]، أي:" لَيُصيبَنَّهم عذاب مؤلم موجع بسبب كفرهم بالله"[٢].

قال أبو العالية:" {عذاب أليم}: موجع"[٣].

قال مقاتل:" يعني: وجيع، والقتل بالسيف والجزية على من بقي منهم عقوبة"[٤].

قال القرطبي:" ليمسنهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة"[٥].

قال الراغب:" هددهم إن لم ينتهوا يعذبون"[٦].

قال الزجاج:" معنى {الذين كفروا منهم}:الذين أقاموا على هذا الدين وهذا القول"[٧].

قال الطبري:" يقول: ليمسن الذين يقولون هذه المقالة، والذين يقولون المقالة الأخرى:"هو المسيح ابن مريم"، لأن الفريقين كلاهما كفرة مشركون، فلذلك رجع في الوعيد بالعذاب إلى العموم، ولم يقل:ليمسنَّهم عذابٌ أليم، لأن ذلك لو قيل كذلك، صار الوعيد من الله تعالى ذكره خاصًّا لقائل القول الثاني، وهم القائلون:{الله ثالث ثلاثة}، ولم يدخل فيهم القائلون: المسيح هو الله، فعمّ بالوعيد تعالى ذكره كلَّ كافر، ليعلم المخاطبون بهذه الآيات أنّ وعيد الله قد شمل كلا الفريقين من بني إسرائيل، ومن كان من الكفار على مثل الذي هم عليه"[٨].

قال الزمخشري:" المعنى: ليمسن الذين كفروا من النصارى خاصة عذاب أليم أى نوع شديد الألم من العذاب كما تقول: أعطنى عشرين من الثياب، تريد من الثياب خاصة لا من غيرها من الأجناس التي يجوز أن يتناولها عشرون. ويجوز أن تكون للتبعيض، على معنى: ليمسن الذين بقوا على الكفر منهم، لأن كثيرا منهم تابوا من النصرانية"[٩].

قال البيضاوي:" أي: ليمسن الذين بقوا منهم على الكفر، أو ليمسن الذين كفروا من النصارى، وضعه موضع ليمسنهم تكريرا للشهادة على كفرهم وتنبيها على أن العذاب على من دام على الكفر ولم ينقلع عنه"[١٠].

قال أبو السعود:" أي: وبالله إن لم ينتهوا لميسنهم وإنما وضع موضع ضميرهم الموصول لتكرير الشهادة عليهم بالكفر فمن في قوله تعالى {منهم} بيانية أو ليمسن الذين بقوا منهم على ما كانوا عليه من الكفر فمن تبعيضية وإنما جيء بالفعل المنبىء عن الحدوث تنبيها على أن الاستمرار عليه بعد ورود ما ينحى عليه بالقلع من نص عيسى عليه السلام وغيره وكفر جديد وغلو زائد على ما كانوا عليه من أصل الكفر، {عذاب أليم} أي: نوع شديد الألم من العذاب "[١١].

قال ابن عطية:" ثم توعد تبارك وتعالى هؤلاء القائلين هذه العظيمة بمس العذاب، وذلك وعيد بعذاب الدنيا من القتل والسبي وبعذاب الآخرة بعد لا يفلت منه أحد منهم"[١٢].

الفوائد:

١- إبطال التثليث في عقيدة النصارى وتقرير التوحيد.

---

(١) تفسير الطبري:٤٨٢/١٠.
(٢)التفسير الميسر:١٢٠.
(٣) أخرجه ابن أبي حاتم(٦٦٤٩):ص١١٧٩/٤.
(٤) تفسير مقاتل بن سليمان:٤٩٥/١.
(٥) تفسير القرطبي:٢٥٠/٦.
(٦) تفسير الراغب الأصفهاني:٤٠٩/٥.
(٧) معاني القرآن:١٩٦/٢.
(٨) تفسير الطبري:٤٨٢/١٠.
(٩) الكشاف:٦٦٤/١.
(١٠) تفسير البيضاوي:١٣٨/٢.
(١١) تفسير أبي السعود:٦٧/٣.
(١٢) المحرر الوجيز:٢٢٢/٢.

٢- إبراء عيسى ووالدته عليهما السلام من دعوى الألوهية للناس.
٣-بيان أن عيسى عليه السلام ليس بابن الله ولا هو الله، ولا ثالث ثلاثة، بل هو عبد الله ورسوله أمه مريم، وجدته حنة، وجده عمران، من بيت شرف وصلاح في بني إسرائيل.
٤-التحذير من الغلو، وهو تجاوز الحد وإعطاء الشيء أكثر من حقه أو الزيادة في ذمه، وحكمه لا يجوز وقد يصل إلى حد الشرك وإلى حد البدعة وإلى حد الكفر قال الله ـ تعالى ـ: {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ} [النساء: ١٧١]، وقال ـ تعالى ـ: {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ} [المائدة: ٧٧]، وأهل الكتاب المراد بهم اليهود والنصارى فاليهود غلوا وزادوا في ذم عيسى حتى وصل بهم الأمر أن جعلوه ولد بغي، والنصارى غلوا فيه مدحاً فأوصلوه إلى منزلة الألوهية وجعلوه معبوداً لهم هو وأمه وجعلوا الله ثالث ثلاثة تعالى الله وتقدس عما يقول الظالمون علواً كبيراً. قال ـ تعالى ـ: {لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ}[المائدة:٧٣].

وقد أدى الغلو في الصالحين ومجاوزة الحد بهم درجتهم إلى أن عبدوا من دون الله وصار ذلك سبباً لهلاك العابدين والغالين، والغلو سبب أول شرك حصل في بني آدم كما حصل من قوم نوح فهم أول من أحدث الشرك ونوح عليه السلام أول رسول أرسل بالدعوة إلى توحيد الله والإنذار والتحذير عن الشرك.

قال ـ تعالى ـ: {إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ(١) **قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ** (٢)أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ} [نوح:١- ٣]، فاستمر قومه في كفرهم وعنادهم وتمسكهم بعباداتهم الشركية وتواصوا فيما بينهم بالبقاء على معبوداتهم: {وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا} [نوح: ٢٣].

قال ابن عباس: أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصاباً وسموها بأسمائهم ففعلوا، فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عبدت "[١].

القرآن

{أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٧٤)} [المائدة: ٧٤]

التفسير:

أفلا يرجع هؤلاء النصارى إلى الله تعالى، ويتوبون عمَّا قالوا، ويسألون الله تعالى المغفرة؟ والله تعالى متجاوز عن ذنوب التائبين، رحيمٌ بهم.

قوله تعالى:{أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ} [المائدة: ٧٤]، أي:" أفلا يرجع هؤلاء النصارى إلى الله تعالى، ويتوبون عمَّا قالوا، ويسألون الله تعالى المغفرة؟"[٢].

قال مكي:" المعنى: أفلا يرجعون عن قولهم ويستغفرون منه"[٣].

قال الماتريدي:أي:" عن مقالتهم الشرك"[٤].

قال الطبري:" أفلا يرجع هذان الفريقان الكافران، القائل أحدهما: إن الله هو المسيح ابن مريم، والآخر القائل: إن الله ثالث ثلاثة،عما قالا من ذلك، ويتوبان مما قالا ونطقا به من كفرهما، ويسألان ربهما المغفرة مما قالا"[٥].

---

(١) رواه البخاري(٤٩٢٠).
(٢) التفسير الميسر:١٢٠.
(٣) الهداية إى بلوغ النهاية:١٨١٤/٣.
(٤) تفسير الماتريدي:٥٦٦/٣.
(٥) تفسير الطبري:٤٨٣/١٠-٤٨٤.

قال الزمخشري:أي:" ألا يتوبون بعد هذه الشهادة المكررة عليهم بالكفر. وهذا الوعيد الشديد مما هم عليه. وفيه تعجب من إصرارهم"(١).

قال البيضاوي:" أي: أفلا يتوبون بالانتهاء عن تلك العقائد والأقوال الزائغة ويستغفرونه بالتوحيد والتنزيه عن الاتحاد والحلول بعد هذا التقرير والتهديد"(٢).

قال ابن كثير:" وهذا من كرمه تعالى وجوده ولطفه ورحمته بخلقه، مع هذا الذنب العظيم وهذا الافتراء والكذب والإفك، يدعوهم إلى التوبة والمغفرة، فكل من تاب إليه تاب عليه"(٣).

قال القرطبي:" تقرير وتوبيخ، أي فليتوبوا إليه وليسألوه ستر ذنوبهم، والمراد الكفرة منهم"(٤).

قال السمرقندي:" لفظه لفظ الاستفهام والمراد به الأمر فكأنه قال: توبوا إلى الله، وكذلك كل ما يشبه هذا في القرآن، مثل قوله: {أَتَصْبِرُونَ } [الفرقان: ٢٠]، يعني: اصبروا"(٥).

قال السمعاني:" أرشدهم إلى التوبة والإسلام"(٦).

قوله تعالى:{وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [المائدة: ٧٤]، أي:" والله تعالى متجاوز عن ذنوب التائبين، رحيمٌ بهم"(٧).

قال الطبري:أي:"{والله غفور}، لذنوب التائبين من خلقه، المنيبين إلى طاعته بعد معصيتهم، {رحيم} بهم، في قبوله توبتَهم ومراجعتهم إلى ما يحبّ مما يكره، فيصفح بذلك من فعلهم عما سلف من أجرامهم قبل ذلك"(٨).

قال الماتريدي:أي:" فإن فعلوا فإن الله غفور رحيم؛ كقوله - تعالى -: {إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ} [الأنفال: ٣٨] "(٩).

قال الزمخشري:أي:" يغفر لهؤلاء إن تابوا ولغيرهم"(١٠).

قال البيضاوي:" يغفر لهم ويمنحهم من فضله إن تابوا"(١١).

قال ابن عطية:" وصف نفسه بالغفران والرحمة استجلابا للتائبين وتأنيسا لهم ليكونوا على ثقة من الانتفاع بتوبتهم"(١٢).

الفوائد:

١-فتح باب التوبة في وجه النصارى لو أنهم يتوبون.

٢- أن الله واسع الرحمة عظيم المغفرة يقبل التوبة من عباده ويغفر لهم ما فرط من الزلات إذا هم آمنوا وأحسنوا واتقوا وعملوا الصالحات.

٣- أن الرجوع إلى الحق شرف وفضيلة، بل واجب وفريضة، أما التمادي في الباطل فهو ذل وهوان واستكبار عن الحق وسير في ركاب الشيطان، والله -سبحانه- يتوب على التائبين، ويغفر زلات المذنبين، إذا صدقوا في التوبة إليه، كما قال الله سبحانه: {قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ

---

(١) الكشاف:٦٦٤/١.
(٢) تفسير البيضاوي:١٣٨/٢.
(٣) تفسير ابن كثير:١٥٨/٣.
(٤) تفسير القرطبي:٢٥٠/٦.
(٥) بحر العلوم:٤٠٩/١.
(٦) تفسير السمعاني:٥٥/٢.
(٧) التفسير الميسر:١٢٠.
(٨) تفسير الطبري:٤٨٤/١٠.
(٩) تفسير الماتريدي:٥٦٦/٣.
(١٠) الكشاف:٦٦٤/١.
(١١) تفسير البيضاوي:١٣٨/٢.
(١٢) المحرر الوجيز:٢٢٢/٢.

لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ} الآية.. وقال في حق النصارى: {أَفَلا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ}، وقال النبي - صلى الله عليه وسلم - فيما صح عنه: "الإسلام يهدم ما كان قبله"(١).

٤- ومنها: إثبات هذين الاسمين الكريمين: «الغفور»، و«الرحيم»؛ وما تضمناه من صفة، وفعل.

فـ«الغفور»: هو الذي تكثر منه المغفرة. وبناء فعول: بناء المبالغة في الكثرة(٢).

والفرق بين صيغتي:«الغفار»، و«الغفور»: أن "«الغفار»(٣)، معناه: الستار لذنوب عباده في الدنيا بأن لا يهتكهم ولا يشيدهما عليهم، ويكون معنى «الغفور»: منصرفا إلى مغفرة الذنوب في الآخرة، والتجاوز عن العقوبة فيها"(٤).

و«الرحيم»: أي: ذو الرحمة الواسعة التي وسعت كل شيء (٥).

قال الشيخ ابن عثيمين:" «الرحيم»: أي الموصل للرحمة من يشاء من عباده"(٦)، وهو "صيغة مبالغة، أو صفة مشبهة من الرحمة؛ والرحمة صفة من صفات الله سبحانه وتعالى الذاتية الفعلية؛ فهي باعتبار أصل ثبوتها لله صفة ذاتية؛ وباعتبار تجدد من يرحمه الله صفة فعلية؛ ولهذا علقها الله سبحانه وتعالى بالمشيئة في قوله تعالى: {يعذب من يشاء ويرحم من يشاء} [العنكبوت: ٢١]، فهي صفة حقيقية ثابتة لله عز وجل، وأهل التأويل -والأصح أن نسميهم أهل التحريف- يقولون: إن الرحمة غير حقيقية؛ وأن المراد برحمة الله إحسانه؛ أو إرادة الإحسان؛ فيفسرونها إما بالإرادة؛ وإما بالفعل؛ وهذا لا شك أنه خطأ؛ وحجتهم: أنهم يقولون: إن الرحمة رقة، ولين؛ والرقة، واللين لا تناسبان عظمة الخالق سبحانه وتعالى؛ فنقول لهم: إن هذه الرحمة رحمة المخلوق؛ أما رحمة الخالق فإنها تليق به سبحانه وتعالى؛ ولا تتضمن نقصاً؛ فهو ذو رحمة بالغة، وسلطان تام؛ فلا يرد بأسه عن القوم المجرمين"(٧).

القرآن

{مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (٧٥)} [المائدة: ٧٥]

التفسير:

ما المسيح ابن مريم عليه السلام إلا رسولٌ كمن تقدمه من الرسل، وأُمُّه قد صَدَّقت تصديقًا جازمًا علمًا وعملا وهما كغيرهما من البشر يحتاجان إلى الطعام، ولا يكون إلهًا مَن يحتاج الى الطعام ليعيش. فتأمَّل -أيها الرسول- حال هؤلاء الكفار. لقد وضحنا العلاماتِ الدالة على وحدانيتنا، وبُطلان ما يدَّعونه في أنبياء الله. ثم هم مع ذلك يَضِلُّون عن الحق الذي نَهديهم إليه، ثم انظر كيف يُصرفون عن الحق بعد هذا البيان؟

---

(١)من حديث مطول أخرجه مسلم في الصحيح ١/ ١١٢، كتاب الإيمان (١)، باب كون الإسلام يهدم ما قبله وكذا الهجرة والحج (٥٤)، الحديث (١٩٢/ ١٢١).

(٢) انظر: شأن الدعاء:٦٥/١.

(٣)قال الخطابي:" الغفار: هو الذي يغفر ذنوب عباده مرة بعد أخرى. كلما تكررت التوبة في الذنب من العبد تكررت المغفرة. كقوله -سبحانه-: {وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى} [طه:٨٢].

وأصل الغفر في اللغة: الستر والتغطية، ومنه قيل لجنة الرأس: المغفر، وبه سمي زئبر الثوب غفرا وذلك لأنه يستر سداه؛ فالغفار: الستار لذنوب عباده، والمسدل عليهم ثوب عطفه ورأفته. ومعنى الستر في هذا أنه لا يكشف أمر العبد لخلقه ولا يهتك ستره بالعقوبة التي تشهره في عيونهم ويقال: إن المغفرة مأخوذة من الغفر: وهو فيما حكاه بعض أهل اللغة نبت يداوى به الجراح، يقال إنه إذا ذر عليها دملها وأبراها". [شأن الدعاء:٥٢/١-٥٣، وانظر: اللسان وتاج العروس، مادة"غفر"].

(٤) شأن الدعاء:٦٥/١.

(٥) انظر:تفسير ابن عثيمين: الفاتحة والبقرة:١٨٨/١، وشرح أسماء الحسنى في ضوء الكتاب والسنة:٨٤.

(٦) تفسير ابن عثيمين الفاتحة والبقرة:٥/١.

(٧) تفسير ابن عثيمين:الفاتحة والبقرة:٢٥٢/٢-٢٥٣.

قوله تعالى:{مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ} [المائدة: ٧٥]، أي:" ما المسيح ابن مريم عليه السلام إلا رسولٌ كمن تقدمه من الرسل"(١).

قال ابن قتيبة:" أي: تقدمت قبله الرسل. يريد أنه لم يكن أول رسول أرسل فيعجب منه"(٢).

قال ابن كثير:" أي: له سَوِيَّة أمثاله من سائر المرسلين المتقدمين عليه، وأنه عبد من عباد الله ورسول من رسله الكرام، كما قال: { إِنْ هُوَ إِلا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ } [الزخرف: ٥٩]"(٣).

قوله تعالى:{وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ} [المائدة: ٧٥]، أي:" وأُمُّه قد صَدَّقت تصديقًا جازمًا علمًا وعملا"(٤).

قال ابن كثير:" أي: مؤمنة به مصدقة له. وهذا أعلى مقاماتها فدل على أنها ليست بنبية، كما زعمه ابن حزم وغيره ممن ذهب إلى نبوة سارة أم إسحاق، ونبوة أم موسى، ونبوة أم عيسى استدلالا منهم بخطاب الملائكة لسارة ومريم، وبقوله: { وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ } [القصص: ٧]، قالوا وهذا معنى النبوة، والذي عليه الجمهور أن الله لم يبعث نبيًا إلا من الرجال، قال الله تعالى: { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلا رِجَالا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى } [يوسف: ١٠٩]، وقد حكى الشيخ أبو الحسن الأشعري، رحمه الله، الإجماع على ذلك"(٥).

قال السعدي:" {وأمه} مريم {صديقة} أي: هذا أيضا غايتها، أن كانت من الصديقين الذين هم أعلى الخلق رتبة بعد الأنبياء. والصديقية، هي العلم النافع المثمر لليقين، والعمل الصالح. وهذا دليل على أن مريم لم تكن نبية، بل أعلى أحوالها الصديقية، وكفى بذلك فضلا وشرفا. وكذلك سائر النساء لم يكن منهن نبية، لأن الله تعالى جعل النبوة في أكمل الصنفين، في الرجال كما قال تعالى: {وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم} فإذا كان عيسى عليه السلام من جنس الأنبياء والرسل من قبله، وأمه صديقة، فلأي شيء اتخذهما النصارى إلهين مع الله؟"(٦).

قال القرطبي:" وقد استدل من قال: إن مريم عليها السلام لم تكن نبية بقوله تعالى:{وأمه صديقة}. قلت: وفيه نظر، فإنه يجوز أن تكون صديقة مع كونها نبية كادريس عليه السلام، وقد مضى في«آل عمران» (٧) ما يدل على هذا. والله أعلم. وإنما قيل لها صديقة لكثرة تصديقها بآيات ربها وتصديقها ولدها فيما أخبرها به، عن الحسن وغيره"(٨).

قوله تعالى:{كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ} [المائدة: ٧٥]، أي:" وهما كغيرهما من البشر يحتاجان إلى الطعام، ولا يكون إلهًا مَن يحتاج الى الطعام ليعيش"(٩).

قال مقاتل:" فلو كانا إلهين ما أكلا الطعام"(١٠).

قال الزجاج:" أي إنما يعيشان بالغذاء كما يعيش سائر الآدميين، فكيف يكون إلها من لا يقيمه إلا أكل الطعام"(١١).

---

(١) التفسير الميسر:١٢٠.
(٢) غريب القرآن:١٤٥.
(٣) تفسير ابن كثير:١٥٨/٣.
(٤) التفسير الميسر:١٢٠.
(٥) تفسير ابن كثير:١٥٨/٣-١٥٩.
(٦) تفسير السعدي:٢٣٩.
(٧) الآية: ٤٢.
(٨) تفسير القرطبي:٢٥١/٦.
(٩) التفسير الميسر:١٢٠.
(١٠) تفسير مقاتل بن سليمان:٥٩٥/١.
(١١) معاني القرآن:١٩٧/٢.

قال ابن كثير:" أي: يحتاجان إلى التغذية به، وإلى خروجه منهما، فهما عبدان كسائر الناس وليسا بإلهين كما زعمت فرق النصارى الجهلة، عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة"(١).

قال ابن قتيبة:" قوله: {كانا يأكلان الطعام} هذا من الاختصار والكناية، وإنما نبه بأكل الطعام على عاقبته وعلى ما يصير إليه وهو الحدث؛ لأن من أكل الطعام فلا بد له من أن يحدث"(٢).

قال الطبري:أي:" أنهما كانا أهل حاجةٍ إلى ما يَغْذُوهما وتقوم به أبدانهما من المطاعم والمشارب كسائر البشر من بني آدم، فإنّ من كان كذلك، فغيرُ كائنٍ إلهًا، لأن المحتاج إلى الغذاء قِوَامه بغيره. وفي قوامه بغيره وحاجته إلى ما يقيمه، دليلٌ واضحٌ على عجزه. والعاجز لا يكون إلا مربوبًا لا ربًّا"(٣).

قال الزمخشري:" لأن من احتاج إلى الاغتذاء بالطعام وما يتبعه من الهضم والنفض لم يكن إلا جسما مركبا من عظم ولحم وعروق وأعصاب وأخلاط وأمزجة مع شهوة وقرم (٤) وغير ذلك مما يدل على أنه مصنوع مؤلف مدبر كغيره من الأجسام"(٥).

قال الجصاص: قوله:{ كانا يأكلان الطعام }،" فيه أوضح الدلالة على بطلان قول النصارى في أن المسيح إله لأن من احتاج إلى الطعام فسبيله سبيل سائر العباد في الحاجة إلى الصانع المدبر إذ كان من فيه سمة الحدث لا يكون قديما ومن يحتاج إلى غيره لا يكون قادرا لا يعجزه شيء وقد قيل في معنى قوله كانا يأكلان الطعام إنه كناية عن الحدث لأن كل من يأكل الطعام فهو محتاج إلى الحدث لا محالة وهذا وإن كان كذلك في العادة فإن الحاجة إلى الطعام والشراب وما يحتاج المحتاج إليهما من الجوع والعطش ظاهر الدلالة على حدث المحتاج إليهما وعلى أن الحوادث تتعاقب عليه وأن ذلك ينفي كونه إلها وقديما"(٦).

قال القرطبي:" وقال بعض المفسرين في قوله:{كانا يأكلان الطعام}، إنه كناية عن الغائط والبول. وفي هذا دلالة على أنهما بشران"(٧).

قال السعدي:" وقوله: {كانا يأكلان الطعام} دليل ظاهر على أنهما عبدان فقيران، محتاجان كما يحتاج بنو آدم إلى الطعام والشراب، فلو كانا إلهين لاستغنيا عن الطعام والشراب، ولم يحتاجا إلى شيء، فإن الإله هو الغني الحميد"(٨).

قوله تعالى:{انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ} [المائدة: ٧٥]، أي: فتأمَّل -أيها الرسول- "كيف نوضّح لهم الآيات الباهرة على بطلان ما اعتقدوه"(٩).

قال ابن كثير:" أي: نوضحها ونظهرها"(١٠).

قال الزمخشري:" أي: الأعلام من الأدلة الظاهرة على بطلان قولهم"(١١).

قال مقاتل:" انظر يا محمد {كيف نبين لهم الآيات}، يعني: العلامات في أمر عيسى ومريم أنهم كانا يأكلان الطعام والآلهة لا تأكل الطعام"(١٢).

---

(١) تفسير ابن كثير:١٥٩/٣.
(٢) غريب القرآن:١٤٥.
(٣) تفسير الطبري:٤٨٥/١٠.
(٤)قوله «وقرم» في الصحاح «القرم» بالتحريك: شدة شهوة اللحم..
(٥) الكشاف:٦٦٥/١.
(٦) أحكام القرىن:١٠٧/٤-١٠٨.
(٧) تفسير القرطبي:٢٥١/٦.
(٨) تفسير السعدي:٢٣٩.
(٩) صفوة التفاسير:٣٣١/١.
(١٠) تفسير ابن كثير:١٥٩/٣.
(١١) الكشاف:٦٦٥/١.
(١٢) تفسير مقاتل بن سليمان:٥٩٥/١.

قال السعدي:" ولما بين تعالى البرهان قال: {انظر كيف نبين لهم الآيات} الموضحة للحق، الكاشفة لليقين، ومع هذا لا تفيد فيهم شيئا، بل لا يزالون على إفكهم وكذبهم وافترائهم، وذلك ظلم وعناد منهم"(١).

قال الطبري:" انظر يا محمد، كيف نبين لهؤلاء الكفرة من اليهود والنصارى الآيات ، وهي الأدلّة، والأعلام والحُجج على بُطول ما يقولون في أنبياء الله، وفي فريتهم على الله، وادِّعائهم له ولدًا، وشهادتهم لبعض خلقه بأنه لهم ربٌّ وإله، ثم لا يرتدعون عن كذبهم وباطل قِيلهم، ولا ينزجرون عن فريتهم على ربِّهم وعظيم جهلهم، مع ورود الحجج القاطعة عذرَهم عليهم. يقول تعالى ذكره لنبيِّه محمد صلى الله عليه وسلم"(٢).

قوله تعالى:{ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ} [المائدة: ٧٥]، أي:" ثم انظر كيف يُصرفون عن الحق بعد هذا البيان"(٣).

قال ابن عباس وأبو مالك:" كيف يؤفكون؟"(٤).

قال مقاتل:" يعني: من أين يكذبون"(٥).

قال الزمخشري:" يصرفون عن استماع الحق وتأمله"(٦).

قال الزجاج:" أي: انظر بعد البيان، من أين يصرفون عن الحق الواضح"(٧).

قال ابن كثير:" أي: ثم انظر بعد هذا البيان والوضوح والجلاء أين يذهبون ؟ وبأيّ قول يتمسكون ؟ وإلى أيّ مذهب من الضلال يذهبون ؟"(٨).

قال الشيخ عبدالعزيز بن حمد:" أي: ثم انظر بعد هذا البيان والوضوح والجلاء أين يذهبون وبأي شيء يتمسكون؟"(٩).

قال الطبري:" يقول: ثم انظر، مع تبييننا لهم آياتنا على بُطول قولهم، أيَّ وجه يُصرَفون عن بياننا الذي نبيِّنه لهم ؟ وكيف عن الهدى الذي نهديهم إليه من الحق يضلُّون؟"(١٠).

قال المراغي:" أي: انظر أيها السامع نظرة عقل وفكر، كيف نبين لهؤلاء النصارى الآيات والبراهين البالغة أقصى الغايات فى الوضوح على بطلان ما يدعون فى أمر المسيح ثم هم بعد ذلك يعرضون عنها، وكيف لا ينتقلون من مقدماتها إلى نتائجها، ومن مباديها إلى غاياتها، فكأنهم فقدوا عقولهم وصارت أفئدتهم هواء"(١١).

قال ابن قتيبة:{ أنى يؤفكون}،" أي: يصرفون عن الحق ويعدلون. يقال: أفك الرجل عن كذا: إذا عدل عنه. وأرض مأفوكة: أي محرومة المطر والنبات. كأن ذلك عدل عنها وصرف"(١٢).

وأما التراخي في قوله:{ ثم انظر}، معناه:"ما بين العجبين، يعنى أنه بين لهم الآيات بيانا عجيبا، وأن إعراضهم عنها أعجب منه"(١٣).

الفوائد:

١- الآية برهان قاطع على بطلان ربوبية المسيح وأمه-عليهما سلام-.

---

(١) تفسير السعدي:٢٣٩.
(٢) تفسير الطبري:١٠/٤٨٥-٤٨٦.
(٣) التفسير الميسر:١٢٠.
(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٦٥٢):ص١١٨٠/٤.
(٥) تفسير مقاتل بن سليمان:٥٩٥/١.
(٦) الكشاف:٦٦٥/١.
(٧) معاني القرآن:١٩٧/٢.
(٨) تفسير ابن كثير:١٥٩/٣.
(٩) منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب:٣٧٠/١.
(١٠) تفسير الطبري:٤٨٦/١٠.
(١١) تفسير المراغي:١٦٨/٦.
(١٢) غريب القرآن:١٤٥.
(١٣) الكشاف:٦٦٥/١.

٢-تقرير بشرية عيسى ومريم عليهما السلام بدليل احتياجهما إلى الطعام بنيتهما، ومن كان مفتقراً لا تصح ألوهيته عقلاً وشرعاً.

فإن المسيح - عليه السلام - لا يعدو أن يكون رسولا من رسل الله الذين خلوا من قبل. وكذلك محمد صلى الله عليه وسلم، فلقد قال الله عنه كذلك {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ}[آل عمران:١٤٤] .

وأن أمه- عليها السلام- لا تعدو أن تكون صديقة، فهي ليست بنبية {وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ} .

٣- بيان ما عليه الآلهة المزعومة من صفات النقص المنافية للألوهية، فهي إما مخلوقات محتاجة، لا قيام لها بنفسها، أو جمادات لا تسمع ولا تبصر ولا تتكلم، قال تعالى: {مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ} [المائدة: ٧٥]، وهذا من أظهر الصفات النافية للألوهية، لأن الآكل في حاجة إلى ما يدخل جوفه ليشبعه من جوع، وكذلك هو في حاجة إلى أن يخرج ما في جوفه من الفضلات ليتخلص من الأذى.

وقال: {إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ} [فاطر: ١٤]، وقال - حكاية عن الخليل عليه السلام -: {يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا} [مريم: ٤٢]، وقال: {أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ} [الأعراف: ١٤٨].

٤- وإذا كان القرآن الكريم قد نفى الألوهية عن المسيح - عليه السلام -، فقد أثبت له العبودية، كما قال تعالى {وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ(٥٧)وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ(٥٨)إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ} [الزخرف: ٥٧-٥٩]، وأخبر- سبحانه وتعالى- أن أول كلمة نطق بها المسيح وهو في المهد، هي الإقرار بعبوديته لله- قال تعالى {فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا(٢٩)قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا(٢٩)وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا} [مريم: ٢٩-٣١]

٥-أنه ليس من تعظيم الأنبياء الغلو فيهم ومجاوزة الحد برفعهم عن منزلة العبودية إلى منزلة الألوهية والربوبية، كما هو مذهب النصارى، فإنهم تجاوزوا الحد في عيسى، حتى رفعوه فوق المنزلة التي أعطاه الله إياها، بل غلوا في أتباعه، وادعوا فيهم العصمة، اتبعوهم في كل ما قالوه سواء كان حقا أو باطلا، أو ضلالا أو رشادا، أو صدقا أو كذبا، ولهذا قال -تعالى-: {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ} [التوبة: ٣١].

القرآن

{قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٧٦)} [المائدة: ٧٦]

التفسير:

قل -أيها الرسول- لهؤلاء الكفرة: كيف تشركون مع الله من لا يَقْدِرُ على ضَرِّكم، ولا على جَلْبِ نفع لكم؟ والله هو السميع لأقوال عباده، العليم بأحوالهم.

قوله تعالى:{قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا} [المائدة: ٧٦]، أي:" قل -أيها الرسول- لهؤلاء الكفرة: كيف تشركون مع الله من لا يَقْدِرُ على ضَرِّكم، ولا على جَلْبِ نفع لكم؟"(١).

قال مقاتل:" قل لنصارى نجران أتعبدون من دون الله يعني عيسى ما لا يملك لكم ضرا في الدنيا ولا نفعا في الآخرة"(١).

(١) التفسير الميسر:١٢٠.

قال النحاس:" أي: أنتم مقرون أن عيسى كان جنينا في بطن أمه لا يملك لأحد ضرا ولا نفعا"(٢).

قال السمرقندي:" ثم أخبر الله تعالى عن جهلهم، وقلة عقلهم، فقال: قل يا محمد، {أتعبدون من دون الله}، يعني: عيسى، {ما لا يملك لكم} يقول: ما لا يقدر لكم، {ضرا} في الدنيا {ولا نفعا} في الآخرة: وتركتم عبادة الله"(٣).

قال ابن كثير:" يقول تعالى منكرًا على من عبد غيره من الأصنام والأنداد والأوثان، ومبينًا له أنها لا تستحق شيئًا من الإلهية: { قُلْ } أي: يا محمد لهؤلاء العابدين غير الله من سائر فرق بني آدم، ودخل في ذلك النصارى وغيرهم: { أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلا نَفْعًا } أي: لا يقدر على إيصال ضرر إليكم، ولا إيجاد نفع"(٤).

قال الطبري:أي:" قل ، يا محمد، لهؤلاء الكفرة من النصارى، الزاعمين أن المسيح ربهم، والقائلين إن الله ثالث ثلاثة أتعبدون سوى الله الذي يملك ضركم ونفعكم، وهو الذي خلقكم ورزقكم، وهو يحييكم ويميتكم شيئًا لا يملك لكم ضرًّا ولا نفعًا ؟ يخبرهم تعالى ذكره أن المسيح الذي زعم من زعم من النصارى أنه إله، والذي زعم من زعم منهم أنه لله ابنٌ، لا يملك لهم ضرًّا يدفعه عنهم إن أحلَّه الله بهم، ولا نفعًا يجلبه إليهم إن لم يقضه الله لهم. يقول تعالى ذكره: فكيف يكون ربًّا وإلهًا من كانت هذه صفته ؟ بل الربُّ المعبودُ: الذي بيده كل شيء، والقادر على كل شيء. فإياه فاعبدوا وأخلصوا له العبادة، دون غيره من العجزة الذين لا ينفعونكم ولا يضرون"(٥).

قال الزمخشري:" ما لا يملك هو عيسى، أى شيئا لا يستطيع أن يضركم بمثل ما يضركم به الله من البلايا والمصائب في الأنفس والأموال، ولا أن ينفعكم بمثل ما ينفعكم به من صحة الأبدان والسعة والخصب، ولأن كل ما يستطيعه البشر من المضار والمنافع فبإقدار الله وتمكينه، فكأنه لا يملك منه شيئا. وهذا دليل قاطع على أن أمره مناف للربوبية، حيث جعله لا يستطيع ضرا ولا نفعا، وصفة الرب أن يكون قادرا على كل شيء لا يخرج مقدور على قدرته"(٦).

قال السعدي:" أي:{قل} لهم أيها الرسول: {أتعبدون من دون الله} من المخلوقين الفقراء المحتاجين، {ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا} وتدعون من انفرد بالضر والنفع والعطاء والمنع"(٧).

أخرج ابن ابي حاتم بسنده عن مجاهد:{ضرا ولا نفعا}، قال: {ضرا}، ضلالة"(٨).

قوله تعالى:{وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} [المائدة: ٧٦]، أي:" والله هو السميع لأقوال عباده، العليم بأحوالهم"(٩).

قال محمد بن إسحاق:" {السميع}، أي: سميع ما يقولون"(١٠)، {العليم}، أي: عليم بما يخفون"(١١).

قال السمرقندي:أي:" {السميع} لقولكم، {العليم} بعقوبتكم"(١٢).

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان:٤٩٥/١.
(٢) إعراب القرآن:٢٧٨/١.
(٣) بحر العلوم:٤٠٩/١-٤١٠.
(٤) تفسير ابن كثير:١٦٠/٣.
(٥) تفسير الطبري:٤٨٦/١٠-٤٨٧.
(٦) الكشاف:٦٦٥/١.
(٧) تفسير السعدي:٢٤٠.
(٨) تفسير ابن أبي حاتم(٦٦٥٣):ص١١٨٠/٤.
(٩) التفسير الميسر:١٢٠.
(١٠) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٦٥٤):ص١١٨٠/٤.
(١١) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٦٥٥):ص١١٨٠/٤.
(١٢) بحر العلوم:٤١٠/١.

قال الواحدي:أي:" {السميع} لكفركم {العليم} بضميركم"[١].

قال القرطبي:" أي: لم يزل سميعا عليما يملك الضر والنفع. ومن كانت هذه صفته فهو الاله على الحقيقة"[٢].

قال البيضاوي:أي:" والله هو السميع العليم بالأقوال والعقائد فيجازي عليها إن خيرا فخير وإن شرا فشر"[٣].

قال السعدي:أي:" {السميع} لجميع الأصوات باختلاف اللغات، على تفنن الحاجات، {العليم} بالظواهر والبواطن، والغيب والشهادة، والأمور الماضية والمستقبلة، فالكامل تعالى الذي هذه أوصافه هو الذي يستحق أن يفرد بجميع أنواع العبادة، ويخلص له الدين"[٤].

قال الطبري:" والله هو السميع، لاستغفارهم لو استغفروه من قِيلِهم ما أخبر عنهم أنهم يقولونه في المسيح، ولغير ذلك من منطقهم ومنطق خلقه العليم ، بتوبتهم لو تابوا منه، وبغير ذلك من أمورهم"[٥].

قال ابن كثير:" أي: فلم عدلتم عن إفراد السميع لأقوال عباده، العليم بكل شيء إلى عبادة جَمَاد لا يسمع ولا يبصر ولا يعلم شيئًا، ولا يملك ضرًا ولا نفعًا لغيره ولا لنفسه"[٦].

قال مقاتل:" {والله هو السميع}، لقولهم:إن الله هو المسيح ابن مريم وثالث ثلاثة، {العليم} بمقالتهم"[٧].

قال النحاس:" أي أنتم قد أقررتم أن عيسى كان في حال من الأحوال لا يسمع ولا يعلم والله جل وعز لم يزل سميعا عليما"[٨].

قال الزمخشري: قوله:{والله هو السميع العليم}، متعلق بـ{أتعبدون}، أى: أتشركون بالله ولا تخشونه، وهو الذي يسمع ما تقولون ويعلم ما تعتقدون أو أتعبدون العاجز والله هو السميع العليم الذي يصح منه أن يسمع كل مسموع ويعلم كل معلوم، ولن يكون كذلك إلا وهو حى قادر"[٩].

الفوائد:

١- ذم كل من يعبد غير الله إذ كل الخلائق مفتقرة لا تملك لنفسها ولا لعابدها ضراً ولا نفعاً، لا تسمع دعاء من يدعوها، ولا تعلم عن حاله شيئاً، والله وحده السميع لأقوال كل عباده العليم بسائر أحوالهم وأعمالهم، فهو المعبود بحق وما عداه باطل.

٢-إثبات اسمين من أسمائه تعالى، وهما: «السَّمِيعُ»، و«الْعَلِيمُ»:

أ-فـ«السَّمِيعُ»: بمعنى السامع، إلا أنه أبلغ في الصفة، وبناء فعيل: بناء المبالغة، كقولهم: عليم: من عالم، وقدير: من قادر، وهو الذي يسمع السر والنجوى. سواء عنده الجهر، والخفوت، والنطق، والسكوت، وقد يكون السماع بمعنى القبول والإجابة.

كقول النبي - صلى الله عليه وسلم -: "اللهم إني أعوذ بك من قول لا يسمع"[١٠]، أي: من دعاء لا يستجاب.

ومن هذا قول المصلي: "سمع الله لمن حمده"[١]، معناه: قبل الله حمد من حمده.

---

(١) الوجيز:٣٣٠.

(٢) تفسير القرطبي:٢٥١/٦.

(٣) تفسير البيضاوي:١٣٩/٢.

(٤) تفسير السعدي:٢٤٠.

(٥) تفسير الطبري:٤٨٧/١٠.

(٦) تفسير ابن كثير:١٦٠/٣.

(٧) تفسير مقاتل بن سليمان:٤٩٥/١-٤٩٦.

(٨) إعراب القرآن:٢٧٨/١.

(٩) الكشاف:٦٦٥/١.

(١٠) . هذا طرف حديث رواه ابن حبان في صحيحه برقم ٢٤٤٠ موارد، والنسائي ٨/ ٢٦٤، والإمام أحمد ٣/ ١٩٢، ٢٥٥، ٣٨٣، والخطابي في غريب الحديث ١/ ٣٤٢ من حديث أنس وانظر الكنز ٢/ ٢٠١.

وأنشد أبو زيد لشتير بن الحارث الضبي[2]:
دعوت الله حتى خفت ألا يكون الله يسمع ما أقول
أي: لا يجيب، ولا يقبل[3].
و{السَّمِيعُ} له معنيان
أحدهما: بمعنى المجيب. ومثالهقوله تعالى عن إبراهيم: {إِنَّ رَبِّي لسَمِيعُ الدُّعَاءِ} [إبراهيم: ٣٩]، أي: لمجيب الدعاء.
والثاني: بمعنى السامع للصو، وهو ينقسم إلى عدة أقسام:
الأول: سمع يراد به بيان عموم إدراك سمع الله عز وجل، وأنه ما من صوت إلا ويسمعه الله، وهو من الصفات الذاتية، وإن كان المسموع قد يكون حادثاً، ومثاله: قوله تعالى: {قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ} [المجادلة: ١]، فهذا فيه بيان إحاطة سمع الله تعالى بكل مسموع، ولهذا قالت عائشة رضي الله عنها: "الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، والله إني لفي الحجرة، وإن حديثها ليخفى على بعضه"[4].
الثاني: سمع يراد به النصر والتأييد، وهو من الصفات الفعلية، لأنه مقرون بسبب، ومثاله: قوله تعالى لموسى وهارون: {إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى} [طه: ٤٦].
الثالث: سمع يراد به الوعيد والتهديد، ومثاله: قوله تعالى: {أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ} [الزخرف: ٨٠]، فإن هذا يراد به تهديدهم ووعيدهم، حيث كانوا يسرون ما لا يرضى من القول [5].
ب-وأما «الْعَلِيمُ»:: فهو من أسمائه -عزّ وجل-، والعِلمُ صفة ذاتية ثابتة لله عَزَّ وجلَّ، فهو سبحانه «العليم»المحيط علمه بكل شيء، فلا يخفى عليه شيء من الأشياء[6].
قال الخطابي:" «العليم»: هو العالم بالسرائر والخفيات التي لا يدركها علم الخلق. كقوله تعالى: {إنه عليم بذات الصدور} [لقمان:٢٣]. وجاء على بناء فعيل للمبالغة في وصفه بكمال العلم، ولذلك قال -سبحانه-: {وفوق كل ذي علم عليم} [يوسف:٧٦]. والآدميون -وإن كانوا يوصفون بالعلم- فإن ذلك ينصرف منهم إلى نوع من المعلومات، دون نوع، وقد يوجد ذلك منهم في حال دون حال، وقد تعترضهم الآفات فيخلف علمهم الجهل، ويعقب ذكرهم النسيان، وقد نجد

---

(١)أخرجه البخاري بشرح الفتح برقم ٦٩٠، ٧٢٢، ٧٣٢، ٧٣٥، ٧٣٦، ٧٣٨، ٧٣٩، ٧٨٨، ٧٩٥، ٧٩٦، ٧٩٧، ٧٩٩، وفيه: "ربنا ولك الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه" وبرقم ٣٢٠٣، ٣٢٢٨، ٤٠٦٩، ٤٥٦٠، ٤٥٩٨.
ومسلم صلاة برقم (٢٥)، (٢٨)، (٥٤)، (٦٢)، (٦٣)، (٧١)، (٧٧)، (٨٦)، (٨٨)، (٨٩)، (١٩٦)، (١٩٨)، (١٩٩)، (٢٠٢)، وفيه: "اللهم ربنا لك الحمد، ملء السموات، وملء الأرض، وملء ما شئت من شيء بعده". وكذلك روايته برقم (٢٠٣) وكتاب صلاة المسافرين برقم (٢٠٢)، (٢٠٣)، والنسائي (افتتاح) ٢/ ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠١، ٢٠٢، ٢١١. وابن ماجه برقم ٨٦٢، ٨٧٥، ٨٧٦، ٨٧٧، ٨٧٨، ٨٧٩، ١٠٦١، ١٢٣٨، ١٢٣٩. وغيرهم.
(٢)أنشده الطبري في تفسيره، ٥/ ٦ - ٥٢٨، وابن الجوزي في زاد المسير ١/ ١٤٤، والقرطبي ٢/ ٣١، وفي الخزانة ٢/ ٣٦٣، مطلع قصيدة من سبعة أبيات في الشاهد السادس والستين بعد الثلاثمائة منسوبا إلى شمير بن الحارث الضبي. وقال: شمير، بضم الشين المعجمة وفتح الميم وآخره راء مهملة، هكذا ضبطه أبو زيد. وقال الأخفش -فيما كتبه عليه- الذي في حفظي سمير -بالسين المهملة وكذا ضبطه الصاغاني في العباب بالمهملة- وقال: هو شاعر جاهلي والله أعلم. اهـ وفي نوادر أبي زيد ص ١٢٤ مع ستة أبيات أخرى. وفي أمالي المرتضى ١/ ٦٠٣، وفي اللسان (سمع) ولم ينسبه. وأنشده الخطابي في غريب الحديث ١/ ٣٤٢، والزمخشري في الفائق ١/ ٦١٢ كما هنا، إلى شتير. وانظر تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج ص ٤٢.
(٣) انظر: شأن الدعاء للخطابي:٥٩-٦٠.
(٤)رواه البخاري معلقاً"الفتح" (١٣١/ ٣٧٢) في كتاب التوحيد/ باب {وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعاً بَصِيراً}. وقد وصله الإمام أحمد في "المسند" (٦/ ٤٦)، وابن كثير ٤/ ٢٨٦ , وابن ماجة بهذا اللفظ, ورواه ايضاً لفظ "تبارك" (٢٠٦٣).
(٥) انظر: شرح العقيدة الواسطية، ابن عثيمين:٢٠٦/١-٢٠٧.
(٦) انظر: شرح العقيدة الواسطية، لابن عثيمين:١٨٨/١.

الواحد منهم عالما بالفقه غير عالم بالنحو وعالما بهما غير عالم بالحساب وبالطب ونحوهما من الأمور، وعلم الله -سبحانه- علم حقيقة، وكمال {قد أحاط بكل شيء علما} [الطلاق:١٢]، {وأحصى كل شيء عددا} [الجن: ٢٨]"[١].

القرآن

{قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ (٧٧)} [المائدة: ٧٧]

التفسير:

قل -أيها الرسول- للنصارى: لا تتجاوزوا الحقَّ فيما تعتقدونه من أمر المسيح، ولا تتبعوا أهواءكم، كما اتَّبع اليهود أهواءهم في أمر الدين، فوقعوا في الضلال، وحملوا كثيرًا من الناس على الكفر بالله، وخرجوا عن طريق الاستقامة إلى طريق الغَواية والضلال.

قوله تعالى:{قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ} [المائدة: ٧٧]، أي:" قل -أيها الرسول- للنصارى: لا تتجاوزوا الحقَّ فيما تعتقدونه من أمر المسيح"[٢].

قال الواحدي:" أي: في عيسى"[٣].

قال قتادة:" {لا تغلوا في دينكم}، يقول: لا تبتدعوا"[٤].

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم:"الغلو فراق الحق وكان مما غلوا فيه أن دعوا لله صاحبة وولدا"[٥].

قال السعدي:" أي: لا تتجاوزوا وتتعدوا الحق إلى الباطل، وذلك كقولهم في المسيح، ما تقدم حكايته عنهم، وكغلوهم في بعض المشايخ" [٦].

قال الطبري:" يقول: لا تفرطوا في القول فيما تدينون به من أمر المسيح، فتجاوزوا فيه الحقَّ إلى الباطل، فتقولوا فيه:هو الله، أو:هو ابنه، ولكن قولوا:هو عبد الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه"[٧].

قال صاحب الكشاف:" أى: لا تغلوا في دينكم غلوا غير الحق، أى: غلوا باطلا"[٨].

قال ابن عطية:" أمر تعالى نبيه محمدا أن ينهاهم عن الغلو في دينهم، والغلو تجاوز الحد، غلا السهم إذا تجاوز الغرض المقصود واستوفى سومه من الاطراد، وتلك المسافة هي غلوته، وكما كان قوله لا تغلوا بمعنى لا تقولوا ولا تلتزموا نصب غير وليس معنى هذه الآية جنبوا من دينكم الذي أنتم عليه الغلو، وإنما معناه في دينكم الذي ينبغي أن يكون دينكم، لأن كل إنسان فهو مطلوب بالدين الحق وحري أن يتبعه ويلتزمه"[٩].

قوله تعالى:{وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ} [المائدة: ٧٧]، أي:" ولا تتبعوا أهواءكم، كما اتَّبع اليهود أهواءهم في أمر الدين، فوقعوا في الضلال"[١٠].

قال السعدي:" أي: تقدم ضلالهم" [١١].

---

(١) شأن الدعاء:٥٧.
(٢) التفسير الميسر:٢٤٠.
(٣) التفسير البسيط:٤٨٨/٧.
(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٦٥٦):ص١١٨٠/٤.
(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٦٥٧):ص١١٨٠/٤.
(٦) تفسير السعدي:٢٤٠.
(٧) تفسير الطبري:٤٨٧/١٠.
(٨) .
(٩) المحرر الوجيز:٢٢٣/٢.
(١٠) التفسير الميسر:٢٤٠.
(١١) تفسير السعدي:٢٤٠.

قال الطبري:" يقول: ولا تتبعوا أيضًا في المسيح أهواء اليهود الذين قد ضلوا قبلكم عن سبيل الهدى في القول فيه، فتقولون فيه كما قالوا:هو لغير رَشْدة، وتبهتوا أمَّه كما بَهَتُوها بالفرية وهي صدِّيقة"[١].

قال الواحدي: " ويعني بـ{القوم الذين ضلوا من قبل}: رؤساء الضلالة من فريقي اليهود والنصارى"[٢].

قال الزمخشري:" هم أئمتهم في النصرانية، كانوا على الضلال قبل مبعث النبي -صلى الله عليه وسلم"[٣].

قال الزجاج:" «أهواء»: جمع هوى، وهوى النفس مقمبور لأنه مثل الفرق وفعل جمعه أفعال، وتأويله لا تتبعوا شهواتهم لأنهم آثروا الشهوات على البيان والبرهان، وما في القرآن من ذكر اتباع الهوى مذموم نحو قوله: {وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ} [ص: ٢٦]، وقوله: {وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى} [طه: ١٦]، وقوله: {وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى} [النجم: ٣]"[٤].

قال الواحدي: "ومعنى «الأهواء» هنا: المذاهب التي تدعو إليها الشهوة دون الحجة، وقد يشق على الإنسان النظر ويميل طبعه إلى بعض المذاهب فيعتقده فيكون ذلك هوى، قال الشعبي: ما ذكر الله تعالى هوى في القرآن إلا ذمَّهُ كقوله تعالى: {وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ} [ص: ٢٦] {وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى} [طه: ١٦] {وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى} [النجم: ٣]، ومثله كثير"[٥].

قال أبو عبيد: "لم نجد الهوى يوضع إلا في موضع الشر، لا يقال: فلان يهوى الخير، إنما يقال في الخير: يريد ويحب، وقال بعضهم: الهوى إله يعبد من دون الله، قال الله تعالى: {أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ} [الجاثية: ٢٣]، وقيل: سمي الهوى هوى لأنه يهوي بصاحبه في النار"[٦].

وأنشدوا في ذم الهوى[٧]:

إنَّ الهوانَ هو الهوَى نقضُ اسمهِ ... فإذا هويتَ فقدْ لقيتَ هوانَا

وقال مضر القاضي: "لنحت الجبال بالأظافير حتى تتقطع الأوصال، أهون من مخالفة الهوى إذا تمكن في النفوس"[٨].

وسئل ابن المقفع عن الهوى، فقال: "هوان سرقت نونه"[٩]، فنظمه الشاعر[١٠]:

نون الهوان من الهوى مسروقة ... فإذا هويت فقد لقيت هوانا

وقال آخر[١١]:

إن الهوى لهو الهوان بعينه ... فإذا هويت فقد كسبت هوانا

وإذا هويت فقد تعبدك الهوى ... فاخضع لحبك كائنا من كانا

وقال عبد الله المبرك[١٢]:

ومن البلاء للبلاء علامة ... أن لا يرى لك عن هواك نزوع

وقال أبو العتاهية[١]:

---

(١) تفسير الطبري:١٠/٤٨٧-٤٨٨.
(٢) التفسير البسيط:٧/٤٨٨-٤٨٩.
(٣) .
(٤) معاني القرآن:٢/١٩٧.
(٥) التفسير البسيط:٧/٤٨٩، ولم أقف عليه عن الشعبي، معناه في "معاني القرآن" للنحاس ٢/ ٣٤٦ .
(٦) ذكره الواحدي في التفسير االبسيط:٧/٤٨٨، ولم أقف عليه..
(٧)البيت لعبيد الله بن عبد الله بن طاهر في التمثيل والمحاضرة ص ١٠٣ ورواية صدره فيه:
نونُ الهوان من الهوى مسروقة.
(٨) انظر: تفسير الثعلبي:٨/٣٦٢.
(٩) انظر: تفسير الثعلبي:٨/٣٦٢، وتفسير القرطبي:١٦/١٦٨، والتمثيل والمحاضرة للثعالبي ص١٠٣.
(١٠) انظر: تفسير الثعلبي:٨/٣٦٢، وتفسير القرطبي:١٦/١٦٨، والتمثيل والمحاضرة للثعالبي ص١٠٣.
(١١) انظر: تفسير الثعلبي:٨/٣٦٢، وتفسير القرطبي:١٦/١٦٨.
(١٢) انظر: تفسير الثعلبي:٨/٣٦٣، وتفسير القرطبي:١٦/١٦٨.

فاعص هوى النفس ولا ترضها		إنك إن أسخطتها زانكا
حتى متى تطلب مرضاتها		وإنها تطلب عدوانكا

وقال أبو عبيد الطوسي(٢):

والنفس إن أعطيتها مناها		فاغرة نحو هواها فاها

و سئل سهل بن عبد الله التستري عن الهوى فقال للسائل: "هواك يأمرك فإن خالفته فرط بك، وقال: إذا عرض لك أمران شككت خيرها فانظر أبعدهما من هواك فإنه"(٣).

وأنشد أبو بكر الزيدي(٤):

إذا طالبتك النفس يوما بشهوة		وكان إليها للخلاف طريق
فدعها وخالف ما هويت فإنما		هواك عدو والخلاف صديق

وقال رجل لابن عباس: "الحمد لله الذي هواي على هواك. فقال ابن عباس: كل هوى ضلالة"(٥).

وفي توجيه الخطاب في قوله تعالى:{وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ} [المائدة: ٧٧]، قولان:

أحدهما: أنها خطاب لليهود والنصارى لذين كانوا في عصر النبي - صلى الله عليه وسلم -، نهوا أن يتبعوا أسلافهم فيما ابتدعوه بأهوائهم، وأن يقلدوهم فيما هووا. قاله الواحدي(٦).

والثاني: وقال الحسن(٧)، ومجاهد(٨): {الذين ضلوا من قبل} هم اليهود، وعلى هذا الخطاب للنصارى فقط، يقول: لا تؤثروا الشهوات على البيان كما فعلت اليهود حين كذبوا الرسل ونقضوا العهد، والمراد بالنهي عن اتباع اهوائهم: النهي عن اتباع أهواء مثل أهوائهم في التكذيب والمخالفة على الرسل.

قال الواحدي:"ففي القول الأول وقع النهي على اتباع غير ما هووا، وفي هذا الثاني وقع النهي على اتباع مثل أهوائهم، والتقدير في اللفظ: لا تتبعوا مثل أهواء قوم، أي أهواء مثل أهوائهم، ثم حذف الأهواء الأول وأقيم الثاني مقامه؛ لأنه هوى مثله. والأول أظهر"(٩).

قال ابن عطية:" وهذه المخاطبة هي للنصارى الذين غلوا في عيسى، والقوم الذين نهي النصارى عن اتباع أهوائهم بنو إسرائيل، ومعنى الآية لا تتبعوا أنتم أهواءكم كما اتبع أولئك أهواءهم، فالمعنى لا تتبعوا طرائقهم، والذي دعا إلى هذا التأويل أن النصارى في غلوهم ليسوا على هوى بني إسرائيل هم بالضد في الأقوال وإنما اجتمعوا في اتباع نوع الهوى، فالآية بمنزلة قولك لمن تلومه على عوج، هذه طريقة فلان، تمثله بآخر قد اعوج نوعا آخر من الاعوجاج وإن اختلفت نوازله"(١٠).

قوله تعالى:{وَأَضَلُّوا كَثِيرًا} [المائدة: ٧٧]، أي:" وحملوا كثيرًا من الناس على الكفر بالله"(١١).

قال السدي:" {وأضلوا كثيرا}، أتباعهم"(١٢).

قال السعدي:"من الناس بدعوتهم إياهم إلى الدين، الذي هم عليه" (١).

---

(١) انظر: تفسير الثعلبي:٣٦٣/٨، وتفسير القرطبي:١٦٨/١٦.
(٢) انظر: تفسير الثعلبي:٣٦٣/٨، وتفسير القرطبي:١٦٨/١٦.
(٣) تفسير الثعلبي:٣٦٣/٨.
(٤) انظر: تفسير الثعلبي:٣٦٣/٨، وتفسير القرطبي:١٦٨/١٦.
(٥) ذكره الواحدي في التفسير االبسيط:٤٨٨/٧، ولم أقف عليه..
(٦) انظر: التفسير البسيط:٤٨٩/٧.
(٧) انظر: التفسير البسيط للواحدي:٤٨٩/٧، ولم أقف عليه.
(٨)أخرجه عنه الطبري(١٢٢٩٦):ص٤٨٨/١٠، وانظر: "زاد المسير" ٢/ ٤٠٥.
(٩) التفسير البسيط:٤٨٩/٧.
(١٠) المحرر الوجيز:٢٢٣/٢.
(١١) التفسير الميسر:٢٤٠.
(١٢) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٦٥٨):ص١١٨١/٤.

قال الزمخشري:أي:" ممن شايعهم على التثليث"[٢].
قال الطبري:أي:" وأضل هؤلاء اليهود كثيرًا من الناس، فحادوا بهم عن طريق الحق، وحملوهم على الكفر بالله والتكذيب بالمسيح"[٣].
عن السدي:{لا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرًا}، فهم أولئك الذين ضلُّوا وأضلوا أتباعهم" [٤].
قوله تعالى:{وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ} [المائدة: ٧٧]، أي:" وخرجوا عن طريق الاستقامة إلى طريق الغَواية والضلال"[٥].
عن مجاهد في قول الله:"{وضلوا عن سواء السبيل}، قال:هم يهود" [٦].
قال السدي:" {عن سواء السبيل}، عن عَدْل السبيل" [٧].
قال الزمخشري:" وضلوا لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سواء السبيل حين كذبوه وحسدوه وبغوا عليه"[٨].
قال الطبري:أي:" يقول: وضلَّ هؤلاء اليهود عن قصد الطريق، وركبوا غير محجَّة الحق"[٩].
قال السعدي:" أي: قصد الطريق، فجمعوا بين الضلال والإضلال، وهؤلاء هم أئمة الضلال الذين حذر الله عنهم وعن اتباع أهوائهم المردية، وآرائهم المضلة" [١٠].
قال الربيع بن أنس قال: "وقد كان قائم قام عليهم فأخذ بالكتاب والسنة زمانا فأتاه الشيطان فقال: إنما تركب أثرا أو أمرا قد عمل به قبلك فلا تحمد عليه ولكن إبتدع أمرا من قبل نفسك وادع إليه وأجبر الناس عليه ففعل، ثم تذكر من بعد فعله زمانا، فأراد أن يتوب، فخلع سلطانه وملكه، وأراد أن يتعبد فلبث في عبادته أياما، فأتي فقيل له: لو أنك تبت من خطيئة عملتها فيما بينك وبين ربك عسى أن يتاب عليك، ولكن ضل فلان وفلان وفلان في سبيلك حتى فارقوا الدنيا وهم على الضلالة. فكيف لك بهداهم، فلا توبة لك أبدا، ففيه سمعنا وفي أشباهه هذه الآية يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل"[١١].
الفوائد:
١- حرمة الغلو والابتداع في الدين، واتباع أهل الأهواء.
٢- أن الله تعالى نهى أهل الكتاب عن الغلو في الدين من طريقيه: في التوحيد، وفي العمل.
فغلوهم في التوحيد نسبتهم له الولد سبحانه، وغلوهم في العمل ما ابتدعوه من الرهبانية في التحليل والتحريم والعبادة والتكليف. وقال - صلى الله عليه وسلم -: «لتركبن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه»[١٢]. وهذا صحيح لا كلام فيه[١].

---

(١) تفسير السعدي:٢٤٠.
(٢) .
(٣) تفسير الطبري:٤٨٨/١٠.
(٤) أخرجه الطبري(١٢٢٩٧):ص٤٨٨/١٠.
(٥) التفسير الميسر:٢٤٠.
(٦) أخرجه الطبري(١٢٢٩٦):ص٤٨٨/١٠، وابن ابي حاتم(٦٥٩):ص١١٨١/٤.
(٧) أخرجه الطبري(١٢٢٩٧):ص٤٨٨/١٠.
(٨) .
(٩) تفسير الطبري:٤٨٨/١٠.
(١٠) تفسير السعدي:٢٤٠.
(١١) اخرجه ابن ابي حاتم:١١٨٠/٤-١١٨١.
(١٢)أخرجه أحمد ٢١٨/٥، حديث رقم ٢٢٢٤٢؛ وأخرجه الترمذي ص١٨٧١، كتاب الفتن، باب ١٨: ما جاء لتركبن سنن من كان قبلكم، حديث رقم ٢١٨٠؛ وأخرجه ابن حبان في صحيحه ٢٤٨/٨، باب: ذكر الأخبار عن

وقد ثبت في الصحاح « أن الحولاء بنت تويت، مرت على عائشة وعندها رسول الله صلى الله عليه وسلم، قالت: فقلت: يا رسول الله، هذه الحولاء، وزعموا أنها لا تنام الليل؟ فقال: لا تنام الليل خذوا من العمل ما تطيقون، فوالله لا يسأم الله حتى تسأموا»(٢).

٣-ومنها ان اتباع الهوى مفسدة للدين والدنيا، وإذا كان لكل نفس هوى وشهوه، فان العاقل يحترس من الهوى. لأن العقل والهوى متعاديان، فإذا كان الهوى عدو العقل وآفته وجب على الإنسان أن يتجرد من الهوى, فالإنسان إذا اتبع الهوى نسي الله, وضل عن سبيل الرشاد, ولهذا قيل: "الهوى شريك العمى", و"كم من عقل أسير في يدي هوى أمير", ولهذا نهى الله عن الهوى فقال جل شأنه: {وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ} [ص:٢٦] , وفي الحديث: "ثَلاثٌ مُهْلِكَاتٌ: شُحٌّ مُطَاعٌ وَهَوًى مُتَّبَعٌ وَإِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ"(٣).

وقد روي أن لقمان عليه السلام قال لابنه: "يا بني أول ما أحذرك من نفسك فان لكل نفس هوى وشهوه فان أعطيتها شهوتها تمادت وطلبت سواها فان الشهوة كامنة في القلب كمون النار في الحجر إن قدح أورى وإن ترك توارى"(٤)، قال الشاعر(٥):

إذا ما أجبت النفس في كل دعوة دعتك إلى الأمر القبيح المحرم

فلا تغتر أخي بترفع بعض مطيعي الهوى في هذه الحياة فان الهوى يردي اللبيب، وقد نسب إلى الفضل بن العباس انه قال(٦):

لقد ترفع الأيام من كان جاهلاً ويردي الهوى ذا الرأي وهو لبيب
وقد تحمد الناس الفتى وهو مخطئ ويعذل في الإحسان وهو مصيب

ومن مفاسد إتباع الهوى(٧):

أولا:- إن اتباع الهوى ـ وهو "ما تميل إليه النفس مما لم يبحه الشرع"،خلاف مقصود الشرع ؛ لأن "المقصد الشرعي من وضع الشريعة إخراج المكلّف عن داعية هواه ؛ حتى يكون عبداً لله اختياراً، كما هو عبد لله اضطراراً"(٨).

ثانيا:- أن صاحب الهوى لا حكَمَة له ولا زمام، ولا قائد له ولا إمام، إلهه هواه، حيثما تولت مراكبه تولى، وأينما سارت ركائبه سار، فآراؤه العلمية، وفتاواه الفقهية، ومواقفه العملية، تبع لهواه، فدخل تحت قوله تعالى: {أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلا تَذَكَّرُونَ} [الجاثية:٢٣].

قال عامر بن عبد الله بن الزبير بن العوام: "ما ابتدع رجل بدعة إلا أتى غداً بما ينكره اليوم"(١).

اتباع هذه الأمة سنن من قبلهم من الأمم، حديث رقم ٦٦٦٧، وقال الألباني في صحيح الترمذي: صحيح ٢٣٥/٢، حديث رقم ١٧٧١.

(١) انظر: أحكام القرآن لابن عربي:٢/!٤١.

(٢) أخرجه أحمد(٢٦٠٩٥):ص٢٠٢/٤٣، وعبد بن حميد (١٤٨٥) ، وأبو عوانة ٢٩٨/٢-٢٩٩، وأبو نعيم في "الحلية" ٦٥/٢ من طريق عثمان بن عمر إسناده صحيح.

وأخرجه مسلم (٧٨٥) (٢٢٠) ، وابن حبان (٢٥٨٦) ، والبيهقي ١٧/٣ من طريق ابن وهب.

وأخرجه الطبراني في "الشاميين" (١٧٥٣) من طريق عبد الله بن سالم.

(٣)أخرجه الطبراني في الأوسط ج٥ص٣٢٨ حديث (٥٤٥٢) .

(٤) انظر:مكاشفة القلوب، للغزالي:٣٤٠، والخلق الكامل، محمد جاد المولى:ص٣٠٣/٤.

(٥) البيت من شواهد الغززالي في مكاشفة القلوب:٣٤٠.

(٦)وردت هذه الأبيات في مكاشفة القلوب:٣٤١، منسوبه للفضل بن العباس، ووردت ضمن أبيات للأخضر اللهبي مع اختلاف في بعض الألفاظ وهي ضمن ديوانه ورددت بلفظ:

وقد يحكم الأيام من كان جاهلاً ... ويردي الهوى ذا الرأي وهو لبيبُ

ويحمد في الأمر وهو مخطىء ... ويعذل في الإحسان وهو مصيب.

(٧) للشيخ الدكتور إبراهيم بن عبدالله الزهراني، شبكة القلم الفكرية.

(٨) الموافقات، الشاطبي: ٤٦٩/٢.

.

وقال عبد الله بن عون البصري:"إذا غلب الهوى على القلب،استحسن الرجل ما كان يستقبحه"[٢].
ثالثا:- أن صاحب الهوى ليس له معايير ضابطة، ولا مقاييس ثابتة، يردُّ الدليل إذا خالف هواه لأدنى احتمال، ويستدل به على ما فيه من إشكال أو إجمال، وإذا لم يستطع ردّ الدليل لقوته، حمله على غير وجهه، وصرفه عن ظاهره إلى احتمال مرجوح بغير دليل.
قال شيخ الإسلام: "والمفترقة من أهل الضلال تجعل لها دينًا وأصول دين قد ابتدعوه برأيهم، ثم يعرضون على ذلك القرآن والحديث، فإن وافقه احتجوا به اعتضادًا لا اعتمادًا، وإن خالفه فتارة يحرفون الكلم عن مواضعه ويتأولونه على غير تأويله، وهذا فعل أئمتهم، وتارة يعرضون عنه، ويقولون: نفوّض معناه إلى اللّه، وهذا فعل عامتهم"[٣].
رابعا:-أن صاحب الهوى - إذا كان عنده شيء من العلم الشرعي - مفزع كل مفترٍ، ومأوى كل مبطلٍ، ومستشار كل طاغٍ، وفتنة كل جاهل، بما يسوغه لهم من الآراء الباطلة، ويسوقه لهم من الأدلة الزائفة، ويلبس عليهم به من الشبه الصارفة.
قال الحسن البصري: "شرار عباد الله الذين يتبعون شرار المسائل ؛ ليعموا بها عباد الله"[٤].
خامسا:- أن صاحب الهوى تسهل استمالته من قبل أعداء الأمة، والمتربصين بها الدوائر، فسرعان ما يرتد خنجراً في خاصرة الأمة، وسوطاً يلهبُ ظهرَها، وعيناً يكشف سرها، ويبدي سوأتها، ويهتك سترها، داعية لتثبيط العزائم، إماماً لكل متهتك وخائن.
سادسا:- أن صاحب الهوى مفرق لجماعة المسلمين، مبتغٍ لهم العنت والمشقة، الطعن في الصالحين ديدنه، والهمز واللمز دأبه، والحسد طبعه.
تراه معتزلاً كل من يخالف هواه، وإن كان أهدى سبيلا، مقرباً لكل من هو على شاكلته وإن كان للشيطان قبيلا.
قال سعيد بن عنبسة: "ما ابتدع رجل بدعة إلا غلّ صدرُه على المسلمين، واختلجتْ منه الأمانة"[٥]. قال نعيم: فسمعه مني الأوزاعي، فقال: أنت سمعته من عنبسة؟ قلت نعم. قال: "صدق لقد كنا نتحدث أنه ما ابتدع رجل بدعة إلا سلب ورعه"[٦].
وذلك لأن جميع المعاصي يجتمع فيها هذان الوصفان، وهما العداوة والبغضاء، والصد عن ذكر الله وعن الصلاة، فإن التحابّ والتآلف إنما هو بالإيمان، والعمل الصالح كما قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدّاً} [مريم:٩٦]، أي: يلقي بينهم المحبة، فيحب بعضهم بعضا، فيتراحمون، ويتعاطفون، بما جعل الله لبعضهم في قلوب بعض من المحبة.
عن عبد الرزاق، عن معمر، قال:" كنت عند ابن طاوس، وعنده ابن له، إذ أتاه رجل يقال له: صالح، يتكلم في القدر فتكلم بشيء فتنبه، فأدخل ابن طاوس إصبعيه في أذنيه، وقال لابنه: «أدخل أصابعك في أذنيك واشدد، فلا تسمع من قوله شيئا فإن القلب ضعيف»"[٧].

---

(١)الشرح والإبانة على أصول السنَّة والديانة؛ ابن بطة، تحقيق: الدكتور رضا بن نعسان معطي، المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، الطبعة الأولى، ١٤٢٣ هـ، ص ١٤٨، برقم ٨٣..
(٢)الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، ابن أبي شيبة ، تقديم وضبط: كمال الحوت، المدينة المنورة: مكتبة الزمان، ط١، ١٤٠٩ هـ، ٣ /٤٥.
(٣) مجموع الفتاوى:٦٦/٨.
(٤)جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، ابن رجب :١٠٢ ، وتفسير ابن رجب: ٤٥٧/١.
(٥)أخرجه ابن بطة في الشرح والإبانة ص١٥٢.
(٦) ذم الكلام وأهله(٩١٩):ص١٢٦/٥.

(٧) جامع معمر بن راشد (٢٠٠٩٩):ص ١١/ ١٢٥، وأخرجه: اللالكائي من طريق عبد الرزاق. (شرح أصول اعتقاد أهل السنة ١/ ١٣٥) . وأخرجه: ابن بطة في الإبانة (١/ ٤٠ - ب).

وعن ابن عمر- رضي الله عنهما :- أنه جاءه رجل فقال: إن فلانا يقرأ عليك السلام، قال: بلغني أنه قد أحدث، فإن كان أحدث فلا تقرأ عليه السلام"(١).

وقال الشوكاني في تفسيره لقول الله تعالى: {وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا...}، الآية [الأنعام: ٦٨]: "وفي هذه الآية موعظة عظيمة لمن يتمسح بمجالسة المبتدعة الذين يحرفون كلام الله، ويتلاعبون بكتابه وسنة رسوله، ويردون ذلك إلى أهوائهم المضلة، وبدعهم الفاسدة. فإنه إذا لم يُنْكِر عليهم ويُغَيِّر ما هم فيه، فَأَقَلُّ الأحوال أن يترك مجالستهم، وذلك يسير غير عسير. وقد يجعلون حضوره معهم مع تنزهه عما يتلبسون به شبهةً يشبهون بها على العامة، فيكون حضوره مفسدة زائدة على مجرد سماع المنكر"(٢).

وقال البغوي - رحمه الله -:"فعلى المرء المسلم إذا رأى رجلا يتعاطى شيئا من الأهواء والبدع معتقدا، أو يتهاون بشيء من السنن أن يهجره ويتبرأ منه، ويتركه حيا وميتا"(٣).

وقال ـ الإمام أحمد ـ في رسالته إلى مسدد:"ولا تشاور صاحب بدعة في دينك، ولا ترافقه في سفرك"(٤).

وقال إبراهيم النَخعي: "لا تجالسوا أهل الأهواء، فإنّ مجالستهم تذهب بنور الإيمان، وتسلب محاسن الوجوه، وتورث البغيضة في قلوب المؤمنين"(٥).

وروى الدارمي عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله أنه قال: "إذا رأيت قوما يتناجون في دينهم بشيء دون العامة فاعلم أنهم على تأسيس ضلالة"(٦)

القرآن

{لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (٧٨)} [المائدة: ٧٨]

التفسير:

يخبر تعالى أنه طرد من رحمته الكافرين من بني إسرائيل في الكتاب الذي أنزله على داود - عليه السلام- وهو الزَّبور، وفي الكتاب الذي أنزله على عيسى - عليه السلام - وهو الإنجيل; بسبب عصيانهم واعتدائهم على حرمات الله.

قوله تعالى:{لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ} [المائدة: ٧٨]، أي:" طرد الله من رحمته الكافرين من بني إسرائيل في الكتاب الذي أنزله على داود -عليه السلام- وهو الزَّبور، وفي الكتاب الذي أنزله على عيسى - عليه السلام - وهو الإنجيل "(٧).

قال السعدي:" أي: طردوا وأبعدوا عن رحمة الله،:{عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ}، أي: بشهادتهما وإقرارهما، بأن الحجة قد قامت عليهم، وعاندوها "(٨).

قال ابن كثير:" يخبر تعالى أنه لعن الكافرين من بني إسرائيل من دهر طويل، فيما أنزل على داود نبيه، عليه السلام، وعلى لسان عيسى ابن مريم"(٩).

---

(١)أخرجه الدارمي ٦٨/١.
(٢)فتح القدير ١٢٨/٢.
(٣)شرح السنة ٢٢٤/١.
(٤)الآداب الشرعية:٥٧٨/٣.
(٥)الإبانة: (٣٧٥):ص١٣٧/١.
(٦)أخرجه اللالكائي (١/ ١٣٥).
(٧) التفسير الميسر:١٢١.
(٨) تفسير السعدي:٢٤٠.
(٩) تفسير ابن كثير:١٦٠/٣.

قال السمعاني:" الذين لعنوا على لسان داود: هم أصحاب السبت، والذين لعنوا على لسان عيسى: أصحاب المائدة، وأولئك الذين جعلهم الله قردة، وهؤلاء الذين جعلهم الله خنازير"[١].

قال ابن عطية:" قد تقرر في غير موضع من القرآن ما جرى في مدة موسى من كفر بعضهم وعتوهم، وكذلك أمرهم مع محمد عليه السلام كان مشاهدا في وقت نزول القرآن، فخصت هذه الآية داود وعيسى إعلاما بأنهم لعنوا في الكتب الأربعة وأنهم قد لعنوا على لسان غير موسى ومحمد عليهما السلام"[٢].

قال الراغب:" إن قيل: على أي وجه لعنوا على ألسنتهما؟، قيل في ذلك أوجه:

الأول: أنهم فعلوا ما استحقوا به اللعن، فلعناهم بأسمائهم، وذلك راجع إلى آبائهم.

الثاني: أنهما قالا: من لم يفعل كذا فلعنة الله عليه، فعصوا، فصاروا ملعونين من هذا الوجه.

الثالث: أن الله تعالى لما أنزل على كل واحد منهما كتابا اقتضى أن من خالفه فهو ملعون، فخالف هؤلاء، فصاروا من هذا الوجه ملعونين"[٣].

عن ابن عباس:{لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود}، يعني: لعنوا في الإنجيل على لسان عيسى بن مريم، ولعنوا في الزبور على لسان داود"[٤].

وفي رواية أخرى عن ابن عباس أيضا:" لعنوا بكل لسان على عهد موسى في التوراة، ولعنوا على عهد عيسى في الإنجيل ولعنوا على عهد داود في الزبور، ولعنوا على عهد محمد صلى الله عليه وسلم في القرآن"[٥].

وعن ابن عباس أيضا:" خالطوهم بعد النهي في تجاراتهم، فضرب الله قلوبَ بعضهم ببعض، فهم ملعونون على لسان داود وعيسى ابن مريم"[٦].

قال مجاهد[٧]، وقتادة[٨]، وأبو مالك الغفاري[٩]:" يقول: لعنوا على لسان داود فصاروا قردة، ولعنوا على لسان عيسى بن مريم فصاروا خنازير"[١٠].

قال ابن عطية:"وذكر المسخ ليس مما تعطيه ألفاظ الآية، وإنما تعطي ألفاظ الآية أنهم لعنهم الله وأبعدهم من رحمته وأعلم بذلك العباد المؤمنون على لسان داود النبي في زمنه وعلى لسان عيسى في زمنه"[١١].

وعن ابن جريج قال، قال ابن عباس: "قوله: {لعن الذين كفروا من بني إسرائيل}، بكل لسان لُعِنوا: على عهد موسى في التوراة، وعلى عهد داود في الزبور، وعلى عهد عيسى في الإنجيل، ولعنوا على لسان محمد صلى الله عليه وسلم في القرآن قال ابن جريج: وقال آخرون: لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود، على عهده، فلعنوا بدعوته. قال: مرَّ داود على نفر منهم وهم في بيت فقال: من في البيت ؟ قالوا: خنازير. قال: اللهم اجعلهم خنازيرا! فكانوا خنازير. قال: ثم أصابتهم لعنته، ودعا عليهم عيسى فقال: اللهم العن من افترى عليّ وعلى أمي، واجعلهم قردة خاسئين!"[١٢].

---

(١) تفسير السمعاني:٥٦/٢.
(٢) المحرر الوجيز:٢٢٣/٢.
(٣) تفسير الراغب الأصفهاني:٤١٦/٥-٤١٧.
(٤) أخرجه ابن أبي حاتم(٦٦٦٢):ص١١٨١/٤-١١٨٢.
(٥) أخرجه ابن أبي حاتم(٦٦٦٣):ص١١٨٢/٤.
(٦) أخرجه الطبري(١٢٣٠٠):ص٤٨٩/١٠-٤٩٠.
(٧) انظر: تفسير الطبري(١٢٣٠١):ص٤٩٠/١٠.
(٨) انظر: تفسير الطبري(١٢٣٠٣):ص٤٩٠/١٠.
(٩) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٦٦٦٤):ص١١٨٢/٤. واللفظ له.
(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم(٦٦٦٤):ص١١٨٢/٤.
(١١) المحرر الوجيز:٢٢٤/٢
(١٢) أخرجه الطبري(١٢٣٠٢):ص٤٩٠/١٠.

قال عبدالله بن مسعود: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الرجل من بني إسرائيل كان إذا رأى أخاه على الذنب نهاه عنه تعزيرا، فإذا كان من الغد يمنعه ما رأى منه أن يكون أكيله وخليطه وشريكه- وفي حديث هارون وشريبه ثم اتفقا في المتن. فلما رأى الله ذلك منهم ضرب قلوب بعضهم على بعض ولعنهم على لسان نبيهم داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون. ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهن عن المنكر ولتأخذن على يدي المسيء ولتأطرنه على الحق أطرا أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض أو ليلعنكم كما لعنهم"(١).

عن أبي عبيدة قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن بني إسرائيل لما وقع فيهم النقصُ، كان الرجل يرى أخاه على الرَّيْبِ فينهاه عنه، فإذا كان الغدُ، لم يمنعه ما رأى منه أن يكون أكيله وشريبه وخليطه، فضرب الله قلوبَ بعضهم ببعض، ونزل فيهم القرآن فقال: لُعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم حتى بلغ ولكن كثيًرا منهم فاسقون، قال: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم متكئًا فجلس، وقال: لا حتى تأخذوا على يَدَي الظالم فتأطروه على الحق أطرًا "(٢).

قوله تعالى:{ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ} [المائدة: ٧٨]، أي:ذلك اللعن" بسبب عصيانهم واعتدائهم على حرمات الله"(٣).

قال الزجاج:" أي: ذلك اللعن بمعصيتهم واعتدائهم"(٤).

قال السعدي: أي:"{ذلك} الكفر واللعن بعصيانهم لله، وظلمهم لعباد الله، صار سببا لكفرهم وبعدهم عن رحمة الله، فإن للذنوب والظلم عقوبات"(٥).

قال ابن كثير:" بسبب عصيانهم لله واعتدائهم على خلقه"(٦).

قال الطبري: أي:" بما عصوا الله فخالفوا أمره وكانوا يعتدون ، يقول: وكانوا يتجاوزون حدودَه"(٧).

قال الراغب:" الاعتداء والتعدي والعدوان خروج عما حد ورسم"(٨).

قال قتادة:" اجتنبوا المعصية والعرفان فإن بنا ملك من ملك قبلكم من الناس"(٩).

الفوائد:

١- العصيان والاعتداء ينتجان لصاحبهما الحرمان والخسران.

٢-التحذير من التغيير للحق والتبديل لأنه من التشبه بأعداء الله تعالى ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقد جاء الذم البليغ والوعيد الشديد على ذلك كما في الآية.

القرآن

{كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٧٩)} [المائدة: ٧٩]

التفسير:

كان هؤلاء اليهود يُجاهرون بالمعاصي ويرضونها، ولا يَنْهى بعضُهم بعضًا عن أيِّ منكر فعلوه، وهذا من أفعالهم السيئة، وبه استحقوا أن يُطْرَدُوا من رحمة الله تعالى.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم(٦٦٦١):ص١١٨١/٤، و الترمذي كتاب التفسير رقم ٣٠٤٧ ٥/ ٢٣٥، أبو داود كتاب الملاحم رقم ٤٣٣٧.

(٢) أخرجه الطبري(١٢٣٠٩):ص٤٩٣/١٠-٤٩٤.

(٣) التفسير الميسر:١٢١.

(٤) معاني القرآن:٢/!٩٨.

(٥) تفسير السعدي:٢٤٠.

(٦) تفسير ابن كثير:١٦٠/٣.

(٧) تفسير الطبري:٤٩٥/١٠.

(٨) تفسير الراغب الاصفهاني:٤١٦/٥.

(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٦٦٥):ص١١٨٢/٤.

قوله تعالى:{كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ} [المائدة: ٧٩]، أي:" كان هؤلاء اليهود يُجاهرون بالمعاصي ويرضونها، ولا يَنْهى بعضُهم بعضًا عن أيِّ منكر فعلوه"[١].

قال ابن جريج:" لا تتناهى أنفسهم بعد أن وقعوا في الكفر"[٢].

قال الجصاص:" معناه لا ينهى بعضهم بعضا عن المنكر"[٣].

قال الطبري:" كان هؤلاء اليهود الذين لعنهم الله لا ينتهون عن منكر فعلوه، ولا ينهى بعضهم بعضًا، ويعني بـ«المنكر»: المعاصي التي كانوا يعصون الله بها"[٤].

قال السعدي:" أي: كانوا يفعلون المنكر، ولا ينهى بعضهم بعضا، فيشترك بذلك المباشر، وغيره الذي سكت عن النهي عن المنكر مع قدرته على ذلك، وذلك يدل على تهاونهم بأمر الله، وأن معصيته خفيفة عليهم، فلو كان لديهم تعظيم لربهم لغاروا لمحارمه، ولغضبوا لغضبه"[٥].

قال ابن عطية:" ذم الله تعالى هذه الفرقة الملعونة بأنهم كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه أي إنهم كانوا يتجاهرون بالمعاصي وإن نهى منهم ناه فعن غير جد، بل كانوا لا يمتنع الممسك منهم عن مواصلة العاصي ومؤاكلته وخلطته، والإجماع على أن النهي عن المنكر واجب لمن أطاقه ونهى بمعروف وأمن الضرر عليه وعلى المسلمين، فإن تعذر على أحد النهي لشيء من هذه الوجوه ففرض عليه الإنكار بقلبه وأن لا يخالط ذا المنكر، وقال حذاق أهل العلم: ليس من شروط الناهي أن يكون سليما من المعصية، بل ينهى العصاة بعضهم بعضا، وقال بعض الأصوليين فرض على الذين يتعاطون الكؤوس أن ينهى بعضهم بعضا. واستدل قائل هذه المقالة بهذه الآية، لأن قوله يتناهون وفعلوه يقتضي اشتراكهم في الفعل وذمهم على ترك التناهي"[٦].

قال السمعاني:" التناهي: تفاعل من النهي، والمنكر: كل ما أنكره الشرع"[٧].

قال الراغب:" التناهي: أن ينهى بعضهم بعضا، والانتهاء الانفجار، وهو أبلغ من الانتهاء والمعنى لم يكونوا ينتهون، ولا يتناهون عن القبح الذي أناطوه"[٨].

قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم:" كانت معصيتهم كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه"[٩].

عن أبي عبيدة، عن عبد الله قال: "لما فشا المنكر في بني إسرائيل، جعل الرجل يلقَى الرجل فيقول: يا هذا، اتق الله! ثم لا يمنعه ذلك أن يؤاكله ويشاربه. فلما رأى الله ذلك منهم، ضرب بقلوب بعضهم على بعض، ثم أنزل فيهم كتابًا: {لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهَوْن عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون}، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مُتَّكئًا، فجلس وقال: كلا والذى نفسي بيده، حتى تأطِرُوا الظالم على الحق أطْرًا "[١٠].

قال الجصاص:" قال أبو بكر في هذه الآية مع ما ذكرنا من الخبر في تأويلها دلالة على النهي عن مجالسة المظهرين للمنكر وأنه لا يكتفى منهم بالنهي دون الهجران"[١١].

قوله تعالى:{لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ} [المائدة: ٧٩]، أي:": لبئس الفعل كانوا يفعلون"[١٢].

---

(١) التفسير الميسر:١٢١.
(٢) أخرجه الطبري(١٢٣١٣):ص٤٩٦/١٠.
(٣) أحكام القرآن:١٠٨/٤.
(٤) تفسير الطبري:٤٩٦/١٠.
(٥) تفسير السعدي:٢٤٠.
(٦) المحرر الوجيز:٢٢٤/٢
(٧) تفسير السمعاني:٥٦/٢.
(٨) تفسير الراغب الاصفهاني:٤١٧/٥-٤١٨.
(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٦٦٦):ص١١٨٢/٤.
(١٠) أخرجه الطبري(١٢٣٠٧):ص٤٩٢/١٠.
(١١) أحكام القرآن:١٠٨/٤.
(١٢) تفسير الطبري:٤٩٦/١٠.

قال الزجاج:" أي: لبئس سيئا فعلهم"[١].

قال الطبري:" وهذا قسم من الله تعالى ذكره يقول: أقسم: لبئس الفعل كانوا يفعلون، في تركهم الانتهاء عن معاصي الله تعالى ذكره، وركوب محارمه، وقتل أنبياء الله ورسله"[٢].

قال الزمخشري: قوله{لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ}: " للتعجيب من سوء فعلهم، مؤكدا لذلك بالقسم، فيا حسرة على المسلمين في إعراضهم عن باب التناهي عن المناكير، وقلة عبثهم به، كأنه ليس من ملة الإسلام في شيء مع ما يتلون من كلام الله وما فيه من المبالغات في هذا الباب. فان قلت: كيف وقع ترك التناهي عن المنكر تفسيرا للمعصية والاعتداء؟ قلت: من قبل أن الله تعالى أمر بالتناهي، فكان الإخلال به معصية وهو اعتداء، لأن في التناهي حسبما للفساد فكان تركه على عكسه. فإن قلت: ما معنى وصف المنكر بفعلوه، ولا يكون النهى بعد الفعل؟ قلت: معناه لا يتناهون عن منكر فعلوه، أو عن مثل منكر فعلوه، أو عن منكر أرادوا فعله، كما ترى أمارات الخوض في الفسق وآلاته تسوى وتهيأ فتنكر. ويجوز أن يراد: لا ينتهون ولا يمتنعون عن منكر فعلوه، بل يصبرون عليه ويداومون على فعله. يقال: تناهى عن الأمر وانتهى عنه إذا امتنع منه وتركه"[٣].

الفوائد:

١- حرمة السكوت عن المنكر ووخامة عاقبته على المجتمع.

٢- إن السكوت عن المنكر -مع القدرة- موجب للعقوبة، لما فيه من المفاسد العظيمة[٤]:

- منها: أن مجرد السكوت، فعل معصية، وإن لم يباشرها الساكت. فإنه -كما يجب اجتناب المعصية- فإنه يجب الإنكار على من فعل المعصية.
- ومنها: ما تقدم أنه يدل على التهاون بالمعاصي، وقلة الاكتراث بها.
- ومنها: أن ذلك يجرئ العصاة والفسقة على الإكثار من المعاصي إذا لم يردعوا عنها، فيزداد الشر، وتعظم المصيبة الدينية والدنيوية، ويكون لهم الشوكة والظهور، ثم بعد ذلك يضعف أهل الخير عن مقاومة أهل الشر، حتى لا يقدرون على ما كانوا يقدرون عليه أولا.
- ومنها: أن - في ترك الإنكار للمنكر- يندرس العلم، ويكثر الجهل، فإن المعصية- مع تكررها وصدورها من كثير من الأشخاص، وعدم إنكار أهل الدين والعلم لها - يظن أنها ليست بمعصية، وربما ظن الجاهل أنها عبادة مستحسنة، وأي مفسدة أعظم من اعتقاد ما حرم الله حلالا؟ وانقلاب الحقائق على النفوس ورؤية الباطل حقا؟ "
- ومنها: أن السكوت على معصية العاصين، ربما تزينت المعصية في صدور الناس، واقتدى بعضهم ببعض، فالإنسان مولع بالاقتداء بأضرابه وبني جنسه، ومنها ومنها.

فلما كان السكوت عن الإنكار بهذه المثابة، نص الله تعالى أن بني إسرائيل الكفار منهم لعنهم بمعاصيهم واعتدائهم، وخص من ذلك هذا المنكر العظيم.

٣-دلت هذه الآية على المذهب الصحيح الأشعرى، من أن متعلق النهي فعل وهو الترك، خلافا لأبى هاشم المعتزلي في قوله «إن متعلقه نفى محض وعدم صرف»[٥]، ووجه دلالة الآية على أن متعلقه فعل، أنه عبر عن ترك التناهى الذي وقع توبيخهم عليه بالفعل، حيث قال: {لبئس ما كانوا يفعلون}، أى: لبئس الترك للتناهي فعلا، كما تقول: زيد بئس الرجل، فتجعل الرجل واقعا على زيد.

---

(١) معاني القرآن:١٩٩/٢.

(٢) تفسير الطبري:٤٩٦/١٠.

(٣) الكشاف:٦٦٧/١.

(٤) انظر: تفسير السعدي:٢٤٠.

(٥) انظر: الانتصاف فيما تضمنه الكشاف:٦٦٧/١، الهامش(١).

وقد سمى تركهم للنهى عن المنكر في الآية السالفة قبل هذه صنعا، فقال: {لولا ينهاهم الربانيون والأحبار} إلى قوله: {لبئس ما كانوا يصنعون} وذلك أبلغ في الدلالة على أن متعلق النهى أمر ثابت، إذ «الصنع» أمكن من الفعل في الدلالة على الإثبات[١].

القرآن

{تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ (٨٠)} [المائدة: ٨٠]

التفسير:

تَرَى -أيها الرسول- كثيرًا من هؤلاء اليهود يتخذون المشركين أولياء لهم، ساء ما عملوه من الموالاة التي كانت سببًا في غضب الله عليهم، وخلودهم في عذاب الله يوم القيامة.

قوله تعالى:{تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا} [المائدة: ٨٠]، أي:" تَرَى -أيها الرسول- كثيرًا من هؤلاء اليهود يتخذون المشركين أولياء لهم"[٢].

قال مكي:" المعنى: ترى يا محمد كثيراً من اليهود يوالون المشركين من عبدة الأوثان ويعادون أولياء الله"[٣].

قال الواحدي:" أي: من اليهود يتولون كفار مكة، يعني كعب بن الأشرف وأصحابه حين استجاشوا المشركين على رسول الله - صلى الله عليه وسلم –"[٤].

قال الزمخشري:" هم منافقو أهل الكتاب، كانوا يوالون المشركين ويصافونهم"[٥].

قال ابن عطية:" {ترى كثيرا}، يحتمل أن يكون رؤية قلب وعلى هذا فيحتمل أن يريد من الأسلاف المذكورين، أي ترى الآن إذا خبرناك، ويحتمل أن يريد من معاصري محمد صلى الله عليه وسلم لأنه كان يرى ذلك من أمورهم ودلائل حالهم، ويحتمل أن تكون الرؤية رؤية عين فلا يريد إلا معاصري محمد -صلى الله عليه وسلم-"[٦].

وفي عود الضمير في قوله تعالى:{كثيرا مِنْهُمْ}[المائدة: ٨٠]، ثلاثة وجوه:

أحدها: أن الضمير في {منهم } راجع إلى اليهود، وهم كعب بن الأشرف وأصحابه، يتولون كفار قريش حين خرجوا إليهم يجيشون على النبي -صلى الله عليه وسلم- حكاه الجصاص عن الحسن وغيره[٧]، وبه قال مقاتل[٨].

والثاني: أنه راجع إلى أهل الكتاب، {والذين كفروا} هم عبدة الأوثان تولاهم أهل الكتاب على معاداة النبي صلى الله عليه وسلم ومحاربته[٩].

والثالث: أنه راجع إلى المنافقين، يتولون الذين كفروا، يعني: اليهود. وهذا قول ابن عباس[١٠]، ومجاهد[١١]، والحسن[١٢]، والكلبي[١٣].

قال الواحدي:"وهذا القول يؤكده ما بعد هذه الآية"[١٤].

---

(١) انظر: الانتصاف فيما تضمنه الكشاف:٦٦٧/١، الهامش(١).
(٢) التفسير الميسر:١٢١.
(٣) الهداية غلى بلوغ النهاية:١٨٢٣/٣.
(٤) البتفسير البسيط:٤٩١/٧-٤٩٢.
(٥) الكشاف:٦٦٧/١.
(٦) المحرر الوجيز:٢٢٤/٢.
(٧)انظر: احكام القرىن للجصاص:١٠٩/٤.
(٨) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٤٩٦/١.
(٩) انظر: احكام القرىن للجصاص:١٠٩/٤.
(١٠) انظر: التفسير البسيط:٤٩٢/٧، وتفسير البغوي:٨٥/٣، وزاد المسير:٥٧٤/١.
(١١) انظر: التفسير البسيط:٤٩٢/٧، وتفسير البغوي:٨٥/٣، وزاد المسير:٥٧٤/١.
(١٢) انظر: التفسير البسيط:٤٩٢/٧، وتفسير البغوي:٨٥/٣، وزاد المسير:٥٧٤/١.
(١٣) انظر: بحر العلوم:٤١١/١.
(١٤)التفسير البسيط:٤٩٢/٧.

قوله تعالى:{لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ} [المائدة: ٨٠]، أي:" ساء ما عملوه من الموالاة التي كانت سببًا في غضب الله عليهم"[١].

عن ابن عباس:{لبئس ما قدمت لهم أنفسهم}، قال: أمرتهم"[٢].

قال السمرقندي:" معناه: لبئس الفعل الذي كانوا يستوجبون به السخط من الله تعالى ويوجب لهم العقوبة والعذاب"[٣].

قال ابن الجوزي:" أي: بئسما قدموا لمعادهم أن سخط الله عليهم"[٤].

قال الطبري:" أقسم: لبئس الشيء الذي قدمت لهم أنفسهم أمامهم إلى معادهم في الآخرة {أنْ سخط الله عليهم}، يقول: قدّمت لهم أنفسهم سخط الله عليهم بما فعلوا"[٥].

قال ابن كثير:" يعني: بذلك موالاتهم للكافرين، وتركهم موالاة المؤمنين، التي أعقبتهم نفاقًا في قلوبهم، وأسخطت الله عليهم سخطًا مستمرًا إلى يوم معادهم ؛ ولهذا قال: { أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ }، فسر بذلك ما ذمهم به"[٦].

ويحتمل قوله تعالى::{تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا} [المائدة: ٨٠]، وجهين[٧]:

أحدهما: يعني: من اليهود: {يتولون الذين كفروا}، من مشركي العرب وغيرهم، كانوا يظاهرون على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والمؤمنين، ويعاونون عليهم، وقد كان من الفريقين جميعا ذلك.

والثاني: أن قوله: {ترى كثيرا منهم}، أي: من هؤلاء الذين شهد لهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يتولون الذين كفروا، يعني: أسلافهم ورؤساءهم؛ كقوله: {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ} [المائدة: ٧٧]، تولى هؤلاء أولئك واتبعوا أهواءهم.

قوله تعالى:{وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ} [المائدة: ٨٠]، أي:" وفي عذاب جهنم مخلّدون أبد الآبدين"[٨].

قال السمرقندي:" يعني: دائمون"[٩]

قال ابن كثير:" يعني يوم القيامة"[١٠].

قال الطبري:" يقول: وفي عذاب الله يوم القيامة هم خالدون ، دائم مُقامهم ومُكثهم فيه"[١١].

عن مسلمة بن علي، عن الأعمش بإسناده ذكره، قال: "يا معشر المسلمين إياكم والزنا فإن فيه ستة خصال ثلاث في الدنيا وثلاث في الآخرة: فأما التي في الدنيا فإنه يذهب البهاء ويورث الفقر وينقص العمر. وأما التي في الآخرة فإنه يوجب السخط من الرب وسوء الحساب والخلود في النار، ثم تلا النبي صلى الله عليه وسلم: {لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون}"[١٢].

الفوائد:

١- حرمة موالاة أهل الكفر والشر والفساد.

---

(١) التفسير الميسر:١٢١.

(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٦٦٧):ص١١٨٢/٤.

(٣) بحر العلوم:٤١١/١.

(٤) زاد المسير:٥٧٤/١.

(٥) تفسير الطبري:٤٩٧/١٠.

(٦) تفسير ابن كثير:١٦٤/٣-١٦٥.

(٧) انظر: تفسير الماتريدي:٥٧١/٣.

(٨) صفوة التفاسير:٣٣٢.

(٩) بحر العلوم:٤١١/١.

(١٠)تفسير ابن كثير:١٦٥/٣.

(١١) تفسير الطبري:٤٩٧/١٠.

(١٢) أخرجه انب أبي حاتم(٦٦٦٨):ص١١٨٣/٤.

٢- أن موالاة الكفار موجبة لسخط الله، والخلود في العذاب بمجردها، وإن كان الإنسان خائفاً، إلا من أكره بشرطه، إذ ان الموالاة بمجردها لا تعد كفراً.
٣-في الآية الدّليل على إثبات صفة:«السّخط»، وهي من صفات الله الفعلية الخبرية، مع الإعتقاد بأن صفاته ـ تعالى ـ ليست كالصّفات، كما أنّ ذاته ـ تعالى ـ ليست كذاتنا؛ فالمجسّم والممثّل يعبد صنمًا، والمعطّل والنّافي يعبد عدمًا، والمثبت المنزّه يعبد حيًّا قيومًا واحدًا لا شريك له في ذاته وصفاته؛ فتعالى الله عمّا يقول الظّالمون النّافون والمشبّهون علوًّا كبيرًا.

أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه -: "إن الله - عز وجل - يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة! فيقولون: لبيك وسعديك ... [إلى أن قال فيه]: فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضواني؛ فلا أسخط عليكم بعده أبداً"[١].

قال أبو إسماعيل الصابوني: "وكذلك يقولون في جميع الصفات [يعني: الإثبات] التي نزل بها القرآن ووردت بها الأخبار الصحاح من السمع والبصر والعين ... والرضا والسخط ... "[٢].

والفرق بين السخط والغضب، فإن" السخط: هو عدم الرضا، والسخط إلى الكراهة أقرب منه إلى الغضب، فإن الغضب يعدى بـ«على»، والسخط يعدى بها تارة، وبنفسه أخرى؛ وبين السخط والغضب فرق واضح: كثيرًا ما يقابل السخط بالرضا، والغضب لا يقابل به؛ وفيه إثبات الرضا؛ فإن الله يرضى حقيقة كما أنه يسخط حقيقة"[٣].

القرآن

{وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (٨١)} [المائدة: ٨١]

التفسير:

ولو أن هؤلاء اليهود الذين يناصرون المشركين كانوا قد آمنوا بالله تعالى والنبي محمد صلى الله عليه وسلم، وأقرُّوا بما أنزل إليه -وهو القرآن الكريم- ما اتخذوا الكفار أصحابًا وأنصارًا، ولكن كثيرًا منهم خارجون عن طاعة الله ورسوله.

قوله تعالى:{وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ} [المائدة: ٨١]، أي:" ولو أن هؤلاء اليهود الذين يناصرون المشركين كانوا قد آمنوا بالله تعالى والنبي محمد صلى الله عليه وسلم، وأقرُّوا بما أنزل إليه -وهو القرآن الكريم- ما اتخذوا الكفار أصحابًا وأنصارًا "[٤].

قال الزمخشري:أي:"{ ولو كانوا يؤمنون} إيمانا خالصا غير نفاق ما اتخذوا المشركين أولياء يعنى أن موالاة المشركين كفى بها دليلا على نفاقهم، وأن إيمانهم ليس بإيمان.. وقيل معناه: ولو كانوا يؤمنون بالله وموسى كما يدعون، ما اتخذوا المشركين أولياء كما لم يوالهم المسلمون"[٥].

قال ابن كثير:" أي: لو آمنوا حق الإيمان بالله والرسل والفرقان، لما ارتكبوا ما ارتكبوه من موالاة الكافرين في الباطن، ومعاداة المؤمنين بالله والنبي وما أنزل إليه "[٦].

(١)أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب كلام الرب مع أهل الجنة، برقم (٧٥١٨)، ومسلم في كتاب الجنة وصفها ونعيم أهلها، باب إحلال الرضوان على أهل الجنة فلا يسخط عليهم أبدا، برقم (٢٨٢٩).
(٢)عقيدة السلف أصحاب الحديث:٥.
(٣)شرح العقيدة الواسطية من تقريرات: سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، أخرجها وأعدها للطبع: د. عبد المحسن بن محمد بن قاسم (١/ ٣٨).
(٤) التفسير الميسر:١٢١.
(٥) الكشاف:٦٦٧/١.
(٦) تفسير ابن كثير:١٦٥/٣.

قال الطبري:" ولو كان هؤلاء الذين يتولون الذين كفروا من بني إسرائيل يؤمنون بالله والنبي ، يقول: يصدِّقون الله ويقرُّون به ويوحِّدونه، ويصدقون نبيَّه محمدًا صلى الله عليه وسلم بأنه لله نبي مبعوث، ورسول مرسل وما أنزل إليه ، يقول: ويقرُّون بما أنزل إلى محمد صلى الله عليه وسلم من عند الله من آي الفرقان، ما اتخذوهم أصحابًا وأنصارًا من دون المؤمنين"(١).

قال الشوكاني:" أي: نبيهم كما يزعمون، {وَما أُنْزِلَ إِلَيْهِ} من التوراة وغيره، {مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِياءَ}، لأن النبي لا يأمر بموالاة الكفار، ولو آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلّم وما أنزل إليه- كما هو الواجب عليهم- ما اتخذوا الكفار أولياء"(٢).

قال الرازي:أي:" لو كانوا يؤمنون بالله والنبي وهو موسى وما أنزل إليه في التوراة كما يدعون ما اتخذوا المشركين أولياء، لأن تحريم ذلك متأكد في التوراة وفي شرع موسى عليه السلام، فلما فعلوا ذلك ظهر أنه ليس مرادهم تقرير دين موسى عليه السلام، بل مرادهم الرياسة والجاه فيسعون في تحصيله بأي طريق قدروا عليه"(٣).

قال السعدي:" فإن الإيمان بالله وبالنبي وما أنزل إليه، يوجب على العبد موالاة ربه، وموالاة أوليائه، ومعاداة من كفر به وعاداه، وأوضع في معاصيه، فشرط ولاية الله والإيمان به، أن لا يتخذ أعداء الله أولياء، وهؤلاء لم يوجد منهم الشرط، فدل على انتفاء المشروط"(٤).

عن مجاهد قوله:"{ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء}، قال: المنافقون"(٥).

قال الراغب:" {النبي}، يجوز أن يكون إشارة إلى نبينا عليه الصلاة والسلام، ويجوز أن يكون إشارة إلى نبيهم، ونبه أنهم لو آمنوا بمن ادعوا الإيمان به، لما فعلوا ما فعلوا، فإن دينهم لا يقتضي ما يرتكبونه ويفعلونه، ويجوز أن يكون النبي إشارة إلى الجنس، أي: الإيمان بالله وبالنبوة والكتاب، لا يقتضي ما يتحرونه من مولاة الكفار"(٦).

قال ابن عطية:" وقوله تعالى: و{النبي}، إن كان المراد الأسلاف، فالنبي داود وعيسى، وإن كان المراد معاصري محمد، فالنبي محمد عليه السلام، و{الذين كفروا}، هم عبدة الأوثان"(٧).

قوله تعالى:{وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ} [المائدة: ٨١]، أي:" ولكن كثيرًا منهم خارجون عن طاعة الله ورسوله"(٨).

قال الزمخشري:أي:"متمردون في كفرهم ونفاقهم "(٩).

قال السعدي:" أي: خارجون عن طاعة الله والإيمان به وبالنبي. ومن فسقهم موالاة أعداء الله"(١٠).

قال القرطبي:" أي: خارجون عن الإيمان بنبيهم لتحريفهم، أو عن الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم لنفاقهم"(١١).

قال ابن كثير:" أي: خارجون عن طاعة الله ورسوله مخالفون لآيات وحيه وتنزيله"(١٢).

---

(١) تفسير الطبري:٤٩٧/١٠.
(٢) فتح القدير:٦٨/٢.
(٣) مفاتيح الغيب:٤١٣/١٢.
(٤) تفسير السعدي:٢٤٠.
(٥) أخرجه الطبري(١٢٣١٤):ص٤٩٨/١٠.
(٦) تفسير الراغب الاصفهاني:٤١٨/٥.
(٧) المحرر الوجيز:٢٢٥/٢.
(٨) التفسير الميسر:١٢١.
(٩) الكشاف:٦٦٧/١.
(١٠) تفسير السعدي:٢٤٠.
(١١) تفسير القرطبي:٢٥٤/٦.
(١٢) تفسير ابن كثير:١٦٥/٣.

قال الطبري:" يقول: ولكن كثيرًا منهم أهل خروج عن طاعة الله إلى معصيته، وأهلُ استحلال لما حرَّم الله عليهم من القول والفعل"(١).
قال السمعاني:" فإن قيل: لم سماهم فاسقين وهم كافرون؟ قيل: معناه: «خارجون» عن أمر الرب، والكفار خارجون عن كل أمره، وقيل: معناه: متمردون، أي: هم مع كفرهم متمردون"(٢).
قال ابن عطية:" خص الكثير منهم بالفسق إذ فيهم قليل قد آمن"(٣).
قال الشوكاني:" ذكر الحق جلّ جلاله في هذه الآية ثلاثة أمور، وجعلها سببًا للعن والطرد، وموجبة للسخط والمقت:
أولها: الانهماك في المعاصي والعدوان، والإصرار على الذنوب والطغيان.
والثاني: عدم الإنكار على أهل المعاصي والسكوت عنهم والرضا بفعلهم.
والثالث: موالاة الفجار والمودة مع الكفار، ولو كانوا آباءهم أو إخوانهم أو أزواجهم أو عشيرتهم، وفي بعض الأخبار: «لو أن رجلاً قام الليل وصام النهار، ثم تودد مع الفجار لبعث معهم، ولو أن رجلاً عمل بالمعاصي ما عمل، ثم أحب الأبرار لحُشر معهم»، أو كما قال صلّى الله عليه وسلّم، ويعضده حديث: «المَرءُ مَعَ مَن أَحبَّ»(٤) "(٥).
الفوائد:
١- أن موالاة الكفار منافية للإيمان بالله، والنبي وما أنزل إليه، وأن سبب ذلك، كون كثير منهم فاسقون.
وفي الآية دليل على أن من اتخذ كافرا وليا فليس بمؤمن إذا اعتقد اعتقاده ورضي أفعاله. قاله القرطبي(٦).
٢- أن الإيمان له لوازم وله أضداد موجودة تستلزم ثبوت لوازمه وانتفاء أضداده، ومن أضداده موادة من حاد الله ورسوله.

القرآن
{لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (٨٢)} [المائدة: ٨٢]
التفسير:
لتجدنَّ -أيها الرسول- أشدَّ الناس عداوة للذين صدَّقوك وآمنوا بك واتبعوك، اليهودَ; لعنادهم، وجحودهم، وغمطهم الحق، والذين أشركوا مع الله غيره، كعبدة الأوثان وغيرهم، ولتجدنَّ أقربهم مودة للمسلمين الذين قالوا: إنا نصارى، ذلك بأن منهم علماء بدينهم متزهدين وعبَّادًا في الصوامع متنسكين، وأنهم متواضعون لا يستكبرون عن قبول الحق، وهؤلاء هم الذين قبلوا رسالة محمد صلى الله عليه وسلم، وآمنوا بها.
سبب نزول الآيات [٨٢- ٨٦]:
قال المفسرون: نزلت هذه الآية وما بعدها مما يتعلق بها في النجاشي وأصحابه، وفيما يأتي ذكر الأخبار في ذلك:

---
(١) تفسير الطبري:١٠/٤٩٧-٤٩٨.
(٢) تفسير السمعاني:٢/٥٧.
(٣) المحرر الوجيز:٢/٢٢٥.
(٤)أخرجه البخاري كتاب الأدب باب ما جاء في قول الرجل ويلك، (٦١٦٧) ومسلم كتاب البر باب المرء مع من أحب (٢٦٣٩) (١٦١) .
(٥) فتح القدير:٢/٦٨.
(٦) انظر: تفسير القرطبي:٦/٢٥٤.

أولا:- عن سعيد بن المسيب وأبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي وعروة بن الزبير؛ قالوا: "بعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عمرو بن أمية الضمري، وكتب معه كتاباً إلى النجاشي، فقدم على النجاشي، فقرأ كتاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، ثم دعا جعفر بن أبي طالب والمهاجرين معه، وأرسل النجاشي إلى الرهبان والقسيسين فجمعهم، ثم أمر جعفر بن أبي طالب أن يقرأ عليهم القرآن، فقرأ عليهم سورة مريم، فآمنوا بالقرآن وفاضت أعينهم من الدمع، وهم الذين أنزل فيهم: {لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (٨٢) وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (٨٣)}"(١). [ضعيف]

ثانيا:-عن عروة بن الزبير؛ قال: "في قوله: {تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ} نزل ذلك في النجاشي "(٢).[ضعيف]

ثالثا: عن سعيد بن جبير: {ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا}؛ قال: هم رسل النجاشي الذين أرسل بإسلامه وإسلام قومه، كانوا سبعين رجلًا اختارهم الخيّر فالخيّر، فدخلوا على رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فقرأ عليهم: {يس (١) وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ (٢)}؛ فبكوا وعرفوا الحق؛ فأنزل الله فيهم: {ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ}، وأنزل فيهم: {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ (٥٢)} إلى قوله: {يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا} [القصص: ٥٢ - ٥٤]"(٣).[ضعيف]

---

(١) . أخرجه ابن أبي شيبة في "المصنف" (١٤/ ٣٤٩ رقم ١٨٤٩١)، وابن أبي حاتم في "التفسير" (٤/ ١١٨٥ رقم ٦٦٧٨)، وأبو نعيم الأصبهاني في "حلية الأولياء" (١/ ١١٧)، والواحدي في "أسباب النزول" (ص ١٣٦) جميعهم من طريق الزهري عنهم به.
قلنا: وهذا مرسل صحيح الإسناد.
(٢)أخرجه ابن أبي شيبة في "المصنف" (١٤/ ٣٤٨، ٣٤٩ رقم ١٨٤٨٩)، و"المغازي" (١٦٧، ١٦٨ رقم ١٠٩)، والطبري في "جامع البيان"(١٢٣٢٨):ص١٠/٥٠٨ من طريق هشام بن عروة عن أبيه به.
قلنا: وهذا مرسل صحيح الإسناد.
والحديث ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ١٣٠) وزاد نسبته لأبي الشيخ.
هكذا رواه عن هشام بن عروة: عبدة بن سليمان وأبو معاوية مرسلاً.
ورواه عمر بن علي بن مقدم عن هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن الزبير به موصولاً.
أخرجه النسائي في "التفسير" (١/ ٤٤٣ رقم ١٦٨)، وابن أبي حاتم في "تفسيره" (٤/ ١١٨٥ رقم ٦٦٨٠)، والطبري في "جامع البيان" (١٢٣٢٦):ص١٠/٥٠٨، والطبراني في "المعجم الكبير" (ص ١٠٧ رقم ٢٥٨ - قطعة من الجزء ١٣) -ومن طريقه الضياء المقدسي في "الأحاديث المختارة" (٩/ ٣٢٣ رقم ٢٨٤) -، وابن مردويه في "تفسيره"؛ كما في "الدر المنثور" (٣/ ١٢٩) -ومن طريقه الضياء المقدسي في "الأحاديث المختارة" (٩/ ٣٢٣، ٣٢٤ رقم ٢٨٥، ٢٨٦)، والبزار في "المسند" (٣/ ٢٨٦ رقم ٢٧٥٨ - كشف).
قلنا: ورجاله ثقات رجال "الصحيح"؛ لكن فيه علة؛ قال ابن سعد -عن عمر بن علي-: "وكان يدلس تدليساً شديداً، يقول: ثنا ثم يسكت، ثم يقول: هشام بن عروة أو الأعمش أو غيرهما"؛ كما في "التهذيب" (٧/ ٤٨٦).
فعلى رأي ابن سعد لا يقبل حديثه حتى ولو صرح بالتحديث كما في حديثنا، والله أعلم.
والحديث ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ١٢٩) وزاد نسبته لابن المنذر وأبي الشيخ.
* ملاحظة: في مسند البزار: (ثنا محمد بن عثمان ثنا محمد بن عبد الرحمن الطفاوي أو عمر بن علي).
قال الهيثمي في "مجمع الزوائد" (٩/ ٤١٩): "ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن عثمان بحر وهو ثقة".
قلنا: وفي "التقريب": "صدوق يغرب"، ولعل هذا منها، والصواب رواية الجماعة دون شك..
(٣)أخرجه الطبري في "جامع البيان" (١٢٣٢٤):١٠/٥٠٥، وابن أبي حاتم في "تفسيره" (٤/ ١١٨٥ رقم ٦٦٧٩)، والبغوي في "مسند علي بن الجعد" -ومن طريقه الواحدي في "أسباب النزول" (ص ١٣٧) -، وابن مردويه في "تفسيره"؛ كما في "تخريج أحاديث الكشاف" (١/ ٤١٦) من طريق قيس بن الربيع عن سالم الأفطس عن سعيد به.
قلنا: وهذا سند ضعيف؛ فيه علتان:
الأولى: الإرسال.
الثانية: قيس الربيع؛ ضعيف.

رابعا: عن سلمان؛ قال: «لما قدم النبي - صلى الله عليه وسلم - المدينة صنعت طعاماً، فجئت به النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: "ما هذا يا سلمان؟ "، قلت: صدقة، فقال لأصحابه: "كلوا" ولم يأكل، ثم إني رجعت حتى جمعت طعاماً، فأتيته به، فقال: "ما هذا يا سلمان؟ "، قلت: هدية فضرب بيده فأكل، وقال لأصحابه: "كلوا"، قلت: يا رسول الله! أخبرني عن النصارى؟ قال: "لا خير فيهم ولا فيمن أحبهم"، فقمت وأنا مثقل؛ فأنزل الله -عزّ وجلّ-: {لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا} حتى بلغ: {تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ}؛ فأرسل إلي رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فقال: "يا سلمان! إن أصحابك هؤلاء الذين ذكر الله"» [1]. [صحيح]

خامسا: عن السدي؛ قال: "بعث النجاشي إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - اثني عشر رجلًا يسألونه ويأتونه بخبره، فقرأ عليهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فبكوا، وكان منهم رهبان وخمسة قسيسين، أو خمسة رهبان وسبعة قسيسين؛ فأنزل الله فيهم: {وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (٨٣)}"[2]. [ضعيف جداً]

قوله تعالى:{لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا} [المائدة: ٨٢]، أي:" لتجدنَّ -أيها الرسول- أشدَّ الناس عداوة للذين صدَّقوك وآمنوا بك واتبعوك، اليهودَ; لعنادهم، وجحودهم، وغمطهم الحق، والذين أشركوا مع الله غيره، كعبدة الأوثان وغيرهم"[3].

قال ابن عطية:" وذلك أن اليهود مرنوا على تكذيب الأنبياء وقتلهم ودربوا العتو والمعاصي ومردوا على استشعار اللعنة وضرب الذلة والمسكنة، فهم قد لجت عداواتهم وكثر حسدهم، فهم أشد الناس عداوة للمؤمنين وكذلك المشركون عبدة الأوثان من العرب والنيران من

والحديث ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ١٣٠) وزاد نسبته لعبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ..
(١)أخرجه الطبراني في "المعجم الكبير" (٦/ ٢٤٩ رقم ٦١٢١) من طريق السري بن يحيى عن سليمان التيمي عن أبي عثمان النهدي عن سلمان به.
قلنا: وسنده صحيح.
وأخرجه البزار في "البحر الزخار" (٦/ ٤٩٩ رقم ٢٥٣٧)، والطبراني في "المعجم الكبير" (٦/ ٢٦٦ رقم ٦١٧٥)، وابن أبي حاتم في "تفسيره" (٤/ ١١٨٣ رقم ٦٦٧١)، وابن مردويه في "تفسيره"؛ كما في "تفسير القرآن العظيم" (٢/ ٨٩)، والبخاري في "التاريخ الكبير" (٨/ ١١٦ رقم ٢٤٠٥)، وعبد بن حميد في "تفسيره"؛ كما في "الإكمال" (٤/ ٥)، و"الدر المنثور" (٣/ ١٣٢)، وأبو عبيد في "فضائل القرآن" (ص ٢٩٨)، وأبو بكر بن أبي شيبة في "مسنده" (١/ ٣٠٩، ٣١٠ رقم ٤٦٥)، والحارث بن أبي أسامة في "مسنده" (٢/ ٧٢٠ رقم ٧١٠ - بغية) جميعهم من طريق نصير بن زياد الطائي عن الصلت الدهان عن حامية بن رئاب قال: سمعت سلمان يقول -وقد سئل عن قوله-: {ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا}؛ قال: الرهبان الذين في الصوامع، قال سلمان: نزلت على رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: {ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا}، هذا لفظ الطبراني وهو عند غيره بنحوه.
قلنا: وهذا سند ضعيف جداً؛ فيه علتان:
١ - حامية هذا؛ مجهول لم يرو عنه إلا الصلت الدهان، ولم يوثقه إلا ابن حبان.
٢ - نصير هذا؛ قال الأزدي: "منكر الحديث".
"الميزان" (٤/ ٢٦٤)، و"اللسان" (٦/ ١٦٦).
والصلت هذا روى عنه جماعة ووثقه ابن حبان.
والحديث ذكره الهيثمي في "مجمع الزوائد" (٧/ ١٧)، وقال: "فيه الحماني ونصير بن زياد وكلاهما ضعيف".
قلنا: الحماني توبع عند البخاري والبزار فالعلة ممن ذكرنا.
والحديث ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ١٣٢) وزاد نسبته للحكيم الترمذي في "نوادر الأصول" وابن الأنباري في "المصاحف" وابن المنذر.
(٢)أخرجه الطبري في "جامع البيان" (١٢٣١٨):١٠/٥٠٠-٥٠١، وابن أبي حاتم في "تفسيره" (٤/ ١١٨٤/ ٦٦٧٥) من طريقين عن أسباط بن نصر عن السدي به.
قلنا: وسنده ضعيف جداً؛ لإعضاله، وضعف أسباط بن نصر.
والحديث ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٢/ ١٣١)..
(٣) التفسير الميسر:١٢١.

المجوس لأن الإيمان إياهم كفر وعروشهم ثل، وبين أنهم ليسوا على شيء من أول أمرهم فلم يبق لهم بقية فعداوتهم شديدة"[١].

قوله تعالى:{وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى} [المائدة: ٨٢]، أي:"ولتجدنَّ أقربهم مودة للذين للذين صدَّقوك وآمنوا بك واتبعوك، الذين قالوا: إنا نصارى"[٢].

قال ابن كثير:" أي: الذين زعموا أنهم نصارى من أتباع المسيح وعلى منهاج إنجيله، فيهم مودة للإسلام وأهله في الجملة، وما ذاك إلا لما في قلوبهم، إذ كانوا على دين المسيح من الرقة والرأفة، كما قال تعالى: { وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً } [الحديد: ٢٧] وفي كتابهم:من ضربك على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر. وليس القتال مشروعًا في ملتهم"[٣].

قال الزمخشري:" وصف الله شدة شكيمة اليهود وصعوبة إجابتهم إلى الحق «١» ولين عريكة النصارى وسهولة ارعوائهم وميلهم إلى الإسلام، وجعل اليهود قرناء المشركين في شدة العداوة للمؤمنين، بل نبه على تقدم قدمهم فيها بتقديمهم على الذين أشركوا، وكذلك فعل في قوله:{ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا}، ولعمري إنهم لكذلك وأشد. وعن النبى صلى الله عليه وسلم «ما خلا يهوديان بمسلم إلا هما بقتله»[٤]"[٥].

قال ابن عطية:" والنصارى أهل الكتاب يقضي لهم شرعنا بأن أول أمرهم صحيح لولا أنهم ضلوا، فهم يعتقدون أنهم لم يضلوا وأن هذه الآية لم تنسخ شرعهم، ويعظمون من أهل الإسلام من استشعروا منه صحة دين، ويستهينون من فهموا منه الفسق، فهم إذا حاربوا فإنما حربهم أنفة وكسب لا أن شرعهم يأخذهم بذلك، وإذا سالموا فسلمهم صاف، ويعين على هذا أنهم أمة شريفة الخلق، لهم الوفاء والخلال الأربع التي ذكر عمرو بن العاصي في صحيح مسلم وتأمل أن النبي صلى الله عليه وسلم سر حين غلبت الروم فارس، وذلك لكونهم أهل كتاب، ولم يرد عليه السلام أن يستمر ظهور الروم وإنما سر بغلبة أهل كتاب لأهل عبادة النار، وانضاف إلى ذلك أن غلب العدو الأصغر وانكسرت شوكة العدو الأكبر المخوف على الإسلام، واليهود لعنهم الله ليسوا على شيء من هذه الخلق بل شأنهم الخبث واللي بالألسنة، وفي خلال إحسانك إلى اليهودي يبغيك هو الغوائل إلا الشاذ القليل منهم ممن عسى أن تخصص بأدب وأمور غير ما علم أولا. ولم يصف الله تعالى النصارى بأنهم أهل ود وإنما وصفهم بأنهم أقرب من اليهود والمشركين، فهو قرب مودة بالنسبة إلى متباعدين، وفي قوله تعالى: الذين قالوا إنا نصارى

---

(١) المحرر الوجيز:٢/٢٢٥.

(٢) التفسير الميسر:١٢١.

(٣) تفسير ابن كثير:٣/١٦٧.

(٤)رواه ابن حبان في كتابه الضعفاء(٥٠٦٤)، من طريق يحيى بن عبيد الله عن أبيه عن أبي هريرة قال قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم -: "ما خلا يهودي بمسلم قط إلا حدث نفسه بقتله". انتهى وأعله بيحيى بن عبيد الله.

ورواه الثعلبي في تفسيره:٤/٩٧، كذلك وقال فيه :"ما خلا يهوديان"، وفي لفظ ابن مردويه:" إلا هم بقتله".

قال ابن حبان:" يحيى بن عبيد الله بن موهب التيمي القرشي يروي عن أبيه ما لا أصل له فلما كثر ذلك منه سقط عن الاحتجاج به قال ابن معين ليس بشيء وكان ابن عيينة شديد الحمل عليه وأبوه ثقة". انتهى. [انظر: تخريج احاديث الكشاف:١/٤٦٥].

قال العجلوني :" رواه الثعلبي وابن مردويه وابن حبان في الضعفاء عن أبي هريرة مرفوعا.

وفي رواية ابن حبان: " يهودي وهم"، بالإفراد.

وأخرجه الديلمي بلفظ: "ما خلا قط يهودي بمسلم إلا حدث نفسه بقتله".

وقد أطال الكلام عليه السخاوي في بعض الحوادث.

فأقول ويؤيد ذلك ما ذكره شيخنا المرحوم يونس المصري أنه كان يقرأ على يهودي يوما في المنطق فقال له وقد انفرد به: لا تأتني إلا ومعك سكين أو نحوها لأن اليهود إذا خلا بمسلم ولم يكن معه سلاح لزمه التعرض لقتله.

وقال النجم واشتهر في كلام الناس أنه ما خلا قط رافضي بسني إلا حدثته نفسه بقتله. وهي من الخصال التي شاركت الرافضة فيها اليهود". انتهى. [انظر: كشف الخفاء(٢٢١٠): ص٢/١٨٧].

(٥) الكشاف١/٦٦٨.

إشارة إلى أن المعاصرين لمحمد صلى الله عليه وسلم من النصارى ليسوا على حقيقة النصرانية بل كونهم نصارى قول منهم وزعم"(١).

قال مجاهد:" هم الوفد الذين جاءوا مع جعفر وأصحابه من أرض الحبشة"(٢). وروي عن عطاء نحو ذلك(٣).

قال عطاء:" ما ذكر الله به النصارى من خير فإنما يراد به النجاشي وأصحابه"(٤).

قوله تعالى:{ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا} [المائدة: ٨٢]، أي:" ذلك بأن منهم علماء بدينهم متزهدين وعبَّادًا في الصوامع متنسكين"(٥).

قال السمرقندي:"يعني: المتعبدين، وأصحاب الصوامع، ويقال: قسيسين علماؤهم، ورهبانا يعني: خائفين من الله تعالى"(٦).

قال ابن كثير:" أي: يوجد فيهم القسيسون - وهم خطباؤهم وعلماؤهم، واحدهم: قسيس وقَس أيضًا، وقد يجمع على قسوس، والرهبان: جمع راهب، وهو: العابد. مشتق من الرهبة، وهي: الخوف كراكب وركبان، وفارس وفرسان"(٧).

قال ابن عطية:" معناه ذلك بأن منهم أهل خشية وانقطاع إلى الله وعبادة وإن لم يكونوا على هذي، فهم يميلون إلى أهل العبادة والخشية وليس عند اليهود ولا كان قط أهل ديارات وصوامع وانقطاع عن الدنيا، بل هم معظمون لها متطاولون في البنيان وأمور الدنيا حتى كأنهم لا يؤمنون بالآخرة، فلذلك لا يرى فيهم زاهد"(٨).

قال الزمخشري:" وعلل سهولة مأخذ النصارى وقرب مودتهم للمؤمنين بأن منهم قسيسين ورهبانا أى علماء وعبادا"(٩).

قال السعدي:" والعلم مع الزهد وكذلك العبادة مما يلطف القلب ويرققه، ويزيل عنه ما فيه من الجفاء والغلظة، فلذلك لا يوجد فيهم غلظة اليهود، وشدة المشركين"(١٠).

عن الحسن:"{ ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا}، قال: علماؤهم وفقهاؤهم"(١١).

قال سلمان:" هم الرهبان الذين في الصوامع والحزب فدعوهم فيها"(١٢).

قال سعيد بن جبير:" هم أصحاب النجاشي بعث من خيار أصحابه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلاثين رجلا فقرأ عليهم يس فبكوا وقالوا نعرف والله فنزلت فيهم"(١٣).

قال الزجاج: «القس» و«القسيس»: من رؤساء النصارى، فأما القس في اللغة: فهي النميمة ونشر الحديث، يقال: قس فلان الحديث قسا"(١٤).

وقال قطرب: "القسيس: العالم بلغة الروم، فأما الرهبان: فهم العباد أرباب الصوامع"(١٥). وقال ورقة(١):

---

(١) المحرر الوجيز:٢/٢٢٥-٢٢٦.
(٢) تفسير مجاهد:٢٠٢/١، وتفسير ابن ابي حاتم:١١٨٣/٤ ذكره دون إسناد.
(٣) انظر:تفسير ابن ابي حاتم:١١٨٣/٤.
(٤) أخرجه ابن أبي حاتم(٦٦٧٠):ص١١٨٣/٤.
(٥) التفسير الميسر:١٢١.
(٦) بحر العلوم:٤١٢/١.
(٧) تفسير ابن كثير:١٦٧/٣.
(٨) المحرر الوجيز:٢٢٦/٢.
(٩) الكشاف:٦٦٨/١.
(١٠) تفسير السعدي:٢٤١.
(١١) أخرجه ابن أبي حاتم(٦٦٧٤):ص١١٨٤/٤.
(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم(٦٦٧١):ص١١٨٣/٤.
(١٣) أخرجه ابن أبي حاتم(٦٦٧٣):ص١١٨٤/٤.
(١٤) معاني القرآن:٢٠٠/٢
(١٥) انظر: التفسير البسيط:٤٩٥/٧، وتفسير البغوي:٨٧/٣، وزاد المسير:٥٧٥/١، وانظر: تفسير القرطبي:٢٥٧/٦.

بما خبَّرتنا مِن قولِ قَسٍّ　　　　من الرهبانِ أكرهُ أنْ يعوجا
وعلى هذا فالقس والقسيس: مما وقع الوفاق فيه بين اللغتين[٢].
قال ابن زيد: "القسيس: عبّادهم"[٣].
وقال عروة بن الزبير: ضيعت النصارى الإنجيل، وأدخلوا فيه ما ليس منه، وبقي واحد من علمائهم على الحق والاستقامة وهو قسّيسا، فمن كان على هديه ودينه فهو قسيس"[٤].
قال القرطبي:" القسيس: العالم، وأصله من قس إذا تتبع الشيء فطلبه، قال الراجز[٥]:
يُصْبِحْنَ عن قَسِّ الأذى غَوافِلا
وتقسست أصواتهم بالليل: تسمعتها، والقس النميمة، والقس أيضا رئيس من رؤساء النصارى في الدين والعلم، وجمعه:قسوس، وكذلك القسيس مثل الشر والشرير، فالقسيسون هم الذين يتبعون العلماء والعباد، ويقال في جمع قسيس مكسرا: قساوسة، أبدل من إحدى السينين واوا وقساوسة أيضا كمهالبة، والأصل قساسسة فأبدلوا إحدى السينات واوا لكثرتها، ولفظ القسيس: إما أن يكون عربيا، وإما أن يكون بلغة الروم ولكن خلطته العرب بكلامهم فصار من لغتهم إذ ليس في الكتاب ما ليس من لغة العرب"[٦].
و«الرهبان»: جمع راهب، كركبان وراكب، قال الشاعر[٧]:
لو أنها عَرَضت لأشْمَطَ راهب　　　　عبدَ الإلهَ صرورة متبتِّل[٨]
والفعل منه: رهب الله يرهبه أي خافه، رهبا ورهبا ورهبة. والرهبانية والترهب التعبد في صومعة[٩].
قال ابن فارس: الترهب: التعبد"[١٠].
جاء في اللسان:" استرهبه: استدعى رهبته حتى رهبه الناس؛ وبذلك فسر قوله عز وجل: { وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ} [الأعراف: ١١٦]؛ أي: أرهبوهم.
وفي حديث بهز بن حكيم: « إِنِّي لَأَسْمَعن الرَّاهِبَة»[١١].

---

(١) كذا في التفسير البسيط للواحدي:٤٩٥/٧، والظاهر أنه ورقة بن نوفل المشهور، من أهل الكتاب.
(٢) انظر: التفسير البسيط:٤٩٥/٧.
(٣) أخرجه الطبري(١٢٣٢١):ص٥٠٢/١٠.
(٤) ذكره الواحدي في التفسير البسيط:٤٩٤/٧، ولم اقف عليه.
(٥).الرجز في التهذيب (لرؤبة) وكذلك في اللسان وفيهما:
"يمسين من قس ..."
ورواية الديوان ص ١٢١، و كتاب العين، باب "القاف مع السين":ص١٢/٥:" يصبحن عن قس...".
والبيت تمامه: "يَمْشِيْنَ هَوْناً خُرَّداً بَهَالِلا". يصف الشاعر نساء عفيفات لا يتبعن النمائم.
(٦) تفسير القرطبي:٢٥٧/٦.
(٧)وورد البيت منسوبا لربيعة بن مقروم(شاعر مخضرم) في "تهذيب اللغة" ٤/ ٢٩١ مادة: (بتل)، و"لسان العرب" ١١/ ٤٣ مادة: (بتل)، و"غريب الحديث" لأبي عبيد: ٢/ ١٧١، و"الأغاني" ١٩/ ٩٢، وقد وجدت البيت للنابغة في "ديوانه" ٤١ ط المؤسسة العربية برواية "متعبد" بدلاً من "متبتل"، وكذلك نسبه أبو عبيد في "غريب الحديث" للنابغة أيضًا ١/ ٤٢١، ومعنى البيت: الراهب: العابد، الأشمط: الذي خالطه الشيب، الصرورة: الذي لم يتزوج. "ديوان النابغة" ٤١..
(٨) قال الفراء في معاني القرآن:١٩٨/٢: "يقال للعابد إذا ترك كل شيء، وأقبل على العبادة: قد تبتل، أي قطع كل شيء إلا أمر الله وطاعته".
وقال زيد بن أسلم: التبتل: رفض الدنيا وما فيها، والتماس ما عند الله". [انظر: "الكشف والبيان" جـ: ١٢: ٢٠١/ ب، و"معالم التنزيل" ٤/ ٤٠٩، و"المحرر والوجيز" ٥/ ٣٨٨، و"التفسير الكبير" ٣٠/ ١٣٨]
(٩) انظر: تفسير القرطبي:٢٥٨/٦.
(١٠) زاد المسير:٥٧٥/١.
(١١) صحيح، أخرجه أحمد(٢٠٠٣٩):ص٢٣٩/٣٣-٢٤٠، وهذا إسناد حسن من أجل بهز بن حكيم وأبيه، فهما صدوقان.
وأخرجه البيهقي في "الأسماء والصفات" ص ٥١١-٥١٢ من طريق محمد ابن مسلمة الواسطي، عن يزيد بن هارون وحده، بهذا الإسناد.

قال ابن الأثير: «هي الحالة التي ترهب، أي: تفزع وتخوف.
وفي رواية: « أسْمعك رَاهِباً». أي: خائفا»[١].
وترهب الرجل: إذا صار راهبا يخشى الله، والراهب: المتعبد في الصومعة، وأحد رهبان النصارى، ومصدره: الرهبة والرهبانية، والجمع الرهبان"[٢].
قال ابن الأعرابي:" وإن جمعت الرهبان الواحد رهابين ورهابنة، جاز؛ وإن قلت: رهبانيون كان صوابا"[٣]، قال الشاعر في الجمع[٤]:
رهبانُ مديَن لو رأوك تنزَّلوا   والعُصمُ من شَعَفِ العُقول الفادِرِ
قوله:«الفادر»: المسن من الوعول. ويقال: العظيم، وكذلك الفدور والجمع فدر وفدور وموضعها المفدرة[٥].
قال الطبري:" وقد يكون الرهبان واحدًا، وإذا كان واحدًا كان جمعه: رهابين، مثل: قربان وقرابين، وجُرْدان، وجرادين، ويجوز جمعه أيضًا: رهابنة، إذا كان كذلك، ومن الدليل على أنه قد يكون عند العرب واحدا، قول الشاعر[٦]:
لَوْ عَايَنَتْ رُهْبَانَ دَيْرٍ في القُلَلْ   لانْحَدَرَ الرُّهْبَانُ يَمْشِي وَنَزل"[٧]
فان قيل: "كيف مدحهم بأن منهم قسيسين ورهبانا وليس ذلك من أمر شريعتنا؟

وأخرجه الدارمي (٢٨١٣) ، والطحاوي في "شرح مشكل الآثار" (٥٦٦) ، والطبراني في "الكبير" ١٩/ (١٠٢٦) و (١٠٢٧) و (١٠٢٨) و (١٠٢٩) من طرق عن بهز بن حكيم، به- وهو عند الطبراني مختصر. وانظر (٢٠٠١٢) .
ونص الحديث:" بهز المعنى، حدثني أبي، عن جدي قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " إنه كان عبد من عباد الله أعطاه الله مالا وولدا، وكان لا يدين الله دينا. قال يزيد: فلبث حتى ذهب عمر وبقي عمر تذكر فعلم أن لم يبتئر عند الله خيرا دعا بنيه فقال: يا بني أي أب تعلموني ؟ قالوا: خيره يا أبانا. قال: فوالله لا أدع عند رجل منكم مالا هو مني إلا أنا آخذه منه، أو لتفعلن ما آمركم به. قال: فأخذ منهم ميثاقا. قال: إما لا فإذا مت فخذوني فألقوني في النار حتى إذا كنت حمما فدقوني ". قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده على فخذه، كأنه يقول: " اسحقوني، ثم ذروني في الريح لعلي أضل الله ". قال: " ففعل به ذلك ورب محمد حين مات. قال: فجيء به أحسن ما كان، فعرض على ربه فقال: " ما حملك على النار؟ " قال: خشيتك يا رباه. قال: " إني لأسمعن الراهبة، قال يزيد: أسمعك راهبا، فتيب عليه " قال بهز: فحدثت بهذا الحديث الحسن، وقتادة وحدثانيه: " فتيب عليه "، أو " فتاب الله عليه " شك يحيى".
قال السندي: قوله: "لا يدين" أي: لا ينقاد ولا يعمل على وفق دينه.
"لم يبتئر" بتقديم الهمزة على الراء، أي: لم يقدم لنفسه ولم يدخره.
"إما لا" بكسر الهمزة وتشديد الميم، أصله: "إن" الشرطية أدغمت نونها في الميم، "ما" المزيدة، أي: إن لا تردوا علي المال ولا ترضوا به فافعلوا ما أقول لكم.
"الراهبة" هي الحالة التي ترهب، أي: تفزع وتخوف.
"راهبا" أي: خائفا.
(١) النهاية في غريب الحديث:٢٨١/٢. والحديث سبق تخريجه.
(٢)اللسان، مادة"رهب":ص٤٣٧/١.
(٣) اللسان، مادة"رهب":ص٤٣٧/١.
(٤)القائل هو كثير، و (العُصْمُ) جمع الأعصم وهو الوعل، و (العقول) جمع عقل وهو الملجأ وشعف العقول رءوسها وأعاليها، والفارد: الوعل المسن أو الشاب، "معجم البلدان" (مدين) ٥/ ٧٧، "معاني القرآن" ٢/ ٣٠٤، وينسب لجرير وهو في "ديوانه" ص ٣٠٨، "اللسان" (رهب) ٣/ ١٧٤٨، "تاج العروس" (رهب) ٢/ ٤٢، وقافيته (الفادر).
(٥) انظر: التفسير البسيط للواحدي:٤٩٥/٧، وتفسير القرطبي:٢٥٧/٦-٢٥٨.
(٦) لم أتعرف على قائله، والبيت من شواهد الطبري في تفسيره:٥٠٣/١٠، والقرطبي في تفسيره:٢٥٨/٦ عاين الشيء معاينة وعيانًا : نظر إليه بعينيه مواجهة. ومنه قيل : رأيت فلانًا عيانًا أي : مواجهة. وحق شرح هذا اللفظ هنا أن يقال : لو رمتهم بعينيها مواجهة. و القلل : جمع قلة : وهي رأس الجبل ، وإنما عنى بذلك صوامع الرهبان في الجبال.
(٧) تفسير الطبري:٥٠٣/١٠.

فالجواب: أنه مدحهم بالتمسك بدين عيسى حين استعملوا في أمر محمد ما أخذ عليهم في كتابهم، وقد كانت الرهبانية مستحسنة في دينهم. والمعنى: بأن فيهم علماء بما أوصى به عيسى من أمر محمد -صلى الله عليه وسلم-"[١].

قال القاضي أبو يعلى: "وربما ظن جاهل أن في هذه الآية مدح النصارى، وليس كذلك، لأنه إنما مدح من آمن منهم، ويدل عليه ما بعد ذلك، ولا شك أن مقالة النصارى أقبح من مقالة اليهود"[٢].

قوله تعالى:{وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ} [المائدة: ٨٢]، أي:" وأنهم متواضعون لا يستكبرون عن قبول الحق، وهؤلاء هم الذين قبلوا رسالة محمد صلى الله عليه وسلم، وآمنوا بها"[٣].

قال السمرقندي:" يعني: لا يتعظمون على الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن"[٤].

قال ابن ابي زمنين:أي:" عن عبادة الله، والإيمان بالله"[٥].

قال الثعلبي والبغوي[٦]:" لا يتكبرون عن الإيمان والإذعان للحق"[٧].

قال الراغب:أي:" أنهم يتحرون الحق ولا يستكبرون عن قبوله، والضمير في {أنهم} راجع إلى القسيسين والرهبان، وقيل: راجع إلى المعنيين بالدين كلهم"[٨].

قال السعدي:" أي: ليس فيهم تكبر ولا عتو عن الانقياد للحق، وذلك موجب لقربهم من المسلمين ومن محبتهم، فإن المتواضع أقرب إلى الخير من المستكبر"[٩].

قال الزمخشري:يعني:" أنهم قوم فيهم تواضع واستكانة ولا كبر فيهم، واليهود على خلاف ذلك. وفيه دليل بين على أن التعلم أنفع شيء وأهداه إلى الخير وأدله على الفوز حتى علم القسيسين، وكذلك غم الآخرة والتحدث بالعاقبة وإن كان في راهب، والبراءة من الكبر وإن كانت في نصراني"[١٠].

قال البيضاوي:أي:{لايستكبرون}" عن قبول الحق إذا فهموه، أو يتواضعون ولا يتكبرون كاليهود. وفيه دليل على أن التواضع والإقبال على العلم والعمل والإعراض عن الشهوات محمود وإن كانت من كافر"[١١].

قال القرطبي:" وهذا المدح لمن آمن منهم بمحمد صلى الله عليه وسلم دون من أصر على كفره ولهذا قال: {وأنهم لا يستكبرون}، أي: عن الانقياد إلى الحق"[١٢].

قال السدي:" بعث النجاشي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنى عشر رجلا سبعة قسيسين وخمسة رهبانا، ينظرون إليه ويسألونه، فلما لقوه فقرأ عليهم ما أنزل إليه بكوا وأسفوا فأنزل الله فيهم: {وأنهم لا يستكبرون}"[١٣].

الفوائد:

١- عظم عداوة اليهود والمشركين للإسلام والمسلمين، فوجب المزيد من الحذر من كيدهم وعداوتهم.

---

(١) زاد المسير:٥٧٥/١.
(٢) زاد المسير:٥٧٥/١.
(٣) التفسير الميسر:١٢١.
(٤) بحر العلوم:٤١٢/١.
(٥) تفسير ابن ابي زمنين:٤٢/٢.
(٦) انظر: تفسير البغوي:٨٧/٣، ولفظه:" لا يتعظمون عن الإيمان والإذعان للحق".
(٧) الكشف والبيان:١٠٠/٤.
(٨) تفسير الراغب الأصفهاني:٤٢١/٥.
(٩) تفسير السعدي:٢٤١.
(١٠) الكشاف:٦٦٨/١-٦٦٩.
(١١) تفسير البيضاوي:١٤٠/٢.
(١٢) تفسير القرطبي:٢٥٨/٦.
(١٣) أخرجه ابن أبي حاتم(٦٦٧٥):ص١١٨٤/٤.

٢- قرب النصارى الصادقين في نصرانيتهم من المسلمين.

قال العلّامة ابن باز:" فالنصارى أقرب وقلوبهم ألين من قلوب اليهود لأن علتهم الجهل والضلال فإذا عرفوا وبين لهم رجع كثير منهم إلى الحق أما علة اليهود فليست الجهل، بل علتهم الحسد والبغي وعلتهم مخالفة الحق على بصيرة فعلتهم خبيثة وهي التكبر عن اتباع الحق والحسد لأهل الحق ولهذا قل وندر من يسلم منهم نعوذ بالله من ذلك"(١).

وقد عقد الألوسي في تفسيره: روح المعاني. مقارنة بينهما ومما ذكر من ذلك ما يلي(٢):

أولا:- اليهود أشد في الكفر والعناد وأعظم في الخبث والفساد، ولذا قال تعالى: {لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا} [المائدة: ٨٢]، والنصارى دون ذلك، وأقرب للإسلام منهم.

ثانيا: - أنهم كفروا بنبيين محمد وعيسى عليهما الصلاة والسلام، والنصارى كفروا بنبي واحد وهو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

ثالثا:- أن فضائح اليهود وفظائعهم أكثر مما عند النصارى، وقول النصارى بالتثليث ليس أفظع من قول اليهود: {إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ } [آل عمران: ١٨١]، وقولهم: {يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ} [المائدة: ٦٤] وقولهم: {عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ } [التوبة: ٣٠].

رابعا:-أن من أخص أسباب وصف اليهود بالغضب كونهم قد فسدوا بعد علم، والنصارى فسدوا عن جهل فوصفوا بالضلال، لأن الضال قد يهتدي.

٣- فضيلة التواضع، وقبح الكبر.

في الحديث الصحيح عن عياض رضي الله عنه قال: قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-:" إن الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يبغي أحد على أحد، ولا يفخر أحد على أحد "(٣).

وفيه أيضًا عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:"*ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله*"(٤).

قال الشافعي: "التواضع من أخلاق الكرام، والتكبر من شيم اللئام، التواضع يورث المحبـــة، والقناعة تورث الراحة "(٥).

قال عباس الدوري: "حدثنا علي بن أبي فزارة جارنا قال: كانت أمي مقعدة من نحو عشرين عامًا فقالت لي يومًا: اذهب إلى أحمد بن حنبل فسله أن يدعو لي، فأتيت فدققت عليه، وهو في دهليزه، فقال: من هذا ؟ قلت: رجل سألتني أمي وهي مقعدة أن أسألك الدعاء، فسمعت كلامه كلام رجل مغضب فقال: نحن أحوج أن تدعو الله لنا، فوليت منصرفًا، فخرجت عجوزٌ فقالت: قد تركته يدعو لها، فجئت إلى بيتنا فدققت الباب فخرجت أمي على رجليها تمشي"(٦).

قال الذهبي: "هذه الواقعة نقلها ثقتان عن عباس"(٧).

فهذا هو التواضع وهؤلاء هم الناس: {أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ} [الأنعام/٩٠].

---

(١) .مجموع فتاوى ابن باز:٢٩/٢٦٦-٢٦٧

(٢) انظر: روح المعاني:٩٩/١.

(٣)رواه مسلم(٢٨٦٥).

(٤)رواه مسلم (٢٥٨٨). ورواه الترمذي (٢٣٢٥) بلفظ : (ثَلاثَةٌ أُقْسِمُ عَلَيْهِنَّ وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا فَاحْفَظُوهُ قَالَ : مَا نَقَصَ مَالُ عَبْدٍ مِنْ صَدَقَةٍ ، وَلا ظُلِمَ عَبْدٌ مَظْلَمَةً فَصَبَرَ عَلَيْهَا إِلا زَادَهُ اللَّهُ عِزًّا ، وَلا فَتَحَ عَبْدٌ بَابَ مَسْأَلَةٍ إِلا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ بَابَ فَقْرٍ) صححه الألباني في صحيح الترمذي.

(٥) سير اعلام النبلاء:٣٧٠/٧، والمجموع شرح المهذب:٣٢/١.

(٦)سير أعلام النبلاء:٢١١/١١.

(٧)سير أعلام النبلاء:٢١١/١١.

القرآن

{وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (٨٣)} [المائدة: ٨٣]

التفسير:

ومما يدل على قرب مودتهم للمسلمين أن فريقًا منهم -وهم وفد الحبشة لما سمعوا القرآن- فاضت أعينهم من الدمع فأيقنوا أنه حقٌّ منزل من عند الله تعالى، وصدَّقوا بالله واتبعوا رسوله، وتضرعوا إلى الله أن يكرمهم بشرف الشهادة مع أمَّة محمد عليه السلام على الأمم يوم القيامة.

قوله تعالى:{وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ} [المائدة: ٨٣]، أي:" إذا سمعوا القرآن المُنْزَل على محمد رسول الله"(١).

قال الطبري:أي:" وإذا سمع هؤلاء الذين قالوا: إنا نَصَارى الذين وصفت لك، يا محمد، صفتهم أنك تجدهم أقرب الناس مودة للذين آمنوا"(٢).

قال الواحدي:" يعني: النجاشيَّ وأصحابه قرأ عليهم جعفر بن أبي طالب بالحبشة {كهيعص} [مريم: ١]"(٣).

قوله تعالى:{تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ} [المائدة: ٨٣]، أي:" فاضت أعينهم بالدمع"(٤).

قال الصابوني:أي:" من خشية الله لرقة قلوبهم وتأثرهم بكلام الله الجليل"(٥).

قال البيضاوي:" عطف على {لا يستكبرون}، وهو بيان لرقة قلوبهم وشدة خشيتهم ومسارعتهم إلى قبول الحق وعدم تأبيهم عنه، والفيض انصباب عن امتلاء، فوضع موضع الامتلاء للمبالغة، أو جعلت أعينهم من فرط البكاء كأنها تفيض بأنفسها"(٦).

و«فيض العين من الدمع»، امتلاؤها منه، ثم سيلانه منها، كفيض النهر من الماء، وفيض الإناء، وذلك سيلانه عن شدة امتلائه، ومنه قول الأعشى(٧):

فَفَاضَتْ دُمُوعِي، فَظَلَّ الشُّئُونُ: إمَّا وَكِيفًا، وَإِمَّا انْحِدَارَا(٨)

قال الراغب:" «الفيض»: سيلان عن امتلاء، وأفضا لسيلانه وفاضته دمعة: إذا امتلأت العين ثم سالت، وعنه اسستعير خبر مستفيض، وأفاض القوم من عرفه، فذكر تعالى أنهم يبكون ويؤمنون بالنبي عليه الصلاة والسلام"(٩).

قال الزمخشري:قوله:"{تفيض من الدمع}، معناه تمتلئ من الدمع حتى تفيض، لأن الفيض أن يمتلئ الإناء أو غيره حتى يطلع ما فيه من جوانبه، فوضع الفيض الذي هو من الامتلاء موضع الامتلاء، وهو من إقامة المسبب مقام السبب، أو قصدت المبالغة في وصفهم بالبكاء فجعلت أعينهم كأنها تفيض بأنفسها، أى تسيل من الدمع من أجل البكاء من قولك دمعت عينه دمعا"(١٠).

وقوله: {تفيض من الدمع}، من أبلغ العبارات، وأنهاها وهي ثلاث مراتب(١١):

فالأولى: فاض دمع عينه، وهذا هو الأصل.

---

(١) صفوة التفاسير:٣٣٤.
(٢) تفسير الطبري:٥٠٧/١٠.
(٣) الوجيز:٣٣٢.
(٤) صفوة التفاسير:٣٣٤.
(٥) صفوة التفاسير:٣٣٤.
(٦) تفسير البيضاوي:١٤٠/٢.
(٧)ديوانه : ٣٥. من قصيدته في قيس بن معد يكرب الكندي.
(٨) انظر: تفسير الطبري:٥٠٧/١٠.
(٩) تفسير الراغب الاصفهاني:٤٢١/٥.
(١٠) الكشاف:٦٦٩/١-٦٧٠.
(١١) انظر: حاشية الانتصاف:٦٦٩/١.

والثانية: محولة من هذه، وهي قول القائل: فاضت عينه دمعا حولت الفعل إلى العين مجازا ومبالغة، ثم نبهت على الأصل والحقيقة بنصب ما كان فاعلا على التمييز.

والثالثة: فيها هذا التحويل المذكور، وهي الواردة في الآية، إلا أنها أبلغ من الثانية باطراح المنبهة على الأصل وعدم نصب التمييز، وإبرازه في صورة التعليل. والله أعلم.

وإنما كان الكلام مع التعليل أبعد عن الأصل منه مع التمييز لأن التمييز في مثله قد استقر كونه فاعلا في الأصل في مثل: تصبب زيد عرقا، وتفقأ عمرو شحما، واشتعل الرأس شيبا، وتفجرت الأرض عيونا. فإذا قلت: فاضت عينه دمعا، فهم هذا الأصل في العادة في أمثاله. وأما التعليل فلم يعهد فيه ذلك. ألا تراك تقول: فاضت عينه من ذكر الله كما تقول فاضت عينه من الدمع، فلا يفهم التعليل ما يفهم التمييز.

عن هشام بن عروة، عن أبيه قال: كانوا يُرَوْن أن هذه الآية أنزلت في النجاشي: {وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع}"(1).

قال السدي:" بعث النجاشي إلى النبيّ -صلى الله عليه وسلم- اثنى عشر رجلا يسألونه ويأتونه بخبره، فقرأ عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن، فبكوا. وكان منهم سبعة رهبانٍ وخمسة قسيسين أو: خمسة رهبان، وسبعة قسيسين، فأنزل الله فيهم: {وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع}، إلى آخر الآية"(2).

قال ابن عباس:" بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم جعفر بن أبي طالب وابن مسعود وعثمان بن مظعون في رهط من أصحابه إلى النجاشي فلما دخلوا عليه قال: تعرفون ما أنزل إليكم قالوا نعم، قال: اقرءوا، فقرءوا وهنالك منهم قسيسين ورهبان وساير النصارى، فجعلت طائفة كلما قرءوا آية انحدرت دموعهم {مما عرفوا من الحق ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون} {وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق}"(3).

قال ابن شهاب: "أخبرني سعيد بن المسيب وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام وعروة بن الزبير، قالوا: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضمري. وكتب معه كتابا إلى النجاشي، فقدم على النجاشي، فقرأ كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم دعا جعفر ابن أبي طالب والمهاجرين معه، وأرسل النجاشي إلى الرهبان والقسيسين، ثم أمر جعفر بن أبي طالب فقرأ عليهم سورة مريم فآمنوا بالقرآن وفاضت أعينهم من الدمع فهم الذين أنزل الله فيهم ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إلى قوله: {ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين}"(4).

قال عبدالله بن الزبير:" نزلت هذه الآية في النجاشي وأصحابه:{وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع}، وقوله: {يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين}"(5).

قال قتادة:" هم أناس من أهل الكتاب كانوا على شريعة من الحق مما جاء به عيسى عليه الصلاة والسلام، يؤمنون به وينتهون إليه، فلما بعث الله نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فصدقوا وآمنوا به وعرفوا الذي جاء به أنه الحق من الله فأثنى عليهم كما تسمعون قوله تعالى: {ترى أعينهم}"(6).

---

(1) أخرجه الطبري(١٢٣٢٨):ص١٠/٥٠٨.
(2) أخرجه الطبري(١٢٣٢٥):ص١٠/٥٠٧-٥٠٨.
(3) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٦٧٧):ص٤/١١٨٤.
(4) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٦٧٨):ص٤/١١٨٥.
(5) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٦٧٨٠):ص٤/١١٨٥.
(6) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٦٧٦):ص٤/١١٨٤.

قال سعيد عن عمرو بن مرة: "قدم على أبي بكر الصديق وفد من اليمن، فقالوا: اقرأ علينا القرآن، فقرأ عليهم القرآن فجعلوا يبكون، فقال أبو بكر: كذا كنا حتى قست القلوب، وكان أبو بكر لا يملك دمعة حين يقرأ القرآن"(١).

قال التستري في تفسير هذه الآية: "هم القسيسون والرهبان، كان الناس يتمسحون بهم لعلمهم في الدين، قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم فقرأ عليهم القرآن، فرقوا له، ففاضت أعينهم ولم يستكبروا، بعصمة الله إياهم عن الاستكبار، فدخلوا في دينه لما وضع الله تعالى من علمه فيهم". ثم قال: "فساد الدين بثلاث:

- الملوك إذا أخذوا في السرف والشهوات.
- والعلماء إذا أفتوا بالرخص.
- والقراء إذا تعبدوا بغير علم.

وإن العلماء يحتاج إليهم الخلق في الدنيا والآخرة، وقد حكي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن أهل الجنة يحتاجون إلى العلماء في الجنة كما يحتاجون إليهم في الدنيا، يزورون ربهم في كل جمعة فيقال لهم: تمنوا ما شئتم. فينطلقون إلى العلماء، فيقول لهم العلماء: تمنوا كذا تمنوا كذا، فيتمنون»(٢)"(٣).

وقرئ:«ترى أعينهم»، على البناء للمجهول(٤).

قوله تعالى:{مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الحَقِّ} [المائدة: ٨٣]، أي:" من أجل معرفتهم أنه حقٌّ منزل من عند الله تعالى"(٥).

قال البيضاوي:" {مما عرفوا من الحق}، {من} الأولى للابتداء، والثانية لتبيين {ما عرفوا}، أو للتبعيض بأنه بعض {الحق}، والمعنى: أنهم عرفوا بعض الحق فأبكاهم فكيف إذا عرفوا كله"(٦).

قال الواحدي:" يريد: الذي نزل على محمَّد وهو الحقُّ"(٧).

قوله تعالى:{يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا} [المائدة: ٨٣]، أي:" أي يقولون يا ربنا صدقنا بنبيّك وكتابك"(٨).

قال البيضاوي:" {آمنا}، بذلك أو بمحمد"(٩).

قال الشوكاني:" أي: آمنا بهذا الكتاب النازل من عندك على محمد وبمن أنزلته عليه"(١٠).

قال الطبري:أي:" يا ربنا، صدَّقنا لما سمعنا ما أنزلته إلى نبيك محمد صلى الله عليه وسلم من كتابك، وأقررنا به أنه من عندك، وأنه الحق لا شك فيه"(١١).

قوله تعالى:{فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ} [المائدة: ٨٣]، أي:فاكتبنا "مع أمة محمد عليه السلام الذين يشهدون على الأمم يوم القيامة"(١٢).

---

(١) أخرجه الثعلبي في تفسيره:١٠٠/٤.
(٢)كشف الخفاء ١/ ٢٦٣، ولسان الميزان ٥/ ١٥، وفيهما أن الحديث موضوع..
(٣) تفسير التستري:٦٠، انظر مثل هذا القول للتستري في الحلية ١٠/ ٢٠٦.
(٤) انظر: فتح القدير:٧٨/٢.
(٥) صفوة التفاسير:٣٣٤، والتفسير الميسر:١٢١
(٦) تفسير البيضاوي:١٤٠/٢.
(٧) الوجيز:٣٣٢.
(٨) صفوة التفاسير:٣٣٤.
(٩) تفسير البيضاوي:١٤٠/٢.
(١٠) فتح القدير:٧٨/٢.
(١١) تفسير الطبري:٥٠٩/١٠.
(١٢) صفوة التفاسير:٣٣٤.

قال البيضاوي:أي: من"الذين شهدوا بأنه حق، أو بنبوته، أو من أمته الذين هم شهداء على الأمم يوم القيامة"(١).

قال الشوكاني:أي:" على الناس يوم القيامة من أمة محمد أو مع الشاهدين، بأنه حق، أو مع الشاهدين بصدق محمد وأنه رسولك إلى الناس"(٢).

قال الزجاج:" أي: مع من شهد من أنبيائك عليهم السلام ومؤمني عبادك بأنك لا إله غيرك"(٣).

قال الواحدي:" مع أمَّة محمَّد صلى الله عليه وسلم الذين يشهدون بالحق"(٤).

قال السمعاني:" يعني: من أمة محمد؛ فإنهم الشاهدون على سائر الأمم"(٥).

قال الثعلبي:" يعني أمة محمد -عليه السلام- دليله قوله: { لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاس} [البقرة: ١٤٣]"(٦).

قال ابن أبي زمنين:أي:" مع من شهد بما جاء به محمد أنه حق"(٧).

قال الراغب:" ويتضرعون إلى الله أن يجعلهم من جملة من وصفهم بقوله: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاس} [البقرة: ١٤٣]، ومعنى:{فاكتبنا}، أي: اجعلنا منهم وثبتنا في جملتهم"(٨).

عن ابن عباس:" {اكتبنا مع الشاهدين}، قال: أمة محمد -صلى الله عليه وسلم-"(٩).

وفي رواية أخرى عن ابن عباس أيضا:"{فاكتبنا مع الشاهدين}، قال: محمد صلى الله عليه وسلم وأمته، إنهم شهدوا أنه قد بلَّغ، وشهدوا أن الرسل قد بلغت"(١٠).

فذهب ابن عباس إلى أن {الشاهدين}، هم الشهداء في قوله: { لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاس} [البقرة: ١٤٣]، وهم أمة محمد -صلى الله عليه وسلم-، ومعنى الكلام: يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين، الذين يشهدون لأنبيائك يوم القيامة، أنهم قد بلغوا أممهم رسالاتك(١١).

وقال الحسن: "الذين يشهدون بالإيمان"(١٢).

وقال أبو علي: "الذين يشهدون بتصديق نبيك وكتابك"(١٣).

قال السعدي:قوله{ الشاهدين}" هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم، يشهدون لله بالتوحيد، ولرسله بالرسالة وصحة ما جاءوا به، ويشهدون على الأمم السابقة بالتصديق والتكذيب، وهم عدول، شهادتهم مقبولة، كما قال تعالى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا} [البقرة: ١٤٣] "(١٤).

الفوائد:

١- فضل هذه الأمة وكرامتها على الأمم قبلها.

---

(١) تفسير البيضاوي:١٤٠/٢.
(٢) فتح القدير:٧٨/٢.
(٣) معاني القرآن:٢٠٠/٢.
(٤) الوجيز:٣٣٢.
(٥) تفسير السمعاني:٥٨/٢.
(٦) تفسير الثعلبي:١٠٠/٤.
(٧) تفسير ابن أبي زمنين:٤٢/٢.
(٨) تفسير الراغب الأصفهاني:٤٢٢/٥.
(٩) أخرجه الطبري(١٢٣٣١):ص٥٠٩/١٠.
(١٠) أخرجه الطبري(١٢٣٣٣):ص٥٠٩/١٠، والحاكم ٢/ ٣١٣ وقال هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.
(١١) انظر: تفسير الطبري:٥١٠/١٠.
(١٢) تفسير القرطبي:٢٥٩/٦.
(١٣) تفسير القرطبي:٢٥٩/٦.
(١٤) تفسير السعدي:٢٤٢.

٢- أن البكاء من خشية الله هو شعار المؤمنين المتقين.
روى الترمذي في سننه من حديث ابن عباس رضي اللهُ عنهما أن النبي صلى اللهُ عليه وسلم قال: «عَيْنَانِ لَا تَمَسُّهُمَا النَّارُ، عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللهِ» [(١)].

وقد كان النبي صلى اللهُ عليه وسلم كثير البكاء من خشية الله، وكذلك الصالحون من قبل ومن بعد، وقد توعد الله أصحاب القلوب القاسية بأشد الوعيد، فقال تعالى: {أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِين (٢٢)} [الزمر: ٢٢].
٣-ويستفاد من الآية قرأ منع قراءة القرآن بالألحان المطربة والمشبهة للأغاني؛ لأن ذلك يثمر ضد الخشوع، ونقيض الخوف والوجل، وقوله تعالى فيهم: {وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الحَقِّ}[المائدة:٨٣]، وهذا يفيد الأمر بتلاوته على هذا الوجه، وأن بكاءهم إنما كان مما فهموا من معانيه، لا من نغمات القارئ.
فأين هذا من دق الرجل، وثني العطف، وتحريك الرأس، والصياح، والزعق، والمكاء، والتصدية؟ !
قال الله تعالى: {لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا القُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ} .
فليت شعري! ما الذي يورث خشية الله تعالى؟ !
أألحان الملحنين، أو فهم معانيه، وتدبر آياته، واستخلاص حكمه وعجائب مضمونه؟ !
قال بهز بن حكيم: " صليت خلف زرارة بن أوفى، فقرأ: {فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ}، فخر ميتا، فكنت ممن حمله "[(٢)].
وقال أبو الربيع إدريس الخولاني: " كان أبو بكر البصري قد أوتي الحزن وحسن الصوت، وقراءته تقع على القلب من فضله، وكان يأتي إلى الليث بن سعد فيقرأ عنده، ويبكي الليث وأصحابه، ويقول الليث: لقد جعل الله لقراءته سلطانا على الأعين "[(٣)].
ووري عن زيد بن أسلم عن أبيه قال: "لما نزلت: {إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ}، قال عمر لما بلغ: {عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ}، قال: لهذا أجري الحديث [(٤)].
وإنما كان همه في معنى الآية، لا في ترجيع ونغمة.
قال ابن أبي عبلة: " كانت أم الدرداء تأتينا من دمشق إلى بيت المقدس على بغلة لها، فإذا مرت بالجبال؛ تقول لقائدها: أسمع الجبال ما وعدها ربها، فيرفع صوته بهذه الآية: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا}"[(٥)].
وروى مالك قال: " قيل لزيد بن ثابت: كيف ترى في قراءة القرآن في سبع؟ فقال: حسن، ولأن أقرأه في نصف شهر أو عشرين أحب إلي، وسلني: لم ذلك؟ قال: فإني أسألك؟ قال: كي أتدبره وأقف عليه "[(٦)].

القرآن

---

(١) سنن الترمذي(١٦٣٩)، وقال حديث ابن عباس حديث حسن غريب وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم(٤١١٣).
(٢) أخرجه ابن ابي عاصم في الزهد:٢٤٧/١.
(٣) انظر: الحوادث والبدع/٦١، ولم أجده.
(٤) الدر المنثور:٢٦٧/١٥.
(٥)انظر: الحوادث والبدع/٦٢، ولم أجده.
(٦) أخرجه الغمام مالك في الموطأ(٤٧٢):ص/٢٠٠/١، والبيهقي في شعب الإيمان(٢٠٤٣)::ص/٣٦٠/٢، وانظر: شرح الزرقاني:١٣/٢.

{وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ (٨٤)} [المائدة: ٨٤]

التفسير:

وقالوا: وأيُّ لوم علينا في إيماننا بالله، وتصديقنا بالحق الذي جاءنا به محمد صلى الله عليه وسلم من عند الله، واتباعنا له، ونرجو أن يدخلنا ربنا مع أهل طاعته في جنته يوم القيامة؟

قوله تعالى:{وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ} [المائدة: ٨٤]، أي:" وقالوا: وأيُّ لوم علينا في إيماننا بالله، وتصديقنا بالحق الذي جاءنا به محمد صلى الله عليه وسلم من عند الله، واتباعنا له"(١).

قال الزجاج:" المعنى: أي شيء لنا تاركين للإيمان، أي: في حال تركنا للإيمان، وذلك أن قومهم عنفوهم على إيمانهم، فأجابوهم بأن قالوا ما لنا لا نؤمن بالله"(٢).

قال البغوي:" وذلك أن اليهود عيروهم وقالوا لهم: لم آمنتم؟ فأجابوهم بهذا"(٣).

قال السمرقندي:" معناه: وما لنا لا نصدق بالله أن محمدا رسوله، والقرآن من عنده، وما جاءنا من الحق"(٤).

قال السعدي:" فكأنهم ليموا على إيمانهم ومسارعتهم فيه، فقالوا: {وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين} أي: وما الذي يمنعنا من الإيمان بالله، والحال أنه قد جاءنا الحق من ربنا، الذي لا يقبل الشك والريب"(٥).

قال المراغي:" أي: وأى مانع يمنعنا من الإيمان بالله الذي لا إله إلا هو، ويصدنا عن اتباع ما جاءنا من الحق على لسان هذا النبي الكريم، بعد أن ظهر لنا أنه هو روح الحق الذي بشر به المسيح؟"(٦).

قال الزمخشري:"{ وما لنا لا نؤمن بالله}: إنكار استبعاد لانتفاء الإيمان مع قيام موجبه وهو الطمع في إنعام الله عليهم بصحبة الصالحين: وقيل: لما رجعوا إلى قومهم لاموهم فأجابوهم بذلك. أو أرادوا: وما لنا لا نؤمن بالله وحده لأنهم كانوا مثلثين، وذلك ليس بإيمان بالله"(٧).

قال ابن عطية:" قولهم وما لنا توقيف لأنفسهم أو محاجة لمن عارضهم من الكفار بأن قال لهم آمنتم وعجلتم، فقالوا وأي شيء يصدنا عن الإيمان وقد لاح الصواب وجاء الحق المنير"(٨).

قال ابن كثير:" وهذا الصنف من النصارى هم المذكورون في قوله عز وجل: { وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ}الآية [آل عمران: ١٩٩]، وهم الذين قال الله فيهم: { الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ * وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ * أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ} إلى قوله { لا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ } [القصص: ٥٢ - ٥٥]"(٩).

---

(١) التفسير الميسر:١٢٢.
(٢) معاني القرىن:٢/٢٠٠.
(٣) تفسير البغوي:٣/٨٨.
(٤) تفسير السمرقندي:١/٤١٢.
(٥) تفسير السعدي:٢٤٢.
(٦) تفسير المراغي:٧/٨.
(٧) الكشاف:١/٦٧٠.
(٨) المحرر الوجيز:٢/٢٢٧.
(٩) تفسير ابن كثير:٣/١٦٩.

قوله تعالى:{وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ} [المائدة: ٨٤]، أي:" ونرجو أن يدخلنا ربنا مع أهل طاعته في جنته يوم القيامة"(١).

قال ابن زيد:" «القومُ الصالحون»، رسولُ الله -صلى الله عليه وسلم- وأصحابُه"(٢).

قال الطبري:أي:" ونحن نطمَعُ بإيماننا بذلك أن يدخلنا ربُّنا مع القوم الصالحين"(٣).

قال البغوي:" أي: في أمة محمد صلى الله عليه وسلم، بيانه { أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ} [الأنبياء: ١٠٥] "(٤).

قال السمرقندي:" يقول: نرجو، أن يدخلنا ربنا مع المؤمنين الموحدين في الجنة"(٥).

قال السعدي:أي:" ونحن إذا آمنا واتبعنا الحق طمعنا أن يدخلنا الله الجنة مع القوم الصالحين، فأي مانع يمنعنا؟ أليس ذلك موجبا للمسارعة والانقياد للإيمان وعدم التخلف عنه"(٦).

قال المراغي:" وإننا لنطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الذين صلحت أنفسهم بالعقائد الصحيحة، والفضائل والآداب الكاملة، وهم أتباع هذا النبي الكريم الذين استبان لنا أثر صلاحهم وشاهدناه بأعيننا بعد ما كان منهم من فساد فى الأرض وعتو كبير فى جاهليتهم، والخلاصة- إنه لا مانع لنا من هذا الإيمان بعد أن تظاهرت أسبابه، وتحققت موجباته فوجب علينا الجري على سننه، واتباع نهجه وطريقه"(٧).

قال الماتريدي: قال الحسن: قوله - تعالى -: {ونطمع}: أي: نعلم أن يدخلنا ربنا الجنة إذا آمنا بالله وما جاءنا من الحق.

قيل: نطمع: هو الطمع والرجاء، أي: نطمع ونرجو أن يدخلنا ربنا في دين قوم صالحين، و {الصالحين}: يحتمل: ما ذكرنا من الأنبياء والرسل"(٨).

الفوائد:

١- فضل الكتابي إذا أسلم. وحسن إسلامه.

٢-دفع اللوم عن الإنسان، فينبغي للغنسان ان يدفع اللوم عن نفسه، ولا يُبقي عرضه لعباد الله يعملون ما يشاءون فيه، قال تعالى:{وما لنا لانؤمن بالله}، وكذلك حمل النفس عند الوسواس على الإيمان والعمل الصالح، وذلك عند رؤية الفتور، إذ يجب تقوية العزيمة.

٣-أن ماجاء به الرسول-صلى الله عليه وسلم- حق بشهادة من سبق من الأمم، لقوله:{وما جاءنا من الحق}.

٤-ومنها: اختيار الرفيق الصالح لقوله:{ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحيم}، قال الرسول-صلى الله عليه وسلم-:"مثل الجليس الصالح كحامل المسك/ إما أن يبيعك أو يحذيك، أو تجد منه رائحة طيبة"(٩).

القرآن

{فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ (٨٥)} [المائدة: ٨٥]

التفسير:

---

(١) التفسير الميسر:١٢٢.

(٢) أخرجه الطبري(١٢٣٣٥):ص١٠/٥١١-٥١٢.

(٣) تفسير الطبري:١٠/٥١١.

(٤) تفسير البغوي:٣/٨٨.

(٥) تفسير السمرقندي:١/٤١٢.

(٦) تفسير السعدي:٢٤٢.

(٧) تفسير المراغي:٧/٨.

(٨) تفسير الماتريدي:٣/٥٧٤، ولم اقف على قول الحسن.

(٩) رواه البخاري(٥٣٤٩)، ومسلم(٢٨١٦)..

فجزاهم الله بما قالوا من الاعتزاز بإيمانهم بالإسلام، وطلبهم أن يكونوا مع القوم الصالحين، جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار، ماكثين فيها لا يخرجون منها، ولا يُحوَّلون عنها، وذلك جزاء إحسانهم في القول والعمل.

قوله تعالى:{فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا} [المائدة: ٨٥]،أي:" فجزاهم الله بما قالوا من الاعتزاز بإيمانهم بالإسلام، وطلبهم أن يكونوا مع القوم الصالحين"(١).

قال السمعاني:" أي: أعطاهم الله بما قالوا"(٢).

قال السمرقندي: أي:" من التوحيد"(٣).

قال الطبري:أي:" فجزاهم الله بقولهم:{ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءَنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربَّنا مع القوم الصالحين}"(٤).

قال ابن كثير:" أي: فجازاهم على إيمانهم وتصديقهم واعترافهم بالحق"(٥).

قال الزمخشري:أي:" بما تكلموا به عن اعتقاد وإخلاص، من قولك: هذا قول فلان، أى اعتقاده وما يذهب إليه"(٦).

وفي تفسير قوله تعالى:{فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا} [المائدة: ٨٥]، وجهان:

احدهما: معناه: بما قاولا من التوحيد. قاله الكلبي(٧).

قال الواحدي:" وعلى هذا إنما علق الثواب بمجرد القول؛ لأنه قد سبق من وصفهم ما يدل على إخلاصهم فيما قالوا، وهو المعرفة في قوله: {مما عرفوا من الحق} والبكاء المؤذن بحقيقة الإخلاص واستكانة القلب ومعرفته، والقول إذا اقترن به المعرفة والإخلاص فهو الإيمان الحقيقي الموعود عليه بالثواب"(٨).

والثاني: يريد: بما سألوا، يعني قولهم: {فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ}، وقولهم: {وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا} الآية. وهذا قول ابن عباس(٩)، وعطاء(١٠).

وهذا يدل على مسألتهم الجنة، فعلى هذا التفسير، القول: معناه: المسألة(١١).

وظاهر قوله تعالى: {فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا} [المائدة: ٨٥]، يدل على أنهم إنما استحقوا ذلك الثواب بمجرد القول، وذلك غير ممكن لأن مجرد القول لا يفيد الثواب، وأجابوا عنه من وجهين(١٢):

الأول: أنه قد سبق من وصفهم ما يدل على إخلاصهم فيما قالوا، وهو المعرفة، وذلك هو قوله:{مما عرفوا من الحق} [المائدة: ٨٣]، فلما حصلت المعرفة والإخلاص وكمال الانقياد ثم انضاف إليه القول لا جرم كمل الإيمان.

الثاني: أن قوله:{بما قالوا}، يريد بما سألوا، يعني قولهم:{فاكتبنا مع الشاهدين} [المائدة: ٨٣] .

قال البغوي:" وإنما أنجح قولهم وعلق الثواب بالقول لاقترانه بالإخلاص، بدليل قوله: {وذلك جزاء المحسنين}"(١٣).

---

(١) التفسير الميسر:١٢٢.
(٢) تفسير السمعاني:٥٩/٢.
(٣) بحر العلوم:٤١٢/١.
(٤) تفسير الطبري١٠/٥١٢.
(٥) تفسير ابن كثير:١٦٩/٣.
(٦) الكشاف:٦٧٠/١.
(٧) انظر: التفسير البسيط للواحدي:٤٩٨/٧، وتنوير المقباس" بهامش المصحف ص ١٢٢.
(٨) التفسير البسيط للواحدي:٤٩٨/٧.
(٩) انظر: مفاتيح الغيب:٤١٦/١٢. في رواية عطاء عنه.
(١٠)انظر: التفسير البسيط، للواحدي:٤٩٨/٧، وكذلك التفسير الوسيط له:٢١٩/٢.
(١١)انظر: التفسير البسيط للواحدي:٤٩٨/٧.
(١٢) انظر: مفاتيح الغيب:٤١٦/١٢.
(١٣) تفسير البغوي:٨٨/٣.

قال القرطبي:" قوله تعالى: {فأثابهم الله بما قالوا..}، دليل على إخلاص إيمانهم وصدق مقالهم، فأجاب الله سؤالهم وحقق طمعهم- وهكذا من خلص إيمانه وصدق يقينه يكون ثوابه الجنة"(١).

وقرأ الحسن: «فآتاهم الله بما قالوا»(٢).

قوله تعالى:{جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ} [المائدة: ٨٥]،أي:" جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار"(٣).

قال الطبري:" يعني: بساتين تجري من تحت أشجارها الأنهار"(٤).

قال أبو مالك:" يعني: المساكن تجري أسفلها أنهارها"(٥).

قال عبد الله: "أنهار الجنة تفجر من جبل مسك"(٦).

قوله تعالى:{خَالِدِينَ فِيهَا} [المائدة: ٨٥]،أي:" ماكثين فيها لا يخرجون منها، ولا يُحوَّلون عنها"(٧).

قال ابن عباس:" يخبرهم أن الثواب مقيم على أهله أبدا لا انقطاع له"(٨).

قال الطبري:" يقول: دائمًا فيها مكثهم، لا يخرجون منها ولا يحوَّلون عنها"(٩).

قال ابن كثير:" أي: ساكنين فيها أبدًا، لا يحولون ولا يزولون"(١٠).

قوله تعالى:{وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ} [المائدة: ٨٥]،أي:" وذلك جزاء إحسانهم في القول والعمل"(١١).

قال ابن عباس: "الموحدين"(١٢).

وقال الكلبي: "المؤمنين"(١٣).

قال البغوي:" يعني: الموحدين المؤمنين"(١٤).

قال السمرقندي:" يعني: ثواب الموحدين المطيعين"(١٥).

قال الطبري:" يقول: وهذا الذي جَزَيتُ هؤلاء القائلين بما وصفتُ عنهم من قيلهم على ما قالوا، من الجنات التي هم فيها خالدون، جزاءُ كل محسنٍ في قِيله وفِعله"(١٦).

قال ابن كثير:"أي:في اتباعهم الحق وانقيادهم له حيث كان، وأين كان، ومع من كان"(١٧).

الفوائد:

١- بيان فضل اللع عزّ وجل، إذ اثاب هؤلاء الذين منّ عليهم بالإيمان بهذا الجزاء العظيم.

٢-إثبات الأسباب، لقوله: {فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ}.

---

(١) تفسير القرطبي:٢٦٠/٦.

(٢) انظر: الكشاف:٦٧٠/١.

(٣) التفسير الميسر:١٢٢.

(٤) تفسير الطبري٥١٢/١٠.

(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٦٨٥):ص١١٨٦/٤.

(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٦٨٤):ص١١٨٦/٤.

(٧) التفسير الميسر:١٢٢.

(٨) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٦٨٦):ص١١٨٦/٤.

(٩) تفسير الطبري٥١٢/١٠.

(١٠) تفسير ابن كثير:١٦٩/٣.

(١١) التفسير الميسر:١٢٢.

(١٢) انظر: نسبه لابن عباس في زاد المسير ٢/ ٤١٠، والتفسير الوسيط" ٢/ ٢١٩، والتفسير البسيط:٤٩٨/٧.

(١٣) انظر: التفسير البسيط:٤٩٨/٧.

(١٤) تفسير البغوي:٨٨/٣.

(١٥) بحر العلوم:٤١٢/١.

(١٦) تفسير الطبري٥١٢/١٠.

(١٧) تفسير ابن كثير:١٦٩/٣.

٣-إثبات الجنة وأنها أنواع، لقوله:{ جَنَّاتٍ}، وأنها ذات انهار، لقوله:{ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ}. وهي أيضا أنواع. كما دلّت الآية على أن نعيم الجنة دائم، لقوله:{ خَالِدِينَ فِيهَا}.
٤-الحثّ على الإحسان، لقوله:{ وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ}، إذ اشار إليه بإشارة البعيد.
٥-أن الآية تدل على أن المصدِّق بقلبه، الموقن، المخلص من النفاق يُسمَّى مُحسناً، ويستحقُّ ما وعد الله به المحسنين، قال تعالى: {فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ} [المائدة: ٨٥]، فجعلهم من المحسنين بقولهم، وهو ما قدم من قولهم: {وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ} [المائدة: ٨٤].

ويوضحه قوله تعالى: {يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ} [إبراهيم: ٢٧]، وصح في تفسير ذلك مرفوعاً أن التثبيت في الآخرة بذلك هو الشهادتان في القبر عند المسألة[١]، وأنه بعد شهادتهما يُبَشَّرُ، ويرى مقعده من الجنة، ولا يُمتَحَنُ بالسؤال عن غيرهما في جميع الأخبار المتفق على صحتها.

ويشهد لمعنى ذلك شواهدُ كثيرةٌ، منها قوله تعالى: {وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ (٣)} [الأعراف: ١٧٢][٢].
٦- احتج بعض الناس بهذه الآية، أن الإيمان هو مجرد القول، لأنه قال: فأثابهم الله بما قالوا ولكن لا حجة لهم فيها، لأن قولهم كان مع التصديق، والقول بغير التصديق، لا يكون إيمانا. افاده السمرقندي[٣].

القرآن
{وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (٨٦)} [المائدة: ٨٦]
التفسير:
والذين جحدوا وحدانية الله وأنكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وكذَّبوا بآياته المنزلة على رسله، أولئك هم أصحاب النار الملازمون لها.

قوله تعالى:{وَالَّذِينَ كَفَرُوا} [المائدة: ٨٦]، أي:" والذين جحدوا وحدانية الله وأنكروا نبوة محمد-صلى الله عليه وسلم-"[٤].
قال القرطبي:أي:" من اليهود والنصارى ومن المشركين"[٥].
قال القاسمي: أي: " وكذبوا بحجج الله وبراهينه"[٦].
قال الآلوسي:" أي: حجبوا عن الذات"[٧].
قال السعدي:أي:" كفروا بالله"[٨].
قال المراغي:" أي: وأما الذين جحدوا توحيد الله، وأنكروا نبوة محمد-صلى الله عليه وسلم-"[٩].
قوله تعالى:{وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا} [المائدة: ٨٦]، أي:" وكذَّبوا بآياته المنزلة على رسله"[١٠].
قال القاسمي:" أي: الذين جحدوا الحق الذي جاءهم"[١].

---
(١)أخرجه من حديث البراء البخاري (١٣٦٩)، ومسلم (٢٨٧١)، وأبو داود (٤٧٥٠)، والترمذي (٣١٢٠)، والنسائي ٦/ ١٠١، وابن ماجه (٤٢٦٩).
(٢) انظر: العواصم والقواصم في الذب عن سنة ابي القاسم:٢٠٤/٩.
(٣) بحر العلوم:٤١٢/١.
(٤) التفسير الميسر:١٢٢.
(٥) تفسير القرطبي:٢٦٠/٦.
(٦) محاسن التأويل:٢٢٣/٤.
(٧) روح المعاني:٩/٤.
(٨) تفسير السعدي:٢٤٢.
(٩) تفسير المراغي:٩/٧.
(١٠) التفسير الميسر:١٢٢.

قال الآلوسي: أي: "الدالة على التوحيد"[٢].
قال السعدي:أي:" كذبوا بآياته المبينة للحق"[٣].
قال المراغي: أي: "وكذبوا بآيات كتابه"[٤].
قال ابو السعود:" عطف التكذيب بآيات الله على «الكفر» مع أنه ضرب منه لما أن القصد إلى بيان حال المكذبين وذكرهم بمقابلة المصدقين بها جمعا بين الترغيب والترهيب[٥].
قال الشوكاني:" التكذيب بالآيات كفر فهو من باب عطف الخاص على العام"[٦].
قوله تعالى:{أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ} [المائدة: ٨٦]، أي:" أولئك هم أصحاب النار الملازمون لها"[٧].
قال المراغي: أي: " سكانها المقيمون فيها لا يبرحونها"[٨].
قال القاسمي: " أي: النار الشديدة الحرارة. جزاء وفاقا"[٩].
قال الآلوسي: أي: " لحرمانهم الكلي واحتجابهم بنفوسهم وصفاتها"[١٠].
قال الشيخ ابن عثيمين: والجحيم هي النار، وسميت بذلك لبعد قعرها وظلمة مرءاها"[١١].
و«الجحيم»: النار الشديدة الاتقاد. يقال: جحم فلان النار إذا شدد إيقادها. ويقال أيضا لعين الأسد: جحمة، لشدة اتقادها. ويقال ذلك للحرب، أي: جاحم الحرب هو شدة القتال في معركتها، قال الشاعر[١٢]:

الْحَرْبُ لَا يَبْقَى لِجَاحِمِهَا ... التَّخَيُّلُ وَالْمَرَاحُ
إِلَّا الْفَتَى الصَّبَّارُ فِي ... النَّجَدَاتِ وَالْفَرَسُ الْوَقَاح[١٣]

وقال ابن فارس: "الجاحم: المكان الشديد الحر"[١٤]، وأنشد قول الأعشى[١٥]:

يُعِدُّونَ لِلْهَيْجَاءِ قَبْلَ لِقَائِهَا ... غَدَاةَ احْتِضَارِ الْبَأْسِ وَالْمَوْتُ جَاحِمُ

وقال قومٌ: الجَحَّامُ الذي يتحرقُ حرصاً وبُخْلاً، أخذ من الجحيم وهي النار المسْتَحْكِمةُ والمُتَلَظِّيَة. قال[١٦]:

جحيماً تلظى لا تفترُ ساعة ... ولا الحر منها غابر الدهر يبردُ[١]

---

(١) محاسن التأويل:٢٢٣/٤.
(٢) روح المعاني:٩/٤.
(٣) تفسير السعدي:٢٤٢.
(٤) تفسير المراغي:٩/٧.
(٥) تفسير أبي السعود:٧٣/٣.
(٦) فتح القدير:٧٩/٢.
(٧) التفسير الميسر:١٢٢.
(٨) تفسير المراغي:٩/٧.
(٩) محاسن التأويل:٢٢٣/٤.
(١٠) روح المعاني:٩/٤.
(١١) تفسير جزء عم لابن عثيمين:٧٣.
(١٢)البيتان لسعد بن مالك بن ضبيعة، وكان شاعراً جاهلياً مجيداً وفارساً من سادات بكر بن وائل، انظر الحماسة بشرح التبريزي: (١/ ١٩٢).
(١٣) انظر: الدلائل في غريب الحديث:١١٣٢/٣، وجمهرة اللغة:٥٦٢/١، وتهذيب اللغة:١٠٢/٤، واللسان:٨٥/١٢، وتاج العروس:٣٧٢/٣١، ومعاني القرآن للزجاج:٢٠٠/٢، وتفسيرالقرطبي:٢٦٠/٦، والبحر المحيط لأبي حيان:٥٧٠/١.
النجَدَات: الشدائد. الوَقَاح: الشديد الحافر.
(١٤) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، مادة"جحم":ص١٨٨٣/٥، ومقاييس اللغة، مادة"جحم":ص٤٢٩/١، ومجمل اللغة:١٧٧.
(١٥) البيت للأعشى في اللسان، مادة جحم":ص٨٤/١٢، ومقاييس اللغة، مادة"جحم":ص٤٢٩/١، ومجمل اللغة:١٧٧، وتاج العروس، مادةجحم"، وليس في ديوانه الذي يتضمن قصيدة على وزن البيت ورويه.
(١٦)لا عزو في المذكر والمؤنث لابن الأنباري ٣٧١، و الإبانة في اللغة العربية للصحاري:٣٦٨/٢.

وقال الفراء: "الجحيمُ: الجمرُ الذي بعضه على بعض"[٢].

وقال ابن الأنباري: "قال أحمد بن عبيد: إنما قيل للجحيم: جحيم لأنها أُكْثِرَ وقودها، أُخذ من قول العرب: قد جَحَمْتُ النار: إذا أكثرتُ وقودها. قال عمران بن حطان[٣]:

يرى طاعة الله الهدى وخلافهم   الضلالة يُصلي أهلها جاحم الجمر"[٤]

الفوائد:

١- بيان مصير الكافرين والمكذبين وهو خلودهم في نار جهنم.

٢- استعمال القرآن أسلوب الترغيب والترهيب بذكره الوعيد بعد الوعد.

٣-الآية دالة على أن المؤمن الفاسق لا يبقى مخلدا في النار، وبيانه من وجهين[٥]:

الأول: أنه تعالى قال في الآية السابقة: {وذلك جزاء المحسنين}، وهذا الإحسان لا بد وأن يكون هو الذي تقدم ذكره من المعرفة وهو قوله: {مما عرفوا من الحق} [المائدة: ٨٣] ومن الإقرار به، وهو قوله:{فأثابهم الله بما قالوا}، وإذا كان كذلك، فهذه الآية دالة على أن هذه المعرفة، وهذا الإقرار يوجب أن يحصل له هذا الثواب، وصاحب الكبيرة له هذه المعرفة وهذا الإقرار، فوجب أن يحصل له هذا الثواب، فأما أن ينقل من الجنة إلى النار وهو باطل بالإجماع، أو يقال: يعاقب على ذنبه ثم ينقل إلى الجنة وذلك هو المطلوب.

الثاني: هو أنه تعالى قال:{وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ} [المائدة: ٨٦]، فقوله: {أولئك أصحاب الجحيم}، يفيد الحصر، أي: أولئك أصحاب الجحيم لا غيرهم، والمصاحب للشيء هو الملازم له الذي لا ينفك عنه، فهذا يقتضي تخصيص هذا الدوام بالكفار، فصارت هذه الآية من هذين الوجهين من أقوى الدلائل على أن الخلود في النار لا يحصل للمؤمن الفاسق.

القرآن

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (٨٧)} [المائدة: ٨٧]

التفسير:

يا أيها الذين آمنوا لا تحرِّموا طيبات أحلَّها الله لكم من المطاعم والمشارب ونكاح النساء، فتضيقوا ما وسَّع الله عليكم، ولا تتجاوزوا حدود ما حرَّم الله. إن الله لا يحب المعتدين.

في سبب نزول الآية ثلاثة اقوال:

أحدها: عن عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما-: "أن رجلًا أتى النبي - صلى الله عليه وسلم -، فقال: يا رسول الله! إني إذا أصبت اللحم انتشرت للنساء وأخذتني شهوتي؛ فحرمت عليّ اللحم؛ فأنزل الله: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (٨٧)}[٦]. [صحيح لغيره]

---

(١) انظر:الإبانة في اللغة العربية:٣٦٨/٢.

(٢)المذكر والمؤنث لابن الأنباري ٢٧٧.

(٣)شعر الخوارج ١٧١.

(٤)المذكر والمؤنث: ٢٧٧.

(٥) انظر: مفاتيح الغيب:٤١٦/١٢.

(٦)أخرجه الترمذي (٥/ ٢٥٥، ٢٥٦ رقم ٣٠٥٤)، والطبراني في "المعجم الكبير" (١١/ ٢٧٧ رقم ١١٩٨١)، والطبري في "جامع البيان" (١٢٣٥٠):ص٥٢٠/١٠، وابن أبي حاتم في "تفسيره" (٦٦٨٧):ص٤/ ١١٨٦، وابن عدي في "الكامل" (٥/ ١٨١٧)، والواحدي في "أسباب النزول" (ص ١٣٧) من طريق عثمان بن سعد الكاتب عن عكرمة عن ابن عباس به.

قلنا: وهذا سند ضعيف؛ فيه عثمان هذا وهو ضعيف؛ ضعفه ابن معين وأبو زرعة والنسائي وغيرهم.

انظر: "الجرح والتعديل" (٦/ رقم ٨٣٨)، و"تهذيب الكمال" (١٩/ ٣٧٦ - ٣٧٨)، و"التقريب" (٢/ ٩).

وقال الترمذي: "هذا حديث حسن غريب".

لكن للحديث شواهد تدل على أن له أصلًا، ومعناه صحيح؛ فيرتقي الحديث إلى درجة الصحيح لغيره.

الثاني: عن عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما-:"قوله: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ}؛ قال: هم رهط من أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - قالوا: نقطع مذاكيرنا، ونترك شهوات الدنيا، ونسبح في الأرض كما يفعل الرهبان، فبلغ ذلك النبي - صلى الله عليه وسلم - فأرسل إليهم فذكر لهم، فقالوا: نعم، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: «لكني أصوم وافطر، وأصلي وانام، وأنكح النساء، فمن أخذ بسنتي؛ فهو مني، ومن لم يأخذ بسنتي؛ فليس مني»" (1). [حسن]

قال أبو مالك:" نزلت في عثمان بن مظعون وأصحابه حرموا عليهم كثيراً من الطيبات والنساء، فهَمَّ بعضهم أن يقطع ذكره؛ فأنزل الله: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ}"(2). [صحيح]

قال قتادة:" نزلت في أناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، أرادوا أن يتخلّوا من الدُّنيا، ويتركوا النساء ويتزهدوا، منهم علي بن أبي طالب وعثمان بن مظعون"(3).[ضعيف]

وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ١٣٩) وزاد نسبته لابن مردويه.

وقد قال الترمذي عقب الحديث: "ورواه بعضهم عن عثمان بن سعد مرسلاً، ليس فيه عن ابن عباس، ورواه خالد الحذاء عن عكرمة مرسلاً".

يشير الترمذي إلى أن عثمان بن سعد قد خولف في إسناده.

فقد أخرجه الطبري في "جامع البيان" (١٢٣٣٧)، (١٢٣٣٨)، (١٢٣٤٠):ص١٠/٥١٤-٥١٥، من طريق يزيد بن زريع وإسماعيل بن علية وعبد الوهاب الثقفي ثلاثتهم عن خالد الحذاء عن عكرمة؛ قال: كان أناس من أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - هموا بالخصاء وترك اللحم والنساء؛ فنزلت هذه الآية: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (٨٧)}. هذا لفظ يزيد.

قلنا: وهذا سند صحيح كالشمس إلى عكرمة؛ لكنه مرسل.

فقد خالف عثمان بن سعد خالداً لحذاء فوصله، والصواب رواية خالد؛ لأنه ثقة من رجال الشيخين بخلاف عثمان.

فتبين أن الصواب في الحديث هو الإرسال، لكن له شواهد تؤكد معناه وتثبت صحته، وانظر الأحاديث والآثار الآتية.

والحديث ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ١٤٠) وزاد نسبته لعبد بن حميد وابن المنذر.

(١)أخرجه الطبري في "جامع البيان" (١٢٣٤٦):ص١٠/٥١٨: ثني المثنى، وابن أبي حاتم في "تفسيره" (٤/ ١١٨٧ رقم ٦٦٨٩): ثنا أبي، كلاهما قال: ثنا عبد الله بن صالح -كاتب الليث- ثنا معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عنه به.

قلنا: وهذا سند حسن، وقد أعلّ بعلتين وهما ليستا بشيء:

الأولى: الانقطاع بين علي وابن عباس، وقد تقدم مراراً أن رواية علي عن ابن عباس محمولة على الاتصال؛ كما نص على ذلك أهل العلم كابن حجر وغيره.

الثانية: ضعف عبد الله بن صالح؛ لكن الراوي عنه هنا أبو حاتم الرازي الثقة الحافظ، وقد قال الحافظ ابن حجر في "هدي الساري" (ص ٤١٤): "ظاهر كلام هؤلاء الأئمة: أن حديثه في الأول كان مستقيماً ثم طرأ عليه فيه تخليط، فمقتضى ذلك أن ما يجيء من روايته عن أهل الحذق؛ كيحيى بن معين والبخاري وأبي زرعة وأبي حاتم، فهو من صحيح حديثه. ..".

والحديث ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ١٣٩) وزاد نسبته لابن مردويه.

(٢)أخرجه سعيد بن منصور في "سننه" (٤/ ١٥١٥ رقم ٧٧١ - تكملة)، والطبري في "جامع البيان" (٧/ ٧)، وأبو داود في "مراسيله" (رقم ٢٠١) من طريقين عن حصين بن عبد الرحمن السلمي عن أبي مالك به.

قلنا: وهذا مرسل صحيح الإسناد، أما ما يخشى من أن حصيناً تغيّر حفظه بآخره فالراوي عنه عند أبي داود وسعيد بن منصور هو خالد الطحان وهو ممن روى عنه قبل الاختلاط.

والحديث ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ١٣٩) وزاد نسبته لعبد بن حميد.

(٣) أخرجه الطبري(١٢٣٤٢):١٠/٥١٥: ثنا ابن وكيع ثنا جرير عن مغيرة عن إبراهيم به.

قلت: وهذا سند ضعيف؛ مسلسل بالعلل:

الأولى: الإرسال.

الثانية: المغيرة؛ ثقة متقن؛ إلا أنه كان يدلس، ولا سيما عن إبراهيم؛ كما في "التقريب" (٢/ ٢٧٠).

الثالثة: سفيان بن وكيع شيخ الطبري؛ قال الحافظ في "التقريب" (١/ ٣١٢):

"كان صدوقاً إلا أنه ابتلي بوراقه؛ فأدخل عليه ما ليس من حديثه؛ فنصح؛ فلم يقبل؛ فسقط حديثه".

وقال مجاهد:" أراد رجال منهم عثمان بن مظعون وعبد الله بن عمرو أن يتبتلوا ويُخْصوا أنفسهم، ويلبسوا المسوح؛ فنزلت هذه الآية إلى قوله: {وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ}"(١).[ضعيف]

عن المغيرة بن عثمان؛ قال: "كان عثمان بن مظعون وعلي وابن مسعود والمقداد وعمار أرادوا الاختصاء، وتحريم اللحم، ولبس المسوح في أصحاب لهم، فأتى النبي - صلى الله عليه وسلم - عثمان بن مظعون، فسأله عن ذلك؛ فقال: قد كان بعض ذلك، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "أنكح النساء وآكل اللحم، وأصوم وأفطر، وأصلي وأنام، وألبس الثياب، لم آت بالتبتل ولا بالرهبانية، ولكن جئت بالحنيفية السمحة، ومن رغب عن سنتي؛ فليس مني"، قال ابن جريج: فنزلت هذه الآية: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ}"(٢).[ضعيف]

وعن عكرمة: "أن عثمان بن مظعون، وعلي بن أبي طالب، وابن مسعود، والمقداد بن الأسود، وسالمًا مولى أبي حذيفة في أصحابٍ، تبتَّلوا، فجلسوا في البيوت، واعتزَلوا النساءَ، ولبسوا المسوحَ، وحرَّموا طيبات الطعام واللّباس إلا ما أكل ولبس أهل السِّيَاحة من بني إسرائيل، وهمُّوا بالإخصَاء، وأجمعُوا لقيام الليلِ وصيام النهار، فنزلت: {يا أيها الذين آمنوا لا تحرِّموا طيبات ما أحلّ الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين}"(٣).[ضعيف]

وروى أبو صالح عن ابن عباس، قال: "كانوا عشرة: أبو بكر، وعمر، وعلي، وابن مسعود، وعثمان بن مظعون، والمقداد بن الأسود، وسالم مولى أبي حذيفة، وسلمان الفارسي، وأبو ذر، وعمار بن ياسر، اجتمعوا في دار عثمان بن مظعون، فتواثقوا على ذلك، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «من رغب عن سنتي فليس مني» ونزلت هذه الآية"(٤).[ضعيف جدا]

وعن الحسن العرني؛ قال: "كان علي في أناس ممن أرادوا أن يحرموا الشهوات؛ فأنزل الله: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ}"(٥). [ضعيف]

وعن السدي:"{يا أيها الذين آمنوا لا تحرّموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إنّ الله لا يحب المعتدين}، " وذلك أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم جلس يومًا فذكر الناس، ثم قام ولم يزدهم على التَّخويف. فقال أناسٌ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا عشرة، منهم علي بن أبي طالب وعثمان بن مظعون: ما خِفْنا إن لم نُحْدِث عملا! فإنّ النصارى قد حرَّموا

---

(١)أخرجه سنيد في "تفسيره" -ومن طريقه الطبري في "جامع البيان" (١٢٣٤٨):٥١٩/١٠ -: ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد به.

قلنا: وسنده ضعيف؛ فيه علل:

الأولى: الإرسال.

الثانية: ابن جريج لم يسمع من مجاهد.

الثالثة: سنيد صاحب "التفسير"؛ ضعيف؛ ضعفه أبو حاتم، والنسائي، وابن حجر وغيرهم.

والحديث ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ١٤٢) وزاد نسبته لأبي الشيخ.

(٢)ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ١٤٣) ونسبه لأبي الشيخ.

(٣)ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ١٤٢) ونسبه لابن المنذر والطبري وأبي الشيخ.

وهو عند الطبري في جامع البيان(١٢٣٤٨):٥١٩/١٠، من طريق سنيد صاحب "التفسير" ثني حجاج عن ابن جريج عن عكرمة به.

قلنا: وسنده ضعيف أيضاً؛ فيه ثلاث علل:

الأولى: الإرسال.

الثانية: ابن جريج لم يسمع من عكرمة.

الثالثة: سنيد صاحب "التفسير" ضعيف.

(٤) انظر: زاد المسير:٥٧٧/١، عزاه المصنف لأبي صالح عن ابن عباس، وأبو صالح غير ثقة في روايته عن ابن عباس، وراويته هو الكلبي، وهو ممن يضع الحديث، وذكر أبي بكر وعمر في هذا الحديث غريب جدا..

(٥)ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ١٤٣) ونسبه لابن مردويه.

على أنفسهم، فنحن نحرِّم! فحرَّم بعضهم أكل اللَّحم والوَدَك، وأن يأكل بالنهار، وحرَّم بعضهم النوم، وحرَّم بعضهم النساء. فكان عثمان بن مظعون ممَّن حرم النساءَ، وكان لا يدنو من أهله ولا يدنون منه. فأتت امرأتُه عائشة، وكان يقال لها: الحولاء ، فقالت لها عائشة ومن عندها من نساءِ النبيّ صلى الله عليه وسلم: ما بالُك، يا حولاءُ متغيِّرةَ اللون لا تمتشِطين ولا تطيَّبين ؟ فقالت: وكيف أتطيَّب وأمتشط، وما وقع عليّ زوجي، ولا رفع عني ثوبًا، منذ كذا وكذا! فجعلن يَضحكن من كلامها. فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهنّ يضحكن، فقال: ما يضحككن ؟ قالت: يا رسول الله، الحولاءُ، سألتها عن أمرها فقالت: ما رفع عني زوجي ثوبًا منذ كذا وكذا ! فأرسل إليه فدعاه فقال: ما بالك يا عثمان ؟ قال: إني تركته لله لكي أتخلَّى للعبادة! وقَصَّ عليه أمره. وكان عثمان قد أراد أن يَجُبَّ نفسه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أقسمتُ عليك إلا رجعت فواقعتَ أهلك! فقال: يا رسول الله إني صائم! قال: أفطر! فأفطر، وأتى أهله. فرجعت الحولاءُ إلى عائشة قد اكتحلت وامتشطت وتطيَّبت. فضحكت عائشة، فقالت: ما بالك يا حولاء ؟ فقالت: إنه أتاها أمس! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما بالُ أقوامٍ حرَّموا النساء، والطعامَ، والنومَ ؟ ألا إني أنام وأقوم، وأفطر وأصوم، وأنكح النساء، فمن رغب عن سُنَّتي فليس مني! فنزلت: {يا أيها الذين آمنوا لا تحرِّموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا}، يقول لعثمان: لا تَجُبَّ نفسك. فإن هذا هو الاعتداء وأمرهم أن يكفّروا أيْمانهم، فقال: {لا يؤاخذكم الله باللَّغو في أيمانكم ولكن يُؤَاخذكم بما عقدتم الأيمان}"(١).[ضعيف جدا]

والثالث: عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله: "{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ}؛ قال: "قال أبي: ضاف عبد الله بن رواحة ضيف، فانقلب ابن رواحة ولم يتعش، فقال لأهله: ما عشيته؟ فقالت: كان الطعام قليلاً فانتظرت أن تأتي، قال: فحبست ضيفي من أجلي؛ فطعامك عليّ حرام إن ذقته، فقالت: هي وهو عليّ حرام إن ذقته إن لم تذقه، وقال الضيف: هو عليّ حرام إن ذقته إن لم تذوقوه، فلما رأى ذلك، قال ابن رواحة: قربي طعامك، كلوا بسم الله، وغدا إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فأخبره، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "قد أحسنت"؛ فنزلت هذه الآية: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ}، وقرأ حتى بلغ: {لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ} وإذا قلت: والله لا أذوقه؛ فذلك العقد"(٢). [ضعيف جداً]

والظاهر - والله أعلم - أن القول الأول هو سبب نزول الآية وإن كان الصحيح فيه الإرسال، لأمور ثلاثة:

أحدها: التصريح بالسببية.

الثاني: مطابقة سياق الحديث للفظ الآية، إذ أن قوله: "فحرمت عليَّ اللحم"، يوافق قوله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ}.

الثالث: الاحتجاج به عند جمهور المفسرين.

---

(١) أخرجه الطبري(١٢٣٤٥):ص١٠/٥١٧-٥١٨: ثني محمد بن الحسين ثنا أحمد بن مفضل ثنا أسباط عن السدي به.

قلنا: وهذا سند ضعيف جداً؛ فيه علل:

الأولى: الإعضال، فلم يصح أن السدي روى عن واحد من الصحابة.

الثانية: أسباط بن نصر؛ صدوق، كثير الخطأ، يغرب.

الثالثة: محمد بن الحسين لم نجد له ترجمة.

وهذا المتن أصله محفوظ بشواهده المرسلة والموصولة.

(٢)أخرجه الطبري في "جامع البيان"(١٢٣٤٩):ص١٠/٥١٩-٥٢٠، وابن أبي حاتم في "تفسيره" (٦٦٩٢):ص٤/ ١١٨٧ من طريق ابن وهب عنه به.

قلنا: وسنده ضعيف جداً؛ لإعضاله، وضعف عبد الرحمن.

قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا } [المائدة: ٨٧]، أي:" يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه"(١).

قال ابن عباس:" ما أنزل الله آية في القرآن، يقول فيها: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا}، إلا كان على شريفها وأميرها"(٢).

قال سعيد بن جبير:"قوله: {آمنوا بالله}، يعني: بتوحيد الله"(٣).

قال ابن مسعود رضي الله عنه: "إذا سمعت الله يقول: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} فأرعها سمعك؛ فإنه خير يأمر به، أو شر ينهى عنه"(٢).

قوله تعالى:{لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ} [المائدة: ٨٧]، أي:" لا تحرِّموا طيبات أحلَّها الله لكم من المطاعم والمشارب ونكاح النساء، فتضيقوا ما وسَّع الله عليكم"(٤).

قال السعدي:أي:" من المطاعم والمشارب، فإنها نعم أنعم الله بها عليكم، فاحمدوه إذ أحلها لكم، واشكروه ولا تردوا نعمته بكفرها أو عدم قبولها، أو اعتقاد تحريمها، فتجمعون بذلك بين القول على الله الكذب، وكفر النعمة، واعتقاد الحلال الطيب حراما خبيثا"(٥).

قال البيضاوي":{ طيبات ما أحل الله لكم}، أي: ما طاب ولذ منه كأنه لما تضمن ما قبله مدح النصارى على ترهبهم والحث على كسر النفس ورفض الشهوات عقبه النهي عن الإفراط في ذلك"(٦).

قال أبو السعود:" أي: لا تمنعوها أنفسكم كمنع التحريم أو لا تقولوا حرمناها على أنفسنا مبالغة منكم في العزم على تركها تزهدا منكم وتقشفا"(٧).

قال الزمخشري:" {طيبات ما أحل الله لكم}، ما طاب ولذ من الحلال. ومعنى لا تحرموا لا تمنعوها أنفسكم كمنع التحريم. أو لا تقولوا حرمناها على أنفسنا مبالغة منكم في العزم على تركها تزهدا منكم وتقشفا(٨)"(٩).

قال عبد الله بن المبارك: "الحلال ما أخذته من وجهه والطيب ما غذا ونما فأما الجوامد والطين والتراب، وما لا يغذي فمتروك إلا على جهة للتداوي"(١٠).

قوله تعالى:{وَلَا تَعْتَدُوا} [المائدة: ٨٧]، أي:" ولا تتجاوزوا حدود ما حرَّم الله"(١١).

قال السمرقندي:" يقول: يعني: لا تحرموا حلاله"(١٢).

قال الزمخشري:أي:" ولا تتعدوا حدود ما أحل الله لكم إلى ما حرم عليكم. أو ولا تسرفوا في تناول الطيبات. أو جعل تحريم الطيبات اعتداء وظلما، فنهى عن الاعتداء ليدخل تحته النهى عن تحريمها دخولا أوليا لوروده على عقبه أو أراد ولا تعتدوا بذلك وكلوا مما رزقكم الله أى من الوجوه الطيبة التي تسمى رزقا حلالا حال مما رزقكم ا"(١٣).

---

(١) التفسير الميسر:١٠٦.
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٣٥):ص١٩٦/١.
(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(٦١٠٤):ص١٠٩٠/٤.
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٣٧):ص ١٩٦/١، و(٥٠٢٧):ص٩٠٢/٣
(٤) التفسير الميسر:١٢٢.
(٥) تفسير السعدي:٢٤٢.
(٦) تفسير البيضاوي:١٤١/٢.
(٧) تفسير ابي السعود:٧٣/٣.
(٨)في الصحاح «قشف» بالكسر: قشفا، إذا لوحته الشمس أو الفقر فتغير. والمتقشف: الذي يتبلغ بالقوت وبالمرقع..
(٩) الكشاف:٦٧٠/١-٦٧١.
(١٠) تفسير الثعلبي:١٠٢/٤.
(١١) التفسير الميسر:١٢٢.
(١٢) بحر العلوم:٤١٤/١.
(١٣) الكشاف:٦٧١/١.

قال البيضاوي:أي:" الاعتداء عما حد الله سبحانه وتعالى بجعل الحلال حراما، ويجوز أن يراد به ولا تعتدوا حدود ما أحل الله لكم إلى ما حرم عليكم، فتكون الآية ناهية عن تحريم ما أحل وتحليل ما حرم داعية إلى القصد بينهما"(١).

قال المراغي:" والتحريم والتحليل تشريع وهو من حقوق الله فمن انتحله لنفسه كان مدعيا الربوبية أو كالمدعى لها"(٢).

وفي قوله تعالى:{وَلَا تَعْتَدُوا} [المائدة: ٨٧]، خمسة أقوال:

أحدها: لا تجبوا أنفسكم(٣)، أراد ما هَمَّ به عثمان بن مظعون من جبٍّ نفسه. قاله السدي(٤)، واختاره الفراء(٥).

والثاني: لا تأتوا ما نهى الله عنه، قاله الحسن(٦).

والثالث: لا تسيروا بغير سيرة المسلمين من ترك النساء، وإدامة الصيام، والقيام، قاله عكرمة(٧).

والرابع: لا تحرموا الحلال، قاله مقاتل(٨).

والخامس: لا تغصبوا الأموال المحرمة، ذكره الماوردي(٩).

قوله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ} [المائدة: ٨٧]، أي:"إن الله لايحب المتجاوزين الحد"(١٠).

قال السعدي:أي:" بل يبغضهم ويمقتهم ويعاقبهم على ذلك"(١١).

قال السمعاني:" والاعتداء: هو مجاوزة ماله إلى ما ليس له"(١٢).

قال السمرقندي:" يقال: إن محرم ما أحل الله كمحل ما حرم ال"(١٣).

قال الواحدي:" واعلم أن شريعة نبيه عليه السلام غير ذلك، وأن الطيبات لا ينبغي أن تجتنب، وسمى الخصاء اعتداء فقال: {وَلَا تَعْتَدُوا} أي لا تجبوا أنفسكم"(١٤).

وروي عن عائشة- رضي الله عنها -قالت:"كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يحب الحلواء والعسل"(١٥).

وروي أن الحسن:" كان يأكل الفالوذج فدخل عليه فرقد السبخي فقال: يا فرقد ما تقول في هذا؟ فقال فرقد: لا آكله فلا أحب أكله فأقبل الحسن على غيره كالمتعجب وقال: يا هذا أتحب لباب البر مع سمن البقر؟ هل يعيبه مسلم"(١٦).

---

(١) تفسير البيضاوي:١٤١/٢.

(٢) تفسير المراغي:١٢/٧.

(٣) وزاد الواحدي، وابن الجوزي نسبته الى ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، وإبراهيم. انظر: التفسير البسيط:٤٩٩/٧-٥٠٠، وزاد المسير:٥٧٨/١.

(٤) انظر: تفسير الطبري(١٢٣٥٢):ص٥٢١/١٠، و(١٢٣٤٥):٥١٧/١٠-٥١٨.

(٥) انظر: معاني القرآن:٣١٨/١.

(٦) انظر: تفسير الطبري(١٢٣٥٤):ص٥٢١/١٠، وتفسير ابن أبي حاتم(٦٦٩٦):ص١١٨٨/٤، وتفسير زاد المسير:٥٧٨/١.

(٧) أخرجه الطبري(١٢٣٥٣):ص٥٢١/١٠، و(١٢٣٤٨):٥١٩/١٠.

(٨) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٤٩٩/١.

(٩) انظر: النكت والعيون:٥٩/٢.

(١٠) انظر: صفوة التفاسير:٣٢٥.

(١١) تفسير السعدي:٢٤٢.

(١٢) تفسير السمعاني:٦٠/٢.

(١٣) بحر العلوم:٤١٤/١.

(١٤) التفسير البسيط:٤٩٩/٧-٥٠٠، وانظر: الاقوال في "تفسير الطبري" ٧/ ١٠ - ١١، "الوسيط" ٢/ ٢١٩، البغوي ٣/ ٩٠، "زاد المسير" ٢/ ٤١٢، "الدر المنثور" ٢/ ٥٤٤ - ٥٤٨.

(١٥)أخرجه البخاري في الأشربة، باب الباذق، ومن نهى عن كل مسكر من الأشربة: ١٠ / ٦٢، والبغوي في شرح السنة: ١١ / ٣٠٨، وتفسيره:٩٠/٣.

(١٦) تفسير الثعلبي:١٠٢/٤.

وجاء رجل إلى الحسن فقال: "إن لي جار لا يأكل الفالوذ، قال: ولم؟ قال: يقول: لا يروي شكره. قال الحسن: ويشرب الماء البارد؟ قال: نعم، قال: جارك جاهل إن نعمة الله عليه في الماء البارد أكثر من نعمته عليه في الفالوذ"(١).

الفوائد:

١- حرمة تحريم ما أباح الله، كحرمة تحليل ما حرم الله عز وجل.

قال الجصاص:" وفي هذه الآية دلالة على بطلان قول الممتنعين من أكل اللحوم والأطعمة اللذيذة تزهدا لأن الله تعالى قد نهى عن تحريمها وأخبر بإباحتها في قوله وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا ويدل على أنه لا فضيلة في الامتناع من أكلها" (٢).

وقد روى أبو موسى الأشعري أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم يأكل لحم الدجاج(٣).

وروي أنه:" كان يأكل الرطب مع الخربز . يعني: البطيخ(٤)"

روي نافع عن ابن عمر-رضي الله عنهما:" انه كان يحبس الدجاجة الجلالة ثلاثا"(٥).

---

(١) تفسير الثعلبي:١٠٢/٤.

(٢) أحكام القرآن:١١٠/٤-١١١.

(٣) صحيح البخاري(٥٠٣٩).

(٤)رواه أحمد (٣ / ١٤٢ , ١٤٣) و أبو بكر الشافعي في " الفوائد " (١٠٥ / ٢) و الضياء في " المختارة " (٨٦ / ٢) عن جرير بن حازم عن حميد عن أنس # مرفوعا. .

(٥)مصنف ابن أبي شيبة " (١٤٨/٥) ، وسنده صحيح كما قال الحافظ في " الفتح " (٦٤٨/٩).

الحيوان الذي يتغذى على النجاسات ، يسمى عند الفقهاء بـ " الجَلَّالة. "

والجَلالَة هِيَ الَّتِي تَأْكل الجِلَّة ، والجلة : البَعر . ينظر : " غريب الحديث " للقاسم بن سلام (٧٨/١) ، و " غريب الحديث " لابن قتيبة (٢٧٦/١). (

وقال أبو داود رحمه الله : " الْجَلَّالَةُ الَّتِي تَأْكُلُ الْعَذِرَةَ " انتهى من " السنن " (٣٧١٩. (

وقال الإمام أحمد رحمه الله : " الْجَلَّالَةُ : مَا أَكَلَتِ الْعَذِرَةَ مِنَ الدَّوَابِّ وَالطَّيْرِ" انتهى من " مسائل الإمام أحمد " رواية أبي داود (ص/٣٤٥).

فالجلالة : اسم يشمل أي حيوان يتغذى على النجاسات ، سواء كان من الإبل ، أو البقر ، أو الغنم ، أو الدجاج ، أو الإوز ، أو غيرها من الحيوانات المأكولة.

قال النووي رحمه الله : " وَتَكون الجَلالَة : بَعِيرًا ، وبقرةً ، وشَاةً ، ودجاجة ، وإوزة ، وَغَيرهَا " انتهى من " تحرير ألفاظ التنبيه " (ص/١٧٠).

الحيوان الذي يتغذى على النجاسات له أحوال:

الأولى : أن يكون تغذيه عليها قليلا ، وأغلب طعامه من الطيبات ، فهذا لا يشمله حكم الجلالة.

قال الخطابي رحمه الله : " فأما إذا رعت الكلأ ، واعتلفت الحَبَّ ، وكانت تنال مع ذلك شيئاً من الجِلَّة ، فليست بجلالة ، وإنما هي كالدجاج ونحوها من الحيوان الذي ربما نال الشيء منها ، وغالب غذائه وعلفه من غيرها : فلا يكره أكله " انتهى من " معالم السنن " (٢٤٤/٤).

الثانية : أن يكون أكثر طعامه من النجاسات ، ويظهر تأثير ذلك على الحيوان في نتن لحمه ورائحته ، فهذا يشمله النهي ، فلا يجوز أكل لحمه وبيضه ، ولا شرب لبنه ، ولا ركوبه.

قال الكاساني رحمه الله : " إنَّمَا تَكُونُ جَلَّالَةً إذَا تَغَيَّرَتْ وَوُجِدَ مِنْهَا رِيحٌ مُنْتِنَة ، فَهِيَ الْجَلَّالَةُ حِينَئِذٍ ، لَا يُشْرَبُ لَبَنُهَا ، وَلَا يُؤْكَلُ لَحْمُهَا " انتهى من " بدائع الصنائع " (٤٠/٥).

الثالثة : أن يكون أكثر طعامه من النجاسات ، ولكن لا يظهر تأثير ذلك على الحيوان في لحمه ورائحته ، فهل يعد جلالة أم لا ؟

مذهب الحنابلة : أنه يعد جلالة ؛ لأن الجلالة عندهم هي الحيوان الذي أكثر طعامه من النجاسات ، سواء ظهر أثر ذلك على لحم الحيوان ورائحته أم لا.

قال ابن قدامة رحمه الله : " فَإِذَا كَانَ أَكْثَرُ عَلَفِهَا النَّجَاسَة ، حَرُمَ لَحْمُهَا وَلَبَنُهَا ، وَإِنْ كَانَ أَكْثَرُ عَلَفِهَا الطَّاهِرَ ، لَمْ يَحْرُمْ أَكْلُهَا وَلَا لَبَنُهَا " انتهى من " المغني " (٤١٣/٩).

وأما الحنفية والشافعية : فلم يعدوها من الجلالة ؛ لأن شرط الجلالة أن يظهر تأثير أكلها للنجاسات في لحمها ورائحتها.

قال السرخسي رحمه الله : " وَتَفْسِيرُ الْجَلَّالَةِ : الَّتِي تَعْتَادُ أَكْلَ الْجِيَفِ .. فَيَتَغَيَّر لَحْمُهَا ، وَيَكُونُ لَحْمُهَا مُنْتِنًا فَحَرُمَ

وقال ابن عباس:" كل ما شئت، والبس ما شئت، ما أخطأتك اثنتان: سرف ومخيلة"[1].
وعن أبي حنيفة، قال: "بلغني عن عثمان بن عفان، وعبد الرحمن بن عوف، وعمران بن حصين، وعبد الله بن أبي أوفى، وأبي هريرة، وأنس بن مالك وحسين بن علي، وابن الزبير، وشريح رضي الله عنهم: أنهم كانوا يلبسون الخز"[2].
ويدل على نحو دلالة الآية التي ذكرنا في أكل إباحة الطيبات قوله تعالى: {قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ} [الأعراف: ٣٢][3].
قال تعالى: {فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ (٢٤) أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا (٢٥) ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا (٢٦) فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (٢٧) وَعِنَبًا وَقَضْبًا (٢٨) وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا (٢٩) وَحَدَائِقَ غُلْبًا (٣٠) وَفَاكِهَةً وَأَبًّا (٣١) مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ (٣٢)} [عبس: ٢٤ - ٣٢].
فقال عقيب ذكره لما خلق من الفواكه:{ مَتَاعًا لَكُمْ }
٢-النهي عن العدوان، يعني الاعتداء في حق الله وفي حق العباد، والإشارة غلى أن تحريم ما احل الله من باب العدوان، لقوله:{ولا تحرموا...ولا تعتدوا}.
وقال أهل العلم أن تحريم الحلال أشد من تحليل الحرام، لأن تحريم الحلال تضييق على عباد الله بدون علم، وتحليل الحرام إن قدر أنه حرام بناءا على الأصل، لأن الأصل في الأشياء الحل، إلا الشرائع فالاصل فيها الحظر[4].
٣-منّة الله تعالى على عباده بما احل لهم، لقوله:{ طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ}، ولو شاء الله عزّ وجل لحرم علينا طيبات أحلت لنا، كما حرم ذلك على بني إسرائيل، إذ قال:" {فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ

الْأَكْلُ ؛ لِأَنَّهُ مِنْ الْخَبَائِثِ ... وَأَمَّا مَا يَخْلِطُ فَيَتَنَاوَلُ الْجِيَفَ وَغَيْرَ الْجِيَفِ عَلَى وَجْهٍ لا يَظْهَرُ أَثَرُ ذَلِكَ مِنْ لَحْمِهِ ، فَلَا بَأْسَ بِأَكْلِهِ " انتهى من " المبسوط " (٢٥٥/١١).
وقال النووي رحمه الله : " لَا اعْتِبَارَ بِالْكَثْرَةِ ، وَإِنَّمَا الِاعْتِبَارُ بِالرَّائِحَةِ وَالنَّتْنِ ، فَإِنْ وُجِدَ فِي عَرَقِهَا وَغَيْرِهِ رِيحُ النَّجَاسَةِ فَجَلَّالَةٌ ، وَإِلَّا فَلَا " انتهى من " المجموع شرح المهذب " (٢٨/٩).
ومما يقوي هذا القول : أن النجاسة التي تستحيل [أي : تتحول إلى مادة أخرى] لا حكم لها ، وإنما يكون لها اعتبار إذا ظهر أثرها ، إذ أن النباتات والمزروعات التي تتغذى على النجاسات لا حرج فيها ؛ لأنها قد طَهُرت باستحالتها إلى غذاءٍ طيب تغذَّت به الشجرة إلا أن يظهر أثر النجاسة في الحب والثمر ، وكلا الأمرين من باب واحد.
والجلالة لا يحل أكل لحمها حتى تزول منها آثار النتن والخبث ، وذلك بحبسها ، وعلفها طعاماً طيباً طاهراً.
قال ابن قدامة رحمه الله : " وَتَزُولُ الْكَرَاهَةُ بِحَبْسِهَا اتِّفَاقًا " انتهى من " المغني " (٤١٤/٩).
هل أكل لحم الجلالة محرم أم مكروه ؟
مذهب الحنابلة : تحريم أكل لحمها وبيضها وشرب لبنها ، وكراهة ركوبها . ينظر : " الإنصاف " (٣٥٦/١٠) ، " شرح منتهى الإرادات " (٤١١/٣).
ومذهب الحنفية والشافعية ورواية عن أحمد : كراهة الأكل والشرب والركوب . ينظر: " بدائع الصنائع " (٤٠/٥) ، " مغني المحتاج " (٣٠٤/٤).
قال الخطابي رحمه الله : " كُرِهَ أكلُ لحومها وألبانها تنزهاً وتنظفاً ، وذلك أنها إذا اغتذت بها وُجِدَ نتنُ رائحتها في لحومها " انتهى من " معالم السنن " (٤/ ٢٤٤).
وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله : " وَذَهَبَ جَمَاعَةٌ مِنَ الشَّافِعِيَّةِ ، وَهُوَ قَوْلُ الْحَنَابِلَةِ : إِلَى أَنَّ النَّهْيَ لِلتَّحْرِيمِ ، وَبِهِ جَزَمَ ابن دَقِيقِ الْعِيدِ عَنِ الْفُقَهَاءِ ، وَهُوَ الَّذِي صَحَّحَهُ أَبُو إِسْحَاقَ الْمَرْوَزِيُّ وَالْقَفَّالُ وَإِمَامُ الْحَرَمَيْنِ وَالْبَغَوِيُّ وَالْغَزَالِيُّ وَأَلْحَقُوا بِلَبَنِهَا وَلَحْمِهَا : بَيْضَهَا " انتهى من " فتح الباري " (٦٤٨/٩).
وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله : " فالنهي فيها عن الركوب للتنزيه ، وأما عن الأكل فهو إما كراهة تنزيه وإما كراهة تحريم على خلاف بين العلماء في ذلك " انتهى من " شرح رياض الصالحين " (٤٣٥/٦).
والحاصل: أن الجلَّالة هي الحيوان الذي يتغذى على النجاسات ، ويظهر أثر النجاسة عليه ، فلا يجوز في هذه الحال أكل لحمه ولا بيضه ولا شرب لبنه.
(١) صحيح البخاري(٥٧٨٣)، كتاب اللباس باب قول الله تعالى:{قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده}.
(٢) حديث موقوف، الآثار لأبي يوسف(٩٩٣)، باب في لبس الحرير والذهب.
الخز : ثياب تنسج من صوف وحرير.
(٣) أحكام القرآن:١١٠/٤-١١١.
(٤) انظر: تفسير سورة المائدة لابن عثيمين:٣٠٢/٢.

هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا} [النساء: ١٦٠]، أي: بسبب ظلمهم وعصيانهم حرم الله عليهم الطيبات.

قال الشيخ ابن عثيمين:"وتحريم الطيبات الشرعي بسبب الظلم مثله التحريم القدري بسبب الظلم، فإن الإنسان قد يحرم الطيبات تحريما قدريا لمعصيته، مثل أن يكون رجل إذا أكل اللحم، تأثر ومرض، هذا يجب عليه أن يجتنب أكل اللحم وهذا تحريم قدري، إنسان مثلا مريض بمرض السكر، إذا أكل الحلو ازداد عليه السكر وآلمه، فيجب عليه أن يجتنب السكر، هذا تحريم قدري، فلا تظن أن التحريم بسبب المعاصي هو التحريم الشرعي فقط، ومن التحريم القدري أن يمنع الله نبات الأرض بسبب المعاصي كما قال الله تعالى: {ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} [الروم: ٤١] [(١)].

٤-إثبات المحبة لله عزّ وجل، لقوله:{ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ}، لأن نفي محبة المعتدين يدل على ثبوت أصل المحبة،ولو كان لايحب مطلقا لم يكن لنفي محبته للمعتدين فائدة، وفيه رد على منكري محبة الله عزّ وجل.

ويدر القول بان الإنسان اذا شعر بان الله يحبه يفرح ويزداد في حبه للطاعات وكراهة المعاصي، لأنه يعلم أن ربه عزّ وجل يحبه من فوق السماوات، وأما من تأول المحبة بالثواب، فنقول: إن الله يثيب أي واحد من العباد ممن يستحق الثواب، فلا تحرموا لذة محبة الله ولا تنكروها.

القرآن

{وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ (٨٨)} [المائدة: ٨٨]

التفسير:

وتمتعوا -أيها المؤمنون- بالحلال الطيب مما أعطاكم الله ومنحكم إياه، واتقوا الله بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه; فإن إيمانكم بالله يوجب عليكم تقواه ومراقبته.

قوله تعالى:{وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا} [المائدة: ٨٨]، أي:" وتمتعوا -أيها المؤمنون- بالحلال الطيب مما أعطاكم الله ومنحكم إياه"[(٢)].

قال الجصاص:" أخبر عن الكفار أنهم حرموا أشياء مما رزقهم الله افتراء عليه، وكان القصد بذلك تحذير المؤمنين أن يحرموا شيئا مما أحل الله، فيشابهوا بذلك الكفار في صنيعهم وكان ذكر ذلك على سبيل الإيجاز"[(٣)].

قوله تعالى:{وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ} [المائدة: ٨٨]، أي:" واتقوا الله بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه; فإن إيمانكم بالله يوجب عليكم تقواه ومراقبته"[(٤)].

قال محمد بن إسحاق:{واتقوا الله}، أي: أطيعوا الله"[(٥)].

قال ابن عثيمين:"أي:فللإيمانكم يلزمكم التقوى"[(٦)].

قال السمرقندي:" يعني: إن كنتم مصدقين به، فأحلوا حلاله، وحرموا حرامه"[(٧)].

قال مقاتل:" ولا تحرموا ما أحل الله لكم،{ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ }، يقول: الذي أنتم به مصدقون"[(٨)].

---

(١)تفسير سورة المائدة لابن عثيمين:٣٠٣/٢.
(٢) التفسير الميسر:١٢٢.
(٣) أحكام القرآن:٣١/٣.
(٤) التفسير الميسر:١٢٢.
(٥) أخرجه ابن أبي حاتم(٦٧٠٠):ص١١٨٩/٤.
(٦) تفسير سورة المائدة لابن عثيمين:٣٠٧.
(٧) بحر العلوم:٤١٤/١.
(٨) تفسير مقاتل بن سليمان:٥٠٠/١.

قال الزمخشري:" {واتقوا الله}، تأكيد للتوصية بما أمر به، وزاده تأكيدا بقوله:{الذي أنتم به مؤمنون}، لأن الإيمان به يوجب التقوى في الانتهاء إلى ما أمر وعما نهى عنه"[١].

قال الصابوني:" هذا استدعاء إلى التقوى بألطف الوجوه كأنه يقول: لا تضيّعوا إيمانكم بالتقصير في طاعة الله عَزَّ وَجَلَّ فتكون عليكم الحسرة العظمى فإن الإيمان بالله تعالى يوجب المبالغة في تقوى الله"[٢].

الفوائد:

١-في قولِه تعالى :{وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا}، أمْرُ الإنسانِ بالأكْلِ ممَّا رزَقَ اللهُ، وضدُّه عدمُ الأكْل، وعدمُ الأكلِ ممَّا رزَق اللهُ ثلاثةُ أقسام[٣]:

الأوَّل: أن يَترُكَ الأكلَ مع خوفِ الهلاك إذا لم يأكُلْ، فهنا تركُ الأكْلِ حرامٌ؛ لأنَّه يجبُ على الإنسانِ أن يُنقِذَ نفْسَه.

الثاني: إذا كان ليس به ضرورةٌ للأكْلِ لكن يحتاجُ إلى الأكْلِ لتقويةِ البَدنِ، فهنا الأكلُ مُستحَبٌّ؛ لأنَّه لو تركَه لم يَهلِك، لكنَّه في حاجةٍ، نقول له: لا تمنعْ نفْسَك.

الثالث: أن يَترُكَ الأكلَ تنزُّهًا، فهذا يُنهَى عنه، ويُقال: كُلْ ممَّا أباحَ اللهُ لك

٢-أن الإيمان بالله عزّ وجل مستلزم لتقواه، لقوله: {وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ} [المائدة: ٨٨]، ومن قال أنني مؤمن ولم يتق، فهو ناقص الإيمان.

القرآن

{لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٨٩)} [المائدة: ٨٩]

التفسير:

لا يعاقبكم الله -أيها المسلمون- فيما لا تقصدون عَقْدَه من الأيمان، مثل قول بعضكم: لا والله، وبلى والله، ولكن يعاقبكم فيما قصدتم عقده بقلوبكم، فإذا لم تَفُوا باليمين فإثم ذلك يمحوه الله بما تقدِّمونه مما شرعه الله لكم كفارة من إطعام عشرة محتاجين لا يملكون ما يكفيهم ويسد حاجتهم، لكل مسكين نصف صاع من أوسط طعام أهل البلد، أو كسوتهم، لكل مسكين ما يكفي في الكسوة عُرفًا، أو إعتاق مملوك من الرق، فالحالف الذي لم يف بيمينه مخير بين هذه الأمور الثلاثة، فمن لم يجد شيئًا من ذلك فعليه صيام ثلاثة أيام. تلك مكفرات عدم الوفاء بأيمانكم، واحفظوا -أيها المسلمون- أيمانكم: باجتناب الحلف، أو الوفاء إن حلفتم، أو الكفارة إذا لم تفوا بها. وكما بيَّن الله لكم حكم الأيمان والتحلل منها يُبيِّن لكم أحكام دينه; لتشكروا له على هدايته إياكم إلى الطريق المستقيم.

في سبب نزول الآية وجوه:

أحدها: عن عائشة-رضي الله تعالى عنها-؛ قالت في قوله: {لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}؛ نزلت في قوله: لا والله، بلى والله"[٤].

والثاني: قال عبدالله بن عباس- رضي الله عنهما-: "لما نزلت: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ} في القوم الذين كانوا حرموا النساء واللحم على أنفسهم؛ قالوا: يا رسول الله! كيف نصنع بأيماننا التي حلفنا عليها؟ فأنزل الله -تعالى

---

(١) الكشاف:٦٧٢/١.
(٢) صفوة التفاسير:٣٣٥.
(٣) انظر: تفسير ابن عثيمين، سورة المائدة:٣٠٥/٢.
(٤)أخرجه البخاري في "صحيحه" (١١/ رقم ٦٦٦٣).

ذكره-: {لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}(١). [ضعيف جداً]

والثالث: عن عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- في قوله: {مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ} قال: "كان الرجل يقوت أهله قوتاً فيه سعة، [وفي رواية: فضل]: وكان الرجل يقوت أهله قوتاً فيه شدة؛ فأنزل الله -تعالى-: {مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ} قال: ليس بأرفعه ولا بأدناه"(٢). [صحيح]

والرابع: قال سعيد بن جبير:" كان أهل المدينة يفضلون الحر على العبد، والكبير على الصغير، ويقولون: الصغير على قدره، والكبير على قدره؛ فنزلت: {مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ}؛ فأمروا بأوسط من ذلك ليس بأرفعه "(٣). [ضعيف جداً]

قوله تعالى:{لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ } [المائدة: ٨٩]، أي:" لا يعاقبكم الله -أيها المسلمون- فيما لا تقصدون عَقْدَه من الأيمان"(٤).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره، للذين كانوا حرَّموا على أنفسهم الطيّبات من أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وكانوا حرَّموا ذلك بأيمانٍ حَلَفوا بها، فنهاهم عن تحريمها وقال لهم: لا يُؤَاخذكم ربُّكم باللغو في أيمانكم"(٥).

قال السعدي:" أي: في أيمانكم التي صدرت على وجه اللغو، وهي الأيمان التي حلف بها المقسم من غير نية ولا قصد، أو عقدها يظن صدق نفسه، فبان بخلاف ذلك"(٦).

---

(١)خرجه الطبري في "جامع البيان" (١٢٣٥٦):ص١٠/٥٢٣ من طريق العوفي عنه.
قلنا: وسنده ضعيف جداً؛ مسلسل بالعوفيين.
وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ١٤٢، ١٤٣) ونسبه لابن مردويه، وأعاده في (٣/ ١٤٩، ١٥٠) ونسبه للطبري.

(٢)أخرجه ابن ماجه (١/ ٦٨٢، ٦٨٣ رقم ٢١١٣)، والطبري في "جامع البيان" (١٢٤٤٠):ص١٠/٥٤٢-٥٤٣، وابن أبي حاتم في "تفسيره" (٤/ رقم ٦٧٢٢)، وابن مردويه في "تفسيره"؛ كما في "الدر المنثور" (٣/ ١٥٣) -ومن طريقه الضياء المقدسي في "الأحاديث المختارة" (١٠/ ١٧٢ رقم ١٦٩) -، والضياء -من طريق أخرى- (١٠/ ١٧١ رقم ١٦٨) من طريق سفيان بن عيينة عن سليمان بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير عنه به.
قال البوصيري في "مصباح الزجاجة" (ص ٧٤٩): "هذا إسناد موقوف، صحيح الإسناد".
وصححه العلامة الألباني -رحمه الله- في "صحيح سنن ابن ماجه" (رقم ١٧١٧).

(٣)أخرجه الطبري في "جامع البيان" (١٢٤٣٦)، و(١٢٤٣٧):ص١٠/٥٤١-٥٤٢، بسندين عنه:
الأول(١٢٤٣٦):ص١٠/٥٤٢: ثنا الحارث بن أبي أسامة ثنا عبد العزيز بن أبان ثنا قيس بن الربيع عن سالم الأفطس عنه به.
قلنا: وسنده ضعيف جداً؛ فيه علتان:
الأولى: عبد العزيز هذا؛ متروك الحديث، وكذبه ابن معين وغيره؛ كما في "التقريب" (١/ ٥٠٨).
الثانية: قيس بن الربيع؛ صدوق، تغيّر لما كبر، أدخل عليه ابنه ما ليس من حديثه فحدث به.
وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ١٥٣) ونسبه لعبد بن حميد وأبي الشيخ.
فيحتمل أن عبد العزيز توبع من قبل عبد بن حميد، ويحتمل أن عبد بن حميد رواه من طريق غيره، فلو قدرنا أن عبد بن حميد تابع عبد العزيز فيبقى علة الحديث قيس بن الربيع وهو من شيوخ عبد بن حميد وإلا؛ فله إسناد آخر، والله أعلم.
الثاني(١٢٤٣٧):ص١٠/٥٤١-٥٤٢: ثنا ابن حميد ثنا حكام بن سلم عن سليمان العبسي عنه به.
قلنا: وسنده ضعيف جداً؛ فابن حميد حافظ ضعيف، بل إنه اتهم، وسليمان هذا لم نجد له ترجمة، ولعله وقع تصحيف في اسمه؛ فإن النسخة التي بين أيدينا -طبع دار المعرفة- كثيرة التصحيف والتحريف.
وكلا الطريقين لا تقويان بعضهما البعض؛ نظراً للضعف الشديد فيهما.

(٤) التفسير الميسر:١٢٢.

(٥) تفسير الطبري:١٠/٥٢٣.

(٦) تفسير السعدي:٢٤٢.

قال الزمخشري:" اللغو في اليمين: الساقط الذي لا يتعلق به حكم"(١).
قال الزجاج:"«اللغو»: في كلام العرب ما اطرح ولم يعقد عليه أمر، ويسمى ما ليس معتدا به - وإن كان موجودا – لغوا"(٢)، وأنشد قول المثقب العبدي(٣):

أو مائة يُجعل أولادُها   لغْواً وعُرْضُ المِائَة الجَلْمَدُ

قال الجصاص:" يعني: نوقا لا تعتد بأولادها، فعلى هذا لغو اليمين ما لا يعتد به ولا حكم له"(٤).
جاء في حلية الفقهاء:" فكل يمين لم يعقد عليها الحالف بقلبه، وكل كلام لم يعقد عليه فهو لغو"(٥).
قال السمعاني:"اللغو: هو المطرح الذي لا يعبأ به، وقوله: {لا يؤاخذكم} يعني: في القيامة. وسائر العلماء على أن لا كفارة في يمين اللغو؛ لظاهر القرآن"(٦).
قال الحسن:" هو أن تحلف على الشيء وأنت يخيَّل إليك أنه كما حلفت وليس كذلك، فلا يؤاخذكم الله، فلا كفارة. ولكن المؤاخذة والكفارة، فيما حلفتَ عليه على علمٍ"(٧).
قال الشعبي:" اللغو ليس فيه كفارة ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان ، قال: ما عُقِدت فيه يمينه، فعليه الكفارة"(٨).
قال أبو مالك:" الأيمان ثلاثٌ: يمين تكفّر، ويمين لا تُكَفَّر، ويمين لا يؤاخذ بها صاحبُها. فأما اليمين التي تكفَّر، فالرجل يحلِف على الأمر لا يفعله، ثم يفعله، فعليه الكفارة. وأما اليمين التي لا تكفّر: فالرجل يحلف على الأمر يتعمّد فيه الكذِبَ، فليس فيه كفارة. وأما اليمين التي لا يؤاخذ بها صاحبها، فالرجل يحلف على الأمر يَرَى أنه كما حلَف عليه، فلا يكون كذلك، فليس عليه فيه كفارة. وهو اللغو"(٩).
عن عطاء قال: "قالت عائشة: لغوُ اليمين، ما لم يعقد عليه الحالِفُ قلبه"(١٠).
وعن عائشة ايضا:": أيمانُ الكفارة، كلّ يمين حلف فيها الرجل على جدٍّ من الأمور في غضب أو غيره: ليفعلن، ليتركنّ ، فذلك عقد الأيمان التي فَرض الله فيها الكفارة، وقال تعالى ذكره: {لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان}"(١١).
قال الحسن(١٢)، وإبراهيم(١٣)، ويحيى بن سعيد(١٤)، علي بن أبي طلحة(١٥)، وقتادة(١٦)، والسدي(١٧):" ليس في لغو اليمين كفّارة".
قوله تعالى:{وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ } [المائدة: ٨٩]، أي:" ولكن يعاقبكم فيما قصدتم عقده بقلوبكم"(١).

---

(١) الكشاف:٦٧٢/١.
(٢) معاني القرآن:٢٠١/٢.
(٣) البيت له في :اللسان، مادة"عرض":ص١٨/٧، وتاج العروس"عرض":ص٤٠١/١٨، وبلا نسبة في جمهرة اللغة:ص١٣٢٠/٣، والصحاح"عرض":ص ٣/ ١٠٩٠.
(٤) احكام القرآن:١١١/٤.
(٥) حلية الفقهاء، ابن فارس:٢٠٥.
(٦) تفسير السمعاني:٦٠/٢.
(٧) أخرجه الطبري(١٢٣٦٠):ص٥٢٥/١٠-٥٢٦.
(٨) أخرجه الطبري(١٢٣٦١):ص٥٢٦/١٠.
(٩) أخرجه الطبري(١٢٣٦٢):ص٥٢٦/١٠.
(١٠) أخرجه الطبري(١٢٣٦٣):ص٥٢٦/١٠.
(١١) أخرجه الطبري(١٢٣٦٥):ص٥٢٦/١٠-٥٢٧.
(١٢) أخرجه الطبري(١٢٣٦٨):ص٥٢٧/١٠.
(١٣) أخرجه الطبري(١٢٣٦٤):ص٥٢٦/١٠.
(١٤) أخرجه الطبري(١٢٣٦٦):ص٥٢٧/١٠.
(١٥) أخرجه الطبري(١٢٣٦٦):ص٥٢٧/١٠.
(١٦) أخرجه الطبري(١٢٣٦٧):ص٥٢٧/١٠.
(١٧) أخرجه الطبري(١٢٣٦٩):ص٥٢٧/١٠.

قال مجاهد:" بما تعمدتم"[٢].
قال الحسن:"يقول: ما تعمَّدت فيه المأثم، فعليك فيه الكفارة"[٣].
قال عطاء بن أبي مسلم:"أما ما عقدتم الأيمان، فيقال: ما عزمتم على وفائه"[٤]. قال ابن أبي حاتم:" يعني: أن لا تحنثوا"[٥].
وقال عطاء: "هو أن يضمر الأمر، ثم يحلف بالله لا إله إلا هو، فيعقد عليه اليمين"[٦].
قال الكلبي: "هو أن يحلف على اليمين، وهو يعلم أنه فيها كاذب"[٧].
قال الواحدي:" وهو أن يقصد الأمر فيحلف بالله ويعقد عليه اليمين بالقلب متعمِّداً"[٨].
قال الطبري:أي:"ولكن يؤاخذكم بما أوجبتموه على أنفسكم منها، وعَقَدَت عليه قلوبكم"[٩].
قال الزجاج:" أعلم الله عز وجل أن اليمين التي يؤاخذ بها العبد وتجب في بعضها الكفارة ما جرى على عقد"[١٠].
قال السعدي:" أي: بما عزمتم عليه، وعقدت عليه قلوبكم"[١١].
قال الزمخشري:أي:" بتعقيدكم الأيمان وهو توثيقها بالقصد والنية"[١٢].
قال السمعاني:" عقد اليمين: هو القصد بالقلب، والذكر باللسان"[١٣].
قال الزمخشري:أي:" بتعقيدكم الأيمان وهو توثيقها بالقصد والنية"[١٤].
وروى أن الحسن رضى الله عنه سئل عن لغو اليمين، والمسبية ذات الزوج، فوثب الفرزدق، وقال: أما سمعت ما قلت:[١٥]:

ولسْتَ بمأخُوذٍ بلغْوٍ تَقُولُه إذا لم تَعَمَّد عاقِداتِ العَزَائم

وما قلت[١٦]:

وذات حَليلٍ أنكحْتنا رماحُنا حلالاً، لمن يَبْني بها لم تُطلّق

فتبسم الحسن ولم يردّ عليه ما قال، وفي رواية:فقال الحسن: ما أذكاك لولا حنثك!، وفي رواية: قال: أصبت، فقال الفرزدق: كنت أراني أشعر منك، فإذا أنا أفقه منك أيضا![١٧]
وفي عقد الأيمان قولان [١٨]:
أحدهما: أن يكون على فعل مستقبل، ولا يكون على خبر ماض، والفعل المستقبل نوعان: نفي وإثبات، فالنفي أن يقول والله لا فعلت كذا، والإثبات أن يقول: والله لأَفْعَلَنَّ كذا .

---

(١) التفسير الميسر:١٢٢.
(٢) أخرجه الطبري(١٢٣٥٧):ص٥٢٥/١٠.
(٣) أخرجه الطبري(١٢٣٥٩):ص٥٢٥/١٠.
(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٧١٣):ص١١٩١/٤.
(٥) تفسير ابن أبي حاتم: ١١٩١/٤.
(٦) حكاه عنه الواحدي في التفسير البسيط:٥٠٢/٧، ولم اقف عليه..
(٧) حكاه عنه الواحدي في التفسير البسيط:٥٠٢/٧.
(٨) الوجيز:٣٣٣.
(٩) تفسير الطبري:٥٢٥/١٠.
(١٠) معاني القرآن:٢٠١/٢-٢٠٢.
(١١) تفسير السعدي:٢٤٢.
(١٢) الكشاف:٦٧٢/١.
(١٣) تفسير السمعاني:٦٠/٢.
(١٤) الكشاف:٦٧٢/١.
(١٥)البيت للفرزدق في "ديوانه" ٢/ ٣٠٧، وانظره في "طبقات فحول الشعراء" ٢/ ٣٣٦، "الدر المصون" ٢/ ٤٣٠، "والأغاني" ١٩/ ١٤، "المفردات" ص ٥٢، "وضح البرهان" للغزنوي ١/ ٢٠٧.
(١٦) البيت في ديوانه: ٣٨/٢، والأغاني:٣٠٤/٢١، وأنساب الأشراف:١٠٣/١٢ديوانه:٣٩٨.
(١٧) انظر: التفسير البسيط للواحدي:١٩٦/٤، والكشاف:٦٧٢/١-٦٧٣، وتفسير القرطبي:٩٦/٣، وتفسير البحر المحيط:٤٤٤/٢، وتاريخ دمشق:٦٠/٧٤، ومحاضرات الادباء ومحاورات الشعراء والبلغاء: ١٣٣/٢.
(١٨) انظر: النكت والعيون:٦٠/٢.

وأما الخبر الماضي فهو أن يقول: والله ما فعلت، وقد فعل، أو يقول: والله لقد فعلت كذا، وما فعل.

قال الماوردي:"فينعقد يمينه بالفعل المستقبل في نوعي إثباته ونفيه"[١].

وفي انعقادها بالخبر الماضي قولان[٢]:

أحدهما: أنها لا تنعقد بالخبر الماضي، قاله أبو حنيفة وأهل العراق .

والقول الثاني: أنها تنعقد على فعل مستقبل وخبر ماض يتعلق الحنث بهما، قاله الشافعي، واهل الحجاز .

قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو: {بما عقدتم} بغير ألف مشددة القاف، وكذلك روى حفص عن عاصم.

وقرأ عاصم فى رواية أبى بكر وحمزة والكسائى: {بما عقدتم} خفيفة بغير ألف.

وقرأ ابن عامر:{ولكن يؤاخذكم بما عقدتم} بألف[٣].

قوله تعالى:{فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ} [المائدة: ٨٩]، أي:" فإذا لم تَفُوا باليمين فإثم ذلك يمحوه الله بما تقدِّمونه مما شرعه الله لكم كفارة من إطعام عشرة محتاجين لا يملكون ما يكفيهم ويسد حاجتهم"[٤].

قال سعيد بن جبير:" يعني: اليمين العمد الكذب. إطعام عشرة مساكين"[٥].

قال السعدي:" أي: كفارة اليمين الذي عقدتموها بقصدكم {إطعام عشرة مساكين}"[٦].

قال الزجاج:" أي: فكفارة المؤاخذة فيه إذا حنث أن يطعم عشرة مساكين إن كانوا ذكورا أو إناثا وذكورا أجزأه ذلك، ولكن وقع لفظ التذكير لأنه المغلب في الكلام"[٧].

قال الزمخشري:" والكفارة: الفعلة التي من شأنها أن تكفر الخطيئة أى تسترها"[٨].

وفي قوله تعالى:{فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ} [المائدة: ٨٩]، وجهان:

أحدهما: أنها كفارة ما عقدوه من الأيمان، قالته عائشة[٩]، والحسن[١٠]، وأبو مالك[١١]، والشعبي[١٢]، وقتادة[١٣]،وإبراهيم[١٤]، ويحيى بن سعيد[١٥]، علي بن أبي طلحة[١٦].

والثاني: أنها كفارة الحنث فيما عقدة منها، وهذا يشبه أن يكون قول ابن عباس[١٧]، وسعيد بن جبير[١٨]، والضحاك[١٩]، وإبراهيم[٢٠].

---

(١) النكت والعيون:٦٠/٢.
(٢) انظر: النكت والعيون:٦٠/٢.
(٣) انظر: السبعة في القراءات:٢٤٧.
(٤) التفسير الميسر:١٢٢.
(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٧١٣):ص١١٩١/٤.
(٦) تفسير السعدي:٢٤٢.
(٧) معاني القرآن:٢٠٢/٢.
(٨) الكشاف:٦٧٣/١.
(٩) أخرجه الطبري(١٢٣٦٣):،و(١٢٣٦٥):ص٥٢٦/١٠-٥٢٧.
(١٠) أخرجه الطبري(١٢٣٦٠):ص٥٢٥/١٠-٥٢٦.
(١١) أخرجه الطبري(١٢٣٦٢):ص٥٢٦/١٠.
(١٢) أخرجه الطبري(١٢٣٦١):ص٥٢٦/١٠.
(١٣) أخرجه الطبري(١٢٣٦٧):ص٥٢٧/١٠.
(١٤) أخرجه الطبري(١٢٣٦٤):ص٥٢٦/١٠.
(١٥) أخرجه الطبري(١٢٣٦٦):ص٥٢٧/١٠.
(١٦) أخرجه الطبري(١٢٣٦٦):ص٥٢٧/١٠.
(١٧) انظر: تفسير الطبري(١٢٣٧٠):٥٢٨/١٠.
(١٨) انظر: تفسير الطبري(١٢٣٧١)-(١٢٣٧٤):٥٢٨/١٠-٥٢٩.
(١٩) انظر: تفسير الطبري(١٢٣٧٦):٥٢٩/١٠.
(٢٠) انظر: تفسير الطبري(١٢٣٧٥):٥٢٩/١٠.

قال الطبري:" والذي هو أولى عندي بالصواب في ذلك، أن تكون الهاء في قوله:{فكفارته}، عائدة على ما التي في قوله:{بما عقدتم الأيمان}، لما قدَّمنا فيما مضى قبل أنّ من لزمته في يمينه كفّارة وأُوخذ بها، غيرُ جائز أن يقال لمن قد أوخذ: لا يؤاخذه الله باللغو، وفي قوله تعالى:{لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم}، دليلٌ واضح أنه لا يكون مؤاخذًا بوجه من الوجوه، مَنْ أخبرنا تعالى ذكره أنه غيرُ مؤاخذه.

فإن ظنّ ظان أنه إنما عنى تعالى ذكره بقوله: {لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم}، بالعقوبة عليها في الآخرة إذا حنثتُم وكفَّرتم إلا أنه لا يؤاخذهم بها في الدنيا بتكفير فإن إخبار الله تعالى ذكره وأمرَه ونهيَه في كتابه، على الظاهر العامّ عندنا بما قد دللنا على صحّة القول به في غير هذا الموضع، فأغنى عن إعادته دون الباطن العامِّ الذي لا دلالة على خصوصه في عقل ولا خبر. ولا دلالة من عقل ولا خبرٍ أنه عنى تعالى ذكره بقوله: لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ، بعضَ معاني المؤاخذة دون جميعها، وإذ كان ذلك كذلك، وكان من لزمته كفّارة في يمينٍ حنث فيها مؤاخذًا بها بعقوبة في ماله عاجلة، كان معلومًا أنه غيرُ الذي أخبرنا تعالى ذكره أنه لا يؤاخذه بها"(١).

قوله تعالى:{مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ} [المائدة: ٨٩]، أي:" لكل مسكين نصف صاع من أوسط طعام أهل البلد"(٢).

قال الزمخشري:أي:" من أقصده، لأن منهم من يسرف في إطعام أهله، ومنهم من يقتر"(٣).

قال الواحدي:" لأنَّ هذا القدر وسط في الشّبع، وقيل:من خير ما تطعمون أهليكم كالحنطة والتمر"(٤).

قال عطاء:"أوسطه، أعدله"(٥)، وروي عن ابن عباس(٦)، وعكرمة(٧)، وسعيد بن جبير(٨)، نحو ذلك.

وروي عن عطاء:" {من أوسط}، قال: من أمثل"(٩).

وفي قوله تعالى:{مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ} [المائدة: ٨٩]، قولان:

أحدهما: من أوسط أجناس الطعام، قاله ابن عمر(١٠)، والحسن(١١)، وابن سيرين(١٢).

وسماه الزجاج:" أوسطه في الشبع، [بأن] لا يكون المأكول يفرط في أكله فيؤكل منه فوق القصد وقدر الحاجة، ولا يكون دون المعنى عن الجوع"(١٣).

والثاني: من أوسطه في القدر، قاله علي (١٤)، وعمر(١٥)، وابن عباس(١٦)، وسعيد بن جبير(١)، ومجاهد(٢)، وإبراهيم(٣).

---

(١) تفسير الطبري:٥٣٠/١٠.
(٢) التفسير الميسر:١٢٢.
(٣) الكشاف:٦٧٣/١.
(٤) الوجيز:٣٣٣.
(٥) أخرجه الطبري(١٢٣٧٧):٥٣١/١٠.
(٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:١١٩٢/٤، ذكره دون إسناد.
(٧) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:١١٩٢/٤، ذكره دون إسناد.
(٨) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٦٧١٧):ص١١٩٢/٤.
(٩) أخرجه ابن أبي حاتم:ص١١٩٢/٤.[الخبر غير مرقم]
(١٠) انظر: تفسير الطبري(١٢٣٨٠):ص٥٣٢/١٠، وتفسير ابن ابي حاتم(٦٧٢١):ص١١٩٣/٤.
(١١) انظر: تفسير الطبري(١٢٣٨٨):ص٥٣٣/١٠.
(١٢) انظر: تفسير الطبري(١٢٣٨٧):ص٥٣٣/١٠.
(١٣) معاني القرىن:٢٠٢/٢.
(١٤) انظر: تفسير الطبري(١٢٣٩٨):ص٥٣٥/١٠.
(١٥) انظر: تفسير الطبري(١٢٣٩٦)، و(١٢٣٩٧):ص٥٣٥/١٠.
(١٦) انظر: تفسير الطبري(١٢٤٣٠)، و(١٢٤٣١):ص٥٤١/١٠.

ثم اختلفوا في القدر على ستة أقاويل:
أحدها: أنه مُدٌّ واحد، واختلفوا في أجناس الطعام، على قولين:
القول الأول: أنه مدّ واحد من سائر الأجناس. قاله ابن عمر[٤]، وزيد بن ثابت[٥]، وابن المسيب[٦]، والحسن[٧]، وعطاء[٨]، وابن زيد[٩]، والقاسم[١٠]، وسالم[١١]، وهو قول الشافعي[١٢].
والقول الثاني: أنه مدٌّ من حنطة لكل مسكين. وهذا قول ابن عباس[١٣]، وابن عمر[١٤]، وابن زيد[١٥].
والثاني: أنه مدّان، ثم اختلفوا في الأجناس، على أقوال:
فقال عمر[١٦]، وابن عمر[١٧]، وسعيد بن جبير[١٨]:"لكل مسكين مُدَّين من حنطة "[١٩].
وقال ابن عباس:"مدين من بر"[٢٠].
وقال الحسن:" مكُّوك تمر ومكوك برّ لكل مسكين"[٢١].
وفي رواية أخرى عن الحسن:أنه" البرُّ والتمر، لكل مسكين مد من تمر، ومدّ من برّ"[٢٢].
وقال الشعبي:" مَكُّوكين، مكوكًا لطعامه، ومكوكًا لإدامه "[٢٣].
وقال مجاهد:" مدَّان من طعام لكل مسكين"[٢٤].
والثالث: أنه نصف صاع من سائر الأجناس، قاله علي[٢٥]، وعمر[٢٦]، وميمون بن مِهْران[٢٧]، وأبو مالك[٢٨]،الضحاك[١]، والحكم[٢]، وإبراهيم[٣]، وأبو قلابة[٤]، مُقَاتِل بن حَيَّان[٥]، وهو مذهب أبي حنيفة[٦].

---

(١) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٦٧٢٣):ص١١٩٣/٤.
(٢) انظر: تفسير الطبري(١٢٤٠٥):ص٥٣٦/١٠.
(٣) انظر: تفسير الطبري(١٢٣٩٩):ص٥٣٥/١٠.
(٤) انظر: تفسير الطبري(١٢٤١٧):ص٥٣٩/١٠.
(٥) انظر: تفسير الطبري(١٢٤١٤):ص٥٣٨/١٠.
(٦) انظر: تفسير الطبري(١٢٤٢٦):ص٥٤٠/١٠.
(٧) انظر: تفسير الطبري(١٢٤٢٣):٥٣٩/١٠.
(٨) انظر: تفسير الطبري(١٢٤٢٤):ص٥٤٠/١٠.
(٩) انظر: تفسير الطبري(١٢٤٢٥):ص٥٤٠/١٠.
(١٠) انظر: تفسير الطبري(١٢٤٢٠):٥٣٩/١٠.
(١١) انظر: تفسير الطبري(١٢٤٢٠):٥٣٩/١٠.
(١٢)انظر: النكت والعيون:٦١/٢.
(١٣) أخرجه الطبري(١٢٤١٥):ص٥٣٨/١٠.
(١٤) أخرجه الطبري(١٢٤١٨):ص٥٣٩/١٠.
(١٥) انظر: تفسير الطبري(١٢٤٢٥):ص٥٤٩/١٠.
(١٦)انظر: تفسير الطبري(١٢٣٩٦):ص٥٣٤/١٠-٥٣٥.
(١٧) انظر: تفسير الطبري(١٢٤١٨):ص٥٣٩/١٠.
(١٨)انظر: تفسير الطبري(١٢٤٠٠):ص٥٣٥/١٠.
(١٩)انظر: تفسير الطبري(١٢٣٩٦):ص٥٣٤/١٠-٥٣٥.
(٢٠)انظر: تفسير الطبري(١٢٤٠٣):ص٥٣٥/١٠.
(٢١) أخرجه الطبري(١٢٤٠٧):ص٥٣٧/١٠.
(٢٢)أخرجه الطبري(١٢٤٢٣):ص٥٣٩/١٠.
(٢٣) انظر: تفسير الطبري(١٢٤٠٢):ص٥٣٦/١٠. و المكوك ، مكيال قديم معروف ، لأهل العراق ، ويراد به المد . وانظر تفسيره في لسان العرب (مكك).
(٢٤) انظر: تفسير الطبري(١٢٤٠٥):ص٥٣٦/١٠.
(٢٥) انظر: تفسير الطبري(١٢٣٩٨):ص٥٣٥/١٠.
(٢٦) انظر: تفسير الطبري(١٢٣٩٧):ص٥٣٥/١٠.
(٢٧) انظر: تفسير ابن كثير:١٧٤/٣.
(٢٨) انظر: تفسير الطبري(١٢٤١٠):٥٣٨/١٠.

والرابع: أنه غداء وعشاء، قاله علي في رواية الحارث عنه[٧]، وهو قول محمد بن كعب القرظي[٨]، والحسن البصري –في قوله الآخر[٩].
والخامس: أنه ما جرت به عادة المكفر فى عياله، إن كان يشبعهم أشبع المساكين، وإن كان لا يشبعهم فعلى قدر ذلك، قاله ابن عباس[١٠]، وسعيد بن جبير[١١]، وعمار[١٢]، والضحاك[١٣]،
والسادس: أنه أحد الأمرين من غداء أو عشاء، قاله بعض البصريين[١٤].

قال الطبري:" وأولى الأقوال في تأويل قوله: من أوسط ما تطعمون أهليكم عندنا، قول من قال:من أوسط ما تطعمون أهليكم في القلّة والكثرة، وذلك أن أحكام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الكفارات كلّها بذلك وردت. وذلك كحكمه صلى الله عليه وسلم في كفارة الحلق من الأذى بفَرَق من طعام بين ستة مساكين، لكل مسكين نصف صاع وكحكمه في كفارة الوطء في شهر رمضان بخمسة عشر صاعًا بين ستين مسكينًا، لكل مسكين ربُعْ صاع.، ولا يُعْرف له صلى الله عليه وسلم شيء من الكفارات، أمر بإطعام خبز وإدام، ولا بغداء وعشاء، فإذْ كان ذلك كذلك، وكانت كفارة اليمين إحدى الكفارات التي تلزم من لزمته، كان سبيلُها سبيلَ ما تولّى الحكم فيه صلى الله عليه وسلم: من أن الواجب على مكفِّرها من الطعام، مقدّرًا للمساكين العشرة محدودًا بكيل، دون جمعهم على غداء أو عشاء مخبوز مأدوم، إذ كانت سنته صلى الله عليه وسلم في سائر الكفارات كذلك"[١٥].

وقرأ سعيد بن جبير:«مِن وَسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ»[١٦].

وقرأ جعفر بن محمد: «أهاليكم»، بسكون الياء، والأهالى: اسم جمع لأهل: كالليالي في جمع ليلة، والأراضى في جمع أرض[١٧].

قوله تعالى:{أَوْ كِسْوَتُهُمْ} [المائدة: ٨٩]، أي:" أو كسوتهم، لكل مسكين ما يكفي في الكسوة عُرفًا"[١٨].

قال السعدي:" أي: كسوة عشرة مساكين، والكسوة هي التي تجزئ في الصلاة"[١٩].

قال الطبري:" يقول: إما أن تطعموهم أو تكسوهم. والخيار في ذلك إلى المكفِّر"[٢٠].

قال الزجاج:" والكسوة أن يكسوهم نحو الإزار والعمامة أو ما أشبه ذلك، لأن به قوام الحياة وإلا فالإعتاق أو الكسوة أفضل"[٢١].

---

(١) أخرجه الطبري(١٢٤١٣):ص١٠/٥٣٨.
(٢) انظر: تفسير الطبري(١٢٤١١):١٠/٥٣٨.
(٣) انظر: تفسير الطبري(١٢٤١٢):١٠/٥٣٨.
(٤) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:٤/١١٩١، ذكره دون إسناد، وانظر: تفسير ابن كثير:٣/١٧٤.
(٥) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:٤/١١٩١، ذكره دون إسناد، وانظر: تفسير ابن كثير:٣/١٧٤.
(٦)انظر: النكت والعيون:٢/٦١.
(٧) انظر: تفسير الطبري(١٢٤٢٧):١٠/٥٤٠.
(٨) انظر: تفسير الطبري(١٢٤٢٨):١٠/٥٤٠.
(٩) انظر: تفسير الطبري(١٢٤٢٩):١٠/٥٤٠.
(١٠) انظر: تفسير الطبري(١٢٤٣٠)-(١٢٤٣٢):١٠/٥٤١.
(١١) انظر: تفسير الطبري(١٢٤٣٤):١٠/٥٤١.
(١٢) انظر: تفسير الطبري(١٢٤٣٣):١٠/٥٤١.
(١٣) انظر: تفسير الطبري(١٢٤٣٨):١٠/٥٤٢.
(١٤)انظر: النكت والعيون:٢/٦١.
(١٥) تفسير الطبري:١٠/٥٤٣-٥٤٢.
(١٦) انظر: النكت والعيون:٢/٦١.
(١٧) انظر: الكشاف:١/٦٧٣.
(١٨) التفسير الميسر:١٢٢.
(١٩) تفسير السعدي:٢٤٢.
(٢٠) تفسير الطبري:١٠/٥٤٥.
(٢١) معاني القرىن:٢/٢٠٢.

قال الواحدي:" وهو أقلُّ ما يقع عليه اسم الكسوة من إزارٍ ورداءٍ وقميصٍ"[١].

قال الزمخشري:" والكسوة: ثوب يغطى العورة"[٢].

وفي قوله تعالى:{أَوْ كِسْوَتُهُمْ} [المائدة: ٨٩]، ستة اقاويل:

أحدها: كسوة ثوب واحد، قاله: ابن عباس[٣]، والحسن[٤]، وأبو مالك[٥]، ومجاهد[٦]، وإبراهيم[٧]، وإبراهيم[٧]، وطاووس[٨]، وعطاء[٩]، وأبو جعفر[١٠]، والشافعي[١١].

والثاني: كسوة ثوبين، قاله أبو موسى الأشعري[١٢]، وابن المسيب[١٣]، والحسن[١٤]، والضحاك[١٥]، وابن سيرين[١٦].

والثالث: كسوة ثوب جامع كالملحفة والكساء، قاله إبراهيم[١٧].

والرابع: كسوة إزار ورداء وقميص، قاله ابن عمر[١٨].

والخامس:أنه يجزئ عمامة في كفارة اليمين. وهذا قول الحكم[١٩]، والحسن –في إحدى الروايات-[٢٠].

والسادس: أنه يجزئ في كفارة اليمين كل شيء إلا التُّبَّان[٢١]، والمعنى: كسوة ما تجزىء فيه الصلاة، وهذا قول مجاهد[٢٢]، وبه قال بعض البصريين[٢٣].

قال السمعاني:" والصحيح: أن الواجب لكل مسكين ما يصلح به الكسوة في العرف"[٢٤].

وقال الطبري:" وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصحة وأشبهها بتأويل القرآن، قولُ من قال: عنى بقوله: أو كسوتهم ، ما وقع عليه اسم كسوة، مما يكون ثوبًا فصاعدًا لأن ما دون الثوب، لا خلافَ بين جميع الحجة أنه ليس مما دخل في حكم الآية، فكان ما دون قدر ذلك، خارجًا من أن يكون الله تعالى عناه، بالنقل المستفيض.والثوبُ وما فوقه داخل في حكم الآية، إذ لم يأت من الله تعالى وحي، ولا من رسوله صلى الله عليه وسلم خبر، ولم يكن من الأمة إجماع

---

(١) الوجيز:٣٣٣.
(٢) الكشاف:٦٧٣/١.
(٣) انظر: تفسير الطبري(١٢٤٥١):ص٥٤٦/١٠.
(٤) انظر: تفسير الطبري(١٢٤٤٣):ص٥٤٥/١٠.
(٥) انظر: تفسير الطبري(١٢٤٥٣):ص٥٤٧/١٠.
(٦) انظر: تفسير الطبري(١٢٤٤١):ص٥٤٥/١٠.
(٧) انظر: تفسير الطبري(١٢٤٤٩):ص٥٤٦/١٠.
(٨) انظر: تفسير الطبري(١٢٤٤٨):ص٥٤٥/١٠.
(٩) انظر: تفسير الطبري(١٢٤٤٧):ص٥٤٦/١٠.
(١٠) انظر: تفسير الطبري(١٢٤٤٧):ص٥٤٦/١٠.
(١١)انظر: النكت والعيون:٦١/٢.
(١٢) انظر: تفسير الطبري(١٢٤٦٤)، و(١٢٤٦٥):ص٥٤٨/١٠.
(١٣) انظر: تفسير الطبري(١٢٤٥٦)، و(١٢٤٥٧):ص٥٤٧/١٠.
(١٤) انظر: تفسير الطبري(١٢٤٥٩):ص٥٤٨/١٠.
(١٥) انظر: تفسير الطبري(١٢٤٦٧):ص٥٤٨/١٠.
(١٦) انظر: تفسير الطبري(١٢٤٥٨):ص٥٤٧/١٠.
(١٧) انظر: تفسير الطبري(١٢٤٧٠)-(١٢٤٧٦):ص٥٤٩/١٠-٥٥٠.
(١٨) انظر: تفسير الطبري(١٢٤٧٧):ص٥٥٠/١٠.
(١٩) انظر: تفسير الطبري(١٢٤٨١):ص٥٥١/١٠.
(٢٠) انظر: تفسير الطبري(١٢٤٧٩):ص٥٥٠/١٠-٥٥١.
(٢١)التبان -بضم التاء وتشديد الباء- : سراويل صغير مقدار شبر ، يستر العورة المغلظة فقط ، يكون للملاحين.
(٢٢) انظر: تفسير الطبري(١٢٤٧٨):ص٥٥٠/١٠.
(٢٣)انظر: النكت والعيون:٦٢/٢.
(٢٤) تفسير السمعاني:٦١/٢.

بأنه غير داخل في حكمها. وغير جائز إخراج ما كان ظاهرُ الآية محتمله من حكم الآية، إلا بحجة يجب التسليم لها. ولا حجة بذلك"(١).

وقرئ:«كسوتهم»، بضم الكاف(٢).

قوله تعالى:{أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ} [المائدة: ٨٩]، أي:" أو إعتاق مملوك من الرق"(٣).

قال الطبري:يعني:" أو فكّ عبد من أسر العبودة وذلها"(٤).

قال الواحدي:" يعني: مؤمنة، والمُكفِّر في اليمين مُخيَّر بين هذه الثَّلاث"(٥).

قال السعدي:" أي: عتق رقبة مؤمنة كما قيدت في غير هذا الموضع، فمتى فعل واحدا من هذه الثلاثة فقد انحلت يمينه"(٦).

قال الزجاج:" فخير الحالف أحد هذه الثلاثة، وأفضلها عند الله أكثرها نفعا، وأحسنها موقعا من المساكين، أو من المعتق، فإن كان الناس في جدب لا يقدرون على المأكول إلا بما هو أشد تكلفا من الكسوة أو الإعتاق، فالإطعام أفضل"(٧).

وفي كلام العرب الفك: العتق، قال الفرزدق(٨):

أَبنِي غُدَانَةَ، إِنَّنِي حَرَّرْتُكُمْ ... فَوَهَبْتُكُمْ لِعَطِيَّةَ بْنِ جِعَالِ

يعني بقوله: حرّرتكم ، فككت رقابكم من ذلّ الهجاء ولزوم العار (٩).

وقيل:تحرير رقبة، والمحرَّر ذو الرقبة، لأن العربَ كان من شأنها إذا أسرت أسيرًا أن تجمع يديه إلى عنقه بقِدٍ أو حبل أو غير ذلك، وإذا أطلقته من الأسر أطلقت يديه وحلَّتهما مما كانتا به مشدودتين إلى الرقبة. فجرى الكلام عند إطلاقهم الأسير، بالخبر عن فك يديه عن رقبته، وهم يريدون الخبرَ عن إطلاقه من أسره، كما يقال: قبضَ فلان يده عن فلان ، إذا أمسك يده عن نواله وبسط فيه لسانه، إذا قال فيه سوءًا فيضافُ الفعل إلى الجارحة التي يكون بها ذلك الفعل دون فاعله، لاستعمال الناس ذلك بينهم، وعلمهم بمعنى ذلك. فكذلك ذلك في قول الله تعالى ذكره: {أو تحرير رقبة}، أضيف التحرير إلى الرقبة ، وإن لم يكن هناك غُلٌّ في رقبته ولا شدُّ يَدٍ إليها، وكان المراد بالتحرير نفسَ العبد، بما وصفنا، من جَرّاء استعمال الناس ذلك بينهم لمعرفتهم بمعناه(١٠).

وإن قال قائل: "أفكلّ الرقاب معنيٌّ بذلك أو بعضه ؟

قيل: بل معنيّ بذلك كل رقبة كانت سليمة من الإقعاد، والعمَى والخرس، وقطع اليدين أو شللهما والجنون المطبق، ونظائر ذلك. فإن من كان به ذلك أو شيء منه من الرقاب، فلا خلاف بين الجميع من الحجة أنه لا يجزئ في كفارة اليمين. فكان معلومًا بذلك أن الله تعالى

---

(١) تفسير الطبري:٥٥١/١٠.
(٢) انظر: الكشاف:٦٧٣/١.
(٣) التفسير الميسر:١٢٢.
(٤) تفسير الطبري:٥٥٢/١٠.
(٥) الوجيز:٣٣٣.
(٦) تفسير السعدي:٢٤٢.
(٧) معاني القرىن:٢٠٢/٢.
(٨)ديوانه ٧٢٦ ، النقائض : ٢٧٥ ، وطبقات فحول الشعراء : ٤٢٤ ، من قصيدته في هجاء جرير. و بنو غدانة هم : بنو غدانة بن يربوع ، أخو كليب بن يربوع ، جد جرير. و عطية بن جعال بن قطن بن مالك بن غدانة بن يربوع ، وكان عطية من سادة بني غدانة ، وكان صديقًا للفرزدق وخليلا له. فلما بلغ عطية هذا الشعر قال : جزى الله خليلي عني خيرًا!! ما أسرع ما رجع خليلي في هبته!! ، لأنه هجاهم ، وهو يزعم أنه وهب أعراضهم لصاحبه ، يقول بعده :
فَوَهَبْتُكُمْ لأَحَقِّكُمْ بِقَدِيمِكُمْ ... قِدْمًا ، وَأَفْعَلِهِ لِكُلِّ نَوَالِ
لَوْلا عَطِيَّةُ لاجْتَدَعْتُ أُنُوفَكُمْ ... مِنْ بَيْنِ أَلأمِ آنُفٍ وَسِبَالِ
إِنِّي كَذَاكَ ، إِذَا هَجَوْتُ قَبِيلَةً ... جَدَّعْتُهُمْ بِعَوَارِمِ الأَمْثَالِ.
(٩) انظر: تفسير الطبري:٥٥٢/١٠.
(١٠) انظر: تفسير الطبري:٥٥٢/١٠-٥٥٣.

ذكره لم يعنه بالتحرير في هذه الآية. فأما الصغير والكبير والمسلم والكافر، فإنهم معنيون به"(١).

قال إبراهيم:"من كانت عليه رقبة واجبة، فاشترى نَسَمة، قال: إذا أنقذها من عمل أجزأته، ولا يجوز عتق من لا يعمل. فأما الذي يعمل، كالأعور ونحوه. وأما الذي لا يعمل فلا يجزئ، الأعمى والمقعد"(٢).

وعن إبراهيم أيضا: "أنه كان لا يرى عتقَ المغلوب على عقله يجزئ في شيء من الكفارات"(٣).

عن الحسن قال: "كان يكره عتق المخَبَّل في شيء من الكفارات"(٤).

وقال عطاء:" لا يجزئ في الرقبة إلا صحيح"(٥).

وعن عطاء أيضا:"يجزئ المولودُ في الإسلام من رقبة"(٦).

وقال إبراهيم:": ما كان في القرآن من رقبة مؤمنة ، فلا يجزئ إلا ما صام وصلى. وما كان ليس بمؤمنة، فالصبي يجزئ"(٧).

وقال سليمان:" إذا ولد الصبي فهو نسمة، وإذا انقلبَ ظهرًا لبطن فهو رقبة، وإذا صلى فهو مؤمنة"(٨).

قال الطبري:" والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال، إن الله تعالى عمَّ بذكر الرقبة كل رقبة، فأيَّ رقبة حرّرها المكفر يمينَه في كفارته، فقد أدّى ما كُلّف، إلا ما ذكرنا أن الحجة مجمعة على أن الله تعالى ذكره، لم يعنه بالتحرير، فذلك خارج من حكم الآية، وما عدا ذلك فجائز تحريرُه في الكفارة بظاهر التنزيل"(٩).

وفي استحقاق أثمانها قولان:

أحدهما: أنه مستحق ولا تجزىء الكفارة، قاله الشافعي(١٠).

والثاني: أنه غير مستحق، قاله أبو حنيفة(١١).

عن مسروق، قال: "جاء معقل بن مقرن إلى عبد الله فقال: إني آليتُ من النساء والفراش! فقرأ عبد الله هذه الآية: {لا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ}[سورة المائدة: ٨٧]. قال فقال معقل: إنما سألتك أنْ أتيتُ على هذه الآية الليلة ؟ فقال عبد الله: ائت النساء ونَمْ، وأعتق رقبة، فإنك موسر"(١٢).

قال الطبري:" ونحو هذا من الأخبار التي رويت عن ابن مسعود وابن عمر وغيرهما، فإنّ ذلك منهم كان على وجه الاستحباب لمن أمروه بالتكفير بما أمروه به بالتكفير من الرقاب، لا على أنه كان لا يجزئ عندهم التكفير للموسر إلا بالرقبة، لأنه لم ينقل أحدٌ عن أحد منهم أنه قال: لا يجزئ الموسرَ التكفيرُ إلا بالرقبة. والجميعُ من علماء الأمصار، قديمهم وحديثهم، مجمعون على أن التكفير بغير الرقاب جائزٌ للموسر"(١٣).

---

(١) تفسير الطبري:١٠/٥٥٣.
(٢) أخرجه الطبري(١٢٤٨٢):١٠/٥٥٤.
(٣) أخرجه الطبري(١٢٤٨٤):١٠/٥٥٤.
(٤) أخرجه الطبري(١٢٤٨٣):١٠/٥٥٤.
(٥) أخرجه الطبري(١٢٤٨٥):١٠/٥٥٤.
(٦) أخرجه الطبري(١٢٤٨٦):١٠/٥٥٤.
(٧) أخرجه الطبري(١٢٤٨٧):١٠/٥٥٤.
(٨) أخرجه الطبري(١٢٤٨٨):١٠/٥٥٥.
(٩) تفسير الطبري:١٠/٥٥٥.
(١٠) انظر: النكت والعيون:٢/٦٢.
(١١) انظر: النكت والعيون:٢/٦٢.
(١٢) أخرجه الطبري(١٢٤٣٩):ص١٠/٥٥٥-٥٥٦، وانظر: (١٢٤٩٠):ص١٠/٥٥٦.
(١٣) تفسير الطبري:١٠/٥٥٦-٥٥٧.

قوله تعالى:{فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ} [المائدة: ٨٩]، أي:" فمن لم يجد شيئًا من ذلك فعليه صيام ثلاثة أيام"[١].

قال الزجاج:" أي: من كان لا يقدر على شيء مما حذد في الكفارة، فعليه صيام ثلاثة أيام"[٢].

قال الواحدي:" يعني: لم يفضل من قوته وقوت عياله يومه وليلته ما يطعم عشرة مساكين {ف} عليه {صيام ثلاثة أيام}"[٣].

قال الطبري:أي:"فمن لم يجد، لكفارة يمينه التي لزمه تكفيرُها من الطعام والكسوة والرقاب ما يكفِّرها به على ما فرضنا عليه وأوجبناه في كتابنا وعلى لسان رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم فصيام ثلاثة أيام ، يقول: فعليه صيام ثلاثة أيام"[٤].

قال الماوردي:" فجعل الله الصوم بدلاً من المال عند العجز عنه، وجعله مع اليسار مخيراً بين التكفير بالإطعام، أو بالكسوة، أو بالعتق"[٥].

واختلف فيما إذا لم يجده صام على خمسة أقاويل:

أحدها: إذا لم يجد قوته وقوت من يقوت صام، قاله الشافعي[٦].

والثاني: إذا لم يجد ثلاثة دراهم صام، قاله سعيد بن جبير[٧]، وقتادة[٨].

والثالث: إذا لم يجد درهمين، قاله الحسن[٩].

والرابع: إذا لم يجد مائتي درهم صام، قاله أبو حنيفة[١٠].

والخامس: إذا لم يجد فاضلاً عن رأس ماله الذي يتصرف فيه لمعاشه صام، وهذا قول بعض متاخري المتفقهة[١١].

قال الطبري:" والصواب من القول في ذلك عندنا، أنّ من لم يكن عنده في حال حنثه في يمينه إلا قدر قوته وقوت عياله يومه وليلته، لا فضل له عن ذلك، يصوم ثلاثة أيام، وهو ممن دخل في جملة من لا يجد ما يطعم أو يكسو أو يعتق. وإن كان عنده في ذلك الوقت من الفضل عن قوته وقوت عياله يوَمه وليلته، ما يطعم أو يكسو عشرة مساكين، أو يعتق رقبة، فلا يجزيه حينئذ الصوم، لأن إحدى الحالات الثلاث حينئذ من إطعام أو كسوة أو عتق، حق قد أوجبه الله تعالى ذكره في ماله وجوبَ الدين. وقد قامت الحجة بأن المفلس إذا فرّق ماله بين غرمائه: أنه لا يترك ذلك اليوم إلا ما لا بدَّ له من قوته وقوت عياله يوَمه وليلته. فكذلك حكم المعدم بالدين الذي أوجبه الله تعالى ذكره في ماله بسبب الكفارة التي لزمت ماله"[١٢].

وفي تتابع صيامه قولان:

أحدهما: يلزمه، وهذا قول ابن عباس[١٣]، ومجاهد[١٤]، وإبراهيم[١٥]، وسفيان[١]، وقتادة[٢]، وبه قال مالك[٣]، والأوزاعي[٤]، وهو احد قولي الشافعي[٥].

---

(١) التفسير الميسر:١٢٢.
(٢) معاني القرىن:٢٠٢/٢.
(٣) الوجيز:٣٣٣.
(٤) تفسير الطبري:٥٥٧/١٠.
(٥) النكت والعيون:٦٢/٢.
(٦) انظر: تفسير الطبري(١٢٤٩١):ص٥٥٧/١٠.
(٧) انظر: تفسير الطبري(١٢٤٩٢)، و(١٢٤٩٥):ص٥٥٨/١٠.
(٨) انظر: تفسير الطبري(١٢٤٩٣):ص٥٥٨/١٠.
(٩) انظر: تفسير الطبري(١٢٤٩٤):ص٥٥٨/١٠.
(١٠) انظر: تفسير الطبري:٥٥٨/١٠، والنكت والعيون:٦٣/٢.
(١١) انظر: تفسير الطبري:٥٥٨/١٠، والنكت والعيون:٦٣/٢.
(١٢) تفسير الطبري:٥٥٩/١٠.
(١٣) انظر: تفسير الطبري(١٢٥٠٨):ص٥٦١/١٠.
(١٤) انظر: تفسير الطبري(١٢٤٩٦):ص٥٥٩/١٠.
(١٥) انظر: تفسير الطبري(١٢٥٠١)، و(١٢٥٠٢):ص٥٦٠/١٠.

قال أبو العالية، والربيع بن انس:"وكان أبي بن كعب يقرأ:«فصيام ثلاثة أيام متتابعات»"(٦).

عن ابن عباس قال: "لما نزلت آية الكفارات قال حذيفة: يا رسول الله، نحن بالخيار ؟ قال: "أنت بالخيار، إن شئت أعتقت، وإن شئت كسوت، وإن شئت أطعمت، فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام متتابعات"(٧).

قال ابن كثير:" وهذا حديث غريب جدًا"(٨).

وعن مجاهد وإبراهيم، وعامر، وأبو إسحاق السبيعي، والأعمش، قالوا:" في قراءة عبد الله:«فصيام ثلاثة أيام متتابعات»(٩).

قال ابن كثير:" وهذه إذا لم يثبت كونها قرآنا متواترًا، فلا أقل أن يكون خبرا واحدا، أو تفسيرًا من الصحابي، وهو في حكم المرفوع"(١٠).

والثاني: إن صامها متفرقة جاز، قاله مالك(١١)، والشافعي في أحد قوليه(١٢).

قال السمعاني:" ظاهرة: أنه يجوز متفرقا، وهو الأصح"(١٣).

والصواب –والله أعلم- أن يقال: "إن الله تعالى ذكره أوجب على من لزمته كفّارة يمين، إذا لم يجد إلى تكفيرها بالإطعام أو الكسوة أو العتق سبيلا أن يكفرّها بصيام ثلاثة أيام، ولم يشرطْ في ذلك متتابعة. فكيفما صامهنَّ المكفِّر مفرَّقة ومتتابعة، أجزأه. لأن الله تعالى ذكره إنما أوجب عليه صيام ثلاثة أيام، فكيفما أتَى بصومهنّ أجزأ"(١٤).

قال الطبري:" فأما ما روى عن أبيّ وابن مسعود من قراءتهما: «فصيام ثلاثة أيام متتابعات»، فذلك خلاف ما في مصاحفنا. وغير جائز لنا أن نشهد لشيء ليس في مصاحفنا من الكلام أنه من كتاب الله، غيرَ أني أختار للصائم في كفَّارة اليمين أن يُتَابع بين الأيام الثلاثة، ولا يفرِّق. لأنه لا خلاف بين الجميع أنه إذا فعل ذلك فقد أجزأ ذلك عنه من كفارته، وهم في غير ذلك مختلفون. ففعل ما لا يُخْتَلف في جوازه، أحبُّ إليَّ، وإن كان الآخر جائزًا"(١٥).

قوله تعالى:{ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ} [المائدة: ٨٩]، أي:" تلك مكفرات عدم الوفاء بأيمانكم"(١٦).

قال السعدي: أي: "تكفرها وتمحوها وتمنع من الإثم"(١٧).

---

(١) انظر: تفسير الطبري(١٢٥٠٦):ص١٠/٥٦١.
(٢) انظر: تفسير الطبري(١٢٥٠٧):ص١٠/٥٦١.
(٣) انظر: تفسير السمعاني:٢/٦١.
(٤) انظر: تفسير السمعاني:٢/٦١.
(٥) انظر: تفسير السمعاني:٢/٦١.
(٦) أخرجه الطبري(١٢٤٩٧)، (١٢٤٩٨):ص١٠/٥٥٩-٥٦٠.
(٧) اخرجه ابن مردوية كما في تفسير ابن كثير:٣/١٧٧، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/١٥٥) ولم يعزه لغير ابن مردويه. وفي إسناده إسماعيل بن يحيى هو ابن عبيد الله كان ابن يضع الحديث، قال ابن عدي : عامة ما يرويه بواطيل ، ثم الإسناد معضل ، فإن بينه وبين ابن عباس قرن من الزمان تقريبًا.
(٨) .
(٩) انظر: تفسير الطبري(١٢٤٩٩)-(١٢٥٠٥):ص١٠/٥٦٠- ٥٦١.
(١٠) تفسير ابن كثير:٣/١٧٧.
(١١) انظر: تفسير الطبري(١٢٥٠٩):ص١٠/٥٦١.
(١٢) انظر: النكت والعيون:٢/٦٣، وتفسير ابن كثير:٣/١٧٧
(١٣) تفسير السمعاني:٢/٦١.
(١٤) تفسير الطبري:١٠/٥٦١-٥٦٢.
(١٥) تفسير الطبري:١٠/٥٦٢.
(١٦) التفسير الميسر:١٢٢.
(١٧) تفسير السعدي:٢٤٢.

قال الطبري:أي:" هذا الذي ذكرت لكم أنه كفارة أيمانكم، من إطعام العشرة المساكين، أو كسوتهم، أو تحرير الرقبة، وصيام الثلاثة الأيام إذا لم تجدوا من ذلك شيئًا هو كفارة أيمانكم التي عقدتموها إذا حلفتم "[1].

قال الزجاج:" أي: ذلك الذي يغطي على آثامكم، يقال كفرت الشيء إذا غطيته، ومنه قوله عز وجل: { أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ} [الحديد: ٢٠]، والكفار الذين يغطون الزرع ويصلحونه، والكافر إنما سمي كافرا، لأنه ستر بكفره الإيمان"[2].

قال الماوردي:" فإن قيل: فلِمَ لَمْ يذكر مع الكفارة التوبة ؟

قيل: لأنه ليس كل يمين حنث فيها كانت مأثماً توجب التوبة، فإن اقترن بها المأثم لزمت التوبة بالندم، وترك العزم على المعاودة"[3].

قوله تعالى:{وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ} [المائدة: ٨٩]، أي:" واحفظوا -أيها المسلمون- أيمانكم: باجتناب الحلف، أو الوفاء إن حلفتم، أو الكفارة إذا لم تفوا بها"[4].

قال سعيد بن جبير:" يعني: لا تتعمدوا الأيمان الكاذبة"[5].

قال الواحدي: يعني: "فلا تحلفوا واحفظوها عن الحنث"[6].

قال الطبري:أي:" واحفظوا، أيها الذين آمنوا أيمانكم أن تحنثوا فيها، ثم تُضِيعُوا الكفارة فيها بما وصفته لكم"[7].

قال السعدي: أي: " عن الحلف بالله كاذبا، وعن كثرة الأيمان، واحفظوها إذا حلفتم عن الحنث فيها، إلا إذا كان الحنث خيرا، فتمام الحفظ: أن يفعل الخير، ولا يكون يمينه عرضة لذلك الخير"[8].

قال الزمخشري:أي:" فبروا فيها ولا تحنثوا، أراد الأيمان التي الحنث فيها معصية، لأن الأيمان اسم جنس يجوز إطلاقه على بعض الجنس وعلى كله. وقيل: احفظوها بأن تكفروها. وقيل: احفظوها كيف حلفتم بها، ولا تنسوها تهاونا بها "[9].

قال السمعاني:" ظاهره للنهي عن الحنث، وقيل: أراد به حفظ اليمين لا أن يحلف، والأول أصح"[10].

قوله تعالى:{كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ} [المائدة: ٨٩]، أي:" وكما بيَّن الله لكم حكم الأيمان والتحلل منها يُبيِّن لكم أحكام دينه"[11].

قال سعيد بن جبير:"يعني: ما ذكر من الكفارة"[12].

قال ابن كثير:" أي: يوضحها وينشرها"[13].

قال الطبري:أي:" كذلك يبين الله لكم جميع آياته، يعني: أعلام دينه فيوضِّحها لكم لئلا يقول المضيع المفرِّط فيما ألزمه الله: لم أعلم حكم الله في ذلك!"[14].

قال الزمخشري:أي:" مثل ذلك البيان يبين الله لكم آياته أعلام شريعته وأحكامه"[1].

---

(١) تفسير الطبري:٥٦٢/١٠.
(٢) معاني القرىن:٢٠٢/٢.
(٣) النكت والعيون:٦٣/٢.
(٤) التفسير الميسر:١٢٢.
(٥) أخرجه ابن أبي حاتم(٦٧٣٨):ص١١٩٥/٤.
(٦) الوجيز:٣٣٣.
(٧) تفسير الطبري:٥٦٢/١٠.
(٨) تفسير السعدي:٢٤٢.
(٩) الكشاف:٦٧٣/١.
(١٠) تفسير السمعاني:٦١/٢.
(١١) التفسير الميسر:١٢٢.
(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم(٦٧٤٠):ص١١٩٥/٤.
(١٣) تفسير ابن كثير:١٧٧/٣.
(١٤) تفسير الطبري:٥٦٣/١٠.

قوله تعالى:{لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [المائدة: ٨٩]، أي:" لتشكروا له على هدايته إياكم إلى الطريق المستقيم"(٢).

قال الطبري:أي:" لتشكروا الله على هدايته إياكم وتوفيقه لكم"(٣).

قال الزمخشري:أي:"لعلكم تشكرون نعمته فيما يعلمكم ويسهل عليكم المخرج منه"(٤).

قال السعدي: "حيث علمكم ما لم تكونوا تعلمون. فعلى العباد شكر الله تعالى على ما من به عليهم، من معرفة الأحكام الشرعية وتبيينها"(٥).

قال محمد بن إسحاق:"{لعلكم تشكرون}، أي: فاتقون فإنه شكر نعمتي"(٦).

قال سعيد بن جبير:قوله:"{لعلكم}، يعني: لكي"(٧).

الفوائد:

١- حرمة الغلو في الدين والتنطع فيه.

٢- بيان كفارة اليمين بالتفصيل.

٣-كراهة الإكثار من الحلف. وحرمة الحلف بغير الله تعالى مطلقاً.

٤- استحباب حنث من حلف على ترك مندوب أو فعل مكروه، وتكفيره على ذلك أما إذا حلف أن يترك واجباً أو يأتي محرماً فإن حنثه واجب وعيه الكفارة.

٥- الأيمان ثلاثة: لغو: يمين لا كفارة لها إذ لا إثم فيها، الغموس: وهي أن يحلف متعمداً الكذب ولا كفارة لها إلا التوبة، اليمين المكفَّرة: وهي التي يتعمد فيها المؤمن الحلف ويقصده ليفعل أو لا يفعل ثم يحنث فهذه التي ذكر تعالى كفارتها وبينها.

وذكر أهل العلم أن اليمين على ثلاثة أوجه:

أحدها: اليمين المنعقدة: وهي اليمين التي يقصدها الحالف ويصمم عليها، وتكون على أمر مستقبل أن يفعله أو لا يفعله . وحكمها: وجوب الكفارة فيها عند الحنث .

قال ابن قدامة رحمه الله: " ومن حلف أن يفعل شيئا , فلم يفعله , أو لا يفعل شيئا , ففعله , فعليه الكفارة " لا خلاف في هذا عند فقهاء الأمصار، قال ابن عبد البر:اليمين التي فيها الكفارة بإجماع المسلمين , هي التي على المستقبل من الأفعال"(٨).

الثاني:اليمين اللغو: وهي الحلف من غير قصد اليمين، وهذه لا كفارة فيها ؛ لقول الله تعالى: {لا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ }[البقرة:٢٢٥].

قالت عائشة رضي الله عنها: أنزلت هذه الآية {لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم}، في قول الرجل لا والله وبلى والله"(٩).

قال ابن قدامة رحمه الله: "قال الخرقي: «ومن حلف على شيء يظنه كما حلف , فلم يكن , فلا كفارة عليه ; لأنه من لغو اليمين »، أكثر أهل العلم على أن هذه اليمين لا كفارة فيها . قاله ابن المنذر . يروى هذا عن ابن عباس , وأبي هريرة , وأبي مالك , وزرارة بن أوفى , والحسن , والنخعي , ومالك , وأبي حنيفة , والثوري،وممن قال: هذا لغو اليمين . مجاهد , وسليمان بن يسار , والأوزاعي , والثوري , وأبو حنيفة وأصحابه،وأكثر أهل العلم على أن لغو

---

(١) مالكشاف:٦٧٤.

(٢) التفسير الميسر:١٢٢.

(٣) تفسير الطبري:٥٦٣/١٠.

(٤) مالكشاف:٦٧٤.

(٥) تفسير السعدي:٢٤٢.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم(٦٧٤١):ص١١٩٦/٤.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم(٦٧٤٠):ص١١٩٥/٤.

(٨)المغني: ٣٩٠/٩.

(٩)رواه البخاري (٤٦١٣).

اليمين لا كفارة فيه . وقال ابن عبد البر: أجمع المسلمون على هذا،لقول الله تعالى: {لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم}. وهذه منه , ولأنه غير مقصود للمخالفة , فأشبه ما لو حنث ناسيا"(١).
الثالث:أن يحلف على شيء ماض وهو كاذب وهي من كبائر الذنوب، ولا كفارة فيها عند جمهور العلماء ؛ لأنها أعظم من أن تكفّر.

إذا عُلم هذا، فما حلفته من الأيمان المنعقدة، وحنثت فيه، فيلزمك فيه الكفارة، وإذا نسيت عدد هذه الأيمان، فاجتهد وأخرج من الكفارات ما يغلب على ظنك أنك تبرأ به.

وما كان من هذه الأيمان معقودا على فعلٍ واحد، أو ترك شيءٍ واحد، ففيها كفارة واحدة، وذلك مثل أن تحلف ألا تكلم فلانا، فتحنث، ولا تكفّر، ثم تعود فتحلف ألا تكلمه، وتحنث، فلا يلزمك إلا كفارة واحدة . بخلاف ما لو حلفت ألا تكلمه، ثم حلفت أن لا تـأكل طعامه مثلا، فيلزمك حينئذ كفارتان.

فيمكن القول: بأن الأيمان التي حلفتها على شيء تفعله أو لا تفعله في المستقبل وحنثت فيها يجب عليك فيها الكفارة، والأيمان التي حلفتها على شيء في الماضي أنك فعلته أو لم تفعله وأنت كاذب في ذلك لا كفارة عليها، وعليك التوبة إلى الله، والله تعالى يتوب على من تاب .

٦- تمامُ عدلِ اللهِ عزَّ وجلَّ في إيجابِ الأوسَطِ؛ لِقَوْلِه:{مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ}، فالواجب على الإنسانِ هو الوَسَط؛ فالزكاةُ مثلًا على صاحِبِ الغَنَم الواجبُ الوَسَط، والزكاة في الثِّمار الواجبُ الوَسَطُ، فإنَّه لو أوْجَب الأكملَ والأعلى، لكان في هذا ضررٌ على المعطِي، ولو أوجَبَ الأدْنى لكان فيه ضررٌ على الـمُعطَى، أي: المدفوع إليه، فالوسطُ ليس فيه حَيفٌ لا على مَن يجِبُ عليه، ولا عَلى مَن يجبُ له، وهذا لا شكَّ أنَّه من العدالةِ.

٧- وجوبُ الإنفاقِ على الأهلِ؛ لِقَوْلِه: {مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ}، يعني: كأنَّ هذا أمرٌ مُقرَّر؛ أنَّ الرجل يُطعِم أهلَه، وهذا لا شكَّ فيه؛ أنَّه يجب على الرجلِ أن يُنفقَ على أهلِه؛ قال الله تعالى:{الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ }[النساء: ٣٤].

٨- يُستَفادُ مِنْ قَوْلِه:{أَوْ كِسْوَتُهُمْ}، أنَّ الكِسْوةَ مُطلقة، فما سُمِّي كِسْوةً حصَل به الإجزاءُ، وهذا يختلفُ باختلافِ الأحوالِ والأزمانِ والأماكنِ والأمم .

٩- قولُه تعالى:{إِذَا حَلَفْتُمْ }، فيه دقيقة، وهي التنبيهُ على أنَّ تقديمَ الكفَّارةِ قبلَ اليمينِ لا يجوزُ، وأمَّا بعدَ اليمينِ وقبل الحِنث فإنَّه يجوزُ .

١٠- أنَّ تقديرَ العباداتِ كمِّيةً ونوعًا وكيفيَّةً موكولٌ إلى الشَّرْع؛ لِقَوْلِه:{كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ}؛ ولذلك لا يَتقابَلُ أو لا يَتساوى إطعامُ عَشَرةِ مَساكينَ مع صِيام ثلاثةِ أيَّام، فكفَّارة الظِّهارِ الواجبُ فيها صِيامُ شَهرينِ متتابعين، فإنْ لم يجد فإطعامُ سِتِّينَ مِسكينًا، فجاءَ إطعامُ كلِّ فقيرٍ يُقابل صيامَ يومٍ، لكن هنا يختلفُ الوضع، ولعلَّ السببَ- والله أعلمُ - أنَّه في كَفَّارة الظِّهار الإطعامُ بدلٌ عن الصيامِ، فمن لم يستطعِ الصيامَ أطعَمَ، وإذا كان بدلًا عن الصِّيام، فالحُكم أنَّ صومَ كلِّ يوم يُطعِمُ عنه مِسكينًا، كما في العاجِزِ عن الصِّيام عجزًا لا يُرجَى زَوالُه، فإنَّه يُطعِمُ عن كلِّ يومٍ مسكينًا، أمَّا في كفَّارةِ اليمينِ وفِديةِ الأذى، فليس الأمرُ كذلك؛ لأنَّ الأمرَ فيهما على التخييرِ، فكلٌّ من خِصالِ الكفَّارة نوعٌ مستقلٌّ بنفْسِه .

١١- أنَّ الله سبحانه وتعالى بَيَّنَ لعبادِه من آياته كلَّ ما يحتاجون إليه؛ لِقَوْلِه:{كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ}.

١٢-وممَّا يُستَفادُ مِنْ قَوْلِه :{كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}، محبَّةُ الله تعالى للشُّكر؛ حيث بَيَّنَ الآياتِ لعِبادِه من أجْل أنْ يَشكُروه.

١٢-تعليل أحكامِ اللهِ عزَّ وجلَّ، وأنَّها مقرونة بالحِكمة؛ لأنَّ قَوْله:{لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} للتعليلِ، والتعليلُ يُفيد الحِكمة؛ فجميعُ أفعالِ اللهِ وأحكامِ اللهِ كلُّها لحِكمةٍ، لكنْ منها ما يُعلَم، ومنها ما لا يُعلَم.

---

(١) المغني:٩/٣٩٣.

القرآن

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٩٠)} [المائدة: ٩٠]

التفسير:

يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، إنما الخمر: وهي كل مسكر يغطي العقل، والميسر: وهو القمار، وذلك يشمل المراهنات ونحوها، مما فيه عوض من الجانبين، وصدٌّ عن ذكر الله، والأنصاب: وهي الحجارة التي كان المشركون يذبحون عندها تعظيمًا لها، وما ينصب للعبادة تقربًا إليه، والأزلام: وهي القِداح التي يستقسم بها الكفار قبل الإقدام على الشيء، أو الإحجام عنه، إن ذلك كله إثمٌ مِن تزيين الشيطان، فابتعدوا عن هذه الآثام، لعلكم تفوزون بالجنة.

في سبب النزول الآيات[٩٠-٩٣]، أقوال:

أحدها: عن سعد بن أبي وقاص: "أنه نزلت فيه آيات من القرآن؛ قال: حَلَفَت أم سعد أن لا تكلمه أبداً حتى يكفر بدينه، ولا تأكل ولا تشرب، قالت: زَعَمْت أن الله وصاك بوالديك، وأنا أمك، وأنا آمرك بهذا، قال: مكثت ثلاثاً حتى غشي عليها من الجَهْد، فقام ابن لها يقال له: عُمارة، فسقاها، فجعلت تدعو على سعد؛ فأنزل الله -عزّ وجلّ- في القرآن هذه الآية: {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي} [العنكبوت: ٨]، وفيها: {وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا}، قال: وأصاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - غنيمة عظيمة، فإذا فيها سيف فأخذته، فأتيت به الرسول - صلى الله عليه وسلم -، فقلت: نفلني هذا السيف؛ فأنا من قد علمت حاله، فقال: "رده من حيث أخذته"، فانطلقت، حتى إذا أردت أن ألقيه في القَبَض لامتني نفسي، فرجعت إليه، فقلت: أعطنيه، قال: فشد لي صوته: "رده من حيث أخذته"، قال: فأنزل الله -عزّ وجلّ-: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ} [الأنفال: ١]، قال: ومرضت فأرسلت إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فأتاني، فقلت: دعني أقسم مالي حيث شئت، قال: فأبى، قلت: فالنصف؟ قال: فأبى، قلت: فالثلث؟ قال: فسكت، فكان بعد الثلث جائزاً، قال: وأتيت على نفر من الأنصار والمهاجرين، فقالوا: تعال نطعمك ونسقيك خمراً، وذلك قبل أن تحرم الخمر، قال: فأتيتهم في حش -والحش: البستان- فإذا رأس جزور مشوي عندهم، وزقّ من خمر، قال: فأكلت وشربت معهم، قال: فذكرت الأنصار والمهاجرون عندهم، فقلت: المهاجرون خير من الأنصار، قال: فأخذ رجل أحد لحيى الرأس فضربني به فجرح بأنفي، فأتيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأخبرته؛ فأنزل الله -عزّ وجلّ- فيّ -يعني: نفسه- شأن الخمر: {إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ}"(١). [صحيح]

وفي السياق نفسه قال سالم بن عبد الله: "إن أول ما حرمت الخمر أن سعد بن أبي وقاص وأصحاباً له شربوا؛ فاقتتلوا، فكسروا أنف سعد؛ فأنزل الله: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٩٠)}"(٢). [ضعيف]

والثاني: قال عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما-: "نزل تحريم الخمر في قبيلتين من قبائل الأنصار، شربوا حتى إذا ثملوا عبث بَعضُهُم ببعض، فلما صَحَوا جعل الرجل يرى الأثر بوجهه وبرأسه وبلحيته، فيقول: قد فعل بي هذا أخي، وكانوا إخوة ليس في قلوبهم ضغائن، والله لو كان بي رؤوفاً رحيماً ما فعل بي هذا، فوقعت في قلوبهم الضغائن؛ فأنزل الله -عزّ وجلّ-: {إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ} إلى قوله: {فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ (٩١)}؛ فقال ناس: هي رجس، وهي في بطن فلان قتل يوم بدر، وفلان قتل يوم أحد؛ فأنزل الله -عزّ وجلّ-: {لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا

---

(١)أخرجه مسلم في "صحيحه" (٤/ ١٨٧٧، ١٨٧٨ رقم ١٧٤٨) وغيره.

(٢)أخرجه الطبري في "جامع البيان" (١٢٥٢١):ص١٠/٥٧٠، والواحدي في "الوسيط" (٢/ ٢٢٢) من طريق ابن وهب أنبأني عمرو بن الحارث: أن الزهري أخبره: أن سالم بن عبد الله حدثه به.

قلنا: وسنده صحيح رجاله ثقات؛ لكنه مرسل.

الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (٩٣)}"(١). [حسن]

الثالث: قال أبو هريرة:" حرمت الخمر ثلاث مرات، قدم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المدينة وهم يشربون الخمر ويأكلون الميسر، فسألوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عنهما؛ فأنزل الله على نبيه - صلى الله عليه وسلم -: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا} [البقرة: ٢١٩] إلى آخر الآية. فقال الناس: ما حرم علينا إنما قال: فيهما إثم كبير، وكانوا يشربون الخمر حتى إذا كان يوم من الأيام صلى رجل من المهاجرين أمَّ أصحابه في المغرب خلط في قراءته؛ فأنزل الله فيها آية أغلظ منها: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ} [النساء: ٤٣] وكان الناس يشربون حتى يأتي أحدهم الصلاة وهو مفيق؛ ثم أنزلت آية أغلظ من ذلك: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٩٠)}؛ فقالوا: انتهينا ربنا. فقال الناس: يا رسول الله! ناس قتلوا في سبيل الله أو ماتوا على فرشهم كانوا يشربون الخمر ويأكلون الميسر، وقد جعله الله رجساً ومن عمل الشيطان؛ فأنزل الله: {لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ} إلى آخر الآية، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: "لو حرمت عليهم لتركوها كما تركتم"(٢). [ضعيف]

---

(١)أخرجه النسائي في "تفسيره" (١/ ٤٤٧، ٤٤٨ رقم ١٧١)، والطبري في جامع البيان(١٢٥٢٢):ص٥٧١، والطبراني في "المعجم الكبير" (١٢/ ٤٤، ٤٥ رقم ١٢٤٥٩) -ومن طريقه الضياء المقدسي في "الأحاديث المختارة" (١٠/ ٣٤١، ٣٤٢ رقم ٣٧٠) -، والحاكم (٤/ ١٤١، ١٤٢)، والبيهقي في "السنن الكبرى" (٨/ ٢٨٥، ٢٨٦) من طريقين عن ربيعة بن كلثوم بن جبر عن أبيه عن سعيد بن جبير عنه به.

قلنا: وهذا إسناد حسن؛ رجاله رجال الصحيح، فربيعة بن كلثوم وثقه ابن معين والعجلي وابن شاهين، وقال أحمد: صالح. وضعفه النسائي مرة، وقال مرة أخرى: ليس به بأس، ولخصه الحافظ بقوله: صدوق يهم.

انظر: "الجرح والتعديل" (٣/ ٤٧٧، ٤٧٨ رقم ٢١٤٥)، و"الثقات" للعجلي (رقم ٤٣٤)، و"التهذيب" (٣/ ٢٦٣)، و"التقريب" (١/ ٢٤٨).

وكلثوم بن جبر؛ وثقه أحمد وابن معين والعجلي وابن حبان وابن شاهين، وقال النسائي: ليس بالقوي، ولخصه الحافظ بقوله: "صدوق يخطئ".

انظر: "الجرح والتعديل" (٧/ ١٦٤ رقم ٩٢٦)، و"الثقات" للعجلي (رقم ١١٨٤)، و"التهذيب" (٨/ ٤٤٢)، و"التقريب" (٢/ ١٣٦).

وسكت عنه الحاكم، وتعقبه الذهبي بقوله: "صحيح على شرط مسلم".

وقد نقل السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ١٥٨) تصحيحه عن الحاكم.

وقال الهيثمي في "مجمع الزوائد" (٧/ ١٨): "رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح".

وسكت عنه الحافظ في "فتح الباري" (٨/ ٢٧٩).

وزاد نسبته في "الدر المنثور" لعبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ وابن مردويه.

(٢)أخرجه أحمد في "مسنده" (٢/ ٣٥١): ثنا سريج بن النعمان: ثنا أبو معشر عن أبي وهب مولى أبي هريرة عن أبي هريرة به.

قلنا: وهذا سند ضعيف؛ فيه علتان:

الأولى: أبو وهب مولى أبي هريرة؛ مجهول لا يعرف؛ كما في "تعجيل المنفعة" (ص ٥٢١).

الثانية: أبو معشر؛ نجيح السندي؛ ضعيف أسن واختلط؛ كما في "التقريب" (٢/ ٢٩٨).

وقال الحافظ ابن حجر في "الكافي الشاف" (رقم ٤٧٨): "إسناده ضعيف؛ فإنه من رواية أبي معشر؛ عن أبي وهب، وأبو معشر ضعيف".

ونقله عنه المناوي في "الفتح السماوي" (٢/ ٥٨٦).

وقال العلامة الشيخ أحمد شاكر في "تحقيق المسند" (٦/ ٢٥٤ رقم ٨٦٠٥):

"إسناده ضعيف؛ لضعف أبي معشر نجيح، ولجهالة أبي وهب مولى أبي هريرة".

وقد قال الحافظ ابن كثير في "تفسيره" (٢/ ٩٥): "انفرد به أحمد".

* ملاحظة: تصحف اسم شيخ الإمام أحمد في كل من "تعجيل المنفعة"، و"تفسير القرآن العظيم" -طبع دار المعرفة-، و"تخريج أحاديث تفسير الكشاف" للزيلعي من سريج إلى شريح؛ فليحرر.

الرابع: قال ابن عمر: "نزل في الخمر ثلاث آيات؛ فأول شيء نزل: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ}؛ فقيل: حرمت الخمر، فقالوا: يا رسول الله! دعنا ننتفع بها كما قال الله، فسكت عنهم، ثم نزلت هذه الآية: {لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى}؛ فقيل: حرمت الخمر، فقالوا: يا رسول الله! لا نشربها قرب الصلاة، فسكت عنهم، ثم نزلت: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ} [المائدة: ٩٠] الآية، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "حرمت الخمر"، قال: وقدمت لرجل راوية من الشام -أو روايا- فقام النبي - صلى الله عليه وسلم - وأبو بكر وعمر ولا أعلم عثمان إلا معهم، فانتهوا إلى الرجل، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "خل عنا نشقها"، فقال: يا رسول الله! أفلا نبيعها؟ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "إن الله لعن الخمر، ولعن غارسها، ولعن شاربها, ولعن عاصرها, ولعن موكلها, ولعن مديرها, ولعن ساقيها, ولعن حاملها, ولعن آكل ثمنها, ولعن بائعها"[١].[منكر]

الخامس: عن جابر بن عبد الله: "اصطبح ناس الخمر من أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - ثم قتلوا شهداء يوم أُحد، فقالت اليهود: فقد مات بعض الذين قتلوا وهي في بطونهم؛ فأنزل الله: {لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (٩٣)}"[٢]. [صحيح]

السادس: عن البراء بن عازب؛ قال: "مات ناس من أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - وهم يشربون الخمر، فلما نزل تحريمها؛ قال ناس من أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم -: فكيف بأصحابنا الذين ماتوا وهم يشربونها؟ فنزلت: {لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (٩٣)} "[٣]. [صحيح لغيره]

---

(١)أخرجه الطيالسي في "المسند" (رقم ١٩٥٧) -ومن طريقه البيهقي في "شعب الإيمان" (٥/ ٤، ٥ رقم ٥٥٧٠)، وابن أبي حاتم في "تفسيره" (٢/ ٣٨٩ رقم ٢٠٤٦) -، وابن جرير في "جامع البيان" (٤١٤٣):ص٣٣١/٤، من طريق محمد بن أبي حميد عن أبي توبة المصري عن ابن عمر به.

قلنا: وسنده ضعيف؛ فيه علتان:

الأولى: جهالة أبي توبة المصري.

قلنا: هو مجهول، وقد ذكره الحافظ في "اللسان" (٧/ ٢٣)، وقال: "أبو توبة المصري عن ابن عمر -رضي الله عنهما- روى عنه محمد بن أبي حميد، قال ابن عساكر: "لم أجد له ذكراً في شيء من الكتب"، قلت: وفي حديثه عن ابن عمر -رضي الله عنهما- في لعن شارب الخمر زيادة منكرة قال فيه: "ولعن غارسها". اهـ.

الثانية: محمد بن أبي حميد ضعفه أحمد وابن معين والبخاري والنسائي وأبو زرعة والترمذي وغيرهم.

وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ١٥٧، ١٥٨) وزاد نسبته لابن مردويه.

(٢)أخرجه البزار في "مسنده"؛ كما في "تفسير القرآن العظيم" (٢/ ٩٨، ٩٩): ثنا أحمد بن عبدة ثنا سفيان عن عمرو بن دينار سمع جابراً (فذكره).

قال البزار: "وهذا إسناد صحيح".

قال ابن كثير: "وهو كما قال، وفي سياقه غرابة".

وسكت عليه الحافظ في "الفتح" (٨/ ٢٧٩) مشيراً إلى تقويته.

قلنا: وهذا سند صحيح على شرط مسلم، وأصله في البخاري (٦/ ٣١ رقم ٢٨١٥، ٧/ رقم ٤٠٤٤، ٨/ ٢٧٧ رقم ٤٦١٨) بلفظ: صبح أناس غداة أُحد الخمر، فقتلوا من يومهم جميعاً شهداء وذلك قبل تحريمها.

(٣)أخرجه الطيالسي في "مسنده" (ص ٧١٥)، وعبد بن حميد في "تفسيره"؛ كما في "الدر المنثور" (٣/ ١٧٢) -وعنه الترمذي (٥/ ٢٥٤ رقم ٣٠٥٠) -، والطبري في "جامع البيان" (٧/ ٢٥)، والترمذي (٥/ ٢٥٤، ٢٥٥ رقم ٣٠٥١)، وأبو يعلى في "المسند" (٣/ ٢٦٥، ٢٦٦ رقم ١٧١٩، ١٧٢٠)، وابن حبان في "صحيحه" (رقم ١٧٤٠ - موارد)، وابن أبي حاتم في "تفسيره" (٤/ ١٢٠١ رقم ٦٧٧٥)، والواحدي في "أسباب النزول" (ص ١٤٠، ١٤١) من طريق إسرائيل وشعبة عن أبي إسحاق عن البراء به.

قلنا: وهذا سند ظاهره الصحة، لكن قال شعبة: قلت لأبي إسحاق: أسمعته من البراء؟ قال: لا. ذكره أبو يعلى عقب روايته للحديث.

قلنا: وهذا نص صريح -وهو من الأدلة الكثيرة- أن أبا إسحاق السبيعي كان يدلس، وقد اعترف أنه لم يسمع هذا الحديث من البراء؛ لكن يشهد له حديث ابن عباس وابن مسعود السابقين ويرتقي إلى درجة الصحيح.

وقال الترمذي: "هذا حديث حسن صحيح"، وصححه ابن حبان.

السادس: قال عبد الله بن مسعود: "لما نزل تحريم الخمر، قالت اليهود: أليس إخوانكم الذين ماتوا كانوا يشربونها؟ فأنزل الله -عزّ وجلّ-: {لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا} قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "فقيل لي: إنك منهم"[1]. [ضعيف]

وفي السياق نفسه قال مجاهد:"نزلت: {لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا} فيمن قتل ببدر وأحد مع محمد - صلى الله عليه وسلم –"[2]. [ضعيف]

السابع: قال السمرقندي :"يقال: إن بعض الصحابة كانوا في سفرة فشربوا منها بعد التحريم، ولم يعرفوا تحريمها. فلما رجعوا سألوا عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل: {لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا}، يعني: شربوا قبل تحريمها"[3].

قوله تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} [المائدة: ٩٠]، أي:" يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه"[4].

قال ابن عباس:" ما أنزل الله آية في القرآن، يقول فيها: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا}، إلا كان على شريفها وأميرها"[5].

قال سعيد بن جبير:"قوله: {آمنوا بالله}، يعني: بتوحيد الله"[6].

قال ابن مسعود رضي الله عنه: "إذا سمعت الله يقول: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} فأرعها سمعك؛ فإنه خير يأمر به، أو شر ينهى عنه"[2].

قوله تعالى:{إِنَّمَا الْخَمْرُ} [المائدة: ٩٠]، أي:" إنما الخمر: وهي كل مسكر يغطي العقل"[7].

و«الخمر»:" كل ما أسكر على وجه اللذة، والطرب"[8].

قال الطبري: و" {الخمر} كل شراب خمَّر العقل فستره وغطى عليه"[9].

قال الشوكاني: " وسمي خمرا لأنه يخمر العقل أي يغطيه ويستره"[10].

وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ١٧٢) وزاد نسبته لابن المنذر وأبي الشيخ وابن مردويه.

(١)أخرجه الطبراني في "المعجم الكبير" (١٠/ ٧٧، ٧٨ رقم ١٠٠١١)، والبزار في "البحر الزخار" (٤/ ٣٢٥ رقم ١٥١٣)، والحاكم (٤/ ١٤٣، ١٤٤) جميعهم من طريق سليمان بن قرم عن الأعمش عن إبراهيم النخعي عن علقمة عن ابن مسعود به.

قلنا: وسنده ضعيف؛ فيه سليمان بن قرم؛ سيئ الحفظ، يتشيع؛ كما في "التقريب" (١/ ٣٢٩).

قال الحاكم: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي!!.

وقال الهيثمي في "مجمع الزوائد" (٧/ ١٨): "في "الصحيح" بعضه، ورجاله ثقات".

وهو وهم منهم جميعاً -رحمهم الله-.

وقد أخرجه مسلم في "صحيحه" (٤/ ١٩١٠ رقم ٢٤٥٩) -مختصرًا- بلفظ: "لما نزلت هذه الآية: {لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (٩٣)} قال لي رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "قيل لي: أنت منهم".

(٢)أخرجه ابن جرير في "جامع البيان"(١٢٥٣٠):ص٥٨٠/١٠، بسند صحيح إلى ابن جريج عن مجاهد به.

قلنا: وهذا سند ضعيف؛ فيه علتان:

الأولى: الإرسال.

الثانية: ابن جريج لم يسمع من مجاهد.

(٣) بحر العلوم:٤١٧/١، ولم أقف عليه.

(٤) التفسير الميسر:١٢٢.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٣٥):ص١٩٦/١.

(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(٦١٠٤):ص١٠٩٠/٤.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٣٧):ص ١٩٦/١، و(٥٠٢٧):ص٩٠٢/٣

(٧) التفسير الميسر:١٢٢.

(٨) تفسير ابن عثيمين: ٦٧/٣.

(٩) تفسير الطبري: ٣٢٠/٤.

(١٠) فتح القدير: ٢٢١/١.

قال الصابوني: "{الخمر} المسكر من الأشربة سميت خمرا لأنها تستر العقل وتغطيه، وقولهم: خمرت الغناء أي غطيته"(١).

أخرج ابن أبي حاتم بسنده عن عبد الله بن عمر بن الخطاب، قال: "قام عمر على. فحمد الله واثنى عليه، ثم قال: الا وان الخمر نزل تحريمها يوم نزل، من خمس: من العنب و العسل والتمر والحنطة والشعير والخمر: ما خامر العقل، ثلاثا"(٢) .

وقال سعيد بن المسيب: "إنما سميت الخمر، لأنها صفا صفوها وسفل كدرها"(٣).

وقد ذكر ابن القيم: بأن "في تسمية الخمر خمرا، ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها سميت خمرا لأنها تخامر العقل أي تخالطه.

والثاني: لأنها تخمر العقل أي تستره.

والثالث: لأنها تخمر أي تغطي.

ذكر هذه الاقوال محمد بن القاسم "(٤).

قوله تعالى:{وَالْمَيْسِرُ} [المائدة: ٩٠]، أي:" والميسر: وهو القمار"(٥).

و{الْمَيْسِرُ}: من قولهم: يسَرَ لي هذا الأمر، إذا وجب لي، فهو يَيْسِر لي يَسَرًا وَميسِرًا، و«الياسر» الواجب، بقداح وَجب ذلك، أو فُتاحة أو غير ذلك، ثم قيل للمقامر،:ياسرٌ ويَسَر، كما قال الشاعر(٦):

فَبِتُّ كَأَنَّنِي يَسَرٌ غَبِينٌ يُقَلِّبُ، بَعْدَ مَا اخْتُلِعَ، القِدَاحَا

وكما قال النابغة (٧):

أَوْ يَاسِرٌ ذَهَبَ القِدَاح بوَفْرِهِ أَسِفٌ تآكَلَهُ الصَّدِيقُ مُخَلَّعُ (٨).

يعني:بالـ«ياسر»: المقامر.

وقيل للقمار:«ميسر»؛ وهو كل كسب عن طريق المخاطرة، والمغالبة؛ وضابطه: أن يكون فيه بين غانم، وغارم(٩).

قال الراغب: «الميسر»: آلة اليسر، أي الضرب بالقداح ويقال للضارب به ياسر، وسمي الجاذر، وذلك الجذور ياسراً تشبيهاً به، وأصله من اليسر، وهو ضد العسر، وسمي الغنى يسراً، وسمي ذلك يسراً لاعتقادهم أنه غني للفقراء"(١٠).

قال القرطبي: { وَالْمَيْسِرُ}: "قمار العرب بالأزلام"(١١)

قال الصابوني: "{الميسر}: القمار وأصله من اليسر لأنه كسب من غير كد ولا تعب، وقيل من اليسار، لأنه سبب الغنى"(١٢).

---

(١) صفوة التفاسير: ١٢٥/١.
(٢) تفسير ابن أبي حاتم(٢٠٤٧):ص ٣٨٩/٢.
(٣) تفسير ابن أبي حاتم(٢٠٤٩):ص ٣٩٠/٢.
(٤) زاد المسير: ٢٣٩/١.
(٥) التفسير الميسر:١٢٢.
(٦)ديوانه : ١٧ ، من قصيدة يذكر فيها فتوح عمر بن عبيد الله بن معمر التيمي ، سلف منها بيتان في ٢ : ١٥٧ . واقرأ التعليق هناك رقم : ٢ . ولمعت الرايات : خفقت . وقوله : " يوجه الأرض " يعني جيش عمر ، أي يقشر وجهها من شدة وطئه وكثرته وسرعة سيره ، يشبهه بالسيل . يقال : " وجه المطر الأرض " ، قشر وجهها وأثر فيه . وقوله : " يستاق الشجر " ، يقول : جيشه كالسيل المنفجر المتدافع يقشر الأرض ، ويختلع شجرها ، ويسوقه .
(٧)لم أعرف قائله . والغبين والمغبون : الخاسر . واختلع (بالبناء للمجهول) : أي قمر ماله وخسره ، فاختلع منه ، أي انتزع . والمخالع المقامر ، والمخلوع : المقمور ماله . يقول : إنه بات ليلته حزينًا كاسفًا مطرقًا ، إطراق المقامر الذي خسر كل شيء ، فأخذ يقلب في كفيه قداحه مطرقًا متحسرا على ما أصابه ونكبه .
(٨) انظر: تفسير الطبري: ٣٢١/٤-٣٢٢، وتفسير ابن عثيمين: ٢٦/٣.
(٩) انظر: تفسير الطبري: ٣٢١/٤-٣٢٢، وتفسير ابن عثيمين: ٢٦/٣.
(١٠) تفسير الراغب الأصفهاني: ٤٥٠/١.
(١١) تفسير القرطبي: ٥٢/٣.
(١٢) صفوة التفاسير: ٣٨٩/١.

وقد تعددت أقوال أهل التفسير في معنى:{ الْمَيْسِرُ}[البقرة:٢١٩]، على وجوه:

أحدها: أنه القمار. قاله ابن عمر[١]، ومجاهد[٢]، وروي عن عبد الله بن مسعود[٣]، وابن عباس[٤]، وسعيد بن جبير[٥]، والحسن[٦]، وعطاء[٧]، وطاوس[٨]، ومحمد بن سيرين[٩]، وقتادة[١٠]، والضحاك[١١]، ومكحول[١٢]، والسدي[١٣]، ومقاتل بن حيان[١٤].

والثاني: أنه الشطرنج. قاله علي[١٥].

الثالث: أنه بيع اللحم بالشاة والشاتين[١٦].

الرابع: أن كل ما لهى عن ذكر الله وعن الصلاة، فهو ميسر. وهذا قول القاسم بن محمد[١٧].

الخامس: أنه الضرب بالقداح على الأموال والثمار. قاله الأعرج[١٨].

السادس: أنه الضرب بالكعاب[١٩].

أخرج ابن أبي حاتم بسنده عن عن يزيد بن شريح، ان النبي- صلى الله عليه وسلم-، قال: "ثلاث من الميسر: الصغير بالحمام، والقمار، والضرب بالكعاب"[٢٠] .

قال القرطبي: "وكل ما قومر به فهو ميسر عند مالك وغيره من العلماء"[٢١].

قوله تعالى:{وَالْأَنْصَابُ} [المائدة: ٩٠]، أي:" والأنصاب: وهي الحجارة التي كان المشركون يذبحون عندها تعظيمًا لها، وما ينصب للعبادة تقربًا إليه"[٢٢].

قوله تعالى:{وَالْأَزْلَامُ} [المائدة: ٩٠]، أي:" والأزلام: وهي القِداح التي يستقسم بها الكفار قبل الإقدام على الشيء، أو الإحجام عنه"[٢٣].

قوله تعالى:{رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ} [المائدة: ٩٠]، أي:" إن ذلك كله إثمٌ مِن تزيين الشيطان"[٢٤].

قال سعيد بن جبير:" يعني: إنما يعني ما ذكر من الخمر والميسر والأنصاب والأزلام"[١]، " إثم"[٢]، " من عمل الشيطان يعني من تزيين الشيطان"[٣].

---

(١) تفسير الطبري(٤١٢٧):ص٣٢٤/٤-٣٢٥، وتفسير ابن أبي حاتم(٢٠٥٠):ص ٣٩٠/٢.
(٢) تفسير الطبري(٤١٠٧):ص ٣٢٢/٤.
(٣) تفسير الطبري(٤١٠٨):ص ٣٢٢/٤.
(٤) تفسير الطبري(٤١٢١):ص ٣٢٤/٤.
(٥) تفسير الطبري(٤١٢٤):ص ٣٢٤/٤.
(٦) تفسير الطبري(٤١١٥):ص ٣٢٣/٤.
(٧) تفسير الطبري(٤١١٦):ص ٣٢٣/٤.
(٨) تفسير الطبري(٤١١٦):ص ٣٢٣/٤.
(٩) تفسير الطبري(٤١١١):ص ٣٢٣/٤.
(١٠) تفسير الطبري(٤١٢٠):ص ٣٢٤/٤.
(١١) تفسير الطبري(٤١٢٥):ص ٣٢٤/٤.
(١٢) تفسير الطبري(٤١٢٩):ص ٣٢٥/٤.
(١٣) تفسير الطبري(٤١٢٢):ص ٣٢٤/٤.
(١٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:٣٩٠/٢.
(١٥) تفسير ابن أبي حاتم(٢٠٥٤):ص ٣٩١/٢.
(١٦) تفسير ابن أبي حاتم(٢٠٥٥):ص ٣٩١/٢.
(١٧) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٢٠٥٦):ص ٣٩١/٢.

(١٨) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٢٠٥٧):ص ٣٩١/٢.

(١٩) تفسير ابن أبي حاتم(٢٠٥٨):ص ٣٩١/٢.
(٢٠) تفسير ابن أبي حاتم(٢٠٥٨):ص ٣٩١/٢.
(٢١) تفسير القرطبي: ٥٣/٣.
(٢٢) التفسير الميسر:١٢٢.
(٢٣) التفسير الميسر:١٢٢.
(٢٤) التفسير الميسر:١٢٢.

قال ابن عباس:" يقول: سَخَطٌ"[٤].
قال ابن زيد:" الرجس، الشرُّ"[٥].
قال الزجاج:" الرجس في اللغة: اسم لكل ما استقذر من عمل، فبالغ الله في ذم هذه الأشياء، وسماها رجسا، وأعلم أن الشيطان يسول ذلك لبني آدم، يقال رجس الرجل يرجس، ورجس يرجس، إذا عمل عملا قبيحا، والرجس بفتح الراء شدة الصوت، فكان الرجس العمل الذي يقبح ذكره، ويرتفع في القبح، ويقال: سحاب ورعد رجاس، إذا كان شديد الصوت.
قال الشاعر[٦]:
وكل رجاس يسوق الرجسا
وأما الرجز، بالزاي فالعذاب، أو العمل الذي يؤدي إلى العذاب"[٧].
قوله تعالى:{فَاجْتَنِبُوهُ} [المائدة: ٩٠]، أي:" فابتعدوا عن هذه الآثام"[٨].
قال ابن كثير:" الضمير عائد على الرجس، أي اتركوه"[٩].
قال الواحدي:" أي: كونوا جانبًا منه، والهاء عائدة على الرجس، والرجس واقع على الخمر وما ذكر بعدها، وقد قرن الله تعالى تحريم الخمر بتحريم عبادة الأوثان تغليظًا وإبلاغًا في النهي عن شربها , ولذلك قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "مدمن الخمر كعابد الوثن"[١٠]"[١١].
قال ابن عمر:" ثم نزلت يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت الخمر"[١٢].
قال سعيد بن جبير:" فهذا تحريمهن كما قال الله: {فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ}[١٣]، يعني: عبادة الأصنام فحرم الخمر كما حرم عبادة الأصنام"[١٤].
قوله تعالى:{لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [المائدة: ٩٠]، أي:"لعلكم تفوزون بالجنة"[١٥].
قال سعيد بن جبير:"يعني: لكي تفلحون"[١٦].
قال محمد بن كعب القرظي:" يقول: لعلكم غدا إذا لقيتموني"[١٧].
قال محمد بن إسحاق:" أي: لعلكم أن تنجوا مما حذركم الله به من عذابه وتدركون ما وعدكم فيه من ثوابه"[١٨].
قال ابن كثير:" وهذا ترغيب "[١].

---

(١) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٧٥٩):ص١١٩٩/٤.
(٢) حكاه عنه ابن كثير:١٧٩/٣.
(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٧٦١):ص١١٩٩/٤.
(٤) أخرجه الطبري(١٢٥١٠):ص٥٦٥/١٠.
(٥) أخرجه الطبري(١٢٥١١):ص٥٦٥/١٠.
(٦)هذا الرجز منسوب للعجاج كما في حاشية "معاني الزجاج" ٢/ ٢٠٤، "تهذيب اللغة" ٢/ ١٣٦٧ (رجس).
(٧) معاني القرآن:٢٠٣/٢-٢٠٤.
(٨) التفسير الميسر:١٢٢.
(٩) تفسير ابن كثير:١٧٩/٣.
(١٠)أخرجه البخاري في تاريخه ١/ ١٢٩، ٣/ ٥١٥، والبيهقي في "شعب الإيمان" ٥/ ١٢، وصححه الألبانى. انظر: "صحيح الجامع الصغير" ٥/ ٢٠٥ برقم ٥٧٣٧.
(١١) التفسير البسيط:٥١٠/٧.
(١٢) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٧٦٢):ص١١٩٩/٤.
(١٣)[الحج : ٣٠].
(١٤) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٧٦٣):ص١١٩٩/٤.
(١٥) التفسير الميسر:١٢٢.
(١٦) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٧٦٤):ص١٢٠٠/٤.
(١٧) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٧٦٥):ص١٢٠٠/٤.
(١٨) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٧٦٦):ص١٢٠٠/٤.

الفوائد:
١-بَدْؤُه تعالى الكلامَ بهذا الوَصْفِ:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا}، يدلُّ على أنَّ العملَ به تَصديقًا أو امتثالًا من مقتضياتِ الإيمان، كذلك أيضًا: يدلُّ على أنَّ مخالفتَه، أو الشكَّ فيه، أو تكذيبَه منافٍ للإيمان؛ إمَّا لأصلِه أو لكمالِه، وثالثًا: أنَّ في هذا إغراءً للمخاطَب، كأنَّه يقول: إنْ كنتَ مؤمنًا فاستمعْ وامتثِلْ .

٢-يَكفي أنْ يعلمَ المؤمنُ أنَّ شيئًا ما مِن عملِ الشَّيطان؛ لينْفِرَ منه حسُّه، وتَشمئزَّ منه نفْسُه، ويَبعُدَ عنه من خوفٍ ويتَّقيَه! فالشيطانُ عدوُّ الإنسانِ القديم؛ لذا قال تعالى:{رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ}، فتَعاطي هذه المحرَّماتِ بتسويلٍ من الشيطان، فكأنَّ الذي عمِلَها وتعاطاها هو الشَّيطانُ، وفي ذلِك تنفيرٌ لمتعاطيها بأنَّه مَن عَمِلَ عَمَلَ الشيطانِ، فهو شيطانٌ، وذلك ممَّا تأباه النُّفوسُ، ولم يكتفِ بذلك ذمًّا لهذا العَمَل، بل وفي هذه اللَّحظة يَصدُر النَّهيُ مصحوبًا كذلك بالإطماع في الفَلاح، وهي لمسة أخرى من لمساتِ الإيحاءِ النفسيِّ العميق، فقال:{فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}.

٣- قوْلُه تعالى:{رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ}، فيه بيانُ أنَّه لا مَعصية أعظمُ وأقبحُ من معصيةٍ تُدنِّس صاحبَها، وتجعلُه من أهل الخُبثِ، وتُوقِعُه في أعمالِ الشَّيطان وشِباكه، فينقادُ له كما تنقادُ البهيمةُ الذليلةُ لراعيها، وتَحولُ بين العبدِ وبين فلاحِه، وتُوقِعُ العداوةَ والبغضاءَ بين المؤمنين، وتصدُّ عن ذِكر اللهِ وعن الصَّلاة؟ فهل فوقَ هذه المفاسدِ شيءٌ أكبرُ منها ؟ !

٤-رحمةُ اللهِ تبارَك وتعالَى بعِبادِه الَّذين خَلَقَهم لعِبادتِه؛ حيثُ حذَّرهم مِن كلِّ ما فيه ضَررٌ؛ لِقوْلِه:{فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ }.

القرآن

{إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ (٩١)} [المائدة : ٩١]

التفسير:

إنما يريد الشيطان بتزيين الآثام لكم أن يُلقِي بينكم ما يوجد العداوة والبغضاء، بسبب شرب الخمر ولعب الميسر، ويصرفكم عن ذكر الله وعن الصلاة بغياب العقل في شرب الخمر، والاشتغال باللهو في لعب الميسر، فانتهوا عن ذلك.

قوله تعالى:{إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ } [المائدة : ٩١]، أي:" إنما يريد الشيطان بتزيين الآثام لكم أن يُلقِي بينكم ما يوجد العداوة والبغضاء، بسبب شرب الخمر ولعب الميسر"(٢).

قال القرطبي: "وكل ما قومر به فهو ميسر عند مالك وغيره من العلماء"(٣).

قال الطبري:أي:" إنما يُريد لكم الشيطانُ شربَ الخمر والمياسرةَ بالقِدَاح، ويحسِّن ذلك لكم، إرادةً منه أن يوقع بينكم العَداوَة والبغضاءَ في شربكم الخمر ومياسرتكم بالقداح، ليعادي بعضكم بعضًا، ويبغِّض بعضكم إلى بعض، فيشتِّت أمركم بعد تأليف الله بينكم بالإيمان، وجمعه بينكم بأخوّة الإسلام"(٤).

قال الواحدي:" وذلك لما يحصل بين أهلها من العداوة والمقابح والإقدام على ما يمنع منه العقل"(٥).

قال السمعاني:" أما وقوع العداوة في الخمر: أن شاربيه إذا سكروا عربدوا، وتشاجروا"(١).

---

(١) تفسير ابن كثير:١٧٩/٣.
(٢) التفسير الميسر:١٢٣.
(٣) تفسير القرطبي: ٥٣/٣.
(٤) تفسير الطبري:٥٦٥/١٠.
(٥) الوجيز:٣٣٤.

قال سعيد بن جبير:" يعني: حين شج الأنصاري رأس سعد بن أبي وقاص"[٢].
قال سعد: "صنع لنا رجل من الأنصار طعاما فأكلناه وشربنا الخمر وذلك قبل أن تحرم الخمر، فأنشبنا نتفاخر فأنتشينا فتفاخرنا، فقلنا: نحن أفضل منكم وقالت الأنصار: نحن أفضل منكم فأخذ رجل من الأنصار لحى فضرب به أنف سعد فشجه. فنزلت :{إنما الخمر والميسر} الآية"[٣].

وأما العداوة في الميسر، قال قتادة:" ان الرجل في الجاهلية يقامِر على أهله وماله، فيقعد حَرِيبًا سليبًا ينظر إلى ماله في يَدَي غيره، فكانت تُورث بينهم عداوة وبغضاءَ، فنهى الله عن ذلك وقدَّم فيه. والله أعلم بالذي يصلح خلقه"[٤].

وقال ابن عباس:" نزل تحريم الخمر في قبيلتين من قبائل الأنصار شربوا، حتى إذا ثملوا، عبث بعضهم على بعض، فلما أن صَحَوْا جعل الرجل منهم يرى الأثر بوجهه ولحيته فيقول: فعل بي هذا أخي فلان! وكانوا إخوة، ليس في قلوبهم ضغائن والله لو كان بي رءوفًا رحيمًا ما فعل بي هذا! حتى وقعت في قلوبهم ضغائن، فأنزل الله:{إنما الخمر والميسر} إلى قوله:{فهل أنتم منتهون}!"[٥].

قال الجصاص:" فأخبر الله تعالى أنه إنما نهى عن هذه الأمور لنفي الاختلاف والعداوة ولما في ارتكابها من الصد عن ذكر الله وعن الصلاة فمن تأدب بأدب الله وانتهى إلى أوامره وانزجر بزواجره حاز صلاح الدين والدنيا"[٦].

قال ابن عطية:" أعلم تعالى عباده أن الشيطان إنما يريد أن تقع العداوة بسبب الخمر، وما كان يغري عليها بين المؤمنين وبسبب الميسر إذ كانوا يتقامرون على الأموال والأهل، حتى ربما بقي المقمور حزينا فقيرا فتحدث من ذلك ضغائن وعداوة، فإن لم يصل الأمر إلى حد العداوة كانت بغضاء، ولا تحسن عاقبة قوم متباغضين، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم: «ولا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا»[٧]، وباجتماع النفوس والكلمة يحمى الدين ويجاهد العدو، والبغضاء تنقض عرى الدين وتهدم عماد الحماية"[٨].

قال السعدي:" أخبر عن مفاسدها الداعية إلى تركها واجتنابها، فمنها: أن هذه موجبة للعداوة والبغضاء بين الناس، والشيطان حريص على بثها، خصوصا الخمر والميسر، ليوقع بين المؤمنين العداوة والبغضاء، فإن في الخمر من انغلاب العقل وذهاب حجاه، ما يدعو إلى البغضاء بينه وبين إخوانه المؤمنين، خصوصا إذا اقترن بذلك من السباب ما هو من لوازم شارب الخمر، فإنه ربما أوصل إلى القتل، وما في الميسر من غلبة أحدهما للآخر، وأخذ ماله الكثير في غير مقابلة، ما هو من أكبر الأسباب للعداوة والبغضاء"[٩].

قال المراغي:" أما كون الخمر سببا لوقوع العداوة والبغضاء بين الناس حتى الأصدقاء منهم، فلأن شارب الخمر يسكر فيفقد العقل الذي يمنع من الأقوال والأعمال القبيحة التي تسوء الناس، كما يستولى عليه حب الفخر الكاذب، ويسرع إليه الغضب بالباطل، وكثيرا ما يجتمع الشرب

---

(١) تفسير السمعاني:٦٢/٢.
(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٧٦٨):ص١٢٠٠/٤.
(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٧٦٧):ص١٢٠٠/٤.
(٤) أخرجه الطبري(١٢٥٢٤):ص٥٧٣/١٠.
(٥) أخرجه الطبري(١٢٥٢٢):ص٥٧١/١٠.
(٦) أحكام القرآن:١٢٨/٤.
(٧) الحديث:" لحديث: (لا تحاسدوا ولا تدابروا ولا تباغضوا وكونوا عباد الله إخوانا "، أخرجه البخاري في الصحيح (٦٠٦٤ و٦٠٦٦ و٦٠٧٦)، وفي الأدب المفرد (٤٠٨)، ومسلم (٢٥٥٩ و٢٥٦٣ و٢٥٦٤)، وأبو داود الطيالسي (٢٠٩١)، وأحمد (٢ ٢٧٧ و٤٦٩) و (٣ ١٦٥ و٢٠٩)، والترمذي (١٩٣٥)، وأبو يعلى (٣٦١٢)، والقضاعي في مسنده (٩٣٩)، والطبراني في الصغير (٢٨٠)، والبيهقي في السنن الكبرى (١١٢٧٦ و١٤٥٥٠ و١٦٩٠٦).
(٨) المحرر الوجيز:٢٣٤/٢.
(٩) تفسير السعدي:٢٤٣.

على مائدة الشراب فيثير السكر كثيرا من ألوان البغضاء بينهم، وقد ينشأ القتل والضرب والسلب والفسق والفجور وإفشاء الأسرار وهتك الأستار وخيانة الحكومات والأوطان، وأما الميسر فهو مثار العداوة والبغضاء بين المتقامرين، فإن تعداهم فإلى الشامتين والعائبين ومن تضيع عليهم حقوقهم من الدائنين وغير الدائنين، وكثيرا ما يفرط المقامر فى حقوق الوالدين والزوج والأولاد حتى يوشك أن يمقته كل أحد.

والميسر مع ما فيه من التوسعة على المحتاجين، فيه إجحاف بأرباب الأموال، لأن من صار مغلوبا فى القمار مرة دعاه ذلك إلى اللجاج فيه رجاء أن يغلب فيه مرة أخرى، وقد يتفق ألا يحصل له ذلك إلى ألا يبقى له شيء من المال، ولا شك أنه بعد ذلك سيصير فقيرا مسكينا، ويصير من أعدى الأعداء لأولئك الذين كانوا له غالبين"(١).

قوله تعالى:{وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ } [المائدة : ٩١]، أي:" ويصرفكم عن ذكر الله وعن الصلاة بغياب العقل في شرب الخمر والاشتغال باللهو في لعب الميسر"(٢).

قال مقاتل:" يقول: إذا سكرتم لم تذكروا الله- عز وجل- وإذا سكرتم لم تصلوا"(٣).

قال السمرقندي:" يعني: عن طاعة الله، وعن الصلاة لأنهم منعوا عن الصلاة إذا كانوا سكارى. ولأنه إذا سكر لا يعقل الطاعة وأداء الصلاة"(٤).

قال الواحدي :"لأنَّ مَن اشتغل بهما منعاه عن ذكر الله والصَّلاة"(٥).

قال الطبري:" يقول: ويصرفكم بغلبة هذه الخمر بسكرها إياكم عليكم، وباشتغالكم بهذا الميسر، عن ذكر الله الذي به صلاح دنياكم وآخرتكم ، {وعن الصلاة}، التي فرضها عليكم ربكم"(٦).

قال ابن عطية:أي:"وكذلك أيضا يريد الشيطان أن يصد المؤمنين عن ذكر الله وعن الصلاة ويشغلهم عنها بشهوات، فالخمر والميسر والقمار كله من أعظم آلاته في ذلك"(٧).

قال الزمخشري:" قوله {وعن الصلاة}، اختصاص للصلاة من بين الذكر، كأنه قيل: وعن الصلاة خصوصا"(٨).

قال السعدي: ومن مفاسدها: أن هذه الأشياء تصد القلب، ويتبعه البدن عن ذكر الله وعن الصلاة، اللذين خلق لهما العبد، وبهما سعادته، فالخمر والميسر، يصدانه عن ذلك أعظم صد، ويشتغل قلبه، ويذهل لبه في الاشتغال بهما، حتى يمضي عليه مدة طويلة وهو لا يدري أين هو"(٩).

قال المراغي:" وأما صد الخمر والميسر عن ذكر الله وعن الصلاة (وهما مفسدتهما الدينية) فذلك أظهر من كونهما مثارا للعداوة والبغضاء (وهما مفسدتهما الاجتماعية) لأن كل سكرة من سكرات الخمر، وكل مرة من لعب القمار تصد السكران واللاعب وتصرفه عن ذكر الله الذي هو روح الدين، وعن الصلاة وهى عماد الدين، إذ السكران لا عقل له يذكر به آلاء الله وآياته، ويثنى عليه بأسمائه وصفاته، أو يقيم الصلاة التي هى ذكر الله، ولو ذكر السكران ربه وحاول الصلاة لم تصح له، وكذلك المقامر تتوجه جميع قواه العقلية إلى اللعب الذي يرجو منه الربح ويخشى الخسارة، فلا يتوجه همه إلى ذكر الله ولا يتذكر أوقات الصلاة وما يجب عليه من المحافظة عليها.

---

(١) تفسير المراغي:٢٣/٧-٢٤.
(٢) التفسير الميسر:١٢٣.
(٣) تفسير مقاتل بن سليمان:٥٠١/١.
(٤) بحر العلوم:٤١٦/١.
(٥) الوجيز:٣٣٤.
(٦) تفسير الطبري:٥٦٥/١٠.
(٧) المحرر الوجيز:٢٣٤/٢.
(٨) الكشاف:٦٧٥/١.
(٩) تفسير السعدي:٢٤٣.

وقد دلت المشاهدة على أن القمار أكثر الأعمال التي تشغل القلب وتصرفه عن كل ما سواه، بل يحدث الحريق فى دار المقامر أو تحل المصايب بالأهل والولد ويستغاث به فلا يغيث بل يمضى فى لعبه، والنوادر فى ذلك كثيرة إلى أن المقامر إذا تذكر الصلاة وترك اللعب لأجلها فإنه لا يؤدى منها إلا الحركات بدون أدنى تدبر أو خشوع، لكنه على كل حال يفضل السكران إذ أنه لا يكاد يضبط أفعال الصلاة.

واللعب بالشطرنج أو بالنرد إذا كان على مال دخل فى الميسر وكان حراما، وإذا لم يكن كذلك فلا وجه للقول بتحريمه إلا إذا تحقق كونه رجسا من عمل الشيطان موقعا فى العداوة والبغضاء صادا عن ذكر الله وعن الصلاة بأن كان من المكثرين اللعب أو ممن يداومون عليه، والشافعي كرهه لما فيه من إضاعة الوقت بلا فائدة"[١].

قوله تعالى:{فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ} [المائدة : ٩١]، أي:" فانتهوا عن ذلك"[٢].

قال السمرقندي:" يعني: انتهوا عن شربها"[٣].

قال الواحدي :استفهامٌ بمعنى الأمر، قالوا: انتهينا"[٤].

قال الزجاج:" ومعنى {فهل أنتم منتهون}، التحضيض على الانتهاء والتفديد على ترك الانتهاء"[٥].

قال سعيد:" فهذا وعيد التحريم، قالوا: قد انتهينا يا ربنا، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: من كان عنده شيء فلا يبعها ولا يشربها"[٦].

قال مقاتل:" - فهذا وعيد بعد النهي والتحريم، قالوا انتهينا يا ربنا"[٧].

قال الطبري:" يقول: فهل أنتم منتهون عن شرب هذه، والمياسرة بهذا، وعاملون بما أمركم به ربُّكم من أداء ما فرَض عليكم من الصلاة لأوقاتها، ولزوم ذكره الذي به نُجْح طلباتكم في عاجل دنياكم وآخرتكم؟"[٨].

قال ابن كثير:" وهذا تهديد وترهيب"[٩].

قال ابن عطية:" وعيد في ضمن التوقيف زائد على معنى: انتهوا"[١٠].

قال الراغب:" وقوله: {فهل أنتم منتهون}، نهاية الردع والزجر"[١١].

قال المراغي:" هذا أمر بالانتهاء جاء بأسلوب الاستفهام وكان ذلك غاية فى البلاغة، فكأنه قيل: قد تلى عليكم ما فيها من أنواع الصوارف والموانع فهل أنتم مع كل هذا منتهون؟ أو أنتم على ما كنتم عليه كأن لم توعظوا ولم تزجروا"[١٢].

عن عن عمرو بن شرحبيل قال: "قال عمر بن الخطاب: اللهم بين لنا في الخمر، فنزلت: {فيها إثم كبير ومنافع للناس}، فقال: اللهم بين لنا في الخمر، فنزلت: {إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان}، حتى بلغ- {فهل أنتم منتهون}، قال عمر: انتهينا، إنها تذهب المال وتذهب العقل"[١٣].

---

(١) تفسير المراغي:٧/٢٤-٢٥.
(٢) التفسير الميسر:١٢٣.
(٣) بحر العلوم:١/٤١٦.
(٤) الوجيز:٣٣٤.
(٥) معاني القرآن:١/٢٩٢.
(٦) أخرجه ابن أبي حاتم(٦٧٧٠):ص٤/١٢٠١.
(٧) تفسير مقاتل بن سليمان:١/٥٠١.
(٨) تفسير الطبري:١٠/٥٦٦.
(٩) حكاه عنه ابن كثير:٣/١٧٩.
(١٠) المحرر الوجيز:٢/٢٣٤.
(١١) تفسير الراغب الأصفهاني:٥/٤٣٨.
(١٢) تفسير المراغي:٧/٢٥.
(١٣) أخرجه ابن أبي حاتم(٦٧٦٩):ص٤/١٢٠٠.

عن ابن بريدة، عن أبيه قال: "بينما نحن قعود على شرابٍ لنا، [ونحن على رَمْلة، ونحن ثلاثة أو أربعة، وعندنا باطِيةٌ لنا] ، ونحن نشرب الخمر حِلا إذ قمت حتى آتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم عليه، وقد نزل تحريم الخمر:{يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصابُ والأزلام رجسٌ من عمل الشيطان}، إلى آخر الآيتين،{فهل أنتم منتهون}، فجئت إلى أصحابي فقرأتها عليهم إلى قوله:{فهل أنتم منتهون}؟ قال: وبعض القوم شربته في يده، قد شرب بعضًا وبقي بعضٌ في الإناء، فقال بالإناء تحت شفته العليا كما يفعل الحجّام. ثم صبوا ما في باطيهتهم، فقالوا: انتهينا ربّنا! انتهينا ربَّنا!"[(١)].

قال القرطبي:" فكل لهو دعا قليله إلى كثير، وأوقع العداوة والبغضاء بين العاكفين عليه، وصد عن ذكر الله وعن الصلاة فهو كشرب الخمر، وأوجب أن يكون حراما مثله.

فإن قيل: إن شرب الخمر يورث السكر فلا يقدر معه على الصلاة وليس في اللعب بالنرد والشطرنج هذا المعنى.

قيل له: قد جمع الله تعالى بين الخمر والميسر في التحريم، ووصفهما جميعا بأنهما يوقعان العداوة والبغضاء بين الناس. ويصدان عن ذكر الله وعن الصلاة، ومعلوم أن الخمر إن أسكرت فالميسر لا يسكر، ثم لم يكن عند الله افتراقهما في ذلك يمنع من التسوية بينهما في التحريم لأجل ما اشتركا فيه من المعاني.

وأيضا فإن قليل الخمر لا يسكر كما أن اللعب بالنرد والشطرنج لا يسكر ثم كان حراما مثل الكثير، فلا ينكر أن يكون اللعب بالنرد والشطرنج حراما مثل الخمر وإن كان لا يسكر.

وأيضا فإن ابتداء اللعب يورث الغفلة، فتقوم تلك الغفلة المستولية على القلب مكان السكر، فإن كانت الخمر إنما حرمت لأنها تسكر فتصد بالإسكار عن الصلاة، فليحرم اللعب بالنرد والشطرنج لأنه يغفل ويلهي فيصد بذلك عن الصلاة"[(٢)].

قال السعدي: فأي معصية أعظم وأقبح من معصية تدنس صاحبها، وتجعله من أهل الخبث، وتوقعه في أعمال الشيطان وشباكه، فينقاد له كما تنقاد البهيمة الذليلة لراعيها، وتحول بين العبد وبين فلاحه، وتوقع العداوة والبغضاء بين المؤمنين، وتصد عن ذكر الله وعن الصلاة؟ فهل فوق هذه المفاسد شيء أكبر منها؟، ولهذا عرض تعالى على العقول السليمة النهي عنها، عرضا بقوله: {فهل أنتم منتهون} لأن العاقل -إذا نظر إلى بعض تلك المفاسد- انزجر عنها وكفت نفسه، ولم يحتج إلى وعظ كثير ولا زجر بليغ"[(٣)].

الفوائد:

١-فضيلةُ الصَّلاةِ لتَخصيصِها بالذِّكر مِن بين ذِكرِ اللهِ عزَّ وجلّ؛ لِقَوْلِه:{ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ}، وهذا يدلُّ على شرَفِها وفَضلِها على غيرها .

٢- أنَّ كلَّ ما صدَّ عن ذِكرِ الله فهو مِن أوامرِ الشَّيطانِ؛ لِقَوْلِه:{ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ}، وذِكرُ الله تبارك وتعالى يكونُ بالقلبِ واللِّسان والجوارحِ، فكلُّ ما صدَّك عن ذِكرِ اللهِ من هذه الأشياءِ، فهو من أوامرِ الشيطانِ وإراداتِه.

٣- أنَّ كلَّ ما وقَع في قلبك مِن التثاقُل عن الصَّلاة، فاعلمْ أنَّه من الشَّيطان، ومرادِ الشيطان؛ لِقَوْلِه:{ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ }.

٤-إثباتُ الإرادةِ للشَّيطان؛ لِقَوْلِه:{إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ}، والله تعالى يقول:{وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ}[البقرة: ٣٤]، وقد جادَلَ ربَّه عن إرادةٍ .

٥-لمَّا كانتِ العداوةُ قد تزولُ أسبابُها، ذكَر ما يَنشَأُ عنها ممَّا إذا استحكَم تعسَّر، أو تَعذَّر زوالُه، فقال:{ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ}، أي: في تعاطيهما؛ لأنَّ الخَمْرَ تُزيل العَقْلَ، فيزول المانعُ

---

(١) أخرجه الطبري(١٢٥٢٣):ص١٠/٥٧٢.
(٢) تفسير القرطبي:٦/٢٩١.
(٣) تفسير السعدي:٢٤٣.

من إظهارِ الكامِنِ من الضَّغائنِ والمحاسَدة، فربَّما أدَّى ذلك إلى حروبٍ طويلةٍ، وأمورٍ مَهولة، والميسرُ يُذهِبُ المالَ، فيُوجِبُ ذلك الحقدَ على مَن سَلَبه مالَه، ونغَّص عليه أحوالَه .

٦-في قولِه تعالى:{ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ}، اقتصرتِ الآيةُ على تبيينِ مفاسِدِ شُرْبِ الخمرِ وتعاطي الميسِرِ، دون تَبْيينِ ما في عِبادَةِ الأنصابِ والاستقسامِ بالأزلامِ من الفَسادِ؛ وذلك لأنَّ إقلاعَ المسلمينَ عنهما قد تَقرَّر قبلَ هذه الآيةِ مِن حِينِ الدُّخولِ في الإسلامِ؛ لأنَّهما من مآثِرِ عَقائدِ الشِّركِ، ولأنَّه ليس في النُّفوسِ ما يُدافِعُ الوازعَ الشرعيَّ عنهما بخِلافِ الخَمْرِ والميسِرِ؛ فإنَّ ما فيهما من اللَّذَّات التي تُزجِي بالنُّفوسِ إلى تَعاطيهما قد يُدافِع الوزاعَ الشرعيَّ؛ فلذلك أكَّد النهيَ عنهما أشدَّ ممَّا أكَّد النهيَ عن الأنصابِ والأزلامِ .

٧-في قولِه تعالى:{ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ}، الحضُّ على ترْكِ هذه الخبائثِ، والإقلاعِ عنها؛ لأنَّ العاقِلَ إذا نظَر إلى بعضِ تِلك المفاسدِ انزجَر عنها وكفَّتْ نفسُه، ولم يَحتَجْ إلى وعْظٍ كثيرٍ، ولا زجرٍ بليغٍ. [٣٤]

٨-وفي الآية النهى عن التفرق وبين عواقبه الوخيمة على الفرد والمجتمع والأمة بأسرها، قال تعالى: { إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ}، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره، التقوى ههنا، التقوى ههنا-ويشير إلى صدره- يحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله"[١].

ويقول عليه الصلاة والسلام: "المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً"[٢].

وقال عليه الصلاة والسلام لأبي أيوب -رضي الله عنه-: "ألا أدلك على تجارة؟ " قال: بلى يا رسول الله. قال: "تسعى في الإصلاح بين الناس إذا تفاسدوا، وتقارب بينهم إذا تباعدوا"[٣].

وفي مقابلة أمر النبي -صلى الله عليه وسلم- المؤمنين بالتحاب والتآلف ومحبة الخير والتعاون على البر والتقوى وفعل الأسباب التي تقوي ذلك وتنمية في مقابلة ذلك نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن كل ما يوجب تفرق المسلمين وتباعدهم وذلك لما في التفرق والبغضاء من المفاسد العظيمة فالتفرق هو قرة عين شياطين الجن والإنس، لأن شياطين الإنس والجن لا يودون من، أهل الإسلام أن يجتمعوا على شيء فهم يريدون أن يتفرقوا لأنهم يعلمون أن التفرق تفتت للقوة التي تحصل بالالتزام والاتجاه إلى الله عز وجل.

٩- وقد أكد الله تحريم الخمر والميسر في هذه الآية والتي قبلها بوجوه من التأكيد:

أحدها: أنه سماهما رجسا، والرجس كلمة تدل على منتهى ما يكون من القبح والخبث، ومن ثم قال -صلى الله عليه وسلم-:«الخمر أم الخبائث»[٤]، ذما لها وتقريرا لإثم شاربها.

والثاني: أنه قرنها بالأنصاب والأزلام التي هى من أعمال الوثنية وخرافات الشرك، وقد روى ابن ماجه عن أبى هريرة قوله صلى الله عليه وسلم :«مدمن الخمر كعابد وثن»[٥].

والثالث: أنه جعلهما من عمل الشيطان، لما ينشأ عنهما من الشرور والطغيان وسخط الرحمن.

والرابع: أنه جعل اجتنابهما سبيلا للفلاح والفوز بالنجاة.

---

(١)أخرجه البخاري / كتاب الأدب / باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر ومسلم / كتاب البر والصلة/ باب تحريم التحاسد والتباغض.

(٢).أخرجه البخاري /كتاب الأدب/ باب تعاون المؤمنين بعضهم بعضاً، ومسلم /كتاب البر والصلة / باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم.

(٣)أخرجه البخاري / كتاب الإكراه / باب يمين الرجل لصاحبه: إنه أخوه إذا خاف عليه القتل أو نحوه، ومسلم/ كتاب البر والصلة/ باب تحريم الظلم.

(٤)رواه النسائي في كتاب الأشربة باب ٤٤.

(٥)أخرجه البخاري في تاريخه ١/ ١٢٩، ٣/ ٥١٥، والبيهقي في "شعب الإيمان" ٥/ ١٢، وصححه الألبانى. انظر: "صحيح الجامع الصغير" ٥/ ٢٠٥ برقم ٥٧٣٧.

والخامس:أنه جعلهما مثارا للعداوة والبغضاء، وهما من أقبح المفاسد الدنيوية التي تولد كثيرا من المعاصي فى الأموال والأعراض والأنفس.
والسادس: أنهما جعلا صادين عن ذكر الله وعن الصلاة، وهما روح الدين وعماده وزاده وعتاده.
٩-بيان أضرار الخمر، والميسر:
أولا: أضرار الخمر:

فأما ضرر الخمر في العقل فهو مسلم عند الناس، وليس ضرره فيه خاصا بما يكون من فساد التصور والإدراك عند السكر; بل السكر يضعف القوة العاقلة، وكثيرا ما ينتهي بالجنون، ولأحد أطباء ألمانيا كلمة اشتهرت كالأمثال وهي "اقفلوا لي نصف الحانات أضمن لكم الاستغناء عن نصف المستشفيات والبيمارستانات والملاجئ - التكايا – والسجون"(١).

وقد قال الأطباء: إن المسكر لا يتحول إلى دم كما تتحول سائر الأغذية بعد الهضم، بل يبقى على حاله، فيزاحم الدم في مجاريه فتسرع حركة الدم، وتختل موازنة الجسم، وتتعطل وظائف الأعضاء أو تضعف، وتخرج عن وضعها الطبيعي المعتدل.

- فمن تأثيره في اللسان إضعاف حاسة الذوق، وفي الحلق الالتهاب، وفي المعدة ترشيح العصارة الفاعلة في الهضم حتى يغلظ نسيجها وتضعف حركتها، وقد يحدث فيها احتقانا والتهابا، وفي الأمعاء التقرح، وفي الكبد تمديده وتوليد الشحم الذي يضعف عمله، وكل هذا يتعلق بما يسمونه الجهاز الهضمي.
- ومن تأثيره في الدم أنه بممازجته له يعوق دورته وقد يوقفها أحيانا فيموت السكور فجأة، ويضعف مرونة الشرايين فتتمدد وتغلظ حتى تنسد أحيانا فيفسد الدم، ولو في بعض الأعضاء، فتكون الغنغرينا التي تقضي بقطع العضو الذي تظهر فيه لئلا يسري الفساد إلى الجسد كله فيكون هالكا، وتصلب الشرايين يسرع الشيخوخة والهرم.
- ومن تأثيره في جهاز التنفس إضعاف مرونة الحنجرة، وتهييج شعب التنفس،

وأهون ضرر ذلك بحة الصوت والسعال، وأعظمها تدرن الرئة; أي: السل الفاتك بالشبان والقاطع لجميع لذات الإنسان.

- وأما تأثيره في المجموع العصبي فهو الذي يولد الجنون ويهلك النسل، فولد السكور لا يكون نجيبا، وولد ولده يكون شرا من ولده وأضعف بدنا وعقلا، وقد يؤدي تسلسل هذا الضعف إلى انقطاع النسل ألبتة، ولا سيما إذا جرى الأبناء على طريق الآباء كما هو الغالب.
- ومن مضرات الخمر في التعامل وقوع النزاع والخصام بين السكارى بعضهم مع بعض، وبينهم وبين من يعاشرهم ويعاملهم، تثير ذلك أدنى بادرة من أحدهم، فيوغلون فيه حتى يكون عداوة وبغضاء. وهذه العلة في التحريم من أكبر العلل في نظر الدين; ولذلك ورد بها النص في سورة المائدة: {إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر} [٥: ٩١].
- ومنها إفشاء السر، وهو ضرر يتولد منه مضرات كثيرة، ولا سيما إذا كان السر يتعلق بالحكومة وسياسة الدولة ومصالحها العسكرية، وعليها يعتمد الجواسيس.
- ومنها الخسة والمهانة في أعين الناس; فإن السكران يكون في هيئته وكلامه وحركاته بحيث يضحك منه ويستخف به كل من يراه، حتى الصبيان; لأنه يكون أقل منهم عقلا، وأبعد عن التوازن في حركاته وأعماله، والضبط في أفكاره وأقواله، وينقلون عن السكارى من النوادر الغريبة ما يكفي في ردع من له شرف وعقل عن الخمر، فيراجع ذلك في كتب الأدب والمحاضرة، ومما ذكر عن المحدثين: أن ابن أبي الدنيا مر بسكران وهو يبول في يده ويمسح به وجهه كهيئة المتوضئ، ويقول: الحمد لله الذي

---

(١) انظر: تفسير المنار:٢/٢٦٠.

جعل الإسلام نورا والماء طهورا، وعرض بعضهم شرب الخمر على أحد فصحاء المجانين فقال له المجنون: أنت تشرب لتكون مثلي، فأنا أشرب لأكون مثل من؟

- ومنها أن جريمة السكر تغري بجميع الجرائم التي تعرض للسكران وتجرئ عليها، ولا سيما الزنا والقتل، وبلغني أن جميع الذين يختلفون إلى مواخير الزنا لا يذهبون إليها إلا وهم سكارى; لأن غير السكران تنفر نفسه من هذه القاذورات المبتذلة مهما تكن خسيسة; ولذلك سميت الخمر أم الخبائث كما ورد في الحديث، فهذه إشارة إلى مضراتها في النفس من حيث الأخلاق والآداب.
- ومن مضراتها المالية أنها تستهلك المال وتفني الثروة كما قال عنترة(١):

فإذا شَرِبْتُ فإنّني مُسْتَهلِكٌ   مالي وعِرضِي وافِرٌ لَمْ يُكلَمِ

ولم تكن الخمر مذهبة للثروة في زمن من الأزمنة كزماننا هذا، ولا في مكان كهذه البلاد; فإن أنواع الخمر كثرت فيها، ومنها ما هو غالي الثمن جدا، ثم إن المتجرين بها كثيرا ما يقرنون بينها وبين القيادة إلى الزنا، وفي مصر القاهرة بيوت للفسق تجمع بين الخمر والنساء والراقصات والمغنيات، يدخلها الرجال زرافات وأفذاذا، ويتبارون ثم في النفقة حتى ليخسر الرجل في ليلته المئين والألوف. وإن الخمار الرومي الفقير ليفتح في إحدى القرى والمزارع من هذه البلاد حانة صغيرة فلا تزال تتسع بما تبتلع من ثروة الأهالي وغلات أرضهم حتى تبتلع القرية كلها، فتكون أموالها وغلاتها وقطنها وتجارتها في يد صاحب الحانة.

قال الشيخ محمد رشيد رضا:"وقد عم البلاء بالخمر هذا القطر بما لأهله من الاستعداد للتقليد حتى قيل: إن ما يصرف في مصر على الخمر يعدل ما يصرف في فرنسا كلها"(٢).

- ومن مضرات الخمر في الدين من حيث روحه ووجهة العبد إلى الله تعالى أن السكران لا تتأتى منه عبادة من العبادات ولا سيما الصلاة التي هي عماد الدين; ولذلك قال تعالى في آية المائدة بعد ما تقدم آنفا: {ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة}.

فهذا شيء من البيان لكون ضرر الخمر كبيرا، وقد يشتبه بعض المبتلين بشرب الخمر في بعض تلك المضرات الصحية، أو يتوهمون أنه يسهل عليهم التوقي منها، وهيهات هيهات لما يتوهمون; فإن المزاج الذي يتحمل سم الخمر - الذي يسمى الكحول أو الغول - زمنا طويلا بحيث يغتر الناس بحسن صحة صاحبه قليل في الناس، ولكن هؤلاء المبتلين يقيسون على النادر ويجهلون الأصل الغالب، وهو أنه لا يكاد يسلم مدمن السكر من ضرره في جسمه أو عقله ومداركه أو ولده وذريته، بل تجتمع كلها في الغالب. وأما المضرات المعنوية فيقل في معتادي السكر من يحفل بها، على أن منهم من يرى أنه يسهل عليه تجنبها.

ثانيا:أضرار الميسر:

وأما كون أضرار الميسر:

- فقد جاء فيه ما جاء في الخمر من كونه يورث العداوة والبغضاء، ويصد عن ذكر الله وعن الصلاة، وهذا ظاهر في ميسر العرب، وفي جميع أنواع القمار المعروفة في عصرنا إلا ما يسمونه "اليانصيب" فإنه على كونه ميسرا لا شك فيه لا يظهر جميع مفاسده في بعض أنواعه(٣).

---

(١) في معلقته المشهورة، انظر: شرح المعلقات السبع للزوزني: ٢٤٣، وشرح القصائد العشر للتبريزي:١٩٨.

(٢) تفسير المنلار:٢٦١/٢.

(٣)ميسر اليانصيب: هو عبارة عن مال كثير تجمعه بعض الحكومات أو الجمعيات أو الشركات من ألوف من الناس كمائة ألف دينار - جنيه - مثلا تجعل جزءا كبيرا كعشرة آلاف منه لعدد قليل من دافعي المال كمائة مثلا يقسم بينهم بطريقة الميسر وتأخذ هي الباقي; ذلك بأن تطبع أوراقا صغيرة كأنواط المصارف المالية (بنك نوت) تسمى أوراق (اليانصيب) تجعل ثمن كل واحدة منها دينارا واحدا مثلا يطبع عليها، وتجعل العشرة آلالاف التي تعطي ربحا لمشتري هذه الأوراق مائة سهم أو نصيب تعرف بالأرقام العددية وتسمى النمر - جمع نمرة - ويطبع على الورقة المشتراة عددها وما تربحه كل واحدة من العشر الأوائل منها، وتجعل باقيها للتسعين الباقية من المائة بالتساوي بترتيب كترتيب أزلام الميسر يسمونه السحب، ذلك

- ومن مضرات الميسر : إفساد التربية بتعويد النفس الكسل وانتظار الرزق من الأسباب الوهمية، وإضعاف القوة العقلية، بترك الأعمال المفيدة في طرق الكسب الطبيعية، وإهمال الياسرين (المقامرين) للزراعة والصناعة والتجارة التي هي أركان العمران[١].
- ومنها - وهو أشهرها - تخريب البيوت فجأة بالانتقال من الغنى إلى الفقر في ساعة واحدة، فكم من عشيرة كبيرة نشأت في الغنى والعز، وانحصرت ثروتها في رجل أضاعها عليها في ليلة واحدة فأصبحت غنية وأمست فقيرة لا قدرة لها على أن تعيش على ما تعودت من السعة ولا ما دون ذلك[٢].

القرآن

{وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (٩٢)} [المائدة : ٩٢]

التفسير:

وامتثلوا -أيها المسلمون- طاعة الله وطاعة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم في كل ما تفعلون وتتركون، واتقوا الله وراقبوه في ذلك، فإن أعرضتم عن الامتثال فعملتم ما نهيتم عنه، فاعلموا أنما على رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم البلاغ المبين.

قوله تعالى:{وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ} [المائدة : ٩٢]، أي:" وامتثلوا -أيها المسلمون- طاعة الله وطاعة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم في كل ما تفعلون وتتركون"[٣].

قال سعيد بن جبير:" يعني: في تحريم الخمر والميسر والأنصاب والأزلام"[٤].

قال البيضاوي:أي:" فيما أمرا به"[٥].

قال السمعاني:" لما حرم الخمر، وأمر بالاجتناب عنها؛ ندبهم إلى طاعة الله والرسول، والتوقي"[٦].

بأنهم يتخذون قطعا صغيرة من المعدن ينقش في كل واحدة منها عدد من أرقام الحساب يسمونه نمرة من واحدة إلى مائة ألف إذا كان المبيع من الأوراق مائة ألف، ويضعونها في وعاء من المعدن كروي الشكل كخريطة الأزلام (القداح) التي بيناها آنفا، فيها ثقبة كلما أديرت مرة خرج منها نمرة من تلك النمر، فإذا كان يوم السحب أديرت بعدد الأرقام الرابحة فما خرج منها أولا سمي النمرة الأولى مهما يكن عددها، وهي التي يعطى حاملها النصيب الأكبر من الربح كالقدح المعلى عند العرب، وما خرج منها ثانيا سمي النمرة الثانية، ويعطى حاملها النصيب الذي يلي الأول، حتى إذا ما انتهى عدد النمر الرابحة وقف السحب عنده وكان الباقي خاسرا.

وأما كون هذا النوع لا يظهر فيه ما في سائر الأنواع من ضرر العداوة والبغضاء والصد عن ذكر الله وعن الصلاة؛ فلأن دافعي المال فيه لا يجتمعون عند السحب

وقد يكونون في بلاد أو أقطار بعيدة عن موضعه، ولا يعملون له عملا آخر فيشغلهم عن الصلاة أو ذكر الله تعالى كقمار الموائد المشهورة، ولا يعرف الخاسر منهم فردا أو أفرادا أكلوا ماله فيبغضهم ويعاديهم كميسر العرب وقمار الموائد ونحوه، وكثيرا ما يجعل (اليانصيب) لمصلحة عامة كإنشاء المستشفيات والمدارس الخيرية وإعانة الفقراء، أو مصلحة دولية ولا سيما الإعانات الحربية، والحكومات التي تحرم القمار تبيح (اليانصيب) الخاص بالأعمال الخيرية العامة أو الدولية. ولكن فيه مضار القمار الأخرى، وأظهرها أنه طريق لأكل أموال الناس بالباطل; أي: بغير عوض حقيقي من عين أو منفعة، هذا محرم بنص القرآن كما تقدم في محله، وقد يقال: إن المال الذي يبنى به مستشفى لمعالجة المرضى أو مدرسة لتعليم أولاد الفقراء أو ملجأ لتربية اللقطاء لا يظهر فيه معنى أكل أموال الناس بالباطل إلا في آخذي ربح النمر الرابحة دون آخذي بقية المال من جمعية أو حكومة، وهو على كل حال ليس فيه عداوة ولا بغضاء لأحد معين كالذي كان يغرم ثمن الجزور عند العرب، وليس فيه صد عن ذكر الله وعن الصلاة.[انظر: تفسير المنار:٢/٢٦٣-٢٦٤].

(١) انظر: تفسير المنار:٢/٢٦٣.
(٢) انظر: تفسير المنار:٢/٢٦٠--٢٦٤.
(٣) التفسير الميسر:١٢٣.
(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٧٧١):ص٤/١٢٠١.
(٥) تفسير البيضاوي:٢/١٤٢.
(٦) تفسير السمعاني:٢/٦٤.

قال ابن عطية:" وكرر {أطيعوا}، في ذكر الرسول تأكيدا "[١].

قال القرطبي:" قوله تعالى: {وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا} تأكيد للتحريم، وتشديد في الوعيد، وامتثال للأمر، وكف عن المنهي عنه، وحسن عطف{وأطيعوا الله}، لما كان في الكلام المتقدم معنى: انتهوا، وكرر{وأطيعوا}، في ذكر الرسول تأكيدا"[٢].

قال الشيخ محمد رشيد رضا:" أي أطيعوا الله تعالى فيما أمركم به من اجتناب الخمر والميسر وغيرهما، كما تجتنبون الأنصاب والأزلام أو أشد اجتنابا في كل شيء، أطيعوا الرسول فيما بينه لكم مما نزله الله عليكم، ومنه قوله: " كل مسكر خمر وكل خمر حرام"[٣]"[٤].

قوله تعالى:{وَاحْذَرُوا } [المائدة : ٩٢]، أي:" واتقوا الله وراقبوه في ذلك"[٥].

قال الواحدي، والبغوي:أي:" المحارم والمناهي"[٦].

قال البيضاوي:أي:" واحذروا ما نهيا عنه أو مخالفتهما"[٧].

قال أبو السعود:" أي: مخالفتهما في ذلك فيدخل فيه مخالفة أمرهما ونهيهما في الخمر والميسر دخولا أوليا"[٨].

قال الزمخشري:اي:" وكونوا حذرين خاشين، لأنهم إذا حذروا دعاهم الحذر إلى اتقاء كل سيئة وعمل كل حسنة. ويجوز أن يراد: واحذروا ما عليكم في الخمر والميسر، أو في ترك طاعة الله والرسول"[٩].

قال الشيخ محمد رشيد رضا:" أي احذروا عصيانهما أو ما يصيبكم إذا خالفتم أمرهما من فتنة الدنيا وعذاب الآخرة، فإنه حرام عليكم إلا ما يضركم في دنياكم وآخرتكم، قال تعالى: { فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيم} [النور : ٦٣]"[١٠].

قوله تعالى:{فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ} [المائدة : ٩٢]، أي:" فإن أعرضتم عن الامتثال فعملتم ما نهيتم عنه"[١١].

قال الواحدي:أي:"عن الطّاعة"[١٢].

قال الشيخ محمد رشيد رضا:" أي فإن توليتم وأعرضتم عن الطاعة"[١٣].

قال سعيد بن جبير:" يعني: أعرضتم عن طاعتها"[١٤].

قال أبو السعود:" أي: أعرضتم عن الامتثال بما أمرتم به من الاجتناب عن الخمر والميسر وعن طاعة الله تعالى وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم والاحتراز عن مخالفتهما"[١٥].

---

(١) المحرر الوجيز:٢٣٤/٢.
(٢) تفسير القرطبي:٢٩٣/٦.
(٣)أخرجه أبو داود ٣٦٧٩ والترمذي ١٨٦١ والنسائي (٨/ ٢٩٦ و٢٩٧) وأحمد في «الأشربة» ٢٦ وابن حبان ٥٣٦٦ والطحاوي (٤/ ٢١٦) والدارقطني (٤/ ٢٤٨) والبيهقي (٨/ ٢٨٨) والبغوي ٣٠١٣ من طرق عن حماد بن زيد.
(٤) تفسير المنار:٥٥/٧.
(٥) التفسير الميسر:١٢٣.
(٦) انظر: الوجيز للواحدي:٣٣٥، وتفسير البغوي:٩٤/٣.
(٧) تفسير البيضاوي:١٤٢/٢.
(٨) تفسير أبي السعود:٧٦/٣.
(٩) الكشاف:٦٧٦/١.
(١٠) تفسير المنار:٥٥/٧.
(١١) التفسير الميسر:١٢٣.
(١٢) الوجيز:٣٣٥.
(١٣) تفسير المنار:٥٥/٧.
(١٤) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٧٧١):ص١٢٠١/٤.
(١٥) تفسير أبي السعود:٧٦/٣.

قال القرطبي:" حذر في مخالفة الأمر، وتوعد من تولى بعذاب الآخرة، فقال:{فإن توليتم}، أي: خالفتم"(١).

قوله تعالى:{فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ} [المائدة : ٩٢]، أي:" فاعلموا أنما على رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم البلاغ المبين"(٢).

قال الواحدي:أي:" فليس عليه إلاَّ البلاغ فإن أطعتم وإلاَّ استحققتم العقاب"(٣).

قال الزمخشري:اي:" فاعلموا أنكم لم تضروا بتوليكم الرسول، لأن الرسول ما كلف إلا البلاغ المبين بالآيات، وإنما ضررتم أنفسكم حين أعرضتم عما كلفتم"(٤).

قال البيضاوي:أي:" أي فاعلموا أنكم لم تضروا الرسول صلى الله عليه وسلم بتوليكم، فإنما عليه البلاغ وقد أدى، وإنما ضررتم به أنفسكم"(٥).

قال الشيخ محمد رشيد رضا:" فاعلموا أنما على رسولنا أن يبين لكم ديننا وشرعنا، وقد بلغه وأبانه وقرن حكمه بأحكامه وعلينا نحن الحساب والعقاب وسترونه في إبانه، كما قال: {فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ} [الرعد : ٤٠]، وإنما الحساب لأجل الجزاء"(٦).

قال ابن عطية:أي:" ثم حذر تعالى من مخالفة الأمر وتوعد من تولى بعذاب الآخرة، أي: إنما على الرسول أن يبلغ وعلى المرسل أن يعاقب أو يثيب بحسب ما يعصى أو يطاع"(٧).

قال سعيد بن جبير:" {رسولنا}، يعني: محمدا صلى الله عليه وسلم"(٨)، " {البلاغ المبين}، يعني: أن يبين تحريم ذلك. في صفة أعمال المؤمنين وما أعد لهم في أموالهم"(٩).

عن ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "كل مسكر حرام، وإن ختما على الله أن لا يشربه عبد في الدنيا إلا سقاه الله تعالى يوم القيامة من طينة الخبال، هل تدرون ما طينة الخبال؟ " قال: "عرق أهل النار"(١٠).

وعن عبد الله بن عمر أيضا قال: "أشهد أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول:لعن الله الخمر وشاربها وساقيها وبائعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه وآكل ثمنها"(١١).

قال أبو السعود: في قوله: {فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين}، "وقد فعل ذلك بكما لا مزيد عليه وخرج عن عهدة الرسالة أي خروج وقامت عليكم الحجة وانتهت الأعذار وانقطعت العلل وما بقي بعذ ذلك إلا العقاب وفيه من عظم التهديد وشدة الوعيد ما لا يخفى وأما ما قيل من أن المعنى فاعلموا أنكم لم تضروا بتوليكم الرسول لأنه ما كلف إلا البلاغ المبين بالآيات وقد فعل وإنما ضررتم أنفسكم حين أعرضتم عما كلفتموه فلا يساعده المقام إذ لا يتوهم منهم ادعاء أنهم بتوليهم يضرونه صلى الله عليه وسلم حتى يرد عليهم بأنهم لا يضرونه وإنما يضرون أنفسهم"(١٢).

---

(١) تفسير القرطبي:٢٩٣/٦.
(٢) التفسير الميسر:١٢٣.
(٣) الوجيز:٣٣٥.
(٤) الكشاف:٦٧٦/١.
(٥) تفسير البيضاوي:١٤٢/٢.
(٦) تفسير المنار:٥٥/٧.
(٧) المحرر الوجيز:٢٣٤/٢.
(٨) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٧٧٣):ص١٢٠١/٤.
(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٧٧٤):ص١٢٠١/٤.
(١٠)أخرجه البغوي في شرح السنة: ١١ / ٣٥٦، ومعالم التنزيل:٩٥/٣، وفيه عبد الملك بن قدامة، وهو ضعيف، ويشهد له عدة أحاديث صحيحة عن جابر بن عبد الله وغيره منها حديث جابر عند مسلم، برقم (٢٠٠٢) في الأشربة وحديث ابن عمر عند مسلم برقم (٢٠٠٣).
(١١)خرجه مسلم في الأشربة، باب عقوبة من شرب الخمر إذا لم يتب منها ... برقم (٢٠٠٣) : ٣ / ١٥٨٨، والبغوي في شرح السنة: ١١ / ٣٥٥، ومعالم التنزيل:٩٥/٣.
(١٢) تفسير أبي السعود:٧٦/٣.

الفوائد:
١-في قوله تعالى:{وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ}، َ بيانُ أنَّ طاعة الله وطاعة رسولِه واحدةٌ، فمَن أطاعَ الله فقدْ أطاعَ الرسولَ، ومَن أطاع الرسولَ فقد أطاع اللهَ، وذلك شاملٌ للقِيامِ بما أمَر اللهُ به ورسولُه من الأعمالِ والأقوالِ، الظاهرةِ والباطِنة، الواجبةِ والمستحبَّةِ، المتعلّقة بحقوق اللهِ وحقوقِ خَلْقِه، والانتهاءِ عمَّا نهى الله ورسولُه عنه كذلك .
٢- أنَّ تولِّيَ الناس عمَّا يدعو إليه النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ لا يضرُّه، ولا يُلامُ عليه؛ لِقَوْلِه:{فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ}؛ لأنَّه إذا كان ليس عليه إلَّا البلاغُ، فإنَّه لن يضرَّه تولِّيهم ولا يُلام عليه، ويتفرَّع على ذلك: أنَّ الداعية إلى الله في وقتِنا وفيما قبْلَه لا يضرُّه ألَّا يَقبلَ الناسُ منه؛ لأنَّه أدَّى الواجبَ، ويَنبغي أن يُفرِّحَ نفْسَه بأنَّه أدَّى الواجِبَ، وألَّا يحزنَ بعدم قبولِهم دعوتَه؛ لأنَّ الله تعالى قال للرَّسولِ صلَّى الله عليه وسلَّم:{ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ}[النحل: ١٢٧]، لكن ربَّما نقول: يحزنُ لعدمِ قبولِ الشَّريعة، لا لعدمِ قبولِهم منه، والفرقُ بين هذا وهذا واضحٌ .
٣- وجوبُ الرُّجوعِ إلى قولِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ؛ لِقَوْلِه:{ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ}، وأنَّه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ قام بالواجِب، فعلينا- نحن- أن نقومَ بالواجِب.
٤-يُستَفادُ مِنْ قَوْلِه:{فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ} أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم لا يَستطيعُ أنْ يَهدِيَ أحدًا؛ لأنَّه بلَّغَ البلاغَ المبينَ، ومع ذلك حصَلَتِ المخالفةُ والتولِّي .
٥-قال الشيخ محمد رشيد رضا:" لم يؤكد تحريم شيء في القرآن مثل هذا التأكيد لا قريبا منه، وحكمته شدة افتتان الناس بشرب الخمر، وكذا الميسر، وتأولهم كل ما يمكن تطرق الاحتمال إليه من أحكام الأديان التي تخالف أهواءهم، كما أولت اليهود أحكام التوراة في تحريم أكل أموال الناس بالباطل كالربا وغيره، وكما استحل بعض فساق المسلمين شرب بعض الخمور بتسميتها بغير اسمها، إذ قالوا هذا نبيذ لا يسكر إلا الكثير منه، وقد أحل ما دون القدر المسكر منه فلان وفلان يقولون ذلك فيما هو خمر لا حظ لهم من شربه إلا السكر.
بل تجرأ بعض غلاة الفساق على القول بأن هذه الآيات لا تدل على تحريم الخمر، لأن الله قال: (فاجتنبوه) ولم يقل: حرمته فاتركوه، وقال: {فهل أنتم منتهون}، ولم يقل: فانتهوا عنه، وقال بعضهم: سألنا هل أنتم منتهون؟ فقلنا: لا، ثم سكت وسكتنا ويصدق على هؤلاء قوله تعالى:{اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا } [الأعراف : ٥١]، ويمكن أن يقال: إن هذا الغلو قلما يصدر عمن كان صحيح الإيمان فما قاله تعالى أبلغ من تحريمه مما قالوا.
أما المؤمنون فقد قالوا انتهينا ربنا وقال بعضهم: انتهينا أكدوا الاستجابة والطاعة كما أكد عليهم التحريم، وكان فيهم المدمنون للخمر من عهد الجاهلية حتى شق عليهم تحريمها، فكان أشد من جميع التكاليف الشرعية"[١].

القرآن
{لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (٩٣)} [المائدة : ٩٣]
التفسير:
ليس على المؤمنين الذين شربوا الخمر قبل تحريمها إثم في ذلك، إذا تركوها واتقوا سخط الله وآمنوا به، وقدَّموا الأعمال الصالحة التي تدل على إيمانهم ورغبتهم في رضوان الله تعالى عنهم، ثم ازدادوا بذلك مراقبة لله عز وجل وإيمانا به، حتى أصبحوا مِن يقينهم يعبدونه، وكأنهم يرونه. وإن الله تعالى يحب الذين بلغوا درجة الإحسان حتى أصبح إيمانهم بالغيب كالمشاهدة.
قوله تعالى:{لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا} [المائدة : ٩٣]، أي:" ليس على المؤمنين الذين شربوا الخمر قبل تحريمها إثم في ذلك"[١].

---

(١) تفسير المنار:٧/٥٥-٥٦.

قال السمرقندي:أي:" يعني: شربوا قبل تحريمها، إذا ما اتقوا الشرك، {وآمنوا}، يعني: صدقوا بوحدانية الله تعالى، والقرآن وعملوا الصالحات"[٢].
قال الزمخشري:" يعنى: أن المؤمنين لا جناح عليهم في أى شيء طعموه من المباحات"[٣].
عن علي بن ابي طلحة: قال ابن عباس:" يعني: قبل التحريم، إذا كانوا محسنين متقين، وقال مرة أخرى: {ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا}، من الحرام قبل أن يحرَّم عليهم"[٤].
وفي رواية اخرى عن ابن عباس:" يعني بذلك رجالا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ماتوا وهم يشربون الخمر قبل أن تحرَّم الخمر، فلم يكن عليهم فيها جناح قبلَ أن تحرَّم"[٥].
وعن مجاهد: في قول الله تعالى:"{ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا}، لمن كان يشرب الخمرَ ممن قتل مع محمد صلى الله عليه وسلم ببدرٍ وأحُد"[٦].
قال الضحاك:" هذا في شأن الخمر حين حرِّمت، سألوا نبيَّ الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: إخواننا الذين ماتوا وهم يشربونها؟ فأنزل الله تعالى ذكره هذه الآية"[٧].
قال الوليد: "سمعت شيخا من شيوخنا ممن قد سمع العلم يقول في تفسير هذه الآية: {وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا}، من الخمر قبل تحريمها"[٨].
قال ابن عطية:" وهذا نظير سؤالهم عمن مات على القبلة الأولى، ونزلت:{وما كان الله ليضيع إيمانكم} [البقرة: ١٤٣]، ولما كان أمر القبلة خطيرا ومعلما من معالم الدين تخيل قوم نقص من فاته، وكذلك لما حصلت الخمر والميسر في هذا الحد العظيم من الذم، أشفق قوم وتخيلوا نقص من مات على هذه المذمات، فأعلم تعالى عباده أن الذم والجناح إنما يلحق من جهة المعاصي، وأولئك الذين ماتوا قبل التحريم لم يعصوا في ارتكاب محرم بعد بل كانت هذه الأشياء مكروهة لم ينص عليها بتحريم، والشرع هو الذي قبحها وحسن تجنبها، و «الجناح» الإثم والحرج، وهو كله الحكم الذي يتصف به فاعل المعصية والنسبة التي تترتب للعاصي، و{طعموا}، معناه: ذاقوا فصاعدا في رتب الأكل والشرب، وقد يستعار للنوم وغيره وحقيقته في حاسة الذوق"[٩].
وأصل لفظة"طعموا" في الأكل، يقال: طعم الطعام وشرب الشراب، لكن قد تجوز في ذلك فيقال: لم أطعم خبزا ولا ماء ولا نوما، قال بشر بن أبي حازم[١٠]:
نعاما بوجرة [١١] صفر الخدو   د لا تطعم النوم إلا صياما
وقد تقدم القول في سورة البقرة {وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي} [البقرة : ٢٤٩] [١٢].

---

(١) التفسير الميسر:١٢٣.
(٢) بحر العلوم:٤١٧/١.
(٣) الكشاف:٦٧٦/١.
(٤) أخرجه الطبري(١٢٥٣٣):ص٥٨١/١٠.
(٥) أخرجه الطبري(١٢٥٣٤):ص٥٨١/١٠.
(٦) أخرجه الطبري(١٢٥٣٥):ص٥٨٢/١٠.
(٧) أخرجه الطبري(١٢٥٣٦):ص٥٨٢/١٠.
(٨) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٧٨١):ص١٢٠٢/٤.
(٩) المحرر الوجيز:٢٣٤/٢.
(١٠) البيت له في التمهيد لما في الموطأ من المعاني والاسانيد:٣٨/٢، وبلا نسبة في تفسير القرطبي:٢٩٦/٦، والدر المصون:٣٩١/١.
(١١)وجرة: موضع بين مكة والبصرة، يقول الشاعر: هي صائمة منه لا تطعمه، وروى في اللسان (لا تطعم الماء) وقال: وذلك لان النعام لا ترد الماء ولا تطعمه. وقبله:
فأما بنو عامر بالنار ... غداة لقونا فكانوا نعاما.
(١٢) انظر: تفسير القرطبي:٢٩٦/٦.

قوله تعالى:{إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} [المائدة : ٩٣]، أي:" إذا تركوها واتقوا سخط الله وآمنوا به، وقدَّموا الأعمال الصالحة التي تدل على إيمانهم ورغبتهم في رضوان الله تعالى عنهم"(١).

قال ابن عباس:" يقول: ليس عليهم حرج فيما كانوا يشربون قبل أن أحرِّمها، إذا كانوا محسنين متقين"(٢).

قال الطبري:" يقول: إذا ما اتقى الله الأحياءُ منهم فخافوه، وراقبوه في اجتنابهم ما حرَّم عليهم منه، وصدَّقوا الله ورسوله فيما أمراهم ونهياهم، فأطاعوهما في ذلك كله، واكتسبوا من الأعمال ما يرضاه الله في ذلك مما كلفهم بذلك ربُّهم"(٣).

قال الإمام الشافعي:"{ إذا ما اتقوا}: لم يقربوا ما حرم عليهم"(٤).

قال البغوي:أي:" الخمر والميسر بعد تحريمهما، وقيل: إذ ما اتقوا الشرك، {وآمنوا} وصدقوا"(٥).

قال الزمخشري:" رفع الجناح عن المؤمنين في أى شيء طعموه من مستلذات المطاعم ومشتهياتها إذا ما اتقوا ما حرم عليهم منها وآمنوا، وثبتوا على الإيمان والعمل الصالح وازدادوه"(٦).

قال الوليد: "سمعت شيخا من شيوخنا ممن قد سمع العلم يقول:{إذا ما اتقوا} أن يعودوا في شربها، {وآمنوا} بتحريمها في هذه الآية"(٧).

قال عمر بن الخطاب:" إذا اتقيت اجتنبت ما حرم الله عليك"(٨).

قال البراء:" لما حرمت الخمر قالوا: كيف بأصحابنا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر؟ فنزلت:{ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا}، الآية"(٩).

قال عبدالله بن مسعود:" لما نزلت:{ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات}، قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: قيل أنت منهم"(١٠).

قوله تعالى:{ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا} [المائدة : ٩٣]، أي:" ثم ازدادوا بذلك مراقبة لله عز وجل وإيمانا به"(١١).

قال الطبري:" يقول: ثم خافوا الله وراقبوه باجتنابهم محارمه بعد ذلك التكليف أيضًا، فثبتوا على اتقاء الله في ذلك والإيمان به، ولم يغيِّروا ولم يبدِّلوا"(١٢).

قال السمرقندي:أي:"ثم اتقوا المعاصي، {وآمنوا}، يعني: صدقوا بعد تحريمها "(١٣).

قال الزمخشري:أي:" ثم ثبتوا على التقوى والإيمان"(١٤).

قال البغوي:أي:" { ثم اتقوا } ما حرم الله عليهم أكله وشربه، وقيل: داوموا على ذلك التقوى، {وآمنوا} ازدادوا إيمانا"(١).

---

(١) التفسير الميسر:١٢٣.
(٢) أخرجه الطبري(١٢٥٣٤):ص٥٨١/١٠.
(٣) تفسير الطبري:٥٧٦/١٠.
(٤) تفسير الإمام الشافعي:٧٧٢/٢.
(٥) تفسير البغوي:٩٦/٣.
(٦) الكشاف:٦٧٦/١.
(٧) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٧٨١):ص١٢٠٢/٤.
(٨) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٧٧٧):ص١٢٠٢/٤.
(٩) أخرجه الطبري(١٢٥٢٨):ص٥٧٩/١٠.
(١٠) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٧٧٦):ص١٢٠١/٤-١٢٠٢.
(١١) التفسير الميسر:١٢٣.
(١٢) تفسير الطبري:٥٧٦/١٠.
(١٣) بحر العلوم:٤١٧/١.
(١٤) الكشاف:٦٧٦/١.

قال الوليد: "سمعت شيخا من شيوخنا ممن قد سمع العلم يقول:{ثم اتقوا وآمنوا}، برسوله، اتقوا المعاصي"[٢].

قوله تعالى:{ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا} [المائدة : ٩٣]، أي:" حتى أصبحوا مِن يقينهم يعبدونه، وكأنهم يرونه"[٣].

قال الزمخشري:أي:" ثم ثبتوا على اتقاء المعاصي وأحسنوا أعمالهم، أو أحسنوا إلى الناس: واسوهم بما رزقهم الله من الطيبات"[٤].

قال البغوي:أي:" ثم اتقوا المعاصي كلها وأحسنوا، وقيل: أي: اتقوا بالإحسان، وكل محسن متق"[٥].

عن علي بن ابي طلحة: قال ابن عباس:" {إذا ما اتقوا وأحسنوا}، بعد ما حُرِّم، وهو قوله: {فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ}، [سورة البقرة: ٢٧٥] "[٦].

قال الوليد:"سمعت شيخا من شيوخنا ممن قد سمع العلم يقول في تفسير هذه الآية: {ثم اتقوا وأحسنوا}، في أداء الزكاة"[٧].

قال الطبري:" يقول: ثم خافوا الله، فدعاهم خوفُهم الله إلى الإحسان، وذلك"الإحسان"، هو العمل بما لم يفرضه عليهم من الأعمال، ولكنه نوافلُ تقرَّبوا بها إلى ربّهم طلبَ رضاه، وهربًا من عقابه"[٨].

وذكروا في قوله تعالى:{إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا} [المائدة : ٩٣]، أربعة اقوال[٩]:

الأول: أنه ليس في ذكر التقوى تكرار، والمعنى :اتقوا شربها، وآمنوا بتحريمها. والمعنى الثاني دام اتقاؤهم وإيمانهم، والثالث على معنى الإحسان إلى الاتقاء.

والثاني: اتقوا قبل التحريم في غيرها من المحرمات، ثم اتقوا بعد تحريمها شربها، ثم اتقوا فيما بقي من أعمالهم، وأحسنوا العمل.

والثالث- اتقوا الشرك وآمنوا بالله ورسوله، والمعنى الثاني: ثم اتقوا الكبائر، وازدادوا إيمانا، ومعنى الثالث: ثم اتقوا الصغائر وأحسنوا أي تنفلوا.

والرابع: :أن الاتقاء الأوّل:هو الاتقاء بتلقّي أمر الله بالقَبُول والتصديق، والدينونة به والعمَل، والاتقاء الثاني: الاتقاء بالثبات على التصديق، وترك التبديل والتغيير، والاتقاء الثالث: هو الاتقاء بالإحسان، والتقرُّب بنوافل الأعمال. وهذا قول الطبري[١٠].

قال ابن عطية:" والتكرار في قوله :{اتقوا}، يقتضي في كل واحدة زيادة على التي قبلها وفي ذلك مبالغة في هذه الصفات لهم، وذهب بعض المفسرين إلى أن يعين المراد بهذا التكرار فقال: قوم: الرتبة الأولى هي اتقاء الشرك والكبائر والإيمان على كماله وعمل الصالحات، والرتبة الثانية هي الثبوت والدوام على الحالة المذكورة، والرتبة الثالثة هي الانتهاء في التقوى إلى امتثال ما ليس بفرض من النوافل في الصلاة والصدقة وغير ذلك، وهو الإحسان، وقال قوم الرتبة الأولى لماضي الزمن، والثانية للحال، والثالثة للاستقبال، وقال قوم: الاتقاء الأول هو في الشرك والتزام الشرع، والثاني في الكبائر، والثالث في الصغائر"[١١].

---

(١) تفسير البغوي:٩٦/٣.
(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٧٨١):ص١٢٠٢/٤.
(٣) التفسير الميسر:١٢٣.
(٤) الكشاف:٦٧٦/١.
(٥) تفسير البغوي:٩٦/٣.
(٦) أخرجه الطبري(١٢٥٣٣):ص٥٨١/١٠.
(٧) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٧٨٢):ص١٢٠٣/٤.
(٨) تفسير الطبري:٥٧٦/١٠.
(٩) انظر: تفسير القرطبي:٢٩٧/٦.
(١٠) تفسيرالطبري:٥٧٧/١٠.
(١١) المحرر الوجيز:٢٣٤/٢-٢٣٥.

ثم قال ابن عطية:" وليست هذه الآية وقفا على من عمل الصالحات كلها، واتقى كل التقوى، بل هو لكل مؤمن وإن كان عاصيا أحيانا إذا كان قد عمل من هذه الخصال الممدوحة ما استحق به أن يوصف بأنه مؤمن عامل للصالحات متق في غالب أمره محسن، فليس على هذا الصنف جناح فيما طعم مما لم يحرم عليه"(١).

قوله تعالى:{وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} [المائدة : ٩٣]، أي:" وإن الله تعالى يحب الذين بلغوا درجة الإحسان حتى أصبح إيمانهم بالغيب كالمشاهدة"(٢).

قال السمرقندي:أي:" في أفعالهم"(٣).

قال الطبري:" يقول: والله يحب المتقرِّبين إليه بنوافل الأعمال التي يرضاها"(٤).

عن قتادة:" قوله :"{ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا}، إلى قوله:{والله يحب المحسنين}، لما أنزل الله تعالى ذكره تحريم الخمر في"سورة المائدة"، بعد"سورة الأحزاب"، قال في ذلك رجال من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: أصيب فلانٌ يوم بدر، وفلانٌ يوم أحد، وهم يشربونها! فنحن نشهد أنهم من أهل الجنة! فأنزل الله تعالى ذكره:{ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين}، يقول: شربها القومُ على تقوى من الله وإحسانٍ، وهي لهم يومئذ حلال، ثم حرِّمت بعدهم، فلا جناح عليهم في ذلك"(٥).

روى عطاء بن السائب، عن أبي عبد الرحمن السلمي قال: "شرب نفر من أهل الشام الخمر وعليهم يومئذ معاوية بن أبي سفيان، وقالوا هي لنا حلال وتأولوا قوله: {ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا}، فكتب في ذلك إلى عمر فكتب إليه عمر: أن ابعثهم إلي، قبل أن يفسدوا من قبلك. فلما قدموا على عمر، جمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم ما ترون؟ فقالوا: إنهم قد افتروا على الله كذبا، وشرعوا في دينه ما لم يأذن به، فاضرب أعناقهم، وعلي ساكت فقال: يا علي ما ترى؟ قال: أرى أن تستتيبهم، فإن تابوا فاضربهم ثمانين جلدة، وإن لم يتوبوا فاضرب أعناقهم، فاستتابهم فتابوا، فضربهم ثمانين جلدة وأرسلهم"(٦).

وقد "تأول هذه الآية قدامة بن مظعون الجمحي من الصحابة رضي الله عنه، وهو ممن هاجر إلى أرض الحبشة مع أخويه عثمان وعبد الله، ثم هاجر إلى المدينة وشهد بدرا وعمر، وكان ختن عمر بن الخطاب خال عبد الله وحفصة، ولاه عمر بن الخطاب على البحرين ثم عزله لأن الجارود سيد عبد القيس قدم على عمر بن الخطاب فشهد عليه بشرب الخمر، فقال له عمر: ومن يشهد معك؟ فقال: أبو هريرة، فجاء أبو هريرة فقال له عمر بم تشهد؟ قال لم أره يشرب ولكن رأيته سكران يقيء، فقال له عمر: لقد تنطعت في الشهادة، ثم كتب عمر إلى قدامة أن يقدم عليه، فقدم، فقال الجارود لعمر: أقم على هذا كتاب الله، فقال له عمر: أخصم أنت أم شهيد، قال: بل شهيد: قال: قد أديت شهادتك، فصمت الجارود ثم غدا على عمر، فقال أقم على قدامة كتاب الله، فقال له عمر: ما أراك إلا خصما وما شهد معك إلا رجل واحد، قال الجارود: إني أنشدك الله، قال عمر: لتمسكن لسانك أو لأسوأنك، فقال الجارود: ما هذا والله يا عمر بالحق أن يشرب ابن عمك الخمر وتسوءني، فقال أبو هريرة: إن كنت تشك في شهادتنا فأرسل إلى ابنة الوليد فسلها، وهي امرأة قدامة، فبعث عمر إلى هند بنت الوليد ينشدها الله، فأقامت الشهادة على زوجها، فقال عمر لقدامة إني حادك، فقال: لو شربت كما يقولون لم يكن لك أن تحدني، قال عمر لم؟ قال: لأن الله تعالى يقول ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح الآية، فقال

---

(١) المحرر الوجيز:٢/٢٣٤-٢٣٥.
(٢) التفسير الميسر:١٢٣.
(٣) بحر العلوم:١/٤١٧.
(٤) تفسير الطبري:١٠/٥٧٦.
(٥) أخرجه الطبري(١٢٥٣٢):ص١٠/٥٨٠-٥٨١.
(٦) بحر العلوم:١/٤١٧، وتنبيه الغافلين(٣٦٦):ص١١٣.

له عمر: أخطأت التأويل، إنك إذا اتقيت الله اجتنبت ما حرم عليك، ثم حده عمر وكان مريضا فقال له قوم من الصحابة لا نرى أن تجلده ما دام مريضا، فأصبح يوما وقد عزم على جلده، فقال لأصحابه: ما ترون في جلد قدامة؟ قالوا: لا نرى ذلك ما دام وجعا، فقال له عمر لأن يلقى الله وهو تحت السياط أحب إلي من أن ألقاه وهو في عنقي، وأمر بقدامة فجلد، فغاضب قدامة عمر وهجره إلى أن حج عمر وحج معه قدامة مغاضبا له، فلما كان عمر بالسقيا نام ثم استيقظ فقال: عجلوا علي بقدامة، فقد أتاني آت في النوم فقال: سالم قدامة فإنه أخوك، فبعث في قدامة فأبى أن يأتي فقال عمر جروه إن أبى فلما جاء كلمه عمر واستغفر له فاصطلحا، قال أيوب بن أبي تميمة لم يحد أحد من أهل بدر في الخمر غيره"(١).

قال أيوب ابن أبي تميمة: "لم يحد أحد من أهل بدر في الخمر غيره"(٢).

قال ابن العربي: "فهذا يدلك على تأويل الآية، وما ذكر فيه عن ابن عباس في حديث الدارقطني وعمر في حديث البرقاني، وهو صحيح. وبسطه أنه لو كان من شرب الخمر واتقى الله في غيره لا يحد على الخمر ما حد أحد، فكان هذا من أفسد تأويل، وقد خفي على قدامة، وعرفه من وفقه الله له كعمر وابن عباس، والله أعلم، [قال الشاعر](٣):

وإن حراما لا أرى الدهر باكيا   على شجوه إلا بكيت على عمر"(٤)

الفوائد:

١-ثناءٌ من الله، وحَمْدٌ لأحوال مَن يتَّصِفون بهذه الصِّفات: الإيمانِ والتقوى والإحسان، وهذا مدعاةٌ لتحرِّيها والاتصافِ بها .

٢-ويستفاد منه الآية: القيودُ الشَّديدة في نفْي الإثم عمَّن أكَل أو شَرِب في مأكولِه ومَشروبه، والتقوى ذُكرتْ في الآيةِ ثلاثَ مرَّات، والإيمانُ مرَّتين، والإحسانُ مرَّة، قيودٌ شديدة عظيمة؛ فينبغي الحَذَر من أنْ يكون في المطعوم إثمٌ .

٣-ومنها: أنَّ مَن أكَلَ حلالًا بكسْبٍ حرامٍ فعليه الإثمُ؛ لأنَّه لم يتَّقِ اللهَ في كسْبِه، ولا بدَّ أن يتَّقيَ اللهَ عزَّ وجلَّ، وإذا كان الشيءُ المحرَّمُ مُعيَّنًا فيكون الآكِلُ كالكاسِب، مثل: أنْ أعرفَ أنَّ هذه الشَّاةَ التي ذبَحها إكرامًا لي قد سرقَها من فلانٍ، فهذه حرامٌ عليَّ أنْ آكُلها.

٤-يُستَفادُ مِنْ قَوْلِه :ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا فضيلةُ الإحسانِ إلى الخَلْق والإحسانِ في عِبادةِ الخالِق؛ فالإحسانُ إلى الخَلْق أن تبذُلَ جاهَك، تبذل مالَك، تبذل خِدمتك، تبذل منفعتَك البدنيَّة، والإحسانُ في عبادة الخالِق فسَّره أعلمُ الناس بمعناه، وهو النبيُّ صلّى الله عليه وسلَّم بقوله:" أنْ تَعبُدَ اللهَ كأنَّك تراه، فإنْ لم تكُن تراه فإنَّه يَراك"(٥).

قال القرطبي:قوله:" {ثم اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين} دليل على أن المتقي المحسن أفضل من المتقي المؤمن الذي عمل الصالحات، فضله بأجر الإحسان"(٦).

القرآن

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٩٤)} [المائدة : ٩٤]

التفسير:

---

(١) انظر: احكام القرىن لابن العربي:١٦٩/٢، والمحرر الوجيز:٢٣٤/٢-٢٣٥، وانظر: تفسير القرطبي:٢٩٧/٦-٢٩٩.

(٢) تفسير القرطبي:٢٩٩/٦.

(٣) انظر: أحكام القرآن لان العربي:١٦٩/١، وتفسير القرطبي:٢٩٩/٦

والبيت لعبد الرحمن بن جمانة المحاربي كما في اللسان"حرم":ص١٢٧/١٢، وتاج العروس"حرم":ص٤٦٣/٣١، وفيهما: "على عمرو"، وبلا نسبة في شمس العلوم ودواء كلام العرب الكلوم:١٤٠٠/٣.

.

(٤) أحكام القرآن:١٦٩/٢، وانظر: تفسير القرطبي:٢٩٩/٦.

(٥) .أخرجه البخاري(٥٠)، ومسلم(١٠) عن ابي هريرة، وأخرجه مسلم(٨) من حديث عمر.

(٦) تفسير القرطبي:٢٩٧/٦.

يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، ليبلونكم الله بشيء من الصيد يقترب منكم على غير المعتاد حيث تستطيعون أَخْذَ صغاره بغير سلاح وأخذ كباره بالسلاح; ليعلم الله علمًا ظاهرًا للخلق الذين يخافون ربهم بالغيب، ليقينهم بكمال علمه بهم، وذلك بإمساكهم عن الصيد، وهم محرمون. فمن تجاوز حَدَّه بعد هذا البيان فأقدم على الصيد -وهو مُحْرِم- فإنه يستحق العذاب الشديد.

قوله تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} [المائدة : ٩٤]، أي:" يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه"(١).

قال سعيد بن جبير:"قوله: {آمنوا بالله}، يعني: بتوحيد الله"(٢).

قال ابن عثيمين:"إن تصدير الحكم بالنداء دليل على الاهتمام به؛ لأن النداء يوجب انتباه المنادَى؛ ثم النداء بوصف الإيمان دليل على أن تنفيذ هذا الحكم من مقتضيات الإيمان؛ وعلى أن فواته نقص في الإيمان"(٣).

قوله تعالى:{لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ} [المائدة : ٩٤]، أي:" ليختبرنكم الله ببعض الصيد "(٤).

قال مقاتل:" يعني:ببعض الصيد فخص صيد البر خاصة، ولم يعم الصيد كله لأن للبحر صيدا"(٥).

قال الزجاج:" معنى: {ليبلونكم}: ليختبرن طاعتكم من معصيتكم"(٦).

قال سعيد بن جبير:" {ليبلونكم الله}، يعني: ليبتلينكم، يعني: المؤمنين"(٧).

قال الطبري: وإنما أخبرهم تعالى ذكره أنه يبلوهم بشيء، لأنه لم يبلُهم بصيد البحر، وإنما ابتلاهم بصيد البرّ، فالابتلاء ببعض لا بجميع"(٨).

قال السعدي:" أي: بشيء غير كثير، فتكون محنة يسيرة، تخفيفا منه تعالى ولطفا، وذلك الصيد الذي يبتليكم الله به {تناله أيديكم ورماحكم} أي: تتمكنون من صيده، ليتم بذلك الابتلاء، لا غير مقدور عليه بيد ولا رمح، فلا يبقى للابتلاء فائدة"(٩).

قال مُقَاتِل بن حَيَّان : " أنزلت في عمرة الحديبية فكانت الوحش والطير والصيد يغشاهم في رحالهم لم يروا مثله قط فيما خلا فنهاهم الله عن قتله، وهم محرمون"(١٠). وذكر الكلبي نحو ذلك(١١).

وقوله تعالى:{مِنَ الصَّيْدِ} [المائدة : ٩٤]، يحتمل وجهين:

أحدهما : أن {مِّنَ}، للتبعيض في هذا الموضع، لأن الحكم متعلق بصيد البَرِّ دون البحر ، وبصيد الحرم والإحرام دون الحل والإحلال.

والثاني : أن {مِّنَ}، في هذا الموضع داخلة لبيان الجنس، نحو قوله تعالى:{اجْتَنِبُواْ الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ} [الحج : ٣٠]. قاله الزجاج(١٢).

قال الزمخشري:" فإن قلت: ما معنى التقليل والتصغير في قوله: {بشيء من الصيد}؟

---

(١) التفسير الميسر:١٢٣.
(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(٦١٠٤):ص١٠٩٠/٤.
(٣) انظر: تفسير ابن عثيمين: ٣٣٧/١.
(٤) تفسير الطبري:٥٨٢/١٠.
(٥) تفسير مقاتل بن سليمان:٥٠٣/١.
(٦) معاني القرآن:٢٠٦/٢.
(٧) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٧٨٣):ص١٢٠٣/٤
(٨) تفسير الطبري:٥٨٢/١٠.
(٩) تفسير السعدي:٢٤٣.
(١٠) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٧٨٩):ص١٢٠٤،٤، وانظر: تفسير ابن كثير:١٩٠/٣.
(١١) انظر: النكت والعيون:٦٦/٢.
(١٢) انظر: معاني القرآن:٢٠٦/٢.

قلت: قلل وصغر ليعلم أنه ليس بفتنة من الفتن العظام التي تدحض عندها أقدام الثابتين، كالابتلاء ببذل الأرواح والأموال، وإنما هو شبيه بما ابتلى به أهل أيلة من صيد السمك، وأنهم إذا لم يثبتوا عنده فكيف شأنهم عند ما هو أشد منه "(١).

قوله تعالى:{تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ} [المائدة : ٩٤]، أي:"يسهل عليكم أخذ بعضه بأيديكم وبعضه برماحكم"(٢).

قال ابن عباس:" هو الضعيف من الصيد وصغيره يبتلي الله به من عباده في إحرامهم حتى لو شاءوا تناولوه بأيديهم فنهاهم الله أن يقربوه"(٣).

قال الطبري:يعني:" إما باليد، كالبيض والفراخ، وإما بإصابة النَّبْل والرماح، وذلك كالحمر والبقر والظباء، فيمتحنكم به في حال إحرامكم بعمرتكم أو بحجّكم"(٤).

قال الشوكاني:" كان الصيد أحد معايش العرب فابتلاهم الله بتحريمه مع الإحرام وفي الحرم، كما ابتلى بني إسرائيل أن لا يعتدوا في السبت، وكان نزول الآية في عام الحديبية، أحرم بعضهم وبعضهم لم يحرم، فكان إذا عرض صيد اختلفت فيه أحوالهم"(٥).

قال المراغي:" ووجه الابتلاء فى ذلك أن الصيد طعام لذيذ تشتد الحاجة إليه فى الأسفار الطويلة كالسفر إلى الجهات النائية، إلى أن سهولة تناوله تغرى به، إذ ترك مالاينال إلا بمشقة لا يدل على التقوى والخوف من الله كما يدل عليه ترك ما ينال بسهولة"(٦).

وفي قوله تعالى:{ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ} [المائدة : ٩٤]، قولان:

أحدهما : ما تناله أيدينا : البيض ، ورماحنا : الصيد ، قال مجاهد(٧)،و مقاتل(٨)، واختاره الطبري(٩).

والثاني : ما تناله أيدينا : الصغار ، ورماحنا : الكبار ، قاله ابن عباس(١٠).

قال الزجاج:" ومعنى قوله: {تناله أيديكم ورماحكم}، الذي تناله الأيدي نحو بيض النعام وفراخه وما كان صغيرا ينهض من مجثمه من غير النعام وسائر ما يفوق اليد بحركته من سائر الوحش، فحرم جميع صيد البر الجراد وكل ما يصطاد فحرام صيده ما داموا حرما. وبين رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن كل ما اصطيد في الحرم حرام، كانوا محرمين أو غير محرمين"(١١).

وقال ابن عطية:" والظاهر أن الله تعالى خص الأيدي بالذكر، لأنها عظم المتصرف في الاصطياد، وهي آلة الآلات وفيها تدخل الجوارح والحبالات، وما عمل باليد من فخاخ وشباك، وخص الرماح بالذكر لأنها عظم ما يجرح به الصيد وفيها يدخل السهم ونحوه، واحتج بعض الناس على أن الصيد للآخذ لا للمثير بهذه الآية، لأن المثير لم تنل يده ولا رمحه بعد شيئا"(١٢).

وقرأ إبراهيم: "يناله"، بالياء (١٣).

قوله تعالى:{لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ} [المائدة : ٩٤]، أي:" ليعلم الله علمًا ظاهرًا للخلق الذين يخافون ربهم بالغيب"(١).

---

(١) الكشاف:٦٧٧/١.
(٢) تفسير المراغي:٣١/٧.
(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٧٨٤):ص١٢٠٣/٤
(٤) تفسير الطبري:٥٨٣/١٠.
(٥) فتح القدير:٨٨/٢.
(٦) تفسير المراغي:٣١/٧.
(٧) انظر: تفسير الطبري(١٢٥٣٧)-(١٢٥٤١):ص٥٨٣/١٠-٥٨٤.
(٨) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٥٠٣/١.
(٩)انظر: تفسير الطبري:٥٨٣/١٠.
(١٠) انظر: تفسير الطبري(١٢٥٤٢):ص٥٨٤/١٠.
(١١) معاني القرآن:٢٠٦/٢.
(١٢) المحرر الوجيز:٢٣٦/٢.
(١٣) انظر: الكشاف:٦٧٧/١.

قال ابن عطية:" معناه: ليستمر علمه عليه وهو موجود إذ علم تعالى ذلك في الأزل"[٢].

قال الطبري:أي:" ليعلم أولياء الله من يخافُ الله فيتقي محارمَه التي حرمها عليه من الصيد وغيره، بحيث لا يراه ولا يُعاينه"[٣].

قال الزمخشري:أي:" ليتميز من يخاف عقاب الله وهو غائب منتظر في الآخرة فيتقى الصيد، ممن لا يخافه فيقدم عليه"[٤].

قال المراغي:يعني:" إنه تعالى يريد أن يعاملكم معاملة المختبر الذي يريد أن يعلم الشيء وإن كان هو عالما به، تربية لكم وتزكية لنفوسكم وتطهيرا لها"[٥].

وفي قوله تعالى:{لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ} [المائدة : ٩٤]، أربعة تأويلات[٦]:

أحدها : أن معنى ليعلم الله : ليرى ، فعبر عن الرؤية بالعلم لأنها تؤول إليه ، قاله الكلبي[٧].

والثاني : ليعلم أولياؤه من يخافه بالغيب .

والثالث : لتعلموا أن الله يعلم من يخافه بالغيب .

والرابع : معناه لتخافوا الله بالغيب ، والعلم مجاز ، وقوله:{بِالْغَيْبِ}، يعني: بالسر كما تخافونه في العلانية.

قال ابن كثير:" يعني:أنه تعالى يبتليهم بالصيد يغشاهم في رحالهم ، يتمكنون من أخذه بالأيدي والرماح سرًا وجهرًا ليظهر طاعة من يطيع منهم في سره وجهره ، كما قال تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ } [الملك : ١٢]"[٨].

قال ابن عطية:" والظاهر أن المعنى :{بالغيب}، من الناس، أي: في الخلوة فمن خاف الله انتهى عن الصيد من ذات نفسه، وقد خفي له لو صاد"[٩].

قال السعدي:" ثم ذكر الحكمة في ذلك الابتلاء، فقال: {ليعلم الله} علما ظاهرا للخلق يترتب عليه الثواب والعقاب {من يخافه بالغيب} فيكف عما نهى الله عنه مع قدرته عليه وتمكنه، فيثيبه الثواب الجزيل، ممن لا يخافه بالغيب، فلا يرتدع عن معصية تعرض له فيصطاد ما تمكن منه"[١٠].

وقرأ الزهري:«ليعلم الله»، بضم الياء وكسر اللام، أي: ليعلم عباده[١١].

قوله تعالى:{فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [المائدة : ٩٤]، أي:" فمن تجاوز حَدَّه بعد هذا البيان فأقدم على الصيد -وهو مُحْرِم- فإنه يستحق العذاب الشديد"[١٢].

قال السدي: "يعني بعد هذا"[١٣].

قال ابن كثير:يعني: "بعد هذا الإعلام والإنذار والتقدم، { فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ } أي : لمخالفته أمر الله وشرعه"[١٤].

قال الزمخشري:أي:" فصاد بعد ذلك الابتلاء، فالوعيد لاحق به"[١٥].

---

(١) التفسير الميسر:١٢٣.
(٢) المحرر الوجيز:٢٣٦/٢.
(٣)تفسير الطبري:٥٨٥/١٠ .
(٤) الكشاف:٦٧٧/١.
(٥) تفسير المراغي:٣١/٧.
(٦) انظر النكت والعيون:٦٦/٢.
(٧) انظر النكت والعيون:٦٦/٢.
(٨) تفسير مقاتل بن سليمان:٥٠٤/١.
(٩) المحرر الوجيز:٢٣٦/٢.
(١٠) تفسير السعدي:٢٤٣.
(١١) انظر: المحرر الوجيز:٢٣٦/٢.
(١٢) التفسير الميسر:١٢٣.
(١٣) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٧٩٠):ص١٢٠٤/٤.
(١٤) تفسير مقاتل بن سليمان:٥٠٤/١.[كلامه شرح لكلام السدي].
(١٥) الكشاف:٦٧٧/١.

قال الطبري:أي:" فمن تجاوز حدَّ الله الذي حدّه له، بعد ابتلائه بتحريم الصيد عليه وهو حرام، فاستحلَّ ما حرَّم الله عليه منه بأخذِه وقتله، فله عذابٌ، من الله، مؤلم موجع"(١).

قال المراغي: أي:" فمن اعتدى بأخذ شىء من ذلك الصيد بعد ذلك البيان الذي أخبركم الله تعالى به قبل حصوله، فله عذاب شديد فى الآخرة، إذ هو لم يبال باختبار الله له، بل انتهك حرمة نواهيه، وأبان أنه لا يخافه بالغيب، بل يخاف لوم المؤمنين وتعذيرهم إذا هو أخذ شيئا من الصيد بمرأى منهم ومسمع كما هو دأب المنافقين الذين يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليل"(٢).

قال السعدي:" {فمن اعتدى} منكم {بعد ذلك} البيان، الذي قطع الحجج، وأوضح السبيل. {فله عذاب أليم} أي: مؤلم موجع، لا يقدر على وصفه إلا الله، لأنه لا عذر لذلك المعتدي، والاعتبار بمن يخافه بالغيب، وعدم حضور الناس عنده. وأما إظهار مخافة الله عند الناس، فقد يكون ذلك لأجل مخافة الناس، فلا يثاب على ذلك"(٣).

قال مقاتل:" يقول: فمن أخذ الصيد عمدا بعد النهي، فقتل الصيد وهو محرم :{فله عذاب أليم}، يعني: ضربا وجيعا ويسلب ثيابه ويغرم الجزاء، وحكم ذلك إلى الإمام"(٤).

عن قيس بن سعيد:" أن ابن عباس كان يقول :{عذاب أليم}، أن يوسع ظهره وبطنه جلدا ويسلب ثيابه"(٥).

وعن مجاهد:"{فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم}، قال: هي موجبة"(٦).

قال ابن عطية:" والعذاب الأليم، هو عذاب الآخرة

الفوائد:

١- ابتلاء الله تعالى لأصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالحديبية بكثرة الصيد بين أيديهم. وحرم عليهم صيده فامتثلوا أمر الله تعالى ولم يصيدوا فكانوا خيراً من بني إسرائيل وأفضل منهم على عهد أنبيائهم.

٢-بيان امتحان الله تبارك وتعالى لعباده بتيسير أسباب المعصية لهم ليعلم من يخافه بالغيب ومن لايخافه إلا في العلانية.

٣-أن الصيد في حال الإحرام محرم، لقوله: {لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ}.

٤-أن من كان جاهلا فإنه لا إثم عليه إذا فعل المعصية، لقوله:{بعد ذلك}.

٥-إثبات علم الله تبارك وتعالى، لقوله: {لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ}، وعلمه محيط بكل شي.

٦-الثناء على من يخاف الله بالغيب.

القرآن

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ (٩٥)} [المائدة : ٩٥]

التفسير:

يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه لا تقتلوا صيد البر، وأنتم محرمون بحج أو عمرة، أو كنتم داخل الحرم ومَن قتل أيَّ نوع من صيد البرِّ متعمدًا فجزاء ذلك أن يذبح مثل ذلك الصيد من بهيمة الأنعام: الإبل أو البقر أو الغنم، بعد أن يُقَدِّره اثنان عدلان، وأن يهديه لفقراء

---

(١)تفسير الطبري:٥٨٥/١٠ .

(٢) تفسير المراغي:٣١/٧.

(٣) تفسير السعدي:٢٤٣.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان:٥٠٤/١.

(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٧٩١):ص١٢٠٤/٤.

(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٧٩٢):ص١٢٠٤/٤.

الحرم، أو أن يشتري بقيمة مثله طعامًا يهديه لفقراء الحرم لكل مسكين نصف صاع، أو يصوم بدلا من ذلك يوما عن كل نصف صاع من ذلك الطعام، فَرَضَ الله عليه هذا الجزاء; ليلقى بإيجاب الجزاء المذكور عاقبة فِعْله. والذين وقعوا في شيء من ذلك قبل التحريم فإن الله تعالى قد عفا عنهم، ومَن عاد إلى المخالفة متعمدًا بعد التحريم، فإنه مُعَرَّض لانتقام الله منه. والله تعالى عزيز قويٌّ منيع في سلطانه، ومِن عزته أنه ينتقم ممن عصاه إذا أراد، لا يمنعه من ذلك مانع.

سبب النزول:

قال مقاتل:" وذلك أن أبا بشر واسمه: عمرو بن مالك الأنصاري كان محرما في عام الحديبية بعمرة، فقتل حمار وحش، فنزلت فيه:{ لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ...}"(١).

قوله تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} [المائدة : ٩٥]، أي:" يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه"(٢).

قال ابن عباس:" ما أنزل الله آية في القرآن، يقول فيها: {يا أيها الذين آمنوا}، إلا كان على شريفها وأميرها"(٣).

قال ابن مسعود رضي الله عنه: "إذا سمعت الله يقول: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} فأرعها سمعك؛ فإنه خير يأمر به، أو شر ينهى عنه"(٢).

قال خيثمة: "ما تقرأون في القرآن: {يا أيها الذين آمنوا}، فإنه في التوراة: يا أيها المساكين"(٤).

قوله تعالى:{لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ} [المائدة : ٩٥]، أي:" لا تقتلوا صيد البر، وأنتم محرمون بحج أو عمرة، أو كنتم داخل الحرم"(٥).

قال الطبري:أي:" لا تقتلوا الصيدَ وأنتم محرمون بحجّ أو عمرة"(٦).

قال ابن كثير:" وهذا تحريم منه تعالى لقتل الصيد في حال الإحرام ، ونهي عن تعاطيه فيه. وهذا إنما يتناول من حيث المعنى المأكول وما يتولد منه ومن غيره ، فأما غير المأكول من حيوانات البر ، فعند الشافعي يجوز للمحرم قتلها. والجمهور على تحريم قتلها أيضًا، ولا يستثنى من ذلك إلا ما ثبت في الصحيحين من طريق الزهري ، عن عُرْوَة ، عن عائشة أم المؤمنين ؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "خمس فَواسِق يُقْتَلْنَ في الحِلِّ والحَرَم الغُراب والحدأة ، والعَقْرب ، والفأرة ، والكلب العَقُور»(٧)"(٨).

وفي قوله تعالى:{لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ} [المائدة : ٩٥]، ثلاثة أقوال:

أحدها : يعني الإحرام بحج أو عمرة ، قاله الأكثرون(٩).

والثاني : يعني بالحرم الداخل إلى الحرم ، يقال أحرم إذا دخل في الحرم ، وأتْهَمَ إذا دخل تهامة ، وأنْجَدَ إذا دخل نجد ، ويقال أحرم لمن دخل في الأشهر الحرم . قاله بعض البصريين(١٠).

والثالث : أن اسم المحرم يتناول الأمرين معاً على وجه الحقيقة دون المجاز من أحرم بحج أو عمرة أو دخل الحرم ، وحكم قتل الصيد فيهما على سواء بظاهر الآية ، قاله علي بن أبي هريرة(١١).

---

(١) .تفسير مقاتل بن سليمان:٥٠٤/١

(٢) التفسير الميسر:١٢٣.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٣٥):ص١٩٦/١، و(٥٠٢٥):ص٩٠٢/٣

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٣٧):ص ١٩٦/١، و(٥٠٢٧):ص٩٠٢/٣

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم(٥٠٢٦):ص٩٠٢/٣.

(٥) التفسير الميسر:١٢٣.

(٦) تفسير الطبري:٧/١١.

(٧)صحيح البخاري برقم (٣٣١٤) وصحيح مسلم برقم (١١٩٨).

(٨) تفسير ابن كثير:١٩٠/٣.

(٩) انظر: النكت والعيون:٦٦/٢.

(١٠) انظر: النكت والعيون:٦٦/٢.

(١١) انظر: النكت والعيون:٦٦/٢، وتفسير العز بن عبد السلام:١٧٦/٢.

قوله تعالى:{وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا} [المائدة : ٩٥]، أي:" ومَن قتل أيَّ نوعٍ من صيد البرِّ متعمدًا"[١].

قال الطبري: هذا إعلام من الله تعالى ذكره عبادَه حكمَ القاتل من المحرمين الصيدَ الذي نهاه عن قتله متعمدًا"[٢].

قال النسفي:" أى: ذاكرا لا حرامه أو عالما أن ما يقتله مما يحرم قتله عليه فإن قتله ناسيا لإحرامه أو رمى صيدا وهو يظن أنه ليس بصيد فهو مخطئ وإنما شرط التعمد في الآية مع أن محظورات الإحرام يستوي فيها العمد والخطأ لأن مورده الآية فيمن تعمد"[٣].

وفي قوله تعالى:{وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا} [المائدة : ٩٥]، وجهان:

أحدهما : متعمداً لقتله ، ناسياً لإحرامه ، قاله مجاهد[٤]، والحسن[٥]، وإبراهيم[٦]، وابن جريج[٧]، وابن زيد[٨]، واختاره الزجاج[٩].

والثاني : متعمداً لقتله ذاكراً لإحرامه ، قاله ابن عباس[١٠]، وسعيد بن جبير[١١]، وعطاء[١٢]، والزهري[١٣]، وطاوس[١٤].

والراجح-والله أعلم- هو القول الثاني، لأن الله تعالى "لم يخصص به المتعمِّد قتلَه في حال نسيانه إحرامَه، ولا المخطئَ في قتله في حال ذكره إحرامَه، بل عمَّ في التنزيل بإيجاب الجزاء، كلَّ قاتل صيد في حال إحرامه متعمدًا، وغير جائز إحالة ظاهر التنزيل إلى باطن من التأويل لا دلالة عليه من نصّ كتاب، ولا خبر لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا إجماع من الأمة، ولا دلالة من بعض هذه الوجوه.

فإذْ كان ذلك كذلك، فسواءٌ كان قاتل الصيد من المحرمين عامدًا قتلَه ذاكرًا لإحرامه، أو عامدًا قتله ناسيًا لإحرامه، أو قاصدًا غيره فقتله ذاكرًا لإحرامه في أن على جميعهم من الجزاء ما قال ربنا تعالى ذكره، وهو: مثلُ ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل من المسلمين، أو كفارة طعامُ مساكين، أو عدل ذلك صيامًا"[١٥].

واختلفوا في الخاطىء في قتله الناسي لإحرامه على قولين[١٦]:

أحدهما : لا جزاء عليه ، قاله داود .

الثاني : عليه الجزاء ، قاله مالك ، والشافعي ، وأبو حنيفة .

قوله تعالى:{فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ} [المائدة : ٩٥]، أي:" فجزاء ذلك أن يذبح مثل ذلك الصيد من بهيمة الأنعام: الإبل أو البقر أو الغنم"[١٧].

قال الماوردي:" يريد أن مثل الصيد من النعم"[١٨].

---

(١) التفسير الميسر:١٢٣.
(٢) تفسير الطبري:٧/١١.
(٣) تفسير النسفي:٤٧٥/١.
(٤) انظر: تفسير الطبري(١٢٥٤٤):ص٨/١١.
(٥) انظر: تفسير الطبري(١٢٥٥٣):ص٩/١١.
(٦) انظر: تفسير الطبري(١٢٥٥٤):ص٩/١١-١٠.
(٧) انظر: تفسير الطبري(١٢٥٥٢):ص٩/١١.
(٨) انظر: تفسير الطبري(١٢٥٥٧):ص١٠/١١.
(٩) انظر: معاني القرآن:٢٠٧/١.
(١٠) انظر: تفسير الطبري(١٢٥٦٢):ص١١/١١.
(١١) انظر: تفسير الطبري(١٢٥٦٣):ص١١/١١.
(١٢) انظر: تفسير الطبري(١٢٥٥٩):ص١١/١١.
(١٣) انظر: تفسير الطبري(١٢٥٦١):ص١١/١١.
(١٤) انظر: تفسير الطبري(١٢٥٦٥):ص١١/١١.
(١٥) تفسير الطبري:١٢/١١.
(١٦) انظر: النكت والعيون:٦٧/٢.
(١٧) التفسير الميسر:١٢٣.
(١٨) النكت والعيون:٦٧/٢.

قال ابن الجوزي:" المعنى: فعليه جزاء من النعم مماثل للمقتول"(١).

قال ابن قتيبة: "النعم: الإبل، وقد يكون البقر والغنم، والأغلب عليها الإبل"(٢).

وقال الزجاج: النعم في اللغة هي الإبل والبقر والغنم، وإن انفردت الإبل منها قيل لها نعم وإن انفردت الغنم والبقر لم تسم نعما، فكان عليه بحذاء حمار الوحش وبقرة الوحش بدنة، وعليه بحذاء الظباء من الغنم شاة"(٣).

واختلف أهل العلم في صفة«الجزاء»، وكيف يجزي قاتلُ الصيد من المحرمين ما قتل بمثله من النعم، وفي ذلك قولان (٤):

أحدهما:أن يقوَّم الصيد المقتول قيمتَه من الدراهم، ثم يشتري القاتل بقيمته نِدًّا من النعم، ثم يهديه إلى الكعبة، وهو قول إبراهيم(٥)، وبه قال أبو حنيفة(٦).

والثاني : ينظر إلى أشبه الأشياء به شبهًا من النعم، فيجزيه به، ويهديه إلى الكعبة، وهذا قول عمر بن الخطاب(٧)، وابن عباس(٨)، ومجاهد(٩)، وعطاء(١٠)، والضحاك(١١)، السدي(١٢)، والحسن بن مسلم(١٣). وبه قال الشافعي (١٤).

قال الإمام الطبري:" وأولى القولين في تأويل الآية، ما قال عمر وابن عباس، ومن قال بقولهما: أن المقتول من الصيد يُجْزَي بمثله من النعم، كما قال الله تعالى ذكره:"فجزاء مثل ما قتل من النعم". وغير جائز أن يكون مثل الذي قتل من الصيد دراهم، وقد قال الله تعالى:"من النعم"، لأن الدراهم ليست من النعم في شيء"(١٥).

قال قبيصة بن جابر: "أصبت ظبيًا وأنا محرم، فأتيت عمر فسألته عن ذلك، فأرسل إلى عبد الرحمن بن عوف، فقلت: يا أمير المؤمنين، إنّ أمرَه أهون من ذلك! قال: فضربني بالدِّرّة حتى سابقته عدوًا!قال: ثم قال: قتلتَ الصيد وأنتَ محرم، ثم تَغْمِص الفُتيا! قال: فجاء عبد الرحمن، فحكما شاة"(١٦).

وقال إبراهيم النخعي :" ما أصاب المحرم من شيء، حكم فيه قيمته"(١٧)، وهو قول جماعة من الكوفيين(١٨).

وقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: «فجزاء مثل» مضافة وبخفض «مثل» . وقرأ عاصم، وحمزة، والكسائي: «فجزاء» منون «مثل» مرفوع (١٩).

قوله تعالى:{يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ} [المائدة : ٩٥]، أي:" بعد أن يُقَدِّره اثنان عدلان"(١).

---

(١) زاد المسير:٥٨٥/١.
(٢) نقلا عن: زاد المسير:٥٨٥/١.
(٣) معاني القرآن:٢٠٧/٢.
(٤) انظر: النكت والعيون:٦٧/٢.
(٥) انظر: تفسير الطبري(١٢٥٨٣):ص٢٠/١١.
(٦) انظر: النكت والعيون:٦٧/٢.
(٧) انظر: تفسير الطبري(١٢٥٧٣):ص١٦/١١.
(٨) انظر: تفسير الطبري(١٢٥٦٩)-(١٢٧٢):ص١٥/١١-١٦.
(٩) انظر: تفسير الطبري(١٢٥٦٨):ص١٥/١١.
(١٠) انظر: تفسير الطبري(١٢٥٦٧):ص١٥/١١.
(١١) انظر: تفسير الطبري(١٢٥٨٠):ص١٨/١١.
(١٢) انظر: تفسير الطبري(١٢٥٦٦):ص١٤/١١-١٥.
(١٣) انظر: تفسير الطبري(١٢٥٨٢):ص١٩/١١.
(١٤) انظر: النكت والعيون:٦٧/٢.
(١٥) تفسير الطبري:٢٠/١١.
(١٦) أخرجه الطبري(١٢٥٧٧):ص١٧/١١.
(١٧) أخرجه الطبري(١٢٥٨٣):٢٠/١١.
(١٨) انظر: تفسير الطبري:٢٩/١١.
(١٩) انظر: السبعة في القراءات:٢٤٧-٢٤٨، وتفسير الطبري:١٣/١١، وزاد المسير:٥٨٥/١.

قال الزجاج:" أي: من أهل ملتكم، فعلى قاتل الصيد أن يسأل فقيهين عدلين عن جزاء ما قتل"[٢].

قال الطبري:" يعني: فقيهان عالمان من أهل الدين والفضل"[٣].

قال ابن الجوزي:" وإنما ذكر اثنين، لأن الصيد يختلف في نفسه، فافتقر الحكم بالمثل إلى عدلين"[٤].

قال السمعاني:" وفيه دليل على جواز الاجتهاد في الأحكام"[٥].

عن بكر بن عبد الله المزني قال: "كان رجلان من الأعراب محرمين، فأحاش أحدهما ظبيًا، فقتله الآخر. فأتيا عمر، وعنده عبد الرحمن بن عوف، فقال له عمر: وما ترى؟ قال: شاة، قال: وأنا أرى ذلك، اذهبا فأهديا شاة. فلما مضَيا قال أحدهما لصاحبه: ما درَى أمير المؤمنين ما يقول حتى سأل صاحبه!! فسمعها عمر، فردّهما فقال: هل تقرأان سورة المائدة؟ فقالا لا! فقرأها عليهما:{يحكم به ذوا عدل منكم}، ثم قال: استعنت بصاحبي هذا"[٦].

قال قتادة:" ذكر لنا أن رجلا أصاب صيدًا، فأتى ابن عمر فسأله عن ذلك، وعنده عبد الله بن صفوان، فقال ابن عمر لابن صفوان: إما إن أقول فتصدقني، وإما أن تقول فأصدقك. فقال ابن صفوان: بل أنت فقل. فقال ابن عمر، ووافقه على ذلك عبد الله بن صفوان"[٧].

عن عمرو بن حبشي قال: "سمعت رجلا سأل عبد الله بن عمر، عن رجل أصاب ولدَ أرنب، فقال: فيه ولد ماعز، فيما أرى أنا. ثم قال لي: أكذاك؟ فقلت: أنت أعلم مني. فقال: قال الله تعالى ذكره:{يحكم به ذوا عدل منكم}"[٨].

قال شريح:" لو وجدت حكمًا عدلا لحكمت في الثعلب جَدْيًا، وجديٌ أحبُّ إليّ من الثعلب"[٩].

قوله تعالى:{هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ} [المائدة : ٩٥]، أي:" وأن يهديه لفقراء الحرم"[١٠].

قال الطبري:" أي: يُهْدَي فيبلغ الكعبة"[١١].

قال مقاتل:" هديا بالغ الكعبة يعني: بالهدي: البدن"[١٢]، قوله"{بالغ الكعبة}: محلها مكة"[١٣].

قال ابن عمر:" إنما الهدي ذوات الجود[١٤].

قال السعدي:" أي: يذبح في الحرم"[١٥].

قال الماوردي:" يلزم إيصاله إلى الكعبة، وعنى بالكعبة جميع الحرم ، لأنها في الحرم"[١٦].

---

(١) التفسير الميسر:١٢٣.
(٢) معاني القرآن:٢/٢٠٧.
(٣) تفسير الطبري:١١/٢٢.
(٤) زاد المسير:١/٥٨٦.
(٥) تفسير السمعاني:٢/٦٧.
(٦) أخرجه الطبري(١٢٥٨٥):ص١١/٢٣.
(٧) أخرجه الطبري(١٢٥٩٠):ص١١/٢٥.
(٨) أخرجه الطبري(١٢٥٩٨):ص١١/٢٨.
(٩) أخرجه الطبري(١٢٥٩١):ص١١/٢٥.
(١٠) التفسير الميسر:١٢٣.
(١١) تفسير الطبري:١١/٢٢.
(١٢) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٨٠٩):ص٤/١٢٠٧.
(١٣) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٨١٠):ص٤/١٢٠٨.
(١٤) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٨٠٨):ص٤/١٢٠٨.
(١٥) تفسير السعدي:٢٤٣.
(١٦) النكت والعيون:٢/٦٧.

قال ابن كثير:" أي : واصلا إلى الكعبة ، والمراد وصوله إلى الحرم ، بأن يذبح هناك ، ويفرق لحمه على مساكين الحرم. وهذا أمر متفق عليه في هذه الصورة"[١].

قال السمعاني:" قوله: {بالغ الكعبة} يقتضي أن يكون إعطاء الهدي في الحرم، يفرق على مساكين الحرم، وهو الواجب"[٢].

واختلفوا هل يجوز أن يهدي في الحرم ما لا يجوز في الأضحية من صغار الغنم على قولين[٣]:

أحدهما : لا يجوز قاله : أبو حنيفة.

الثاني : يجوز ، قاله الشافعي .

قوله تعالى:{أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ} [المائدة : ٩٥]، أي:" أو أن يشتري بقيمة مثله طعامًا يهديه لفقراء الحرم لكل مسكين نصف صاع"[٤].

قال السعدي:" أي: كفارة ذلك الجزاء طعام مساكين، أي: يجعل مقابلة المثل من النعم، طعام يطعم المساكين"[٥].

وفي قوله تعالى:{أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ} [المائدة : ٩٥]، قولان:

أحدهما : أنه يُقَوِّم المثل من النعم ويشتري بالقيمة طعاماً ، قاله عطاء[٦]، والشافعي[٧] .

الثاني : يقوِّم الصيد ويشتري بالغنيمة طعاماً ، قاله قتادة[٨]، وأبو حنيفة[٩].

قال السعدي:" قال كثير من العلماء: يقوم الجزاء، فيشترى بقيمته طعام، فيطعم كل مسكين مد بر أو نصف صاع من غيره"[١٠].

قرأ ابن كثير، وعاصم، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي: أو كفارة منونا طعام رفعا. وقرأ نافع، وابن عامر: «أو كفارة» رفعا غير منون «طعام مساكين» على الاضافة[١١].

قوله تعالى:{أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا} [المائدة : ٩٥]، أي:" أو يصوم بدلا من ذلك يوما عن كل نصف صاع من ذلك الطعام"[١٢].

قال السعدي:" أي: يصوم عن إطعام كل مسكين يوما"[١٣].

قال البيضاوي:أي:" أو ما ساواه من الصوم فيصوم عن طعام كل مسكين يوما"[١٤].

وفي قوله تعالى:{أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا} [المائدة : ٩٥]، ثلاثة اقوال:

أحدها : أنه يصوم عن كل مد يوماً ، قاله عطاء[١٥]، والشافعي[١٦].

والثاني : يصوم عن كل مد ثلاثة أيام ، قاله سعيد بن جبير[١٧].

والثالث : يصوم عن كل صاع يومين ، قاله قتادة[١].

---

(١) تفسير ابن كثير:١٩٤/٣.
(٢) تفسير السمعاني:٦٧/٢.
(٣) انظر: النكت والعيون:٦٧/٢.
(٤) التفسير الميسر:١٢٣.
(٥) تفسير السعدي:٢٤٣.
(٦) انظر: تفسير الطبري(١٢٦١٨):ص٣٦/١١.
(٧) انظر: النكت والعيون:٦٨/٢.
(٨) انظر: تفسير الطبري(١٢٦١٩):ص٣٦/١١-٣٧.
(٩) انظر: النكت والعيون:٦٨/٢.
(١٠) تفسير السعدي:٢٤٣.
(١١) انظر: السبعة في القراءات:٢٤٨.
(١٢) التفسير الميسر:١٢٣.
(١٣) تفسير السعدي:٢٤٣.
(١٤) تفسير البيضاوي:١٤٤/٢.
(١٥) انظر: تفسير الطبري(١٢٦١٨):ص٣٦/١١.
(١٦) انظر: النكت والعيون:٦٨/٢.
(١٧) انظر: النكت والعيون: ٦٨/٢.

واختلفوا في التكفير بهذه الثلاثة ، هل هو على الترتيب أو التخيير على قولين :
أحدهما: أنه على التخيير بين إخراج النظير بأي الثلاثة شاء، قاله عطاء[٢]، والضحاك[٣]، وعكرمة[٤]، وهو أحد قولي ابن عباس[٥]، ومجاهد[٦]، ومذهب الشافعي[٧].

قال الزجاج:" يجوز أن تكون {أو} - وهو الأجود في اللغة – للتخيير"[٨].

والثاني: على الترتيب، إن لم يجد المثل فالإطعام ، فإن لم يجد الطعام فالصيام ، قاله ابن عباس[٩]، ومجاهد[١٠]، وعطاء -في أحد قوليه-[١١]، وعامر[١٢]، وإبراهيم[١٣]، والسدي[١٤].

قال ابن الجوزي:" وبالأول قال جمهور الفقهاء"[١٥].

قال الطبري:" وأولى الأقوال بالصواب عندي في قوله:{أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صيامًا} أن يكون تخييرًا، وأن يكون للقاتل الخيار في تكفيره بقتله الصيد وهو محرم بأيِّ هذه الكفارات الثلاث شاء. لأن الله تعالى ذكره، جعل ما أوجبَ في قتل الصيد من الجزاء والكفارة عقوبة لفعله، وتكفيرًا لذنبه، في إتلافه ما أتلف من الصيد الذي كان حرامًا عليه إتلافه في حال إحرامه، وقد كان حلالا له قبل حال إحرامه، كما جعل الفدية من صيام أو صدقة أو نسك في حلق الشعر الذي حلقه المحرم في حال إحرامه، وقد كان له حلالا قبل حال إحرامه، [عقوبة لفعله، وتكفيرًا لذنبه] وحلق الشعر الذي حلقه المحرم في حال إحرامه وقد كان له حلقه قبل حال إحرامه، ثم منع من حلقه في حال إحرامه نظير الصيد، ثم جعل عليه إن حلقه جزاءً من حلقه إياه. فأجمع الجميع على أنه في حلقه إياه إذا حلقه من أذاته، مخيَّر في تكفيره، فعله ذلك بأيِّ الكفارات الثلاث شاء. لا فرق بين ذلك فمثله إن شاء الله قاتل الصيد من المحرمين"[١٦].

وقرأ أبو رزين، والضحاك، وقتادة، والجحدري، وطلحة: «أو عدل ذلك» ، بكسر العين[١٧].

قوله تعالى:{لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ} [المائدة : ٩٥]، أي:" فَرَضَ الله عليه هذا الجزاء; ليلقى بإيجاب الجزاء المذكور عاقبة فِعْله"[١٨].

قال السدي:" أما {وبال أمره}: فعقوبة أمره"[١٩].

قال ابن الجوزي:" أي: جزاء ذنبه"[٢٠].

قال البيضاوي:أي:" ليذوق ثقل فعله وسوء عاقبة هتكه لحرمة الإحرام، أو الثقل الشديد على مخالفة أمر الله تعالى"[١].

---

(١) انظر: تفسير الطبري(١٢٦١٩):ص٣٦/١١-٣٧.
(٢) انظر: تفسير الطبري(١٢٦١٠):ص٣٣/١١، و(١٢٦١٤):ص٣٥/١١.
(٣) انظر: تفسير الطبري(١٢٦١٥):ص٣٥/١١.
(٤) انظر: تفسير الطبري(١٢٦١٢):ص٣٥/١١.
(٥) انظر: تفسير الطبري(١٢٦١٧):ص٣٥/١١.
(٦) انظر: تفسير الطبري(١٢٦١٤):ص٣٥/١١.
(٧) انظر: النكت والعيون:٦٨/٢.
(٨) معاني القرىن:٢٠٧/٢.
(٩) انظر: تفسير الطبري(١٢٦٠٠):ص٣١/١١.
(١٠) انظر: تفسير الطبري(١٢٦٠٣):ص٣٢/١١.
(١١) انظر: تفسير الطبري(١٢٦٠٣):ص٣٢/١١.
(١٢) انظر: تفسير الطبري(١٢٦٠٣):ص٣٢/١١.
(١٣) انظر: تفسير الطبري(١٢٦٠٤):ص٣٢/١١.
(١٤) انظر: تفسير الطبري(١٢٦٠٧):ص٣٣/١١.
(١٥) زاد المسير:٥٨٧/١.
(١٦) تفسير الطبري:٣٧/١١-٣٨.
(١٧) انظر: زاد المسير:٥٨٧/١.
(١٨) التفسير الميسر:١٢٣.
(١٩) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٨١٦):ص١٢٠٩/٤.
(٢٠) زاد المسير:٥٨٧/١.

الوبال: ثقل الشيء في المكروه، ومنه قولهم:طعام وبيل، وماء وبيل، إذا كانا ثقيلين غير ناميين في المال، قال عز وجل: {فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا} [المزمل : ١٦]، أي ثقتيلا شديدا، والوبيل خشبة القصار ومن هذا قيل لها وبيل(٢)، قال طرفة ابن العبد(٣):

فمرّتْ كَهاةٌ ذاتُ خَيْفٍ جُلالةٌ عقِيلَةُ شَيْخٍ كالوبيل يَلَنْدَدِ

قال القرطبي:" الذوق هنا مستعار كقوله تعالى:{ذق إنك أنت العزيز الكريم}[الدخان: ٤٩]. وقال{فأذاقها الله لباس الجوع والخوف} [النحل: ١١٢]، وحقيقة الذوق إنما هي في حاسة اللسان، وهي في هذا كله مستعارة. ومنه الحديث «ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا»(٤)، الحديث، والوبال سوء العاقبة. والمرعى الوبيل هو الذي يتأذى به بعد أكله. وطعام وبيل إذا كان ثقيل"(٥).

قوله تعالى:{عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ} [المائدة : ٩٥]، أي:" والذين وقعوا في شيء من ذلك قبل التحريم فإن الله تعالى قد عفا عنهم"(٦).

قال أبو ذر(٧)، وسعيد بن جبير(٨) وعطاء(٩):"ما كان في الجاهلية".

قال الماوردي:" يعني: قبل نزول التحريم"(١٠).

قال البيضاوي:أي:" من قتل الصيد محرما في الجاهلية أو قبل التحريم، أو في هذه المرة"(١١).

قال الزمخشري:أي:"من الصيد في حال الإحرام قبل أن تراجعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وتسألوه عن جوازه، وقيل:عما سلف لكم في الجاهلية منه، لأنهم كانوا متعبدين بشرائع من قبلهم وكان الصيد فيها محرما"(١٢).

قوله تعالى:{وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ} [المائدة : ٩٥]، أي:" ومَن عاد إلى المخالفة متعمدًا بعد التحريم، فإنه مُعَرَّض لانتقام الله منه"(١٣).

قال الزجاج:اي:" ومن عاد مستحلا للصيد بعد أن حرمه الله منه فينتقم الله منه أي فيعذبه الله، وجائز أن يكون: من عاد مستخفا بأمر الله فجزاؤه العذاب كجزاء قاتل النفس"(١٤).

قال ابن كثير:" أي : ومن فعل ذلك بعد تحريمه في الإسلام وبلوغ الحكم الشرعي إليه فينتقم الله منه"(١٥).

قال الزمخشري:أي:" ومن عاد إلى قتل الصيد وهو محرم بعد، فينتقم منه في الآخرة"(١٦).

قال ابن الجوزي:" «الانتقام» : المبالغة في العقوبة"(١٧).

---

(١) تفسير البيضاوي:١٤٤/٢.
(٢) انظر: معاني القرآن للزجاج:٢٠٩/٢-٢١٠..
(٣) ديوانه:٢٨.
(٤)أخرجه مسلم في الإيمان، حديث (٥٦).
(٥) تفسير القرطبي:٣١٧/٦.
(٦) التفسير الميسر:١٢٣.
(٧) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٦٨١٧):ص١٢٠٩/٤.
(٨) انظر: فسير الطبري(١٢٦٤٩):ص٥٠/١١.
(٩) انظر: تفسير الطبري(١٢٦٤٠):ص٤٩/١١.
(١٠) النكت والعيون:٦٨/٢.
(١١) تفسير البيضاوي:١٤٤/٢.
(١٢) الكشاف:٦٧٩/١.
(١٣) التفسير الميسر:١٢٣.
(١٤) معاني القرآن:٢٠٩/٢.
(١٥) تفسير ابن كثير:١٩٥/٣.
(١٦) الكشاف:٦٧٩/١-٦٨٠.
(١٧) زاد المسير:٥٨٧/١.

وفي قوله تعالى:{وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ} [المائدة : ٩٥]، قولان[١]:
أحدهما : يعني ومن عاد بعد التحريم ، فينتقم الله منه بالجزاء عاجلاً ، وعقوبة المعصية آجلاً .
والثاني : ومن عاد بعد التحريم في قتل الصيد ثانية بعد أوله ، فينتقم الله منه .
وعلى هذا التأويل قولان :
أحدهما : فينتقم الله منه بالعقوبة في الآخرة دون الجزاء ، قاله ابن عباس[٢]، والحسن[٣]، وسعيد بن جبير[٤]، وشريح[٥]، وإبراهيم[٦]، وداود[٧].
والثاني : بالجزاء مع العقوبة ، قاله الشافعي[٨]، والجمهور[٩].
وروي عن زيد أبو المعلى: أن رجلا أصاب صيدًا وهو محرم، فتجُوِّز له عنه. ثم عاد، فأرسل الله عليه نارًا فأحرقته، فذلك قوله:{ومن عاد فينتقم الله منه}، قال: في الإسلام"[١٠].
قال الطبري:" وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندنا، قولُ من قال: معناه:ومن عاد في الإسلام لقتله بعد نهي الله تعالى ذكره عنه، فينتقم الله منه، وعليه مع ذلك الكفارة، لأن الله عز وجل إذْ أخبر أنه ينتقم منه، لم يخبرنا وقد أوجب عليه في قتله الصيد عمدًا ما أوجب من الجزاء أو الكفارة بقوله:{ومن قتله منكم متعمدًا فجزاء مثلُ ما قتل من النعم}"، أنه قد أزال عنه الكفارة في المرة الثانية والثالثة، بل أعلم عبادَه ما أوجبَ من الحكم على قاتل الصيد من المحرمين عمدًا، ثم أخبر أنه منتقم ممن عاد، ولم يقل:{ولا كفارة عليه في الدنيا}"[١١].
قوله تعالى:{وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ} [المائدة : ٩٥]، أي:" والله تعالى عزيز قويٌّ منيع في سلطانه، ومِن عزته أنه ينتقم ممن عصاه إذا أراد، لا يمنعه من ذلك مانع"[١٢].
قال القرطبي:" {عزيز}، أي: منيع في ملكه، ولا يمتنع عليه ما يريده.{ذو انتقام} ممن عصاه إن شاء"[١٣].
قال النسفي:" {والله عزيز} بإلزام الأحكام {ذو انتقام} لمن جاوز حدود الإسلام"[١٤].
قال الطبري:أي:" والله منيعٌ في سلطانه، لا يقهره قاهرٌ، ولا يمنعه من الانتقام ممن انتقم منه، ولا من عقوبة من أراد عقوبته، مانع. لأن الخلق خلقه، والأمر أمره، له العزة المَنَعة، وأما قوله:{ذو انتقام}، فإنه يعني به: معاقبتَه لمن عصاه على معصيته إياه"[١٥].
عن أبي العالية: {والله عزيز}، يقول: عزيز في نقمته إذا انتقم"[١٦].
عن محمد بن إسحاق: "{والله عزيز ذو انتقام}، قال: عزيز ذو بطش"[١٧]، "{ذو انتقام}: ذوا انتقام ممن آذاه"[١٨].

---

(١) انظر: النكت والعيون:٦٨/٢.
(٢) انظر: تفسير الطبري(١٢٦٥١):ص٥١/١١.
(٣) انظر: تفسير الطبري(١٢٦٦٤):ص٥٣/١١.
(٤) انظر: تفسير الطبري(١٢٦٥٨):ص٥١/١١.
(٥) انظر: تفسير الطبري(١٢٦٥٢):ص٥١/١١.
(٦) انظر: تفسير الطبري(١٢٦٥٤):ص٥١/١١.
(٧) انظر: النكت والعيون:٦٨/٢.
(٨) انظر: النكت والعيون:٦٨/٢.
(٩) انظر: النكت والعيون:٦٨/٢.
(١٠) أخرجه الطبري(١٢٦٦٦):ص٥٤/١١.
(١١) تفسير الطبري:٥٤/١١.
(١٢) التفسير الميسر:١٢٣.
(١٣) تفسير الطبري:٣١٧/٦.
(١٤) تفسير النسفي:٤٧٧/١.
(١٥) تفسير الطبري:٥٧/١١.
(١٦) أخرجه ابن أبي حاتم (٦٨٢٤):ص١٢١٠/٤.
(١٧) أخرجه ابن أبي حاتم(٦٨٢٥):ص١٢١٠/٤.
(١٨) أخرجه ابن أبي حاتم(٦٨٢٦):ص١٢١٠/٤.

وفي رواية أخرى عن محمد بن إسحاق:" أي: أن الله منتقم ممن كفر بآياته بعد علمه بها ومعرفته بما جاءه منه فيها"[(١)].

قال السعدي:" وإنما نص الله على المتعمد لقتل الصيد، مع أن الجزاء يلزم المتعمد والمخطئ، كما هو القاعدة الشرعية -أن المتلف للنفوس والأموال المحترمة، فإنه يضمنها على أي حال كان، إذا كان إتلافه بغير حق، لأن الله رتب عليه الجزاء والعقوبة والانتقام، وهذا للمتعمد. وأما المخطئ فليس عليه عقوبة، إنما عليه الجزاء، [هذا جواب الجمهور من هذا القيد الذي ذكره الله. وطائفة من أهل العلم يرون تخصيص الجزاء بالمتعمد وهو ظاهر الآية. والفرق بين هذا وبين التضمين في الخطأ في النفوس والأموال في هذا الموضع الحق فيه لله، فكما لا إثم لا جزاء لإتلافه نفوس الآدميين وأموالهم"[(٢)].

الفوائد:

١- تحريم الصيد على المحرم، وأن قتله مناف لكمال الإيمان، لأنه تعالى خاطب بهذا النهي المؤمنين، وعليه فإن اجتناب قتل الصيد من مقتضيات الإيمان.

٢- بيان جزاء من صاد وهو محرم وأنه جزاء مثل ما قتل من النعم.

٣- وجوب التحكيم فيما صاده المحرم، ولا يصح أن يكفر الصائد بنفسه.

٤-وأنه لابد من العدالة في الحكمين لقوله:{ذوا عدل منكم}.

٥-أن جزاء الصيد لابد أن يصل إلى الحرم، لقوله:{هديا بالغ الكعبة}.

٦-أن الفداء كفارة للذنب وستر له في الدنيا وفي الآخرة، لقوله:{او كفارة طعام مساكين}.

٧-إثبات العفو، لله وسعة عفو الله سبحانه وتعالى، لقوله:{عفا الله عما سلف}.

قال الشيخ ابن عثيمين:"العفو: هو عدم المؤاخذة على الذنب، والاكثر أن العفو في ترك الواجب والمغفرة في فعل المحرم"[(٣)].

٨-أن من فعل محظورا قبل العلم بالشرع فإنه لا إثم عليه ولا كفارة ولا جزاء.

٩-اثبات الاسم الكريم«العزيز» لله عزّ وجل، وهو :"الغالب الذي لايغلبه أحد، والعزيز: بمعنى: الذي يمتنع عليه النقص باي وجه من الوجوه، والعزيز ذو العزة التي تكسب من اتصف بها قدرة وسلطانا وغير ذلك"[(٤)].

القرآن

{أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٩٦)} [المائدة : ٩٦]

التفسير:

أحل الله لكم -أيها المسلمون- في حال إحرامكم صيد البحر، وهو ما يصاد منه حيًّا، وطعامه: وهو الميت منه; من أجل انتفاعكم به مقيمين أو مسافرين، وحرم عليكم صيد البَرِّ ما دمتم محرمين بحج أو عمرة. واخشوا الله ونفذوا جميع أوامِره، واجتنبوا جميع نواهيه; حتى تظفَروا بعظيم ثوابه، وتَسْلموا من أليم عقابه عندما تحشرون للحساب والجزاء.

حكى الكلبي:"أن هذه الآية نزلت في بني مدلج ، وكانوا ينزلون بأسياف البحر ، سألوا عما نضب عنه الماء من السمك ، فنزلت هذه الآية فيهم"[(٥)].

قوله تعالى:{أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ} [المائدة : ٩٦]،أي:" أحل الله لكم -أيها المسلمون- في حال إحرامكم صيد البحر، وهو ما يصاد منه حيًّا"[(٦)].

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم(٦٨٢٦):ص١٢١٠/٤.

(٢) تفسير السعدي:٢٤٣.

(٣) تفسير سورة المائدة لابن عثيمين:٤٠٩/٢.

(٤) تفسير سورة المائدة لابن عثيمين:٤١٠/٢.

(٥) النكت والعيون:٦٩/٢.

(٦) التفسير الميسر:١٢٤.

قال الماوردي:" يعني: صيد الماء سواء كان من بحر أو نهر أو عين أو بئر فصيده حلال للمحرم والحلال في الحرم والحل"[١].

قال الطبري:أي:" أحل لكم، أيها المؤمنون، طريّ سمك الأنهار الذي صدتموه في حال حِلِّكم وحَرَمكم، وما لم تصيدوه من طعامه الذي قتله ثم رَمى به إلى ساحله"[٢].

قال السمرقندي:" يعني: في الإحرام وغير الإحرام"[٣].

قال الواحدي:أي:" ما أُصيب من داخله وهذا الإحلالُ عامٌّ لكلِّ أحد مُحرماً كان أو مُحِلا"[٤].

قال ابن عباس:"خطب أبو بكر الناس فقال:{أحل لكم صيد البحر}، قال: فصيده ما أخذ"[٥].

قال عمر بن الخطاب:" صيده، ما صيد منه"[٦]. وروي عن ابن عباس مثله[٧].

قال ابن عطية:" هذا حكم بتحليل صيد البحر وهو كل ما صيد من حيتانه، وهذا التحليل هو للمحرم وللحلال، والصيد هنا أيضا يراد به الصيد، وأضيف إلى «البحر» لما كان منه بسبب، والبحر الماء الكثير ملحا كان أو عذبا، وكل نهر كبير بحر"[٨].

قال الزمخشري:" {صيد البحر}، مصيدات البحر مما يؤكل ومما لا يؤكل، والمعنى: أحل لكم الانتفاع بجميع ما يصاد في البحر، وعند ابن أبى ليلى :أحل لكم صيد حيوان البحر"[٩].

قال الإمام الشافعي:" والبحر اسم جامع، فكل ما كثر ماؤه واتسع قيل هذا بحر، فإن قال قائل: فالبحر المعروف: البحر هو المالح، قيل: نعم، ويدخل فيه العذب، وذلك معروف عند العرب"[١٠].

قال الراغب:" البحر: يتناول كلا مالحا كان أو عذبا، في جدول كان أو في نهر، قال تعالى: {وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ} [فاطر : ١٢]"[١١].

واختلف أهل العلم في حكم الحيوانات البرمائية[١٢] على قولين[١٣]:

أحدهما: أن كل ما يعيش في البر وله فيه حياة فهو من صيد البر، لذلك إنْ قتله المحرم وَدَاه، وهذا قول مالك[١٤]، وأبو مجلز[١٥]، وابن أبي ليلى[١٦]، وعطاء[١٧]، وسعيد بن جبير[١٨]، وغيرهم[١٩].

---

(١) النكت والعيون:٦٩/٢.
(٢) تفسير الطبري:٦١/١١.
(٣) بحر العلوم:٤١٩/١.
(٤) الوجيز:٣٣٦.
(٥) اخرجه الطبري(١٢٦٦٨):ص٥٧/١١.
(٦) اخرجه الطبري(١٢٦٦٧):ص٥٧/١١.
(٧) انظر: تفسير الطبري(١٢٦٦٩):ص٥٧/١١.
(٨) المحرر الوجيز:٢٤١/٢.
(٩) الكشاف:٦٨٠/١.
(١٠) تفسير الإمام الشافعي:٧٨٩/٢.
(١١) تفسير الراغب الاصفهاني:٤٥٢/٥.
(١٢) وهي التي تعيش في **البر والماء معاً، كالضفدع والسلحفاة والسرطان، والحية والتمساح وكلب الماء ونحوها.**
(١٣) انظر: المحرر الوجيز:٢٤٢/٢-٢٤٣.
(١٤) انظ: المحرر الوجيز:٢٤٣/٢.
(١٥) انظر: الطبري: (١٢٧٧٣):ص٨٧/١١، ومصنف ابن أبي شيبة:١٢٤/٤، وتفسير ابن ابي حاتم(٦٨٤٩):ص١٢١٣/٤،
(١٦) انظ: المحرر الوجيز:٢٤٣/٢.
(١٧) انظر: تفسير الطبري(١٢٧٧٤):ص٨٧/١١.
(١٨) انظر: تفسير الطبري(١٢٧٧٦):٨٧/١١-٨٨.
(١٩) انظر: زاد المسير:٥٨٧/١، والمحرر الوجيز:٢٤٢/٢-٢٤٣، وتفسير القرطبي:٢١٣/٧.

والثاني: ان صيد البحر هو مبني على أكثر عيش الحيوان، وأن صيد البر ما كان كونه في البرّ أكثر من كونه في البحر. وهذا قول عطاء بن ابي رباح.

سئل عطاء: " ابن الماء ، أصيد برّ أم بحر ؟ وعن أشباهه ؟ فقال : حيث يكون أكثر ، فهو صيده"[١]. وفي رواية أخرى: " أكثر ما يكون حيث يُفْرِخ ، فهو منه"[٢].

قال ابن عطية:"والصواب في ابن ماء أنه صيد بر طائر يرعى ويأكل الحب[٣].

وفي حكم أكل ميتة السمك قولان[٤]:

أحدهما: أنه حلال مع اختلاف أنواعها، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «أحلت لنا ميتتان ودمان: الميتتان الحوت والجراد، والدمان: الكبد والطحال»[٥].

قال مالك والشافعي وابن ابي ليلى والأوزاعي، والثوري في رواية الأشجعي: يؤكل ما في البحر كله من السمك والدواب، وسائر ما في البحر من الحيوان، وسواء اصطيد أو وجد ميتا طافيا وغير طاف، وليس شيء من ذلك يحتاج إلى ذكاة، واحتج مالك ومن معه بقوله-صلى الله عليه وسلم-في البحر:«هو الطهور ماؤه الحل ميتته»[٦][٧].

قال القرطبي:"واصح ما في هذا الباب من جهة الإسناد حديث جابر عن الحوت الذي يقال له«العنبر» وهو من أثبت الاحاديث، خرّجه الصحيحان، وفيه:«فلما قدما المدينة اتينا رسول-صلى الله عليه وسلم- فذكرنا ذلك له، فقال:هو رزق أخرجه الله لكم، فهل معكم من لحمه شيء فتطعمونا، فارسلنا إلى رسول الله-صلى الله عليه وسلم- منه، فأكله»[٨][٩].

وأسند عن ابي بكر[١٠]، وأبي أيوب[١١]، أنهما قال بحلال السمكة الطافية لمن أراد أكلها.

وأسند عن جبلة بن عطية:أن اصحاب ابي طلحة اصابوا سمكة طافية، فسالوا عنها ابا طلحة، فقال اهدوها لي[١٢].

وقال عمر بن الخطاب:"الحوت ذكيّ والجراد ذكي كله"[١].

---

(١)أخرجه الطبري(١٢٧٧٨):ص٨٨/١١. وعبدالرزاق(٨٤٢٢)،

(٢) اخرجه الطبري (١٢٧٧٩):ص٨٨/١١.

(٣) المحرر الوجيز:٢٤٣/٢.

(٤) انظر: تفسير البغوي:٣/٢٠٠-١٠١.

(٥)أخرجه الشافعي في ترتيب المسند: ٢ / ١٧٣، وابن ماجه في الأطعمة، باب الكبد والطحال، برقم (٣٣١٤) : ٢ / ١١٠٢، والدارقطني في الصيد والذبائح: ٤ / ٢٧١-٢٧٢، والإمام أحمد: ٢ / ٩٧ عن ابن عمر مرفوعا. ورواه البيهقي موقوفا وقال: هذا إسناد صحيح، وهو في معنى المسند، السنن: ١ / ٢٥٤. وعزاه الزيلعي أيضا لعبد بن حميد وابن حبان في الضعفاء، وأعله بعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وقال: كان يقلب الأخبار وهو لا يعلم، حتى كثر ذلك في روايته من رفع الموقوفات وإسناد المراسيل، فاستحق الترك. انظر: نصب الراية: ٤ / ٢٠١-٢٠٢. وعزاه أيضا ابن حجر لابن مردويه في التفسير عن أبي سعيد مرفوعا، وقال: ذكره الدارقطني في العلل ... والرواية الموقوفة التي صححها أبو حاتم وغيره هي في حكم المرفوع، لأن قول الصحابي: أحل لنا، وحرم علينا كذا، مثل قوله: أمرنا بكذا، ونهينا عن كذا، فيحصل الاستدلال بهذه الرواية، لأنها في معنى المرفوع". تلخيص الحبير: ١ / ٢٦. وأخرجه أيضا البغوي في شرح السنة: ١١ / ٢٤٤.

(٦) أخرجه مالك في الموطأ:٢٢/١، وأحمد(٧٢٣٣)، وأبو داود(٨٣)، وابن ماجة(٣٨٦)، والترمذي(٦٩)، والنسائي في المجتبى٥٠/١، و١٧٦ من حديث أبي هريرة، قال الترمذي:"حديث حسن صحيح وأخرجه أحمد(١٥٠١٢)، وابن ماجة(٣٨٨)، من حديث جابر..

(٧) انظر: تفسير القرطبي:٢١٠/٧-٢١—[تحقيق التركي].

(٨) صحيح البخاري(٤٣٦١)، وصحيح المسلم(١٠٣٥)، وهو عند احمد(١٤٣٣٦).

(٩) تفسير القرطبي:٢١١/٧[تحقيق التركي].

(١٠) انظر: سنن الدارقطني(٤٧٢١)، ومصنف عبدالرزاق(٤٦٤٥)، بلفظ:"السمكة الطافية حلال لمن أراد اكلها"، وذكره البخاري في الفتح:٦١٤/٩ ، بلفظ:الطافي حلال".

(١١) انظر: سنن الدارقطني(٤٧٢٩)، بلفظ:"أنه ركب البحر في رهط من اصحابه، فوجدوا سمكة طافية على الماء، فسألوه عنها، فقال: اطيبة هي لم تغيّر؟ قالوا نعم، قال فكلوا وارفعوا نصيبي منها، وكان صائما". وأخرجه ابن ابي شيبة:٣٨٠/٥، مختصرا.

(١٢) سنن الدارقطني(٤٧٣٠).

والثاني: انه لايؤكل السمك الطافي ويؤكل ما سواه من السمك. وهذا قول أبي حنيفة [٢]. وهو قول الثوري في رواية أبي إسحاق الفزاري عنه، وكره الحسن بن حيّ أكل الطافي من السمك[٣].

وروي عن علي-رضي الله عنه- أنه كرهه[٤].

ولم يختلف عن جابر انه كرهه، وهو قول طاوس ومحمد بن سيرين وجابر بن زيد، واحتجوا بعموم قوله تعالى:{حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ} [المائدة : ٣]، وبما رواه أبو داود والدارقطني عن جابر بن عبدالله عن النبي-صلى الله عليه وسلم-:«كلوا ما حسر عنه البحر وما القاه، وما وجدتموه ميتا او طافيا فوق الماء فلا تأكلوه»[٥][٦].

واختلف أهل العلم في حكم اكل الحيوانات البرمائية نظرا لتنازع أدلة التحليل والتحريم، على ثلاثة أقوال:

أحدها: لا يحل أكلها؛ لأنها من الخبائث، وللسمية في الحية، ولأن «النبي صلّى الله عليه وسلم نهى عن قتل الضفدع»[٧] ولو حل أكله، لم ينه عن قتله. وهذا قول الحنفية والشافعية[٨].

ولا خلاف عند الشافعي في عدم جواز أكل الضفدع، واختلف قوله فيما له شبه في البر مما لايؤكل، كالخنزير والكلب وغير ذلك، والصحيح أكل ذلك كله، لأنه نص على الخنزير في جواز أكله، وهو له شبه في البر مما لايؤكل، ولا يؤكل عنده التمساح ولا القرش والدلفين، وكل ما له ناب، لنهيه عليه الصلاة والسلام عن اكل "كل ذي ناب"[٩][١٠].

وقال أبو حنيفة، والثوري: "لا يؤكل شيء من حيوان البحر إلا السمك"[١١].

وروي عن علي-رضي الله عنه- أنه كره أكل السمك الجريّ من وجه لايثبت[١٢].

قال القرطبي: وروي عنه أكل ذلك، وهو أصح"[١٣].

والثاني: أنه يباح أكل الضفادع والحشرات والسرطانات والسلحفاة، إذ لم يرد نص في تحريمها. وتحريم الخبائث: هو ما نص عليه الشرع، فلا يحرم ما تستخبثه النفوس مما لم يرد فيه نص. وهذا قول المالكية[١٤].

والثالث: أن كل ما يعيش في البر من دواب البحر، لا يحل بغير ذكاة كطير الماء، والسلحفاة، وكلب الماء، إلا مالا دم فيه كالسرطان، فإنه يباح في بغير ذكاة؛ لأنه حيوان بحري يعيش في البر، وليس له دم سائل، فلاحاجة إلى ذبحه، خلافاً لما له دم، لا يباح بغير ذبح. وهذا قول الحنابلة[١٥].

---

(١) سنن الدارقطني(٤٧٢٦)، ومصنف ابن ابي شيبة:٣٧٩/٥.

(٢) انظر: التمهيد٢٢٣/١٦، وزاد المسير:٥٨٧/١، وتفسير القرطبي:٢١٠/٧[تحقيق التركي].

(٣) انظر: التمهيد:٢٢٣/٢، وتفسير القرطبي: ٢١٠/٧.

(٤) انظر: التمهيد٢٢٥/١٦، والجِرّي: ضرب من السمك، اللسان، مادة"جرا"، وانظر: الفتح:٦١٥/٩.

(٥) سنن ابي داود(٣٨١٥)، وسنن الدارقطني(٤٧١٢)، واللفظ له.

(٦) انظر: تفسير القرطبي:٢١٠/٧[تحقيق التركي].

(٧) **أخرجه أبو داود وأحمد وإسحاق بن راهويه وأبو داود الطيالسي والحاكم عن عبد الرحمن بن عثمان التميمي ، انظر: نصب الراية:٤/٢٠١ .**

(٨) انظر: **اللباب شرح الكتاب: ٣/٢٣٠، تكملة الفتح: ٨/٦٢ ومابعدها، مغني المحتاج: ٤/٢٩٨، المهذب: ١/٢٥٠.**

(٩) أخرجه احمد(١٧٧٣٨)، و(البخاري(٥٧٨٠)، ومسلم(١٩٣٢)، من حديث ابي ثعلبة الخشي، واخرجه احمد (٢١٩٢)، ومسلم(١٩٣٤) من حديث ابن عباس، وانظر: المجموع:١٢/٩، و٢٩-٣١.

(١٠) انظر: تفسير القرطبي:٢١٣/٧.

(١١) التمهيد٢٢٣/١٦، وزاد المسير:٥٨٧/١، وتفسير القرطبي:٢١٠/٧[تحقيق التركي].

(١٢) انظر: التمهيد٢٢٥/١٦، والجرّي: ضرب من السمك، اللسان، مادة"جرا"، وانظر: الفتح:٦١٥/٩.

(١٣) تفسير القرطبي:٢١٠/٧، وانظر: الخبر في التمهيد:٢٢٥/١٦، وخبر علي-رضي الله عنه- عند عبدالرزاق(٨٦٦٣)، وأخرجه أيضا ابن ابي شيبة:٣٧٩/٥، والبيهقي:٢٥٤/٩.

(١٤) انظر: **بداية المجتهد: ١/٦٥٦، القوانين الفقهية: ص ١٧٢.**

(١٥) انظر: **المغني: ٨/٦٠٦ ومابعدها، كشاف القناع: ٦/٢٠٢.**

وعلى هذا فمذهب الحنابلة قريب من مذهب المالكية في وجوب ذكاة هذا النوع من الحيوانات وإلحاقها بالبرية، والأصح أن السرطان لا يحل إلا بالذكاة[١].

ولا يباح أكل الضفدع؛ لأن النبي صلّى الله عليه وسلم ـ فيما رواه النسائي ـ نهى عن قتله، وجاء في النهي عن قتله، إذ جاء في الحديث:" أَنَّ طَبِيبًا سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ ضِفْدَعٍ يَجْعَلُهَا فِي دَوَاءٍ فَنَهَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ قَتْلِهَا"[٢].

فيدل ذلك على تحريمه.

كما لا يباح أكل التمساح، وقد رجح جماعة من علمائنا المعاصرين حل أكل التمساح ، منهم علماء اللجنة الدائمة للإفتاء[٣] ، والشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله[٤].

و نقل عن الشيخ ابن عثيمين ما قد يُفهم منه أنه يبيح أكل الضفدع والتمساح[٥]، وعند استقراء فتاويه، تبيّن بأن الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله- يرى أن أكل التمساح حلال ، وأن أكل الضفدع حرام ، وأن التمساح داخل في عموم آية المائدة ، وأن الضفدع جاء النهي عن قتله صحيحاً في السنَّة.

قال ابن العربي:"الصحيح في الحيوان الذي يكون في البرّ والبحر منعه، لأنه تعارض فيه دليلان، دليل تحليل ودليل تحريم، فيغلّب دليل التحريم احتياطا"[٦].

وكل ما فيه ضرر فلا يجوز أكله ولو كان بحرياً، عليه إن ثبت في شيء أن أكله سام ، أو مضر لآكله، فهنا يحرم أكله، لأجل ما فيه من الضرر، لا لأن جنسه محرم في ذاته، قال تعالى : {وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا} [النساء : ٢٩]، { وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ} [البقرة : ١٩٥][٧].

قوله تعالى:{ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ} [المائدة : ٩٦]،أي:"وما يُطعم من صيده كالسمك وغيره منفعةً وقوتاً لكم وزاداً للمسافرين يتزودونه في أسفارهم "[٨].

قال الطبري:أي:" منفعةً لمن كان منكم مقيمًا أو حاضرًا في بلده، يستمتع بأكله وينتفع به، {وللسيارة}، يقول: ومنفعةً أيضًا ومتعة للسائرين من أرض إلى أرض، ومسافرين يتزوّدونه في سفرهم مليحًا"[٩].

قال ابن كثير:" أي : منفعة وقُوتًا لكم أيها المخاطبون { وَلِلسَّيَّارَةِ } وهو جمع سيَّار"[١٠].

قال السمرقندي:" يعني: للمقيمين والمسافرين. وهي السمكة المالحة"[١١].

قال الواحدي:أي:"{وطعامة}:وهو ما نضب عنه الماء ولم يُصَد، منفعة للمقيم والمسافر، يبيعون ويزودون منه"[١٢].

قال الثعلبي:" {وللسيارة}، يعني: المارة"[١٣].

---

(١)كما في شرح المقنع لابن مفلح الحنبلي :٩/٢١٤.

(٢)رواه أبو داود (٣٨٧١) ، وصححه الألباني.

(٣) انظر: فتاوى اللجنة الدائمة:١٨٥/٢٢.

(٤) انظر: فتاوى اللجنة الدائمة: ٣٤/٢٣.

(٥) انظر: **فتاوى إسلامية : ٣ / ٣٨٨، والشرح الممتع : ١٥ / ٣٤ ، ٣٥، ونور على الدرب: شريط:١٢٩، و١٣٧ ، وجه : أ، وشريط : لقاءات الباب المفتوح : ١١٢ / الوجه : ب ، وشرح بلوغ المرام ، كتاب الأطعمة ، شريط رقم ٢.**

(٦) احكام القرآن:٦٨٤/٢.

(٧)انظر: المغني ٨٣/١١ ، حاشية الروض ٤٣٠/٧ ، تفسير ابن كثير ١٩٧/٣.

(٨) صفوة التفاسير:٣٣٧/١.

(٩) تفسير الطبري:٧١/١١.

(١٠) تفسير ابن كثير:١٩٨/٣.

(١١) بحر العلوم:٤١٩/١.

(١٢) الوجيز:٣٣٦.

(١٣) تفسير الثعلبي:١١١/٤.

قال الزمخشري:" {وطعامه}، وما يطعم من صيده،والمعنى: وأحل لكم أكل المأكول منه وهو السمك وحده عند أبى حنيفة، وعند ابن أبى ليلى جميع ما يصاد منه، { مَتَاعًا لَكُمْ}، يعنى: تمتيعا لتنائكم [١] يأكلونه طريا، ولسيارتكم يتزودونه قديدا، كما تزود موسى عليه السلام الحوت في مسيره إلى الخضر عليهما السلام، و{متاعا لكم} مفعول له مختص بالطعام، كما أن نافلة حال مختصة بيعقوب في قوله تعالى: {وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً} [الأنبياء : ٧٢]،"[٢].

قال ابن عطية:" قوله:{لكم}، يريد حاضري البحر ومدنه، و{للسيارة}، المسافرين"[٣].

قال ابن عباس:" :{طعامه}، ما وجد على الساحل ميتًا"[٤]، " قوله: {متاعا لكم}: الذي يتزود المسافر"[٥].

قال عكرمة:"{ متاعًا لكم وللسيارة}، لمن كان بحضرة البحر، {وللسيارة}، السَّفْر"[٦].

وعن الحسن:" {وللسيارة}، قال: هم المحرمون"[٧].

اخرج ابن ابي حاتم عن سعيد بن جبير في قوله: "{وللسيارة} قال: الظهر""[٨].

قال ابن أبي حاتم:"قال أبي وقال غيره: التتمير"[٩].

وقال مجاهد:{وطعامه متاعا لكم}: أهل القرَى، {وللسيارة}: أهل الأمصَار"[١٠]، "والحيتانُ للناس كلهم"[١١].

قال ابن عطية:" كأنه يريد أهل قرى البحر وأن السيارة من أهل الأمصار غير تلك القرى يجلبونه إلى الأمصار"[١٢].

قال الطبري: "وهذا لا وجه له مفهوم، إلا أن يكون أراد بقوله: هم أهل الأمصار، هم المسافرون من أهل الأمصار، فيجب أن يدخل في ذلك كل سيارة، من أهل الأمصار كانوا أو من أهل القرى. فأما«السيارة»، فلا نعقله: المقيمون في أمصارهم"[١٣].

وفي معنى قوله تعالى:{ وَطَعَامُهُ} [المائدة : ٩٦]، ثلاثة أقوال:

أحدها: ما نبذه البحر ميتا، قاله أبو بكر[١٤]، وعمر[١٥]، وابن عباس[١٦]، وابن عمر[١٧]، وأبو أيوب[١٨]، وقتادة[١٩].

والثاني: أنه مليحه، قاله سعيد بن المسيب[٢٠]، وسعيد بن جبير[١]، وجابر بن زيد[٢]، والسدي[٣]، وعن ابن عباس[٤]، ومجاهد[٥]، وقتادة[٦]، وعكرمة[٧] كالقولين.

---

(١). قوله «تمتيعا لتنائكم يأكلونه» أى للمتوطنين منكم. يقال: تنأ بالبلد توطئه، فهو تانئ، وهم تناه. أفاده الصحاح.
(٢) الكشاف:٦٨٠/١.[بتصرف]
(٣) المحرر الوجيز:٢٤١/٢.
(٤) أخرجه الطبري(١٢٦٩٣):ص٦٢/١١.
(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٨٤١):ص١٢١٢/٤.
(٦) أخرجه الطبري(١٢٧٣١):ص٧١/١١.
(٧) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٨٤٥):ص١٢١٢/٤.
(٨) تفسير ابن ابي حاتم(٦٨٤٥):ص١٢١٢/٤.
(٩) تفسير ابن ابي حاتم(٦٨٤٥):ص١٢١٢/٤.
(١٠) أخرجه الطبري(١٢٧٣٨):ص٧٣/١١.
(١١) أخرجه الطبري(١٢٧٣٩):ص٧٣/١١.
(١٢) المحرر الوجيز:٢٤١/٢.
(١٣) تفسير الطبري:٧٣/١١.
(١٤) انظر: تفسير الطبري(١٢٦٨٦):ص٦١/١١.
(١٥) انظر: تفسير الطبري(١٢٦٨٧):ص٦١/١١.
(١٦) انظر: تفسير الطبري(١٢٦٨٨):ص٦٢/١١.
(١٧) انظر: تفسير الطبري(١٢٧٠٠):ص٦٤/١١.
(١٨) انظر: تفسير الطبري(١٢٧٠٥):ص٦٥/١١.
(١٩) انظر: تفسير الطبري(١٢٧٠٤):ص٦٥/١١.
(٢٠) انظر: تفسير الطبري(١٢٧٢٤):ص٦٨/١١.

واختلفت الرواية عن النخعي. فروي عنه كالقولين، وروي عنه أنه جمع بينهما، فقال: طعامه المليح [٨]، وما لفظه[٩].

والثالث: أنه ما نبت بمائة من زروع البر، وإنما قيل لهذا: طعام البحر، لأنه ينبت بمائه، حكاه الزجاج[١٠].

قال الإمام الطبري:" وأولى هذه الأقوال بالصواب عندنا، قولُ من قال:{طعامه}، ما قذفه البحر، أو حَسَر عنه فوُجد ميتًا على ساحله. وذلك أن الله تعالى ذكره ذكر قبله صيدَ الذي يصاد، فقال:{أحل لكم صيد البحر}، فالذي يجب أن يعطف عليه في المفهوم ما لم يُصَدْ منه، فقال: أحل لكم ما صدتموه من البحر، وما لم تصيدوه منه"[١١].

وقد روي عن أبي هريرة قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"{أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعًا لكم}، قال:{طعامه}، ما لفظه ميتًا فهو طعامه"[١٢].

وقرئ:«وطعمه»[١٣].

قوله تعالى:{وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا} [المائدة : ٩٦]،أي:" وحرم عليكم صيد البَرِّ ما دمتم محرمين بحج أو عمرة"[١٤].

قال الطبري:" وحرم الله عليكم، أيها المؤمنون، صيد البر، ما كنتم محرمين، لم تحِلوا من إحرامكم"[١٥].

قال السمرقندي:" يعني: ما دمتم محرمين فلا تأخذوا الصيود"[١٦].

واختلف أهل العلم اختلف العلماء فيما يأكله المحرم من الصيد على أربعة اقوال:

أحدها: أنه لا يجوز للمحرم أكل صيد على حال من الأحوال سواء صيد من أجله أو لم يصد. وهذا قول علي بن ابي طالب[١٧]، وابن عباس[١٨]، وابن عمر-في أحد قوليه-[١٩]، وبه قال إسحاق[٢٠]، والثوري[٢١].

واحتجوا بما روي عن الصعب بن جَثَّامة :"أنه أهدى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رِجْلَ حمارِ وحش يقطر دمًا، فردّه فقال: إنا حُرُم"[٢٢].

---

(١) انظر: تفسير الطبري(١٢٧١١):ص٦٦/١١.
(٢) انظر: تفسير الطبري(١٢٧٢٥):ص٦٨/١١.
(٣) انظر: تفسير الطبري(١٢٧٢٣):ص٦٨/١١.
(٤) انظر: تفسير الطبري(١٢٧٠٧):ص٦٥/١١.
(٥) انظر: تفسير الطبري(١٢٧١٩):ص٦٧/١١.
(٦) انظر: تفسير الطبري(١٢٧١٧):ص٦٧/١١.
(٧) انظر: تفسير الطبري(١٢٧١٠):ص٦٦/١١.
(٨)في «اللسان» الملح والمليح: خلاف العذب من الماء.
(٩) انظر: تفسير الطبري(١٢٧١٨):ص٦٧/١١.
(١٠) انظر: معاني القرآن:٢٠٩/٢.
(١١) تفسير الطبري:٦٩/١١.
(١٢) أخرجه الطبري(١٢٧٢٩):ص٧٠/١١ . قال الطبري:" وقد وقف هذا الحديث بعضهم على أبي هريرة".
(١٣) انظر: الكشاف:٦٨٠/١.
(١٤) التفسير الميسر:١٢٤.
(١٥) تفسير الطبري:٧٤/١١.
(١٦) بحر العلوم:٤٤٢٠١٩/١.
(١٧) انظر: تفسير الكبري(١٢٧٤٠):ص٧٤/١١.
(١٨) انظر: تفسير الكبري(١٢٧٤٨):ص٧٧/١١.
(١٩) انظر: تفسير الكبري(١٢٧٥٠):ص٧٨/١١.
(٢٠)تفسير القرطبي: ٦/ ٣٢١- ٣٢٢، وانظر: المغني: ٥/ ١٣٥- ١٣٦[بتصرف].
(٢١)تفسير القرطبي: ٦/ ٣٢١- ٣٢٢، وانظر: المغني: ٥/ ١٣٥- ١٣٦[بتصرف].
(٢٢)حديث الصعب بن جثامة، رواه مسلم في صحيحه من طرق ٨: ١٠٣- ١٠٦، والسنن الكبرى للبيهقي ٥: ١٩١، ١٩٤.

وبما روي عن عائشة: "أن وَشِيقة ظبي أهديت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو محرم، فردّها"[١].

والثاني: إنه لا بأس بأكل المحرم الصيد إذا لم يصد له ولا من أجله. وهذا قول عثمان[٢]، وبه قال مالك والشافعي وأصحابهما وأحمد[٣].

واحتجوا بحديث جابر عن النبيّ صلى الله عليه وسلم بقوله:"صيد البرّ لكم حلال، مالم تصيدوه او يُصدْ لكم "[٤].

والثالث: أن أكل الصيد للمحرم جائز على كل حال إذا اصطاده الحلال، سواء صيد من أجله أم لا، وهذا قول عمر بن الخطاب[٥]، والزبير بن العوّام[٦]، وأبي هريرة[٧]، وابن عمر[٨]، وسعيد بن جبير[٩]، ومجاهد[١٠]، وعطاء[١١]، وهو مذهب أبي حنيفة وأصحابه[١٢].

واحتجوا بحديث البهزي عن النبي-صلى الله عليه وسلم- في حمار الوحش العير، أنه أمر ابابكر فقسّمه في الرفاق، من حديث مالك وغيره[١٣].

وكذلك احتجوا بحديث أبي قتادة عن النبي-صلى الله عليه وسلم-، وفيه«إنما هي طعمة اطعمكموها الله»[١٤].

والرابع: أن المراد حرام اصطياده، وفأما شراؤه من مالك يملكه وذبحه وأكله، بعد أن يكون مِلكه إياه على غير وجه الاصطياد له، وبيعه وشراؤه جائز. قالوا: والنهي من الله تعالى ذكره، عن صيده في حال الإحرام دون سائر المعاني. وهذا قول أبو سلمة[١٥].

قال الإمام الطبري:" والصواب في ذلك من القول عندنا أن يقال: إن الله تعالى ذكره، عمَّ تحريم كل معاني صيد البرّ على المحرم في حال إحرامه، من غير أن يخص من ذلك شيئًا دون شيء، فكل معاني الصيد حرام على المحرم ما دام حرامًا، بيعه وشراؤه واصطياده وقتله، وغير ذلك من معانيه، إلا أن يجده مذبوحًا قد ذبحه حلال لحلال، فيحلّ له حينئذ أكله، للثابت عن الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم:« عبد الرحمن بن عثمان قال: كنا مع طلحة بن عبيد الله ونحن حُرُم، فأهدي لنا طائرٌ، فمنا من أكل، ومنا من تَورَّع فلم يأكل. فلما استيقظ طلحة وفَّق من أكل، وقال: أكلناه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم»"[١٦].

قوله تعالى:{وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ} [المائدة : ٩٦]،أي:" أي خافوا الله الذي تبعثون إليه يوم القيامة فيجازيكم على أعمالكم"[١٧].

---

(١)حديث عائشة رواه أحمد في المسند ٦: ٤٠.
(٢) انظر: تفسير الطبري(١٢٧٥٥):ص١١/٨٠-٨١، و(١٢٧٦٤):ص١١/٨٣.
(٣)تفسير القرطبي: ٦/ ٣٢١- ٣٢٢، وانظر: المغني: ٥/ ١٣٥- ١٣٦[بتصرف].
(٤) انظر: سنن الترمذي(٨٤٦)، والمجتبى:١٨٧/٥، وسنن الدراقطني(٢٧٤٤)، وهو عند احمد(١٤٨٩٤)، وأبي داود(١٨٥١)،
وخرجه البيهقي في السنن الكبرى ٥/ ١٩٠، فانظر ما قاله فيه، وخرجه السيوطي في الدر المنثور ٢: ٣٣٣ وقال: أخرجه أحمد والحاكم وصححه.
(٥) انظر: تفسير الطبري(١٢٧٥٤):ص١١/٧٩، و(١٢٧٥٨):ص١١/٨٠
(٦) انظر: تفسير الطبري(١٢٧٦٥):ص١١/٨٣.
(٧) انظر: تفسير الطبري(١٢٧٥٤):ص١١/٧٩.
(٨) انظر: تفسير الطبري(١٢٧٥٨):ص١١/٨٠.
(٩) انظر: تفسير الطبري(١٢٧٦٩):ص١١/٨٤.
(١٠) انظر: تفسير الطبري(١٢٧٦٩):ص١١/٨٤.
(١١) انظر: تفسير الطبري(١٢٧٧٠):ص١١/٨١-٨٤.
(١٢)تفسير القرطبي: ٦/ ٣٢١- ٣٢٢، وانظر: المغني: ٥/ ١٣٥- ١٣٦[بتصرف].
(١٣) انظر: حديث البهزي في الموطأ:٣٥١/١، والمجتبى:١٨٣/٥.
(١٤) اخرجه أحمد(٢٢٥٦٧)، والبخاري(٢٩١٤)، ومسلم(١١٩٦) : (٥٧).
(١٥) انظر: تفسير الطبري(١٢٧٧١):ص١١/٨٤-٨٥.
(١٦) تفسير الطبري:٨٥/١١، ورقم الخبر(١٢٧٧٢):ص١١/٨٥.
(١٧) صفوة التفاسير: ٣٣٧.

قال الواحدي:أي:" خافوا الله الذي إليه تبعثون"[١].
قال السمرقندي:"{واتقوا الله}، فلا تأخذوه في إحرامكم، {الذي إليه تحشرون}، فيجزيكم بأعمالكم"[٢].
الفوائد:
١-حل صيد البحر للمحلين والمحرومين.
٢-أن جميع حيوان البحر حلال، لقوله:{صيد البحر}، لأن الإضافة تقتضي العموم.
٣-أن جميع ما في البحر مما يطعم من سمك وأشجار وغيرها حلال، لعموم قوله:{وطعامه}.
٤-بيان الحكمة في حل صيد البحر دون البر، لأن الأول تناوله سهل، ولايلهو الإنسان كما يلهو به في صيد البر، ثم هو صيد خفي في باطن المياه فلا يكون كالصيد الظاهر على سطح الأرض.
٥-الإشارة غلى جاز إدخار لحم البحر لقوله:{وللسيارة}، يعني السائرين في السفر.
٦-تحريم صيد البر على المحرمين.
٧-وجوب تقوى الله والحذر من مخالفته فيما فرضه من هذه الأحكام، والتحذير من عقوبة اليوم الآخر.
٨-إثبات اليوم الآخر الذي يكون به الحشر إلى الله عزّ وجل، لقوله:{الذي غليه تحشرون}.

القرآن

{جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٩٧)} [المائدة : ٩٧]

التفسير:
امتنَّ الله على عباده بأن جعل الكعبة البيت الحرام صلاحًا لدينهم، وأمنًا لحياتهم; وذلك حيث آمنوا بالله ورسوله وأقاموا فرائضه، وحرَّم العدوان والقتال في الأشهر الحرم -وهي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب- فلا يعتدي فيها أحد على أحد، وحرَّم تعالى الاعتداء على ما يُهدَى إلى الحرم من بهيمة الأنعام، وحرَّم كذلك الاعتداء على القلائد، وهي ما قُلِّد إشعارًا بأنه بقصد به النسك; ذلك لتعلموا أن الله يعلم جميع ما في السموات وما في الأرض، ومن ذلك ما شرعه لحماية خلقه بعضهم من بعض، وأن الله بكل شيء عليم، فلا تخفى عليه خافية.
قوله تعالى:{جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ} [المائدة : ٩٧]، أي :"جعل الله الكعبة المشرّفة وهي البيت المحرّم صلاحاً ومعاشاً للناس لقيام أمر دينهم ودنياهم"[٣].
قال الطبري:أي:" صيَّر الله الكعبة البيت الحرام قوامًا للناس الذين لا قِوَام لهم من رئيس يحجز قوِّيهم عن ضعيفهم، ومسيئهم عن محسنهم، وظالمهم عن مظلومهم"[٤].
قال الواحدي:" يعني: البيت الذي حرَّم أن يصاد عنده ويختلى للحجِّ وقضاء النُّسك"[٥].
وفي تسميتها كعبة قولان:
أحدهما : سميت بذلك لتربيعها ، قاله مجاهد[٦]، وعكرمة[٧]، واختاره الطبري[٨]، والقرطبي[٩].

---

(١) الوجيز:٣٣٦.
(٢) بحر العلوم:٤٤٢٠١٩/١.
(٣) صفوة التفاسير:٣٣٩.
(٤) تفسير الطبري:٨٩/١١.
(٥) الوجيز:٣٣٦.
(٦) انظر: تفسير الطبري(١٢٧٨٠):ص٩٠/١١.
(٧) انظر: تفسير الطبري(١٢٧٨١):ص٩٠/١١.
(٨) انظر: تفسير الطبري:٨٩/١١.
(٩) انظر: تفسير القرطبي:٣٢٤/٦.

والثاني : سميت بذلك لعلوها ونتوئها من قولهم : قد كعب ثدي المرأة إذا علا ونتأ، وهو قول الجمهور(١).

و«الكعبة»: الحرم كله، وسماها الله حراما، لتحريمه إياها أن يصاد صيدها، أو يختلى خلاها ، أو يعضد شجرها(٢).

وفي قوله تعالى:{قِيَامًا لِلنَّاس} [المائدة : ٩٧]، جوه من التأويل:

أحدها: قياما للدين، ومعالم للحج، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس(٣).

والثاني: قياما لأمر من توجه إليها، رواه العوفي عن ابن عباس(٤).

عن قتادة قوله : " {جعل الله الكعبة البيت الحرام قيامًا للناس والشهر الحرام والهدي والقلائد}، حواجز أبقاها الله بين الناس في الجاهلية ، فكان الرجل لو جَرَّ كل جريرة ثم لجأ إلى الحرم لم يُتناول ولم يُقرب. وكان الرجل لو لقي قاتلَ أبيه في الشهر الحرام لم يعرض له ولم يقرَبه. وكان الرجل إذا أراد البيت تقلد قلادةً من شعر فأحمته ومنعته من الناس"(٥).

وقال ابن شهاب:" : فجعل الله ذلك قياما للناس يأمنون به في ذلك كله في الجاهلية الأولى لا يخاف بعضهم بعضا حين يلقونهم عند البيت وفي الحرم أو في الشهر الحرام."(٦).

والثالث: قياما لبقاء الدين، فلا يزال في الأرض دين ما حجت واستقبلت، قاله الحسن(٧).

وفي المعنى نفسه قال ابن زيد:" كان الناس كلهم فيهم ملوكٌ تدفع بعضَهم عن بعض. قال : ولم يكن في العرب ملوكٌ تدفع بعضهم عن بعض ، فجعل الله تعالى لهم البيت الحرام قيامًا ، يُدْفع بعضُهم عن بعض به ، والشهر الحرام كذلك يدفع الله بعضهم عن بعض بالأشهر الحرم ، والقلائد. قال : ويلقَى الرجل قاتل أخيه أو ابن عمه فلا يعرض له. وهذا كله قد نُسِخ"(٨).

والرابع: قوام دنيا وقوام دين، قاله حميد الأرقط(٩).

والخامس: قياما للناس، أي: مما أمروا أن يقوموا بالفرض فيه، ذكره الزجاج(١٠).

والسادس: قياما لمعايشهم ومكاسبهم بما يحصل لهم من التجارة عندها، ذكره بعض المفسرين(١١).

والسابع: يعني: صلاحاً لهم ، قاله سعيد بن جبير(١٢).

قال الطبري:" وهذه الأقوال وإن اختلفت من قائليها ألفاظُها، فإن معانيها آيلةٌ إلى ما قلنا في ذلك ، من أن «القوام» للشيء ، هو الذي به صلاحه ، كما الملك الأعظم ، قوامُ رعيته ومن في سلطانه ، لأنه مدبِّر أمرهم ، وحاجز ظالمهم عن مظلومهم ، والدافع عنهم مكروه من بغاهم وعاداهم. وكذلك كانت الكعبة والشهرُ الحرام والهدي والقلائد ، قوامَ أمر العرب الذي كان به صلاحهم في الجاهلية ، وهي في الإسلام لأهله معالمُ حجهم ومناسكهم ، ومتوجَّههم لصلاتهم ، وقبلتهم التي باستقبالها يتمُّ فرضُهم"(١٣).

---

(١) انظر: النكت والعيون:٧٠/٢، وزاد المسير:٥٨٨/١، وتفسير العز بن عبدالسلام:٤١٤/١ وغيرها.

(٢) انظر: تفسير الطبري:٩١/١١، والنكت والعيون:٧٠/٢.

(٣) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٦٨٥٤):ص١٢١٤/٤.

(٤) انظر: تفسير الطبري(١٢٧٨٧):ص٩٢/١١.

(٥) أخرجه الطبري(١٢٧٩٠):ص٩٣/١١.

(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٨٥٨):ص١٢١٤/٤.

(٧) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٦٨٥٧):ص١٢١٤/٤.

(٨) اخرجه الطبري(١٢٧٩١):ص٩٣/١١.

(٩) انظر: تفسير الطبري:٩٠/١١، ومجاز القرآن:١٧٧/١.

(١٠) انظر: معاني القرآن:٢١٠/٢.

(١١) انظر: النكت والعيون:٧٠/٢، وزاد المسير:٥٨٩/١.

(١٢) انظر: تفسير الطبري(١٢٧٨٣):ص٩١/١١.

(١٣) تفسير الطبري:٩٢/١١-٩٣.

قال الزمخشري:" {قياما للناس}، انتعاشا لهم في أمر دينهم ودنياهم، ونهوضا إلى أغراضهم ومقاصدهم في معاشهم ومعادهم، لما يتم لهم من أمر حجهم وعمرتهم وتجارتهم، وأنواع منافعهم"(١).

قال الشيخ محمد رشيد رضا:" المختار أن جعل الله تعالى هذه الأشياء قياما للناس هو جعل تكويني تشريعي معا، وهو عام شامل لما تقوم به وتتحقق مصالح دينهم ودنياهم، وشامل لزمن الجاهلية وعهد الإسلام، لكن له في كل من العهدين صورة خاصة به ففي عهد الجاهلية كان التكويني أظهر والتشريعي أخفى، لأنهم على إضاعتهم لشريعة إبراهيم وإسماعيل صلى الله عليهما وسلم إلا قليلا من مناسك الحج مزجوها بالوثنية والخرافات الوضعية، وكانت آيات الله تعالى التكوينية ظاهرة فيهم كما تقدم بيانه آنفا، وسبق ما في معناه في سورة آل عمران، وأما في عهد الإسلام فالتشريعي أظهر"(٢).

وقرأ ابن عامر: «قيما»، بغير ألف(٣).

قال ابن عطية:" قوله تعالى: {للناس}، لفظ عام، وقال بعض المفسرين أراد العرب. ولا وجه لهذا التخصيص"(٤).

قوله تعالى:{وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ} [المائدة : ٩٧]، أي:" وجعل الله الشهر الحرام أيضًا قيامًا للناس"(٥).

قال القرطبي:" والشهر الذي يؤدي فيه الحج وهو ذو الحجة لأن في اختصاصه من بين الأشهر بإقامة موسم الحج فيه شأنا قد علمه الله أو أريد به جنس الأشهر الحرم وهو رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم"(٦).

قال الواحدي:" يعني: الأشهر الحرم فذكر بلفظ الجنس"(٧).

قال الزمخشري:" {الشهر الحرام}: الشهر الذي يؤدى فيه الحج، وهو ذو الحجة، لأن لاختصاصه من بين الأشهر بإقامة موسم الحج فيه شأنا قد عرفه الله تعالى، وقيل عنى به جنس الأشهر الحرم"(٨).

قال البيضاوي:" المراد بالشهر الشهر الذي يؤدي فيه الحج، وهو ذو الحجة لأنه المناسب لقرنائه"(٩).

قال المراغي:أي:"وكذلك جعل الشهر الحرام سببا لقيام الناس، لأن العرب كان يقتل بعضهم بعضا، ويغير بعضهم على بعض فى سائر الأشهر حتى إذا دخل الشهر الحرام زال الخوف وقدروا على الأسفار والتجارات وصاروا آمنين على أنفسهم وأموالهم، وكانوا يحصلون فيه من الأقوات ما يكفيهم طول العام، ولو لاه لتفانوا من الجوع والشدة"(١٠).

قال ابن عطية:" و«الشهر»، هنا اسم جنس، والمراد: الأشهر الثلاثة بإجماع من العرب، وشهر مضر وهو رجب الأصم، سمي بذلك لأنه كان لا يسمع فيه صوت الحديد، وسموه منصل الأسنة لأنهم كانوا ينزعون فيه أسنة الرماح، وهو شهر قريش، وله يقول عوف بن الأحوص(١١):

---

(١) الكشاف:٦٨١/١.

(٢) تفسير المنار:١٠٠/٧-١٠١.

(٣) انظر: السبعة في القراءات:٢٤٨.

(٤) المحرر الوجيز:٢٤٤/٢.

(٥) انظر: تفسير الطبري:٩١/١١.

(٦) تفسير القرطبي:٤٧٨/١.

(٧) الوجيز:٣٣٦.

(٨) الكشاف:٦٨١/١.

(٩) تفسير البيضاوي:١٤٥/٢.

(١٠) تفسير المراغي:٣٥/٧.

(١١) المفضليات:١٦٣، ومنتهى الطلب:٣٨٤/٣،وشرح اختيارات المفضل:٨٠٥/٢، وفيها :"حبست" بدل:"سيقت"

وشهر بني أمية والهدايا إذا سيقت مدرجها الدماء

وسماه النبي عليه السلام: شهر الله(١)، أي شهر آل الله، وكان يقال لأهل الحرم آل الله، ويحتمل أن يسمى شهر الله لأن الله سنه وشدده إذ كان كثير من العرب لا يراه، وأما الهدي فكان أمانا لمن يسوقه لأنه يعلم أنه في عبادة لم يأت لحرب"(٢).

قوله تعالى:{وَالْهَدْيَ} [المائدة : ٩٧]، أي وكذلك جعل الهدى سببا لقيام الناس"(٣).

قال المراغي:أي:" لأن «الهدي» يهدى إلى البيت ويذبح ويفرق لحمه على الفقراء فيكون نسكا للمهدى وقياما لمعيشة الفقراء"(٤).

قال مكي:أي:" جعل ذلك أيضاً قياماً للناس"(٥).

و«الناس» - هنا -: "مَن كان في الجاهلية، كان الرجل لا يخاف إذا دخل في الحرَم ولو لَقِي من قتل أباه أو أخاه، لم يخف الفاعل في الحرَم، وإذا لَقِي الهدي لم يَعرِضْ له القاطع ولا الجائع، وكان الرجل إذا أراد الحج تقلد بقلادة من شعر، وإذا رجع تقلد بقلادة من لحاء شجر الحرم، فلا يعرض له ولا يؤذى حتى يصل إلى أهله، وقيل: «الناس»، هنا: جميع الناس"(٦).

في«الهدي»، قولان:

أحدهما: أنه كل ما أهداه من شيء إلى بيت الله تعالى(٧).

والثاني: أنه ما لم يقلّد من النعم، وقد جعل على نفسه، أن يُهديه ويقلده، وهو قول ابن عباس(٨).

قوله تعالى:{وَالْقَلَائِدَ} [المائدة : ٩٧]، أي:" وكذلك جعل القلائد قياما للناس"(٩).

قال المراغي:" إذ أن من قصد البيت فى الشهر الحرام لم يتعرض له أحد، ومن قصده فى غير الشهر الحرام ومعه هدى وقلده وقلد نفسه من لحاء شجر الحرم لم يتعرض له أحد، لأن الله أوقع فى قلوبهم تعظيم البيت، فكل من قصده أو تقرب إليه صار آمنا من جميع الآفات والمخاوف"(١٠).

وقد ذكر بعض الشعراء أن «القلائد»: لحاء شجر الحرم الذي كان أهل الجاهلية يتقلّدونه(١١)، قال الشاعر(١٢):

قال التبريز في شرح الاختيارات: مضرجها، أي: يصيبها الدم كما يضرّج الثوب بالصبغ.

(١) قطعة من حديث طويل اخرجه ابن الجوزي في الموضوعات(١٠٠٨)، من حديث لأنس، و(١١٤٧) من حديث أبي سعيد الخدري، وقال إثر كل من الحديثين: هذا حديث موضوع.

(٢) المحرر الوجيز:٢/٢٤٤.

(٣) تفسير المراغي:٣٥/٧.

(٤) تفسير المراغي:٣٥/٧.

(٥) الهداية إلى بلوغ النهاية:١٨٨٢/٣-١٨٨٣.

(٦) الهداية إلى بلوغ النهاية:١٨٨٢/٣-١٨٨٣.

(٧) انظر: تفسير الطبري:٤٦٦/٩.

(٨) انظر: تفسير الطبري(١٠٩٤٨):ص٤٦٧/٩.

(٩) تفسير المراغي:٣٦/٧.

(١٠) تفسير المراغي:٣٦/٧.

(١١) انظر: تفسير الطبري:٤٦٩/٩-٤٧٠.

(١٢)أشعار الهذليين ٣ : ١٩ ، والمعاني الكبير : ١١٢٠ ، واللسان (حرج). و " الحرج " (بكسر الحاء وسكون الراء) : الودعة ، قالوا : عنى بالحرجين : رجلين أبيضين كالودعة ، فإما أن يكون البياض لونهما ، وإما أن يكون كنى بذلك عن شرفهما. وقال شارح ديوانه : " ويكون أيضًا الحرجان ، رجلين يقال لهما : الحرجان " . و " أمر الحبل يمره " : فتله. و " اللحاء " ، قشر الشجر. و " المضفر " الذي جدل ضفائر. هذا وقد ذكر أبو جعفر أن الشعر في رجلين قتلا رجلين ، وروى " ألم تقتلا " ، والذي في المراجع " ألم تقتلوا " ، وهو الذي يدل عليه سياق الشعر ، فإن أوله قبل البيت : ألا أبْلِغَا جُلَّ السَّوَارِي وَجَابرًا ... وَأَبْلِغْ بَنِي ذِي السَّهْمِ عَنِّي وَيَعْمَرَا

وَقُولا لَهُمْ عَنِّي مَقَالَة شَاعِرٍ ... أَلَمّ بقَوْلٍ ، لَمْ يُحَاوِلْ لِيَفْخَرَا

لعَلَّكُمْ لمَّا قَتَلتُمْ ذَكَرْتُمُ ... وَلَنْ تَتْرُكُوا أَنْ تَقْتُلُوا ، مَنْ تَعَمَّرَا

فالشعر كله بضمير الجمع. وسببه أن جندبًا ، أخو البريق بن عياض اللحياني ، قتل قيسًا وسالمًا ابني عامر بن

أَلَمْ تَقْتُلا الْحِرْجَيْنِ إذْ أعْوَرَاكُمَا[1] يُمِرَّانِ بِالأيْدِي اللِّحَاءَ الْمُضَفَّرَا

قال ابن عباس:" كان ناس يتقلّدون لحاء الشجر في الجاهلية إذا أرادوا الحجّ ، فيعرفون بذلك"[2].

قال الزمخشري:" {والقلائد} ، أي: والمقلد منه خصوصا و وهو البدن، لأن الثواب فيه أكثر، وبهاء الحج معه أظهر"[3].

قال ابن عطية:" وأما القلائد فكذلك كان الرجل إذا خرج يريد الحج تقلد من لحاء السمر أو غيره شيئا فكان ذلك أمانا له، وكان الأمر في نفوسهم عظيما مكنه الله حتى كانوا لا يقدم من ليس بمحرم أن يتقلد شيئا خوفا من الله، وكذلك إذا انصرفوا تقلدوا من شجر الحرم"[4].

قوله تعالى:{ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ} [المائدة : ٩٧]، أي:" ذلك لتعلموا أن الله يعلم جميع ما في السموات وما في الأرض، ومن ذلك ما شرعه لحماية خلقه بعضهم من بعض"[5].

قال النسفي:" أي: لتعلموا أن الله يعلم مصالح ما في السموات وما في الأرض"[6].

قال ابن عطية:" {ذلك} إشارة إلى أن جعل هذه الأمور قياما، والمعنى فعل ذلك لتعلموا أن الله تعالى يعلم تفاصيل أمور السماوات والأرض ويعلم مصالحكم أيها الناس قبل وبعد، فانظروا لطفه بالعباد على حال كفرهم"[7].

قال الزمخشري:" {ذلك}إشارة إلى جعل الكعبة قياما للناس، أو إلى ما ذكر من حفظ حرمة الإحرام بترك الصيد وغيره، لتعلموا أن الله يعلم كل شيء وهو عالم بما يصلحكم وما ينعشكم مما أمركم به وكلفكم، شديد العقاب لمن انتهك محارمه غفور رحيم لمن حافظ عليها"[8].

قال البيضاوي:" {ذلك}، إشارة إلى الجعل، أو إلى ما ذكر من الأمر بحفظ حرمة الإحرام وغيره. لتعلموا أن الله يعلم ما في السماوات وما في الأرض فإن شرع الأحكام لدفع المضار قبل وقوعها وجلب المنافع المترتبة عليها، دليل حكمة الشارع وكمال علمه"[9].

قال المراغي:" الخلاصة- إن ذلك لم يكن إلا لحكمة بالغة صادرة عن علم بخفايا الأمور وغاياتها، فكان دليلا على أنه سبحانه يعلم ما فى السموات وما فى الأرض من أسباب الرزق ونظام الخلق وغير ذلك، وأنه عليم بكل شىء فلا تخفى عليه خافيه.

وقد عجزت جميع الأمم فى القديم والحديث عن تأمين الناس فى قطر من الأقطار فى زمن معين من كل سنة بحيث لا يقع فيه قتل ولا قتال ولا عدوان"[10].

قال البغوي:" فإن قيل: أي اتصال لهذا الكلام بما قبله؟ قيل: أراد أن الله عز وجل جعل الكعبة قياما للناس لأنه يعلم صلاح العباد كما يعلم ما في السموات وما في الأرض"[11].

وذكر الزجاج في قوله تعالى:{ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ} [المائدة : ٩٧]، وجهان[1]:

عريب الكنانيين ، وقتل سالم جندبًا ، اختلفا ضربتين.

(١)رواية أبي جعفر كما شرحها " أعوراكما " ، ورواية الديوان " أعورا لكم " ، وهي في سياق لمشعر ، ورواية اللسان : " أعرضا لكم " ، ويروي " عورا لكم " بتشديد الواو. هذا على أن هذه الرواية : " أعور " متعديًا ، والذي كتب في اللغة " أعور لك الشيء فهو معور ".

(٢) أخرجه الطبري(١٢٧٩٢):ص٩٤/١١.

(٣) الكشاف:٦٨١/١-٦٨٢.

(٤) المحرر الوجيز:٢٤٤/٢.

(٥) التفسير الميسر:١٢٣.

(٦) تفسير النسفي:٤٧٨/١.

(٧) المحرر الوجيز:٢٤٤/٢.

(٨) الكشاف:٦٨٢/١.

(٩) تفسير البيضاوي:١٤٥/٢.

(١٠) تفسير المراغي:٣٦/٧.

(١١) تفسير البغوي:١٠٤/٣.

أحدهما: أن الله لما آمن من الخوف البلد الحرام، والناسق كان يقتل بعضعهم بعضا، وجعل الشهر الحرام يمتنع فيه من القتل، والقوم أهل جاهلية، فدل بذلك أنه يعلم ما في السماوات وما في الأرض إذ جعل في أعظم الأوقات فسادا ما يؤمن به.
والثاني: أن ذلك مردود على ما أنبأ الله به على لسان نبيه في هذه السورة من قوله: { مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ } [المائدة : ٤١]، فأخبر بنفاقهم الذي كان مستترا عن المسلمين، وما أخبر به أنهم: { سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ} [المائدة : ٤١]، فأظهر الله ما كانوا أسروه من قصة الزانيين، ومسألتهم إياه - صلى الله عليه وسلم - وما شرحناه مما كانوا عليه في ذلك، فأظهر الله جل وعز: نبيه والمؤمنين على جميع ما ستروا عنهم، فالمعنى - والله أعلم - ذلك لتعلموا الغيب الذي أنبأتكم به عن الله، يدلكم على إنه يعلم ما في السماوات وما في الأرض، ودليل هذا القول قوله جل وعز: {مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ} [المائدة : ٩٩].

قال الزجاج في القول الثاني:"هو عندي أبين"(٢).

قوله تعالى:{وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [المائدة : ٩٧]، أي:" وأن الله بكل شيء عليم، فلا تخفى عليه خافية"(٣).

قال البيضاوي:"تعميم بعد تخصيص ومبالغة بعد إطلاق"(٤).

قال ابن عطية:" وقوله تعالى: {بكل شيء عليم}، عام عموما تاما في الجزئيات ودقائق الموجودات، كما قال عز وجل: {وما تسقط من ورقة إلا يعلمها} [الأنعام: ٥٩] ، والقول بغير هذا إلحاد في الدين وكفر"(٥).

الفوائد:

١-بيان عظم الكعبة المشرفة، إذ جعلها الله قياما للناس يقوم بها امور دينهم ودنياهم.

٢-أن الكعبة حرام، أي: محترمة معظمة، ولهذا كان ما حولها حراما لايقتل صيده ولايقطع شجره.

٣-تعظيم الاشهر الحرم وأنها قيام للناس، وكذلك تعظيم الهدي ومشروعية القلائد إذ ان فيها إظهارا لشعائر الله عزّ وجل.

٤-إثبات الحكمة في أحكام الله عزّ وجل، لقوله:{ذلك لتعلموا}، واللام هنا للتعليل، ويتفرغ من ذلك أن كل ما شرعه الله أو فعله فهو لحكمة.

٥-التحذير من مخالفة الله عزّ وجل، وجهه إثبات العلم في قوله:{يعلم ما في السماوات وما في الأرض}، وفيه أيضا إثبات أن السماوات ذات عدد، وهذا العدد في ادلة أخرى أنه سبع سماوات.

٦-بيان عظيم تدبير الله تعالى لخلقه، إذ أمّن مصالح قريش والعرب فأوجد لهم أمناً واستقراراً وتبع ذلك هناءة عيش وطيب حياة بما ألقى في قلوب عباده من احترام وتعظيم للبيت الحرام والشهر الحرام، والهدي والقلائد، الأمر الذي لا يقدر عليه إلا الله.

٧-ومن أسمائه «العليم»، والعِلمُ صفةٌ ذاتية ثابتةٌ لله عَزَّ وجلَّ ، فهو سبحانه «العليم»المحيط علمه بكل شيء، فلا يخفى عليه شيء من الأشياء(٦).

قال الخطابي:" «العليم»: هو العالم بالسرائر والخفيات التي لا يدركها علم الخلق"(٧).

القرآن

---

(١) انظر: معاني القرآن:٢/٢١٠-٢١١.
(٢) معاني القرآن:٢/٢١٠.
(٣) التفسير الميسر:١٢٣.
(٤) تفسير البيضاوي:٢/١٤٥.
(٥) المحرر الوجيز:٢/٢٤٤.
(٦) انظر: شرح العقيدة الواسطية، لابن عثيمين:١/١٨٨.
(٧) شأن الدعاء:٥٧.

{اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٩٨)} [المائدة : ٩٨]

التفسير:

اعلموا -أيها الناس- أن الله جل وعلا شديد العقاب لمن عصاه، وأن الله غفور رحيم لمن تاب وأناب.

سبب النزول:

قال مقاتل:" ثم خوفهم ألا يستحلوا الغارة في حجاج اليمامة، يعني: شريحا وأصحابه فقال: {اعلموا أن الله شديد العقاب} إذا عاقب"(١).

قوله تعالى:{اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} [المائدة : ٩٨]، أي:" اعلموا -أيها الناس- أن الله جل وعلا شديد العقاب لمن عصاه"(٢).

قال الزمخشري:أي:"لمن انتهك محارمه"(٣).

قال ابن ابي زمنين:أي:" لمن أراد أن ينتقم منه"(٤).

قال السمرقندي:" يعني: إذا عاقب فعقوبته شديدة لمن عصاه"(٥).

قال ابن عثيمين:أي:"قوي العقاب إذا عاقب المذنب"(٦).

قال الطبري:أي:" اعلموا، أيها الناس، أن ربكم الذي يعلم ما في السموات وما في الأرض، ولا يخف عليه شيء من سرائر أعمالكم وعلانيتها، وهو يُحْصيها عليكم لمجازيكم بها، شديد عقابُه من عصاه وتمرَّد عليه، على معصيته إياه"(٧).

قال القرطبي:" قوله تعالى: {اعلموا أن الله شديد العقاب}، تخويف"(٨).

قال علي بن زيد: "تلا مطرف هذه الآية {شديد العقاب}، قال: لو يعلم الناس قدر عقوبة الله ونقمة الله وبأس الله، ونكال الله، لما رقى لهم دمع وما قرت أعينهم بشيء"(٩).

قوله تعالى:{وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [المائدة : ٩٨]، أي:" وأن الله غفور رحيم لمن تاب وأناب"(١٠).

قال الزمخشري:أي:" لمن حافظ على محارمه"(١١).

قال مقاتل:"لمن أطاعه بعد النهي"(١٢).

قال السمرقندي:أي:" لمن أطاعه"(١٣).

قال الطبري:أي:" وهو غفور لذنوب من أطاعه وأنابَ إليه، فساترٌ عليه، وتاركٌ فضيحته بها، {رحيم} به أن يعاقبه على ما سلف من ذنوبه بعد إنابته وتوبته منها"(١٤).

قال القرطبي:" قوله تعالى: { وأن الله غفور رحيم}، ترجية"(١٥).

قال محمد بن إسحاق. وأن الله غفور أي يغفر الذنب. رحيم يرحم العباد على ما فيهم"(١).

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان:١/٥٠٧.
(٢) التفسير الميسر:١٢٤.
(٣) الكشاف:١/٦٨٢.
(٤) تفسير ابن أبي زمنين:٢/٤٩.
(٥) بحر العلوم:١/٤٢٠.
(٦) تفسير سورة المائدة لابن عثيمين:٢/٤٢٦.
(٧) تفسير الطبري:١١/٩٥.
(٨) تفسير القرطبي:٦/٣٢٧.
(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٨٦٧):ص٤/١٢١٦.
(١٠) التفسير الميسر:١٢٤.
(١١) الكشاف:١/٦٨٢.
(١٢) تفسير مقاتل بن سليمان:١/٥٠٧.
(١٣) بحر العلوم:١/٤٢٠.
(١٤) تفسير الطبري:١١/٩٥.
(١٥) تفسير القرطبي:٦/٣٢٧.

قال الراغب:" نبه بذلك أنه تعالى حيث سخر هذه الأمور وبينها دل ذلك أنه فعل ذلك لما أراده من عباده ليثيب المحسن ويعاقب المسيء، وذلك يقتضي أن يعلموا أنه يعاقب قوما ويرحي قوما كيفما تقتضيه حكمته"(٢).

الفوائد:

١-وجوب العلم عن يقين الله، لقوله:{اعلموا}.

٢-ان الله تعالى شديد العقاب لمن خالف امره، سواء بفعل ما حرم أو بترك ما اوجب.

٣-غثبات العقاب: وه مؤاخذة المذنب بما يستحقه من العقوبة.

٤- ومنها: إثبات هذين الاسمين الكريمين: «الغفور»، و«الرحيم»؛ وما تضمناه من صفة، وفعل.

فـ«الغفور»: هو الذي تكثر منه المغفرة. وبناء فعول: بناء المبالغة في الكثرة(٣).

والفرق بين صيغتي:«الغفار»، و«الغفور»: أن "«الغفار»(٤)، معناه: الستار لذنوب عباده في الدنيا بأن لا يهتكهم ولا يشيدهما عليهم، ويكون معنى «الغفور»: منصرفا إلى مغفرة الذنوب في الآخرة، والتجاوز عن العقوبة فيها"(٥).

و«الرحيم»: أي: ذو الرحمة الواسعة التي وسعت كل شيء (٦).

قال الشيخ ابن عثيمين:" «الرحيم»: أي الموصل للرحمة من يشاء من عباده"(٧).

القرآن

{مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ (٩٩)} [المائدة : ٩٩]

التفسير:

يبيِّن الله تعالى أن مهمة رسوله صلى الله عليه وسلم هداية الدلالة والتبليغ، وبيد الله -وحده- هداية التوفيق، وأن ما تنطوي عليه نفوس الناس مما يُسرون أو يعلنون من الهداية أو الضلال يعلمه الله.

سبب النزول:

قال مقاتل :"ثم قال- عز وجل-: {ما على الرسول} محمد- صلى الله عليه وسلم- {إلا البلاغ} في أمر حجاج اليمامة شريح بن ضبيعة وأصحابه، {والله يعلم ما تبدون}، يعني: ما تعلنون بألسنتكم و{ما تكتمون}،من أمر حجاج اليمامة والغارة عليهم"(٨).

قوله تعالى:{مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ} [المائدة : ٩٩]، أي:" أي ليس على الرسول إلا أداء الرسالة وتبليغ الشريعة"(٩).

---

(١) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٨٦٨):ص١٢١٦/٤.

(٢) تفسير الراغب الاصفهاني:٤٥٩/٥.

(٣) انظر: شأن الدعاء:٦٥/١.

(٤)قال الخطابي:" الغفار: هو الذي يغفر ذنوب عباده مرة بعد أخرى. كلما تكررت التوبة في الذنب من العبد تكررت المغفرة. كقوله -سبحانه-: {وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى} [طه:٨٢].

وأصل الغفر في اللغة: الستر والتغطية، ومنه قيل لجنة الرأس: المغفر، وبه سمي زئبر الثوب غفرا وذلك لأنه يستر سداه؛ فالغفار: الستار لذنوب عباده، والمسدل عليهم ثوب عطفه ورأفته. ومعنى الستر في هذا أنه لا يكشف أمر العبد لخلقه ولا يهتك ستره بالعقوبة التي تشهره في عيونهم ويقال: إن المغفرة مأخوذة من الغفر: وهو فيما حكاه بعض أهل اللغة نبت يداوى به الجراح، يقال إنه إذا ذر عليها دملها وأبراها". [شأن الدعاء:٥٢/١-٥٣، وانظر: اللسان وتاج العروس، مادة"غفر"].

(٥) شأن الدعاء:٦٥/١.

(٦) انظر:تفسير ابن عثيمين: الفاتحة والبقرة:١٨٨/١، وشرح أسماء الحسنى في ضوء الكتاب والسنة:٨٤.

(٧) تفسير ابن عثيمين الفاتحة والبقرة:٥/١.

(٨) تفسير مقاتل بن سليمان:٥٠٧/١.

(٩) صفوة التفاسير:٣٤٠/١.

قال السمرقندي:" يعني: أن الرسول ليس عليه طلب سرائرهم، وإنما عليه بتبليغ الرسالة"[١].

قال الطبري:" وهذا من الله تعالى ذكره تهديد لعباده ووعيد. يقول تعالى ذكره: ليس على رسولنا الذي أرسلناه إليكم، أيها الناس، بإنذاركم عقابَنا بين يدي عذاب شديد، وإعذارنا إليكم بما فيه قطع حججكم إلا أن يؤدي إليكم رسالتنا، ثم إلينا الثواب على الطاعة، وعلينا العقاب على المعصية"[٢].

قال أبو حيان:" لما تقدم الترغيب والترهيب أخبر تعالى أنه كلف رسوله بالتبليغ وهو توصيل الأحكام إلى أمته وهذا فيه تشديد على إيجاب القيام بما أمر به تعالى، وأن الرسول قد فرغ مما وجب عليه من التبليغ وقامت عليه الحجة ولزمتكم الطاعة فلا عذر لكم في التفريط"[٣].

قال ابن عطية:" قوله تعالى: {ما على الرسول إلا البلاغ}، إخبار للمؤمنين فلا يتصور أن يقال هي آية موادعة منسوخة بآيات القتال، بل هذه حال من آمن وشهد شهادة الحق. فإنه إذ قد عصم من الرسول ماله ودمه، فليس على الرسول في جهته أكثر من التبليغ"[٤].

قال الزمخشري:قوله:{ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ}،" تشديد في إيجاب القيام بما أمر به، وأن الرسول قد فرغ مما وجب عليه من التبليغ، وقامت عليكم الحجة، ولزمتكم الطاعة، فلا عذر لكم في التفريط"[٥].

قال القرطبي:" أي: ليس له الهداية والتوفيق ولا الثواب، وإنما عليه البلاغ وفي هذا رد على القدرية كما تقدم. وأصله البلاغ البلوغ، وهو الوصول. بلغ يبلغ بلوغا، وأبلغه إبلاغا، وتبلغ تبلغا، وبالغه مبالغة، وبلغه تبليغا، ومنه البلاغة، لأنها إيصال المعنى إلى النفس في حسن صورة من اللفظ. وتبالغ الرجل إذا تعاطى البلاغة وليس ببليغ، وفي هذا بلاغ أي كفاية، لأنه يبلغ مقدار الحاجة"[٦].

قوله تعالى:{وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ} [المائدة : ٩٩]، أي:" والله لا يخفى عليه شيء من أحوالكم وأعمالكم وسيجازيكم عليها"[٧].

قال محمد بن إسحاق:{وما تكتمون}، أي: ما تخفون"[٨].

قال السمرقندي:أي:"والله تعالى هو الذي يعلم سرائرهم"[٩].

قال ابن عطية:أي:"والله تعالى بعد ذلك يعلم ما ينطوي عليه صدره، وهو المجازي بحسب ذلك ثوابا أو عقابا، والبلاغ مصدر من بلغ يبلغ، والآية معناها الوعيد للمؤمنين إن انحرفوا ولم يمتثلوا ما بلغ إليهم"[١٠].

قال الطبري:" يقول: وغير خفي علينا المطيعُ منكم، القابلُ رسالتنا، العاملُ بما أمرته بالعمل به من المعاصي الآبي رسالتنا، التارك العمل بما أمرته بالعمل به، لأنا نعلم ما عمله العامل منكم فأظهره بجوارحه ونطق به بلسانه، {وما تكتمون}، يعني: ما تخفونه في أنفسكم من إيمان وكفر، أو يقين وشك ونفاق، يقول تعالى ذكره: فمن كان كذلك، لا يخفى عليه شيء من

---

(١) بحر العلوم:٤٢١/١.
(٢) تفسير الطبري:٩٥/١١.
(٣) البحر المحيط:٣٧٤/٤.
(٤) المحرر الوجيز:٢٤٤/٢.
(٥) الكشاف:٦٨٢/١.
(٦) تفسير القرطبي:٣٢٧/٦.
(٧) صفوة التفاسير:٣٤٠/١.
(٨) أخرجه ابن أبي حاتم(٦٨٦٩):ص١٢١٦/٤.
(٩) بحر العلوم:٤٢١/١.
(١٠) المحرر الوجيز:٢٤٤/٢.

ضمائر الصدور، وظواهر أعمال النفوس، مما في السموات وما في الأرض، وبيده الثواب والعقابفحقيق أن يُتَّقى، وأن يُطاع فلا يعصى"[١].

قال أبو حيان:" جملة فيها تهديد إذ أخبر تعالى أنه مطلع على حال العبد ظاهرا وباطنا فهو مجازيه على ذلك ثوابا أو عقابا، ويحتمل أن يكون المعنى أنه تعالى ألزم رسوله التبليغ للشريعة وألزمكم أنتم تبليغها فهو العالم بما تبدون منها وما تكتمونه فيجازيكم على ذلك وكان ذلك خطابا لأمته إذا كان الإبداء والكتم يمكن صدورهما منهم بخلاف الرسول فإنه يستحيل عليه أن يكتم شيئا من شرائع الله تعالى"[٢].

قال القرطبي:" {ما تبدون}، أي: تظهرونه، يقال: بدا السر وأبداه صاحبه يبديه. {وما تكتمون}، أي: ما تسرونه وتخفونه في قلوبكم من الكفر والنفاق"[٣].

واختلف المفسرون في هذه الآية هل هي محكمة، أم لا؟ على قولين:

أحدهما: أنها محكمة، وأنها تدل على أن الواجب على الرسول التبليغ، وليس عليه الهدى[٤].

والثاني: أنها تتضمن الاقتصار على التبليغ دون الأمر بالقتال ثم نسخت بآية السيف[٥].

قال ابن الجوزي:"والأول أصح"[٦].

الفوائد:

١-وجوب إبلاغ الوحي على رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، لأن «على» ظاهرة في الوجوب في قوله:{ما على الرسول إلا البلاغ}.

٢-أنه ليس على النبي-صلى الله عليه وسلم- أن يجبر الناس على ان يهتدوا، ويؤيد هذا آيات كثيرة، منها قوله تعالى: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ} [يونس : ٩٩].

٣-غثبات رسالة النبي-صلى الله عليه وسلم-.

٤-تحذير المبلغين من المخالفة، لأن إخباره بعلمه بعد أن قال:{ما على الرسول إلا البلاغ}، فيه التهديد والوعيد على من خالف.

٥-سعة علم الله وعمومه، لقوله تعالى:{ما تبدون وما تكتمون}، وهذا عام للأمة كلها.

٦-الرد على الجبرية الذين يقولون: إن الإنسان ليس له إرادة، وهذا مأخوذ من قوله: {ما تبدون وما تكتمون}، فالإنسان يريد أن يبدي ويريد أن يكتم، وهذا هو غثبات الإرادة للعبد.

القرآن

{قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٠٠)} [المائدة : ١٠٠]

التفسير:

قل -أيها الرسول-: لا يستوي الخبيث والطيب من كل شيء، فالكافر لا يساوي المؤمن، والعاصي لا يساوي المطيع، والجاهل لا يساوي العالم، والمبتدع لا يساوي المتبع، والمال الحرام لا يساوي الحلال، ولو أعجبك -أيها الإنسان- كثرة الخبيث وعدد أهله. فاتقوا الله يا أصحاب العقول الراجحة باجتناب الخبائث، وفعل الطيبات; لتفلحوا بنيل المقصود الأعظم، وهو رضا الله تعالى والفوز بالجنة.

---

(١) تفسير الطبري:٩٥/١١.

(٢) البحر المحيط:٣٧٥/٤.

(٣) تفسير القرطبي:٣٢٧/٦.

(٤)ذكره ابن حزم في ناسخه (٣٣٧) وابن سلامة في ناسخه ص: ٤٢. وابن الجوزي في نواسخ القرآن:٤١٤/٢-٤١٥، وزاد المسير: ٤٣٢/٢، ومختصر عمدة الراسخ ورقة (٦) ، ولم يعرض النحاس والمكي لدعوى النسخ هنا.

(٥) انظر: نواسخ القرآن لابن الجوزي:٤١٤/٢-٤١٥، و زاد المسير:٥٨٩/١.

(٦) نواسخ القرآن:٤١٥/٢.

في سبب النزول الآية قولان:
أحدهما:عن جابر؛ قال: قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: "إن الله -عزّ وجلّ- حرم عليكم عبادة الأوثان وشرب الخمر والطعن في الأنساب، ألا أن الخمر لُعن شاربها وعاصرها وساقيها وبائعها وآكل ثمنها"، فقام إليه أعرابي فقال: يا رسول الله! إني كنت رجلًا كانت هذه تجارتي، فاقتنيت مع بيع الخمر مالًا فهل ينفعني ذلك المال إن عملت فيه بطاعة الله؟ فقال له النبي - صلى الله عليه وسلم -: "إن أنفقته في حج أو جهاد أو صدقة لم يعدل عند الله جناح بعوضة؛ إن الله لا يقبل إلا الطيب"؛ فأنزل الله -تعالى- تصديقاً لقوله - صلى الله عليه وسلم -: {قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ}"[1]. [ضعيف]
والثاني: أنها نزلت في شأن حجاج اليمامة شريح بن ضبيعة حين أراد المسلمون أخذ ماله، فنهاهم الله تعالى عن ذلك، وأخبرهم أن أخذ ماله حرام. قاله الكلبي[2]، وذكره السمرقندي[3] والثعلبي[4]، والبغوي[5]، والزمخشري[6]، وغيرهم.
قوله تعالى:{قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ} [المائدة : ١٠٠]، أي:" أي قل يا محمد لا يتساوى الخبيث والطيّب"[7].
قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، قل يا محمد : لا يعتدل الرديء والجيد ، والصالح والطالح ، والمطيع والعاصي"[8].
قال السمرقندي والثعلبي والبغوي وابن أبي زمنين: يعني: "لا يستوي الحلال والحرام"[9].
وفي «الخبيث» و«الطيب» أربعة:
أحدها: أن " {الخبيث}، هم المشركون و{الطيب}، هم المؤمنون". قاله السدي[10].
والثاني:أن {الخبيث}، و{الطيب}: الحلال والحرام. قاله ابن عباس[11]، والحسن[12].
والثالث: أنهما: المطيع والعاصي[13].
والرابع:وقيل: الرديء والجيد. ذكره الماوردي[14].
قال القرطبي: وهذا على ضرب المثال، والصحيح أن اللفظ عام في جميع الأمور، يتصور في المكاسب والأعمال، والناس، والمعارف من العلوم وغيرها، فالخبيث من هذا كله لا يفلح ولا ينجب، ولا تحسن له عاقبة وإن كثر، والطيب وإن قل نافع جميل العاقبة، قال الله تعالى:{والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذي خبث لا يخرج إلا نكدا}[الأعراف: ٥٨]، ونظير هذه الآية قوله تعالى:{أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم

---

(١)أخرجه الواحدي في "أسباب النزول":٢١٠، عن الحاكم نا محمد بن القاسم المؤدب قال: ثنا إدريس بن علي الرازي ثنا يحيى بن الضريس ثنا سفيان عن محمد بن سوقة عن ابن المنكدر عن جابر به.
قلنا: وهذا سند ضعيف؛ شيخ الحاكم ما كان بشيء؛ كما قال الدارقطني، وإدريس بن علي الرازي لم نجد له ترجمة بعد طول بحث.
وعزاه السيوطي في اللباب (ص ١١٤) للأصبهاني في الترغيب والواحدي.
(٢) انظر: بحر العلوم:٤٢١/١.
(٣) انظر: بحر العلوم:٤٢١/١.
(٤) انظر: الكشف والبيان:١١٣/٤.
(٥) انظر: تفسير البغوي:١٠٥/٣.
(٦) انظر: الكشاف:٦٨٣/١.
(٧) صفوة التفاسير:٣٤٠.
(٨) تفسير الطبري:٩٦/١١.
(٩) بحر العلوم:٤٢١/١، والكشف والبيان:١١٣/٤، وتفسير البغوي:١٠٤/٣، تفسير ابن ابي زمنين:٤٩/٢.
(١٠) أخرجه الطبري(١٢٧٩٣):ص٩٧/١١.
(١١) حكاه عن ابن عباس ابن الجوزي في زاد النسير:٥٩٠/١.
(١٢) حكاه عنه القرطبي في تفسيره:٣٢٧/٦.
(١٣) انظر: زاد المسير:٥٩٠/١.
(١٤) اظر: النكت والعيون:٧٠/٢.

نجعل المتقين كالفجار}[ص: ٢٨] وقوله:{أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات}[الجاثية: ٢١]، فالخبيث لا يساوي الطيب مقدارا ولا إنفاقا، ولا مكانا ولا ذهابا، فالطيب يأخذ جهة اليمين، والخبيث يأخذ جهة الشمال، والطيب في الجنة، والخبيث في النار وهذا بين. وحقيقة الاستواء الاستمرار في جهة واحدة، ومثله الاستقامة وضدها الاعوجاج"(١).

قال الزمخشري:" البون بين الخبيث والطيب بعيد عند الله تعالى وإن كان قريبا عندكم، فلا تعجبوا بكثرة الخبيث حتى تؤثروه لكثرته على القليل الطيب، فإن ما تتوهمونه في الكثرة من الفضل، لا يوازى النقصان في الخبيث، وفوات الطيب، وهو عام في حلال المال وحرامه، وصالح العمل وطالحه، وصحيح المذاهب وفاسدها، وجيد الناس ورديهم"(٢).

قال ابن عطية:" لفظ [الآية] عام في جميع الأمور يتصور في المكاسب وعدد الناس والمعارف من العلوم ونحوها، ف الخبيث من هذا كله لا يفلح ولا ينجب ولا تحسن له عاقبة، والطيب ولو قل نافع جميل العاقبة وينظر إلى هذه الآية قوله تعالى: {والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذي خبث لا يخرج إلا نكدا} [الأعراف: ٥٨] والخبث هو الفساد الباطن في الأشياء حتى يظن بها الصلاح والطيب وهي بخلاف ذلك، وهكذا هو الخبث في الإنسان، وقد يراد بلفظة خبيث في الإنسان فساد نسبه، فهذا لفظ يلزم قائله على هذا القصد الحد"(٣).

قوله تعالى:{وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ} [المائدة : ١٠٠]، أي:" ولو أعجبك -أيها الإنسان- كثرة الخبيث وعدد أهله"(٤).

قال الطبري:" ولو كثر أهل المعاصى فعجبت من كثرتهم، لأن أهل طاعة الله هم المفلحون الفائزون بثواب الله يوم القيامة وإن قلُّوا ، دون أهل معصيته وإن أهل معاصيه هم الأخسرون الخائبون وإن كثروا، يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم : فلا تعجبنَّ من كثرة من يعصى الله فيُمْهله ولا يعاجله بالعقوبة ، فإن العقبَى الصالحة لأهل طاعة الله عنده دونهم"(٥).

قال السمرقندي:" يعني: كثره مال شريح بن ضبيعة"(٦).

قال ابن أبي زمنين: يعني: "كثرة الحرام"(٧).

قال ابن كثير:" يعني : أن القليل الحلال النافع خير من الكثير الحرام الضار ، كما جاء في الحديث : «ما قلَّ وكَفَى ، خَيْرٌ مما كَثُر وألْهَى»(٨)"(٩).

---

(١) تفسير القرطبي:٦/٣٢٧-٣٢٨.

(٢) الكشاف:١/٦٨٢.

(٣) المحرر الوجيز:٣/٢٤٤-٢٤٥.

(٤) التفسير الميسر:١٢٤.

(٥) تفسير الطبري:١١/٩٦.

(٦) بحر العلوم:١/٤٢١.

(٧) تفسير ابن أبي زمنين:٢/٤٩.

(٨) أخرجه أحمد(٢١٧٢١):ص٣٦/٥٢-٥٣، وأخرجه مختصرا أبو نعيم في "الحلية" ٩/٦٠، من طريق خليد العصري، وهو ابن عبد الله،و إسناده حسن.

وأخرجه الطيالسي (٩٧٩) ، وعبد بن حميد (٢٠٧) ، والطبري في مسند ابن عباس من "تهذيب الآثار" ١/٢٦٦ و٢٦٧ و٢٦٩، وابن حبان (٦٨٦) و (٣٣٢٩) ، والطبراني في "الأوسط" (٢٩١٢) ، وابن السني في "القناعة" (٢٢) و (٢٣) و (٢٤) ، والحاكم ٢/٤٤٤-٤٤٥، وأبو نعيم في "الحلية" ١/٢٢٦، والقضاعي في "مسند الشهاب" (٨١٠) ، والبيهقي في "الشعب" (٣٤١٢) ، والبغوي في

"شرح السنة" (٤٠٤٥) من طرق عن قتادة.

وأخرجه أبو الشيخ في "الأمثال" (١٨٨) من طريق أحمد بن عبيد. وهو ضعيف.

(٩) تفسير ابن كثير:٣/٢٠٣.

وروي عن ثعلبة بن حاطب الأنصاري أنه قال : يا رسول الله ، ادع الله أن يرزقني مالا. فقال النبي صلى الله عليه وسلم : "قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه"(١).

قال يعقوب بن عبد الرحمن الإسكندراني: "كتب إلى عمر بن عبد العزيز بعض عماله يذكر أن الخراج قد انكسر، فكتب إليه عمر، يقول: إن الله يقول: {لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث}، وكتب عمر إلى بعض عماله: إن استطعت أن تكون في العدل والإصلاح والإحسان بقولة من كان قبلك في الظلم والفجور والعدوان فافعل ولا قوة إلا بالله"(٢).

ويحتمل الخطاب في قوله تعالى:{وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ} [المائدة : ١٠٠]، وجهان(٣):

أحدهما: قيل: الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد أمته، فإن النبي صلى الله عليه وسلم لا يعجبه الخبيث.

والثاني: وقيل: المراد به النبي صلى الله عليه وسلم نفسه، وإعجابه له أنه صار عنده عجبا مما يشاهده من كثرة الكفار والمال الحرام، وقلة المؤمنين والمال الحلال.

قال ابن الجوزي:" معنى«الإعجاب» هاهنا: السرور بما يتعجب منه"(٤).

قوله تعالى:{فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ} [المائدة : ١٠٠]، أي:" فاتقوا الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه يا ذوي العقول"(٥).

قال سعيد بن جبير:" {فاتقوا الله}، يعني: المؤمنين يحذرهم"(٦)، "{يا أولي الألباب}، يقول: من كان له لب أو عقل"(٧).

قال الطبري:أي:" واتقوا الله بطاعته فيما أمركم ونهاكم ، واحذروا أن يستحوذ عليكم الشيطان بإعجابكم كثرة الخبيث ، فتصيروا منهم ، {يا أولي الألباب}، يعني: بذلك أهلَ العقول والحِجَى ، الذين عقلوا عن الله آياته ، وعرفوا مواقع حججه"(٨).

قال ابن كثير:" أي : يا ذوي العقول الصحيحة المستقيمة ، وتجنبوا الحرام ودعوه ، واقنعوا بالحلال واكتفوا به"(٩).

قال السمرقندي:أي:" لا تستحلوا ما حرم الله عليكم، يا ذوي العقول"(١٠).

قال الزمخشري:أي:" فاتقوا الله وآثروا الطيب، وإن قل، على الخبيث وإن كثر"(١١).

وقال الثعلبي:أي:" ولا تتعرضوا للحجاج وإن كانوا مشركين"(١٢).

قال ابن عطية:" قوله تعالى: {فاتقوا الله يا أولي الألباب}، تنبيه على لزوم الطيب في المعتقد والعمل، وخص أولي الألباب بالذكر لأنهم المتقدمون في ميز هذه الأمور والذي لا ينبغي لهم إهمالها مع البهائم وإدراكهم وكأن الإشارة بهذه الألباب إلى لب التجربة الذي يزيد على لب التكليف بالحنكة والفطنة المستنبطة والنظر البعيد(١٣).

---

(١)رواه ابن عبد البر في الاستيعاب (٢٠١/١) وابن الأثير في أسد الغابة (٢٨٤/١) من طريق معان بن رفاعة ، عن علي بن يزيد ، عن القاسم بن عبد الرحمن به ، وفي إسناده علي بن يزيد الألهاني وهو متروك..

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم(٦٨٧١):ص١٢١٦/٤.

(٣) انظر: تفسير القرطبي:٣٢٩/٦-٣٣٠.

(٤) انظر: زاد المسير:٥٩٠/١.

(٥) صفوة التفاسير:٣٤٠.

(٦) اخرجه ابن أبي حاتم(٦٨٧٣):ص١٢١٧/٤.

(٧) اخرجه ابن أبي حاتم(٦٨٧٤):ص١٢١٧/٤.

(٨) تفسير الطبري:٩٧/١١.

(٩) تفسير ابن كثير:٢٠٣/٣.

(١٠) بحر العلوم:٤٢١/١.

(١١) الكشاف:٦٨٢/١.

(١٢) تفسير الثعلبي:١١٣/٤.

(١٣) المحرر الوجيز:٢٤٥/٢.

قوله تعالى:{لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [المائدة : ١٠٠]، أي:" لتفلحوا بنيل المقصود الأعظم، وهو رضا الله تعالى والفوز بالجنة"[١].

قال ابن كثير:" أي : في الدنيا والآخرة"[٢].

قال السمرقندي:" يعني: تأمنون من عذابه"[٣].

قال الطبري:" يقول : اتقوا الله لتفلحوا ، أي : كي تنجحوا في طلبكم ما عنده"[٤].

الفوائد:

١-انه لايستوي الخبيث والطيب عند الله عزّ وجل ولا عند أصحاب العقول، وهذا من مراتبهم عند الله وعند ذوي العقول، وأما فيما يعملون من امور الدنيا فإنه قد يكون الخبيث أكثر من الطيب عملا، كما هو المشاهد الآن، فإن الدول الكافرة أقدم من الدول المسلمة فيما يتعلق بأمور الدنيا.

٢-أن الاعتبار بالكيف وليس بالكم، لقوله:{ولو أعجبك كثرة الخبيث}.

٣-ومنها ان الإنسان قد يعجب بما ليس محلا للإعجاب، لقوله:{ولو أعجبك كثرة الخبيث}.

٤-وجوب تقوى الله عزّ وجل، وأن الذين يخاطبون بالتقوى وبمثل هذه الاحكام العظيمة هم اصحاب العقول.

٥- ومنها: أن المؤمن خير من المشرك؛ ولو كان في المشرك من الأوصاف ما يعجب؛ لقوله تعالى: {قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث} [المائدة: ١٠٠] ؛ فلا تغتر بالكثرة؛ ولا تغتر بالمهارة؛ ولا بالجودة؛ ولا بالفصاحة؛ ولا بغير ذلك؛ ارجع إلى الأوصاف الشرعية المقصودة شرعاً.

٦-ان التقوى سبب للفلاح، لقوله:{لعلكم تفلحون}.

القرآن

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ (١٠١)} [المائدة : ١٠١]

التفسير:

يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه لا تسألوا عن أشياء من أمور الدين لم تؤمروا فيها بشيء، كالسؤال عن الأمور غير الواقعة، أو التي يترتب عليها تشديدات في الشرع، ولو كُلِّفتموها لشقَّتْ عليكم، وإن تسألوا عنها في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحين نزول القرآن عليه تُبيَّن لكم، وقد تُكلَّفونها فتعجزون عنها، تركها الله معافيًا لعباده منها. والله غفور لعباده إذا تابوا، حليم عليهم فلا يعاقبهم وقد أنابوا إليه.

في سبب نزولها ستة أقوال:

أحدها: أن الناس سألوا النبي صلى الله عليه وسلم حتى أحفوه بالمسألة، فقام مغضبا خطيبا، فقال:«سلوني فو الله لا تسألوني عن شيء ما دمت في مقامي هذا إلا بينته لكم» ، فقام رجل من قريش، يقال له: عبد الله بن حذافة كان إذا لاحى [٥] يدعى إلى غير أبيه، فقال: يا نبي الله من أبي؟ قال: أبوك حذافة، فقام آخر، فقال: أين أبي؟ قال: في النار، فقام عمر فقال: رضينا بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد نبيا، وبالقرآن إماما، إنا حديثو عهد بجاهلية، والله أعلم من أباؤنا، فسكن غضبه، ونزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن أبي هريرة[٦]، وقتادة عن أنس[١].[صحيح]

---

(١) التفسير الميسر:١٢٤.

(٢) تفسير ابن كثير:٢٠٣/٣.

(٣) بحر العلوم:٤٢١/١.

(٤) تفسير الطبري:٩٧/١١.

(٥)لاحى: أي خاصم.

(٦) . حديث صحيح. أما حديث أبي هريرة، فأخرجه الطبري (١٢٨٠٢):ص١٠٣/١١، وفيه قيس بن الربيع، وهو غير قوي، لكن للحديث شواهد كثيرة منها الآتي.

والثاني: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب الناس، فقال: «إن الله كتب عليكم الحج، فقام عكاشة ابن محصن، فقال: أفي كل عام يا رسول الله؟ فقال: أما إني لو قلت نعم لوجبت، ولو وجبت ثم تركتم لضللتم، اسكتوا عني ما سكت عنكم، فإنما هلك من هلك ممن كان قبلكم بكثرة سؤالهم، واختلافهم على أنبيائهم» فنزلت هذه الآية، رواه محمد بن زياد عن أبي هريرة(٢). وقيل: إن السائل عن ذلك الأقرع بن حابس. [صحيح]

والثالث: أن قوما كانوا يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم استهزاء، فيقول الرجل: من أبي؟ ويقول الرجل تضل ناقته: أين ناقتي؟ فنزلت هذه الآية، رواه أبو الجويرية عن ابن عباس(٣).[صحيح]

والرابع: أن قوما سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البحيرة، والسائبة، والوصيلة، والحام، فنزلت هذه الآية، رواه مجاهد عن ابن عباس(٤)، وبه قال ابن جبير(٥).[ضعيف]

والخامس: أن قوما كانوا يسألون الآيات والمعجزات، فنهوا عن ذل، روي هذا المعنى عن عكرمة(٦).

والسادس: أنها نزلت في تمنيهم الفرائض، وقولهم: وددنا أن الله تعالى أذن لنا في قتال المشركين، وسؤالهم عن أحب الأعمال إلى الله، ذكره أبو سليمان الدمشقي(٧).

والظاهر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سئل مسائل كثيرة، فنزلت هذه الآية في ذلك جميعا، والله أعلم.

قال ابن عطية:" والظاهر من الروايات أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ألحت عليه الأعراب والجهال بأنواع من السؤالات حسبما ذكرناه، فزجر الله تعالى عن ذلك بهذه الآية"(٨).

قال ابن كثير:" وظاهر الآية النهي عن السؤال عن الأشياء التي إذا علم بها الشخص ساءته ، فالأولى الإعراض عنها وتركها"(٩).

قال الإمام الطبري:" وأولى الأقوال بالصواب في ذلك ، قولُ من قال : نزلت هذه الآية من أجل إكثار السائلين رسولَ الله صلى الله عليه وسلم المسائلَ ، كمسألة ابن حذافة إياه مَن أبوه ، ومسألة سائله إذ قال : " الله فرض عليكم الحج " ، أفي كل عام ؟ وما أشبه ذلك من المسائل ، لتظاهر الأخبار بذلك عن الصحابة والتابعين وعامة أهل التأويل.

وأما القول الذي رواه مجاهد عن ابن عباس ، فقولٌ غير بعيد من الصواب ، ولكنْ الأخبارُ المتظاهرة عن الصحابة والتابعين بخلافه ، وكرهنا القولَ به من أجل ذلك. على أنه غير مستنكر أن تكون المسئلة عن البحيرة والسائبة والوصيلة والحام كانت فيما سألوا النبي

---

(١)أخرجه البخاري ٤٦٢١ و ٤٣٦٢ و ٧٢٩٥ ومسلم ٢٣٥٩ والنسائي في «التفسير» ١٧٤ والترمذي ٣٠٥٦ وابن حبان ٦٤٢٩ والبغوي في «التفسير» ٨٣٩ من طرق عن أنس، رووه بألفاظ متقاربة، وطوله بعضهم. انظر «أحكام القرآن» ٨٠١.

(٢)صحيح. أخرجه مسلم ١٣٣٧ والنسائي ٥/ ١١٠- ١١١ وأحمد ٢/ ٥٠٨ وابن حبان ٣٧٠٤ و ٣٧٠٥ والبيهقي ٤/ ٣٢٦ والدارقطني ٢/ ٢٨١ والطبري (١٢٨٠٥):ص١٠٥/١١، وأخرجه الطبري (١٢٨٠٤):ص١٠٥/١١ من طريق عبد الرحيم بن سليمان والدارقطني ٢/ ٢٨٢ عن محمد بن فضيل، كلاهما عن إبراهيم بن مسلم الهجري- وهو ضعيف- عن أبي عياض عن أبي هريرة..

(٣)صحيح. أخرجه البخاري ٤٦٢٢ والطبري ١٢٧٩٨ والطبراني ١٢٦٩٥ والواحدي ٤١٨ والبغوي ٨٤٢ كلهم عن ابن عباس به. وانظر «أحكام القرآن» ٨٠٢.

(٤)أخرجه الطبري (١٢٨١١):١١١/١١ عن ابن عباس، وإسناده ضعيف، فيه خصيف الجزري، وهو صدوق لكنه سيء الحفظ كثير الخطأ، وكرره الطبري (١٢٨١٢):ص١١١/١١-١١٢ عن عكرمة مرسلا، وهو أصح، والمتقدم عن ابن عباس أصح، وكذا المتقدم عن أنس وأبي هريرة.

(٥) انظر: تفسير الطبري(١٢٨١٢):ص١١١/١١-١١٢.

(٦) انظر: تفسير الطبري(١٢٨١١):١١١/١١، وزاد المسير:٥٩١/١.

(٧) انظر: زاد المسير:٥٩١/١.

(٨) المحرر الوجيز:٢٤٦/٢.

(٩) تفسير ابن كثير:٢٠٦/٣.

صلى الله عليه وسلم عنه من المسائل التي كره الله لهم السؤال عنها ، كما كره الله لهم المسألة عن الحج : " أكل عام هو ، أم عامًا واحدًا " ؟ وكما كره لعبد الله بن حذافة مسألته عن أبيه ، فنزلت الآية بالنهي عن المسائل كلّها ، فأخبرَ كل مخبر منهم ببعض ما نزلت الآية من أجله ، وأجل غيره، وهذا القول أولى الأقوال في ذلك عندي بالصحة ، لأن مخارج الأخبار بجميع المعاني التي ذُكرت صحاحٌ ، فتوجيهها إلى الصواب من وجوهها أولى"(١).

قوله تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} [المائدة : ١٠١]، أي:" يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه"(٢).

قال ابن عباس:" ما أنزل الله آية في القرآن، يقول فيها: {يا أيها الذين آمنوا}، إلا كان على شريفها وأميرها"(٣).

قال ابن مسعود رضي الله عنه: "إذا سمعت الله يقول: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} فأرعها سمعك؛ فإنه خير يأمر به، أو شر ينهى عنه"(٢).

قوله تعالى:{لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ} [المائدة : ١٠١]، أي:" لا تسألوا الرسول عن أمور لا حاجة لكم بها إن ظهرت لكم ساءتكم"(٤).

قال ابن عباس:" نهاهم أن يسألوا عن مثل الذي سألت النصارى من المائدة فـ {أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ}(٥)، فنهاهم الله عن ذلك وقال:{لا تسئلوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم}، إن نزل القرآن فيها بتغليظ ساءكم ذلك"(٦).

قال الحسن:" فسألوه عن أشياء فوعظهم الله فاتعظوا"(٧).

قال البيضاوي:" المعنى: لا تسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أشياء إن تظهر لكم تغمكم"(٨).

قال الزمخشري:" المعنى: لا تكثروا مسألة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى تسألوه عن تكاليف شاقة عليكم، إن أفتاكم بها وكلفكم إياها تغمكم وتشق عليكم وتندموا على السؤال عنها"(٩).

قال ابن كثير:" تأديب من الله تعالى لعباده المؤمنين ، ونهي لهم عن أن يسألوا { عَنْ أَشْيَاءَ } مما لا فائدة لهم في السؤال والتنقيب عنها ؛ لأنها إن أظهرت لهم تلك الأمور ربما ساءتهم وشق عليهم سماعها ، كما جاء في الحديث : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «لا يُبْلغني أحد عن أحد شيئًا ، إني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر»(١٠)"(١١).

وقرأ مجاهد «إن تبد» بفتح التاء وضم الدال على بناء الفعل للفاعل، وقرأ الشعبي «إن يبد لكم» بالياء من أسفل مفتوحة والدال مضمومة «يسؤكم» بالياء من أسفل، أي يبده الله لكم(١٢).

---

(١) تفسير الطبري:١١٢/١١.
(٢) التفسير الميسر:١٢٤/١.
(٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٣٥):ص١٩٦/١.
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٣٧):ص ١٩٦/١، و(٥٠٢٧):ص٩٠٢/٣
(٤) صفوة التفاسير:٣٤٠.
(٥)[المائدة : ١٠٢].
(٦) أخرجه ابن أبي حاتم(٦٨٨١):ص١٢١٨/٤-١٢١٩.
(٧) أخرجه ابن أبي حاتم(٦٨٨٠):ص١٢١٨/٤.
(٨) تفسير البيضاوي:١٤٥/٢.
(٩) الكشاف:٦٨٣/١.
(١٠)رواه أبو داود في السنن برقم (٤٨٦٠) والترمذي في السنن برقم (٣٨٩٦) من حديث عبد الله بن مسعود ، رضي الله عنه.
(١١) تفسير ابن كثير:٢٠٣/٣.
(١٢) انظر: المحرر الوجيز:٢٤٦/٢.

قوله تعالى:{وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ} [المائدة : ١٠١]، أي:" وإن تسألوا عنها في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحين نزول القرآن عليه تُبيَّن لكم"(١).

قال ابن عباس:" ولكن إنتظروا فإذا نزل القرآن فأنكم لا تسألون عن شيء إلا وجدتم تبيانه"(٢).

قال السمعاني:" معناه: وإن صبرتم حتى ينزل القرآن؛ وجدتم فيه بيان ما تحتاجون إليه"(٣).

قال البيضاوي:أي:"وإن تسألوا عنها في زمان الوحي تظهر لكم"(٤).

قال الزمخشري:أي:" وإن تسألوا عن هذه التكاليف الصعبة في زمان الوحى وهو ما دام الرسول بين أظهركم يوحى إليه، تبد لكم، تلك التكاليف الصعبة التي تسؤكم، وتؤمروا بتحملها، فتعرضون أنفسكم لغضب الله بالتفريط فيها"(٥).

قال ابن كثير:" أي : لا تسألوا عن أشياء تستأنفون السؤال عنها ، فلعلَّه قد ينزل بسبب سؤالكم تشديد أو تضييق، وقد ورد في الحديث : «أعظم المسلمين جُرْمًا من سأل عن شيء لم يُحَرَّم فحرم من أجل مسألته»(٦)، ولكن إذا نزل القرآن بها مجملة فسألتم عن بيانها حينئذ ، تبينت لكم لاحتياجكم إليها"(٧).

قال القرطبي: قوله {وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ} "فيه غموض، وذلك أن في أول الآية النهي عن السؤال ثم قال:{وإن تسئلوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم}، فأباحه لهم، فقيل: المعنى وإن تسألوا عن غيرها فيما مست الحاجة إليه، فحذف المضاف، ولا يصح حمله على غير الحذف. قال الجرجاني: الكناية في{عنها} ترجع إلى أشياء أخر، كقوله تعالى:{ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين}[المؤمنون: ١٢] يعني آدم، ثم قال:{ثم جعلناه نطفة}[المؤمنون: ١٣] أي ابن آدم، لأن آدم لم يجعل نطفة في قرار مكين، لكن لما ذكر الإنسان وهو آدم دل على إنسان مثله، وعرف ذلك بقرينة الحال، فالمعنى وإن تسألوا عن أشياء حين ينزل القرآن من تحليل أو تحريم أو حكم، أو مست حاجتكم إلى التفسير، فإذا سألتم فحينئذ تبد لكم، فقد أباح هذا النوع من السؤال: ومثاله أنه بين عدة المطلقة والمتوفى عنها زوجها والحامل، ولم يجر ذكر عدة التي ليست بذات قرء ولا حامل، فسألوا عنها فنزل:{ واللائي يئسن من المحيض}[الطلاق: ٤]، فالنهي إذا في شي لم يكن بهم حاجة إلى السؤال فيه، فأما ما مست الحاجة إليه فلا"(٨).

قوله تعالى:{عَفَا اللَّهُ عَنْهَا} [المائدة : ١٠١]، أي:" أي عفا الله عن مسائلكم السالفة التي لا ضرورة لها وتجاوز عن عقوبتكم الأخروية فلا تعودوا إلى مثلها"(٩).

قال الزمخشري:أي:" من مسألتكم، فلا تعودوا إلى مثلها"(١٠).

قال ابن كثير:" أي : ما لم يذكره في كتابه فهو مما عفا عنه ، فاسكتوا أنتم عنها كما سكت عنها"(١١).

---

(١) التفسير الميسر:١٢٤/١.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم(٦٨٨١):ص١٢١٨/٤-١٢١٩.

(٣) تفسير السمعاني:٧١/٢.

(٤) تفسير البيضاوي:١٤٥/٢-١٤٦.

(٥) الكشاف:٦٨٣/١-٦٨٤.

(٦)رواه البخاري في صحيحه برقم (٧٢٨٩) ومسلم في صحيحه برقم (٢٣٥٨) من حديث سعد بن أبي وقاص.

(٧) تفسير ابن كثير:٢٠٦/٣.

(٨) تفسير القرطبي:٣٣٣/٦-٣٣٤.

(٩) صفوة التفاسير:٣٤٠.

(١٠) الكشاف:٦٨٤/١.

(١١) تفسير ابن كثير:٢٠٧/٣.

قال القرطبي:" أي: عن المسألة التي سلفت منهم. وقيل: عن الأشياء التي سألوا عنها من أمور الجاهلية وما جرى مجراها. وقيل: العفو بمعنى الترك، أي تركها ولم يعرف بها في حلال ولا حرام فهو معفو عنها فلا تبحثوا عنه فلعله إن ظهر لكم حكمه ساءكم"[١].

وفي الصحيح ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : "ذروني ما تُركْتُم ؛ فإنما أهلك من كان قبلكم كثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم»[٢].

وفي الحديث الصحيح أيضًا : " إن الله فرض فرائض فلا تُضيِّعُوها ، وحَدَّ حدودًا فلا تعتدوها ، وحَرَّم أشياء فلا تنتهكوها ، وسكت عن أشياء رحمة بكم غَيْرَ نِسْيان فلا تسألوا عنها"»[٣].

قال عطاء:" كان عبيد بن عمير يقول : إن الله تعالى أحلّ وحرَّم ، فما أحلّ فاستحلُّوه ، وما حرَّم فاجتنبوه ، وترك من ذلك أشياء لم يحلها ولم يحرمها ، فذلك عفو من الله عفاه. ثم يتلو : " يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم}"[٤].

وخرج الدارقطني عن أبي ثعلبة الخشني :"إِنَّ اللهَ فَرَضَ فَرَائِضَ فَلا تُضَيِّعُوهَا، وَحَدَّ حُدُوداَ فَلا تَعْتَدُوهَا وَحَرَّمَ أَشْيَاءَ فَلا تَنْتَهِكُوهَا، وَسَكَتَ عَنْ أَشْيَاءَ رَحْمَةً لَكُمْ غَيْرَ نِسْيَانٍ فَلا تَبْحَثُوا عَنْهَا"[٥].

والكلام على هذا التقدير فيه تقديم وتأخير، أي: "لا تسألوا عن أشياء عفا الله عنها إن تبد لكم تسؤكم، أي أمسك عن ذكرها فلم يوجب فيها حكما. وقيل: ليس فيه تقديم ولا تأخير، بل المعنى قد عفا الله عن مسألتكم التي سلفت وإن كرهها النبي صلى الله عليه وسلم، فلا تعودوا لأمثالها. فقوله:{عنها}، أي: عن المسألة، أو عن السؤالات كما ذكرناه"[٦].

قوله تعالى:{وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ} [المائدة : ١٠١]، أي:" والله غفور لعباده إذا تابوا، حليم عليهم فلا يعاقبهم وقد أنابوا إليه"[٧].

قال الزمخشري:أي:"لا يعاجلكم فيما يفرط منكم بعقوبته"[٨].

الفوائد:

١- كراهية الإلحاف في السؤال والتقعر في الأسئلة والتنطع فيها.

٢-أن ما سكت الله عنه فلم يفرضه، ولم يحده، ولم ينه عنه فهو الحلال، لكن هذا في غير العبادات، فالعبادات قد حرم الله عزّ وجل أن يشرع أحد الناس عبادة لم يأذن بها الله عزّ وجل.

ولهذا نقول: إن من ابتدع في دين الله ما ليس منه من عقيدة أو قول أو عمل فقد انتهك حرمات الله، ولا يقال هذا مما سكت الله عزّ وجل عنه، لأن الأصل في العبادات المنع حتى يقوم دليل عليها، وغير ذلك الأصل فيه الإباحة، فما سُكِتَ عنه فهو مباح.

٣- أنه لا ينبغي البحث عما سكت الله تعالى عنه ورسوله.

وهل هذا النهي في عهد الرسالة، أم إلى الآن؟ في هذا قولان للعلماء:

أحدهما: أن هذا خاص في عهد الرسالة، لأن ذلك عهد نزول الوحي، فقد يسأل الإنسان عن شيء لم يُحرم فيحرم من أجله، أو عن شيء لم يجب فيوجب من أجله، كما سأل الأقرع بن حابس النبي ﷺ حين قال النبي ﷺ: «إنَّ اللهَ فَرَضَ عَلَيكُم الحَجَّ» فقام الأقرع وقال: يا رسول الله أفي كل عام؟

---

(١) تفسير القرطبي:٣٣٤/٦.

(٢)) صحيح مسلم برقم (١٣٣٧).

(٣)رواه البيهقي في السنن الكبرى (١٣/١٠) من طريق داود بن أبي هند ، عن مكحول ، عن أبي ثعلبة الخشني به مرفوعًا.

(٤) أخرجه ابن ابي شيبة:٤٤٢/١٣، والطبري(١٢٨١٤):ص١١٤/١١.

(٥)**خرجه الدار قطني - ج٤/ص١٨٥، (٤٢).**

(٦) تفسير القرطبي:٣٣٤/٦.

(٧) التفسير الميسر:١٢٤/١.

(٨) الكشاف:٦٨٤/١.

وهذا سؤال في غير محله، اللهم إلا إذا كان الأقرع بن حابس أراد أن يزيل الوهم الذي قد يعلق في أفهام بعض الناس، فالله أعلم بنيته، لكن النبي ﷺ قال: «لَو قُلتُ نَعَم لَوَجَبَت وَمَا استَطَعتُم، الحَجَّ مَرَةً فَمَا زَادَ فَهُوَ تَطَوع»(١).

من أعظم الناس جرماً من يسأل فيوجب من أجل مسألته عن شيء لم يحرم فيحرم من أجل مسألته، أو لم يوجب.

والثاني: أن النهي باق بعد عهد الرسالة.

والصواب في هذه المسالة أن النهي حتى بعد عهد الرسالة إلا أنه إذا كان المراد بالبحث الاتساع في العلم كما يفعله طلبة العلم، فهذا لا بأس به، لأن طالب العلم ينبغي أن يعرف كل مسألة يحتمل وقوعها حتى يعرف الجواب، وأما إذا لم يكن كذلك فلا يبحث، بل يمشي على ما كان عليه الناس.

فلا نبحث عن مسائل الغيب ونتعمق فيها، ولا نبحث في صفات الله عزّ وجل عن كيفيتها، لأن هذا من التعمق، ولا نأتي بمعضلات المسائل التي فيها: أرأيت إن كان كذا، ولو كان كذا، ولو كان كذا كما يوجد من بعض طلبة العلم الآن، يوجد أناس يفرضون مسائل ليست واقعة ولن تقع فيما يظهر، ومع ذلك يسألون، وهم ليسوا في مكان البحث، بل يسألون سؤالاً عاماً، فهذا لا ينبغي.

وقد كره الشيخ ابن عثيمين (٢) البحث عن اللحوم وعن الأجبان وعما يرد إلى البلاد من بلاد الكفاروذلك كما روي ابن عمر رضي الله عنهما لما سئل ابن عمر عن الجبن الذي يصنعه المجوس فقال : "ما وجدته في سوق المسلمين اشتريته ، ولم أسأل عنه"(٣).

ومراد الشيخ ابن عثيمين بكلامه : أن الفعل الصادر ممن هو أهله ، جار على أصل الصحة والسلامة ؛ فالمسلم : أهل لأن يذبح ذبيحة شرعية ، فإذا صدر منه الذبح ، حمل على ظاهر الصحة والسلامة ، ولم يحتج إلى سؤاله : عن كيفية ذبحه ، وهل سمى أو لم يسم ، ونحو ذلك ، اكتفاء بظاهر الحال، والعلماء يقررون أن ظاهر الحال يرفع أصل التحريم في كثير من الصور.

قال ابن قيم: "وأجمعوا على جواز شراء اللحمان من غير سؤال عن أسباب حلها ، اكتفاء بقول الذابح والبائع ، حتى لو كان الذابح يهوديّاً أو نصرانيّاً أو فاجراً : اكتفينا بقوله في ذلك ، ولم نسأله عن أسباب الحل "(٤).

والظاهر في اللحم الوارد من دول غير إسلامية إذا كان الذين يباشرون ذبحه من أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى فإنه يجوز أكله ، ولا ينبغي السؤال عن كيفية ذبحه ، ولا هل سَمُّوا عليه أم لا ؟ وذلك لأن النبي صلى الله عليه وسلم أكل الشاة التي أهدتها إليه اليهودية في خيبر ، وأكل من الطعام الذي دعاه إليه يهودي ، وكان فيه إهالة سنخة ، وهي الشحم المتغير ، ولم يسأل النبي صلى الله عليه وسلم كيف ذبحوه ؟ ولا هل سموا عليه أم لا ؟

وفي صحيح البخاري :"أَنَّ قَوْمًا قَالُوا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ قَوْمًا يَأْتُونَا بِاللَّحْمِ لَا نَدْرِي أَذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ أَمْ لَا ، فَقَالَ : سَمُّوا عَلَيْهِ أَنْتُمْ وَكُلُوهُ . قَالَتْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا راوية الحديث : وَكَانُوا حَدِيثِي عَهْدٍ بِالْكُفْرِ"(٥).

قال ابن حجر:"ويستفاد منه أن كل ما يوجد في أسواق المسلمين محمول على الصحة ، وكذا ما ذبحه أعراب المسلمين ؛ لأن الغالب أنهم عرفوا التسمية ، وبهذا الأخير جزم ابن عبد

---

(١)خرجه أبو داود - كتاب: المناسك، باب: فرض الحج، (١٧٢١)، الإمام أحمد بن حنبل - ج١/ص٢٥٥، مسند آل العباس عن عبد الله بن عباس، .(٢٣٠٤)وابن ماجه - كتاب: المناسك، باب: فرض الحج، .(٢٨٨٦)وأخرج مسلم "في معناه" - كتاب: الحج، باب: فرض الحج مرة في العمر، (١٣٣٧)، (٤١٢).

(٢) هذا رأي ابن عثيمين، كما في مجموع فتاوى:٦/٣٦ ، و شرح الحديث الثلاثون من الأربعون النوويه.

(٣) مصنف عبدالرزاق(٨٧٨٥):ص٥٣٩/٤.

(٤)إعلام الموقعين: ٢ / ١٨١، وانظر: الأشباه والنظائر: ١٤٠ .

(٥) فتح الباري(٥١٨٨):ص٥٥٠/٩.

البر فقال : فيه أن ما ذبحه المسلم يؤكل ويحمل على أنه سمَّى ؛ لأن المسلم لا يظن به في كل شيء إلا الخير ، حتى يتبين خلاف ذلك " (١).

ففي هذه الأحاديث دليل على أنه لا ينبغي السؤال عن كيفية الواقع إذا كان المباشر له معتبر التصرف ، وهذا من حكمة الشرع وتيسيره ؛ إذ لو طلب من الناس أن ينقبوا عن الشروط فيما يتلقونه من صحيح التصرف لكان في ذلك من المشقة والحرج النفسي مما يجعل الشريعة شريعة حرج ومشقة.

وقد سئل الشيخ ابن عثيمين رحمه الله:" يقول السائل : ما حكم أكل اللحوم المجمدة التي تصل إلينا من الخارج ، وبصفة خاصة لحم الدجاج ؟

فأجاب رحمه الله تعالى : " اللحوم التي تأتي من أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى : الأصل فيها الحل ، كما أن اللحوم التي تأتي من البلاد الإسلامية الأصل فيها الحل أيضاً ، وإن كنا لا ندري كيف ذبحوها ، ولا ندري هل سموا الله عليها أم لا ؛ لأن الأصل في الفعل الواقع من أهله أن يكون واقعاً على السلامة وعلى الصواب حتى يتبين أنه على غير وجه السلامة والصواب. ودليل هذا الأصل ما ثبت في صحيح البخاري في حديث عائشة رضي الله عنها قالت : إن قوماً قالوا يا رسول الله إن قوماً يأتوننا باللحم ، لا ندري أذكروا اسم الله عليه أم لا ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : «سموا أنتم وكلوا»(٢) . قالت : وكانوا حديثي عهد بكفر .

ففي هذا الحديث : دليل على أن الفعل إذا وقع من أهله فإنه لا يلزمنا أن نسأل هل أتى به على الوجه الصحيح أم لا ؟

وبناء على هذا الأصل : فإن هذه اللحوم التي تردنا من ذبائح أهل الكتاب : حلال ، ولا يلزمنا أن نسأل عنها ، ولا أن نبحث .

لكن لو تبين لنا أن هذه اللحوم الواردة بعينها تذبح على غير الوجه الصحيح فإننا لا نأكلها ؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم : « ما أنهر الدم وذكر اسم الله عليه فكل إلا السن والظفر أما السن فعظم وأما الظفر مدى الحبشة »(٣).

ولا ينبغي للإنسان أن يتنطع في دينه فيبحث عن أشياء لا يلزمه البحث عنها ، ولكن إذا بان له الفساد ، وتيقنه : فإن الواجب عليه اجتنابه.

فإن شك وتردد : هل تذبح على طريق سليم أم لا ؟

فإن لدينا أصلين : الأصل الأول : السلامة ، والأصل الثاني : الورع ؛ فإذا تورع الإنسان منها ، وتركها : فلا حرج عليه . وإن أكلها : فلا حرج عليه "(٤).

٣- ومن فوائد الآية الكريمة: إثبات هذين الاسمين الكريمين: «الغفور»، و«الحليم»؛ وما تضمناه من صفة، وفعل.

فـ«الغفور»: هو الذي تكثر منه المغفرة. وبناء فعول: بناء المبالغة في الكثرة(٥).

و«الحليم»؛ هو ذو الصفح، والأناة، الذي لا يستفزه غضب ولا يستخفه جهل جاهل، ولا عصيان عاص، ولا يستحق الصافح مع العجز اسم الحلم؛ إنما الحليم هو الصفوح مع القدرة، والمتأني الذي لا يعجل بالعقوبة.

وقد أنعم بعض الشعراء بيان هذا المعنى في قوله (٦):

---

(١) فتح الباري: ٥٥٠/٩..

(٢) سبق تخريجه.

(٣) صحيح مسلم(١٩٦٨):ص١٠٦/١٣.

(٤)**نور على الدرب" ابن عثيمين : ٢/٢٠ [شاملة].**

(٥) انظر: شأن الدعاء:٦٥/١.

(٦)البيتان في عيون الأخبار المجلد الأول الجزء ٣/ ٢٨٧، وديوان المعاني ١/ ١٣٤، وفي العقد الفريد ٢/ ١٢٠، وفي البيت الثاني اختلاف في الرواية عما هنا.

والبيت الأول في المصادر السابقة برواية "لن يدرك" وهما في ذيل أمالي القالي ص ٤١، قال البكري في ذيل اللآلىء ص ٢٢: "البيتان رواهما ثعلب في أماليه، قال: أنشدنا عبد الله بن شبيب قال: أنشدني ابن عائشة لأبي

لا يدرك المجد أقوام وإن كرموا   حتى يذلوا وإن عزوا لأقوام
ويشتموا فترى الألوان مسفرة   لا صفح ذل ولكن صفح أحلام

ويقال: لم يصف الله -سبحانه- أحدا من خلقه بصفة أعز من الحلم، وذلك حين وصف إسماعيل به. ويقال: إن أحدا لا يستحق اسم الصلاح حتى يكون موصوفا بالحلم، وذلك أن إبراهيم -صلوات الله عليه- دعا ربه فقال: {رب هب لي من الصالحين} [الصافات: ١٠٠]، فأجيب بقوله: {فبشرناه بغلام حليم} [الصافات:١٠١]، فدل على أن الحلم أعلى مآثر الصلاح -والله أعلم[١].

القرآن

{قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ (١٠٢)} [المائدة : ١٠٢]

التفسير:

إن مثل تلك الأسئلة قد سألها قومٌ مِن قبلكم رسلَهم، فلما أُمِروا بها جحدوها، ولم ينفذوها، فاحذروا أن تكونوا مثلهم.

قوله تعالى:{قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ} [المائدة : ١٠٢]، أي:" إن مثل تلك الأسئلة قد سألها قومٌ مِن قبلكم رسلَهم"[٢].

قال الطبري:أي:" قد سأل الآيات قومٌ من قبلكم"[٣].

قال ابن كثير:"أي: قد سأل هذه المسائل المنهي عنها قومٌ من قبلكم"[٤].

قال ابن عطية:أي:"أن هذه السؤالات التي هي تعنيتات وطلب شطط واقتراحات ومباحثات قد سألتها قبلكم الأمم"[٥].

في هؤلاء القوم أربعة أقوال:

أحدها : قوم عيسى سألوه المائدة ، ثم كفروا بها ، قاله ابن عباس[٦].

والثاني : أنهم قريش سألوا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أن يحوِّل لهم الصفا ذهباً ، قاله السدي[٧].

قال ابن عطية:" وإنما يتجه في قريش مثالا سؤالهم آية، فلما شق لهم القمر كفروا، وهذا المعنى إنما يقال لمن سأل النبي عليه السلام أين ناقتي؟ وكما قال له الأعرابي ما في بطن ناقتي هذه؟ فأما من سأله عن الحج أفي كل عام هو؟ فلا يفسر قوله قد سألها قوم الآية بهذه الأمثلة بل بأن الأمم قديما طلبت التعمق في الدين من أنبيائها ثم لم تف بما كلفت"[٨].

والثالث : أنهم قوم صالح سألوا الناقة ، ثم عقروها وكفروا به .

قلت: وعلى هذه الاقوال الثلاثة أنهم سألوا الآيات.

والرابع: أن القوم هم الذين سألوا في شأن البقرة وذبحها، فلو ذبحوا بقرة لأجزأت، ولكنهم شددوا فشدد الله عليهم، قاله ابن زيد[٩].

قال ابن الجوزي:" وهذا يخرج على سؤال من سأل عن الحج، إذ لو أراد الله أن يشدد عليهم بالزيادة في الفرض لشدد"[١٠].

عبيد الله بن زياد الحارثي .... "؛ قلت: لم أجدهما في مجالسه.

(١) انظر: شأن الدعاء:٦٣-٦٤.
(٢) التفسير الميسر:١٢٤.
(٣) تفسيرالطبري:١١/١١٥.
(٤) تفسير ابن كثير:٣/٢٠٧.
(٥) المحرر الوجيز:٢/٢٤٧.
(٦) انظر: تفسير الطبري(١٢٨١٧):ص١١/١١٦.
(٧) انظر: تفسير الطبري(١٢٨١٨):ص١١/١١٦.
(٨) المحرر الوجيز:٢/٢٤٧.
(٩) انظر: زاد المسير:١/٥٩٢.
(١٠) زاد المسير:١/٥٩٢.

والخامس:أنهم الذين قالوا لنبي لهم: ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله، وهذا عن ابن زيد أيضا(١).

قال ابن الجوزي:"وهو يخرج على من قال: إنما سألوا عن الجهاد والفرائض تمنيا لذلك"(٢).

والسادس: أنهم القوم الذين سألوا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مَنْ أبي ؟ ونحوه ، فلما أخبرهم به أنكروه وكفروا به ، قاله بعض المتأخرين(٣).

قال ابن العربي:" والصحيح أنه عام في الكل، ولقد كفرت العيسوية بعيسى وبالمائدة، والصالحية بالناقة، والمكية بكل ما شهدت من آية، وعاينت من معجزة مما سألته ومما لم تسأله على كثرتها؛ وهذا تحذير مما وقع فيه من سبق من الأمم"(٤).

وقرأ عامة الناس:«قد سألها» بفتح السين. وقرأ إبراهيم النخعي:«قد سألها» بكسر السين، والمراد بهذه القراءة الإمالة، وذلك على لغة من قال سلت تسأل، وحكي عن العرب هما يتساولان، فهذا يعطي هذه اللغة هي من الواو لا من الهمزة فالإمالة إنما أريدت وساغ ذلك لانكسار ما قبل اللام في سلت كما جاءت الإمالة في خاف لمجيء الكسرة في خاء خفت(٥).

قوله تعالى:{ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ} [المائدة : ١٠٢]، أي:" فلما أُمِروا بها جحدوها، ولم ينفذوها"(٦).

قال ابن عطية:أي:" ثم كفروا بها"(٧).

قال البغوي:أي:" فأهلكوا"(٨).

قال ابن كثير:أي:" أجيبوا عنها ثم لم يؤمنوا بها ، فأصبحوا بها كافرين ، أي : بسببها ، أي : بينت لهم ولم ينتفعوا بها لأنهم لم يسألوا على وجه الاسترشاد ، وإنما سألوا على وجه التعنت والعناد"(٩).

قال الطبري: فلما آتاهموها الله أصبحوا بها جاحدين ، منكرين أن تكون دلالة على حقيقة ما احتُجَّ بها عليهم ، وبرهانًا على صحة ما جُعلت برهانًا على تصحيحه كقوم صالح الذين سألوا الآية ، فلما جاءتهم الناقة آيةً عقروها وكالذين سألوا عيسى مائدة تنزل عليهم من السماء ، فلما أعطوها كفروا بها ، وما أشبه ذلك، فحذَّر الله تعالى المؤمنين بنبيه صلى الله عليه وسلم أن يسلكوا سبيل من قبلهم من الأمم التي هلكت بكفرهم بآيات الله لما جاءتهم عند مسألتهموها ، فقال لهم : لا تسألوا الآيات ، ولا تبحثوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم ، فقد سأل الآيات من قبلكم قومٌ ، فلما أوتوها أصبحوا بها كافرين"(١٠).

قال القرطبي:" أخبر تعالى أن قوما من قبلنا قد سألوا آيات مثلها، فلما أعطوها وفرضت عليهم كفروا بها، وقالوا: ليست من عند الله، وذلك كسؤال قوم صالح الناقة، وأصحاب عيسى المائدة، وهذا تحذير مما وقع فيه من سبق من الأمم"(١١).

وقال ابن أبي زمنين:" {ثم أصبحوا بها كافرين}، يعني: أهل الكتاب: حدثنا يحيى، وبلغني أنها في قراءة أبي بن كعب:«قد سألها قوم من قبلكم فبينته لهم»، فأصبحوا بها كافرين"(١٢).

---

(١) انظر: زاد المسير:٥٩٢/١.
(٢)زاد المسير:٥٩٢/١.
(٣) انظر: النكت والعيون:٧٢/٢.
(٤) أحكام القرآن:٢١٥/٢.
(٥) انظر: المحرر الوجيز:٢٤٦/٢.
(٦) التفسير الميسر:١٢٤.
(٧) المحرر الوجيز:٢٤٧/٢.
(٨) تفسير البغوي:١٠٦/٣.
(٩) تفسير ابن كثير:٢٠٧/٣.
(١٠) تفسيرالطبري:١١٥/١١.
(١١) تفسير القرطبي:٣٣٤/٦.
(١٢) تفسير ابن أبي زمنين:٤٩/٢.

قال الماتريدي:" هذا يدل على أن النهي عن السؤال في الآي لأحد شيئين:

- إما أن سألوا الآيات عنه بعد ما ظهرت وثبتت لهم رسالته، فلما أتى بها كفروا بها؛ ألا ترى أنه قال: {قد سألها قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين}، وقد كان الأمم السالفة يسألون من الرسل - عليهم السلام - الآيات بعد ظهورها عندهم.
- ويحتمل: ما ذكرنا من قولهم: أين نحن؟ ومن أبي؟ ومن أنا؟ ونحوه، فلما أن أخبرهم بذلك كفروا به"[1].

وإن قال قائل: ما ذكرتم من كراهية السؤال والنهي عنه، يعارضه قوله تعالى: { فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} [النحل : ٤٣، الانبياء:٧]؟

فالجواب، أن هذا الذي أمر الله به عباده هو ما تقرر وثبت وجوبه مما يجب عليهم العمل به، والذي جاء فيه النهي هو ما لم يتعبد الله عباده به، ولم يذكره في كتابه"[2].

وقد روي عن عامر بن سعد، عن أبيه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن أعظم المسلمين في المسلمين جرما، من سأل عن شيء لم يحرم على المسلمين، فحرم عليهم من أجل مسألته»[3].

قال الخطابي: هذا في مسالة من يسأل عبثاً وتكلفاً فيما لا حاجة به إليه، دون من سأل سؤال حاجة وضرورة كمسألة بني إسرائيل في شأن البقرة. وذلك أن الله سبحانه أمرهم أن يذبحوا بقرة، فلو استعرضوا البقر، فذبحوا منها بقرة لأجزأتهم. كذلك قال ابن عباس رضي الله عنه في تفسير الآية، فما زالوا يسألون ويتعنتون حتى غلظت عليهم وأمروا بذبح البقرة على النعْت الذي ذكره الله في كتابه، فعظمت عليهم المؤنة، ولحقتهم المشقة في طلبها حتى وجدوها فاشتروها بالمال الفادح فذبحوها وما كادوا يفعلون.

وأما ما كان سؤاله استبانة لحكم واجب، واستفادة لعلم قد خفي عليه فإنه لا يدخل في هذا الوعيد، وقد قال الله سبحانه: {فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} [الأنبياء: ٧].

وقد يحتج بهذا الحديث من يذهب من أهل الظاهر إلى أن أصل الأشياء قبل ورود الشرع بها على الإباحة حتى يقوم دليل على الحظر. وإنما وجه الحديث وتأويله ما ذكرناه، والله أعلم"[4].

الفوائد:

١-ضرب الامثال بالأمم السابقين حتى نقتنع بانه لا ينبغي لنا ان نسأل، لأن غيرنا سأل وكفر.

٢-النهي عن السؤال الذي لا تدعو الحاجة إليه، أما ما دعت الحاجة إليه من أمور الدين والدنيا، قد شرع الله السؤال عنه بقوله: {وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} [الأنبياء: ٧] ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «ألا سألوا إذا لم يعلموا، فإن شفاء العي السؤال»[5].

٣-أن الإنسان لاينبغي أن يتعرض لما قد يكون محنة عليه، ولهذا جاء في الحديث النهي عن أن يتعرض الإنسان لشيء لايستطيعه فإن هذا من البلاء والذل، ربما يؤخذ هذا منهجا حسنا في كل شيء.

قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-:"لا ينبغي للمؤمن أن يذل نفسه، قالوا: وكيف يذل نفسه؟ قال: يتعرض من البلاء لما لا يطيقه"[6].

---

(١) تفسير الماتريدي:٦٣٢/٣-٦٣٣.

(٢) تفسير القرطبي:٣٣٤/٦-٣٣٥.

(٣)أخرجه البخاري (٧٢٨٩)، ومسلم (٢٣٥٨)،وهو في "مسند أحمد" (١٥٤٥)، وسنن ابي داود(٤٦١٠):ص١٩/٧-٢٠، و"صحيح ابن حبان" (١١٠).

(٤) معالم السنن:٢٧٩/٢.

(٥) أخرجه أحمد:٢٠٣/٤، وأبو داود(٣٣٤)، من طريق عبدالله بن لهيعة. [حديث حسن]

(٦) رواه الترمذي(٢٢٥٤)،وابن ماجة(٤٠١٦)، وأحمد(٢٣٤٩١):ص٤٠٥/٥، عن حذيفة-رضي الله عنه-.

قال ابن الوزير:" ولا شكَّ أن تَطَلُّب علم ما لا يُعْلَمُ، والشَّرَهَ في ذلك وتحكيم بادىء الرأي فيه، وتقديمه على النصوص هو أساس كلِّ فسادٍ"[1].

القرآن

{مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (١٠٣)} [المائدة : ١٠٣]

التفسير:

ما شرع الله للمشركين ما ابتدعوه في بهيمة الأنعام مِن تَرْك الانتفاع ببعضها وجعلها للأصنام، وهي: البَحيرة التي تُقطع أذنها إذا ولدت عددًا من البطون، والسائبة وهي التي تُترك للأصنام، والوصيلة وهي التي تتصل ولادتها بأنثى بعد أنثى، والحامي وهو الذكر من الإبل إذا وُلد من صلبه عدد من الإبل، ولكن الكفار نسبوا ذلك إلى الله تعالى افتراء عليه، وأكثر الكافرين لا يميزون الحق من الباطل.

قوله تعالى:{مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ} [المائدة : ١٠٣]، أي:" ما شرع الله للمشركين ما ابتدعوه في بهيمة الأنعام مِن تَرْك الانتفاع ببعضها وجعلها للأصنام، وهي: البَحيرة التي تُقطع أذنها إذا ولدت عددًا من البطون، والسائبة وهي التي تُترك للأصنام، والوصيلة وهي التي تتصل ولادتها بأنثى بعد أنثى، والحامي وهو الذكر من الإبل إذا وُلد من صلبه عدد من الإبل"[2].

قال الباقلاني:" أي: لم يفعل ذلك"[3].

قال الواحدي، وابن الجوزي:" أي: ما أوجب ذلك، ولا أمر به"[4].

قال الطبري:أي:" ما بحر الله بحيرة ، ولا سيَّب سائبة ، ولا وصل وصيلة، ولا حَمَى حاميًا"[5].

قال الزمخشري:" معنى:{ما جعل}، ما شرع ذلك ولا أمر بالتبحير والتسييب وغير ذلك"[6].

قال الإمام الشافعي:" فهذه: الحبس التي كان أهل الجاهلية يحبسونها فأبطل الله -عز وجل- شروطهم فيها، وأبطل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بإبطال الله -عز وجل- إياها"[7].

و«البحيرة»: الفعيلة من قول القائل :بَحَرْت أُذن هذه الناقة، إذا شقها ،أبحرُها بحرًا، والناقة:مبحورة، ثم تصرف:المفعولة، إلى :فعيلة ، فيقال : هي بحيرة، وأما «البَحِرُ» من الإبل، فهو الذي قد أصابه داءٌ من كثرة شرب الماء ، يقال منه : بَحِرَ البعيرُ يبحر بَحَرًا[8]، ومنه قول الشاعر [9]:

لأَعْلِطَنَّهُ وَسْمًا لا يُفَارِقُهُ كَمَا يُحَزُّ بِحَمْيِ المِيسَمِ البَحِرُ

قال ابن عطية:" أرى أن «البحيرة»، تصلح وتسمن ويغزر لبنها فتشبه الغزيرات بالبحر، وعلى هذا يجيء قول ابن مقبل[10]:

---

(١) العواصم والقواصم:٣٣٩/٥.

(٢) التفسير الميسر:١٢٤.

(٣) الانتصار للقرآن:٦٦٧/٢.

(٤) انظر: الوجيز:٣٣٨، وزاد المسير:٥٩٢/١.

(٥) تفسير الطبري:١١٦/١١.

(٦) الكشاف:٦٨٥/١.

(٧) تفسير الإمام الشافعي:١٤٢/١.

(٨) انظر: تفسير الطبري:١٢١/١١.

(٩) لم اتعرف على قائله، والبيت في تفسير الطبري:١٢١/١١.

(١٠) البيت له في البارع في اللغة:١٠٤، وتهذيب اللغة:٢٧/٥، ولسان العرب:٤٣،٤، وتار العروس،"بحر":ص١١٥/١٠.

فيه من الأخرج المرتاع قرقرة هدر الزيامي وسط الهجمة البحر
فإنما يريد النوق العظام وإن لم تكن مشققة الآذان"(١).

وفي «البحيرة» أربعة أقوال:

أحدها: فهي الناقة إذا أنتجت خمسة أبطن نظروا إلى الخامس فإن كان ذكرا ذبحوه، فأكله الرجال دون النساء، وإن كانت أنثى جدعوا آذانها فقالوا: هذه بحيرة، قاله ابن عباس(٢)، وذكر السدي نحو ذلك(٣)، واختاره ابن قتيبة(٤).

والثاني: أنها الناقة تلد خمس إناث ليس فيهن ذكر، فيعمدون إلى الخامسة، فيبتكون أذنها، حكاه ابن الجوزي عن عطاء(٥).

والثالث: أنها ابنة السائبة، قاله ابن إسحاق(٦)، والفراء(٧).

قال ابن إسحاق: السائبة الناقة إذا تابعت بين عشر إناث، ليس بينهن ذكر، سيبت فلم يركب ظهرها، ولم يجز وبرها ولم يشرب لبنها إلا ضيف، فما نتجت بعد ذلك من أنثى، شقت أذنها، ثم خلّي سبيلها مع امها فلم يركب ظهرها، ولم يجز وبرها، ولم يشرب لبنها إلا ضيف كما فعل بأمها، فهي البحيرة بنت السائبة"(٨).

والرابع: أنها الناقة كانت إذا نتجت خمسة أبطن، وكان آخرها ذكرا بحروا أذنها، أي: شقوها، وامتنعوا من ركوبها وذبحها، ولا تطرد عن ماء، ولا تمنع عن مرعى، وإذا لقيها لم يركبها، قاله الزجاج(٩).

وأما «السائبة»، فإنها المسيبة المخلاة وكانت العرب تفعل ذلك ببعض مواشيها فتحرم الانتفاع بها على أنفسها تقرباً إلى الله تعالى(١٠) ، قال الشاعر(١١):

عقرتم ناقة كانت لربي وسائبة فقوموا للعقاب

عن أبي الأحوص ، عن أبيه قال : دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : أرأيت إبلك ألست تنتجها مسلَّمة آذانُها ، فتأخذ الموسى فتجْدَعها ، تقول : هذه بحيرة، وتشق آذانها ، تقولون:هذه صَرْم ؟ قال : نعم! قال : فإن ساعدَ الله أشدّ ، وموسَى الله أحدَ! كلّ مالك لك حلالٌ ، لا يحرَّم عليك منه شيء "(١٢).

وكذا كان بعض أهل الإسلام يعتق عبده سائبة ، ولا ينتفع به ولا بولائه ، وكان أبو العالية سائبة فلما أُتِي مولاه بميراثه فقال : هو سائبة وأبى أن يأخذه(١٣).

وأخرجت المسيبة بلفظ السائبة ، كما قيل في عيشة راضية يعني مرضية(١٤).

وفي «السائبة» خمسة أقوال:

أحدها: أنها التي تسيب من الأنعام للآلهة، لا يركبون لها ظهرا، ولا يحلبون لها لبنا، ولا يجزون منها وبرا، ولا يحملون عليها شيئا، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس(١٥).

---

(١) المحرر الوجيز:٢٤٨/٢.
(٢) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٦٨٨٧):ص١٢٢٠/٤، وتفسير الطبري(١٢٨٣٦):ص١٢٨/١١-١٢٩.
(٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٦٨٨٨):ص١٢٢٠/٤-١٢٢١.
(٤) انظر: غريب القرآن:١٤٧.
(٥) انظر: زاد المسير:٥٩٢/١. ولم أقف عليه.
(٦) انظر: سيرة ابن هشام:٦٧/٢، وزاد المسير:٥٩٢/١.
(٧) انظر: معاني القرآن:٣٢٢/١.
(٨)سيرة ابن هشام:٦٧/٢.
(٩) انظر: مهعاني القرآن:٢١٣/٢.
(١٠) انظر: تفسير الطبري:١٢٣/١١.
(١١) لم اتعرف على قائله، والبيت من شواهد الماوردي في النكت والعيون:٧/٢، وتفسير القرطبي:٣٣٦/٦.
(١٢) أخرجه الطبري(١٢٨٢٥):ص١٢١/١١-١٢٢.
(١٣) انظر: النكت والعيون:٧٣/٢.
(١٤) انظر: النكت والعيون:٧٣/٢.
(١٥) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٦٨٩٢):ص١٢٢١/٤.

والثاني: أن الرجل كان يسيب من ماله ما شاء، فيأتي به خزنة الآلهة،" فيطعمون ابن السبيل من ألبانه ولحومه إلا النساء، فلا يطعمونهن شيئا منه إلا أن يموت، فيشترك فيه الرجال والنساء"[1]، رواه أبو صالح عن ابن عباس[2].

وقال الشعبي: كانوا يهدون لآلهتهم الإبل والغنم فيتركونها عند آلهتهم ، فتذهب فتختلطُ بغنم الناس، فلا يشرب ألبانها إلا الرجال ، فإذا مات منها شيء أكله الرجال والنساء جميعًا"[3].

والثالث: أنها الناقة إذا ولدت عشرة أبطن، كلهن إناث، سيبت، فلم تركب، ولم يجز لها وبر، ولم يشرب لبنها إلا ضيف أو ولدها حتى تموت، فإذا ماتت أكلها الرجال والنساء، ذكره الفراء[4]، وهو قول ابن إسحاق[5].

والرابع: أنها البعير يسيب بنذر يكون على الرجل إن سلمه الله من مرض أو بلغه منزله أن يفعل ذلك. قاله ابن قتيبة[6].

قال الزجاج: " كان الرجل إذا نذر لقدوم من سفر أو برء من علة أو ما أشبه ذلك قال: ناقتي هذه سائبة، فكانت كالبحيرة في أن لا ينتفع بها وأن لا تجلى عن ماء ولا تمنع من مرعى"[7].

والخامس: أنه البعير يحج عليه الحجة، فيسيب، ولا يستعمل شكرا لنجحها، حكاه الماوردي عن الشافعي[8].

أما «الوصيلة» فأجمعوا على أنها من الغنم[9]، وفيها خمسة أقوال:

أحدها: أنها الشاة إذا نتجت سبعة أبطن، نظروا إلى السابع، فإن كان أنثى، لم ينتفع النساء منها بشيء إلا أن تموت، فيأكلها الرجال والنساء، وإن كان ذكرا، ذبحوه، فأكلوه جميعا، وإن كان ذكرا وأنثى، قالوا: وصلت أخاها، فتترك مع أخيها فلا تذبح، ومنافعها للرجال دون النساء، فإذا ماتت، اشترك فيها الرجال والنساء، رواه أبو صالح عن ابن عباس[10].

وذهب إلى نحوه ابن قتيبة، فقال: " و«الوصيلة» من الغنم: كانوا إذا ولدت الشاة سبعة أبطن نظروا: فإن كان السابع ذكرا ذبح. فأكل منه الرجال والنساء، وإن كان أنثى تركت في الغنم، وإن كان ذكرا وأنثى قالوا: قد وصلت أخاها. فلم تذبح لمكانها. وكانت لحومها حراما على النساء. ولبن الأنثى حراما على النساء إلا أن يموت منهما شيء فيأكله الرجال والنساء"[11].

والثاني: أنها الناقة البكر تبتكر في أول نتاج الإبل بالأنثى، ثم تثني بالأنثى، فكانوا يستبقونها لطواغيتهم، ويدعونها الوصيلة، أي: وصلت إحداهما بالأخرى، ليس بينهما ذكر، رواه الزهري عن ابن المسيب[12].

والثالث: أنها الغنم إذا ولدت عشر إناث في خمسة أبطن توأمين في كل بطن سميت الوصيلة وتركت، فما ولدت بعد ذلك في ذكر أو أنثى جعلت للذكور دون الإناث، وإن كانت ميتة اشتركوا فيها، قاله ابن إسحاق[13].

---

(١) هذه الزيادة في زاد المسير:٥٩٢/١.
(٢) انظر: تفسير الطبري(١٢٨٣٦)، و(١٢٨٣٨):ص١٢٨/١١-١٢٩..
(٣) أخرجه الطبري(١٢٨٣٤):ص١٢٨/١١.
(٤) انظر: معاني القرآ:٣٢٢/١.
(٥) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٦٨٩٦):ص١٢٢٢/٤.
(٦) انظر: غريب القرآن:١٤٧.
(٧) معاني القرآن:٢١٣/٢.
(٨) انظر: زاد المسير:٥٩٢/١.
(٩) انظر: تفسير الطبري:١٢٤/١١، والنكت والعيون:٧٣/٢
(١٠) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٦٨٩٩):ص١٢٢٢/٤-١٢٢٣.
(١١) انظر: غريب القرآن:١٤٧.
(١٢) انظر: تفسير الطبري(١٢٨٤٠):ص١٣١/١١.
(١٣) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٦٩٠٠):ص١٢٢٣/٤.

والرابع: أنها الشاة تنتج سبعة أبطن، عناقين عناقين[١]، فإذا ولدت في سابعها عناقا وجديا، قيل: وصلت أخاها، فجرت مجرى السائبة، قاله الفراء[٢].
والخامس: أن الشاة كانت إذا ولدت أنثى، فهي لهم، وإذا ولدت ذكرا جعلوه لآلهتهم فإن ولدت ذكرا وأنثى، قالوا: وصلت أخاها، فلم يذبحوا الذكر لآلهتهم، قاله الزجاج[٣].

قال ابن عطية:" قال أكثر الناس: إن «الوصيلة» في الغنم قالوا إذا ولدت الشاة ثلاثة بطون أو خمسة فإن كان آخرها جذيا ذبحوه لبيت الآلهة وإن كانت عناقا استحيوها وإن كان جذي وعناق استحيوهما وقالوا هذه العناق وصلت أخاها فمنعته من أن يذبح، وعلى أن الوصيلة في الغنم جاءت الروايات عن أكثر الناس"[٤].

وأما «الحام» فأجمعوا عليه: أنه البعير ينتج من صلبه عشرة أبطن ، فيقال حمى ظهره ويخلّى[٥]. وفيه ستة أقوال:
أحدها: أنه الفحل، ينتج من صلبه عشرة أبطن، فيقولون: قد حمى ظهره، فيسيبونه لأصنامهم، ولا يحمل عليه، قاله ابن مسعود[٦]، وابن عباس[٧]، واختاره أبو عبيدة[٨]، والزجاج[٩].
والثاني: أنه الفحل يولد لولده، فيقولون: قد حمى هذا ظهره، فلا يحملون عليه، ولا يجزون وبره، ولا يمنعونه ماء، ولا مرعى، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس[١٠]، واختاره الفراء[١١]، وابن قتيبة[١٢].
والثالث: أنه الفحل يظهر من أولاده عشر إناث من بناته، وبنات بناته، قاله عطاء[١٣].
والرابع: أنه الذي ينتج له سبع إناث متواليات، ، قد حمي ظهره ، ولا يركب ، ولا يعمل عليه، قاله ابن زيد[١٤].
والخامس: أنه الذي لصلبه عشرة كلها تضرب في الإبل، قاله أبو روق[١٥].
والسادس: أنه الفحل يضرب في إبل الرجل عشر سنين، فيخلى ويقال: قد حمى ظهره، ذكره الماوردي[١٦].

قال الزجاج: والذي ذكرناه في البحيرة، والسائبة، والوصيلة، والحام أثبت ما روينا عن أهل اللغة"[١٧].

قال ابن عطية:" وجملة ما يظهر من هذه الأمور أن الله تعالى قد جعل هذه الأنعام رفقا لعباده ونعمة عددها عليهم ومنفعة بالغة، فكان أهل الجاهلية يقطعون طريق الانتفاع ويذهبون نعمة الله فيها ويزيلون المصلحة التي للعباد في تلك الإبل، وبهذا فارقت هذه الأمور الأحباس والأوقاف، فإن المالك الذي له أن يهب ويتصدق له أن يصرف المنفعة في أي طريق من البر،

---

(١)في «اللسان» : العناق: الأنثى من ولد المعز.
(٢) انظر: معاني القرآن:٣٢٢/١.
(٣) انظر: معاني القرآن:٢١٣/٢.
(٤) المحرر الوجيز:٢٣٨/٢.
(٥) انظر: تفسير الطبري:١٢٤/١١، والنكت والعيون:٧٤/٢.
(٦) انظر: زاد المسير:٥٩٣/١.
(٧) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٦٩٠٤):ص١٢٢٤/٤.
(٨) انظر: مجاز القرآن:١٧٩/١.
(٩) انظر: معاني القرآن:٢١٣/٢.
(١٠) انظر: تفسير الطبري(١٢٨٣٧):ص١٢٩/١١.
(١١) انظر: معاني القرآن:٣٢٢/١.
(١٢) انظر: غريب القرآن:١٤٨.
(١٣) انظر: زاد المسير:٥٩٣/١.
(١٤) انظر: تفسير الطبري(١٢٨٤٣):ص١٣٢/١١-١٣٣.
(١٥) انظر: زاد المسير:٥٩٣/١.
(١٦) انظر: النكت والعيون:٧٤/٢.
(١٧) انظر: معاني القرآن:٢١٣/٢.

ولم يسد الطريق إليها جملة كما فعل بالبحيرة والسائبة، وقال أبو حنيفة وأصحابه: لا تجوز الأحباس والأوقاف، وقاسوا على البحيرة والسائبة، والفرق بين، ولو عمد رجل إلى ضيعة له فقال هذه تكون حبسا لا يجتنى ثمرها ولا يزرع أرضها ولا ينتفع منها بنفع لجاز أن يشبه هذا بالبحيرة والسائبة، وأما الحبس البين طريقه واستمرار الانتفاع به فليس من هذا، وحسبك بأن النبي عليه السلام قال لعمر بن الخطاب في مال له: اجعله حبسا[١] لا يباع أصله، وحبس أصحاب النبي عليه السلام"[٢].

قوله تعالى:{وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ} [المائدة : ١٠٣]، أي:" ولكن الكفار نسبوا ذلك إلى الله تعالى افتراء عليه"[٣].

قال البغوي:أي:" في قولهم: الله أمرنا بها"[٤].

قال الطبري:أي:" ولكنكم الذين فعلتم ذلك ، أيها الكفرة ، فحرَّمتموه افتراء على ربكم"[٥].

قال الواحدي: أي:" يتقوَّلون على الله الأباطيل في تحريم هذه الأنعام وهم جعلوها مُحرَّمة لا الله"[٦].

قال ابن كثير:" أي : ما شرع الله هذه الأشياء ولا هي عنده قربة ، ولكن المشركين افتروا ذلك وجعلوه شرعًا لهم وقربة يتقربون بها إليه. وليس ذلك بحاصل لهم ، بل هو وبال عليهم"[٧].

قال ابن عباس:"{ يفترون}، يكذبون في الدنيا"[٨].

قال الزمخشري:أي:"ولكنهم بتحريمهم ما حرموا يفترون على الله الكذب"[٩].

قال قتادة:" {يفترون}، أي: يشركون"[١٠].

قال الشعبي:" أما الذين افتروا، فعقلوا أنهم افتروا"[١١].

قال أبو هريرة:" سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لأكثم بن الجون : يا أكثم ، رأيتُ عمرو بن لُحيّ بن قَمَعَة بن خِنْدف يجرّ قُصْبه في النار ، فما رأيت رجلا أشبه برجل منك به ، ولا به منك! فقال أكثم : عسَى أن يضرّني شبهه ، يا رسول الله! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا إنك مؤمن وهو كافر ، إنه أوّل من غيَّر دين إسماعيل ، وبحر البحيرة ، وسيَّب السائبة ، وحمى الحامي"[١٢].

وعن زيد بن أسلم ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "قد عرفت أوّلَ من بَحَر البحائر ، رجلٌ من مُدْلج كانت له ناقتان ، فجدَع آذانهما ، وحرّم ألبانهما وظهورَهما ، وقال :

---

(١) مسند الشافعي(٤٥٧):ص١٣٨/٢، والسنن الكبرى للبيهقي(١١٩٠٤):ص٢٦٨/٦، وشعب الإيمان(٣١٧٢):ص١١٩/٥، ونصه:" عن ابن عمر: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ملك مائة سهم من خيبر إشتراها فأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله: إني أصبت مالا لم أصب مثله قط وقد أردت أن أتقرب به إلى الله عزوجل فقال: «حَبِّسِ الْأَصْلَ وَسَبِّلِ الثَّمَرَةَ»".

(٢) المحرر الوجيز:٢٤٨/٢.

(٣) التفسير الميسر:١٢٤.

(٤) تفسير البغوي:١٠٨/٣.

(٥) تفسير الطبري:١١٦/١١.

(٦) الوجيز:٣٣٨.

(٧) تفسير ابن كثير:٢١١/٣.

(٨) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٩١٠):ص١٢٢٤/٤.

(٩) الكشاف:٦٨٥/١.

(١٠) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٩١٢):ص١٢٢٥/٤.

(١١) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٩١١):ص١٢٢٥/٤.

(١٢) أخرجه الطبري(١٢٨٢٠):ص١١٧/١١-١١٨.

هاتان لله! ثم احتاج إليهما ، فشرب ألبانهما ، وركب ظهورهما. قال : فلقد رأيته في النار يؤذِي أهل النار ريح قُصْبه"(١).
قوله تعالى:{وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ} [المائدة : ١٠٣]، أي:" وأكثر الكافرين لا يميزون الحق من الباطل"(٢).
قال الواحدي: "يعني: أتباع رؤسائهم الذين سنُّوا لهم تحريم هذه الأنعام {لا يعقلون} أنَّ ذلك كذبٌ وافتراءٌ على الله من الرُّؤساء"(٣).
قال الزمخشري:أي:" فلا ينسبون التحريم إلى الله حتى يفتروا، ولكنهم يقلدون في تحريمها كبارهم"(٤).
وفي قوله تعالى:{وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ} [المائدة : ١٠٣]، قولان:
أحدهما: وأكثرهم، يعني: الأتباع لا يعقلون أن ذلك كذب على الله من الرؤساء الذين حرموا، قاله الشعبي(٥).
والثاني: لا يعقلون أن هذا التحريم من الشيطان، قاله قتادة(٦).
وفي المعني بهم في قوله تعالى: { وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ [المائدة : ١٠٣]، وجهان:
أحدهما: أنهم أهل ملّة واحدة ، ولكن «المفترين»، المتبوعون، و«الذين لا يعقلون»، الأتباع. وهذا قول الشعبي(٧).واختاره ابن عطية، وقال:" وهو الذي تعطيه الآية "(٨).
والثاني: أن المعنيّ بـ{الذين كفروا}، اليهود ، وبـ{الذين لا يعقلون}، أهل الأوثان. وهذا قول محمد بن ابي موسى(٩).
قال ابن عطية:" وهذا تفسير من انتزع ألفاظ آخر الآية عما تقدمها وارتبط بها من المعنى وعما تأخر أيضا من قوله :{وإذا قيل لهم}، والأول من التأويلين أرجح"(١٠).
والراجح-والله أعلم- إن المعنيين بقوله : {ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب}، الذين بحروا البحائر ، وسيَّبوا السوائب ، ووصلوا الوصائل ، وحموا الحوامي ، مثل عمرو بن لحي وأشكاله ممن سنّ لأهل الشرك السنن الرديئة ، وغيَّر دين الله دين الحق، وأضافوا إلى الله تعالى ذكره : أنه هو الذي حرّم ما حرّموا ، وأحلَّ ما أحلوا ، افتراءً على الله الكذب وهم يعلمون ، واختلاقًا عليه الإفك وهم يفهمون ، فكذبهم الله تعالى ذكره في قيلهم ذلك ، وإضافتهم إليه ما أضافوا من تحليل ما أحلوا وتحريم ما حرموا.
وأما المعنيون بقوله :{وأكثرهم لا يعقلون}، فهم أتباع من سنّ لهم هذه السنن من جهلة المشركين ، فهم لا شك أنهم أكثر من الذين لهم سنوا ذلك لهم ، فوصفهم الله تعالى بأنهم لا يعقلون ، لأنهم لم يكونوا يعقلون أن الذين سنوا لهم تلك السنن وأخبروهم أنها من عند الله ، كذبةٌ في إخبارهم ، أَفَكَةٌ ، بل ظنوا أنهم فيما يقولون محقُّون ، وفي إخبارهم صادقون (١١).
الفوائد:
١-أن الاتباع الهوى في التشريع حقيقته افتراء على الله، قال سبحانه: {ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام}، فهم شرعوا شرعة، وابتدعوا في ملة إبراهيم عليه السلام هذه

(١) أخرجه الطبري(١٢٨٢١):ص١١/١١٨.
(٢) التفسير الميسر:١٢٤.
(٣) الوجيز:٣٣٨.
(٤) الكشاف:١/٦٨٥.
(٥) انظر: تفسير الطبري(١٢٨٤٦):ص١١/١٣٥.
(٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٦٩١٣):ص٤/١٢٢٥.
(٧) انظر: تفسير الطبري(١٢٨٤٦):ص١١/١٣٥.
(٨) المحرر الوجيز:٢/٢٤٨.
(٩) انظر: تفسير الطبري(١٢٨٤٥):ص١١/١٣٥.
(١٠) المحرر الوجيز:٢/٢٤٨-٢٤٩.
(١١) تفسير الطبري:١١/١٣٥-١٣٦.

البدعة، توهما أن ذلك يقربهم من الله كما يقرب من الله ما جاء به إبراهيم عليه السلام من الحق، فزلوا وافتروا على الله الكذب إذ زعموا أن هذا من ذلك وتاهوا في المشروع[١].

٢- دل الآية على أن العرب كانوا على ملة إبراهيم وإسماعيل، ثم حدث بعد ذلك التغيير وعبادة الأصنام بسبب عمرو بن لحي وغيره.

فعمرو هذا غيّر دين العرب بدعوتهم لعبادة الأصنام، وباستحداث بدع في دين الله تعالى، أحلّ فيها وحرّم بهواه.

قال ابن كثير عند قوله تعالى: {ما جعل الله من بحيرة} [المائدة:١٠٣]، بعد أن ساق أحاديث في معناها: "فعمرو هذا هو ابن لحي بن قمعة، أحد رؤساء خزاعة الذين ولوا البيت بعد جرهم، وكان أول من غير دين إبراهيم الخليل، فأدخل الأصنام إلى الحجاز، ودعا الرعاع من الناس إلى عبادتها، والتقرب بها، وشرع لهم هذه الشرائع الجاهلية في الأنعام وغيرها... "[٢]، إلى آخر كلامه رحمه الله.

٣-الرد على أهل الجاهلية لما ابتدعوه في بهيمة الأنعام من شريعة الجاهلية، حيث جعلوا منها:

- البحيرة: وهي التي تشق أذنها ويمنع من ركوبها وحلبها وأكل لحمها.
- والسائبة: وهي التي تترك فلا تمنع من مرعى ولا ماء ولا تركب ولا تحلب ولا يجز وبرها.
- والوصيلة: وهي الناقة أو الشاة إذا أنتجت عددًا معينًا من الولد متواصلًا، ذبحوها للأصنام، وحرموا لحمها على النساء.
- والحام: الجمل الفحل إذا حمى ظهره من أن يركب، كانوا إذا أنتج الفحل عددًا معينًا، قالوا: حمى ظهره فلم يركبوه.

وهذه من أعمال الجاهلية التي جاء الإسلام بإبطالها والله جل وعلا قال في مطلع السورة: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ} [المائدة: ١] ، والله جل وعلا أحل بهيمة الأنعام أن نأكل منها وأن نشرب من ألبانها وأن نركبها بحدود المشروع، إلا ما كان منها ميتة أو دمًا مسفوحًا، كما في قوله تعالى: {حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ} [المائدة: ٣] [٣].

٤-ومنها: أن البدع إذا تؤمل معقولها وجدت رتبها متفاوتة.

- فمنها ما هو كفر صراح؛ كبدعة الجاهلية التي نبه عليها القرآن؛ كقوله تعالى: {وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا} الآية، وقوله تعالى: {وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ} [الأنعام : ١٣٩]، وقوله تعالى: {ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام}[المائدة:١٠٣].
وكذلك بدعة المنافقين حيث اتخذوا الدين ذريعة لحفظ النفس والمال، وما أشبه ذلك مما لا يشك أنه كفر صراح.
- ومنها: ما هو من المعاصي التي ليست بكفر، أو يختلف: هل هي كفر أم لا! كبدعة الخوارج والقدرية[٤] والمرجئة[١] ومن أشبههم من الفرق الضالة

---

(١) انظر: الاعتصام للشاطبي:٢٣٨/١.
(٢) تفسيرابن كثير:٢٠٩/٣-٢١٠.
(٣) انظر: مجموع فتاوى صالح بن فوزان:١٥١/١-١٥٢.
(٤)القدرية: فرقة ضالة تنفي صفات الله الأزلية كالعلم والقدرة والحياة والسمع والبصر وأنه ليس لله اسم ولا صفة، وأن الله لا يُرى، وأن كلام الله حادث مخلوق، وأن الله غير خالق لأكساب الناس، وأن الناس هم الذين يقدرون كسبهم، فهم ينكرون القدر فلذلك سمُّو قدرية. وبدعتهم هذه حدثت في آخر عصر الصحابة وكان أكثرهم في الشام والبصرة وفي المدينة أيضاً، وأصل هذه البدعة أحدثها مجوسي من البصرة ثم تلقَّاها عنه معبد الجهني. وقد أنكر الصحابة عليهم ذلك.

- ومنها ما هو معصية ويتفق على أنها ليست بكفر؛ كبدعة التبتل، والصيام قائما في الشمس، والخصاء بقصد قطع شهوة الجماع.
- ومنها ما هو مكروه كما يقول مالك في إتباع رمضان بست من شوال، وقراءة القرآن بالإدارة، والاجتماع للدعاء عشية عرفة، وذكر السلاطين في خطبة الجمعة ـ على ما قاله ابن عبد السلام الشافعي(٢) ـ، وما أشبه ذلك.

فمعلوم أن هذه البدع ليست في رتبة واحدة، ولا على نسبة واحدة، فلا يصح على هذا أن يقال: إنها على حكم واحد، هو الكراهة فقط، أو التحريم فقط.(٣).

٥-ومن الفوائد، أن«جعل» لاياتي في جميع القرآن بمعنى«خلق»، كما مرّ في تفسير قوله:{مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلا سَائِبَةٍ}، بمعنى: ما سمّاها أو ما شرع ذلك، لا يعني: ما خلق الله من بحيرة ولا سائبة، فبطل أن يكون كل «جعل» في القرآن عبارة عن الخلق(٤).

قال ابن عطية:" و«جعل» في هذه الآية لا يتجه أن تكون بمعنى :خلق الله، لأن الله تعالى خلق هذه الأشياء كلها. ولا هي بمعنى: «صير»، لعدم المفعول الثاني، وإنما هي بمعنى: ما سن ولا شرع، فتعدت تعدي هذه التي بمعناه إلى مفعول واحد"(٥).

وفيه الرد على المعتزلة الذين فسروا «جعل» في القرآن بمعنى«خلق»، فاستدلوا بها أن القرآن مخلوق، قال تعالى: {إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا} [الزخرف: ٣].

وهذا استدلال ظاهر الفساد فإن الفعل «جعل» إذا كان بمعنى «خلق» فإنه يتعدى إلى مفعول واحد كقوله - سبحانه :{وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ}[الأنعام: ١] وإذا كان يتعدى إلى مفعولين لم يكن بمعنى خلق قال تعالى:{ وَلا تَنْقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً}[النحل: ٩١].

قال الشنقيطي: "لفظة «جعل» تأتي في اللغة العربية لأربعة معان؛ ثلاثة منها في القرآن:

الأول :- إتيان جعل بمعنى اعتقد، ومنه قوله تعالى:{ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا }[الزخرف: ١٩] أي: اعتقدوهم إناثاً، ومعلوم أن هذه تنصب المبتدأ والخبر.

الثاني :- جعل بمعنى صير، كقوله:{حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ}[الأنبياء: ١٥] وهذه تنصب المبتدأ والخبر أيضا.

الثالث :- جعل بمعنى خلق، كقوله تعالى:{الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور }[الأنعام: ١] أي: خلق السماوات والأرض وخلق الظلمات والنور.

الرابع :- وهو الذي ليس في القرآن جعل بمعنى شرع، ومنه قوله(٦):

يراجع: الفرق بين الفرق ص (٩٣- ٩٤) ، ومجموع الفتاوى (٣٨٤/٧- ٣٨٦) ، وكذلك (٣٦/١٣، ٣٧) .

(١)المرجئة: من الفرق الضَّالّة التي تقوم: لا يضر مع الإيمان معصية، كما لا ينفع مع الكفر طاعة، والإرجاء هو: التأخير، وسمُّوا مرجئة لتأخيرهم العمل عن النية، أو لتأخير حكم صاحب الكبيرة إلى يوم القيامة، ويقولون: إنَّ الإيمان لا يزيد ولا ينقص. وإنه يكون في القلب واللسان.

يراجع: الفرق بين الفرق (١٩٠- ١٩٥) ، والملل والنِّحل للشهرستاني ص (١٣٩-١٤٦) .

(٢)قال العز بن عبد السلام في "فتاويه" (ص٣٩٣ ـ ٣٩٥، تحقيق محمد جمعة): "ذكر الصحابة والخلفاء رضي الله عنهم والسلاطين بدعة غير محبوبة، ولا يذكر في الخطبة إلا ما يوافق مقاصدها .. " إلخ ما قال.

(٣)انظر: الاعتصام للشاطبي:٣٥٤/٢-٣٥٥.

(٤)انظر: الرد على الجهمية للإمام أحمد ص ٦٩ - ٧٢، رد الإمام الدارمي على بشر المريسي ص ٤٨١ كلاهما ضمن عقائد السلف، وانظر: مجموع الفتاوى ٢٩/٨، شرح الطحاوية ص ١٨٦.

(٥) المحرر الوجيز:٢٤٧/٢.

(٦) البيت لعمرو بن أحمر في ملحق ديوانه ص١٨١-١٨٢؛ وخزانة الأدب ٩/ ٣٥٩، ٣٦٢؛ ولأبي حية النمري في ملحق ديوانه ص١٨٦؛ والحيوان ٦/ ٤٨٣؛ وشرح التصريح ١/ ٢٠٤؛ وشرح شواهد الإيضاح ص٧٤؛ والمقاصد النحوية ٢/ ١٧٣؛ ولابن أحمر أو لأبي حية النمري في الدرر ٢/ ١٣٣؛ ولأبي حية أو للحكم بن عبدل في شرح شواهد المغني ٢/ ٩١١؛ وبلا نسبة في أوضح المسالك ١/ ٣٠٥؛ وشرح التصريح ١/ ٢٠٦؛ ومغني اللبيب ٢/ ٥٧٩؛ والمقرب ١/ ١٠١.

وَقَدْ جَعَلَتُ إِذَا مَا قُمْتُ يُثْقِلُنِي ثَوْبِي فَأَنْهَضُ نَهْضَ الشَّارِبِ الثمِلِ "[١]

القرآن

{وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ (١٠٤)} [المائدة : ١٠٤]

التفسير:

وإذا قيل لهؤلاء الكفار المحرِّمين ما أحل الله: تعالوا إلى تنزيل الله وإلى رسوله ليتبين لكم الحلال والحرام، قالوا: يكفينا ما ورثناه عن آبائنا من قول وعمل، أيقولون ذلك ولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئًا أي: لا يفهمون حقًّا ولا يعرفونه، ولا يهتدون إليه؟ فكيف يتبعونهم، والحالة هذه؟ فإنه لا يتبعهم إلا من هو أجهل منهم وأضل سبيلا.

قوله تعالى{وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ} [المائدة : ١٠٤]، أي:" وإذا قيل لهؤلاء الكفار المحرِّمين ما أحل الله: تعالوا إلى تنزيل الله وإلى رسوله ليتبين لكم الحلال والحرام"[٢].

قال السمرقندي:أي:" من تحليل ما حرمتم على أنفسكم، وما بين رسوله. ويقال: تعالوا إلى كتاب الله وإلى سنة رسوله"[٣].

قال السمعاني:" يعني: إذا دعوا إلى الكتاب والسنة"[٤].

قال البغوي:أي:" في تحليل الحرث والأنعام وبيان الشرائع والأحكام"[٥].

قال ابن كثير:" أي : إذا دعوا إلى دين الله وشرعه وما أوجبه وتَرْك ما حرمه"[٦].

قال ابن الجوزي:" يعني: إذا قيل لهؤلاء المشركين الذين حرموا على أنفسهم هذه الأنعام: تعالوا إلى ما أنزل الله في القرآن من تحليل ما حرمتم على أنفسكم"[٧].

قال ابن عباس:" كانوا إذا دعوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول ليحكم بينهم قالوا: بل نحاكمكم إلى كعب بن الأشرف"[٨].

قال ابن عطية:" الضمير في قوله :{قيل لهم}، عائد على الكفار المستنين بهذه الأشياء و{تعالوا}، نداء بين، هذا أصله، ثم استعمل حيث البر وحيث ضده، و{إلى ما أنزل الله}، يعني: القرآن الذي فيه التحريم الصحيح"[٩].

قال الراغب:" أصل «تعالي» دعا إلى العلو، ثم استعمل في كل مكان علوا كان أو سفلا، وقيل: إن ذلك يقال اعتبارا بالعلو الذي هو المرتبة الرفيعة، فإذا قيل تعالي كأنه قيل اطلب بفعلك هذا علوا وشرفا كقولك لمن دعوته تفضل أي اطلب بذلك الفضل وانعم ونحو ذلك، ثم كثر وصار كأنه موضوع المجرد، والمعنى: إذا دعوا إلى الكتاب والسنة"[١٠].

قوله تعالى{قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا} [المائدة : ١٠٤]، أي:" قالوا: يكفينا ما ورثناه عن آبائنا من قول وعمل"[١١].

المعنى: يثقلني: يجهدني ويتعبني. أنهض: أقوم. الثمل: السكران.

(١)أضواء البيان :٣٩٦/٦.

(٢) التفسير الميسر:١٢٥.

(٣) بحر العلوم:٤٢٣/١.

(٤) تفسير السمعاني:٧٣/٢.

(٥) تفسير البغوي:١٠٩/٣.

(٦) تفسير ابن كثير:٢١١/٣.

(٧) زاد المسير:٥٩٤/١.

(٨) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٩١٤):ص١٢٢٥/٤.

(٩) المحرر الوجيز:٢٤٩/٢.

(١٠) تفسير الراغب الاصفهاني:٤٦٩/٥.

(١١) التفسير الميسر:١٢٥.

قال البغوي:أي:" من الدين"[١].
قال السمرقندي:أي:" من الدين والسنة"[٢].
قال السمعاني:" يعني: كفانا دين آبائنا"[٣].
قال ابن كثير: "أي: قالوا: يكفينا ما وجدنا عليه الآباءَ والأجداد من الطرائق والمسالك"[٤].
قال ابن الجوزي:" قالوا: حسبنا أي: يكفينا ما وجدنا عليه آباءنا من الدين والمنهاج"[٥].
قال ابن عطية:" {حسبنا}، معناه: كفانا"[٦].
قال ابن عثيمين:" {آباءنا}: "يشمل الأدنى منهم، والأبعد؛ وجوابهم هذا باطل خطأ"[٧].
قال الماتريدي:" كأنها نزلت في مشركي العرب، وكانوا أهل تقليد، لا يؤمنون بالرسل، ولا يقرون بهم، إنما يقلدون آباءهم في عبادة الأوثان والأصنام، فإذا ما دعاهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى ما أنزل الله إليه، أو دعاهم أحد إلى ذلك، قالوا: (حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا)، كقوله: { قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ} [الزخرف : ٢٢]، ونحو ذلك، يقلدون آباءهم في ذلك"[٨].
قوله تعالى{أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ} [المائدة : ١٠٤]، أي:" أيقولون ذلك ولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئًا من الدين ولا يهتدون إلى الحق؟"[٩].
قال السمرقندي: " يعني: أيتبعون آباءهم وإن كان آباؤهم جهالا، فنهاهم الله عن التقليد، وأمرهم بالتمسك بالحق وبالحجة"[١٠].
قال ابن كثير:" أي : لا يفهمون حقًا ، ولا يعرفونه ، ولا يهتدون إليه ، فكيف يتبعونهم والحالة هذه ؟ لا يتبعهم إلا من هو أجهل منهم ، وأضل سبيلا"[١١].
قال ابن الجوزي:أي:لايعلمون" شيئا من الدين ولا يهتدون له، أيتبعونهم في خطئهم"[١٢].
قال الماتريدي:" أي: تتبعون آباءكم وتقتدون بهم، وإن كنتم تعلمون أن آباءكم لا يعلمون شيئا في أمر الدين ولا يهتدون، وكذلك قوله: {قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ} [الزخرف : ٢٤] تتبعون آباءكم وتقتدون بهم، وإن جئتكم بأهدى مما كان عليه آباؤكم؛ يسفههم في أحلامهم في تقليدهم آباءهم، وإن ظهر عندهم أنهم على ضلال وباطل"[١٣].
قال الزمخشري:" «الواو» في قوله {أولو كان آباؤهم}: «واو» الحال، قد دخلت عليها همزة الإنكار. وتقديره: أحسبهم ذلك ولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون، والمعنى: أن الاقتداء إنما يصح بالعالم المهتدى، وإنما يعرف اهتداؤه بالحجة"[١٤].

---

(١) تفسير البغوي:١٠٩/٣.
(٢) بحر العلوم:٤٢٣/١.
(٣) تفسير السمعاني:٧٣/٢.
(٤) تفسير ابن كثير:٢١١/٣.
(٥) زاد المسير:٥٩٤/١.
(٦) المحرر الوجيز:٢٤٩/٢.
(٧) تفسير ابن عثيمين:٢٤٢/٢.
(٨) تفسير الماتريدي:٦٣٥/٣.
(٩) انظر: صفوة التفاسير:٣٤١، والتفسير الميسر:١٢٥.
(١٠) بحر العلوم:٤٢٣/١.
(١١) تفسير ابن كثير:٢١١/٣-٢١٢.
(١٢) زاد المسير:٥٩٤/١.
(١٣) تفسير الماتريدي:٦٣٥/٣.
(١٤) الكشاف:٦٨٥/١.

قال ابن عطية:" قوله:{أولو كان آباؤهم}، ألف التوقيف دخلت على واو العطف كأنهم عطفوا بهذه الجملة على الأولى والتزموا شنيع القول فإنما التوقيف توبيخ لهم، كأنهم يقولون بعده: نعم ولو كانوا كذلك"(١).

والمراد بـ«العقل» هنا عقل الرشد؛ لا عقل الإدراك؛ فآباؤهم أذكياء، ويدركون ما ينفعهم، وما يضرهم؛ لكن ليس عندهم عقل رشد، وهو حسن تصرف(٢).

وإذا قال قائل: إذا كانت للعموم فمعنى ذلك أنهم لا يعقلون شيئاً حتى من أمور الدنيا مع أنهم في أمور الدنيا يحسنون التصرف: فهم يبيعون، ويشترون، ويتحرون الأفضل، والأحسن لهم؟

فيقال: " {لا يعقلون شيئا}، لفظ عام ومعناه الخصوص لأنهم كانوا يعقلون أمر الدنيا، [ومعناه] لا يعقلون شيئا من أمر الدين ولا يهتدون"(٣).

الفوائد:

١-وجوب رد المختلف فيه إلى الكتاب والسنة والرضا بحكمهما.

٢- حرمة تقليد الجهال واتباعهم في أباطيلهم.

١- ومن فوائد الآية: ذم التعصب بغير هدى؛ لقوله تعالى: {قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا}؛ مع أن آباءهم لا عقل عندهم، ولا هدى.

٢ - ومنها: أن من تعصب لمذهب مع مخالفة الدليل ففيه شبه من هؤلاء؛ والواجب أن الإنسان إذا قيل له: «تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسولالله» أن يقول: «سمعنا، وأطعنا».

٣ - ومنها: أنه لا يجب الانقياد إلا لما أنزل الله وإلى الرسول- وهو الكتاب، والسنة.

٤ - ومنها: بيان عناد هؤلاء المستكبرين الذين إذا قيل لهم: {تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول} قالوا: { قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا} دون أن يقيموا برهاناً على صحته.

٥ - ومنها: أن كل من خالف الحق، وما أنزل الله فليس بعاقل، وليس عنده هدًى؛ لقوله تعالى: {لا يعلمون شيئا ولا يهتدون}.

٦- قال علماؤنا : وقوة ألفاظ هذه الآية تعطي إبطال التقليد، وقد تعلق قوم بهذه الآية في ذم التقليد لذم الله تعالى الكفار باتباعهم لآبائهم في الباطل ، واقتدائهم بهم في الكفر والمعصية، وهذا في الباطل صحيح ، أما التقليد في الحق فأصل من أصول الدين ، وعصمة من عصم المسلمين يلجأ إليها الجاهل المقصر عن درك النظر. واختلف العلماء في جوازه في مسائل الأصول، وأما جوازه في مسائل الفروع فصحيح، والتقليد عند العلماء حقيقته قبول قول بلا حجة ، وعلى هذا فمن قبل قول النبي صلى الله عليه وسلم من غير نظر في معجزته يكون مقلدا ، وأما من نظر فيها فلا يكون مقلدا(٤).

القرآن

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (١٠٥)} [المائدة : ١٠٥]

التفسير:

يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه ألزموا أنفسكم بالعمل بطاعة الله واجتناب معصيته، وداوموا على ذلك وإن لم يستجب الناس لكم، فإذا فعلتم ذلك فلا يضركم ضلال مَن ضلَّ إذا لزمتم طريق الاستقامة، وأمرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر، إلى الله مرجعكم جميعًا في الآخرة، فيخبركم بأعمالكم، ويجازيكم عليها.

---

(١) المحرر الوجيز:٢/٢٤٩.

(٢) انظر: تفسير ابن عثيمين:٢/٢٤٢.

(٣) تفسير الثعلبي:٢/٤٠-٤١.

(٤) انظر: تفسير القرطبي: ٢/٢١١.

في سبب نزول الآية قولان:

أحدهما: نقل الواحدي: عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس:"كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهل هجر- وعليهم منذر بن ساوى- يدعوهم إلى الإسلام، فإن أبوا فليؤدوا الجزية. فلما أتاه الكتاب عرضه على من عنده من العرب واليهود والنصارى والصابئين والمجوس، فأقروا بالجزية، وكرهوا الإسلام. وكتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أما العرب فلا تقبل منهم إلا الإسلام أو السيف، وأما أهل الكتاب والمجوس فاقبل منهم الجزية» . فلما قرأ عليهم كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، أسلمت العرب، وأما أهل الكتاب والمجوس فأعطوا الجزية، فقال منافقو العرب: عجبا من محمد، يزعم أن الله بعثه ليقاتل الناس كافة حتى يسلموا، ولا يقبل الجزية إلا من أهل الكتاب، فلا نراه إلا قبل من مشركي أهل هجر ما رد على مشركي العرب! فأنزل الله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم يعني من ضل من أهل الكتاب}"(١).[ضعيف]

والثاني: قال عمر مولى غفرة: "إنما نزلت هذه الآية: لأن الرجل كان يسلم ويكفر أبوه، ويسلم الرجل ويكفر أخوه، فلما دخل قلوبهم حلاوة الإيمان دعوا آباءهم وإخوانهم. فقالوا: حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا، فأنزل الله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم}"(٢).

قوله تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} [المائدة : ١٠٥]، أي:" يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه"(٣).

قال ابن عباس:" ما أنزل الله آية في القرآن، يقول فيها: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا}، إلا كان على شريفها وأميرها"(٤).

قال ابن مسعود رضي الله عنه: "إذا سمعت الله يقول: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} فأرعها سمعك؛ فإنه خير يأمر به، أو شر ينهى عنه"(٢).

قال ابن عثيمين:"إن تصدير الحكم بالنداء دليل على الاهتمام به؛ لأن النداء يوجب انتباه المنادَى؛ ثم النداء بوصف الإيمان دليل على أن تنفيذ هذا الحكم من مقتضيات الإيمان؛ وعلى أن فواته نقص في الإيمان"(٥)

قوله تعالى:{عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ} [المائدة : ١٠٥]، أي:" ألزموا أنفسكم بالعمل بطاعة الله واجتناب معصيته، وداوموا على ذلك وإن لم يستجب الناس لكم"(٦).

قال الطبري:أي:" فأصلحوها ، واعملوا في خلاصها من عقاب الله تعالى ذكره ، وانظروا لها فيما يقرِّبها من ربها"(٧).

قال البيضاوي:" أي إحفظوها والزموا إصلاحها"(٨).

قال ابن كثير:" يقول تعالى آمرًا عباده المؤمنين أن يصلحوا أنفسهم ويفعلوا الخير بجهدهم وطاقتهم"(٩).

قال السمرقندي:" معناه: الزموا أنفسكم كما تقول: عليك زيدا، معناه: الزم زيدا. معناه: الزموا أمر أنفسكم"(١٠).

---

(١)أسباب النزول(٤٢٠):ص٢١٤، إسناده ضعيف لضعف الكلبي.
(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٩٢٥):ص١٢٢٨/٤.
(٣) التفسير الميسر:١٢٥.
(٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٣٥):ص١٩٦/١.
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٣٧):ص ١٩٦/١، و(٥٠٢٧):ص٩٠٢/٣
(٥) انظر: تفسير ابن عثيمين: ٣٣٧/١.
(٦) التفسير الميسر:١٢٥.
(٧) تفسير الطبري:١٣٨/١١.
(٨) تفسير البيضاوي:١٤٧/٢.
(٩) تفسير ابن كثير:٢١٢/٣.
(١٠) بحر العلوم:٤٢٣/١.

قال السعدي:" أي: اجتهدوا في إصلاحها وكمالها وإلزامها سلوك الصراط المستقيم"(١).
قال الصابوني:" أي: احفظوها عن ملابسة المعاصي والإصرار على الذنوب والزموا إصلاحها"(٢).
قال الزمخشري:" كان المؤمنون تذهب أنفسهم حسرة على أهل العتو والعناد من الكفرة، يتمنون دخولهم في الإسلام، فقيل لهم عليكم أنفسكم وما كلفتم من إصلاحها والمشي بها في طرق الهدى"(٣).
عن سفيان:"{عليكم أنفسكم}، قال: عليكم أهل دينكم"(٤).
قال السدي:" يقول: أهل ملتكم مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر"(٥).
عن الربيع عن صفوان بن محرز قال: "أتاه رجل من أصحاب الأهواء، فذكر له بعض أمره. فقال له صفوان: ألا أدلك على خاصة الله التي خص بها أولياءه: {يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم}"(٦).
عن أبي أمية الشعباني قال: "أتيت أبا ثعلبة الخشني، فقلت: كيف تصنع بهذه الآية؟ قال: وأية آية؟ قال: قلت: {يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم}، فقال أبو ثعلبة: أما والله لقد سألت عنها خبيرا: سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: بل امروا بالمعروف، وتناهوا عن المنكر حتى إذا رأيت شحا مطاعا، وهوى متبعا، ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، ورأيت أيام الصبر، صبر منهن على مثل قبض على الجمر للعامل فيهن كأجر خمسين رجلا يعملون مثل عمله"(٧).
وقرأ نافع: «عليكم أنفسكم»، بالرفع(٨).
قوله تعالى:{لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ} [المائدة : ١٠٥]، أي:" أي لا يضركم ضلال من ضلَّ من الناس إذا كنتم مهتدين"(٩).
قال السمرقندي:معناه" لا يؤاخذكم بذنوب غيركم"(١٠).
قال الطبري:" يقول : لا يضركم من كفر وسلك غير سبيل الحق ، إذا أنتم اهتديتم وآمنتم بربكم ، وأطعتموه فيما أمركم به وفيما نهاكم عنه ، فحرمتم حرامه وحللتم حلاله"(١١).
قال السعدي:أي:" فإنكم إذا صلحتم لا يضركم من ضل عن الصراط المستقيم، ولم يهتد إلى الدين القويم، وإنما يضر نفسه. ولا يدل هذا على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لا يضر العبد تركهما وإهمالهما، فإنه لا يتم هداه، إلا بالإتيان بما يجب عليه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. نعم، إذا كان عاجزا عن إنكار المنكر بيده ولسانه وأنكره بقلبه، فإنه لا يضره ضلال غيره"(١٢).

---

(١) تفسير السعدي:٢٤٦.
(٢) صفوة التفاسير:٣٤١.
(٣) الكشاف:٦٨٥/١.
(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٩١٦):ص١٢٢٦/٤.
(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٩١٧):ص١٢٢٦/٤.
(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٩١٨):ص١٢٢٦/٤.
(٧) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٩١٥):ص١٢٢٥/٤، وأخرجه الطبري(١٢٨٦٢):ص١٤٥/١١، وروى نحوه الطحاوى فى مشكل الآثار ج ٢ ص ٦٤، وروى نحوه ابن ماجة في السنن ج ٢، كتاب الفتن «باب قوله تعالى يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ» الآية ص ١٣٣٠، ١٣٣١ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.
وروى نحوه أيضا الترمذي في سننه، كتاب التفسير(٣٠٥٨):٢٤١/٥، وقال: هذا حديث حسن غريب.
(٨) انظر: الكشاف:٦٨٦/١.
(٩) صفوة التفاسير:٣٤١.
(١٠) بحر العلوم:٤٢٣/١.
(١١) تفسير الطبري:١٣٨/١١.
(١٢) تفسير السعدي:٢٤٦.

قال ابن كثير:أخبرهم انه"من أصلح أمره لا يضره فساد من فسد من الناس ، سواء كان قريبًا منه أو بعيدًا"(١).

قال الزمخشري:" لا يضركم الضلال عن دينكم إذا كنتم مهتدين، كما قال عز وجل لنبيه عليه الصلاة والسلام : {فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ} [فاطر : ٨]، وكذلك من يتأسف على ما فيه الفسقة من الفجور والمعاصي، ولا يزال يذكر معايبهم ومناكيرهم. فهو مخاطب به، وليس المراد ترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، فإن من تركهما مع القدرة عليهما فليس بمهتد، وإنما هو بعض الضلال الذين فصلت الآية بينهم وبينه"(٢).

قال ابن عطية:" معناه إذا لم يقبل منكم ولم تقدروا على تغيير منكره"(٣).

وفي تفسير قوله تعالى:{لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ} [المائدة : ١٠٥]، أقوال:

أحدها: معنى ذلك: أنّ العبد إذا عمل بطاعة الله لم يضره من ضَلَّ بعده وهلك.

عن ابن عباس:" قوله: {لا يضركم من ضل إذا اهتديتم }، يقول: إذا ما أطاعني العبد فيما أمرته من الحلال والحرام فلا يضره من ضل بعده إذا عمل بما أمرته به"(٤).

قال ضمرة بن ربيعة :" ، تلا الحسن هذه الآية :{ يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضلّ إذا اهتديتم}، فقال الحسن : الحمد لله بها ، والحمد لله عليها ، ما كان مؤمن فيما مضى ، ولا مؤمن فيما بقي ، إلا وإلى جانبه منافق يكرَه عمله"(٥).

والثاني: معنى ذلك : " يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم " ، فاعملوا بطاعة الله " لا يضركم من ضلّ إذا اهتديتم " ، فأمرتم بالمعروف ، ونهيتم عن المنكر.

قال سعيد بن المسيب:" إذا أمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر ، لا يضرك من ضل إذا اهتديت"(٦).

وقال حذيفة :"يقول: أطيعوا أمري واحفظوا وصيتي"(٧).

قال أبو بكر : "تقرءون هذه الآية : {لا يضركم من ضلّ إذا اهتديتم}، وإن الناس إذا رأوا الظالم قال ابن وكيع فلم يأخذوا على يديه ، أوشك أن يعمّهم الله بعقابه"(٨).

عن السدي قوله : "{ يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضلّ إذا اهتديتم} ، يقول : مُروا بالمعروف وانهوا عن المنكر ، قال أبو بكر بن أبي قحافة : يا أيها الناس لا تغترُّوا بقول الله : {عليكم أنفسكم }، فيقول أحدكم : عليَّ نفسي ، والله لتأمرن بالمعروف وتنهوُنَّ عن المنكر ، أو ليَستعملن عليكم شراركم ، فليسومنّكم سوء العذاب ، ثم ليدعون الله خياركم ، فلا يستجيب لهم"(٩).

عن قيس بن أبي حازم:" سمعت أبا بكر يقول وهو يخطب الناس : يا أيها الناس ، إنكم تقرءون هذه الآية ولا تدرون ما هي ؟ : { يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضلّ إذا اهتديتم }، وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن الناس إذا رأوا منكرًا فلم يغيِّروه ، عمّهم الله بعقاب"(١٠).

والرابع: أن معنى هذه الآية : لا يضركم من حاد عن قصد السبيل وكفر بالله من أهل الكتاب وغيرهم من المشركين.

---

(١) تفسير ابن كثير:٢١٢/٣.
(٢) الكشاف:٦٨٥/١.
(٣) المحرر الوجيز:٤٨٦/١.
(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٩٢٧):ص١٢٢٨/٤.
(٥) أخرجه الطبري(١٢٨٦٨):ص١٤٨/١١.
(٦) أخرجه الطبري(١٢٨٦٩):ص١٤٨/١١.
(٧) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٩٢٦):ص١٢٢٨/٤.
(٨) أخرجه الطبري(١٢٨٧١):ص١٤٨/١١.
(٩) أخرجه الطبري(١٢٨٧٤):ص١٤٩/١١.
(١٠) أخرجه الطبري(١٢٨٧٨):ص١٥١/١١.

عن سعيد بن جبير في قوله : "{لا يضركم من ضلّ إذا اهتديتم}، قال : يعني من ضلّ من أهل الكتاب"(١). وفي رواية:"أنزلت في أهل الكتاب"(٢).
قال مقاتل بن حيان:" لا يضركم ضلالة من ضل من مجوس أهل هجر وغيرهم من المشركين وأهل الكتاب من النصارى واليهود"(٣).
عن أبي سنان:"{لا يضركم من ضل إذا اهتديتم}، قال: من الأمم إذا اهتديتم"(٤).
علي بن مدرك عن أبي عامر:" أنه كان فيهم شيء فاحتبس على النبي صلى الله عليه وسلم ثم أتاه، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: ما حبسك. قال: يا رسول الله قرأت هذه الآية: {يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل} من الكفار {إذا اهتديتم}"(٥).
والخامس: عنى بذلك كل من ضل عن دين الله الحق.
قال ابن زيد في قوله : " {يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضَل إذا اهتديتم}، قال : كان الرجل إذا أسلم قالوا له : سفَّهت آباءك وضللتهم ، وفعلت وفعلت ، وجعلت آباءك كذا وكذا! كان ينبغي لك أن تنصرهم ، وتفعل! فقال الله تعالى : {يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضلّ إذا اهتديتم}"(٦).
والسادس:أن المراد: إذا أمرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر فلم يُقبل منكم.
عن أبي العالية عن عبد الله بن مسعود:" قال: كانوا عند عبد الله بن مسعود جلوسا فكان بين جلساء عبد الله: ألا أقوم فآمرهما بالمعروف وأنهاهما عن المنكر. فقال أخى إلى جنبه: عليك بنفسك فإن الله يقول: {يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم}، قال: فسمعها ابن مسعود. فقال: مه لم يجئ تأويل هذه الآية بعد(٧). إن القرآن أنزل حيث أنزل، ومنه آي: قد مضى تأويلهن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومنه أي: يقع تأولهن بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بسنين. ومنه آي: يقع تأويلهن بعد اليوم. ومنه آي: يقع تأويلهن عند الحساب ما ذكر من الحساب والجنة والنار. فما دامت قلوبكم واحدة وأهواءكم واحدة ولم تلبسوا شيعا ولم يزق بعضكم بأس بعض، فمروا وانهوا فإذا اختلفت القلوب والأهواء وألبستم شعيا، وذاق بعضكم بأس بعض فكل امرئ ونفسه فعند ذلك جاء تأويل هذه الآية"(٨).
عن مكحول: "أن رجلا سأله عن قول الله عز وجل: {يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم}، فقال: إن تأويل هذه الآية لم يجئ، إذا هاب الواعظ وأنكر الموعوظ، فعليك لا يضرك حينئذ من ضل إذا اهتديت"(٩).
قال سفيان بن عقال: "قيل لابن عمر : لو جلست في هذه الأيام فلم تأمر ولم تنه ، فإن الله تعالى ذكره يقول : {عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم} ؟ فقال ابن عمر : إنها ليست لي ولا لأصحابي ، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «ألا فليبلّغ الشاهد الغائبَ» ، فكنَّا نحن الشهودَ وأنتم الغَيَب، ولكن هذه الآية لأقوام يجيئون من بعدنا ، إن قالوا لم يقبل منهم"(١٠).

---

(١) أخرجه الطبري(١٢٨٧٩):ص١٥٢/١١.
(٢)أخرجه الطبري(١٢٨٨٠):ص١٥٢/١١.
(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٩٢٨):ص١٢٢٨/٤.
(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٩٢١):ص١٢٢٦/٤.
(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٩٢٠):ص١٢٢٦/٤-١٢٢٧.
(٦)أخرجه الطبري(١٢٨٨١):ص١٥٢/١١.
(٧) علّق عليه الزمخشري في الكشاف:٦٨٦/١، قائلا:" فهي على هذا تسلية لمن يأمر وينهى فلا يقبل منه، وبسط لعذره".
(٨) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٩٢٢):ص١٢٢٧/٤.
(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٩٢٣):ص١٢٢٧/٤.
(١٠) أخرجه الطبري(١٢٨٥١):١٣٩/١١.

قال أبو زمان:" انطلقت على عهد عثمان إلى المدينة ، فإذا قومٌ من المسلمين جلوس ، فقرأ أحدهم هذه الآية : {عليكم أنفسكم}، فقال أكثرهم : لم يجئ تأويل هذه الآية اليوم"(١).

قال سوّار بن شبيب :" كنت عند ابن عمر ، إذ أتاه رجل جليدٌ في العين ، شديد اللسان ، فقال : يا أبا عبد الرحمن ، نحن ستة كلهم قد قرأ القرآن فأسرع فيه ،وكلهم مجتهد لا يألو ، وكلهم بغيضٌ إليه أن يأتي دناءةً ، وهم في ذلك يشهد بعضهم على بعض بالشرك! فقال رجل من القوم : وأيَّ دناءة تريد ، أكثرَ من أن يشهد بعضهم على بعض بالشرك! قال : فقال الرجل : إني لستُ إيّاك أسأل ، أنا أسأل الشيخ! فأعاد على عبد الله الحديث ، فقال عبد الله بن عمر : لعلك ترى لا أبا لك ، إني سآمرك أن تذهب أن تقتلهم! عظهم وانههم ، فإن عصوك فعليك بنفسك ، فإن الله تعالى يقول :{يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون}"(٢).

وعن قتادة ، عن رجل قال : "كنت في خلافة عثمان بالمدينة ، في حلقة فيهم أصحابُ النبي صلى الله عليه وسلم ، فإذا فيهم شيخ يُسْنِدون إليه ، فقرأ رجل :{عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم}، فقال الشيخ : إنما تأويلها آخرَ الزمان"(٣).

قال جبير بن نفير :" كنت في حلقة فيها أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإنّي لأصغر القوم ، فتذاكروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فقلت أنا : أليس الله يقول في كتابه : {يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضلّ إذا اهتديتم} ؟ فأقبلوا عليَّ بلسان واحد وقالوا : أتنتزع بآية من القرآن لا تعرفها، ولا تدري ما تأويلها!! حتى تمنيت أني لم أكن تكلمت. ثم أقبلوا يتحدثون ، فلما حضر قيامهم قالوا : " إنك غلام حدَثُ السن ، وإنك نزعت بآية لا تدري ما هي ، وعسى أن تدرك ذلك الزمان ، إذا رأيت شحًّا مطاعًا ، وهوًى متبعًا وإعجابَ كل ذي رأي برأيه ، فعليك بنفسك ، لا يضرك من ضل إذا اهتديت"(٤).

قال الحسن:" تأوّل بعضُ أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم هذه الآية :{يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضلّ إذا اهتديتم}، فقال بعض أصحابه : دعوا هذه الآية ، فليست لكم"(٥).

وعن كعب: "في قول الله: {عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم}، قال: إذا هدمت كنيسة مسجد دمشق فجعلوها مسجدا وظهر لبس العصب فحينئذ تأويل هذه الآية"(٦).

عن يحيى بن أبي عمرو الشيباني :" أن أبا الدرداء وكعبا كانا جالسين بالجابية، فأتاهما آت فقال: لقد رأيت اليوم أمرا إن كان لحقا على من رآه أن يغيره، فقال رجل: إن الله يقول: {يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ الآية}، فقال كعب: إن هذا لا يقول شيئا، ذبّ عن محارم الله كما تذب عن عينيك حتى يأتي تأويلها، قال:فانتبه لها أبو الدرداء فقال: متى يأتي تأويلها؟ قال: إذا هدمت كنيسة دمشق وبني مكانها مسجد فذاك من تأويلها، وإذا رأيت الكاسيات العاريات فذلك من تأويلها، وذكر خصلة ثالثة لا أحفظها فذلك من تأويلها، قال أبو مسهر:وكان هدم الكنيسة بعهد الوليد بن عبد الملك أدخلها في مسجد دمشق فزاد في سعته بها"(٧).

---

(١) أخرجه الطبري(١٢٨٥٢):١٤٠/١١.
(٢) أخرجه الطبري(١٢٨٥٤):ص١٤٠/١١-١٤١.
(٣) أخرجه الطبري(١٢٨٥٦):ص١٤١/١١-١٤٢.
(٤) أخرجه الطبري(١٢٨٥٨):ص١٤٢/١١-١٤٣.
(٥) أخرجه الطبري(١٢٨٦١):ص١٤٤/١١-١٤٥.
(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٩٢٤):ص١٢٢٧/٤.
(٧) الناسخ والمنسوخ للقاسم بن سلام:٢٨٧/١-٢٨٨، وروي جزءا منه ابن ابي حاتم في تفسيره(٦٩٢٤):ص١٢٢٧/٤. ونصه:"إذا هدمت كنيسة مسجد دمشق فجعلوها مسجدا وظهر لبس العصب فحينئذ تأويل هذه الآية".

قال أبو عبيد: وقد أروني مكانها هناك والناحية التي كانت بها قبل الهدم"[١].

قال عبد القادر بدران في تحقيقه لتهذيب تاريخ دمشق عند سياق هذا الأثر: "أقول: تأويل هذه الآية على هذا الوجه مما لا يحتمله لفظها ولا يدل شيء على تقييدها بهذا الذي قيده بها كعب، وفي الأحاديث الواردة في تأويلها ما ينفي هذا من أصله"[٢].

قال الإمام الطبري:" وأولى هذه الأقوال وأصحّ التأويلات عندنا بتأويل هذه الآية ، ما روي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه فيها ، وهو : {يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم}، الزموا العملَ بطاعة الله وبما أمركم به ، وانتهوا عما نهاكم الله عنه:{لا يضركم من ضل إذا اهتديتم}، يقول : فإنه لا يضركم ضلال من ضل إذا أنتم لزمتم العمل بطاعة الله، وأدَّيتم فيمن ضل من الناس ما ألزمكم الله به فيه ، من فرض الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي يركبه أو يحاول ركوبه ، والأخذ على يديه إذا رام ظلمًا لمسلم أو معاهد ومنعه منه فأبى النزوع عن ذلك ، ولا ضير عليكم في تماديه في غيِّه وضلاله ، إذا أنتم اهتديتم وأديتم حق الله تعالى ذكره فيه.

وإنما قلنا ذلك أولى التأويلات في ذلك بالصواب ، لأن الله تعالى ذكره أمر المؤمنين أن يقوموا بالقسط ، ويتعاونوا على البر والتقوى. ومن القيام بالقسط ، الأخذ على يد الظالم. ومن التعاون على البر والتقوى ، الأمر بالمعروف. وهذا مع ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمره بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ولو كان للناس تركُ ذلك ، لم يكن للأمر به معنًى ، إلا في الحال التي رخَّص فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم تركَ ذلك ، وهي حال العجز عن القيام به بالجوارح الظاهرة ، فيكون مرخصًا له تركه ، إذا قام حينئذ بأداء فرض الله عليه في ذلك بقلبه، وإذا كان ما وصفنا من التأويل بالآية أولى ، فبيِّنٌ أنه قد دخل في معنى قوله : {إذا اهتديتم}، ما قاله حذيفة وسعيد بن المسيب من أن ذلك : إذا أمرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر، ومعنى ما رواه أبو ثعلبة الخشني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم"[٣].

قال ابن عطية:" وجملة ما عليه أهل العلم في هذا أن الأمر بالمعروف متعين متى رجي القبول أو رجي رد المظالم ولو بعنف ما لم يخف المرء ضررا يلحقه في خاصيته أو فتنة يدخلها على المسلمين إما بشق عصا وإما بضرر يلحق طائفة من الناس فإذا خيف هذا فعليكم أنفسكم محكم واجب أن يوقف عنده"[٤].

قال القرطبي:" الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر متعين متى رجي القبول، أو رجي رد الظالم ولو بعنف، ما لم يخف الآمر ضررا يلحقه في خاصته، أو فتنة يدخلها على المسلمين، إما بشق عصا، وإما بضرر يلحق طائفة من الناس، فإذا خيف هذا فـ{عليكم أنفسكم} محكم واجب أن يوقف عنده. ولا يشترط في الناهي أن يكون عدلا كما تقدم، وعلى هذا جماعة أهل «٢» العلم فاعلمه"[٥].

وقرئ :«لا يضركم»، وفيه وجهان[٦]:

احدهما: أن يكون خبرا مرفوعا وتنصره قراءة أبى حيوة، «لا يضيركم».

والثاني: أن يكون جوابا للأمر مجزوما.

قال الزمخشري:"وإنما ضمت الراء اتباعا لضمة الضاد المنقولة إليها من الراء المدغمة. والأصل: لا يضرركم. ويجوز أن يكون نهيا، ولا يضركم، بكسر الضاد وضمها من ضاره يضيره ويضوره"[١].

---

(١) الناسخ والمنسوخ للقاسم بن سلام:٢٨٨/١.

(٢)تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ج ١ ص ٢٠٠ تحقيق الشيخ عبد القادر بدران.

(٣) تفسير الطبري:١٥٢/١١-١٥٣.

(٤) المحرر الوجيز:٢٤٩/٢.

(٥) تفسير القرطبي:٣٤٥/٦.

(٦) انظر: الكشاف:٦٨٦/١.

قوله تعالى:{إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا} [المائدة : ١٠٥]، أي:" إلى الله مرجعكم جميعًا في الآخرة"(٢).
قال النسفي:أي:" رجوعكم"(٣).
قال الشوكاني:أي:" يوم القيامة"(٤).
قال البغوي:أي:" الضال والمهتدي"(٥).
قال السعدي:" أي: مآلكم يوم القيامة، واجتماعكم بين يدي الله تعالى"(٦).
قال الآلوسي:أي:" { إِلَى اللَّهِ} لا إلى أحد سواه رجوعكم يوم القيامة {جَمِيعاً} بحيث لا يتخلف عنه أحد من المهتدين وغيرهم "(٧).
قال الطبري:أي:"اعملوا ، أيها المؤمنون ، بما أمرتكم به ، وانتهوا عما نهيتكم عنه ، ومروا أهل الزَّيغ والضلال وما حاد عن سبيلي بالمعروف ، وانهوهم عن المنكر. فإن قبلوا ، فلهم ولكم ، وإن تمادَوْا في غيهم وضلالهم ، فإن إليّ مرجع جميعكم ومصيركم في الآخرة ومصيرهم"(٨).
قوله تعالى:{فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [المائدة : ١٠٥]، أي:" فيخبركم بأعمالكم، ويجازيكم عليها"(٩).
قال النسفي:أي:" ثم يجزيكم على أعمالكم"(١٠).
قال السعدي: أي: "من خير وشر"(١١).
قال الشوكاني:"{فينبئكم بما كنتم تعملون} في الدنيا، فيجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته"(١٢).
قال الطبري:أي:" وأنا العالم بما يعمل جميعكم من خير وشر ، فأخبر هناك كلَّ فريق منكم بما كان يعمله في الدنيا ، ثم أجازيه على عمله الذي قدِم به عليّ جزاءه حسب استحقاقه ، فإنه لا يخفى عليَّ عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى"(١٣).
قال أبو حيان:" أي: مرجع المهتدين والضالين، وغلب الخطاب على الغيبة كما تقول: أنت وزيد تقومان وهذا فيه تذكير بالحشر وتهديد بالمجازاة"(١٤).
قال الآلوسي:أي:"{فَيُنَبِّئُكُمْ} بالثواب والعقاب {بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}، في الدنيا من أعمال الهداية والضلال، فالكلام وعد ووعيد للفريقين، وفيه كما قيل دليل على أن أحدا لا يؤاخذ بعمل غيره وكذا يدل على أنه لا يثاب بذلك"(١٥).
قال البيضاوي:قوله:{ إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون}،" وعد ووعيد للفريقين وتنبيه على أن أحدا لا يؤاخذ بذنب غيره"(١٦).

---

(١) الكشاف:٦٨٦/١.
(٢) التفسير الميسر:١٢٥.
(٣) تفسير النسفي:٤٨١/١.
(٤) فتح القدير:٩٦/٢.
(٥) تفسير البغوي:١١١/٣.
(٦) تفسير السعدي:٢٤٦.
(٧) روح المعاني:٤٥/٤.
(٨) تفسير الطبري:١٥٣/١١-١٥٤.
(٩) التفسير الميسر:١٢٥.
(١٠) تفسير النسفي:٤٨١/١.
(١١) تفسير السعدي:٢٤٦.
(١٢) فتح القدير:٩٦/٢.
(١٣) تفسير الطبري:١٥٤/١١.
(١٤) البحر المحيط:٣٨٨/٤.
(١٥) روح المعاني:٤٥/٤.
(١٦) تفسير البيضاوي:١٤٧/٢.

وللعلماء في حكم هذه الآية قولان:
أحدهما: أنها منسوخة: قال أرباب هذا القول هي تتضمن كف الأيدي عن قتال الضالين فنسخت.
ولهم في ناسخها قولان(١):
أحدهما: آية السيف.
والثاني: أن آخرها نسخ أولها.

قال أبو عبيد القاسم بن سلام:" فلم نجد في القرآن كله آية واحدة جمعت الناسخ والمنسوخ غير هذه الآية"(٢).

قالوا: "وموضع المنسوخ منها إلى قوله: {لا يضركم من ضل}، والناسخ قوله: {إذا اهتديتم} والهدى ها هنا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"(٣).

قال ابن الجوزي:" وهذا الكلام إذا حقق لم يثبت"(٤).
والقول الثاني: أنها محكمة(٥).

قال الزجاج: معناها: "إنما ألزمكم الله أمر أنفسكم لا يؤاخذكم الله بذنوب غيركم، وليس يوجب لفظ هذه الآية ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأعلم أنه لا يضر المؤمن كفر الكافر، فإذا ترك المؤمن الأمر بالمعروف وهو مستطيع ذلك فهو ضال، وليس بمهتد"(٦).

قال ابن الجوزي: وهذا القول هو الصحيح وأنها محكمة. ويدل على إحكامها أربعة أشياء:
أحدها: أن قوله: {عليكم أنفسكم} يقتضي إغراء الإنسان بمصالح نفسه، ويتضمن الإخبار بأنه لا يعاقب بضلال غيره وليس مقتضى ذلك أن لا ينكر على غيره وإنما غاية الأمر أن يكون ذلك مسكوتا عنه فيقف على الدليل.
والثاني: أن الآية تدل على وجوب الأمر بالمعروف. لأن قوله: {عليكم أنفسكم} أمر بإصلاحها وأداء ما عليها، وقد ثبت وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فصار من جملة ما على الإنسان في نفسه أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر. وقد دل على ما قلنا قوله: {إذا اهتديتم} وإنما يكون الإنسان مهتديا إذا امتثل أمر الشرع، ومما أمر الشرع به الأمر بالمعروف.

وقد روي عن الحسن: "أن هذه الآية قرئت على ابن مسعود : {يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضَلّ إذا اهتديتم}، فقال ابن مسعود : ليس هذا بزمانها ، قولوها ما قُبلت منكم ، فإذا رُدّت عليكم فعليكم أنفسكم"(٧).

عن قيس بن أبي حازم قال : "سمعت أبا بكر يقول وهو يخطب الناس : يا أيها الناس ، إنكم تقرءون هذه الآية ولا تدرون ما هي ؟ : {يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضلّ إذا اهتديتم}، وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:إن الناس إذا رأوا منكرًا فلم يغيِّروه ، عمّهم الله بعقاب"(٨).
والثالث: أن الآية قد حملها قوم على أهل الكتاب إذا أدوا الجزية فحينئذ لا يلزمون بغيرها. وهذا قول ابن عباس من طريق الكلبي عن أبي صالح"(٩).

---

(١) انظر: نواسخ القرآن لابن الجوزي:٤١٥/٢-٤١٦.
(٢) الناسخ والمنسوخ:٢٨٦/١.
(٣) ذكر ذلك هبة الله في كتابه الناسخ والمنسوخ ص: ٤٢، كما ذكر نحوه ابن العربي في أحكام القرآن٢/ ٧٩ عن بعض العلماء. واللفظ لابن الجوزي في نواسخ القرآن:٤١٥/٢.
(٤) نواسخ القرآن:٤١٦/٢.
(٥)أورد ابن الجوزي هذه القضية في مختصر عمدة الراسخ ورقة (٦)، ورجح الإحكام. وأما في تفسيره:٢/ ٤٤٣ فسكت عن الترجيح. أما النحاس فلم يتعرض لها ألبتة. وحكى مكي بن أبي طالب عن الأكثرين أنها محكمة. انظر: الإيضاح ص: ٢٣٧.
(٦) معاني القرآن:٢١٤/٢، وذكره عنه ابن الجوزي في نواسخ القرآن:٤١٦/٢، وزاد المسير٢/ ١٠٦.
(٧) انظر: تفسير الطبري(١٢٨٤٨):ص١٣٨/١١.
(٨) أخرجه الطبري(١٢٨٧٨):ص١٥١/١١، وانظر: (١٢٨٧٧):ص١٥٠/١١-١٥١.
(٩)أسباب النزول(٤٢٠):ص٢١٤، إسناده ضعيف لضعف الكلبي.

والرابع: أنه لما عابهم في تقليد آبائهم بالآية المتقدمة أعلمهم بهذه الآية أن المكلف إنما يلزمه حكم نفسه وأنه لا يضره ضلال من ضل إذا كان مهتديا حتى يعلموا أنه لا يلزمهم من ضلال آبائهم شيء من الذم والعقاب. أخرج الطبريعن ابن زيد نحو هذا المعنى(١).

قال ابن الجوزي:"وإذا تلمحت هذه المناسبة بين الآيتين لم يكن الأمر للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ها هنا مدخل وهذا أحسن الوجوه في الآية"(٢).

قال الإمام الشوكاني:" وليس في الآية ما يدل على سقوط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإن من تركه مع كونه من أعظم الفروض الدينية فليس بمهتد، وقد قال الله سبحانه: إذا اهتديتم، وقد دلت الآيات القرآنية، والأحاديث المتكاثرة، على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وجوبا مضيقا متحتما، فتحمل هذه الآية على من لا يقدر على القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أو لا يظن التأثير بحال من الأحوال، أو يخشى على نفسه أن يحل به ما يضره ضررا يسوغ له معه الترك"(٣).

قال العلّامة محمد الأمين الشنقيطي:" فالحق وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وبعد أداء الواجب لا يضر الآمر ضلال من ضل . وقد دلت الآيات كقوله تعالى: {وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً} [الأنفال : ٢٥]، والأحاديث على أن الناس إن لم يأمروا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر ، عمهم الله بعذاب من عنده ، فمن ذلك ... وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال : " يا أيها الناس إنكم تقرءون هذه الآية (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ) وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " إن رأى الناس الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه»(٤)"(٥).

الفوائد:

١- وجوب إصلاح المؤمن نفسه وتطهيرها من آثار الشرك والمعاصي وذلك بالإيمان والعمل الصالح، إذ ان إصلاح النفس والعناية بها من مقتضيات الإيمان.

٢- ضلال الناس لا يضر المؤمن إذا أمرهم بالمعروف ونهاهم عن المنكر.

قالت العلماء: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يتعيّن متى رُجي القبول والتغيير فإن كان هناك عدم رجاء فلا يجب الأمر والنهي. وكذا يسقط إذا خاف ضرراً يلحقه لا يقوى عليه أو يلحق غيره من المسلمين.

٣- تقرير مبدأ البعث الآخر، والإيمان بالبعث أحد اركان الإيمان الستة.

٤-أن الإنسان لايؤاخذ بحديث النفس، لقوله:{بما كنتم تعملون}، وحديث النفس ليس عملا، ذلك لقوله-صلى الله عليه وسلم-:"إن الله تجاوز عن امتي ما حدثت به أنفسها ما لم تعمل أو تتكلم"(٦).

ولكن إذا ركن الإنسان إلى حديث النفس واطمأن إليه واعتقده فحينئذ يكون قد عمل عملا قلبيا لا جوارحيا.

٥-إحاطة علم الله تعالى بكل شيء، لقوله:{فينبئكم بما كنتم تعملون}.

القرآن

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَمِنَ الْآثِمِينَ (١٠٦)} [المائدة : ١٠٦]

---

(١) انظر: تفسير الطبري(١٢٨٨١):ص١٥٢/١١.

(٢) انظر: نواسخ القرآن:٤١٦/٢-٤١٩.[بتصرف]

(٣) فتح القدير:٩٦/٢.

(٤)رواه أبو داود (٤٣٣٨)، والترمذي (٢١٦٨)، والنسائي بأسانيد صحيحة (وصححه الألباني في صحيح الترمذي برقم(٢٤٤٨).

(٥)أضواء البيان ١٦٩/٢.

(٦) رواه البخاري(٢٣٩١)/ ومسلم(١٢٧) من حديث أبي هريرة-رضي الله عنه-.

التفسير:
يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه إذا قرب الموت من أحدكم، فلْيُشْهد على وصيته اثنين أمينين من المسلمين أو آخرين من غير المسلمين عند الحاجة، وعدم وجود غيرهما من المسلمين، تُشهدونهما إن أنتم سافرتم في الأرض فحلَّ بكم الموت، وإن ارتبتم في شهادتهما فقفوهما من بعد الصلاة -أي صلاة المسلمين، وبخاصة صلاة العصر-، فيقسمان بالله قسمًا خالصًا لا يأخذان به عوضًا من الدنيا، ولا يحابيان به ذا قرابة منهما، ولا يكتمان به شهادة لله عندهما، وأنهما إن فَعَلا ذلك فهما من المذنبين.
سبب النزول:
قال ابن عباس-رضي الله عنهما-:" خرج رجل من بني سهم مع تميم الداري، وعدي[1] بن بداء، فمات السهمي بأرض ليس بها مسلم، فلما قدما بتركته، فقدوا جاما[2] من فضة مخوصا[3] من ذهب، فأحلفهما رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم وجد الجام بمكة، فقالوا: ابتعناه من تميم وعدي، فقام رجلان من أوليائه[4]، فحلفا لشهادتنا أحق من شهادتهما، وإن الجام لصاحبهم، قال: وفيهم نزلت هذه الآية: {يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت} [المائدة: ١٠٦]"[5].[صحيح]
قوله تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} [المائدة : ١٠٦]،أي:" يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه"[6].
قال ابن مسعود رضي الله عنه: "إذا سمعت الله يقول: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} فأرعها سمعك؛ فإنه خير يأمر به، أو شر ينهى عنه"[2].
قال خيثمة: "ما تقرأون في القرآن: {يا أيها الذين آمنوا}، فإنه في التوراة: يا أيها المساكين"[7].
قوله تعالى:{شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ} [المائدة : ١٠٦]،أي:" إذا شارف أحدكم على الموتِ وظهرت علائمه فينبغي أن يُشهد على وصيته"[8].
قال الطبري:" يقول : ليشهد بينكم وقت الوصية "[9].
قال البغوي:" أي: ليشهد اثنان، لفضه خبر ومعناه أمر، وقيل: معناه: أن الشهادة فيما بينكم على الوصية عند الموت اثنان"[10].
قال الزجاج:" معناه: أن الشهادة في وقت الوصية هي للموت ليس أن الموت حاضره

---

(١)تميم. . عدي) كانا نصرانيين عندما حدثت القصة المذكورة في الحديث وتميم أسلم بعد ذلك رضي الله عنه وأما عدي فلم يسلم.
(٢)جاما: كأسا.
(٣)(مخوصا) منقوشا فيه خطوط دقيقة طويلة كالخوص وهو ورق النخل.
(٤)(أوليائه) من أولياء السهمي والرجلان هما عمرو بن العاص والآخر قيل هو المطلب بن أبي وداعة رضي الله عنهما.
(٥)أخرجه البخاري (٢٧٨٠)، وأبو داود (٣٦٠٦)، والترمذي في التفسير(٣٠٦٠)، وقال: حسن غريب، وأخرجه الدارقطني: ٤/ ١٦٦، والطبري (١٢٩٦٦):ص١٨٥/١١، والجصاص في «الأحكام»: ٤/ ١٦٠، والطبراني:١٢/ ٧١، والواحدي: (٤٢١):ص٢١٥، والبيهقي:١٠/ ١٦٥ كلهم من حديث ابن عباس به، فهو من مسند ابن عباس، وهو مختصر كما ترى.
وزاد السيوطي نسبته في الدر (٢/ ٣٤٢) لابن المنذر والنحاس وأبي الشيخ وابن مردويه.
(٦) التفسير الميسر:١٢٥.
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٣٧):ص ١٩٦/١، و(٥٠٢٧):ص٩٠٢/٣
(٧) أخرجه ابن أبي حاتم(٥٠٢٦):ص٩٠٢/٣.
(٨) صفوة التفاسير:٣٤١.
(٩) تفسير الطبري:١٥٤/١١.
(١٠) تفسير البغوي:١١١/٣.

وهو يوصي بما يقول الموصي، صحيحا كان أو غير صحيح: إذا حضرني الموت، أو إذا مت فافعلوا واصنعوا"[١].

قال الزمخشري:" وحضور الموت: مشارفته وظهور أمارات بلوغ الأجل"[٢].

قال ابن الجوزي:" فأما «حضور الموت» فهو حضور أسبابه ومقدماته. وقوله تعالى: حين الوصية، أي: وقت الوصية"[٣].

وفي هذه الشهادة ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها الشهادة على الوصية التي ثبتت عند الحكام، وهو قول ابن مسعود، وأبي موسى، وشريح، وابن أبي ليلى، والأوزاعي، والثوري، والجمهور.

والثاني: أنها أيمان الوصي بالله تعالى إذا ارتاب الورثة بهما، وهو قول مجاهد، واختاره الطبري[٤].

والثالث: أنها شهادة الوصية، أي: حضورها، كقوله تعالى: {أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ} [البقرة : ١٣٣]، جعل الله الوصي هاهنا اثنين تأكيدا[٥].

واستدل أرباب هذا القول بقوله تعالى: فيقسمان بالله قالوا: والشاهد لا يلزمه يمين[٦].

قوله تعالى:{اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ} [المائدة : ١٠٦]، أي يُشهد على الوصية شخصين عدلين من المسلمين أو اثنان من غير المسلمين إن لم تجدوا شاهدين منكم"[٧].

قال سعيد بن المسيب:" : ذَوَي عقل"[٨].

قال الطبري:" يقول : ذوا رشد وعقل وحِجًى من المسلمين"[٩].

قال الزمخشري:" {منكم}، يعني: من أقاربكم، و{من غيركم }، من الأجانب، يعنى: إن وقع الموت في السفر ولم يكن معكم أحد من عشيرتكم، فاستشهدوا أجنبيين على الوصية، جعل الأقارب أولى لأنهم أعلم بأحوال الميت وبما هو أصلح وهم له أنصح"[١٠].

وفي قوله: {مِنْكُمْ} [المائدة : ١٠٦]، قولان:

أحدهما:من أهل دينكم وملتكم، قاله ابن مسعود[١١]، وابن عباس[١٢]، ومجاهد[١٣]، والحسن[١٤]، وسعيد بن المسيب[١٥]، ويحيى بن معمر[١٦]، وعبيدة[١٧]، وقتادة[١٨]، ومقاتل بن حيان[١٩]، وشريح[٢٠]، والشعبي[٢١]، والسدي[١]، وابن زيد[٢].

---

(١) معاني القرآن:٢/٢١٤.
(٢) الكشاف:١/٦٨٧.
(٣) زاد المسير:١/٥٩٦.
(٤) انظر: تفسير الطبري١/١٥٧.
(٥) انظر: زاد المسير:١/٥٩٦.
(٦) انظر: زاد المسير:١/٥٩٦.
(٧) صفوة التفاسير:٣٤١.
(٨) أخرجه الطبري(١٢٨٨٢):١١/١٥٤.
(٩) تفسير الطبري:١١/١٥٤.
(١٠) الكشاف:١/٦٨٧.
(١١) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٦٩٣١):ص٤/١٢٢٩.
(١٢) انظر: تفسير الطبري(١٢٨٩٢):ص١١/١٥٦.
(١٣) انظر: تفسير الطبري(١٢٨٩١):ص١١/١٥٦.
(١٤) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٦٩٣٣):ص٤/١٢٢٩. ذكره دون إسناد.
(١٥) انظر: تفسير الطبري(١٢٨٨٣):ص١١/١٥٥.
(١٦) انظر: تفسير الطبري(١٢٨٨٤):ص١١/١٥٥.
(١٧) انظر: تفسير الطبري(١٢٨٨٦)-(١٢٨٩٠):ص١١/١٥٥-١٥٦.
(١٨) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٦٩٣٣):ص٤/١٢٢٩. ذكره دون إسناد.
(١٩) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٦٩٣٣):ص٤/١٢٢٩. ذكره دون إسناد.
(٢٠) انظر: زاد المسير:١/٥٩٦.
(٢١) انظر: زاد المسير:١/٥٩٦.

والثاني: من عشيرتكم وقبيلتكم، وهم مسلمون أيضا، قاله الحسن[٣] وعكرمة[٤]، والزهري[٥]، والسدي[٦].

وفيهما قولان [٧]:

أحدهما : أنهما شاهدان يشهدان على وصية المُوصِي .

والثاني : أنهما وصيان .

والظاهر-والله أعلم- أن الشاهدين من أهل الملة ، دون من تأوّله أنهما من حيّ الموصي، لأن الله عمّ المؤمنين بخطابهم بذلك، وأما صرف ما عمّه الله تعالى إلى الخصوص فيحتاج إلى دليل.

وفي قوله تعالى:{مِنْ غَيْرِكُمْ} [المائدة : ١٠٦]، ثلاثة اقوال:

أحدها: من غير ملتكم ودينكم، قاله ابن عباس[٨]، وعبيدة[٩]، وشريح[١٠]، وسعيد بن المسيب[١١]، ومحمد بن سيرين[١٢]، ويحي بن يعمر[١٣]، وعكرمة[١٤]، ومجاهد[١٥]، وسعيد بن جبير[١٦]، والشعبي[١٧]، وإبراهيم النخعي[١٨]، وقتادة[١٩]، وأبي مجلز[٢٠]، والسدي[٢١]، ومقاتل بن حيان[٢٢]، وابن زيد[٢٣].

والثاني: من غير عشيرتكم وقبيلتكم، وهم مسلمون أيضا. قاله الحسن[٢٤]، وعبيدة[٢٥]، وعكرمة[٢٦]، وهو معنى قول الزهري[٢٧].

والثالث: من أهل الميراث. قاله ابن شهاب[١].

---

(١) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٦٩٣٣):ص١٢٢٩/٤. ذكره دون إسناد.

(٢) انظر: تفسير الطبري(١٢٨٩٣):ص١٥٦/١١.

(٣) انظر:تفسير الطبري(١٢٩٣٢)، و(١٢٩٣٤)، و(١٢٩٣٨):ص١٦٦/١١-١٦٧، والنكت والعيون:٧٥/٢، وزاد المسير:٥٩٦/١.

(٤) انظر:تفسير الطبري(١٢٩٣٥)- (١٢٩٣٧):ص١٦٧/١١، و النكت والعيون:٧٥/٢، وزاد المسير:٥٩٦/١.

(٥) انظر:تفسير الطبري(١٢٩٣٣):ص١٦٦/١١، زاد المسير:٥٩٦/١.

(٦) انظر:زاد المسير:٥٩٦/١.

(٧) انظر: تفسير الطبري:١٥٦/١١-١٥٧، والنكت والعيون:٧٥/٢.

(٨) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٦٩٣٤):ص١٢٢٩/٤.

(٩) انظر: تفسير الطبري(١٢٩١٥):ص١٦٣/١١، وتفسير ابن أبي حاتم:١٢٢٩/٤. ذكره دون إسناد

(١٠) انظر: تفسير الطبري(١٢٩٠٩):ص١٦٢/١١.

(١١) انظر: تفسير الطبري(١٢٨٥٩):ص١٦٠/١١.

(١٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:١٢٢٩/٤. ذكره دون إسناد.

(١٣) انظر: تفسير الطبري(١٢٩٠٨):ص١٦٢/١١.

(١٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:١٢٢٩/٤. ذكره دون إسناد.

(١٥) انظر: تفسير الطبري(١٢٩٢٢):ص١٦٤/١١.

(١٦) انظر: تفسير الطبري(١٢٩٠٠):ص١٦١/١١.

(١٧) انظر: تفسير الطبري(١٢٩٢٦):ص١٦٥/١١.

(١٨) انظر: تفسير الطبري(١٢٩٠٢):ص١٦١/١١.

(١٩) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:١٢٢٩/٤. ذكره دون إسناد.

(٢٠) انظر: تفسير الطبري(١٢٩٠١):ص١٦١/١١.

(٢١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:١٢٢٩/٤. ذكره دون إسناد.

(٢٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:١٢٢٩/٤. ذكره دون إسناد.

(٢٣) انظر: تفسير الطبري(١٢٩٢٩):ص١٦٥/١١.

(٢٤) انظر: تفسير الطبري(١٢٩٣٢)، و(١٢٩٣٤)، و(١٢٩٣٨):ص١٦٦/١١-١٦٧، وتفسير ابن أبي حاتم(٦٩٣٦):ص١٢٣٠/٤.

(٢٥) انظر: تفسير الطبري(١٢٩٣٩):ص١٦٧/١١

(٢٦) انظر:تفسير الطبري(١٢٩٣٥)- (١٢٩٣٧):ص١٦٧/١١، و النكت والعيون:٧٥/٢، وزاد المسير:٥٩٦/١.

(٢٧) انظر:تفسير الطبري(١٢٩٣٣):ص١٦٦/١١، زاد المسير:٥٩٦/١.

والراجح-والله أعلم- ان المراد أو آخران من غير أهل الإسلام، " وذلك أن الله تعالى عرَّف عباده المؤمنين عند الوصية ، شهادة اثنين من عدول المؤمنين ، أو اثنين من غير المؤمنين. ولا وجه لأن يقال في الكلام صفة شهادة مؤمنين منكم ، أو رجلين من غير عشيرتكم ، وإنما يقال : صفة شهادة رجلين من عشيرتكم أو من غير عشيرتكم أو رجلين من المؤمنين أو من غير المؤمنين، فإذ كان لا وجه لذلك في الكلام ، فغير جائز صرف معنى كلام الله تعالى ذكره إلا إلى أحسن وجوهه"[٢].

وفي «أو» قولان:

أحدهما: أنها ليست للتخيير، وإنما المعنى: أو آخران من غيركم إن لم تجدوا منكم، وبه قال ابن عباس[٣]، وزيد بن اسلم[٤]، وشريح[٥]، ويحيى بن يعمر[٦]، وأبو مجلز[٧]، سعيد بن المسيب[٨]، وسعيد بن جبير[٩]، وإبراهيم[١٠]، والشعبي[١١]، والسدي[١٢].

والثاني: أنها للتخيير، ذكره الطبري عن آخرين[١٣].

قال الطبري:" ووجَّه ذلك آخرون إلى معنى التخيير ، وقالوا : إنما عنى بالشهادة في هذا الموضع ، الأيمان على الوصية التي أوصى إليهما ، وائتمانَ الميت إياهما على ما ائتمنهما عليه من مال ليؤدِّياه إلى ورثته بعد وفاته ، إن ارتيب بهما. قالوا : وقد يتَّمِن الرجلُ على ماله من رآه موضعًا للأمانة من مؤمن وكافر في السفر والحضر"[١٤].

قوله تعالى:{إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ} [المائدة : ١٠٦]، أي:" إن أنتم سافرتم في الأرض فحلَّ بكم الموت"[١٥].

قال الطبري:أي:" إن كنتم في سفر فحضرتكم المنيّة"[١٦].

قال البغوي:" أي: سرتم وسافرتم"[١٧].

قال الزمخشري:" يعنى إن وقع الموت في السفر"[١٨].

قال ابن الجوزي:" هذا الشرط متعلق بالشهادة، والمعنى: ليشهدكم اثنان إن أنتم ضربتم في الأرض، أي: سافرتم.{ فأصابتكم مصيبة الموت}"[١٩].

قوله تعالى:{تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ} [المائدة : ١٠٦]، أي:" توقفونهما من بعد الصلاة"[٢٠].

قال الطبري:"يقول : تستوقفونهما بعد الصلاة"[١].

---

(١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٦٩٣٥):ص١٢٢٩/٤-١٢٣٠.
(٢) تفسير الطبري:١٦٨/١١-١٦٩.
(٣) انظر: تفسير الطبري(١٢٩٤٦):١٧١/١١.
(٤) انظر: تفسير الطبري(١٢٩٣١):١٦٦/١١.
(٥) انظر: تفسير الطبري(١٢٩٠٩):١٦٢/١١.
(٦) انظر: أحكام القرآن لابن العربي:٧٢٢/٢.
(٧) انظر: أحكام القرآن لابن العربي:٧٢٢/٢.
(٨) انظر: تفسير الطبري(١٢٩٤٢):١٧٠/١١.
(٩) انظر: تفسير الطبري(١٢٩٤٥):١٧١/١١.
(١٠) انظر: تفسير الطبري(١٢٩٤٥):١٧١/١١.
(١١) انظر: تفسير الطبري(١٢٩٢٦):١٦٥/١١.
(١٢) انظر: تفسير الطبري(١٢٩٤٤):١٧١/١١.
(١٣) انظر: تفسير الطبري:١٧١/١١-١٧٢، والنكت والعيون:٧٥/٢.
(١٤) تفسير الطبري:١٧١/١١-١٧٢.
(١٥) التفسير الميسر:١٢٥.
(١٦) تفسير الطبري:١٧٢/١١.
(١٧) تفسير البغوي:١١٢/٣.
(١٨) الكشاف:٦٨٧/١.
(١٩) زاد المسير:٥٩٦/١.
(٢٠) التفسير الميسر:١٢٥.

قال البغوي:أي: " فأوصيتم إليهما ودفعتم إليهما مالكم فاتهمهما بعض الورثة وادعوا عليهما خيانة فالحكم فيه أن تستوقفونهما بعد صلاة العصر"[٢].

قال الزمخشري:أي:" بعد صلاة العصر، لأنه وقت اجتماع الناس"[٣].

وفي هذه «الصلاة» ثلاثة أقوال:

أحدها: صلاة العصر، رواه أبو صالح عن ابن عباس[٤]، وبه قال شريح[٥]، وعبيدة[٦]، وابن جبير[٧]، وإبراهيم[٨]، وقتادة[٩]، والشعبي[١٠].

قال البغوي:" وهذا قول عامة المفسرين، لأن جميع أهل الأديان يعظمون ذلك الوقت، ويجتنبون فيه الحلف الكاذب"[١١].

والثاني: بعد صلاة العصر أو الظهر لأن أهل الحجاز كانوا يقعدون للحكومة بعدهما. حكاه الزمخشري عن الحسن[١٢].

والثالث: من بعد صلاتهما في دينهما، حكاه السدي عن ابن عباس[١٣] . وقال به.

والراجح –والله أعلم- هو القول الاول، " لأن الله تعالى عرَّف «الصلاة » في هذا الموضع بإدخال « الألف واللام » فيها ، ولا تدخلهما العرب إلا في معروف ، إما في جنس ، أو في واحد معهود معروف عند المتخاطبين. فإذا كان كذلك ، وكانت «الصلاة » في هذا الموضع مجمعًا على أنه لم يُعْنَ بها جميع الصلوات ، لم يجز أن يكون مرادًا بها صلاة المستحلَف من اليهود والنصارى ، لأن لهم صلوات ليست واحدة ، فيكون معلومًا أنها المعنيَّة بذلك. فإذْ كان ذلك كذلك ، صح أنها صلاة بعينها من صلوات المسلمين. وإذ كان ذلك كذلك ، وكان النبي صلى الله عليه وسلمصحيحًا عنه أنه إذْ لاعَنَ بين العَجْلانيين ، لاعَن بينهما بعد العصر دون غيره من الصلوات كان معلومًا أنّ التي عنيت بقوله : { تحبسونهما من بعد الصلاة }، هي الصلاة التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخيَّرها لاستحلاف من أراد تغليظَ اليمين عليه. هذا مع ما عند أهل الكفر بالله من تعظيم ذلك الوقت ، وذلك لقربه من غروب الشمس"[١٤].

وقال الزجاج: كان الناس بالحجاز يحلفون بعد صلاة العصر، لأنه وقت اجتماع الناس"[١٥].

وقال ابن قتيبة: " وخصّ هذا الوقت، لأنه قبل وجوب الشمس، وأهل الأديان يعظمونه ويذكرون الله فيه، ويتوقون الحلف الكاذب وقول الزّور، وأهل الكتاب يصلّون لطلوع الشمس وغروبها"[١٦].

---

(١) تفسير الطبري:١٧٢/١١.
(٢) تفسير البغوي:١١٢/٣.
(٣) الكشاف:٦٨٧/١.
(٤) انظر: زاد المسير:٥٩٦/١.
(٥) انظر: زاد المسير:٥٩٦/١.
(٦) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٦٩٤٠):ص١٢٣٠/٤.
(٧) انظر: تفسير الطبري(١٢٩٤٩):١٧٤/١١.
(٨) انظر: تفسير الطبري(١٢٩٥٠):١٧٤/١١.
(٩) انظر: تفسير الطبري(١٢٩٥١):١٧٤/١١.
(١٠) انظر: تفسير الطبري(١٢٩٤٨):١٧٤/١١.
(١١) تفسير البغوي:١١٣/٣.
(١٢) انظر: الكشاف:٦٨٧/١.
(١٣)انظر: تفسير الطبري(١٢٩٥٤):ص١٧٥/١١-١٧٦، والسدي لم يسمع من ابن عباس، وهذا قول منكر، ليس بشيء.
(١٤) تفسير الطبري:١٧٦/١١-١٧٧.
(١٥) معاني القرآن:٢١٦/٢.
(١٦) تأويل مشكل القرآن:٢١٩.

قال الزمخشري:" فإن قلت: كيف فسرت الصلاة بصلاة العصر وهي مطلقة؟ قلت: لما كانت معروفة عندهم بالتحليف بعدها، أغنى ذلك عن التقييد، كما لو قلت في بعض أئمة الفقه: إذا صلى أخذ في الدرس علم أنها صلاة الفجر. ويجوز أن تكون اللام للجنس، وأن يقصد بالتحليف على أثر الصلاة أن تكون الصلاة لطفا في النطق بالصدق، وناهية عن الكذب والزور {إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ } [العنكبوت : ٤٥] "[١].

قوله تعالى:{فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ} [المائدة : ١٠٦]، أي:" أي يحلفان بالله إن شككتم وارتبتم في شهادتهما"[٢].

قال السدي:" فيقسمان بالله أصاحبكم لهذا أوصى وأن هذه لتركته"[٣].

قال الطبري:" يقول: فيحلفان بالله إن اتهمتموهما بخيانة فيما أُتمنا عليه من تغيير وصية أوصى إليهما بها أو تبديلها و «الارتياب»، هو الاتهام "[٤].

قال الزجاج:" {إن ارتبتم}، إن وقع في أنفسكم منهم ريب، أي ظننتم بهم ريبة"[٥].

قال النسفي: أي:"إن شككتم في أمانتها فحلفوهما"[٦].

قال ابن قتيبة:" إن ارتبتم في شهادتهما وشككتم، وخشيتم أن يكونا قد غيّرا، أو بدّلا وكتما وخانا"[٧].

قال السمعاني:" يعني: إن وقعت لكم ريبة في قول الحالفين أو الشاهدين يحلفان"[٨].

قال البغوي:" أي: يحلفان، {بالله إن ارتبتم} أي: شككتم ووقعت لكم الريبة في قول الشاهدين وصدقهما، أي: في قول اللذين ليسا من أهل ملتكم، فإن كانا مسلمين فلا يمين عليهما"[٩].

قال ابن الجوزي:" أي: فيحلفان إن ارتبتم أي: شككتم ي أولياء الميت. ومعنى الآية: إذا قدم الموصى إليهما بتركة المتوفي، فاتهمهما الوارث، استحلفا بعد صلاة العصر: أنهما لم يسرقا، ولم يخونا. فالشرط في قوله: {إن ارتبتم} متعلق بتحبسونهما، كأنه قال: إن إرتبتم حبستموهما فاستحلفتموهما، فيحلفان بالله"[١٠].

قال الزمخشري:" {إن ارتبتم}، اعتراض بين القسم والمقسم عليه. والمعنى: إن ارتبتم في شأنهما واتهمتموهما فحلفوهما. وقيل: إن أريد بهما الشاهدان فقد نسخ تحليف الشاهدين، وإن أريد الوصيان فليس بمنسوخ تحليفهما وعن على رضى الله عنه[١١]: أنه كان يحلف الشاهد والراوي إذا اتهمهما"[١٢].

---

(١) الكشاف:٦٨٨/١.
(٢) صفوة التفاسير:٣٤١.
(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٩٤٣):ص١٢٣١/٤.
(٤) تفسير الطبري:١٧٢/١١.
(٥) معاني القرآن:٢١٦/٢.
(٦) تفسير النسفي:٤٨٢/١.
(٧) تأويل مشكل القرآن:٢١٩.
(٨) تفسير السمعاني:٧٦/٢.
(٩) تفسير البغوي:١١٣/٣.
(١٠) زاد المسير:٥٩٦/١-٥٩٧.
(١١) قال المحقق:" فأما تحليف الشاهد. فلم أره. وأما تحليف الراوي فرواه أصحاب السنن الثلاثة: البزار وابن حبان من رواية اسماء بن الحكم الفزاري عن على رضى الله عنه قال «إذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا نفعني الله منه بما شاء أن ينفعني، وإذا حدثني أحد من أصحابه استحلفته، فإذا حلف لي صدقته قال: وحدثني أبو بكر- وصدق أبو بكر- الحديث» قال الترمذي: حسن لا نعرفه إلا من هذا الوجه. وروى بعضهم هذا الحديث موقوفا» أى المتن دون القصة. وقال البزار: أسماء هذا مجهول".[انظر: الكشاف:٦٨٨/١-الهامش(١)].
(١٢) الكشاف:٦٨٨/١.

قال ابن شهاب:"كانوا يقولون هي فيما بين أهل الميراث من المسلمين يشهد بعضهم الميت الذي يرثونه ويغيب عنه بعضهم، فيشهد من شهده على ما أوصى به لذوي القربى وغيرهم فيخبرون من غاب عنهم منهم بما حضروا من وصيته، فإن سلموا جازت وصيته، وإن إرتابوا في أن يكون بدلوا قول الميت، وآثروا بالوصية من أرادوا، وتركوا من لم يوص له الميت بشيء يحلف اللذان يشهدان على ذلك بعد الصلاة وهي صلاة المسلمين: {فيقسمان بالله إن ارتبتم لا نشتري به ثمنا}، الآية"(١).

قوله تعالى:{لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى} [المائدة : ١٠٦]، أي:" أي لا نحلف بالله كاذبين من أجل المال ولو كان من نُقسم له قريباً لنا "(٢).

قال أبو العالية:" يقول: لا نأخذ عليه أجرا"(٣).

قال مقاتل بن حيان:" لا نشتري بأيماننا ثمنا من الدنيا ولو كان ذا قربى"(٤).

عن سعيد بن جبير في قول الله :"{ذا قربى}، يعني: قرابته"(٥).

قال الطبري:" يقول : يقسمان بالله لا نطلب بإقسامنا بالله عوضًا فنكذب فيها لأحد ، ولو كان الذي نقسم به له ذا قرابة منا"(٦).

قال السمعاني:" أي: لا نقول إلا الصدق ولو كان على القريب"(٧).

قال البغوي:" أي: لا نحلف بالله كاذبين على عوض نأخذه أو مال نذهب به أو حق نجحده ولو كان المشهود له ذا قرابة منا"(٨).

قال ابن الجوزي:" أي: بأيماننا، وقيل: بتحريف شهادتنا، عرضا من الدنيا ولو كان المشهود له ذا قرابة منا، وخص ذا القرابة، لميل القريب إلى قريبه. والمعنى: لا نحابي في شهادتنا أحدا، ولا نميل مع ذي القربى في قول الزور"(٩).

قال الزمخشري:" يعنى: لا نستبدل بصحة القسم بالله عرضا من الدنيا، أى لا نحلف كاذبين لأجل المال، ولو كان من نقسم له قريبا منا، على معنى: أن هذه عادتهم في صدقهم وأمانتهم أبدا، وأنهم داخلون تحت قوله تعالى: { كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ } [النساء : ١٣٥]"(١٠).

عن ابن عباس قوله : "{أو آخران من غيركم إن أنتم ضربتم في الأرض فأصابتكم مصيبة الموت}، فهذا لمن مات وليس عنده أحد من المسلمين ، فأمره الله بشهادة رجلين من غير المسلمين. فإن ارتيب في شهادتهما ، استحلفا بعد الصلاة بالله : لم نشتر بشهادتنا ثمنًا قليلا"(١١).

وفي قوله تعالى:{لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى} [المائدة : ١٠٦]، وجهان:

أحدهما : لا نأخذ عليه رشوة ، قاله ابن زيد(١٢).

والثاني : لا نعتاض عليه بحق(١٣).

قوله تعالى:{وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ} [المائدة : ١٠٦]، أي:" ولا نكتم الشهادة التي أمرنا الله تعالى بإقامتها"(١).

---

(١) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٩٤٣):ص١٢٣١/٤-١٢٣٢.

(٢) صفوة التفاسير:٣٤١.

(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٩٤٥):ص١٢٣٢/٤.

(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٩٤٦):ص١٢٣٢/٤.

(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٩٤٨):ص١٢٣٢/٤.

(٦) تفسير الطبري:١٧٣/١١.

(٧) تفسير السمعاني:٧٦/٢.

(٨) تفسير البغوي:١١٣/٣.

(٩) زاد المسير:٥٩٧/١.

(١٠) الكشاف:٦٨٨/١.

(١١) أخرجه الطبري(١٢٩٤٧):ص١٧٣/١١.

(١٢) انظر: تفسير الطبري(١٢٩٥٥):ص١٧٧/١١.

(١٣) انظر: النكت والعيون:٧٧/٢.

قال الزمخشري:" {شهادة الله}، أى: الشهادة التي أمر الله بحفظها وتعظيمها"[2].
قال ابن الجوزي:" إنما أضيفت الشهادة إلى الله، لأمره بإقامتها، ونهيه عن كتمانها"[3].
قال أصبغ بن الفرج: "سمعت عبد الرحمن بن زيد بن أسلم يقول في قوله: {ولا نكتم شهادة الله} قال: وإن كان صاحبها بعيدا"[4].
قوله تعالى:{إِنَّا إِذًا لَمِنَ الْآثِمِينَ} [المائدة : ١٠٦]، أي:" إنّا إن فعلنا ذلك كنا من الآثمين"[5].
قال الواحدي والبغوي:" أي: إنا إن كتمناها كنا من الآثمين"[6].
قال ابن قتيبة:" فإذا حلفا بهذه اليمين على ما شهدا به، قبلت شهادتهما، وأمضي الأمر على قولهما"[7].
وقرئ: «لملاثمين» بحذف الهمزة وطرح حركتها على اللام وإدغام نون من فيها، كقوله: عاد لولى[8].
واختلف العلماء لأي معنى وجبت اليمين على هذين الشاهدين، على ثلاثة أقوال:
أحدها:لكونهما من غير أهل الإسلام، روي هذا المعنى عن أبي موسى الأشعري[9].
والثاني: لوصية وقعت بخط الميت وفقد ورثته بعض ما فيها، رواه أبو صالح عن ابن عباس[10].
والثالث: لأن الورثة كانوا يقولون: كان مال ميتنا أكثر، فاستخانوا الشاهدين، قاله الحسن[11]، ومجاهد[12].
وقرأ سعيد بن جبير: «ولا نكتم شهادة» بالتنوين «الله» بقطع الهمزة وقصرها، وكسر الهاء، ساكنة النون في الوصل. وقرأ سعيد بن المسيب، وعكرمة «شهادة» بالتنوين والوصل منصوبة الهاء. وقرأ أبو عمران الجوني «شهادة» بالتنوين وإسكانها في الوصل «الله» بقطع الهمزة وقصرها مفتوحة الهاء، وقرأ الشعبي وابن السميفع «شهادة» بالتنوين وإسكانها في الوصل «الله» بقطع الهمزة، ومدها، وكسر الهاء. وقرأ أبو العالية، وعمرو بن دينار مثله، إلا أنهما نصبا الهاء[13].
قال الطبري:" وأولى القراءات في ذلك عندنا بالصواب ، قراءة من قرأ : {ولا نكتم شهادة الله}، بإضافة «الشهادة »إلى اسم «الله »، وخفض اسم «الله»، لأنها القراءة المستفيضة في قرأة الأمصار التي لا تتناكر صحَّتَها الأمة"[14].
وعلى قول القائل بأن المراد بقوله: { أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ } [المائدة : ١٠٦]، أهل الكتاب إذا شهدوا على الوصية في السفر، فلهم في حكم هذه الآية قولان:
أحدهما: أنها محكمة، وشهادة أهل الكتاب على الوصية خاصة في السفر جائزة عند فقد المسلمين للضرورة، والعمل على هذا باق، وهذا قول عائشة[1]، وأبي موسى الأشعري[2]، وابن

---

(١) صفوة التفاسير:٣٤١.
(٢) الكشاف:٦٨٨/١.
(٣) زاد المسير:٥٩٧/١.
(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٩٥٠):ص١٢٣٢/٤.
(٥) صفوة التفاسير:٣٤١.
(٦) التفسير البسيط:٥٧٢/٧، وتفسير البغوي:١١٣/٢
(٧) تأويل مشكل القرآن:٢١٩.
(٨) انظر: الكشاف:٦٨٨/١.
(٩) انظر: تفسير الطبري(١٢٩٥٤):ص١٧٥/١١-١٧٦.
(١٠) انظر: زاد المسير:٥٩٧/١.
(١١) انظر: زاد المسير:٥٩٧/١.
(١٢) انظر: زاد المسير:٥٩٧/١.
(١٣) انظر: تفسير الطبري:١٧٧/١١-١٧٨، وزاد المسير:٥٩٧/١.
(١٤) تفسير الطبري:١٧٧/١١.

عباس[3]، وشريح[4]،عبيدة[5]، وهشام بن هبيرة[6]، ومحمد[7]، وإبراهيم[8]، ومجاهد[9]، ويحي بن يعمر[10]، وابن المسيب[11]، وابن جبير[12]، وابن سيرين[13]، وقتادة[14]، والشعبي[15]، والثوري[16]، والأوزاعي[17]، وأحمد بن حنبل[18]، والطبري[19].

قال القاسم بن سلام:" فجلّ العلماء وعظمهم من الماضين يتأولونها في أهل الذمة ويرونها محكمة.. ومما يزيد قولهم قوة وتوكيدا تتابع الآثار في سورة المائدة بقلة المنسوخ منها، وأنها من محكم القرآن"[20].

قال ابن قتيبة:" وأكثر العلماء يذهب إلى أن هذا باب من الحكم (محكم) وأنه لم ينسخ من سورة المائدة شيء، لأنها آخر ما نزل"[21].

عن ضمرة بن حبيب، وعطية بن قيس قالا: "قال رسول الله- صلّى الله عليه وسلم- المائدة من آخر القرآن نزولا فأحلوا حلالها وحرموا حرامها "[22].

وعن جبير بن نفير قال: "حججت فدخلت على عائشة، فقالت لي: يا جبير هل تقرأ المائدة؟ قلت: نعم: قالت: أما إنها من آخر سورة نزلت فما وجدتم فيها من حلال فاستحلوه وما وجدتم فيها من حرام فحرموه"[23].

---

(١) انظر: الإيضاح، مكي بن ابي طالب:٢٣٨.

(٢) انظر:انظر: تفسير الطبري(١٢٩٢٦):ص١٦٥/١١، والإيضاح، مكي بن ابي طالب:٢٣٨، والناسخ والمنسوخ للقاسم بن سلام(٢٩٠)، و(٢٩١):ص١٥٧/١-١٥٨.

(٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٦٩٣٤):ص١٢٢٩/٤، والإيضاح، مكي بن ابي طالب:٢٣٨، ونواسخ القرآن لابن الجوزي:٤٢١/٢.

(٤) انظر: تفسير الطبري(١٢٩٠٩):ص١٦٢/١١، والإيضاح، مكي بن ابي طالب:٢٣٨، والناسخ والمنسوخ للقاسم بن سلام(٢٩٢):ص١٥٨/١.

(٥) انظر: تفسير الطبري(١٢٩١٥):ص١٦٣/١١، وتفسير ابن أبي حاتم:١٢٢٩/٤. ذكره دون إسناد، والناسخ والمنسوخ للقاسم بن سلام(٢٩٤):ص١٥٩/١.

(٦) انظر: تفسير الطبري(١٢٩١٣):ص١٦٣/١١.

(٧) انظر: تفسير الطبري(١٢٩٢٨):ص١٦٥/١١.

(٨) انظر: تفسير الطبري(١٢٩٠٢):ص١٦١/١١، والإيضاح، مكي بن ابي طالب:٢٣٨، والناسخ والمنسوخ للقاسم بن سلام(٢٩٨):١٦٠/١.

(٩) انظر: الناسخ والمنسوخ للقاسم بن سلام(٢٩٣):١٥٩/١.

(١٠) انظر: تفسير الطبري(١٢٩٠٨):ص١٦٢/١١.

(١١) انظر: تفسير الطبري(١٢٨٥٩):ص١٦٠/١١، والإيضاح، مكي بن ابي طالب:٢٣٨، والناسخ والمنسوخ للقاسم بن سلام(٢٩٥):ص١٥٩/١.ونواسخ القرآن لابن الجوزي:٤٢١/٢.

(١٢) انظر: تفسير الطبري(١٢٩٠٠):ص١٦١/١١، والإيضاح، مكي بن ابي طالب:٢٣٨، والناسخ والمنسوخ للقاسم بن سلام(٢٩٦):ص١٥٩/١، ونواسخ القرآن لابن الجوزي:٤٢١/٢.

(١٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:١٢٢٩/٤. ذكره دون إسناد ، ونواسخ القرآن لابن الجوزي:٤٢١/٢.

(١٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:١٢٢٩/٤. ذكره دون إسناد ، ونواسخ القرآن لابن الجوزي:٤٢١/٢.

(١٥) انظر: تفسير الطبري(١٢٩٢٦):ص١٦٥/١١، والناسخ والمنسوخ للقاسم بن سلام(٢٩٧):١٦٠/١، ونواسخ القرآن لابن الجوزي:٤٢١/٢.

(١٦) انظر: الناسخ والمنسوخ للقاسم بن سلام(٣٠٠):١٦٠/١، نواسخ القرآن لابن الجوزي:٤٢١/٢. ولم أتمكن من تخريجه.

(١٧) انظر: الإيضاح، مكي بن ابي طالب:٢٣٨.

(١٨) انظر: نواسخ القرآن لابن الجوزي:٤٢١/٢.

(١٩) انظر: تفسير الطبري:٢٠٧/١١-٢٠٩.

(٢٠) الناسخ والمنسوخ:١٥٥/١، ١٦٠.

(٢١) تأويل مشكل القرآن:٢٢١.

(٢٢)أورده السيوطي في الدر المنثور وعزاه إلى أبى عبيد ج ٣ سورة المائدة ص ٤، واظر: الناسخ والمنسوخ للقاسم بن سلام(٣٠١):ص١٦١/١.

(٢٣)رواه الحاكم في المستدرك وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي فى التلخيص (المستدرك ج ٢، كتاب التفسير: المائدة ص ٣١١.

وعن أبي ميسرة قال: "في المائدة ثماني عشرة فريضة وليس فيها منسوخ"(١).

وعن ابن عون قال: "سألت الحسن: هل نسخ من المائدة شيء؟ فقال: لا"(٢).

والقول الثاني: أنها منسوخة بقوله تعالى: {وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُم} [الطلاق : ٢]، وهو قول ابن عباس(٣)، وإبراهيم(٤)، وزيد بن أسلم(٥)، وإليه يميل أبو حنيفة(٦)، ومالك(٧)، والشافعي(٨).

واحتجوا بقول الله تبارك وتعالى: {وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ}[الطلاق:٢]، وبقوله عز وجل: {وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَداءِ }[البقرة:٢٨٢]، قالوا ولا يكون أهل الشرك عدولا أبدا، ولا ممن ترضى شهادته(٩).

أخرج الطبري عن زيد بن أسلم في هذه الآية : " {شهادة بينكم }الآية كلها ، قال : كان ذلك في رجل تُوُفِّيَ وليس عنده أحد من أهل الإسلام ، وذلك في أوّل الإسلام ، والأرض حرب ، والناس كفار ، إلا أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه بالمدينة ، وكان الناس يتوارثون بالوصية ، ثم نُسِخت الوصية وفرضت الفرائض ، وعمل المسلمون بها"(١٠).

وأخرج الطبري عن ابن عباس قال: "هي منسوخة، يعني هذه الآية:{يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم}، الآية"(١١).

قال ابن الجوزي:"والأول أصح، لأن هذا موضع ضرورة كما يجوز في بعض الأماكن شهادة نساء لا رجل معهن بالحيض والنفاس والاستهلال"(١٢).

قال الواحدي:" فإن قيل: إن أهل الذمة لا يكونون عدولًا ولا تقبل شهادتهم، قيل: هذا من مواضع الضرورات التي يجوز فيها ما لا يجوز في مواضع الاختيارات، وقد أجاز الله تعالى في الضرورة التيمم وقصر الصلاة في السفر والجمع، والإفطار في شهر رمضان، وأكل الميتة في حال الضرورة، ولا ضرورة أعظم من ضرورة تبطل حقوقا وتضيع أمورًا على الميت من زكوات وكفارات أيمان وودائع للناس من ديون وحقوق، متى لم يبينها بطلت، فجاز عند الضرورة الإيصاء إلى أهل الذمة، كما جاز في الأشياء التي وصفناها، وكما يجوز شهادة نساء لا رجل معهن في الحيض، والحبَل، والولادة، والاستهلال"(١٣).

الفوائد:

ا- مشروعية الوصية في الحضر والسفر معاً، والحث عليها والترغيب فيها.

٢- وجوب الإشهاد على الوصية.

ورواه البيهقي فى السنن الكبرى، كتاب النكاح «باب نكاح حرائر أهل الكتاب» ج ٧ ص ١٧٢، وانظر: الناسخ والمنسوخ للقاسم بن سلام(٣٠٢):ص١٦١/١.

(١)أورده السيوطي في الدر المنثور وعزاه إلى الفريابي وأبي عبيد وعبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ ج ٣ سورة المائدة ص ٤، وانظر: الناسخ والمنسوخ للقاسم بن سلام(٣٠٣):ص١٦١/١-١٦٢.

(٢)أورده السيوطي في الدر المنثور وعزاه إلى عبد بن حميد وأبي داود في ناسخه وابن المنذر ج ٣ سورة المائدة ص ٤.

، وانظر: الناسخ والمنسوخ للقاسم بن سلام(٣٠٤):ص١٦٢/١.

(٣) انظر: تفسير الطبري(١٢٩٨٥):ص٢٠٧/١١.

(٤)انظر: تفسير الطبري(١٢٩٨٤):ص٢٠٧/١١.

(٥) انظر: تفسير الطبري(١٢٩٣١):١٦٥/١١، نواسخ القرآن لابن الجوزي:٤٢١/٢.

(٦) انظر: نواسخ القرآن لابن الجوزي:٤٢١/٢.

(٧) انظر:الناسخ والمنسوخ للقاسم بن سلام:١٦٢/١، ونواسخ القرآن لابن الجوزي:٤٢١/٢.

(٨) انظر: نواسخ القرآن لابن الجوزي:٤٢١/٢.

(٩) انظر: الناسخ والمنسوخ للقسم بن سلام:١٦٢/١، ونواسخ القرآن لابن الجوزي:٤٢١/٢.

(١٠)تفسير الطبري(١٢٩٣١):١٦٥/١١.

(١١) تفسير الطبري(١٢٩٨٥):ص٢٠٧/١١، وانظر: تفسير ابن أبي حاتم(٦٩٦٥):ص١٢٣٥/٤.[وسيأتي].

(١٢) زاد المسير:٥٩٦/١.

(١٣) التفسير البسيط:٥٧٣/٧-٥٧٤.

٣- اشتراط العدالة في الشهادة عند التحمل، والفاسق الأمين الموثوق تقبل شهادتهما، عليه فإن العدالة شرط قدر الإمكان، وإذا لم يكن فإنه تقبل شهادة الفاسق بشرط ان يكون ثقة، وكم من غنسان يكون فاسقا في عبادته لكنه امين في شهادته.
٤- يجوز شهادة غير المسلم على الوصية إذا تعذر وجود مسلم.
٥-مشروعية تحليف الشهود إذا ارتاب القاضي فيهم أو شك في صدقهم.

وهذا بناء على أن الآية غير منسوخة وهو قول الأقلية كأحمد بن حنبل رحمة الله تعالى وهو الراجح، والآية دلالتها قوية عليه، وأما التخوف من قوله تعالى: {وأشهدوا ذوي عدل منكم} فلا داعي إليه مع وجود ضرورة السفر وانعدام وجود المسلم، كما لا محذور من تحليف الشاهد إذا حامت حوله ريبة أو شك في عدالته لاسيما في ظروف تقل فيها العدالة لفساد أحوال الناس. ولهذا فإنها محكمة والعمل بها جائر. والله أعلم.

٦ - استحباب الحلف بعد صلاة العصر تغليظاً في شأن اليمين.
٧-أن الحلف لا يكون إلا بالله، لقوله:{فيقسمان بالله}، فلو اقسم بغير الله حتى بمن يعظّم عندهم كالمسيح مثلا فإنها لا تقبل ولا يعتد بها.
٨-أن أقسامهما لا يلزم إلا عند الارتياب في شهادتهما، لقوله:{إن راتبتم}.
٩-الإشارة ان للقرابة تأثيرا في الميل والعاطفة، لقوله:{ولو كان ذا قربى}، وهذا شيء فطري معروف.
١٠-أن كتمان الشهادة إثم، لقوله:{إنا إذا لمن الآثمين}.

القرآن

{فَإِنْ عُثِرَ عَلَى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلَيَانِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ (١٠٧)} [المائدة : ١٠٧]

التفسير:

فإن اطلع أولياء الميت على أن الشاهدين المذكورين قد أثما بالخيانة في الشهادة أو الوصية فليقم مقامهما في الشهادة اثنان من أولياء الميت فيقسمان بالله: لَشهادتنا الصادقة أولى بالقبول من شهادتهما الكاذبة، وما تجاوزنا الحق في شهادتنا، إنا إن اعتدينا وشهدنا بغير الحق لمن الظالمين المتجاوزين حدود الله.

قوله تعالى:{فَإِنْ عُثِرَ عَلَى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا} [المائدة : ١٠٧]، أي:" فإن اطلع أولياء الميت على أن الشاهدين المذكورين قد أثما بالخيانة في الشهادة أو الوصية"[١].

قال السمعاني:" يعني: فإن اطلع، وأظهر خيانتهما"[٢].

قال ابن كثير:" أي: متى تحقق ذلك بالخبر الصحيح على خيانتهما"[٣].

قال الطبري:أي:" فإن اطلع من الوصيين اللذين ذكر الله أمرهما في هذه الآية بعد حلفهما بالله : لا نشتري بأيماننا ثمنًا ولو كان ذا قربى ، ولا نكتم شهادة الله، على أنهما استوجبا بأيمانهما التي حلفا بها إثمًا ، وذلك أن يطلع على أنهما كانا كاذبين في أيمانهما بالله ما خُنّا ولا بدّلنا ولا غيَّرنا، فإن وجدا قد خانا من مال الميت شيئًا ، أو غيرا وصيته ، أو بدّلا فأثما بذلك من حلفهما بربهما"[٤].

قال الماوردي:" يعني: فإن ظهر على أنهما كَذَبَا وخَانَا ، فعبر عن الكذب بالخيانة والإثم لحدوثه عنهما"[٥].

---

(١) التفسير الميسر:١٢٥.
(٢) تفسير السمعاني:٧٦/٢.
(٣) تفسير ابن كثير:٢١٨/٣.
(٤) تفسير الطبري:١٨٠/١١.
(٥) النكت والعيون:٧٧/٢.

قال قتادة:" أي : اطلع منهما على خيانة أنهما كذبا أو كتما"(١).

قال ابن عباس:" فإن اطلع الأولياء على أن الكافرين كذبا في شهادتهما، قام رجلان من الأولياء فحلفا بالله :إن شهادة الكافرين باطلة ، وإنا لم نعتد. فذلك قوله : {فإن عثر على أنهما استحقا إثمًا}، يقول : إن اطلع على أنّ الكافرَيْن كذبا ، {فآخران يقومان مقامهما}، يقول : من الأولياء ، فحلفا بالله : إن شهادة الكافرين باطلة ، وإنا لم نعتد، فتردّ شهادة الكافرين ، وتجوز شهادة الأولياء"(٢).

قال سعيد بن جبير:" إذا كان الرجل بأرض الشرك ، فأوصى إلى رجلين من أهل الكتاب ، فإنهما يحلفان بعد العصر. فإذا اطُّلع عليهما بعد حلفهما أنهما خانا شيئًا ، حلف أولياء الميت أنه كان كذا وكذا ، ثم استحقوا"(٣). وروي عن إبراهيم مثل ذلك(٤).

وأصل «العثر»، الوقوع على الشيء والسقوط عليه ، ومن ذلك قولهم : عثرت إصبع فلان بكذا، إذا صدمته وأصابته ووقعت عليه ، ومنه قول الأعشي ميمون بن قيس(٥):

بِذَاتِ لَوْثٍ عَفَرْنَاةٍ إذَا عَثَرَتْ فَالتَّعْسُ أَدْنَى لَهَا مِنْ أَنْ أَقُولَ لَعَا

يعني بقوله :«عثرت»، أصاب منسِمُ خُفِّها حجرًا أو غيرَه، ثم يستعمل ذلك في كل واقع على شيء كان عنه خفيًّا ، كقولهم :"عَثَرتْ على الغَزْل بأَخَرة* فلم تَدَعْ بنَجْدٍ قَرَدَةَ"(٦) ، بمعنى: وقعت (٧).

وفي الذين قوله تعالى:{عُثِرَ عَلَى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا} [المائدة : ١٠٧]، قولان:

أحدهما : أنهما الشاهدان ، قاله ابن عباس(٨).

والثاني : أنهما الوصيان ، قاله سعيد بن جبير(٩).

قوله تعالى:{فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلَيَانِ} [المائدة : ١٠٧]، أي:" فرجلان آخران من الورثة المستحقين للتركة يقومان مقام الشاهدين الخائنين وليكونا من أولى من يستحق الميراث"(١٠).

قال الطبري:" يقول: يقوم حينئذ مقامهما من ورثة الميت ، الأوليان الموصَى إليهما"(١١).

قال ابن كثير:" فليقم اثنان من الورثة المستحقين للتركة وليكونا من أوْلى من يرث ذلك المال"(١٢).

قال الماوردي:" يعني: من الورثة، {يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا}في اليمين ، حين ظهرت الخيانة"(١٣).

قال السمعاني:معناه:" إن عثر على خيانة الحالفين؛ يقوم الأوليان من أولياء الميت؛ فيحلفان"(١٤).

---

(١) أخرجه الطبري(١٢٩٦٢):ص١٨١/١١.
(٢) أخرجه الطبري(١٢٩٦١):ص١٨١/١١.
(٣) أخرجه الطبري(١٢٩٥٩):ص١٨١/١١.
(٤) انظر: تفسير الطبري(١٢٩٦٠):ص١٨١/١١.
(٥)ديوانه : ٨٣ ، من قصيدته في هوذة بن علي الحنفي.
(٦)هذا مثل. مجاز القرآن لأبي عبيدة ١ / ١٨١ ، الأمثال للميداني ١ /٣٩٥ ، والأمثال لأبي هلال العسكري : ١٤٢.
(٧) تفسير الطبري:١٧٩/١١-١٨٠.
(٨) انظر: تفسير الطبري(١٢٩٦١):ص١٨١/١١.
(٩) انظر: تفسير الطبري(١٢٩٥٩):ص١٨١/١١.
(١٠) صفوة التفاسير:٣٤٢.
(١١) تفسير الطبري:١٨٠/١١.
(١٢) تفسير ابن كثير:٢١٨/٣.
(١٣) النكت والعيون:٧٧/٢.
(١٤) تفسير السمعاني:٧٦/٢.

قال السدي:" {على الأوليان}، يقول: من الذين شهد عليها"(١).
وفي قوله تعالى:{مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلَيَانِ} [المائدة : ١٠٧]، قولان:
أحدهما : الأوليان بالميت من الورثة ، قاله سعيد بن جبير(٢)، وابن زيد(٣).
والثاني : الأوليان بالشهادة من المسلمين ، قاله ابن عباس(٤)، وشريح(٥)، وقتادة(٦).
قال الطبري:" { الأوليان}، معناه عندنا: الأوْلى بالميت من المقسمين الأولين فالأولى، وقد يحتمل أن يكون معناه : الأولى باليمين منهما فالأولى ثم حذف«منهما»، والعرب تفعل ذلك فتقول : فلان أفضل ، وهي تريد : أفضل منك ، وذلك إذا وضع : « أفعل» موضع الخبر، وإن وقع موقع الاسم وأدخلت فيه «الألف واللام»، فعلوا ذلك أيضًا ، إذا كان جوابًا لكلام قد مضى ، فقالوا :هذا الأفضل ، وهذا الأشرف، يريدون : هو الأشرف منك"(٧).
قال الزمخشري:" ومعنى «الأولية»: التقدم على الأجانب في الشهادة لكونهم أحق بها"(٨).
قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر والكسائى:{استحق عليهم الأولين}: {استحق} مضمومة التاء، {الأولين} على التثنية. وقرأ عاصم فى رواية أبى بكر وحمزة: {استحق} برفع التاء، {الأولين} جمعا. وروى حفص عن عاصم: {استحق} بفتح التاء، {الأولين} مثل أبى عمرو على التثنية(٩).
وروى نصر بن على عن أبيه عن قرة قال: "سألت ابن كثير فقرأ {استحق} بفتح التاء {الأولين} بالأف على التثنية"(١٠).
قوله تعالى:{فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا} [المائدة : ١٠٧]، أي:" فيقسمان بالله: لَشهادتنا الصادقة أولى بالقبول من شهادتهما الكاذبة"(١١).
قال ابن عباس:" يقول: يحلفان بالله ما كان صاحبنا يوصي بهذا أو أنهما لكاذبان، ولشهادتنا أحق من شهادتهما"(١٢).
قال السدي:" حلفا بالله لشهادتنا إنهما لخائنان متهمان في دينهما مطعون عليها أحق من شهادتهما بما شهدا"(١٣).
قال مقاتل بن حيان:" يقول: فيحلفان بالله إن مال صاحبنا كان كذا وكذا وإن الذي نطلب قبل الدارين لحق"(١٤).
قال ابن كثير:" أي : لقولنا: إنهما خانا أحقُّ وأصح وأثبت من شهادتهما المتقدمة"(١٥).
قال الطبري:أي:" فيقسم الآخران اللذان يقومان مقام اللّذين عثر على أنهما استحقا إثمًا بخيانتهما مالَ الميت ، الأوْليان باليمين والميِّت من الخائنين: لأيماننا أحقُّ من أيمان المقسمَين

(١) أخرجه ابن أبي حاتم(٦٩٥٧):ص١٢٢٣/٤.
(٢) انظر: النكت والعيون:٧٧/٢.
(٣) انظر: تفسير الطبري(١٢٩٧٨):ص٢٠٣/١١.
(٤) انظر: تفسير الطبري(١٢٩٧٦)، و(١٢٩٧٧):ص٢٠٢/١١.
(٥) انظر: تفسير الطبري(١٢٩٧٤):ص٢٠١/١١-٢٠٢.
(٦) انظر: تفسير الطبري(١٢٩٧٥):ص٢٠٢/١١.
(٧) تفسير الطبري:٢٠٣/١١.
(٨) الكشاف:٦٨٩/١.
(٩) انظر: السبعة في القراءات:٢٤٨.
(١٠) السبعة في القرات:٢٤٩.
(١١) التفسير الميسر:١٢٥.
(١٢) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٩٥٨):ص١٢٢٣/٤.
(١٣) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٩٥٩):ص١٢٢٤/٤.
(١٤) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٩٦٠):ص١٢٢٤/٤.
(١٥) تفسير ابن كثير:٢١٨/٣.

المستحقّين الإثم ، وأيمانِهما الكاذبة في أنَّهما قد خانا في كذا وكذا من مال ميّتنا ، وكذا في أيمانِهما التي حلفا بها"[١].

قال الواحدي:" وسميت «اليمين» ههنا: شهادة، لأن اليمين كالشهادة على ما يجب عليه أنه كذلك"[٢].

واختلف أهل التأويل في المعنى الذي له حَكَم اللهُ تعالى ذكره على الشاهدين بالأيمان فنقلها إلى الآخرين، بعد أن عثر عليهما أنهما استحقا إثمًا، وفيه قولان:

أحدهما: إذا ارتيب في شهادتهما على الميت في وصيته أنه أوصى بغير الذي يجوز في حكم الإسلام، وذلك أن يشهد أنه أوصى بماله كله ، أو أوصى أن يفضل بعض ولده ببعض ماله. وهذا قول ابن عباس[٣]، والسدي[٤].

والثاني: إذا ارتابت الورثة من الشاهدين، لادعاءهما أن الميت أوصى لهما ببعض المال. وهذا قول يحيى بن معمر[٥].

والصواب-والله أعلم- "أنّ الشاهدين ألزما اليمينَ في ذلك باتهام ورثة الميت إياهما فيما دفع إليهما الميت من ماله ، ودعواهم قبلهما خيانة مالٍ معلوم المبلغ ، ونقلت بعد إلى الورثة عند ظهور الريبة التي كانت من الورثة فيهما ، وصحة التهمة عليهما بشهادة شاهد عليهما أو على أحدهما ، فيحلف الوارث حينئذ مع شهادة الشاهد عليهما ، أو على أحدهما ، إنما صحح دعواه إذا حُقّق حقه أو : الإقرار يكون من الشهود ببعض ما ادَّعى عليهما الوارث أو بجميعه ، ثم دعواهما في الذي أقرّا به من مال الميت ما لا يقبل فيه دعواهما إلا ببينة ، ثم لا يكون لهما على دعواهما تلك بيِّنة ، فينقل حينئذ اليمين إلى أولياء الميت، لأنا لا نعلم من أحكام الإسلام حكمًا يجب فيه اليمين على الشهود ، ارتيب بشهادتهما أو لم يُرْتَبْ بها ، فيكون الحكم في هذه الشهادة نظيرًا لذلك ولا - إذا لم نجد ذلك كذلك - صحّ بخبر عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولا بإجماع من الأمة. لأن استحلاف الشهود في هذا الموضع من حكم الله تعالى ذكره ، فيكون أصلا مسلمًا. والقول إذا خرج من أن يكون أصلا أو نظيرًا لأصل فيما تنازعت فيه الأمة ، كان واضحًا فسادُه"[٦].

قال ابن عباس:" خرج رجل من بني سهم مع تميم الداريّ وعديّ بن بدَّاء ، فمات السَّهمي بأرض ليس فيها مسلم. فلما قدِما بتركته ، فقدوا جامًا من فضة مخوَّصًا بالذهب، فأحلفهما رسول الله صلى الله عليه وسلم. ثم وُجِد الجام بمكة ، فقالوا:اشتريناه من تميم الداريّ وعديّ بن بدّاء! فقام رجلان من أولياء السهمي فحلفا : {لشهادتنا أحق من شهادتهما}، وأنّ الجام لصاحبهم. قال : وفيهم أنزلت : {يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم}"[٧].

قوله تعالى:{وَمَا اعْتَدَيْنَا} [المائدة : ١٠٧]، أي:" وما تجاوزنا الحق في شهادتنا"[٨].

قال ابن كثير:" أي : فيما قلنا من الخيانة "[٩].

قال الواحدي:أي:" فيما قلنا من أن شهادتنا أحق من شهادتهما"[١٠].

قال البغوي:أي:" في أيماننا، وقولنا أن شهادتنا أحق من شهادتهما"[١١].

قال الطبري:" يقول : وما تجاوزنا الحقَّ في أيماننا"[١].

---

(١) تفسير الطبري:٢٠٣/١١.
(٢) التفسير الوسيط:٢٤٢/٢.
(٣) انظر: تفسير الطبري(١٢٩٦٣):ص١٨٢/١١.
(٤) انظر: تفسير الطبري(١٢٩٦٤):ص١٨٢/١١-١٨٣.
(٥) انظر: تفسير الطبري(١٢٩٦٥):ص١٨٣/١١.
(٦) تفسير الطبري:١٨٣/١١-١٨٤.
(٧) أخرجه الطبري(١٢٩٦٦):ص١٨٥/١١. وسبقت الإشارة إليه في سبب نزول الآية رقم(١٠٦).
(٨) التفسير الميسر:١٢٥.
(٩) تفسير ابن كثير:٢١٨/٣.
(١٠) التفسير الوسيط:٢٤٢/٢.
(١١) تفسير البغوي:١١٤/٣.

قال السمرقندي:أي:" في الشهادة والدعوى"[٢].

قال أبو السعود:" أي: ما تجاوزنا فيها الحق أو ما اعتدينا عليهما بإبطال حقهما"[٣].

قوله تعالى:{إِنَّا إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ} [المائدة : ١٠٧]، أي:" إنا إن اعتدينا وشهدنا بغير الحق لمن الظالمين المتجاوزين حدود الله"[٤].

قال ابن كثير:" أي : إن كنا قد كذبنا عليهما"[٥].

قال الطبري:" يقول : إنّا إن كنا اعتدينا في أيماننا ، فحلفنا مبطلين فيها كاذبين، لَمِنْ عِدَادِ مَنْ يأخذ ما ليس له أخذه، ويقتطع بأيمانه الفاجرة أموال الناس"[٦].

قال السمرقندي:أي:" إنا إذا اعتدينا فحينئذ لمن الظالمين"[٧].

قال أبو السعود:" استئناف مقرر لما قبله أي إنا إن اعتدينا في يميننا لمن الظالمين أنفسهم بتعريضها لسخط الله تعالى وعذابه بسبب هتك حرمة اسم الله تعالى أو لمن الواضعين الحق في غير موضعه"[٨].

قال مقاتل بن حيان:" هذا قول الشاهدين أولياء الميت حين اطلع على خيانة الدارين"[٩].

قال البغوي:" فلما نزلت هذه الآية قام عمرو بن العاص والمطلب بن أبي وداعة السهميان، فحلفا بالله بعد العصر فدفعا الإناء إليهما وإلى أولياء الميت[١٠]، وكان تميم الداري بعدما أسلم يقول صدق الله ورسوله أنا أخذت الإناء، فأتوب إلى الله وأستغفره، وإنما انتقل اليمين إلى الأولياء لأن الوصيين ادعيا أنهما ابتاعاه.

والوصي إذا أخذ شيئا من مال الميت وقال: إنه أوصى لي به حلف الوارث، إذا أنكر ذلك، وكذلك لو ادعى رجل سلعة في يد رجل فاعترف ثم ادعى أنه اشتراها من المدعي، حلف المدعي أنه لم يبعها منه.

ويروى عن ابن عباس[١١] رضي الله عنهما عن تميم الداري قال: كنا بعنا الإناء بألف درهم فقسمتها أنا وعدي، فلما أسلمت تأثمت فأتيت موالي الميت فأخبرتهم أن عند صاحبي مثلها فأتوا به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحلف عمرو والمطلب فنزعت الخمسمائة من عدي، ورددت أنا الخمسمائة"[١٢].

الفوائد:

١- جواز تنقيب من عليه الحق عن القضية والتدقيق فيها حتى يعثر على حقٍّ فيها؛ لقوله : {فَإِنْ عُثِرَ عَلَى أَنَّهُمَا} والعِثار لا يكون إلا بعد التحرِّي.
٢- ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن الشاهدَين إذا غيَّرا في الشهادة بزيادة أو نقص أو تبديل فهُما آثمان؛ لقوله :{فَإِنْ عُثِرَ عَلَى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا} وذلك بكون الشهادة غير صحيحة؛ لأن هذا إثمٌ .

---

(١) تفسير الطبري:٢٠٣/١١.
(٢) بحر العلوم:٤٢٦/١.
(٣) تفسير أبي السعود:٩١/٣.
(٤) التفسير الميسر:١٢٥.
(٥) تفسير ابن كثير:٢١٨/٣.
(٦) تفسير الطبري:٢٠٣/١١.
(٧) بحر العلوم:٤٢٦/١.
(٨) تفسير أبي السعود:٩١/٣.
(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٩٦١):ص١٢٢٤/٤.
(١٠) انظر: تفسير الطبري(١٢٩٦٧)، و(١٢٩٦٨):ص١٨٥/١١-١٨٨.
(١١) سنن الترمذي: ٨ / ٤٢٦-٤٣١، وتفسير الطبري(١٢٩٦٧):ص١٨٦/١١.
(١٢) تفسير البغوي:١١٤/٣.

٣- الإشارة إلى أن الإرث يكون للأَوْلى فالأَوْلى؛ يؤخذ من قوله :{الْأَوْلَيَانِ} وقد جاء الحديث مقرِّرًا ذلك وهو قول النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم:"أَلْحِقُوا الْفَرَائِضَ بِأَهْلِهَا، فَمَا بَقِيَ فَهُوَ لِأَوْلَى رَجُلٍ ذَكَرٍ"(١).
٤- أن تُرَدَّ اليمين على المدَّعِي؛ لقوله :{فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ}.
٥- أن المدَّعَى عليه لا يجزم ببُطلان شهادة الشاهد التي تبيَّن أن فيها شيئًا من الخلل؛ لقوله : {لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا} بهذا اللفظ، ولم يقُل: باطلة. لكن قوله :{أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا} يستلزم أن تكون مردودة وأن القول قول المدَّعَى عليه
٦- ومن فوائد هذه الآية: أنه إذا احتيج في الشهادة أو في القَسَم إلى إثباتٍ ونفيٍ فلا بد من ذكر الإثبات والنفي؛ فقولهما -يعني الأَوْلَيين -{لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا}، فهذا إثبات، {وَمَا اعْتَدَيْنَا} هذا نفيٌ، فإذا احتيج إلى ذلك فلا بد من ذكر النفي والإثبات حتى تكون الشهادة خالصة.
٧- ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن ردَّ الأَوْليين لشهادة الشاهدَين أعظمُ اعتداءً من تغيير الشهادة من الشاهدين؛ ووجه ذلك أنه بتغيُّر الشهادة من الشاهدين قال :{إِنَّا إِذًا لَمِنَ الْآثِمِينَ}، وهنا قال :{إِنَّا إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ}.

القرآن

{ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهِهَا أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (١٠٨)} [المائدة : ١٠٨]

التفسير:

ذلك الحكم عند الارتياب في الشاهدين من الحلف بعد الصلاة وعدم قبول شهادتهما، أقرب إلى أن يأتوا بالشهادة على حقيقتها خوفًا من عذاب الآخرة، أو خشية من أن ترد اليمين الكاذبة من قِبَل أصحاب الحق بعد حلفهم، فيفتضح الكاذب الذي ردت يمينه في الدنيا وقت ظهور خيانته. وخافوا الله -أيها الناس- وراقبوه أن تحلفوا كذبًا، وأن تقتطعوا بأيمانكم مالا حرامًا، واسمعوا ما توعظون به. والله لا يهدي القوم الفاسقين الخارجين عن طاعته.

قوله تعالى:{ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهِهَا} [المائدة : ١٠٨]، أي:" ذلك الحكم عند الارتياب في الشاهدين من الحلف بعد الصلاة وعدم قبول شهادتهما، أقرب إلى أن يأتوا بالشهادة على حقيقتها خوفًا من عذاب الآخرة"(٢).

قال ابن عباس:" يقول تعالى ذكره: ذلك أدنى أن يأتي الكافرون بالشهادة على وجهها"(٣).

قال قتادة:" يقول: ذلك أحرَى أن يصدقوا في شهادتهم"(٤).

عن مقاتل بن حيان قوله: "{ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها}، يعني: الدارين"(٥).

قال ابن قتيبة:" أي: هذا الحكم أقرب بهم إلى أن يأتوا بالشهادة على وجهها، يعني: أهل الذمة"(٦).

قال الطبري:أي:" هذا الفعل، إذا فعلتم بهم، أقربُ لهم أن يصدُقوا في أيمانهم، ولا يكتموا، ويقرُّوا بالحق ولا يخونوا"(٧).

---

(١)متفق عليه؛ أخرجه البخاري (٦٧٣٢) ومسلم (١٦١٥ / ٢) من حديث ابن عباس.
(٢) التفسير الميسر:١٢٥.
(٣) أخرجه الطبري(١٢٩٧٩):ص٢٠٥/١١.
(٤) أخرجه الطبري(١٢٩٨٠):ص٢٠٥/١١.
(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٩٦٣):ص١٢٣٤/٤.
(٦) تأويل مشكل القرآن:٣٢١.
(٧) تفسير الطبري:٢٠٤/١١.

قال ابن الجوزي:" أي: ذلك الذي حكمنا به من رد اليمين، أقرب إلى إتيان أهل الذمة بالشهادة على ما كانت، وأقرب"[١].

قال الجصاص:يعني:" أقرب أن لا يكتموا ولا يبدلوا"[٢].

قال السمرقندي:" يعني: ذلك أحرى وأجدرأن يقيموا شهادة المدعي مقام شهادة المدعى عليه إذا ظهرت الخيانة، لكي لا يخونا في الشهادة، ويأتيا بالشهادة على وجهها"[٣].

قال الثعلبي:" أي: ذلك أجدر وأحرى أن يأتي الوصيان بالشهادة على وجهها وسائر الناس أمثالهم"[٤].

قال البغوي:" أي: ذلك الذي حكمنا به من رد اليمين أجدر وأحرى أن يأتي الوصيان بالشهادة على وجهها وسائر الناس أمثالهم، أي أقرب إلى الإتيان بالشهادة على ما كانت"[٥].

قال ابن عطية:" قوله تعالى:{على وجهها}، معناه: على جهتها القويمة التي لم تبدل ولا حرفت"[٦].

قال السدي:" يوقف الرجلان بعد صلاتهما في دينهما، فيحلفان بالله:"لا نشتري به ثمنًا قليلا ولو كان ذا قربى ولا نكتم شهادة الله إنا إذًا لمن الآثمين، أنّ صاحبكم لبهذا أوصى، وأنّ هذه لتركته". فيقول لهما الإمام قبل أن يحلفا:"إنكما إن كنتما كتمتما أو خنتما، فضحتكما في قومكما، ولم أجز لكما شهادة، وعاقبتكما". فإن قال لهما ذلك، فإنّ {ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها}"[٧].

قوله تعالى:{أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ} [المائدة : ١٠٨]، أي:" أو خشية من أن ترد اليمين الكاذبة من قِبَل أصحاب الحق بعد حلفهم، فيفتضح الكاذب الذي ردت يمينه في الدنيا وقت ظهور خيانته"[٨].

قال قتادة:" وأن يخافوا العَقِب"[٩].

قال ابن زيد:" فتبطل أيمانهم، وتؤخذ أيمانُ هؤلاء"[١٠].

قال ابن قتيبة:" فيحلفوا على خيانتهم وكذبهم، فيفضحوا، أو يغرّموا"[١١].

قال الجصاص:" يعني: إذا حلفا ما غيرا ولا كتما ثم عثر على شيء من مال الميت عندهما"[١٢].

قال الثعلبي: أي: "إذا خافوا رد اليمين وإلزامهم الحق"[١٣].

قال البغوي:" أي: أقرب إلى أن يخافوا رد اليمن بعد يمينهم على المدعي، فيحلفوا على خيانتهم وكذبهم فيفتضحوا ويغرموا فلا يحلفون كاذبين إذا خافوا هذا الحكم"[١٤].

قال الطبري:أي:" يقول: أو يخاف هؤلاء الأوصياء إن عثر عليهم أنهم استحقُّوا إثمًا في أيمانهم بالله، أن تردَّ أيمانهم على أولياء الميت، بعد أيمانهم التي عُثِر عليها أنها كذب، فيستحقُّوا

---

(١) زاد المسير:٥٩٩/١.
(٢) أحكام القرآن:١٦٢/٤.
(٣) بحر العلوم:٤٢٦/١.
(٤) الكشف والبيان:١٢٢/٤.
(٥) تفسير البغوي:١١٥/٣.
(٦) المحرر الوجيز:٢٥٦/٢.
(٧) أخرجه الطبري(١٢٩٨٢):ص٢٠٦/١١.
(٨) التفسير الميسر:١٢٥.
(٩) أخرجه الطبري(١٢٩٨٠):ص٢٠٥/١١.
(١٠) أخرجه الطبري(١٢٩٨١):ص٢٠٥/١١.
(١١) تأويل مشكل القرآن:٣٢١.
(١٢) أحكام القرآن:١٦٢/٤.
(١٣) الكشف والبيان:١٢٢/٤.
(١٤) تفسير البغوي:١١٥/٣.

بها ما ادّعوا قِبَلهم من حقوقهم، فيصدقوا حينئذٍ في أيمانهم وشهادتهم، مخافة الفضيحة على أنفسهم، وحذرًا أن يستحقّ عليهم ما خانُوا فيه أولياء الميِّت وورثته"(١).

قال السمعاني:" يعني: وإن يخافوا رد اليمين بعد يمينهم على المدعين؛ فلا يحلفوا على الكذب؛ خوفا من أن يرد اليمين عليهم، ويكون يمينهم أولى"(٢).

قال السمرقندي:" يعني: إذا خافا أن ترد اليمين إلى غيرهما، امتنعا عن الكذب. وقد احتج بعض الناس بهذه الآية بأن اليمين ترد إلى المدعي، ولا حجة له فيه، لأن رد اليمين حادثة أخرى، وهو ظهور الخيانة منهما. لأن دعوى الثاني دعوى الشرى، ودعوى الأول دعوى الكتمان"(٣).

أخرج ابن ابي حاتم عن ابن عباس قوله: "{ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها أو يخافوا أن ترد أيمان بعد أيمانهم}، يعني: أولياء الميت فيستحقون ماله بأيمانهم ثم يوضع ميراثه كما أمر الله وتبطل شهادة الكافرين وهي منسوخة"(٤).

وأخرج الطبري عن ابن عباس:" {فإن عُثر على أنهما استحقا إثمًا }، يقول : إن اطُّلع على أنّ الكافرين كذبَا،{فآخران يقومان مقامهما}، يقول : من الأولياء ، فحلفا بالله أنّ شهادة الكافرين باطلة ، وأنا لم نعتد ، فتردّ شهادة الكافرين ، وتجوز شهادة الأولياء. يقول تعالى ذكره : {ذلك أدنى أن يأتي الكافرون بالشهادة على وجهها ، أو يخافوا أن تردّ أيمان بعد أيمانهم}، وليس على شُهود المسلمين أقسْام ، وإنما الأقسام إذا كانوا كافرين"(٥).

قوله تعالى:{وَاتَّقُوا اللَّهَ} [المائدة : ١٠٨]، أي:" وخافوا الله -أيها الناس- وراقبوه أن تحلفوا كذبًا، وأن تقتطعوا بأيمانكم مالا حرامًا"(٦).

قال البغوي وابن الجوزي:" أن تحلفوا أيمانا كاذبة أو تخونوا أمانة"(٧).

قال السمرقندي:أي:" ولا تخونوا"(٨).

قال الطبري:أي:" وخافوا الله، أيها الناس، وراقبوه في أيمانكم أن تحلفوا بها كاذبةً، وأن تُذْهبوا بها مال من يَحْرُم عليكم ماله، وأن تخونوا من ائْتمنكم"(٩).

قال ابن عطية:" ثم أمر تعالى بالتقوى التي هي الاعتصام بالله"(١٠).

قوله تعالى:{وَاسْمَعُوا} [المائدة : ١٠٨]، أي:" واسمعوا ما توعظون به"(١١).

قال البغوي:أي: "الموعظة"(١٢).

قال السمرقندي:أي:" ما تؤمرون به"(١٣).

قال الزمخشري:أي:" سمع إجابة وقبول"(١٤).

قال البيضاوي:" أي: واسمعوا ما توصون به سمع إجابة"(١٥).

قال الطبري:" يقول: اسمعوا ما يقال لكم وما توعظون به، فاعملوا به، وانتهوا إليه"(١).

---

(١) تفسير الطبري:٢٠٤/١١.
(٢) تفسير السمعاني:٧٧/٢.
(٣) بحر العلوم:٤٢٧/١.
(٤) تفسير ابن أبي حاتم(٦٩٦٥):ص١٢٣٥/٤.
(٥) أخرجه الطبري(١٢٩٧٩):ص٢٠٥/١١.
(٦) التفسير الميسر:١٢٥.
(٧) تفسير البغوي:١١٥/٣، وزاد المسير:٥٩٩/١.
(٨) بحر العلوم:٤٢٧/١.
(٩) تفسير الطبري:٢٠٦/١١.
(١٠) المحرر الوجيز:٢٥٦/٢.
(١١) التفسير الميسر:١٢٥.
(١٢) تفسير البغوي:١١٥/٣.
(١٣) بحر العلوم:٤٢٧/١.
(١٤) الكشاف:٦٨٩/١.
(١٥) تفسير البيضاي:١٤٨/٢.

قال ابن عطية:أمر:" بالسمع لهذه الأمور المنجية"[٢].
قال القرطبي:" أي :اسمعوا ما يقال لكم، قابلين له، متبعين أمر الله فيه"[٣].
عن مقاتل بن حيان قوله: "{واتقوا الله واسمعوا}، يعني: القضاة"[٤].
قوله تعالى:{وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ} [المائدة : ١٠٨]، أي:" والله لا يهدي القوم الفاسقين الخارجين عن طاعته"[٥].
قال السمرقندي:" يعني: الخائنين"[٦].
قال الطبري:" يقول: والله لا يوفِّق من فَسَق عن أمر ربّه، فخالفه وأطاع الشيطانَ وعصى ربَّه"[٧].
قال البيضاوي:" أي: لا يهديهم إلى حجة أو إلى طريق الجنة"[٨].
قال ابن عطية:" أخبر أنه لا يهدي «القوم الفاسقين»، من حيث هم فاسقون، وإلا فهو تعالى يهديهم إذا تابوا، ويحتمل أن يكون لفظ «الفاسقين» عاما، والمراد الخصوص فيمن لا يتوب"[٩].
قال القرطبي:" فسق يفسق ويفسق: إذا خرج من الطاعة إلى المعصية"[١٠].
قال ابن زيد:"{والله لا يهدي القومَ الفاسقين}، الكاذبين، يحلفون على الكذب"[١١].
قال الطبري:" وليس الذي قال ابن زيد من ذلك عندي بمدفُوعٍ، إلا أن الله تعالى ذكره عَمَّ الخبر بأنه لا يهدي جميع الفسَّاق، ولم يخصص منهم بعضًا دون بعض بخبر ولا عقلٍ، فذلك على معاني«الفسق» كلها، حتى يخصِّص شيئًا منها ما يجب التسليمُ له، فيُسلَّم له"[١٢].
وفي الصحاح: «الهداية» بمعنى الارشاد والدلالة [١٣]، ويقال: هديتُهُ الطريقَ والبيتَ هداية، أي عَرَّفتُه به[١٤].
و«الهداية»: قد يأتي في كلام العرب: بمعنى التوفيق[١٥]، فمن ذلك قول الشاعر[١٦]:
لا تَحْرِمَنِّي هَدَاكَ الله مَسْألتِي ... وَلا أكُونَنْ كمن أوْدَى به السَّفَرُ
يعنى به : وفَّقك الله لقضاء حاجتي. ومنه قول الآخر [١٧]:
ولا تُعْجِلَنِّي هدَاك المليكُ ... فإنّ لكلِّ مَقامٍ مَقَالا
فمعلوم أنه إنما أراد : وفقك الله لإصابة الحق في أمري.
ومنه قول الله جل ثناؤه:{وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ}، أي:" لا يُوفِّقهم ، ولا يشرَحُ للحق والإيمان صدورَهم"[١].

---

(١) تفسير الطبري:٢٠٦/١١.
(٢) المحرر الوجيز:٢٥٦/٢.
(٣) تفسير القرطبي:٣٦٠/٦.
(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٩٦٧):ص١٢٣٥/٤.
(٥) التفسير الميسر:١٢٥.
(٦) بحر العلوم:٤٢٧/١.
(٧) تفسير الطبري:٢٠٦/١١.
(٨) تفسير البيضاي:١٤٨/٢.
(٩) المحرر الوجيز:٢٥٦/٢.
(١٠) تفسير القرطبي:٣٦٠/٦.
(١١) أخرجه الطبري(١٢٩٨٣):ص٢٠٦/١١.
(١٢) تفسير الطبري:٢٠٧/١١.
(١٣)الصحاح: مادة: الهُدى: ، ج ٦، ص ٢٥٣٣.
(١٤)المصباح المنير مادة (شَاءَ) و (هَدَى) ١/ ٣٣٤.
(١٥) انظر: تفسير الطبري: ١٦٧/١.
(١٦) لم أتعرف على قائله، والبيت من شواهد الطبري: ١٦٧/١، وفي أمالي المرتضى:١٦٠/١، من ابيات لودقة الأسدي يقولها لمعن بن زائدة.
(١٧)نسبه المفضل بن سلمة في الفاخر : ٢٥٣ ، وقال : " أول من قال ذلك طرفة بن العبد ، في شعر يعتذر فيه إلى عمرو بن هند " ، وليس في ديوانه ، وانظر أمثال الميداني ٢ / ١٢٥ .

وذكر السمين الحلبي وجوها في معنى «الهداية» [٢]:
أحدها: الإرشاد.
والثاني: الدلالة.
والثالث: التقدم، ومنه هوادي الخيل لتقدمها قال امرؤ القيس[٣]:
فألحقه بالهاديات ودونه ... جواحرها في صرة لم تزيل
فقوله :الهاديات، أي: أوائل بقر الوحش.
والرابع: التبيين نحو: {وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ } [فصلت: ١٧] . أي بيّنا لهم.
والخامس: الإلهام، نحو: { أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى} [طه: ٥٠] أي ألهمه لمصالحه.
والسادس: الدعاء كقوله تعالى: { وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ } [الرعد: ٧]، أي: داع.
والسابع: وقيل هو الميل، ومنه {إنا هدناَ إليك} [الأعراف: ٥٦] ، والمعنى: مل بقلوبنا إليك، قال السمين الحلبي:"وهذا غلط، فإن تيك مادة أخرى من هاد يهود"[٤].
وقال الحسن بن الفضل: "(الهدى) في القرآن على وجهين:
الوجه الأول: هدى دعاء وبيان كقوله: {وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ }[الشورى:٥٢]، وقوله:{وَلِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ}[الرعد:٧]، و{وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْناهُمْ}[فصّلت:١٧].
الوجه الثاني: هدى توفيق وتسديد كقوله: {يُضِلُّ مَنْ يَشاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشاءُ}[النحل:٩٣]، وقوله:{إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ}[القصص:٥٦]"[٥].
الفوائد:
١- أنه كلما كان الشيء أقرب إلى استنتاج الصواب والحق بالشهادة فهو أَوْلى أن يُتَّبع؛ لقوله :{ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهِهَا}؛ لأن الإنسان إذا فهم أن من ورائه أناسًا سيقومون برد شهادته والإقسام على بُطلانها فلا بد أن يتحرَّى الصدق فيما شهد به.
٢- ومن فوائد هذه الآية الكريمة: وجوب تقوى الله والسمع والطاعة له؛ لقوله تعالى : {وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا}، ومعنى {اسْمَعُوا} هنا: استجيبوا، كما سبق أيضًا في الشرح.
٣- ومن فوائد الآية الكريمة: أن الله سبحانه أخبر بأنه لا يهدي القوم الفاسقين؛ أي: الخارجين عن طاعته، وخبر اللهِ صِدقٌ .
٤- ومن فوائد الآية: أن إضلال من ضل ليس لمجرد المشيئة؛ بل لوجود العلة التي كانت سبباً في إضلال الله العبد؛ لقوله تعالى: {وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ}.
٥- ومنها: الرد على القدرية الذين قالوا: إن العبد مستقل بعمله. لا علاقة لإرادة الله تعالى به؛ لقوله تعالى: {وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ}.
٦- وتجدر الإشارة بأن الفاسق يشمل الكافر والعاصي، ولكن فسْق الكافر أشد وأفحش.
والفسق نوعان:
أحدهما: - فسق يخرج عن الإسلام، والثاني: - وفسق لا يخرج عن الإسلام
قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: " كل شيء نسبه الله إلى غير أهل الإسلام من اسم مثل خاسر، ومسرف، وظالم، وفاسق، فإنما يعني به الكفر، وما نسبه إلى أهل الإسلام فإنما يعني به الذنب " [٦].

---

(١) تفسير الطبري:١٦٧/١.
(٢)انظر: الدر المصون: ٦٣/١.
(٣) ديوانه: ٢٢، وانظر: شرح المعلقات السبع للزوزني: ٣١، إذ الرواية فيه (فالحقنا). وجواحرها،أي: متخلفاتها. لم تزيل: لم تتفرق.
(٤) الدر المصون: ٦٣/١.
(٥) تفسير الثعلبي:١١٩/١.
(٦)انظر: تفسير ابن جرير (١/ ١٤٢)، والدرر المنثور للسيوطي (١/ ١٠٥).

وقد روي عن ابن عباس وطاووس وعطاء وغير واحد من أهل العلم، قالوا: "كفر دون كفر، وفسوق دون فسوق " [١].

قال محمد بن نصر المروزي رحمه الله: " والفسق فسقان: فسق ينقل عن الملة، وفسق لا ينقل عن الملة، فيسمى الكافر فاسقًا، والفاسق من المسلمين فاسقًا"[٢].

وها هنا أمر مهمّ لا بد من التنويه به، وهو أن الإيمان لما كان شعباً متعدّدة كما أخبر الصّادق المصدوق صلى الله عليه وسلم في حديث شعب الإيمان [٣]، فإن ما يقابله ويضاده كذلك، فالكفر شعب ومراتب، فمنه ما يُخرج من الملّة، ومنه كفر دون كفر، وكذا النفاق، والشرك، والفسق، والظلم، وهذا أصل عظيم تميّز به أهل السنة عن المبتدعة من الوعيدية والمرجئة[٤].

القرآن

{يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (١٠٩)} [المائدة : ١٠٩]

التفسير:

واذكروا -أيها الناس- يوم القيامة يوم يجمع الله الرسل عليهم السلام، فيسألهم عن جواب أممهم لهم حينما دعوهم إلى التوحيد فيجيبون: لا علم لنا، فنحن لا نعلم ما في صدور الناس، ولا ما أحدثوا بعدنا. إنك أنت عليم بكل شيء مما خفي أو ظهر.

قوله تعالى:{يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ} [المائدة : ١٠٩]، أي:" واذكروا -أيها الناس- يوم القيامة يوم يجمع الله الرسل عليهم السلام"[٥].

قال الواحدي:" أيْ: اذكروا ذلك اليوم"[٦].

قال ابن عاشور:أي:" اذكر يوم يجمع الله الرسل"[٧].

قال القاسمي:" تخصيص الرسل بالذكر ليس لاختصاص الجمع بهم دون الأمم، بل لإبانة شرفهم وأصالتهم والإيذان بعدم الحاجة إلى التصريح بجمع غيرهم، بناء على ظهور كونهم أتباعا لهم"[٨].

قال الزجاج:" ومعنى المسألة من الله تعالى للرسل تكون على جهة التوبيخ للذين أرسلوا إليهم، كما قال عز وجل: {وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ(٨) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ} [التكوير : ٨-٩]...فإنما تسأل ليوبخ قاتلوها ...أما نصب {يوم} فمحمول على قوله:{واتقوا الله واسمعوا} أي، واتقوا يوم يجمع الله الرسل، كما قال: {وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا} [البقرة : ٤٨]"[٩].

وفي الصحيح في حديث الشفاعة: "إن ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله"[١٠].

---

(١)أخرجه الترمذي في السنن، كتاب الإيمان.

(٢)تعظيم قدر الصلاة (٢/ ٥٢٦).

(٣)وهو قوله صلى الله عليه وسلم: «الإيمان بضع وستون شعبة أعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ..» أخرجه البخاري، كتاب الإيمان ح (٩). ومسلم، كتاب الإيمان ح (٣٥).

(٤)انظر: كتاب الصلاة لابن القيم ص (٥٣ - ٥٨).

(٥) التفسير الميسر:١٢٦.

(٦) الوجيز:٣٤١.

(٧) التحرير والتنوير:٩٨/٧.

(٨) محاسن التأويل:٢٨٩/٤.

(٩) معاني القرآن:٢١٨/٢.

(١٠)أخرجه البخاري في: الأنبياء، ٣- باب قول الله عز وجل: ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه، حديث ١٥٧٩ عن أبي هريرة، وأخرجه مسلم في: الإيمان، حديث ٣٢٧ و ٣٢٨.

عن أبي أمامة الباهلي:" أن رجلا قال: يا رسول الله كم كان الرسل. قال: ثلاثمائة وخمسة عشر"[1].

قوله تعالى:{فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ} [المائدة : ١٠٩]، أي:" فيسألهم: ما الذي أجابتكم به أممكم؟"[2].

قال الطبري:" يعني به: ما الذي أجابتكم به أممكم، حين دعوتموهم إلى توحيدي، والإقرار بي، والعمل بطاعتي، والانتهاء عن معصيتي؟"[3].

قال القاسمي:أي:" ما الذي أجابكم من أرسلتم إليهم؟ ففيه إشعار بخروجهم عن عهدة الرسالة، إذا لم يقل: هل بلغتم رسالاتي؟ وفي توجيه السؤال إليهم. والعدول عن إسناد الجواب إلى قومهم بأن يقال: ماذا أجابوا- من الإنباء عن شدة الغضب الإلهي ما لا يخف"[4].

قال محمد رشيد رضا:" والمراد من السؤال توبيخ أممهم، وإقامة الحجة على الكافرين منهم، والمعنى أي إجابة أجبتم، أإجابة إيمان وإقرار أم إجابة كفر واستكبار؟ فهو سؤال عن نوع الإجابة لا عن الجواب ماذا كان"[5].

قال أبو السعود:" أي: أي إجابة أجبتم من جهة أممكم: إجابة قبول أو إجابة رد؟، وقيل: بأي جواب أجبتم وعلى التقديرين ففي توجيه السؤال عما صدر عنهم وهم شهود إلى الرسل عليهم السلام كسؤال الموءودة بمحضر من الوائد والعدول عن إسناد الجواب إليهم بأن يقال ماذا أجابوا من الأنباء عن كمال تحقير شأنهم وشدة الغيظ والسخط عليهم ما لا يخفي"[6].

قوله تعالى:{قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا} [المائدة : ١٠٩]، أي:" لا علم لنا إلى جنب علمك"[7].

قال الثعلبي:" أي فيقولون: لا علم لنا"[8].

قال أبو السعود:" وصيغة الماضي في قوله:{قالوا}، للدلالة على التقرر والتحقق كما في قوله تعالى : {وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ} [الأعراف : ٤٤]، ونظائرهما، وإنما يقولون ذلك تفويضا للأمر إلى علمه تعالى وإحاطته بما اعتراهم من جهتهم من مقاساة الأهوال ومعاناة الهموم والأوجال وعرضا لعجزهم عن بيانه لكثرته وفظاعته"[9].

وفي قوله تعالى:{قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا} [المائدة : ١٠٩]، ستة تاويلات:

أحدها : لم يكن ذلك إنكاراً لِمَا علموه، ولكن ذهلوا عن الجواب من هول ذلك اليوم ثم أجابوا بعدما ثابت عقولهم ، قاله الحسن[10]، ومجاهد[11]، والسدي[12]، وإسحاق بن خلف[13]، وروي عن ابن عباس نحوه[14]، واختاره الواحدي[15].

قال السمعاني:" فإن قال قائل: كيف يقولون: لا علم لنا، وقد علموا ما أجابوا؟

---

(١) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٩٦٩):ص١٢٣٥/٤.

(٢) صفوة التفاسير:٣٤٤.

(٣) تفسير الطبري:٢٠٩/١١-٢١٠.

(٤) محاسن التأويل:٢٨٩/٤.

(٥) تفسير المنار:٢٠٢/٧.

(٦) تفسير أبي السعود:٩٣/٣.

(٧) صفوة التفاسير:٣٤٤.

(٨) الكشف والبيان:١٢٢/٤.

(٩) تفسير أبي السعود:٩٣/٣.

(١٠) انظر: تفسير الطبري(١٢٩٨٧):ص٢١٠/١١.

(١١) انظر: تفسير الطبري(١٢٩٨٨):ص٢١٠/١١.

(١٢) انظر: تفسير الطبري(١٢٩٨٦):ص٢١٠/١١.

(١٣) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٦٩٧٤):ص١٢٣٦/٤.

(١٤) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٦٩٧٠):ص١٢٣٥/٤، وفيه:" {يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا: لا علم لنا}، قال: ثم يرد الله عليهم عقولهم فيكونون هم الذين يسألون. يقول الله: {فلنسئلن الذين أرسل إليهم ولنسئلن المرسلين}".

(١٥) انظر: الوجيز:٣٤١.

قيل: إن جهنم تزفر زفرة تذهل بها عقولهم؛ فيقولون من شدة الفزع: لا علم لنا؛ ثم يرد الله - تعالى - عليهم عقولهم، فيخبرون بالجواب"(١).

قال الزجاج:" قال بعضهم: لو كانت عزبت أفهامهم لم يقولوا: {إنك أنت علام الغيوب}"(٢).

والثاني : لا علم لنا إلا ما علمتنا ، قاله مجاهد -في قوله الآخر-(٣).

والثالث : لا علم لنا إلا علمٌ أنت أعلمُ به منَّا، قاله ابن عباس(٤).

والرابع : لا علم لنا بما أجاب به أممنا ، لأن ذلك هو الذي يقع عليه الجزاء ، ذكره الماوردي عن الحسن أيضاً(٥)، وذكر الزجاج عن بعضهم نحوه(٦).

والخامس : أن معنى قوله :{مَاذَا أُجِبْتُمْ}، أي:ماذا عملوا بعدكم ، {قَالُواْ لاَ عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلاَّمُ الْغُيُوْبِ}، قاله ابن جريج(٧).

قال السمعاني:" وقيل: معناه: لا علم بعاقبة أمرهم، وبما أحدثوا من بعد، وأن أمرهم على ماذا ختم، وعلى هذا دل شيئان:

أحدهما: من الآية قوله {إنك أنت علام الغيوب}.

والثاني: ما روى صحيحا عن رسول الله أنه قال: «يسلك بطائفة من أصحابي ذات الشمال - يعني يوم القيامة - فأقول: يا رب، أصحابي أصحابي، فيقول الله - تبارك وتعالى -: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم. فأقول ما قال العبد الصالح:{وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ}(٨)»(٩)"(١٠).

قال الطبري:هذا" تأويل لا معنَى له، لأن الأنبياء لم يكن عندها من العلم بما يَحدُث بعدها إلا ما أعلمها الله من ذلك، وإذا سئلت عَمَّا عملت الأمم بعدها والأمر كذلك، فإنما يقال لها: ماذا عَرَّفناك أنه كائن منهم بعدك؟ وظاهرُ خَبر الله تعالى ذكره عن مسألته إيّاهم، يدلّ على غير ذلك"(١١).

والسادس: يعني: لا علم لنا بما كان في قلوبهم من الإيمان بك وغيره، إنما علمنا بما أظهروه من الإقرار باللسان {إنك أنت علام الغيوب}، فقيل له: يطالبهم بحقيقة ما في قلوب الأمة؟ فقال: لا، وإنما وقع السؤال بنفسه إياهم عن حقيقة الظاهر الذي لا يظهر إلا بحقيقة الباطن، فأجابوا بالإشارة إلى رد العلم إليه. قاله التستري(١٢).

---

(١) تفسير السمعاني:٧٧/٢.

(٢) معاني القرآن:٢١٨/٢.

(٣) انظر: تفسير الطبري(١٢٩٨٩):ص٢١١/١١.

(٤) انظر: تفسير الطبري(١٢٩٩٠):ص٢١١/١١.

(٥) انظر: النكت والعيون:١٢٣٦/٤.

(٦) انظر: معاني القرآن:٢١٨/٢.

(٧) انظر: تفسير الطبري(١٢٩٩١):ص٢١١/١١.

(٨) [المائدة:١١٧].

(٩) أخرجه أحمد(٢٠٩٦):ص٤/٩-١٠، وإسناده صحيح على شرط الشيخين، وأخرجه ابن أبي شيبة ١٥٧/١١ و٢٤٧/١٣، ومسلم (٢٨٦٠) (٥٨) ، والنسائي ١١٧/٤ من طريق وكيع، بهذا الإسناد، ورواية ابن أبي شيبة مختصرة.

وأخرجه البخاري (٢٥٢٦) ، ومسلم (٢٨٦٠) (٥٨) ، وابن حبان (٧٣٤٧) من طريق محمد بن جعفر، به.

وأخرجه الطيالسي (٢٦٣٨) ، والدارمي (٢٨٠٢) ، والبخاري (٤٦٢٥) و (٤٧٤٠) ، ومسلم (٢٨٦٠) (٥٨) ، والنسائي ١١٧/٤، والبيهقي في "الأسماء والصفات" ص ٣٩٥ من طرق عن شعبة، به. وقد تقدم مختصرا برقم (١٩١٣) ، وسيأتي برقم (٢٢٨١) و (٢٢٨٢) و (٢٣٢٧) .

(١٠) تفسير السمعاني:٧٧/٢-٧٨.

(١١) تفسير الطبري:٢١٢/١١.

(١٢) تفسير التستري:٦٠.

والصواب-والله أعلم- هو قول ابن عباس، أي:" لا علم لنا، إلا علم أنت أعلم به منّا، لأنه تعالى ذكره أخبر عنهم أنهم قالوا:{لا علم لنا إنَّك أنتَ علام الغيوب}، أي: إنك لا يخفى عليك ما عندنا من علم ذلك ولا غيره من خفيِّ العلوم وجليِّها. فإنما نَفى القومُ أن يكون لهم بما سُئلوا عنه من ذلك علم لا يعلمه هو تعالى ذكره لا أنَّهم نَفَوا أن يكونوا علموا ما شاهدُوا. كيف يجوز أن يكون ذلك كذلك، وهو تعالى ذكره يخبر عنهم أنَّهم يُخْبرون بما أجابتهم به الأمم، وأنهم يسْتشهدون على تبليغهم الرسالة شهداء، فقال تعالى ذكره: {وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا} [سورة البقرة:١٤٣]"[١].

فإن قيل : فلم سألهم عما هو أعلم به منهم ؟ فعليه جوابان[٢]:

أحدهما : أنه إنما سألهم ليعلمهم ما لم يعلموا من كفر أممهم ونفاقهم وكذبهم عليهم من بعدهم .

والثاني : أنه أراد أن يفضحهم بذلك على الأشهاد ليكون ذلك نوعاً من العقوبة لهم .

وقرىء: «علام الغيوب»، بالنصب على النداء أو الاختصاص بالمدح على أن الكلام قد تم عند قوله تعالى: {أنت}، أي: إنك أنت المنعوت بنعوت كمالك المعروف بذلك[٣].

قوله تعالى:{إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ} [المائدة : ١٠٩]، أي:" إنك أنت عليم بكل شيء مما خفي أو ظهر"[٤].

قال أبو السعود:" تعليل لذلك، أي: فتعلم ما أجابوا وأظهروا لنا وما لم نعلمه مما أضمروه في قلوبهم وفيه إظهار للشكاة ورد للأمر إلى علمه تعالى بما لقوا من قبلهم من الخطوب وكابدوا من الكروب والتجاء إلى ربهم في الانتقام منهم وقيل المعنى لا علم لنا بما أحدثوا بعدنا وإنما الحكم للخاتمة ورد ذلك بأنهم يعرفونهم بسيماهم فكيف يخفى عليهم أمرهم وأنت خبير بأن مرادهم حينئذ أن بعضهم كانوا في زمانهم على الحق ثم صاروا كفرة"[٥].

قال محمد رشيد رضا:" يعني أنه ليس بنفي لعلمهم بإطلاق وإنما هو نفي لعلم الإحاطة الذي هو خاص بالخلاق العليم; إذ الرسل كانوا يعلمون ظاهر ما أجيبوا به من مخاطبيهم ولا يعلمون بواطنهم، ولا حال من لم يروه من أممهم، إلا ما يوحيه تعالى إليهم من ذلك، وهو قليل من كثير; ولذلك فقرنوا نفي العلم عنهم بإثبات المبالغة في علم الغيب له تعالى، فإن صيغة " علام " معناها كثير العلم، أي بكثرة المعلومات، وإلا فعلمه واحد محيط بكل شيء إحاطة كاملة. ولا يوصف تعالى بـ«العلامة»، ولعله لما فيه من «تاء» التأنيث، قال تعالى لنوح عليه السلام لما سأل ربه أن ينجي ولده من الطوفان: {فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ} [هود : ٤٦]، وقال لخاتم رسله عليه الصلاة والسلام: {وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ} [التوبة : ١٠١] "[٦].

الفوائد:

١- شدة هول يوم القيامة وصعوبة الموقف حتى إن الرسل ليذهلون.
٢- ومن الفوائد: تمام قدرة الله تبارك وتعالى، وذلك بجمعه الرسل في ذلك الموقف العظيم الذي يختلط فيه الآدميون والوحوش والسباع والإبل وغيرها، فيجمع الله الرسول سبحانه وتعالى بقدرته وإذنه.
٣- ومن فوائد هذه الآية الكريمة: فضيلة الرسل عليهم الصلاة والسلام، حيث إن الله سبحانه وتعالى يعتني بهم هذا الاعتناء؛ حتى إنه يسألهم يوم القيامة في هذا المشهد العظيم: ماذا أُجيبوا؟ تكريمًا لهم وإظهارًا لإبلاغهم الرسالة.

---

(١) تفسير الطبري:١١/٢١١-٢١٢.
(٢) انظر: النكت والعيون:٧٨/٢.
(٣) انظر: تفسير أبي السعود:٩٤/٣.
(٤) التفسير الميسر:١٢٦.
(٥) تفسير أبي السعود:٩٤/٣.
(٦) تفسير المنار:٢٠٣/٧.

٤- ومن فوائد هذه الآية الكريمة: تأدُّب الرسل عليهم الصلاة والسلام مع الله عز وجل، حيث قالوا :{لَا عِلْمَ لَنَا} هذا وجه.
الوجه الثاني: أنهم عرفوا قدر أنفسهم؛ وأنهم لا يعلمون الغيب .
الوجه الثالث: أنهم علموا أن الأمم بعدهم لا يعلمون عنها شيئًا حسب الاحتمالات التي ذكرناها في وجه قوله :{لَا عِلْمَ لَنَا}.
٥- ومن فوائد هذه الآية الكريمة: إثبات علم الغيب لله عز وجل؛ لقول الرسل عليهم الصلاة والسلام، وهذا القول إجماع منهم {إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ} يعني: لا غيرك، والكهنة يخبرون عن مغيبات المستقبل، لكنهم لهم أناس من الجن يستمعون الوحي، ويسترقونه، ويلقونه إلى الكاهن، ويضيف الكاهن إليه كذبات كثيرة، ويصدق بكلمة واحدة، وهذا لا ينافي القول بأن الله علام الغيوب وحده؛ لأن الله تعالى قال في هؤلاء الذين يسترقون السمع قال :{إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ}[الحجر ١٨] فاستثنى الله عز وجل، قال :{إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ}.

القرآن

{إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ (١١٠)} [المائدة : ١١٠]

التفسير:

إذ قال الله يوم القيامة: يا عيسى بن مريم اذكر نعمتي عليك إذ خلقتك من غير أب، وعلى والدتك حيث اصطفيتها على نساء العالمين، وبرأتها مما نُسِب إليها، ومن هذه النعم على عيسى أنه قوَّاه وأعانه بجبريل عليه السلام، يكلم الناس وهو رضيع، ويدعوهم إلى الله وهو كبير بما أوحاه الله إليه من التوحيد، ومنها أن الله تعالى علَّمه الكتابة والخط بدون معلم، ووهبه قوة الفهم والإدراك، وعَلَّمه التوراة التي أنزلها على موسى عليه السلام، والإنجيل الذي أنزل عليه هداية للناس، ومن هذه النعم أنه يصوِّر من الطين كهيئة الطير فينفخ في تلك الهيئة، فتكون طيرًا بإذن الله، ومنها أنه يشفي الذي وُلِد أعمى فيبصر، ويشفي الأبرص، فيعود جلده سليمًا بإذن الله، ومنها أنه يدعو الله أن يحييَ الموتى فيقومون من قبورهم أحياء، وذلك كله بإرادة الله تعالى وإذنه، وهي معجزات باهرة تؤيد نبوة عيسى عليه السلام، ثم يذكِّره الله جل وعلا نعمته عليه إذ منع بني إسرائيل حين همُّوا بقتله، وقد جاءهم بالمعجزات الواضحة الدالة على نبوته، فقال الذين كفروا منهم: إنَّ ما جاء به عيسى من البينات سحر ظاهر.

قوله تعالى:{إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ} [المائدة : ١١٠]، أي:" إذ قال الله يوم القيامة: يا عيسى بن مريم اذكر نعمتي عليك إذ خلقتك من غير أب، وعلى والدتك حيث اصطفيتها على نساء العالمين، وبرأتها مما نُسِب إليها"(١).

قال السمعاني:" أمره بشكر النعمة"(٢).

قال ابن كثير:" أي : في خلقي إياك من أم بلا ذكر ، وجعلي إياك آية ودلالة قاطعة على كمال قدرتي على الأشياء { وَعَلَى وَالِدَتِكَ} حيث جَعلتُكَ لها برهانًا على براءتها مما نسبه الظالمون الجاهلون إليها من الفاحشة"(٣).

---

(١) التفسير الميسر:١٢٦.
(٢) تفسير السمعاني:٧٨/٢.
(٣) تفسير ابن كثير:٢٢٣/٣.

وإنما ذكَّر الله عيسى عليه السلام نعمته عليه على والدته ، وإن كان لهما ذاكراً لأمرين(١):
أحدهما : ليتلو على الأمم ما خصه به من الكرامة ومَيّزَه به من علو المنزلة .
والثاني : ليؤكد به حجته ويرد به جاحده .
قال الزمخشري:" وقيل: لما قال الله تعالى لعيسى :{اذكر نعمتي عليك}، كان يلبس الشعر ويأكل الشجر ولا يدخر شيئا لغد يقول: مع كل يوم رزقه، لم يكن له بيت فيخرب، ولا ولد فيموت، أينما أمسى بات"(٢).
قوله تعالى:{إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ} [المائدة : ١١٠]، أي:" أي حين قوّيتك بالروح الطاهرة المقدسة «جبريل» عليه السلام"(٣).
قال القرطبي:" {إذ أيدتك}، يعني: قويتك، مأخوذ من الأيد وهو القوة"(٤).
قال البغوي:يعني: قويتك، بجبريل -عليه السلام- فمكث في رسالته ثلاثين شهرا ثم رفعه الله إليه"(٥).
قال ابن كثير:{ رُوحِ الْقُدُسِ}: "وهو جبريل ، عليه السلام ، وجعلتك نبيًا داعيًا إلى الله في صغرك وكبرك ، فأنطقتك في المهد صغيرًا ، فشهدت ببراءة أمك من كل عيب ، واعترفت لي بالعبودية ، وأخبرت عن رسالتي إياك ودعوتك إلى عبادتي"(٦).
قال الماوردي:" يعني قويتك ، مأخوذ من الأيد وهو القوة ، وروح القدس جبريل ، والقدس هو الله تعالى تقدست أسماؤه، وتأييده له من وجهين :
أحدهما : تقويته على أمر دينه .
والثاني : معونته على دفع ظلم اليهود والكافرين له"(٧).
و«الأيد» و«الآد»: القوة، يقال: أَيَّدَه وآيده: إذا قواه، قال امرؤ القيس(٨):
فَأَثَّتْ أَعَاليه وآدَتْ أُصولُه ... ومال بقُنْيَانٍ من البُسْرِ أحمرا
أي: قويت وإياد كل شيء: ما يَقْوَى به(٩)، يقال منه : أيدك الله، أي قواك، قال العجاج(١٠) :
من أن تبدلت بآدي آدا ... لم يك ينآد فأمسى انآدا
يعني : بشبابي قوة المشيب، ومنه قول الآخر (١١):
إن القداح إذا اجتمعن فرامها ... بالكسر ذو جَلَد وبطش أيِّد
يعني بالأيد : القوي(١٢).

---

(١) انظر: النكت والعيون:٧٩/٢، وتفسير القرطبي:٣٦٢/٦
(٢) الكشاف:٦٩١/١.
(٣) صفوة التفاسير:٣٤٤.
(٤) تفسير القرطبي:٣٦٢/٦.
(٥) تفسير البغوي:١١٦/٣.
(٦) تفسير ابن كثير:٢٢٣/٣.
(٧) النكت والعيون:٧٩/٢.
(٨)يصف نخيلًا، انظر "ديوانه" ص ٦٠، "لسان العرب" ١/ ١٨٩ (مادة أيد). "المعجم المفصل" ٣/ ١٤٠.
(٤) ينظر "تهذيب اللغة" ١/ ٩٦، "اللسان" ١/ ١٨٩، وفيه: وإياد كل شيء: ما يقوى به من جانبيه، وهما إياداه.
(٩)تهذيب اللغة" ١/ ٩٦، "اللسان" ١/ ١٨٩.
(١٠)زيادة ديوانه : ٧٦ ، واللسان (آود) (أيد) ومجاز القرآن : ٤٦ ، وأمالي الزجاجي : ٣٩ في خبر ، ورواه : "فإن تبدلت بآدي آدا".
والقعاد : القواعد من النساء ، جمع على جمع المذكر ، كما قال القطامي :
أبصارهن إلى الشبان مائلة وقد أراهن عني غير صداد
يعني : غير صواد .
(١١)ينسب البيت - من أبيات - لعبد الملك بن مروان ، والصواب أنه لعبد الله بن عبد الأعلى ابن أبي عمرة الشيباني . مولى بني شيبان (تاريخ الطبري ٤ : ٢٢ / وسمط اللآلئ : ٩٦٣ ترجمته)
(١٢) انظر: تفسير الطبري:٣١٩/٢-٣٢٠.

واختلف أهل التفسير في معنى {رُوحِ الْقُدُسِ}[البقرة:٨٧]، على وجوه:

القول الأول:أنه جبريل عليه السلام[١] والقدس: الطهارة، هو قول قتادة[٢]، والربيع بن أنس[٣]، والسدي[٤]، والضحاك[٥]، ومحمد ابن كعب القرظي[٦]، وعطية العوفي[٧]، وإسماعيل بن أبي خالد[٨]، و شهر بن حوشب الأشعري[٩]. واختاره الزجاج[١٠]، والطبري[١١]، والشنقيطي[١٢]، وغيرهم.

ويؤيده قوله -صلى الله عليه وسلم-: "اللهم أيد حسان بروح القدس كما نافح عن نبيك"[١٣].

ومنه قول حسان[١٤]:

وجبريل رسول الله ينادي ... وروح القدس ليس به خفاء

---

(١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ٢٦٩/١-٢٧٠، جامع البيان للطبري: ٣٢٠/٢، النكت والعيون للماوردي: ١٥٦/١، زاد المسير لابن الجوزي: ١١٢/١. وذهب إليه: الزجاج في معاني القرآن: ١٦٨/١، والطبري في جامع البيان: ٣٢١/٢، والماوردي في النكت والعيون: ١٥٦/١، وابن عطية في المحرر الوجيز: ٢٨٧/١، والرازي في مفاتيح الغيب: ١٩١/١، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن: ٢٤/٢، وابن كثير في تفسير القرآن العظيم: ١٥٥/١، والسمين الحلبي في الدر المصون: ٢٩٤/١، وغيرهم.

(٢) انظر: تفسير الطبري(١٤٨٥):ص٣٢٠/٢

(٣) انظر: تفسير الطبري(١٤٨٨):ص٣٢٠/٢

(٤) انظر: تفسير الطبري(١٤٨٦):ص٣٢٠/٢

(٥) انظر: تفسير الطبري(١٤٨٧):ص٣٢٠/٢

(٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٨٨٤):ص١٦٨/١.

(٧) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:١٦٨/١.

(٨) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٨٨٣):ص١٦٨/١.

(٩) انظر: تفسير الطبري(١٤٨٩):ص٣٢٠/٢

(١٠) انظر: معاني القرآن: للزجاج:١٦٨/١.

(١١) انظر: تفسير الطبري: ص٣٢٠/٢

(١٢) انظر: أضواء البيان: ٤٥٣/٢.

(١٣)وكذا عزاه المزي في تحفة الأشراف (١٠/١٢) للبخاري ، وقال الحافظ ابن حجر في "النكت الظراف" : "لم أر هذا الموضع في صحيح البخاري ، وقد وصله أحمد والطبراني وصححه الحاكم".

(١٤)ديوانه: ١ / ١٧، ١٨، و " سيرة ابن هشام " ٢ / ٤٢١، ٤٢٤، والسهيلي ٢ / ٢٨٠، وابن سيد الناس ٢ / ١٨١، و " تهذيب ابن عساكر " ٤ / ١٣٠، ١٣١.

ونص الحديث: (حديث مرفوع) "أَخْبَرَنَا أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ نَصْرٍ الصَّيْدَلانِيُّ ، بِقِرَاءَتِي عَلَيْهِ بِأَصْبَهَانَ ، قُلْتُ لَهُ : أَخْبَرَتْكُمْ فَاطِمَةُ بِنْتُ عَبْدِ اللَّهِ ، قِرَاءَةً عَلَيْهَا ، أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رِيذَةَ ، أَخْبَرَنَا أَبُو الْقَاسِمِ سُلَيْمَانُ بْنُ أَحْمَدَ الطَّبَرَانِيُّ ، حَدَّثَنَا مُطَّلِبُ بْنُ شُعَيْبٍ الأَزْدِيُّ ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ ، حَدَّثَنِي اللَّيْثُ ، حَدَّثَنِي خَالِدُ بْنُ يَزِيدَ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي هِلالٍ ، عَنْ عُمَارَةَ بْنِ غَزِيَّةَ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، عَنْ عَائِشَةَ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : " اهْجُوا قُرَيْشًا فَإِنَّهُ أَشَدُّ عَلَيْهِمْ مِنْ رَشْقِ النَّبْلِ " ، فَأَرْسَلَ إِلَى ابْنِ رَوَاحَةَ ، فَقَالَ : اهْجُهُمْ فَهَجَاهُمْ ، فَلَمْ يَرْضَ ، فَأَرْسَلَ إِلَى كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى حَسَّانِ بْنِ ثَابِتٍ ، فَلَمَّا دَخَلَ حَسَّانُ ، قَالَ : قَدْ آنَ أَنْ تُرْسِلُوا إِلَى هَذَا الأَسَدِ الضَّارِبِ بِذَنَبِهِ ، دَلَعَ لِسَانَهُ فَجَعَلَ يُحَرِّكُهُ ، فَقَالَ : وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لأَفْرِيَنَّهُمْ فَرْيَ الأَدِيمِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " لا تَعْجَلْ فَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ أَعْلَمُ قُرَيْشٍ بِأَنْسَابِهَا ، وَإِنَّ لِي فِيهِمْ نَسَبًا حَتَّى يَخْلُصَ لَكَ نَسَبِي " ، فَأَتَاهُ حَسَّانُ ثُمَّ رَجَعَ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَدْ خَلَصَ لِي نَسَبُكَ ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لأَسُلَّنَّكَ مِنْهُمْ كَمَا تُسَلُّ الشَّعْرَةُ مِنَ الْعَجِينِ ، قَالَتْ عَائِشَةُ : فَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لِحَسَّانٍ : " إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ لا يَزَالُ يُؤَيِّدُكَ مَا نَافَحْتَ عَنِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ " ، قَالَ : فَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : " هَجَاهُمْ حَسَّانُ فَشَفَى وَاشْتَفَى . " قَالَ حَسَّانُ : هَجَوْتَ مُحَمَّدًا فَأَجَبْتُ عَنْهُ وَعِنْدَ اللَّهِ فِي ذَاكَ الْجَزَاءُ هَجَوْتَ مُحَمَّدًا بَرًّا حَنِيفًا رَسُولَ اللَّهِ شِيمَتُهُ الْوَفَاءُ فَإِنَّ أَبِي وَوَالِدَهُ وَعِرْضِي لِعِرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وِقَاءُ ثَكِلْتُ بُنَيَّتِي إِنْ لَمْ تَرَوْهَا تُثِيرُ النَّقْعَ مِنْ كَنَفَي كَدَاءُ تُنَازِعُنِي الأَعِنَّةَ مُصْعِدَاتٍ عَلَى أَكْتَافِهَا الأَسَلُ الظِّمَاءُ تَظَلُّ جِيَادُنَا مُتَمَطِّرَاتٍ تُلَطِّمُهُنَّ بِالْخُمُرِ النِّسَاءُ فَإِنْ أَعْرَضْتُمُ عَنَّا اعْتَمَرْنَا وَكَانَ الْفَتْحُ وَانْكَشَفَ الْغِطَاءُ وَإِلا فَاصْبِرُوا لِضِرَابِ يَوْمٍ يُعِزُّ اللَّهُ فِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَقَالَ اللَّهُ قَدْ أَرْسَلْتُ عَبْدًا يَقُولُ الْحَقَّ لَيْسَ بِهِ خَفَاءُ وَقَالَ اللَّهُ قَدْ يَسَّرْتُ جُنْدًا هُمُ الأَنْصَارُ عُرْضَتُهَا اللِّقَاءُ تُلاقِي مِنْ مَعَدٍّ كُلَّ يَوْمٍ سِبَابٌ أَوْ قِتَالٌ أَوْ هِجَاءُ فَمَنْ يَهْجُو رَسُولَ اللَّهِ مِنْكُمْ وَيَمْدَحُهُ وَيَنْصُرُهُ سَوَاءُ وَجِبْرِيلُ رَسُولُ اللَّهِ فِينَا وَرُوحُ الْقُدُسِ لَيْسَ لَهُ كِفَاءُ رَوَاهُ مُسْلِمٌ بِنَحْوِهِ ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ شُعَيْبِ بْنِ اللَّيْثِ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ جَدِّهِ ، بِإِسْنَادِهِ ، وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ : يُبَارِينَ الأَعِنَّةَ".

وعن شهر بن حوشب الأشعري : أن نفرًا من اليهود سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : أخبرنا عن الروح. فقال : "أنشدكم بالله وبأيامه عند بني إسرائيل، هل تعلمون أنه جبريل ؟ وهو الذي يأتيني ؟" قالوا : نعم"(١).

وفي صحيح ابن حبان أظنه عن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "إن روح القدس نفخ في روعي : إن نفسًا لن تموت حتى تستكمل رزقها وأجلها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب"(٢).

واختلفوا في سبب تسمية «جبريل»-عليه السلام-، بـ«روح القدس»، على ثلاثة أقوال:

أحدها : أنه سُمِّيَ رُوحاً، لأنَّه بمنزلة الأرواح للأبدان، يحيي بما يأتي به من البينات من الله عز وجل(٣)، كما قال عز وجل: {أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ} [الأنعام: ١٢٢]، أي: "كان كافرًا فهديناه"(٤).

والثاني: أنه سمي روحاً، لأن الغالب على جسمه الروحانية، لرقته، وكذلك سائر الملائكة، وإنما يختص به جبريل تشريفاً(٥) .

والثالث : أنه سمي روحاً، لأنه كان بتكوين الله تعالى له روحاً من عنده من غير ولادة .

القول الثاني:أن المراد بروح القدس: الإنجيل، كما قال في القرآن:{وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا} [الشورى : ٥٢]، وسمي به، لأن الدين يحيا به ومصالح الدنيا تنتظم لأجله(٦). وهذا قول ابن زيد(٧).

والقول الثالث: أن روح القدس: اسم الله الأعظم الذي كان عيسى يُحيي به الموتى(٨)، قاله: ابن عباس في رواية الضحاك عنه(٩)، وروي نحوه عن سعيد بن جبير(١٠).

والقول الرابع: أن روح القدس عيسى-عليه السلام-، وإنما كان ذلك تأييداً له لأن تكوينه في ذلك الروح اللدني هو الذي هيأه لأن يأتي بالمعجزات العظيمة(١١).

وقالوا " وسمى روحَه قُدُسًا؛ لأنه لم تتضمنه أصلاب الفحولة، ولم تشتمل عليه أرحام الطوامث"(١٢).

والقول الأول أظهر، وهو قول الجمهور، لأن التسمية فيه أظهر مما عداه(١٣)، ولأن التأييد به على الحقيقة، ولأن الله-جل ثناؤه-أخبر أنه أيد عسى به في قوله تعالى: {إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ} [المائدة:١١٠] وهي تدل من جهتين على أن «روح القدس» غير الإنجيل:

الأولى: قوله-عز وجل-: {تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ}[المائدة:١١٠] ونزول الإنجيل على عيسى كان في مرحلة الرجولة لا المهد.

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره(١٤٨٩):ص٣٢٠/٢، من طريق سلمة عن ابن إسحاق به.

(٢)ورواه البغوي في شرح السنة (٣٠٤/١٤) من طريق أبي عبيد عن هشيم عن إسماعيل بن أبي خالد عن زبيد اليامي ، عمن أخبره ، عن ابن مسعود به مرفوعًا.

(٣) انظر: النكت والعيون:١٥٦/١.

(٤) التفسير البسيط: ١٣٠/٣.

(٥) انظر: النكت والعيون:١٥٦/١.

(٦) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي (١/ ٨٦).

(٧) انظر: تفسير الطبري:(١٤٩٠):ص ٣٢١/٢، وزاد المسير لابن الجوزي: ١١٣/١، وغيرهما،

(٨)انظر: تفسير للطبري: ٣٢١/٢، وتفسير ابن أبي حاتم: ٢٧٠/١-٢٧١، وغيرهما.

(٩) انظر: تفسير الطبري(١٤٩١):ص٤٢١/٢، وابن أبي حاتم(٨٨٦):ص١٦٩/١.

(١٠) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:١٦٩/١.

(١١)انظر: الكشاف للزمخشري: ٢٩٤/١، مفاتيح الغيب للرازي: ١٩٠/٣.

(١٢) التفسير البسيط: ١٣١/٣، وتفسير الثعلبي: ٢٣٢/١.

(١٣) انظر: تفسير الرازي: ١٦٣/٢.

والثانية: أنه لو كان المراد به الإنجيل لكان ذكر الإنجيل مرة أخرى لا معنى له،"وذلك خلف من الكلام والله-تعالى ذكره-يتعالى عن أن يخاطب عباده بما لا يفيدهم به فائدة"[١]، لكن قد يقال: إن الكلام في معرض الامتنان فإعادة ذكر الإنجيل مرة أخرى لا تخلو من فائدة؛ لأنه في الأول امتنان بالتأييد وفي الثاني امتنان بالتعليم وهما شيئان مختلفان لكن الجهة الأولى لا جواب عنها. وكونه اسم الله الأعظم الذي كان عيسى يحي به الموتى يحتاج إلى نقل صحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم. أما كون المراد روح عيسى-عليه السلام-فوجه تأييد عيسى به متكلف. والله أعلم.

وفي معنى {الْقُدُسِ}[المائدة:١١٠]، ثلاثة أقوال:

أحدها : هو الله تعالى، ولذلك سُمِّي عيسى عليه السلام روح القدس، لأن الله تعالى كوَّنه من غير أب، وهذا قول الحسن[٢]، والربيع[٣]، وجعفر[٤]، وابن زيد[٥].

والثاني : أن القدس: المطهر، قاله ابن عباس[٦]، كأنه دل به على التطهر من الذنوب، قال العَجّاج[٧]:

قد عَلِمَ القُدُّوس رَبُّ القُدْسِ[٨]

والثالث : أن القدس البركة، وهو قول السدي[٩].

قال الواحدي:" وتأييد عيسى بجبريل عليهما السلام هو أنه كان قرينه، يسير معه حيثما سار، وأيضًا فإنه صَعِد به إلى السماء، ودليل هذا التأويل: قوله عز وجل: {قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ} [النحل: ١٠٢]، يعني: جبريل"[١٠].

قوله تعالى:{تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا} [المائدة : ١١٠]، أي:" وإذ تكلم الناس في المهد صبيًا وفي الكهولة نبيا"[١١].

قال الطبري:" هذا خبر من الله تعالى ذكره: أنه أيده بروح القدس صغيرًا في المهد ، وكهلا كبيرًا"[١٢].

قال ابن كثير:" أي : تدعو إلى الله الناس في صغرك وكبرك. وضمن "تكلم" تدعو ؛ لأن كلامه الناس في كهولته ليس بأمر عجيب"[١٣].

قوله تعالى:{وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ} [المائدة : ١١٠]، أي:"واذكر نعمتي عليك حين علمتك الكتابة والحكمة وهي العلم النافع مع التوراة والإنجيل"[١٤].

قال ابن كثير:" أي : الخط والفهم، {وَالتَّوْرَاةَ}: وهي المنزلة على موسى بن عمران الكليم ، وقد يَرِدُ لفظ التوراة في الحديث ويُرَاد به ما هو أعم من ذلك "[١٥].

وفي قوله تعالى:{وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ} [المائدة : ١١٠]، قولان:

أحدهما : يريد الخط . قاله الطبري[١]، والبغوي [٢]، والزمخشري[٣].

---

(١) تفسير الطبري: ٣٢٢/٢.
(٢) انظر: النكت والعيون:١٥٦/١.
(٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٨٨٧):ص١٦٩/١.
(٤) انظر: تفسير الطبري(١٤٩٣):ص٣٢٢/٢.
(٥) انظر: تفسير الطبري(١٤٩٤):ص٣٢٣/٢.
(٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٨٨٩):ص١٦٩/١.
(٧) انظر: التفسير البسيط: ١٣١/٣، واللسان" ٦/ ٣٥٥٠ (مادة: قدس)، وفيه: (مولى) بدل (رب). وبعده:
إن أبا العباس أولى نفس بمعدن الملك القديم الكِرس
(٨) انظر: النكت والعيون:١٥٦/١.
(٩) انظر: تفسير الطبري(١٤٩٢):ص٣٢٢/٢، وتفسير ابن أبي حاتم(٨٨٨):ص١٦٩/١.
(١٠) التفسير البسيط: ١٣٠/٣.
(١١) صفوة التفاسير:٣٤٤.
(١٢) تفسير الطبري:٢١٤/١١-٢١٥.
(١٣) تفسير ابن كثير:٢٢٣/٣.
(١٤) صفوة التفاسير:٣٤٤-٣٤٥.
(١٥) تفسير ابن كثير:٢٢٣/٣.

والثاني : يريد الكتب فعبر عنها بالكتاب إرادة للجنس .

وفي «الحكمة» قولان:

أحدهما : أنها العلم بما في تلك الكتب.

قال البغوي:" يعني: العلم والفهم"(٤).

قال الطبري:" هي الفهم بمعاني الكتاب الذي أنزلته إليك ، وهو الإنجيل "(٥).

والثاني : أنها جميع ما يحتاج إليه في دينه ودنياه. ذكره الماوردي(٦).

قال الزمخشري:" {الحكمة}: الكلام المحكم الصواب"(٧).

وقوله تعالى:{ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ} [المائدة : ١١٠]، قال الماوردي: " يريد تلاوتهما وتأويلهم"(٨).

قوله تعالى:{وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي} [المائدة : ١١٠]، أي:" واذكر أيضاً حين كنت تصوّر الطين كصورة الطير بتيسيري وأمري"(٩).

قال الطبري:" يعني: بقوله {تخلق}: تعمل وتصلح، من الطين كهيئة الطير {بإذني}، يقول : بعوني على ذلك ، وعلمٍ منّي به"(١٠).

قال البغوي:" {وإذ تخلق} تجعل وتصور، {من الطين كهيئة الطير} كصورة الطير"(١١).

قال ابن كثير:" أي : تصوره وتشكله على هيئة الطائر بإذني لك في ذلك "(١٢).

قال الزمخشري:" أى: أقدر لكم شيئا مثل صورة الطير"(١٣).

قال مقاتل:" فخلق الخفاش بإذن الله لأنه أشد الخلق إنما هو لحم وشيء يطير بغير ريش فطار بإذن الله"(١٤).

قال ابن جريج:"قوله :{أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير}، قال: أيّ الطير أشدّ خلقًا ؟ قالوا : الخفاش ، إنما هو لحم. قال ففعل"(١٥).

قال ابن إسحاق : "إنّ عيسى صلوات الله عليه جلسَ يومًا مع غلمان من الكُتّاب ، فأخذ طينًا ، ثم قال : أجعل لكم من هذا الطين طائرًا ؟ قالوا : وتستطيع ذلك! قال : نعم! بإذن ربي. ثم هيّأه ، حتى إذا جعله في هيئة الطائر نفخ فيه ، ثم قال : " كن طائرًا بإذن الله " ، فخرج يطيرُ بين كفيه. فخرج الغلمان بذلك من أمره ، فذكروه لمعلمهم فأفشوه في الناس. وترعرع ، فهمَّت به بنو إسرائيل ، فلما خافت أمه عليه حملته على حُمَيرٍ لها ، ثم خرجت به هاربة"(١٦).

---

(١) انظر: تفسير الطبري:٢١٥/١١.

(٢) انظر: تفسير البغوي:١١٦/٣.

(٣) انظر: الكشاف:٦٩١/١.

(٤) تفسير البغوي:١١٦/٣.

(٥) تفسير الطبري:٢١٥/١١.

(٦) انظر: النكت والعيون:٧٩/٢-٨٠.

(٧) الكشاف:٦٩١/١.

(٨) النكت والعيون:٨٠/٢.

(٩) صفوة التفاسير:٣٤٥.

(١٠) تفسير الطبري:٢١٥/١١.

(١١) تفسير البغوي:١١٦/٣.

(١٢) تفسير ابن كثير:٢٢٣/٣.

(١٣) الكشاف:٣٦٤/١.

(١٤)تفسير مقاتل بن سليمان:٢٧٦/١.

(١٥) أخرجه الطبري(٧٠٨٧):ص٤٢٦/٦.

(١٦) أخرجه الطبري(٧٠٨٦):ص٤٢٥/٦-٤٢٦.

وعن ابن إسحاق أيضا:" ثم جعل الله على يديه يعني: عيسى أمورا تدل به على قدرته في بعثه، بعث من يريد أن يبعث بعد الموت، وخلقه ما يشاء أن يخلق من شيء، يرى أو لا يرى فجعله ينفخ في الطين فيكون طيرا بإذن الله"(١).

قوله تعالى:{فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي} [المائدة : ١١٠]، أي:" أي فتنفخ في تلك الصورة والهيئة فتصبح طيراً بأمر الله ومشيئته"(٢).

قال الطبري:" يقول : فتنفخ في الهيئة ، فتكون الهيئة والصورة طيرًا بإذني"(٣).

قال ابن كثير:" أي : فتنفخ في تلك الصورة التي شكلتها بإذني لك في ذلك ، فتكون طيراً ذا روح بإذن الله وخلقه"(٤).

قال البغوي:" { فتكون طيرا} حيا يطير"(٥).

قال الزمخشري:" {بإذني}، بتسهيلى"(٦).

وفي المُتَوَلِّي لنفخها وجهان(٧):

أحدهما : أنه المسيح ينفخ الروح في الجسم الذي صوره من الطين كصورة الطير .

والثاني : أنه جبريل –عليه السلام-.

قال الزمخشري:" وقيل: لم يخلق غير الخفاش"(٨).

قوله تعالى:{وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي} [المائدة : ١١٠]، أي:" وتشفي الأعمى الذي لايبصر والأبرص الذي استعصى شفاؤه بأمري ومشيئتي"(٩).

قال البغوي:أي:" وتصحح"(١٠).

قال الطبري:" يقول : وتشفي {الأكمهَ}، وهو الأعمى الذي لا يبصر شيئًا ، المطموس البصر، {والأبرص بإذني} (١١).

قال مقاتل:{ الْأَكْمَهَ }:" الذي ولدته أمه أعمى الذي لم ير النور قط فيرد الله بصره(١٢).

قال الثعلبي:"{الأبرص}، الذي به وضح، وإنمّا خصّ هذين لأنهما عميان وكان الغالب على زمن عيسى الطبّ فأراهم الله المعجزة من جنس ذلك داعيا لا دواء له"(١٣).

وقد اختلف أهل التفسير في معنى {الأكمه} على أقوال:

أحدها: أنه الذي يُبصر بالنهار، ولايبصر بالليل. قاله مجاهد(١٤).

والثاني: أنه الأعمى الذي ولدته أمه كذلك ولم يبصر ضوءا قط. قاله ابن عباس(١٥)، وقتادة(١٦)، ومقاتل بن سليمان(١٧)، وأبو عبيدة(١٨)، والزجاج(١٩).

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم(٣٥٤١):ص٦٥٥/٢.
(٢) صفوة التفاسير:٣٤٥.
(٣) تفسير الطبري:٢١٥/١١.
(٤) تفسير ابن كثير:٢٢٣/٣.
(٥) تفسير البغوي:١١٦/٣.
(٦) الكشاف:٦٩١/١.
(٧) انظر: النكت والعيون:٧٩/٢-٨٠.
(٨)الكشاف:٣٦٤/١.
(٩) صفوة التفاسير:٣٤٥.
(١٠) تفسير البغوي:١١٦/٣.
(١١) تفسير الطبري:٢١٥/١١.
(١٢) تفسير مقاتل بن سليمان:٢٧٧/١.
(١٣) تفسير الثعلبي:٧١/٣.
(١٤) انظر: تفسير مجاهد:٢٥٢، وتفسير الطبري(٧٠٨٨):ص٤٢٨/٦.
(١٥) انظر: تفسير الطبري(٧٠٩٢):ص٤٢٩/٦.
(١٦) انظر: تفسير الطبري(٧٠٩٠):ص٤٢٨/٦.
(١٧) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٢٧٧/١.
(١٨) تفسير ابن المنذر(٤٩٣):ص١٨٥/١.
(١٩) معاني القرآن:٤١٤/١.

ورجّحه ابن كثير، وقال: " وهو أشبه ؛ لأنه أبلغ في المعجزة وأقوى في التحدي"(١).
والثالث: أنه الأعمى على الإطلاق. وهذا قول الحسن(٢)، والسدي(٣)، وكذلك روي عن ابن عباس-في أحد قوليه-(٤)، وقتادة-في أحد قوليه-(٥)، وعكرمة- في أحد قوليه-(٦).
والرابع: أنه الأعمش. قاله عكرمة(٧).
والراجح –والله أعلم- هو القول الثاني، أي: الذي يولد أعمى، وعليه الجمهور، كما يقول ابن حجر في فتح الباري؛ لأن إبراء الذي يولد أعمى هو الذي فيه المعجزة، أما من يصيب عينيه مرض عارض، فهذا قد يعالجه الطب البشري(٨).
والمشهور في كلام العرب، أن الأكمه، هو الأعمى، قال سويد بن أبي كاهل(٩):
كَمَّهَتْ عَيْنَيْهِ حَتَّى ابْيَضتَا ... فَهْوَ يَلْحَى نَفْسَهُ لَمَّا نزعْ
ومنه قول رؤبة(١٠) :
هَرَّجْتُ فَارْتَدَّ ارْتِدَادَ الأكْمَهِ ... فِي غَائِلاتِ الحَائِرِ المُتَهْتِهِ
قوله تعالى:{وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي} [المائدة : ١١٠]، أي:" تحيي الموتى بأمري ومشيئتي"(١١).
قال البغوي:أي:" من قبورهم أحياء"(١٢).
قال ابن كثير:" أي: تدعوهم فيقومون من قبورهم بإذن الله وقدرته ، وإرادته ومشيئته"(١٣).
قال الزمخشري:أي:"تخرجهم من القبور وتبعثهم. قيل: أخرج سام بن نوح ورجلين وامرأة وجارية"(١٤).
قال مقاتل:" ففعل ذلك وهم ينظرون وكان صنيعه هذا آية من الله- عز وجل- بأنه نبي ورسول إلى بني إسرائيل، فأحيا سام بن نوح بن ملك من الموت بإذن الله، فقالوا له: إن هذا سحر فأرنا آية نعلم أنك صادق"(١٥).
روي عن عبدالصمد بن معقل، أنه سمع وهب بن منبه، قال: "لما صار عيسى ابن اثنتي عشرة سنة ، أوحى الله إلى أمه وهي بأرض مصر ، وكانت هربت من قومها حين ولدته إلى أرض مصر:أن اطْلُعي به إلى الشام. ففعلت الذي أمرت به. فلم تزل بالشام حتى كان ابن ثلاثين سنة ، وكانت نبوّته ثلاث سنين ، ثم رفعه الله إليه قال : وزعم وهب أنه ربما اجتمع على عيسى من المرضى في الجماعة الواحدة خمسون ألفًا ، من أطاق منهم أن يبلغه بلغه ، ومن لم يطق منهم ذلك أتاه عيسى يمشي إليه ، وإنما كان يداويهم بالدعاء إلى الله"(١٦).

---

(١) تفسير ابن كثير:٤٤/٢.
(٢) انظر: تفسير الطبري(٧٠٩٦):ص٤٢٩/٦.
(٣) انظر: تفسير الطبري(٧٠٩٣):ص٤٢٩/٦.
(٤) انظر: تفسير الطبري(٧٠٩٦٤):ص٤٢٩/٦.
(٥) انظر: تفسير الطبري(٧٠٩٥):ص٤٢٩/٦.
(٦) انظر: تفسير ابن المنذر(٤٩٥):ص٢١٠/١.
(٧) انظر: تفسير الطبري(٧٠٩٧):ص٤٢٩/٦.
(٨) انظر: فتح الباري:٤٧٢/٦.
(٩) انظر: المفضليات : ٤٠٥ ، اللسان (كمه).
(١٠)ديوانه : ١٦٦ ، واللسان (كمه) (هرج) (تهته)، ومجاز القرآن ١ / ٩٣، وسيرة ابن هشام ٢ / ٢٣٠.
(١١) صفوة التفاسير:٣٤٥.
(١٢) تفسير البغوي:١١٦/٣.
(١٣) تفسير ابن كثير:٢٢٣/٣.
(١٤) الكشاف:٦٩١/١.
(١٥) تفسير مقاتل بن سليمان:٢٧٧/١.
(١٦) أخرجه الطبري(٧٠٩٨):ص٤٣١/٦-٤٣٢.

قال الزمخشري:" وما كانت مداواته إلا بالدعاء وحده. وكرر «بإذن الله» دفعا لوهم من توهم فيه اللاهوتية"[١].

قال الكلبي: "كان عيسى -عليه السلام- يحيي الأموات بـ: يا حى يا قيوم"[٢].

وعن أبي الهذيل قال : "كان عيسى ابن مريم ، عليه السلام ، إذا أراد أن يحيي الموتى صلى ركعتين ، يقرأ في الأولى : { تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ المُلْكُ } [سورة الملك] ، وفي الثانية : { الم. تَنزِيلُ الكِتَابِ } [سورة السجدة]. فإذا فرغ منهما مدح الله وأثنى عليه ، ثم دعا بسبعة أسماء : يا قديم ، يا خفي ، يا دائم ، يا فرد ، يا وتر ، يا أحد ، يا صمد - وكان إذا أصابته شدة دعا بسبعة أخر : يا حي ، يا قيوم ، يا الله ، يا رحمن ، يا ذا الجلال والإكرام ، يا نور السموات والأرض ، وما بينهما ورب العرش العظيم ، يا رب"[٣].

قال ابن كثير:"وهذا أثر عجيب جدًا"[٤].

قال الثعلبي:" قيل: أحيا أربعة أنفس: عازر، وكان صدّيقا فأرسل أخته إلى عيسى أنّ أخاك عازر يموت فأتاه وكان بينه وبين داره ثلاثة أيّام فأتاه هو وأصحابه فوجدوه قد مات منذ ثلاثة أيّام، فقال لأخته: انطلقي بنا إلى قبره، فانطلقت معهم إلى قبره وهو في صخرة مطبقة. فقال عيسى: اللهم ربّ السموات السّبع والأرضين السّبع، إنّك أرسلتني إلى بني إسرائيل أدعوهم إلى دينك وأخبرهم أنّي أحيي الموتى بإذنك فأحيي عازر. قال: فقام عازر وودكه تقطر، فخرج من قبره وبقي وولد له.

وابن العجوز مرّ به ميّتا على عيسى -عليه السلام- على سرير يحمل فدعا الله عيسى -عليه السلام- فجلس على سريره ونزّل عن أعناق الرجال ولبس ثيابه وحمل السرير على عنقه ورجع إلى أهله فبقي وولد له.

والبنت العاقر، قيل له: أتحييها وقد ماتت أمس؟ فدعا الله فعاشت فبقيت وولد لها.

وسام بن نوح دعا عيسى -عليه السلام- باسم الله الأعظم فخرج من قبره وقد شاب نصف رأسه. فقال: قد قامت القيامة؟ قال: لا ولكني دعوتك باسم الله الأعظم. قال: ولم يكونوا يشيبون في ذلك الزّمان. وكان سام قد عاش خمسمائة سنة وهو شاب"[٥]، "فكلمه؛ ومات من ساعته، وأما الثلاثة الذين أحياهم عاشوا، وولد لهم"[٦].

وهذه الأخبار بصرف النظر عن إمكان وقوع ما ورد فيها، فإنها لا تعدو أن تكون من الإسرائيليات، التي وإن لم يكن عندنا ما ينفيها، فليس عندنا ما يصدقها من خبر صحيح عن الصادق المعصوم - صلى الله عليه وسلم -. والاكتفاء بإجمال القرآن في مثل هذه المواطن، أولى من السير وراء تفصيلات أخبار، الله أعلم بصحتها ووقوعها.

قال ابن كثير:" قال كثير من العلماء : بعث الله كل نبي من الأنبياء بمعجزة تناسب أهل زمانه ، فكان الغالب على زمان موسى ، عليه السلام ، السحر وتعظيم السحرة. فبعثه الله بمعجزة بَهَرَت الأبصار وحيرت كل سحار ، فلما استيقنوا أنها من عند العظيم الجبار انقادوا للإسلام ، وصاروا من الأبرار. وأما عيسى ، عليه السلام ، فبُعث في زمن الأطباء وأصحاب علم الطبيعة ، فجاءهم من الآيات بما لا سبيل لأحد إليه ، إلا أن يكون مؤيدًا من الذي شرع الشريعة. فمن أين للطبيب قدرة على إحياء الجماد ، أو على مداواة الأكمه ، والأبرص ، وبعث من هو في قبره رهين إلى يوم التناد ؟ وكذلك محمد صلى الله عليه وسلم بعثه الله في زمن الفصحاء والبلغاء ونحارير الشعراء ، فأتاهم بكتاب من الله ، عز وجل ، لو اجتمعت الإنس

---

(١) الكشاف:٣٦٥/١.

(٢) تفسير الثعلبي:٧٣/٣.

(٣) تفسير ابن كثير:٢٢٤/٣-٢٢٥.

(٤) تفسير ابن كثير:٢٢٤/٣.

(٥) تفسير الثعلبي:٧٢/٣-٧٣.

(٦) تفسير السمعاني:٣٢١/١.

والجن على أن يأتوا بمثله ، أو بعشر سور من مثله ، أو بسورة من مثله لم يستطيعوا أبدًا ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ، وما ذاك إلا لأن كلام الرب لا يشبهه كلام الخلق أبدًا"(١).

قوله تعالى:{وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ} [المائدة : ١١٠]، أي:" واذكر حين منعتُ اليهود من قتلك لَما همّوا وعزموا على الفتك بك حين جئتهم بالحجج والمعجزات"(٢).

قال البغوي:أي: "منعت وصرفت، اليهود، {عنك} حين هموا بقتلك، {إذ جئتهم بالبينات} يعني: الدلالات والمعجزات"(٣).

قال القرطبي:"{كففت} معناه دفعت وصرفت {بني إسرائيل عنك}، حين هموا بقتلك، {إذ جئتهم بالبينات} أي: الدلالات والمعجزات، وهي المذكورة في الآية"(٤).

قال الطبري:أي:" واذكر أيضًا نعمتي عليك بكفّي عنك بني إسرائيل إذ كففتهم عنك ، وقد هموا بقتلك إذ جئتهم بالأدِلة والأعلام المعجزة على نبوّتك ، وحقيقة ما أرسلتك به إليهم"(٥).

قال ابن كثير:" أي : واذكر نعمتي عليك في كفي إياهم عنك حين جئتهم بالبراهين والحجج القاطعة على نبوتك ورسالتك من الله إليهم"(٦).

قوله تعالى:{فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ} [المائدة : ١١٠]، أي:" فقال الذين جحدوا نبوتك ولم يؤمنوا بك ما هذه الخوارق إلا سحرٌ ظاهر واضح"(٧).

قال البغوي: "يعني: ما جاءهم به من البينات"(٨).

قال القرطبي:" يعني: الذين لم يؤمنوا بك وجحدوا نبوتك.{إن هذا}، أي: المعجزات،{إلا سحر مبين}"(٩).

قال ابن كثير:" فكذبوك واتهموك بأنك ساحر ، وسعوا في قتلك وصلبك ، فنجيتك منهم ، ورفعتك إليَّ ، وطهرتك من دنسهم ، وكفيتك شرهم. وهذا يدل على أن هذا الامتنان كان من الله إليه بعد رفعه إلى السماء الدنيا ، أو يكون هذا الامتنان واقعًا يوم القيامة ، وعبر عنه بصيغة الماضي دلالة على وقوعه لا محالة. وهذا من أسرار الغيوب التي أطلع الله عليها رسوله محمدًا -صلى الله عليه وسلم-"(١٠).

وقرئ:«ساحر مبين»، يعني: يعني به عيسى ، يقول : يبين بأفعاله وما يأتي به من هذه الأمور العجيبة عن نفسه ، أنه ساحرٌ لا نبيٌّ صادق(١١).

الفوائد:

١- تذكير هذه الأمة بما جرى للأمم السابقة قبلها لأنبيائهم ومَن أُرسل إليهم.

٢- من فوائد هذه الآية الكريمة: بيان تذكير الله سبحانه وتعالى عباده بنعمه عليهم، وهذا جاء في القرآن في غير موضع، مثل قوله تعالى :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ}[الأحزاب ٩] أحيانًا يكون عامًّا كهذه الآية، وأحيانًا يكون خاصًّا مثل قوله تعالى : {وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ}[الأعراف ٨٦] وما أشبه ذلك، وإنما يُذكّر الله العباد بالنعمة من أجل وجوب شكرها؛ لأن وجوب شكر المنعم ثابت سمعًا وعقلًا، أما السمع ففي القرآن مملوء: اشكروا، اشكروني، اشكروا الله، وما أشبه ذلك، وأما عقلًا فلأنه ليس

---

(١) تفسير ابن كثير:٢/٤٥.
(٢) صفوة التفاسير:٣٤٥.
(٣) تفسير البغوي:٣/١١٦.
(٤) تفسير القرطبي:٦/٣٦٣.
(٥) تفسير الطبري:١١/٢١٦.
(٦) تفسير ابن كثير:٣/٢٢٤.
(٧) صفوة التفاسير:٣٤٥.
(٨) تفسير البغوي:٣/١١٦.
(٩) تفسير القرطبي:٦/٣٦٣.
(١٠) تفسير ابن كثير:٣/٢٢٤.
(١١) انظر: تفسير الطبري:١١/٢١٦.

من المروءة أن تقابل النعمة بالإساءة والكفر، فشكر المنعم إذن واجب سمعًا وعقلًا، وفائدة التذكير بالنعم هو القيام بالشكر.

٣- ومن فوائد هذه الآية الكريمة: جواز نسبة الإنسان إلى أمه إذا لم يكن له أب؛ لقوله :{يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ}، وهل يمكن أن يكون للإنسان أم بلا أب؟ الجواب: نعم، وذلك فيما إذا نفى الزوج الولد عن نفسه فإنه ينتفي عنه بالشروط التي ذكرها الفقهاء رحمهم الله، وكذلك ولد الزنا إذا لم يستلحقه الزاني فإنه له أم، وليس له أب، فإن استلحقه الزاني فالمسألة فيها خلاف معروف، وجمهور العلماء على أنه لا يلحقه بعموم قول النبي - صلى الله عليه وآله وسلم :«وَلِلْعَاهِرِ الْحَجَرُ»(١)، لكن لو قال قائل: إذا كانت نسبته إلى أمه توجب التساؤلات، وأن ينكسر قلبه، وأن يُساء إلى أمه، فهل يُعدل عن هذا؟ الجواب: نعم، يُعدل عن هذا؛ لأن نسبته إلى أمه إذا لم يكن له أب على سبيل الإباحة والجواز، فإذا كان يستلزم ما يؤذي صاحبه فإنه يُعدل عنه إلى نسبته إلى آخر، إلى مَن؟ نقول: ننسبه إلى اسم يصح لكل إنسان، مثل: عبد الله، عبد الرحمن، عبد الكريم، عبد اللطيف، وما أشبه ذلك، فعلى هذا نقول: الأصل فيمن ليس له أب أن يُنسب إلى أمه، فإن خُشي من ذلك مضرة أو إيذاء نُسب إلى مَن يصح أن ينطبق على كل أحد * .من فوائد الآية الكريمة: أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يجب عليهم الشكر كما يجب على مَن أُرسل إليهم؛ لأن الله أمر عيسى أن يذكر نعمته عليه وعلى أمه، ونقول: نعم، يجب وهم -أي الأنبياء- أشد الناس قيامًا بشكر النعمة، فقد«كان إمامهم محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقوم في الليل حتى تتورّم قدماه وتتفطّر، فيقال: يا رسول الله، أتفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فيقول:أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا؟»(٢).

٤- ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن نعمة الله على الوالدين نعمة على الولد؛ لقوله :{عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ}، ولا شك أنها نعمة على الولد كما هي نعمة على الوالد، والنعمة على الولد نعمة على الوالد؟ من باب المساواة أو الأولى؟ من باب الأَوْلى؛ لأن الولد بضعة من أبيه كما قال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم في فاطمة رضي الله عنها«إِنَّهَا بَضْعَةٌ مِنِّي يَرِيبُنِي مَا رَابَهَا»(٣)، فنعمة الله على الولد في الحقيقة نعمة من الله على الوالد.

٥- ومن فوائد الآية الكريمة: أن الله تعالى يؤيد البشر بالملائكة؛ لقوله :{إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ}.

٦- ومن فوائدها: هذه المزيّة لجبريل عليه السلام؛ أنه يؤيد الأنبياء والرسل.

٧- ومن فوائد هذه الآية: اللقب الفاضل لجبريل {بِرُوحِ الْقُدُسِ} فإن القدس بمعنى الطهارة والنزاهة من كل عيب، فهو أي جبريل عليه السلام ذو مِرَّة؛ أي: ذو هيئة حسنة، وهو قوي كما قال عز وجل :{ذِي قُوَّةٍ}[التكوير ٢٠]، وله مكانة عند الله عز وجل كما قال تعالى :{عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ}، واليهود يبغضون جبريل ويقولون: إنه ينزل بالعذاب، ولكنه ينزل بالعذاب على من يستحقه.

٨- ومن فوائد الآية الكريمة: هذه الآية العظيمة التي أعطاها الله تعالى عيسى؛ وهي أنه يكلم الناس في المهد وكهلًا على السواء؛ أي أنه يتكلم بكلام رصين بليغ عجيب مع أنه في المهد.

٩- ومن فوائد هذه الآية الكريمة: التنصيص على النعمة بالعلم والشرف والحكمة، وأنها أخص من مطلق النعمة؛ لأن مطلق النعمة سبق {اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ}، لكن العلم خصه فقال :{وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ}، وعلى هذا فيجب

---

(١)متفق عليه؛أخرجه البخاري (٢٠٥٣)، ومسلم (٣٦/١٤٥٧) من حديث عائشة.

(٢)متفق عليه؛ أخرجه البخاري (١١٣٠)، ومسلم (٧٩/٢٨١٩) من حديث المغيرة بن شعبة.

(٣)متفق عليه؛ أخرجه البخاري (٥٢٣٠)، ومسلم (٩٣/٢٤٤٩) من حديث المسور بن مخرمة.

على طالب العلم أن يشكر الله تعالى على نعمته عليه حيث خصَّه بالعلم الذي حرمه كثيرًا من الناس، وإذا منّ الله عليه مع العلم بالعبادة والدعوة إلى الله صار نعمة فوق نعمة، فكم من أناس ضلّوا عن سواء السبيل؛ قال الله عز وجل :{وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ}[الأنعام ١١٦]، والإنسان إذا شعر بنعمة الله عليه بالعلم والعبادة والدعوة فإنه يزداد فرحًا وسرورًا ومثابرة وصبرًا على ما هو عليه من طلب العلم، وازدياد العبادة، وقوة الدعوة إلى الله عز وجل.

١٠- ومن فوائد هذه الآية الكريمة: التنصيص على الحكمة؛ وهي معرفة أسرار الشريعة وغاياتها وثمراتها، فإن معرفة ذلك لا شك أنها تزيد الإيمان، وأنها تزيد الإنسان بصيرة في شرائع الله . وإنها -أي الشرائع- من لدن حكيم عليم، ولهذا نقول: لا يمكن أن يوجد في صريح المعقول ما يخالف صحيح المنقول، فإن وجدت ما ينافيه فاعلم أن الأمر لا يخلو من أحد أمرين ولا بد: إما أن عقلك ليس بصريح؛ يعني فيه شبهات أوجبت اختفاء الحق عليه، أو شهوات انطمس بها، نسأل الله العافية. وإما أن يكون النص غير صحيح، يكون حديثًا ضعيفًا أو مكذوبًا على الرسول ﷺ أو ما أشبه ذلك، أما أن يكون عقل صريح سالم من الشبهات والشهوات ونقل صحيح، فلا يمكن أن يتناقض أبدًا.

١١- ومن فوائد الآية الكريمة: أن التوراة والإنجيل كتابان من عند الله عز وجل، وسبق أن قلنا: إن عطفهما على الكتاب من باب عطف الخاص على العام إذا لم نقل إن المراد بالكتاب الكتابة.

١٢- ومن فوائد هذه الآية الكريمة: بيان قدرة الله تبارك وتعالى على إحياء الموتى، وعلى إدخال الروح في الجماد؛ من قوله{ (وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ}.

١٣- ومن فوائدها: إطلاق لفظ الخلق على ما صنعه المخلوق، مثلًا لو صنعت بابًا تقول: خلقت بابًا، ويدل لهذا قول الله تبارك وتعالى :{فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ}[المؤمنون ١٤] وقوله في الحديث الصحيح:«يُقَالُ لِلْمُصَوِّرِينَ: أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ»[(١)]،

فإن قال قائل: إذا أثبتّ صفة الخلق للمخلوق فأيّ فرق بين خلق الخالق وخلق المخلوق؟ فالجواب: الفرق عظيم جدًّا؛ خلق الخالق إيجاد من عدم على ما يريد الله عز وجل:{هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ}[آل عمران ٦]، خلق المخلوق تحويل مخلوق الله إلى صفة أخرى، وإلا فالأصل منين؟ من الله عز وجل؛ هل يمكن لأحد أن يجعل من الحجر ذهبًا؟ لا يمكن، لكن يمكن أن يجعل من الذهب حليًّا، وأن يجعل منه على شكل حيوان كما جعلت بنو إسرائيل الحلي الذي أخذوه من آل فرعون، جعلوه عجلًا، فافترق الخلق المنسوب للخالق والخلق المنسوب للمخلوق، خلق المخلوق يعني تحويل الشيء من شيء إلى آخر لا ذاته ولكن صفاته، وأما خلق الخالق فهو إيجاد من عدم، وهذا لا يستطيع أحد أن يفعله.

من فوائد هذه الآية الكريمة: أن الله عز وجل جعل لعيسى آية تُعجز علماء الفن الذي اشتهر في حياته، فقد قيل: إن عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام اشتهر في وقته الطب، وترقى ترقيًا عظيمًا، فجاء عيسى بآيات لا يستطيع الأطباء أن يقوموا بها، كما أن السحر في عهد موسى كان منتشرًا؛ فجاء موسى بآيات تبطل سحرهم، وكما أن البلاغة في العرب منتشرة في عهد الرسول ﷺ؛ فجاء الله تعالى بكتاب أعجزهم.

ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أنه سبحانه وتعالى يختار من الآيات أشدها إعجازًا، فإنه لم يمنّ على عيسى بأن يخلق أرنبًا أو قطًّا أو ما أشبه ذلك، بل طائرًا؛ لأن الطيران في الجو أبلغ من المشي على الأرض فاختار الله له أن يخلق طائرًا يعني على صورة الطير.

---

(١)متفق عليه؛ أخرجه البخاري (٢١٠٥)، ومسلم(٢١٠٧ /٩٦) من حديث عائشة.

١٤- ومن فوائد الآية الكريمة: أن النفخ له تأثير في الأجساد إذا أراد الله عز وجل أن يُؤثِّر؛ لأنه نفخ في الطير الذي صنعه فصار طائرًا كما في القراءة الأخرى، لما نفخ فيه صار حيوانًا من الطيور، ثم طار لتحقق أنه دخلته الروح، ومن ثم جاءت القراءة على المريض عن طريق النفث، والنفث -كما نعلم جميعًا- يتضمن نفخًا وريقًا، وهذا مؤثر بإذن الله عز وجل، ولهذا لو أن القارئ صار يقرأ ويأخذ بأصبعه من ريقه ويبل به مكان الألم، أو يبل به المريض فلا أظنه ينفع، لا بد من نفخ مع ريق.

١٥- من فوائد هذه الآية الكريمة: ما أعطاه الله تعالى عيسى من الآيات في إبراء الأكمه، وهو الذي خلق بلا عين ولا بصر، وهذه دليل على قدرة الله، والظاهر -والله أعلم- أنه يبرئه في الحال، ما يحتاج إلى علاج، وإلى انتظار، الظاهر أنه يبرئه في الحال كما جرى للنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم في عين أبي قتادة رضي الله عنه حين جُرحت في أُحد، وبَرزت على خده، العين بَرزت على الخد، فأُتي به إلى الرسول عليه الصلاة والسلام فأخذ العين وردها في مكانها، وعادت كما كانت في الحال[١]، سبحان الله العظيم! هذه القدرة ما يبلغها الأطباء، الظاهر أن إبْرَاءه الأكمه والأبرص الظاهر أنه يكون في الحال بدون معالجة وتردد.

١٦- ومن فوائد الآية الكريمة: هذه الآية العظيمة لعيسى أنه يخرج الموتى من القبور؛ لقوله{وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي}، وهذه لا يقدر عليها أحد، أما هل يبقى الميت إذا خرج أو لا يبقى؟ هذا ليس لنا فيه كلام، ولا ينبغي أن نتكلم فيه، لماذا؟ لأن الآية حصرت بإخراجه من قبره، أما هل يبقى ويعيش مع الناس أو يموت بعد أن خرج وبرز للناس، ثم يُدفن؟ فهذا ليس لنا في معرفته مصلحة وليس لنا أن نسأل عنه؛ لأن الآية حاصلة بدونه.

١٧- أن في هذه الجمل الأربع: الطير، إبراء الأكمه، إبراء الأبرص، إحياء الموتى، الدليل على أنه لا يمكن لأي بشر مهما أوتي أن يحصل له مراده إلا بإذن الله عز وجل؛ لأن كل جملة أو كل كلمة قيدها الله تعالى بإذنه لئلا يدعي مدعٍ أن الخلق لهم استقلال في أفعالهم، فيكون في هذه الفائدة يكون لها فرع؛ وهو: الرد على القدرية، الذين يقولون: إن الإنسان مستقل بعمله ليس لله فيه إرادة، الإنسان يأكل ويشرب، ويدخل ويخرج، ويتحرك ويسكن بإرادة تامة ليس لله فيها تعلق، وهذا يعني إثبات خالق مع الله عز وجل، أو إثبات موجب للحوادث مع الله عز وجل؛ ولهذا سُمِّيت القدرية مجوس هذه الأمة؛ لأن المجوس يقولون: إن الحوادث الكونية لها خالقان: ظلمة، ونور، وهؤلاء يقولون: الحوادث في الكون لها موجدان، كل واحد مستقل عن الآخر: أفعال العباد يستقل بها العباد حتى إن بعضهم يقول: إن الله لا يعلم من أفعال العباد إلا ما وقع، وأما ما لم يقع فلا يعلمه الله عز وجل، فوصفوا الله تبارك وتعالى بالجهل فيما هو في ملكه تبارك وتعالى.

١٨- ومن فوائد هذه الآية الكريمة: إثبات إذن الله، وليُعلم أن الإذن المضاف إلى الله عز وجل ينقسم إلى قسمين:

أحدهما: إذن كوني قدري: مثاله هذه الآية {بِإِذْنِي}.

والثاني: إذن شرعي تعبدي، مثاله قول الله تبارك وتعالى :{أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ}[الشورى ٢١] ما لم يأذن به الله شرعًا .

١٩- ومن فوائد الآية: تشجيع الداعي إلى الله عز وجل الذي يأتي بالآيات البينات فإنه عُرضة للإيذاء؛ لقوله:{وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ}، فكل إنسان يدعو إلى الله ويأتي بالبراهين والأدلة لا بد أن يُسلَّط عليه من يُسلَّط، ولكن الله تعالى بقوته وقدرته يَصرف عنه {وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ}.

---

(١)أخرجه أبو يعلى (١٥٤٩) من حديث قتادة بن النعمان.

٢٠- ومن فوائد الآية الكريمة: تمرد بني إسرائيل الذين كفروا، حيث ادّعوا أن هذا سحر، بل حصروا {إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ}، يعني: ولا يمكن أن يكون حقًّا.

٢١- ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن المؤمنين يتبين لهم الحق، ويعلمون أنه حق؛ لأن مثل هذا القول:{إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ} إنما يَصدر من أهل الكفر، أما المؤمن فيؤمن بالآيات، ويرى أنها حق ويزيد إيمانه بها.

٢٢- ومن فوائد الآية الكريمة: أن عيسى عليه الصلاة والسلام كغيره من الرسل جاء بالآيات البينات؛ يعني الواضحات التي لا تُشكل على أحد، وقد أخبر النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه:«مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللَّهُ إِلا أَعْطَاهُ مِنَ الْآيَاتِ مَا يُؤْمِنُ عَلَى مِثْلِهِ الْبَشَرُ»[١]، ولولا هذا لكان الناس معذورين ألَّا يُصدقوا؛ يعني لولا الآيات مع الرسل عليهم الصلاة والسلام لكان الناس لهم عذر ألَّا يصدقوا، وعليه يكون قوله تعالى :{رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ}[النساء ١٦٥] يكون مقيدًا بأنهم أوتوا بآيات يؤمن على مثلها البشر، وآيات الأنبياء أنواع كثيرة يجمعها أنها معنوية وحسية، وقد ذكر شيخ الإسلام رحمه الله فصلًا قيما جدًّا جدًّا في آخر كتابه الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ذكر فيه آيات النبي عليه الصلاة والسلام وقال: إن آياته نوعان: حسية ومعنوية، والحسية آفاقية وأرضية، وضّح توضيحًا كاملًا، وأن من أعظم آياته، بل أعظم آيات هذا القرآن، الذي كان آية في وقته، وفيما بعد إلى يوم القيامة، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام:«وَإِنَّمَا الَّذِي أُوتِيتُهُ وَحْيٌ أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ»، أو كلمة نحوها «فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[٢]؛ لأن القرآن بقي، وآيات الأنبياء انتهت بحياتهم فقط ما لبث أقوامهم أن حرّفوا الكتب من بعدهم.

القرآن

{وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ (١١١)} [المائدة : ١١١]

التفسير:

واذكر -يا عيسى- نعمتي عليك، إذ ألهمتُ، وألقيتُ في قلوب جماعة من خلصائك أن يصدقوا بوحدانية الله تعالى ونبوتك، فقالوا: صدَّقنا يا ربنا، واشهد بأننا خاضعون لك منقادون لأمرك.

قوله تعالى:{وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي} [المائدة : ١١١]، أي:" واذكر -يا عيسى- نعمتي عليك، إذ ألهمتُ، وألقيتُ في قلوب جماعة من خلصائك أن يصدقوا بوحدانية الله تعالى ونبوتك[٣].

قال ابن كثير:{ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي}" أي : بالله وبرسول الله، وهذا أيضًا من الامتنان عليه ، عليه السلام ، بأن جعل له أصحابًا وأنصارًا"[٤].

وفي وحيه إلى الحواريين وجوه:

أحدها : معناه: قذفت في قلوبهم، وهذا قول السدي[٥].

والثاني معناه: أَلْهَمْتُهُم أن يؤمنوا بي ، ويصدقوا أنك رسولي ، كما قال تعالى :{ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ} [النحل : ٦٨]. حكاه الطبري[٦] وابن كثير[٧] عن آخرين، واختاره السمعاني[٨].

---

(١)متفق عليه؛ أخرجه البخاري (٤٩٨١) ومسلم (٢٣٩/١٥٢) عن أبي هريرة.
(٢)متفق عليه؛ أخرجه البخاري (٤٩٨١)، ومسلم (٢٣٩/١٥٢) من حديث أبي هريرة
(٣) التفسير الميسر:١٢٦.
(٤) تفسير ابن كثير:٢٢٤/٣.
(٥) انظر: تفسير الطبري(١٢٩٩٢):ص٢١٧/١١-٢١٨.
(٦) انظر: تفسير الطبري:٢١٨/١١.
(٧) انظر: تفسير ابن كثير:٢٢٤/٣.
(٨) انظر: تفسير السمعاني:٧٨/٢.

والثالث : ألهمتهم وقذفت في قلوبهم. ذكره البغوي[١].
والرابع: يعني: ألقيت إليهم بالآيات التي أريتهم أن يؤمنوا بي وبك. ذكره الماوردي[٢].
والخامس: المراد : وإذ أوحيت إليهم بواسطتك ، فدعوتهم إلى الإيمان بالله وبرسوله ، واستجابوا لك وانقادوا وتابعوك ، فقالوا : { آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ }. قاله ابن كثير[٣].
والسادس: معناه: الأمر، أي: ألقيت في قلوبهم وألهمتهم وأمرتهم، وهذا قول أبي عبيدة[٤]، وذكره السمعاني[٥]، ومنه قول العجاج[٦]:

الحَمْدُ لِلِه الَّذِي اسْتَقَلَّتِ ... بِإذْنِه السَّماءُ، وَاطْمأنَّتِ
بِإذْنِهِ الأَرْضُ وما تَعَتَّتِ ... أَوْحَى لَهَا القَرَارَ فاسْتَقَرَّتِ

أي: أمرها بالقرار.

وفي التذكير بهذه النعمة قولان[٧]:
أحدهما : أنها نعمة على الحواريين أن آمنوا ، فذكر الله تعالى به عيسى لأنهم أنصاره .
الثاني : أنها نعمة على عيسى ، لأنه جعل له أنصاراً من الحواريين قد آمنوا به .
والحواريون : "هم خواص عيسى عليه السلام الذين استخلفهم من جملة الناس"[٨].
قال ابن كثير:" الْحَوَارِيُّونَ: هم أتباع عيسى عليه السلام"[٩].
قال الماوردي:" أصل «الحواري»: الحَوَر، وهو شدة البياض ، ومنه: الحواري من الطعام لشدة بياضه، والحَوَر نقاء بياض العين "[١٠].
واخْتُلِف في تسميتهم بالحواريين على أقوال :
أحدها : انهم سُمُّوا بذلك لبياض ثيابهم، وهذا قول ابن عباس[١١]، وسعيد بن جبير[١٢]، ومسلم البطين[١٣].
والثاني : أنهم كانوا قَصَّارين يبيضون الثياب ، وهذا قول ابن أبي نجيح [١٤]، والضحاك[١٥] في -أحد قوليه-.
والثالث : أنهم خاصة الأنبياء وصفوتهم، سموا بذلك لنقاء قلوبهم ، وهذا قول قتادة[١٦]-في أحد قوليه-، والضحاك[١٧]، ورجّحه الزجاج[١٨].
والرابع: أن الحواري: الناصر. قاله سفيان بن عيينة[١].

---

(١) انظر: تفسير البغوي:١١٦/٣.
(٢) انظر: النكت والعيون:٨١/٢.
(٣) انظر: تفسير ابن كثير:٢٢٤/٣.
(٤) انظر: مجاز القرآن:١٨٢/١، وتفسير البغوي:١١٧/٣.
(٥) انظر: تفسير السمعاني:٧٨/٢.
(٦)ديوانه": ٢٦٦: تح د. عزة حسن، و"لسان العرب"، و"النكت والعيون" ٦/ ٣٢٠، و"الكشف والبيان" ١٣/ ١٣٥ أ، و"زاد المسير" ٨/ ٩٣، و"التفسير الكبير" ٣٢/ ٦٠، و"المحرر الوجيز" ٥/ ٥١١، و"البحر المحيط" ٨/ ٥٠١، و"فتح الباري" ٨/ ٧٢٧، و"الدر المصون" ٦/ ٥٥٥.
ومعنى بيت الأرجوزة المذكور: أن أوحى إليها أن استقري فاستقرت. "ديوانه": ص ٢٦٦..
(٧) انظر: النكت والعيون:٨١/٢.
(٨) النكت والعيون:٨١/٢.
(٩) تفسير ابن كثير:٢٢٥/٣.
(١٠) النكت والعيون:٣٩٦/١.
(١١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٣٥٦٨):ص٦٥٩/٢.
(١٢) انظر: تفسير الطبري(٧١٢٤):ص٤٤٥/٦.
(١٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٣٥٦٨):ص٦٥٩/٢.
(١٤) انظر: تفسير الطبري(٧١٢٥):ص٤٤٦/٦.
(١٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٣٥٦٩):ص٦٥٩/٢.
(١٦) انظر: تفسير الطبري(٧١٢٦):ص٤٤٦/٦.
(١٧) انظر: تفسير الطبري(٧١٢٧):ص٤٤٦/٦.
(١٨) انظر: معاني القرآن:٤١٦/١.

والخامس: أن الحواري: الوزير. قاله قتادة[٢].

قال الطبري:" وأشبه الأقوال في معنى "الحواريين"، قولُ من قال: " سموا بذلك لبياض ثيابهم، ولأنهم كانوا غسّالين"[٣].

قال ابن كثير:" والصحيح أن الحواري الناصر ، كما ثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نَدبَ الناس يوم الأحزاب ، فانتدب الزبير، ثم ندبهم فانتدَبَ الزبير ثم ندبهم فانتدب الزبير، فقال: «إنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيًا وَحَوَارِيي الزُّبَيْرُ»[٤]"[٥].

قوله تعالى:{قَالُوا آمَنَّا} [المائدة : ١١١]، أي:" فقالوا: صدَّقنا يا ربنا[٦].

قوله تعالى:{وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ} [المائدة : ١١١]، أي:" واشهد بأننا خاضعون لك منقادون لأمرك[٧].

قال ابن كثير:" أي : ألهموا ذلك فامتثلوا ما ألهموا"[٨].

وقوله تعالى:{وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ} [المائدة : ١١١]، يحتمل وجهين[٩]:

أحدهما : أنهم أشهدوا عيسى عليه السلام على إسلامهم بالله تعالى وبه .

والثاني : أنهم أشهدوا الله تعالى بذلك على أنفسهم .

الفوائد:

١- إثبات وحي الله عز وجل؛ لقوله :{إِذْ أَوْحَيْتُ}، ووحي الله ينقسم إلى قسمين: وحي شرع ووحي إلهام، فالأول يتعلق بالشرع، والثاني يتعلق بالكون.

٢- ومن فوائد هذه الآية: أن عيسى عليه السلام له حواريون، يعني: أصحاب ذوو صفاء في مودتهم. اذكر آخر سورة الصف {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ} [الصف ١٤]، وكما في الحديث: «لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيٌّ، وَإِنَّ حَوَارِيَّ الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ»[١٠]، هذه منقبة لا شك للزبير، لكن أبو بكر رضي الله عنه، قال: «لَوْ كُنْتُ متخذا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ»[١١].

٣- ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن الإيمان بالله لا يتم إلا بالإيمان برسله؛ لقوله :{أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي}، وقد بيّن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أن الإيمان هو «الإِيمَانُ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»[١٢]، هذه الأركان لا بد منها في الإيمان، فمن نقص منها واحدًا لم يكن مؤمنًا.

٤- ومن فوائد هذه الآية: استجابة الحواريين لما أوحي إليهم به، حيث قالوا: آمنا.

٥- ومن فوائد الآية: جواز حذف المعلوم، لقوله:{قَالُوا آمَنَّا} ولم يقل: بك وبرسولك؛ لأن هذا معلوم، فالمطلَق يُحمَل على المقيَّد إذا كان معلومًا، فإذا عقد الإنسان عقدًا وذكر عند الإيجاب شروطًا، فقال الآخر: قبلتُ، أو قبلتُ البيع مثلًا، قال: بعتك هذا البيت على أن أسكن فيه سنة، فقال: قبلتُ البيع، فيثبت الشرط؛ لأن قول البيع يعني بهذا الشرط وإن لم يذكَر لكنه معلوم من السياق.

---

(١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٣٥٧١):ص٦٦٠/٢.
(٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٣٥٧٣):ص٦٦٠/٢.
(٣) تفسير الطبري:٤٤٦/٦.
(٤) تفسير ابن كثير:٤٦/٢.
(٥)صحيح البخاري برقم (٣٧١٩) وصحيح مسلم برقم (٢٤١٥) من حديث جابر رضي الله عنه.
(٦) التفسير الميسر:١٢٦.
(٧) التفسير الميسر:١٢٦.
(٨) تفسير ابن كثير:٢٢٤/٣.
(٩) انظر: النكت والعيون:٨١/٢.
(١٠)متفق عليه؛ البخاري (٧٢٦١) ومسلم (٢٤١٥ / ٤٨) من حديث جابر بن عبد الله.
(١١)أخرجه البخاري (٣٦٥٦) من حديث ابن عباس.
(١٢)أخرجه مسلم (٨ / ١) من حديث عمر بن الخطاب.

٦- ومن فوائد هذه الآية: جواز استثبات الشيء بالإشهاد عليه؛ لقوله :{اشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ}، وفي الدعاء المأثور: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَمْسَيْتُ أُشْهِدُكَ، وَأُشْهِدُ حَمَلَةَ عَرْشِكَ، وَمَلَائِكَتَكَ وَأَنْبِيَاءَكَ، وَجَمِيعَ خَلْقِكَ، بِأَنَّكَ أَنْتَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ»[1]، هذا من أذكار المساء والصباح، على خلاف في ثبوت الحديث.

٧- ومن فوائد الآية الكريمة: أن الإيمان هو الإسلام؛ لقوله :{آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ} [المائدة ١١١]، ولم يقولوا: مؤمنون، قالوا: مسلمون، فدل هذا على أن الإيمان هو الإسلام، وقد ذهب إلى هذا جماعة من أهل العلم وقالوا: لا فرق بين الإسلام والإيمان، واستدلوا بمثل هذه الآية، واستدلوا أيضًا بقول الله تبارك وتعالى :{فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٣٥) فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ}[الذاريات ٣٥، ٣٦]، ولكن هذا القول على إطلاقه فيه نظر، والصواب أن الإسلام إذا أفرد دخل فيه الإيمان، وإذا ذكر مع الإيمان صار له معنى آخر، ويدل لهذا التفصيل قول الله تعالى :{قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ}]الحجرات ١٤] يعني لم يدخل لكن قريبًا يدخل؛ لأن (لما) تفيد النفي مع قرب المنفي، (وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ}، فنخرج هذه الآية: أنهم جمعوا بين الإيمان والإسلام، فيكون الإيمان بالقلوب والإسلام في الجوارح، يعني أنهم آمنوا وانقادوا انقيادًا تامًّا لأوامر الله ورسوله.

القرآن

{إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١١٢)} [المائدة : ١١٢]

التفسير:

واذكر إذ قال الحواريون: يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك إن سألته أن ينزل علينا مائدة طعام من السماء؟ فكان جوابه أن أمرهم بأن يتقوا عذاب الله تعالى، إن كانوا مؤمنين حقَّ الإيمان.

قوله تعالى:{إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ} [المائدة : ١١٢]، أي:" واذكر إذ قال الحواريون: يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك إن سألته أن ينزل علينا مائدة طعام من السماء؟"[2].

قال ابن كثير:" هذه قصة المائدة ، وإليها تنسب السورة فيقال : «سورة المائدة»، وهي مما امتن الله به على عبده ورسوله عيسى ، عليه السلام ، لما أجاب دعاءه بنزولها ، فأنزلها الله آية ودلالة معجزة باهرة وحجة قاطعة.

وقد ذكر بعض الأئمة أن قصة المائدة ليست مذكورة في الإنجيل ، ولا يعرفها النصارى إلا من المسلمين ، فالله أعلم"[3].

وقرأ الكسائي وحده:«هل تَّستطيع ربَّك» بالتاء والإدغام ، و«ربك» بالنصب[4]، وفيها وجهان:

أحدهما : معناه هل تستدعي طاعة ربك فيما تسأله ، قاله الزجاج[5].

والثاني : هل تستطيع أن تسأل ربك ، قاله سعيد بن جبير[6]، وعائشة[1].

---

(١)أخرجه أبو داود (٥٠٦٩) والترمذي (٣٥٠١) من حديث أنس بن مالك دون قوله: وأنبياءك. وفي المعجم الأوسط للطبراني (٩٣٥٦): «وَأُشْهِدُ مَلَائِكَتَكَ، وَأَنْبِيَاءَكَ وَرُسُلَكَ، وَجَمِيعَ خَلْقِكَ عَلَى شَهَادَتِي عَلَى نَفْسِي أَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْت».

(٢) التفسير الميسر:١٢٦.

(٣) تفسير ابن كثير:٢٢٥/٣.

(٤) انظر: السبعة في القراءات:٢٤٩.

(٥) انظر: معاني القرآن:٢٢٠/٢.

(٦) انظر: تفسير الطبري(١٢٩٩٤):ص٢١٩/١١.

وقرأ الباقون:{هل يستطيع ربك}، بالياء والإظهار(٢)، وفي ذلك التأويل ثلاثة أوجه:
أحدها : هل يقدر ربك ، فكان هذا السؤال في ابتداء أمرهم قبل استحكام معرفتهم بالله تعالى(٣).
والثاني : معناه: هل يفعل ربك ، قاله الحسن(٤)، لأنهم سموا بالحواريين بعد إيمانهم .
والثالث : معناه:هل يستجيب لك ربك ويطيعك،{أن يُنَزِّلَ عَلَينَا مَآئِدَةً مِّنَ السَّمَآءِ} قاله السدي(٥).
قال ابن كثير:" و«المائدة» هي : الخوان عليه طعام، ذكر بعضهم أنهم إنما سألوا ذلك لحاجتهم وفقرهم فسألوا أن ينزل عليهم مائدة كل يوم يقتاتون منها ، ويتقوون بها على العبادة"(٦).
قال قطرب:"والمائدة لا تكون مائدة حتى يكون عليها طعام، فإن لم يكن قيل: خِوان"(٧).
وفي تسميتها «مائدة» وجهان(٨):
أحدهما : لأنها تميد ما عليها أي تعطي، قال رؤبة(٩):

نُهْدِي رُؤُوسَ المتْرَفينَ الأَنْدَادْ ... إلَى أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ المُمْتَادْ

أي: المستعطي .
والثاني : لحركتها بما عليها من قولهم : مَادَ الشيء إذا مال وتحرك ، اختاره الزجاج(١٠)، ومنه قول الشاعر(١١):

لعلك باك إن تغنت حمامة ... يميد غصن من الأيك مائل

قوله تعالى:{قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [المائدة : ١١٢]، أي:" اتقوا الله في أمثال هذه الأسئلة إن كنتم مصدقين بكمال قدرته تعالى"(١٢).
قال البغوي:" أي: لا تشكوا في قدرته"(١٣).
قال ابن كثير:" أي : فأجابهم المسيح ، عليه السلام ، قائلا لهم : اتقوا الله ، ولا تسألوا هذا ، فعساه أن يكون فتنة لكم ، وتوكلوا على الله في طلب الرزق إن كنتم مؤمنين "(١٤).
قال السماني:" نهاهم عن اقتراح الآيات بعد الإيمان، وقيل: أراد به أي: اكتفوا بطعام الأرض عن طعام السماء"(١٥).
وفي قوله تعالى:{قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [المائدة : ١١٢]، وجهان(١٦):
أحدهما : يعني: اتقوا معاصي الله إن كنتم مؤمنين به ، وإنما أمرهم بذلك لأنه أولى من سؤالهم.
والثاني : يعني: اتقوا الله فى سؤال الأنبياء إما طلباً لِعَنَتِهِم وإما استزادة للآيات منهم ، إن كنتم مؤمنين بهم ومصدقين لهم لأن ما قامت به دلائل صدقهم يغنيكم عن استزادة الآيات منهم .
قال الطبري: المعنى:" قال عيسى للحواريّين القائلين له : {هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء} راقبوا الله ، أيها القوم ، وخافوه أن يَنزل بكم من الله عقوبة على قولكم

---

(١) انظر: تفسير الطبري(١٢٩٩٣):ص٢١٩/١١.
(٢) انظر: السبعة في القراءات:٢٤٩.
(٣) انظر: النكت والعيون:٨٢/٢.
(٤) انظر: النكت والعيون:٨٢/٢.
(٥) انظر: تفسير الطبري(١٢٩٩٦):ص٢٢٢/١١.
(٦) تفسير ابن كثير:٢٢٥/٣.
(٧) النكت والعيون:٨٢/٢.
(٨) انظر:معاني القرآن للزجاج:٢٢٠/٢، و النكت والعيون:٨٢/٢.
(٩)ديوانه : ٤٠ ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ١ / ١٨٣ ، وتفسير الطبري:٢٢٣/١١، وواللسان "ميد".
(١٠) انظر: معاني القرآن:٢٢٠/٢.
(١١) البيت من شواهد الماردي في النكت والعيون:٨٢/٢، والقرطبي في تفسيره:٣٦٧/٦.
(١٢) صفوة التفاسير:٣٤٥.
(١٣) تفسير البغوي:١١٧/٣.
(١٤) تفسير ابن كثير:٢٢٥/٣.
(١٥) تفسير السمعاني:٨٠/٢.
(١٦) انظر: النكت والعيون:٨٣/٢.

هذا ، فإن الله لا يعجزه شيء أراده ، وفي شكّكم في قدرة الله على إنزال مائدة من السماء ، كفرٌ به ، فاتقوا الله أن يُنزل بكم نقمته، إن كنتم مصدقيَّ على ما أتوعدكم به من عقوبة الله إياكم على قولكم : {هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء} ؟"(١).

قال الزمخشري:" فإن قلت: كيف قالوا هل يستطيع ربك بعد إيمانهم وإخلاصهم ؟

قلت: ما وصفهم الله بالإيمان والإخلاص، وإنما حكى ادعاءهم لهما، ثم أتبعه قوله: {إذ قال} فإذن إن دعواهم كانت باطلة، وإنهم كانوا شاكين، وقوله: {هل يستطيع ربك} كلام لا يرد مثله عن مؤمنين معظمين لربهم، وكذلك قول عيسى عليه السلام لهم معناه: اتقوا الله ولا تشكوا في اقتداره واستطاعته، ولا تقترحوا عليه، ولا تتحكموا ما تشتهون من الآيات فتهلكوا إذا عصيتموه بعدها إن كنتم مؤمنين إن كانت دعواكم للإيمان صحيحة"(٢).

قال ابن عباس:" فأقبلت الملائكة تطير بمائدةٍ من السماء عليها سبعةُ أحواتٍ وسبعة أرغفة ، حتى وضعتها بين أيديهم ، فأكل منها آخر الناس كما أكل منها أوّلهم"(٣).

قال السدي:" فأنزل الله عليهم مائدة من السماء فيها جميع الطَّعام إلا اللحم ، فأكلوا منها"(٤).

الفوائد:

١- من فوائد هذه الآية: أن الحواريين مع كونهم خلصًا عندهم شيء من الجفاء؛ لقولهم :{يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ}.

فإن قال قائل: لعل شريعتهم تبيح لهم أن ينادوا نبيهم باسمه، بخلاف هذه الشريعة فقد قال الله تعالى :{لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا}]النور ٦٣[؟ قلنا: وليكن ذلك، لكن هل من الأدب أن يخاطبوا عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام باسمه، مع أنهم يريدون أن يدعوا الله لهم لحصول هذه المائدة، أو الأليق ما داموا يريدون أن يسأل الله أن ينادوه بوصف النبوة والرسالة؛ لأنه أنسب وأقرب إلى إجابة دعوتهم؟ الجواب: الثاني لا شك، على كل حال هذا الخطاب لا شك أن فيه شيئًا من الجفاء.

٢- في قول عيسى لهم {اتقوا الله} دال على أنهم قالوا الباطل.

٣- فضيلة التقوى، والتقوى: في اصطلاح الشرع هو: "اتخاذ وقاية من عذاب الله بفعل أوامره، واجتناب نواهيه" (٥)، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم: "التقي مُلجَم والمتقي فوق المؤمن والطائع" (٦).

نسأله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لمرضاته ويجعلنا من الفائزين بجناته، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

انتهى الجزء الثاني عشر من التفسير ويليه الجزء الثالث عشر بإذن الله، وبدايته تفسير الآية (١١٣) من سورة «المائدة».

---

(١) تفسير الطبري:٢٢٣/١١.
(٢) الكشاف:٦٩٢/١-٦٩٣.
(٣) أخرجه الطبري(١٢٩٩٥):ص٢٢٢/١١.
(٤) أخرجه الطبري(١٢٩٩٦):ص٢٢٢/١١.
(٥)تفسير ابن عثيمين: ١/ ٢٨.
(٦)الفوائد: ٦٥ - ٦٦.